Tafsir Bahrul 'Ulum
Abul Laith Samarqandi
vol 3
website : http://www.al-eman.com/

تفسير بحر العلوم
ابوالليث السمرقندي
الجزء الثالث (3)
سورة الروم (30)
الي سورة الناس (114)

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&p1

*** «تفسير السمرقندي، المسمى «بحر العلوم :ملخص عن كتاب

هذا كتاب من أوائل كتب التفسير بالمأثور، جمع فيه مصنفه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية، إلا أنه غلب الجانب النقلي على الجانب العقلي؛ ومن ثم عُد ضمن كتب التفسير بالمأثور، ويتخلص منهج المصنف فيه في أنه يسوق الروايات عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا يعقب ذلك بالكلام على الأسانيد، ويروي أحيانا عن الضعفاء كالكلبي والسدي وغيرهما، ويتعرض للقراءات على قلة، ويحتكم في ذلك للغة أحيانا، ويقوم بشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما يوضح معنى آية، وقد أورد في تفسيره بعض القصص الإسرائيلية، وقد اختلف في تسمية الكتاب بـ «بحر العلوم» حيث لم يذكر من ترجم لأبي الليث اسم «بحر العلوم» ضمن كتبه، وإنما يقولون: له «تفسير القرآن».»

التصنيف الفرعي للكتاب :التفاسير

سورة الروم
30

سورة الروم

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6)}

قول الله سبحانه وتعالى: {الم * غُلِبَتِ الروم} يعني قهرت الروم {فِى أَدْنَى الارض} مما يلي فارس يعني أرض الأردن وفلسطين {وَهُمْ} يعني أهل الروم {مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} أهلَ فارس، وذلك أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر، ملك الروم، يدعوه إلى الإسلام، فقرأ كتابه، وقبّله ووضعه على عينيه، وختمه بخاتمه، ثم أوثقه على صدره، ثم كتب جواب كتابه: إنا نشهد أنك نبي ولكنا لا نستطيع أن نترك الدين القديم الذي اصطفى الله لعيسى، فعجب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «قَدْ ثَبَّتَ الله مُلْكَهُمْ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إلَى أدْنَى الأَرْضِ مِنْهَا بِفَتْحِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى المُسْلِمِينَ»

وكتب إلى كسرى ملك فارس فمزَّق كتابه، ورجع الرسول بعدما أراد قتله، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: «قَد مَزَّقَ الله مُلْكهم فلا مُلكَ لَهُمْ أبَداً. إذا ماتَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بَعْدَهُ» فلمّا ظهرت فارس على الروم اغتمَّ المسلمون لذلك، فنزل قوله تعالى: {الم الم غُلِبَتِ الروم فِى أَدْنَى الارض وَهُم مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}.

وقال في رواية الكلبي: إن مشركي قريش شتموا حين غلب المشركون أهل الكتاب، فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لمَ تشتمون؟ فوالله ليظهرنَّ الروم عليهم. فقال أبيُّ بن خلف: والله لا يكون ذلك أبداً فتبايعا أبو بكر وأبيّ بن خلف لتظهرن الروم على أهل فارس إلى ثلاث سنين على تسع ذود. فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بالأمر، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم: «انْطَلِقْ فَزِدْهُ فِي الخَطَرِ، وَمُدَّهُ فِي الأجَلِ» فرجعَ أبو بكر إلى أبيّ بن خلف، فقال: أنا أبايعك إلى سبع سنين على عشرة ذَود، فبايعه فلما خشي أبيّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة إلى المدينة مهاجراً أتاه فلزمه، فكفل له عبد الرحمن بن أبي بكر. فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحدُ أتاه محمد بن أبي بكر، فلزمه، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحدُ فظهرت الرُّوم على فارس عام الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين، فذلك قوله: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون * بِنَصْرِ الله}.

وروى أسباط، عن السدي، عن أصحابه، قال: اقتتلت فارس والروم، فغلبتهم فارس، ففخر أبو سفيان بن حرب على المسلمين، وقال: الذين ليس لهم كتاب غلبوا على الذين لهم كتاب، فشقَّ ذلك على المسلمين، فلقي أبو بكر رضي الله عنه أبا سفيان، فقامره على ثلاثة أبكار على أنَّ الروم ستغلب فارس إلى ثلاث سنين، ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال له:

»انْطَلِقْ فَزِدْ فِي الجَعْلِ، وَزِدْ في السِّنِينَ» فزايده إلى سبع سنين على سبعة أبكار. فالتقى الروم وفارس، فغلبتهم الروم، وظهر عليهم هرقل، فجاءه جبريل عليه السلام بهزيمة فارس، وظهور الرّوم عليهم، ووافق ذلك يوم بدر وظهور النبيّ صلى الله عليه وسلم على المشركين، ففرح المؤمنون بظهورهم على المشركين، وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك.

ويقال إن أهل الروم كانوا أهل كتاب، وكان المسلمون يرجون إسلامهم، وأهل فارس كانوا مجوساً، فكان المسلمون لا يرجون إسلامهم، وكانوا يحزنون لغلبة فارس عليهم فنزل {الم غُلِبَتِ الروم فِى أَدْنَى الارض} أي أقرب الأرض إلى أرض فارس {وَهُم مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} روي عن الفراء أنه قال: يعني من بعد غلبتهم، ولكن عند الإضافة سقطت الهاء، كما قال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخيرات وَإِقَامَ الصلاة وَإِيتَآءَ الزكواة وَكَانُواْ لَنَا عابدين} [الأنبياء: 73] ولم يقل: وإقامة الصلاة.

وقال الزجاج: هذا غلط، وإنا يجوز ذلك في المعتلّ خاصة. والغلب والغلبة كلاهما مصدر. و{سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ} يعني إلى خمس سنين، ويقال: إلى سبع سنين.

روي عن أبي عبيدة أنه قال: البضع من واحد إلى أربعة. وقال القتبي: البضع ما فوق الثلاثة إلى دون العشرة. وقال مجاهد: البضع ما بين الثلاث إلى التسع،

ويقال {مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ} وهذا اللفظ يكون للغالبين وللمغلوبين كقولهم من بعد قتلهم.
ثم قال عز وجل: {لِلَّهِ الامر مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} يعني لله الأمر حين غلبت الروم فارس {وَمِن بَعْدِ} يعني حين غلبت الروم فارس.
ولفظ القبل والبعد إذا كان في آخر الكلام يكون رفعاً على معنى الإضافة للغاية، ولو كان إضافة إلى شيء يكون خفضاً، كقولك: من بعدهم ومن قبلهم.
ثم قال: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون} لما يرجون من إسلامهم، ويقال: يفرح أبو بكر رضي الله عنه خاصة، ويقال: يفرح المؤمنون بتصديق وعد الله تعالى.
وروي عن الشعبي أنه قال: كان ذلك عام الحديبية، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فبايعوه مبايعة الرضوان، ووعد لهم غنائم خيبر، وظهرت الروم على فارس، وكان تصديقاً لهذه الآية {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون} وإنَّما جازت مخاطرة أبي بكر رضي الله عنه لأن المخاطرة كانت مباحة في ذلك الوقت، ثم حرمت بقوله: {ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والانصاب والازلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90] الآية، ثم قال {بِنَصْرِ الله} يعني بفتح الله {يَنصُرُ مَن يَشَاء} يعني نصر الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه {وَهُوَ العزيز الرحيم} بالمؤمنين حين نصرهم.
قوله عز وجل: {وَعَدَ الله} نصب الوعد لأنه مصدر، ومعناه وعد الله وعداً يعني انتصروا وعد الله.
ثم قال: {لاَ يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ} حيث وعد لهم غلبة الروم {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} يعني الكفار لا يعلمون أن الله عزَّ وجلَّ لا يخلف وعده، ويقال: لا يعلمون الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 11]

{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (10) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (11)}

قوله عزَّ وجلَّ: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحياة الدنيا} يعني يعلمون حرفتهم، وأمر معايشهم، ومتى يدرك زرعهم. ويقال في أمر التجارة كانوا أكيس الناس. وقال الحسن: كان الرجل منهم يأخذ درهماً ويقول وزنه كذا ولا يخطئ. {وَهُمْ عَنِ الاخرة هُمْ غافلون} أي لا يؤمنون بها. ويقال: عن أمر الآخرة، وما وعدوا فيها من الهول والعذاب هم غافلون.

ثم وعظهم فقال عز وجل: {أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِى أَنفُسِهِمْ} فيعتبروا في خلق السموات والأرض. وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

ثم قال: {مَّا خَلَقَ الله السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بالحق} يعني للحق {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى} يعني السموات والأرض لهن أجل ووقت معلوم {وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الناس بِلِقَاء رَبّهِمْ لكافرون} يعني جاحدون للبعث.

ثم خوفهم، فقال عز وجل: {أَوَ لَمْ يَسِيرُواْ فِى الارض فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عاقبة الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني الأمم الخالية كانت عاقبتهم الهلاك، ثم أخبر عنهم فقال: {كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الارض} قال مقاتل: يعني ملكوا الأرض. وقال الكلبي: يعني حرثوها. ويقال: أثاروا الأرض إذا قلبوها للزراعة. {وَعَمَرُوهَا} يعني عمروا الأرض {أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} يعني أهل مكة. ويقال: عاشوا فيها أكثر مما عاش أهل مكة {وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني بالحجج الواضحات فكذبوهم، فأهلكهم الله عزَّ وجلَّ {فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ} أي ليعذبهم بغير ذنب {ولكن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بالمعاصي.

قوله عز وجل: {ثُمَّ كَانَ عاقبة الذين أَسَاءواْ} يعني آخر أمر الذين أشركوا {السوأى} يعني العذاب، فيجوز أن تكون ثم على معنى التأخير، ويجوز أن يكون معناه: ثم مع هذا كان عاقبة الذين. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو {وَلِلَّهِ عاقبة} بالضّمّ، وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم جعله اسم كان، وجعل {السوء} خبر كان، ومن قرأ بالنصب جعل العاقبة خبر كان والسوء اسم كان، ومعنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد، يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله عزَّ وجلَّ. والسوء هاهنا جهنم، كما أن الحسنى الجنة.

ثم قال: {ثُمَّ كَانَ عاقبة الذين} يعني: عاقبة جهنم، لأنهم كذبوا بآيات الله ما جاءت بها الرسل {وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} يعني: بآيات الله {الله يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ} يعني يحييهم بعد الموت {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة. قرأ أبو عمرو

وعاصم في رواية أبي بكر: {يَرْجِعُونَ} بالياء على معنى الإخبار عنهم، وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 16]

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (16)}

ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة} يعني: واذكر يوم تقوم الساعة {يُبْلِسُ المجرمون} يعني: ييأس المشركون من كل خير. ويقال: أيسوا من إقامة الحجة. ويقال: {يُبْلِسُ المجرمون} يعني: يندمون. قال الزجاج: المبلس الساكت. المنقطع الحجة، الآيس من أن يهتدي إليها {وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء} يعني: من الملائكة، ومن الأصنام {وَكَانُواْ بِشُرَكَائِهِمْ كافرين} يعني: تبرأت الملائكة عليهم السلام منهم، وتبرأت الأصنام عنهم.

ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} يعني: بعد الحساب يتفرقون. فريق في الجنة، وفريق في النار.

ثم أخبر عن مرجع كل فريق فقال: {فَأَمَّا الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الذين صدقوا بالله ورسوله، وأدّوا الفرائض والسنن {فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} قال مقاتل: يعني: بستان يكرمون وينعمون. وقال السدي: {يُحْبَرُونَ} أي: يفرحون ويكرمون. وقال مجاهد: {يُحْبَرُونَ} يعني: ينعمون. وقال القتبي: {يُحْبَرُونَ} يعني: يسرون وينعمون. والحبرة: السرور. ومنه يقال مع كل حبرة عبرة. وقال الزجاج: {يُحْبَرُونَ} يعني: يحسنون إليهم. يقال للعالم: حبر، وللمداد حبر، لأنه يحسن به الكتابة. ويقال: {يُحْبَرُونَ} أي: يسمعون أصوات المغنيات.

قوله عز وجل: {وَأَمَّا الذين كفروابئاياتنا} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن {وَلِقَاء الاخرة} يعني: البعث بعد الموت {فَأُوْلَئِكَ فِى العذاب مُحْضَرُونَ} يعني: مقرنين. ويقال: يجتمعون هم وآلهتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 26]

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (19) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22) وَمِنْ آَيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24) وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (26)}

قوله عز وجل: {فَسُبْحَانَ اللهِ} يعني: صلوا لله {حِينَ تُمْسُونَ} يعني: صلاة المغرب والعشاء {وَحِينَ تُصْبِحُونَ} يعني: صلاة الفجر وعشياً. يعني: صلاة العصر وحين تظهرون. على معنى التقديم والتأخير أي: صلاة الظهر {وَلَهُ الحمد فِى السموات والارض وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ} يعني: يحمده أهل السموات، وأهل الأرض. ويقال: له الألوهية في السموات والأرض، كقوله عز وجل: {وَهُوَ الذى فِى السمآء إله وَفِى الارض إله وَهُوَ الحكيم العليم} [الزخرف: 84] يقال: {وَلَهُ الحمد} يعني: الحمد على أهل السموات وأهل الأرض، لأنهم في نعمته، فالحمد واجب علينا.

{يُخْرِجُ الحى مِنَ الميت} يعني: الدجاجة من البيضة، والإنسان من النطفة، والمؤمن من الكافر. {وَيُخْرِجُ الميت مِنَ الحى} يعني: البيضة من الدجاجة، والكافر من المؤمن. {يُخْرِجُ الحى مِنَ الميت} يعني: ينبت النبات من الأرض بعد يبسها، وقحطها بالمطر. {وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} يعني: يحييكم بالمطر الذي يمطر من البحر المسجور كالمني فتحيون به. وقال مقاتل: يرسل الله عز وجل يوم القيامة ماء الحيوان من السماء السابعة من البحر المسجور على الأرض، بين النفختين، فينتشر عظام الموتى فذلك قوله: {وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}: قرأ حمزة والكسائي: {تُخْرَجُونَ} بفتح التاء. والباقون برفع التاء. يعني: تخرجون من قبوركم يوم القيامة.

قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته} قال مقاتل: يعني ومن علامات الرب، أنه واحد وإن لم يروه، وعرفوا توحيده بصنعه، {أَنْ خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ} يعني: خلق آدم من تراب وأنتم ولده {ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ} ذريته من بعده {بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ} يعني: تبسطون. كقوله: {وَهُوَ الذى يُنَزّلُ الغيث مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ

الولى الحميد} [الشورى: 28] يعني: ويبسط. ويقال: {وَمِنْ ءاياته} يعني: من العلامات التي تدل على أن الله عز وجل واحد لا مثل له، ظهور القدرة التي يعجز عنها المخلوقون {أَنْ خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ} يعني: آدم عليه السلام {ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَرٌ} منتشرون على وجه الأرض.
ثم قال عز وجل: {وَمِنْ ءاياته} يعني: من علامات وحدانيته {أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ} يعني: من جنسكم {أزواجا} لأنه لو كان من غير جنسه، لكان لا يستأنس بها. ويقال: {مّنْ أَنفُسِكُمْ} يعني: خلقها من آدم. ويقال: من بعضكم بعضاً {لّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا} يعني: لتستقر قلوبكم عندها. لأن الرجل إذا طاف البلدان، لا يستقر قلبه، فإذا رجع إلى أهله، اطمأن واستقر. ويقال: {لّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا} يعني: لتوافقوها {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} يعني: الحب بين الزوج والمرأة، ولم يكن بينهما قرابة. ويحب كل واحد منهما صاحبه، ويقال: وجعل منكم مودة للصغير على الكبير، ورحمة للكبير على الصغير.
ويقال: {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} يعني: الولدان {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} يعني: فيما ذكر لعلامات لوحدانيته {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أني خالق.
قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته خَلْقُ * السموات والارض} وأنتم تعلمون ذلك، لأنهم مقرون أن الله عز وجل خالقهم، وهو خالق الأشياء {واختلاف أَلْسِنَتِكُمْ} أي: عربي، وعجمي، ونبطي، {وألوانكم} أي: أحمر، وأبيض، وأسود، وأسمر.
{إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} يعني: لعلامات في خلق السموات والأرض، واختلاف الألسن، والألوان لعلامات. {للعالمين} فيعتبرون. قرأ عاصم في روية حفص: {للعالمين} بكسر اللام. يعني: جميع العلماء، يعني: إن في ذلك علامة للعقلاء. وقرأ الباقون: بنصب اللام يعني: علامة لجميع خلق الإنس والجن.
قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته مَنَامُكُم بالليل والنهار} منامكم نومكم، فهو مصدر. يقال: نام نوماً، ومناماً بالليل والنهار، على معنى التقديم يعني: منامكم بالليل {وابتغاؤكم مّن فَضْلِهِ} بالنهار يعني: طلبكم الرزق بالنهار والمعيشة {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} يعني: لعلامات على وحدانيتي {لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} المواعظ ويعتبرون.
قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته يُرِيكُمُ البرق خَوْفاً} من الصواعق إذا كنتم بأرض قفر، {وَطَمَعًا} للمطر. {خَوْفًا وَطَمَعًا} منصوبان على المفعول له المعنى يريكم للخوف والطمع، خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم.

{وَيُنَزّلُ مِنَ السماء مَاء} يعني: المطر {وَمِنْ ءاياته يُرِيكُمُ} أي: بالنبات {بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَلِكَ لايات} أي: لعلامات {لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} عن الله عز وجل فيوحدونه.

قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته أَن تَقُومَ السماء} يعني: فوق رؤوسكم بغير عمد لا يناله شيء، وتقوم الأرض على الماء تحت أقدامكم {والارض بِأَمْرِهِ} أي: بقدرته {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مّنَ الارض} يعني: إسرافيل عليه السلام يدعوكم على صخرة بيت المقدس في الصور دعوة من الأرض {إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ} وقال بعضهم: في الآية تقديم. ومعناه: ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض يعني: من قبوركم فإذا أنتم تخرجون: قرأ حمزة والكسائي: {تُخْرَجُونَ} بنصب التاء وضم الراء. وقرأ الباقون: بضم التاء ونصب الراء.

ثم قال عز وجل: {وَلَهُ مَن فِى السموات والارض} من الخلق {كُلٌّ لَّهُ قانتون} يعني: مقرّين بالعبودية. يعلمون أن الله عز وجل ربهم. ويقال: {قانتون} أي: خاضعون له، لا يقدرون أن يغيروا أنفسهم عما خلقهم. ويقال: معناه في كل شيء دليل ربوبيّته. وهذا أيضاً من آياته. ولكنه لم يذكر لأنه قد سبق ذكره مرات، فكأنه يقول ومن آياته أن له من في السموات والأرض كل له قانتون.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 29]

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29)}

ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ} أي: خلق آدم، فبدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً {ثُمَّ يُعِيدُهُ} يعني: يبعثهم في الآخرة أحياء {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} يعني: في المثل عندكم، لأن إبداء الشيء أشدّ من إعادته. ويقال: إن ابتداءه كان نطفة، ثم جعله علقة، ثم جعله مضغة، ثم لحماً، ثم عظاماً. وفي الآخرة حال واحد وذلك هو أهون عليه من هذا. وقال القتبي عن أبي عبيدة: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} يعني: هيّن عليه كما يقال الله أكبر أي: الكبير. ويقال: الإعادة أهون عليه من البداية، والبداية عليه هين.

ثم قال: {وَلَهُ المثل الاعلى فِى السموات والارض} يعني: الصفات العلى بأنه واحد لا شريك له {وَهُوَ العزيز} في ملكه {الحكيم} في أمره.

ثم قال عز وجل: {ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً} نزلت في كفار قريش، كانوا يعبدون الآلهة، ويقولون في إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك.
قال الله تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً} أي: وصف لكم شبهاً {مّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمانكم} يعني: من العبد {مّن شُرَكَاء فِيمَا رزقناكم} من الأموال {فَأَنتُمْ} وعبيدكم {فِيهِ سَوَآء} في الرزق فيما أعطيناكم من الأموال والملك.
ثم قال: {تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} قال مقاتل: يعني: أتخافون عبيدكم أن يرثوكم بعد الموت، كما تخافون أن يرثكم الأحرار. فقالوا: لا. فقال: أترضون لله الشركة في ملكه وتكرهون لأنفسكم. قال الكلبي: {هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمانكم مّن شُرَكَاء فِيمَا رزقناكم} من أموالكم، من عبيدكم وإمائكم، {فَأَنتُمْ} وهم {فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} يقول: كما يخاف الرجل ابنه وعمه وأقاربه. قالوا: لا. قال: فأنتم لا ترضون هذا لأنفسكم أن يكونوا فيما تملكون يشاركونكم في أموالكم. فكيف ترضون لله ما لا ترضون به لأنفسكم.
وقال السدي: {ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً} هذا مثل ضربه الله عز وجل في الميراث للآلهة. يقول: هل لكم مماليك شركاء في الميراث الذي ترثونه من آبائكم، وأنتم تخافون أن يدخل معكم مملوككم في ذلك الميراث، كما تدخلون أنتم فيه. فكما لا يكون للملوك أن يدخل في مواريثكم، فكذلك لا يكون لهذا الوثن الذي تعبدونه من دون الله عز وجل، أن يدخل في ملكي. وإنما خلقي وعبيدي.
قال أبو الليث رحمه الله عز وجل: وفي الآية دليل أن العبد لا ملك له، لأنه أخبر أن لا مشاركة للعبيد فيما رزقنا الله عز وجل من الأموال.
ثم قال عز وجل: {كذلك نُفَصّلُ الآيات} يعني: نبيّن العلامات {لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} الأمثال فيوحدونه.
ثم قال عز وجل: {بَلِ اتبع الذين ظَلَمُواْ أَهْوَاءهُمْ} يعني: اتبع الذين كفروا أهواءهم بعبادة الأوثان {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغير حجة {فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ الله} يعني: فمن يهدي إلى توحيد الله، من أضله الله وخذله وطرده. ويقال: فمن يرشد إلى الحق من خذله الله عز وجل {وَمَا لَهُم مّن ناصرين} يعني: مانعين من عذاب الله.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 35]

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32) وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (34) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (35)}

قوله عز وجل: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنِيفاً} أي: أخلص دينك الإسلام للدين حنيفاً. يعني: للتوحيد مخلصاً. ويقال: يذكر الوجه ويراد به هو، فكأنه يقول: فأقم الدين مخلصاً. ويقال: معناه فأقبل بوجهك إلى الدين، وأقم عليه حنيفاً، أي: مخلصاً، مائلاً إليه. ويقال: أخلص دينك وعملك لله تعالى، وكن مخلصاً.

ثم قال: {فِطْرَةَ الله} يعني: اتبع دين الله. ويقال: اتبع ملة الله. ويقال: الفطرة الخلقة يعني: خلقة الله {التى فَطَرَ الناس عَلَيْهَا} أي: خلق البشر عليها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، وَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتِجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» وروي عن أبي هريرة أنه قال: اقرؤوا إن شئتم {فِطْرَةَ الله الذى فَطَرَكُمْ الناس عَلَيْهَا} يعني: خلق الناس عليها. وفي الخبر أنه قال: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ» لأنه شهد يوم الميثاق.

ثم قال: {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله} يعني: لا تغيير لدين الله. ويقال: لا تبديل لخلق الله عندما خلق الله الخلق، لم يكن لأحد أن يغير خلقته.

ثم قال: {ذلك الدين القيم} يعني: التوحيد هو الدين المستقيم {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: كفار مكة لا يعلمون بتوحيد الله.

قوله عز وجل: {مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} انصرف إلى قوله {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} يعني: فأقبل بوجهك منيباً إليه. ويجوز أن يخاطب الرئيس بلفظ الجماعة، لأن له أتباعاً. وإنما يراد به هو وأتباعه كما قال: {أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين ءامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً} [الطلاق: 10] {مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} يعني: راجعين إليه من الكفر إلى التوحيد. {واتقوه وَأَقِيمُواْ الصلاة} يعني: وأتموا الصلوات الخمس {وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ المشركين} على دينهم {مِنَ الذين فَرَّقُواْ دِينَهُمْ} يعني: تركوا دين الإسلام الذي أمروا به. {وَكَانُواْ شِيَعاً} فجعلوه

أدياناً يعني: تركوا دينهم وصاروا فرقاً اليهود والنصارى والمجوس، قرأ حمزة والكسائي: {فارقوا} بالألف. وقرأ الباقون {الذين فَرَّقُواْ} بغير ألف. فمن قرأ: فارقوا يعني: تركوا دينهم. ومن قرأ {فَرَّقُواْ} دينهم يعني: افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، والنصارى اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون ثلاثة وسبعين فرقة {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} يعني: كل أهل دين بما عندهم من الدين راضون.

قوله عز وجل: {وَإِذَا مَسَّ الناس ضُرٌّ} يعني: إذا أصاب الكفار شدة {دَعَوْاْ رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} يعني: منقلبين إليه بالدعاء عند الشدة والقحط {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً} يعني: إذا أصابهم من الله نعمة، وهي السعة في الرزق والخصب {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} يعني: تركوا توحيد ربهم في الرخاء، وقد وحّدوه في الضراء.

قوله عز وجل: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءاتيناهم} قال مقاتل: تقول أذاقهم رحمة لئلا يكفروا بالذي أعطاهم من الخير. ويقال: كانت النعمة سبيلاً للكفر فكأنه أعطاهم لذلك، كما قال {فالتقطه ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خاطئين} [القصص: 8] وقرئ في الشاذ يشركون ليكفروا، بجزم اللام فيكون أمراً على وجه الوعيد والتهديد.

ثم قال: {فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} يعني: فتمتعوا قليلاً إلى آجالكم فسوف تعلمون ما يفعل بكم يوم القيامة.

ثم قال عز وجل: {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سلطانا} يعني: كتاباً من السماء {فَهُوَ يَتَكَلَّمُ} يعني: ينطق {بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ} يعني: بما كانوا يقولون من الشرك. اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به النفي يعني: لم ينزل عليهم حجة بذلك. وقال القتبي: فهو يتكلم فهو من المجاز ومعناه: أنزلنا عليهم برهاناً يستدلون به، فهو يدلهم على الشرك. ويقال: أم أنزلنا عليهم عذراً بذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 40]

{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (36) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37) فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (38) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُضْعِفُونَ (39) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40)}
ثم قال عز وجل: {وَإِذَا أَذَقْنَا الناس رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا} يعني: المطر والسعة {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} يعني: الجوع والشدة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يعني: جزاء لذنوبهم {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} يعني: آيسين من الرزق. قرأ أبو عمرو الكسائي: {يَقْنَطُونَ} بكسر النون. وقرأ الباقون بالنصب. وهما لغتان ومعناهما واحد.
ثم وعظهم ليعتبروا ويطمئنوا بالرزق فقال عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَرَوْاْ أَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء} يعني: يوسع، وكان يرى صلاح العبد في ذلك. {وَيَقْدِرُ} يعني: يضيق العيش. ويكون صلاحه في ذلك من البسط والتقتير {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: في البسط والتقتير {لايات لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني يصدقون.
قوله عز وجل: {فَئَاتِ ذَا القربى حَقَّهُ} يعني: فأعط ذا القربى حقه، وحق القرابة هو الصلة {والمساكين} يعني: أعط السائل حقه، وحقه أن يتصدق عليه بشيء {وابن السبيل} يعني: الضيف النازل، وحقه أن تحسن إليه {ذلك خَيْرٌ} يعني: الذي وصف من صلة القرابة، والمسكين، وابن السبيل، ذلك خير {لّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ الله} يعني: أي يريدون بذلك رضاء الله، خير من الإمساك عندهم. {وأولئك هُمُ المفلحون} يعني: الناجون. ويقال: الباقون في النعمة. ويسمى السحور فلاحاً لأنه يبقي للصائم قوة {وَمَا ءاتَيْتُمْ مّن رِباً} يعني: ما أعطيتم من عطية {لّيَرْبُوَاْ فِى أَمْوَالِ الناس} يعني: ليزدادوا في أموال. ومعناه: ما أعطيتم من عطية لتلتمسوا بها الزيادة {فَلاَ يَرْبُواْ *** عَندَ الله} أي: فلا تضاعف تلك العطية عند الله عز وجل، ما أعطيتم عند الله ولا يأثم فيه. وروى معمر عن قتادة عن ابن عباس قال: هي هبة يريد أن يثاب أفضل منها. فذلك الذي لا يربو عند الله، ولا يؤجر فيه صاحبه، ولا إثم عليه. {وَمَا ءاتَيْتُمْ مّن رِباً} قال: هي الصدقة {تُرِيدُونَ وَجْهَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ المضعفون} وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله. وقال عكرمة: الربا ربوان: ربا حلال، وربا حرام. فأما الحلال فهو هبة الرجل يريد أن يثاب ما هو أفضل منها. وأما الحرام فزيادة خالية عن العوض في عقد المعاوضة. وهو نوعان: ربا الفضل، وربا النساء. عرف ذلك في كتب الفقه. قرأ ابن كثير {وَمَا ءاتَيْتُمْ} بغير مد يعني: ما جئتم. وقرأ الباقون: بالمد يعني: ما

أعطيتم. واتفقوا في الثاني أنه بالمد. وقرأ نافع {لتربو} بالتاء والضم، والباقون بالياء والنصب. فمن قرأ بالنصب. فمعناه: لتستزيدوا أنتم زيادة في المال. يعني: لتكثروا أموالكم بما أعطيتم. ومن قرأ: {ليربو} بالياء معناه: ليربو المعطي فيكثر حتى يرد ما هو أكثر منه.

ثم بيّن ما يربو فيه فقال: {وَمَا مّن كتاب زكواة} يعني: ما أعطيتم من صدقة تريدون وجه الله يعني: رضا الله. ففيه الإضعاف. فأولئك هم المضعفون للواحد عشرة فصاعداً. ويقال: {المضعفون} أي: الواجدين من الضعف. كما يقال: أكذبته إذا وجدته كاذباً.

ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده فقال عز وجل: {الله الذى خَلَقَكُمْ} ولم تكونوا شيئاً {ثُمَّ رَزَقَكُمْ} يعني: أطعمكم ما عشتم في الدنيا {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عند انقضاء آجالكم {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} للبعث بعد الموت، لينبّئكم بما عملتم في الدنيا ويجازيكم {هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مّن شَئ} يعني: يفعل كفعله.

ثم نزّه نفسه فقال: {سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} وقد ذكرناه. ويقال: الله الذي خلقكم وطلب منكم العبادة، ثم رزقكم وطلب الطمأنينة، ثم يميتكم وطلب منكم الاستعداد للموت، ثم يحييكم وطلب منكم الحجة والبرهان.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 45]

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (43) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (45)}

{ظَهَرَ الفساد فِى البر والبحر} يعني: قحط المطر، ونقص الثمار للناس والدواب. يعني: نقص النبات في البر للدواب والوحوش؛ وفي البحر يعني: القرى والأرضين ينقصان الثمار والزرع. سمى القرى والمدائن بحراً لما يجري فيها من الأنهار. ويقال: البحر نفسه لأنه إذا لم يكن مطر، فإنه لا يخرج منه اللؤلؤ {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى الناس} أي: بما عملوا من المعاصي. ويقال: من أذنب ذنباً فجميع الخلق من الإنس والجن، والدواب والوحوش، والطير والذر، خصماؤه يوم القيامة، لأنه يمنع المطر بالمعصية، فيضرّ بأهل البر والبحر.

وروي عن ثقيف الزاهد أنه قال: من أكل الحرام، فقد خان جميع الناس، حيث لا يستجاب دعاؤه. ويقال: {ظَهَرَ الفساد فِى البر والبحر} يعني: ظهرت المعاصي في البر والبحر {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى الناس} يعني: بكسب الناس. فأول فساد البر كان من قابيل حيث قتل أخاه هابيل، وأول فساد البحر كان من جلندا حيث كان يأخذ كل سفينة غصباً. وقال عطية العوفي: ظهور الفساد قحوط المطر. قيل له: هذا فساد البر فما فساد البحر؟ قال: إذا قلّ المطر قلّ الغوص. وقال قتادة {ظَهَرَ الفساد فِى البر والبحر} يعني: امتلأت الضلالة والظلم في الأرض.

وروي عن أبي العالية أنه قال البر: الأعضاء والبحر: القلوب يعني: ظهر الفساد في الناس في الأعضاء وفي القلوب.

ثم قال: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذى عَمِلُواْ} يعني: يعذبهم ببعض ذنوبهم في الدنيا، ويّدخر البعض في الآخرة. والذوق إنما هو كناية عن التعذيب. فكأنه يقول: يعذبهم بالجوع والقحط في الدنيا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي: لكي يرجعوا عن الكفر. قرأ ابن كثير: {لّنُذِيقَهُمْ} بالنون أي: لنذيقهم نحن. وقرأ الباقون: بالياء يعني: ليذيقهم الله عز وجل.

ثم خوّفهم فقال عز وجل: {قُلْ سِيرُواْ فِى الارض} أي: سافروا فيها {فانظروا كَيْفَ كَانَ عاقبة الذين مِن قَبْلُ} يعني: كيف كان آخر أمر من كان قبلهم {كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ} فيعتبروا بذلك. والنظر على وجهين. يقال: نظر إليه إذا نظر بعينه، ونظر فيه إذا تفكر بقلبه. وهاهنا قال: {فانظروا} ولم يقل فيه، ولا إليه. فهو على الأمرين جميعاً.

ثم قال عز وجل: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينَ القيم} يعني: أخلص دينك الإسلام القيم. يعني: المستقيم. ويقال: أقبل بوجهك إليه. ويقال: اثبت عليه. {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ الله} يعني: يوم القيامة لا يقدر أحد أن يرد ذلك اليوم من الله. ويقال: يعني: ذلك اليوم من الله. ويقال: لا خلف لذلك الوعد من الله {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} يعني: يتصدعون. فأدغم التاء في الصاد وشدد. يعني: يتفرقون فريق في الجنة، وفريق في السعير.

ثم قال عز وجل: {مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} يعني: جزاء كفره وعقوبته {وَمَنْ عَمِلَ صالحا} يعني: وحّده وعمل بالطاعة بعد التوحيد {فَلاِنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} قال مقاتل: أي يقدمون. وقال مجاهد. يعني: لأنفسهم يفرشون في القبر. ويقال: في الجنة. ويقال: فلأنفسهم يعملون ويستعدون.

قوله عز وجل: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً} ينصرف إلى قوله يصدعون. يعني: يتفرقون لكي يجزي الذين آمنوا {وَعَمِلُواْ الصالحات مِن فَضْلِهِ} يعني: من رزقه. ويقال: من ثوابه. ويقال: بفضله {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الكافرين} بتوحيد الله عز وجل. ويقال: لا يرضى دين الكافرين.

▲ تفسير الآيات رقم [46- 51]

{وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49) فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51)}

ثم قال عز وجل: {وَمِنْ ءاياته أَن يُرْسِلَ الرياح} يعني: ومن علامات وحدانيته أن يعرفوا توحيده بصنعه، أن يرسل الرياح {مبشرات} بالمطر. ويقال: يستبشر بها الناس. ويقال: فإذا كان الاستبشار به ينسب الفعل إليه {وَلِيُذِيقَكُمْ مّن رَّحْمَتِهِ} يعني: ليصيبكم من نعمته وهو المطر {وَلِتَجْرِىَ الفلك بِأَمْرِهِ} يعني: السفن تجري في البحر بالرياح بأمره {وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} يعني: لتطلبوا في البحر من رزقه كل هذا بالرياح {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} رب هذه النعم فتوحدوه.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ} يا محمد {رُسُلاً إلى قَوْمِهِمْ * موسى بالبينات} بالأمر والنهي، فكذبوهم كما كذب قومك {فانتقمنا مِنَ الذين أَجْرَمُواْ} بالعذاب يعني: من الذين كفروا {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا} يعني: واجباً علينا {نَصْرُ المؤمنين} بالنجاة مع رسولهم. وإنما هو وجوب الكرم، لا وجوب اللزوم.

ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا، فقال الله عز وجل: {الله الذى يُرْسِلُ الرياح فَتُثِيرُ سَحَاباً} يعني: تدفعه وتهيجه. يقال: ثار الغبار إذا ارتفع {فَيَبْسُطُهُ فِى السماء كَيْفَ يَشَاء} يعني: كيف يشاء الله عز وجل. إن شاء بسطه مسيرة يوم أو أكثر {وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً} يعني: قطعاً {فَتَرَى الودق يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ} يعني: المطر يخرج من خلاله، من وسط السحاب {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} يعني:

بالمطر {مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} يعني: يفرحون بنزول المطر عليهم قرأ ابن عامر {كِسَفًا} بالجزم. وقرأ الباقون: بالنصب.

ثم قال عز وجل: {وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} أي: من قبل نزول المطر عليهم. {لَمُبْلِسِينَ} يعني: آيسين من المطر. وقال الأخفش: تكرير قبل للتأكيد. وقال قطرب: الأول للتنزيل، والثاني للمطر.

ثم قال: {فانظر إلى ءاثار رَحْمَةِ الله} يعني: ألوان النبات من أثر المطر منه الأخضر، والأحمر، والأصفر. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص وابن عامر {فانظر إلى ءاثار رَحْمَةِ} بلفظ الجماعة. قرأ الباقون بلفظ الوحدان، لأن الوحدان يغني عن الجمع.

ثم قال: {كَيْفَ يُحْيِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} حين لم يكن فيها نبات {إِنَّ ذلك} يعني: هذا الذي فعل {فانظر إلى} في الآخرة {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ ***

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً} يعني: الزرع متغيّراً بعد خضرته {لَّظَلُّواْ مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} يعني: لصاروا، وأصله العمل بالنهار. ويستعمل في موضع صار كقوله أصبح وأمسى يوضع موضع صار {مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} أي: من بعد اصفراره يكفرون النعم. يقول: لو فعلت ذلك لفعلوا هكذا. ويقال: قوله: {فَرَأَوْهُ} إشارة إلى النبات، لأن الريح مؤنثة. وإنما أراد ما ينبت بالمطر. ويقال: معناه أنهم يستبشرون إذا رأوا الغيث، ويكفرون إذا انقطع عنهم النبات.

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [52- 60]

{فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (56) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (57) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (58) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (59) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (60)}
{فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الموتى} فشّبه الكفار بالموتى. فكما لا يسمع الموتى النداء، فكذلك لا يجيب، ولا يسمع الكفار الدعاء، إذا دعوا إلى الإيمان {وَلاَ تُسْمِعُ الصم الدعاء إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ} يعني: أن الأصم إذا كان مقبلاً لا يسمع، فكيف إذا ولى مدبراً؟ فكذلك الكافر لا يسمع إذا كان يتصامم عند القراءة، والقراءة ذكرناها في سورة النمل.
ثم قال عزّ وجل: {وَمَا أَنتَ بِهَادِى العمى} إلى الإيمان {عَن ضلالتهم} يعني: لا تقدر أن توفقه وهو لا يرغب عن طاعتي في طلب الحق {إِن تُسْمِعُ} يعني: ما تسمع {وَمَا أَنتَ بِهَادِى العمى} يعني: بالقرآن {فَهُم مُّسْلِمُونَ} يعني: مخلصون.
ثم أخبرهم عن خلق أنفسهم ليعتبروا ويتفكروا فيه فقال عز وجل: {الله الذى خَلَقَكُمْ مّن ضَعْفٍ} يعني: من نطفة. ويقال: صغيراً لا يعقل {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٍ} يعني: شدة بتمام خلقه {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً} يعني: بعد الشباب الهرم {وَشَيْبَةً} أي: شمطاً. قرأ عاصم في رواية حفص وحمزة: من ضعف بنصب الضاد. وقرأ الباقون: من ضعف بالضم. وهما لغتان ومعناهما واحد.
{يَخْلُقُ مَا يَشَاء} أي: يحول الخلق كما يشاء من الصورة {وَهُوَ العليم القدير} {العليم} بتحويل الخلق، {القدير} يعني: القادر على ذلك.
قوله عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يُقْسِمُ المجرمون} يعني: يحلف المشركون {مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ} في الدنيا.
يقول الله عز وجل: كذلك كانوا يكذبون بالبعث كما أنهم كذبوا حيث قالوا {مَا لَبِثُواْ} يعني في القبور غير ساعة ويقال: {كَذَلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ} لأنهم يقولون مرة: {<يتخافتون بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً} [طه: 103] ومرة يقولون: {<قَالَ كذلك قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً} [الكهف: 119] ومرة يقولون: {مَا لَبِثْنَا غَيْرَ سَاعَةٍ} فيقول الله تعالى: هكذا كانوا في الدنيا.
ثم قال عز وجل: {وَقَالَ الذين أُوتُواْ العلم والإيمان} يعني: أكرموا بالعلم والإيمان {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كتاب الله} أي: في علم الله. ويقال: فيما كتب الله عز وجل. وقال مقاتل: في الآية تقديم. يعني: {وَقَالَ الذين أُوتُواْ العلم} في كتاب

الله {والإيمان} وهو ملك الموت {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كتاب الله إلى يَوْمِ البعث}.
ويقال: الذين أوتوا العلم بالكتاب وأوتوا {الايمان} وهم العلماء.
ثم قال: {فهذا يَوْمُ البعث ولكنكم كُنتمْ لاَ تَعْلَمُونَ} يعني: لا تصدقون بهذا اليوم في الدنيا. ثم قال عز وجل: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ ينفَعُ الذين ظَلَمُواْ} يعني: أشركوا {مَعْذِرَتُهُمْ} قرأ ابن كثير وأبو عمر: {وَلاَ تَنفَعُ} بالتاء بلفظ التأنيث، لأن لفظ المعذرة مؤنثة.
وقرأ الباقون: بالياء، فينصرف إلى المعنى يعني: عذرهم {وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} يقال: عتب يعتب إذا غضب عليه، وأعتب يعتب إذا رجع عن ذنبه، واستعتب إذا طلب منه الرجوع. يعني: أنه لا يطلب منهم الرجوع في ذلك اليوم ليرجعوا.
ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ} يعني: وصفنا وبيّنّا {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هذا القرءان} أي: شبه {وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِئَايَةٍ} كما سألوا {لَّيَقُولَنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: المشركون من أهل مكة {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ} يعني: يقولون ما أنت إلا كاذب، وليس هذا من الله عز وجل، كما كذبوا بانشقاق القمر. يقال: أبطل الرجل إذا جاء بالباطل. وأكذب إذا جاء بالكذب. فقال: {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ} يعني: كاذبون.
ثم قال: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله} يعني: يختم الله عز وجل {على قُلُوبِ الذين لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {فاصبر} يا محمد {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} فيما وعد لكم من النصر على عدوكم، وإظهار دين الإسلام حق. ويقال: {فاصبر إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: صدق في العذاب {وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ} يعني: يستنزلنك عن البعث {الذين لاَ يُوقِنُونَ} أي: لا يصدقون. ويقال: {لا يَسْتَخِفَّنَّكَ} يعني: لا يحملنك تكذيبهم على الخفة. يعني: كن حليماً، صبوراً، وقوراً. ويقال: {لا يَسْتَخِفَّنَّكَ} فتدعو عليهم بتعجيل العذاب، فيهلك الذين لا يوقنون بالعذاب، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

▲ سورة لقمان

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{الم (1) تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)}

قول الله تبارك وتعالى: {الم تِلْكَ ءايات الكتاب الحكيم} يعني: هذه آيات القرآن المحكم من الباطل. ويقال: أحكم حلاله وحرامه. ويقال: محكم لا يرد عليه التناقض {هُدًى} يعني: بياناً من الضلالة. ويقال: هادياً {وَرَحْمَةً} من العذاب {لّلْمُحْسِنِينَ} الذين يحسنون العمل وهم المؤمنون. لأن كل مؤمن محسن. قرأ حمزة: {هُدًى وَرَحْمَةً} بالضم، والباقون بالنصب. فمن قرأ: بالضم، فعلى الإضمار. ومعناه: هو هدى ورحمة على معنى تلك هدى ورحمة. ومن نصب فهو على الحال المعنى تلك آيات في حال الهداية والرحمة.

ثم نعت المحسنين فقال تعالى: {الذين يُقِيمُونَ الصلاة} يعني: يقرون بها ويتمونها. قوله {وَيُؤْتُونَ الزكواة} يعني: يقرون بها ويؤدونها {وَهُم بالاخرة} يعني: بالبعث الذي فيه جزاء أعمالهم {هُمْ يُوقِنُونَ} بأنها كائنة {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة {على هُدًى مّن رَّبّهِمْ} يعني: بيان من ربهم. بيّن لهم طريقهم ووفّقهم لذلك {وأولئك هُمُ المفلحون} يعني: الفائزون بالخير.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 11]

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (7) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)}

{وَمِنَ الناس مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث} يعني: من الناس ناس يشترون أباطيل الحديث، وهو النضر بن الحارث كان يخرج إلى أرض فارس تاجراً، ويشتري من هنالك من أحاديثهم، ويحمله إلى مكة ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم بالأحاديث طرفاً منها، وأنا أحدثكم بالحديث تاماً {لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ} يعني: يصرف الناس عن دين {الله} عز وجل. ويقال: يشتري جواري مغنيات. قال أبو الليث رحمه الله: حدثني الثقة بإسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّيَاتِ وَلاَ شِرَاؤُهُنَّ وَلا التِّجَارَةُ فِيهِنَّ وَأَكْلُ أَثْمَانِهِنَّ حَرَامٌ». وفيه أنزل الله عز وجل هذه الآية {وَمِنَ الناس مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث} وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله {وَمِنَ الناس مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث} قال: شراء المغنية. ويقال: {لَهْوَ الحديث} هاهنا الشرك. يعني: يختار الشرك على الإيمان ليضل عن سبيل الله عز وجل. يعني: ليصرف الناس بذلك عن سبيل الله {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغير حجة {وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً} يعني: سبيل الله عز وجل، لأن السبيل مؤنث كقوله تعالى: {قُلْ هذه سبيلى أَدْعُو إلى الله على بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتبعنى وَسُبْحَانَ الله وَمَآ أَنَاْ مِنَ المشركين} [يوسف: 108] ويقال: {وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً} يعني: آيات القرآن التي ذكر في أول السورة استهزاء بها، حيث جعلها بمنزلة حديث رستم واسفنديار. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: {لِيُضِلَّ} بنصب الياء. وقرأ الباقون: بالضم. فمن قرأ بالنصب فمعناه: ليضل بذلك عن سبيل الله. يعني: بترك دين الإسلام. ومن قرأ بالضم يعني: يصرف الناس عن دين الإسلام، ويصرف نفسه أيضاً. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: {وَيَتَّخِذَهَا} بنصب الذال. وقرأ الباقون: بالضم. فمن نصبها ردّها على قوله: {لِيُضِلَّ} يعني: لكي يضل ولكي {أُنْذِرُواْ هُزُواً} ومن قرأ: بالضم ردّها على قوله: {وَمِنَ الناس مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث} {وَيَتَّخِذَهَا} وقال {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهانون به.

قوله عز وجل: {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِ ءاياتنا} يعني: إذا قرئ عليه القرآن {ولى مُسْتَكْبِراً} يعني: أعرض مستكبراً عن الإيمان والقرآن {كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} يعني: كأن لم يسمع ما في القرآن من الدلائل والعجائب {كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً} أي: ثقلاً فلا يسمع القرآن يعني: يتصامم {فَبَشّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} فلما ذكر عقوبة الكافر ذكر على أثر ذلك ثواب المؤمنين فقال:

{إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات لَهُمْ جنات النعيم} في الآخرة {خالدين} يعني: دائمين {فِيهَا وَعْدَ الله حَقّاً} أوجبه الله عز وجل لأهل هذه الصفة {وَهُوَ العزيز الحكيم} حكم بالعذاب للكافرين، والنعيم للمؤمنين.

ثم بيّن علامة وحدانيته فقال: {خُلِقَ السموات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} أي: خلقها بغير عمد ترونها بأعينكم. ويقال: معناه {بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} أنتم يعني: لها عمد ولكن لا ترونها. والعمد جماعة العماد.

ثم قال: {وألقى فِى الارض رَوَاسِىَ} يعني: الجبال الثوابت {أَن تَمِيدَ بِكُمْ} يعني: لكيلا تزول بكم الأرض.

ثم قال: {وَبَثَّ فِيهَا} يعني: وخلق فيها في الأرض. ويقال: وبسط فيها {مِن كُلّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} وقد ذكرناه.

ثم قال: {هذا خَلْقُ الله} يقول: هذا الذي خلقت أنا {فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الذين مِن دُونِهِ} يعني: الذين تدعونه إلها من دونه يعني: الأصنام. ويقال: هذا خلق الله. يعني: مخلوق الله. ويقال: هذا صنع الله.

ثم قال: {بَلِ الظالمون فِى ضلال مُّبِينٍ} أي: الكافرون في خطأ بيّن، لا يعتبرون ولا يتفكرون فيما خلق الله عز وجل فيعبدونه ويقال في ضلال مبين يعني: في خسران بيّن.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 20]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20)}

{وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لُقْمَانَ الحكمة} وقال مجاهد: يعني: أعطينا لقمان العقل والفقه والإصابة في غير نبوة. ويقال أيضاً: الحكمة والعقل والإصابة في القول. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما زَهِدَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إلاَّ أَثْبَتَ الله تَعَالَى الحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ، وَبَصَّرَهُ عُيُوبَ الدُّنْيَا وَعُيُوبَ نَفْسِهِ. وَإذَا رَأَيْتُمْ أَخَاكُمْ قَدْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا فَاقْتَرِبُوا إلَيْهِ فَاسْتَمِعُوا مِنْهُ، فإنه يُلَقَّى الحِكْمَةَ». وقال السدي: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لُقْمَانَ الحكمة} يعني: النبوة. وعن عكرمة قال: كان لقمان نبياً. وعن وهب بن منبه قال: كان لقمان رجلاً حكيماً، ولم يكن نبياً.

وروي عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً. ويقال: إن أول ما ظهرت حكمته أن مولاه قال له يوماً: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها. ثم قال: أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب. ثم مكث ما شاء الله. ثم قال له: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها. فقال: أخرج لنا أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب. فسأله عن ذلك فقال لقمان: إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

وذكر عن وهب بن منبه أن لقمان خُيِّرَ بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة. قال: فبينما كان يعظ الناس يوماً وهم مجتمعون عليه، إذ مرّ به عظيم من عظماء بني إسرائيل. فقال: ما هذه الجماعة؟ فقيل له: جماعة اجتمعت على لقمان الحكيم. فأقبل إليه. فقال له: ألست عبد بني فلان؟ فقال: نعم. فقال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وتركي ما لا يعنيني. فانصرف عنه متعجباً وتركه.

ثم قال تعالى: {أَنِ اشكر للَّهِ} يعني: حكماً من أحكام الله {أَنِ اشكر للَّهِ} ويقال: معناه {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لُقْمَانَ الحكمة} وقلنا له: اشكر لله بما أعطاك من الحكمة {وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} يعني: ثواب الشكر لنفسه {وَمَن كَفَرَ} أي: جحد فلا يوحّد ربه {فَإِنَّ الله غَنِىٌّ} عن خلقه وعن شكرهم {حَمِيدٌ} في فعاله {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ} قال مقاتل: كان اسم ابنه أنعم {وَهُوَ يَعِظُهُ} ويقال: معناه قال لابنه واعظاً {يَعِظُهُ يابنى لاَ تُشْرِكْ بالله إِنَّ الشرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} يعني: ذنب عظيم لا يغفر أبداً، وكان ابنه وامرأته كافرين، فما زال بهما حتى أسلما. وقال مقاتل: زعموا أنه كان ابن خالة أيوب. وذكر القاسم بن عباد

بإسناده عن عبد الله بن دينار: أن لقمان قدم من سفر، فلقيه غلامه، قال: ما فعل أبي؟ قال: مات. فقال: ملكت أمري. قال: وما فعلت أمي؟ قال: قد ماتت. قال: ذهب همي. قال: فما فعلت أختي؟ قال: ماتت فقال: سترت عورتي. قال: فما فعلت امرأتي؟ قال: قد ماتت. فقال: جدد فراشي. قال: فما فعل أخي؟ قال: مات. قال: انقطع ظهري.

وفي رواية أُخرى قال: ما فعل أخي؟ قال: مات. فقال: انكسر جناحي. ثم قال: فما فعل ابني؟ قال: مات. فقال: انصدع قلبي. وقال وهب بن منبه كان لقمان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام، فاشتراه، فأعتقه وكان حبشياً أسود، غليظ الشفتين والمنخرين، غليظ العضدين والساقين، وكان رجلاً صالحاً أبيض القلب، وليس يصطفي الله عز وجل عباده على الحسن والجمال، وإنما يصطفيهم على ما يعلم من غائب أمرهم.

قرأ عامر في رواية حفص وابن كثير في إحدى الروايتين: {أَوْ بَنِى} بالنصب. وقرأ الباقون: بالكسر وقد ذكرناه.

ثم قال عز وجل: {وَوَصَّيْنَا الإنسان} فكأنه يقول: آمركم بما أمر به لقمان لابنه بأن لا تشركوا بالله شيئاً، وآمركم بأن تحسنوا إلى الوالدين فذلك قوله عز وجل: {وَوَصَّيْنَا الإنسان} يعني: أمرناه بالإحسان {بوالديه}.

ثم ذكر حق الأم وما لقيت من أمر الولد من الشدة فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ} يعني: ضعفاً على ضعف، لأن الحمل في الابتداء أيسر عليها. فكلما ازداد الحمل يزيدها ضعفاً على ضعف {وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ} يعني: فطامه بعد سنتين من وقت الولادة {أَنِ اشكر لِى ولوالديك} يعني: وصّيناه وأمرناه بأن اشكر لي بما هديتك للإسلام، واشكر لوالديك بما فعله إليك {إِلَىَّ المصير} فأجازيك بعملك.

ثم قال عز وجل: {وَإِن جاهداك} يعني: وإن قاتلاك. يعني: أن حرمة الوالدين وإن كانت عظيمة، فلا يجوز للولد أن يطيعهما في المعصية. فقال: {وَإِن جاهداك} يعني: وإن قاتلاك. ويقال: وإن أراداك {على أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} يعني: ما ليس لك به حجة بأن معي شريكاً {فَلاَ تُطِعْهُمَا} في الشرك {وصاحبهما فِى الدنيا مَعْرُوفاً} يعني: عاشرهما في الدنيا معروفاً بالإحسان، وإنما سمي الإحسان معروفاً لأنه يعرفه كل واحد.

قال وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حُسْنَ المُصَاحَبَةِ أنْ يُطْعِمَهُمَا إذا جَاعَا، وَأَنْ يَكْسُوَهُمَا إذا عَرِيَا». ثم قال: {واتبع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} يعني: اتبع دين من أقبل إلي بالطاعة.
ثم استأنف فقال: {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} في الآخرة. وقال بعضهم: إنما أتمّ الكلام عند قوله: {واتبع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} يعني: دين من أقبل على الطاعة.
ثم استأنف الكلام فقال: {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} تكراراً على وجه التأكيد {فَأُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: فأجازيكم بها.
ثم رجع إلى حديث لقمان فقال: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا} يعني: الخطيئة {إِن تَكُ} قال مقاتل: وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبتاه إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحد، فكيف يعلمها الله سبحانه وتعالى.
فرد عليه لقمان وقال: {تَعْمَلُونَ يابنى إِنَّهَا إِن تَكُ} يعني: الخطيئة {إِن تَكُ} {مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} يعني: وزن خردلة {فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ} أي: الصخرة التي هي أسفل الأرضين. وقال بعضهم: أراد بها كل صخرة، لأنه قال بلفظ النكرة. يعني: ما في جوف الصخرة الصماء. وقال مقاتل: هي الصخرة التي في أسفل الأرض، وهي خضراء مجوفة.
ثم قال: {أَوْ فِى السموات أَوْ فِى الارض يَأْتِ بِهَا الله} يعني: يجازي بها الله. أي: يعطيه ثوابها. ويقال: {يَأْتِ بِهَا الله} عند الميزان، فيجازيه بها. ويقال: هذا مثل لأعمال العباد {يَأْتِ بِهَا الله} يعني: يعطيه ثوابها عز وجل كقوله: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} [الزلزلة: 7] يعني: يرى ثوابه. قرأ نافع {مِثْقَالَ} بضم اللام. وقرأ الباقون: بالنصب. فمن قرأه بالضم جعله اسم يكن. ومن قرأ بالنصب جعله خبراً. والاسم فيه مضمر ومعناه: إن تكن صغيرة قدر مثقال حبة. وإنما قال: إن تكن بلفظ التأنيث لأن المثقال أضيف إلى الحبة. فكان المعنى للحبة. وقيل: أراد به الخطيئة. ومن قرأ: بالضم جعله اسم تكن.
ثم قال: {إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ} يعني: لطيف باستخراج تلك الحبة، خبير بمكانها. وقال أهل اللغة: اللطيف في اللغة يعبر به عن أشياء. يقال للشيء الرقيق وللشيء الحسن: لطيف. وللشيء الصغير؛ لطيف. ويقال للمشفق: لطيف.
ثم قال عز وجل: {لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً أَقِمِ الصلاة} يعني: أتمّ الصلاة {وَأْمُرْ بالمعروف} يعني: التوحيد. ويقال: أظهر العدل {وانه عَنِ المنكر} وهو كل ما لا يعرف في شريعة، ولا سنة، ولا معروف في العقل {واصبر على مَا

أَصَابَكَ} يعني: إذا أمرت بالمعروف أو نهيت عن المنكر، فأصابك من ذلك ذلّ أو هوان أو شدة، فاصبر على ذلك ف {إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الامور} يعني: من حق الأمور. ويقال: من واجب الأمور. وصارت هذه الآية بياناً لهذه الأمة، وإذناً لهم، أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي أن يصبر على ما يصيبه في ذلك، إذا كان أمره ونهيه لوجه الله تعالى، لأنه قد أصاب ذلك في ذات الله عز وجل.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تُصَعّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم: {وَلاَ تُصَعّرْ} بالتشديد بغير ألف. وقرأ الباقون: ولا تصاعر بالألف والتخفيف. وهما لغتان ومعناهما واحد. يقال: صعر خده وصاعره ومعناهما: الإعراض على جهة الكبر. يعني: لا تعرض بوجهك عن الناس متكبراً. وقال مقاتل: لا تعرض وجهك عن فقراء المسلمين، وهكذا قال الكلبي.

وقال العتبي: أصله الميل. ويقال: رجل أصعر إذا كان به داء، فيميل رأسه وعنقه من ذلك إلى أحد الجانبين. ويقال: معناه لا تكلم أحداً وأنت معرض عنه، فإن ذلك من الجفاء والإذاء.

ثم قال: {وَلاَ تَمْشِ فِى الارض مَرَحًا} يعني: لا تمشي بالخيلاء، والمرح والبطر والأشر كله واحد، وهو أن يعظم نفسه في النعم {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} يعني: مختالاً في مشيته، فخوراً في نعم الله عز وجل.

{واقصد فِى مَشْيِكَ} يعني: تواضع لله تعالى في المشي، ولا تختل في مشيتك. ويقال: أسرع في مشيتك، لأن الإبطاء في المشي يكون من الخيلاء. {واغضض مِن صَوْتِكَ} يعني: اخفض. ومن صلة في الكلام اخفض كلامك، ولا تكن سفيهاً.

ثم ضرب للصوت الوضيع مثلاً فقال: {إِنَّ أَنكَرَ الاصوات} يعني: أقبح الأصوات {لَصَوْتُ الحمير} لشدة أصواتها. وإنما ذكر صوت الحمير، لأن صوت الحمار كان هو المعروف عند العرب وسائر الناس بالقبح، وإن كان قد يكون ما سواه أقبح منه في بعض الحيوان. وإنما ضرب الله المثل بما هو المعروف عند الناس.

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ} يعني: قل يا محمد لأهل مكة: {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ الله} ذلل لكم {مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض} كل ذلك من الله تعالى. يعني: ومن قدرة الله ورحمته وحده لا شريك له {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} فالظاهرة التي يراها الناس، والباطنة ما غاب عن الناس.

ويقال: النعم الظاهرة شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأما الباطنة فالمعروفة بالقلب. وقال مقاتل: الظاهرة: تسوية الخلق والرزق. والباطنة: تستر عن العيون.
عن ابن عباس قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهرة وَبَاطِنَةً} فقال: «الظَّاهِرَةُ الإسْلامُ، وَالبَاطِنَةُ مَا سَتَرَ سَوْأَتَكَ».
قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: {نِعَمَهُ} بنصب العين وميم، وضم الهاء. وقرأ الباقون: {نِعمَهُ} بجزم العين ونصب الهاء والميم. فمن قرأ {نِعمَهُ} بالجزم فهي نعمة واحدة وهي ما أعطاه الله من توحيده. ومن قرأ: {نِعَمَهُ} فهو على معنى جميع ما أنعم الله عز وجل عليهم.
ثم قال: {وَمِنَ الناس مَن يجادل فِى الله} يعني: يخاصم في دين الله عز وجل {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغير حجة وهو النضر بن الحارث {وَلاَ هُدًى} أي: بغير بيان من الله عز وجل {وَلاَ كتاب مُّنِيرٍ} أي: مضيئاً فيه حجة.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 25]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (21) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (24) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25)}
قوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} يعني: لكفار مكة {اتبعوا مَا أَنزَلَ الله} على نبيه من القرآن، فآمنوا به، وأحلّوا حلاله، وحرموا حرامه {قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءابَاءنَا} يقول الله عز وجل؛ {أَوْ لَّوْ كَانَ الشيطان} يعني: أو ليس الشيطان {يَدْعُوهُمْ إلى عَذَابِ السعير} يعني: يدعوهم إلى تقليد آبائهم بغير حجة، فيصيروا إلى عذاب السعير.
قوله عز وجل: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله} أي: يخلص دينه. ويقال: يخلص عمله لله {وَهُوَ مُحْسِنٌ} يعني: موحد. ويقال: ذكر الوجه، وأراد به هو. يعني: ومن أخلص نفسه لله عز وجل بالتوحيد، وبأعمال نفسه، وهو محسن في عمله.
قرأ عبد الرحمن السّلمي: {وَمَن يُسّلِمْ} بنصب السين، وتشديد اللام من سلم يسلم. وقراءة العامة {وَمَن يُسْلِمْ} بجزم السين وتخفيف اللام من سلم يسلم {فَقَدِ استمسك بالعروة الوثقى} يعني: قد أخذ بالثقة {وإلى الله عاقبة الامور} يعني: إليه مرجع وعواقب الأمور. ويقال: العباد إليه فيجازيهم بأعمالهم.

قوله عز وجل: {وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ} وذلك أنهم لما كذبوا بالقرآن وقالوا: إنه يقول من تلقاء نفسه، شقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنزل {وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ} بالقرآن {إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} يعني: إلينا مصيرهم {فَنُنَبّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ} يعني: يجازيهم بجحودهم {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} بما في قلبك من الحزن مما قالوا وقال الكلبي: {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} من خير أو شر.

ثم قال عز وجل: {نُمَتّعُهُمْ قَلِيلاً} يعني: يسيراً في الدنيا، فكل ما هو فانٍ فهو قليل {ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} يعني: نلجئهم {إلى عَذَابٍ غَلِيظٍ} يعني: شديد لا يفتر عنهم.

قوله عز وجل: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يعني: الكفار {مِنْ خلاق السموات والارض لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الحمد لِلَّهِ} على إقراركم {بَلْ أَكْثَرُهُمْ} يعني: الكفار {لاَّ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 32]

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (28) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (29) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آَيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32)}

ثم قال عز وجل: {لِلَّهِ مَا فِى السموات والارض} من الخلق {إِنَّ الله هُوَ الغنى} عن عبادة خلقه {الحميد} في فعاله. ويقال: حميد أي: محمود. يعني: يحمد ويشكر.

قوله عز وجل: {وَلَوْ أَنَّمَا فِى الارض مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ} الآية. قال قتادة: ذلك أن المشركين قالوا: هذا كلام يوشك أن ينفد وينقطع. فنزل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنّ مَّا فِى الارض} الآية. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن اليهود أعداء الله. سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فنزل {وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنِ العلم إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء: 85] قالوا: كيف تقول هذا وأنت تزعم أن من أُوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. فكيف يجتمع علم قليل وخير كثير؟ فنزل {وَلَوْ أَنَّ مَّا فِى الارض مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ} يقول: لو أن الشجر تبرى وتجعل أقلاماً {والبحر يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} تكون كلها مداداً، يكتب بها علم الله عز وجل، لانكسرت الأقلام، ولنفد المداد، ولم ينفد علم الله تعالى. فما أعطاكم الله من العلم قليل فيما عنده من العلم. قرأ أبو عمرو: {والبحر يَمُدُّهُ} بنصب الراء. وقرأ الباقون: بالضم. فمن قرأ بالنصب نصبه. لأنّ معناه: ولو أن ما في الأرض وأن البحر يمده. ومن قرأ بالضم: فهو على الاستئناف {والبحر يَمُدُّهُ} يعني: أمد إلى كل بحر مثله ما نفدت {مَّا نَفِدَتْ كلمات الله} يعني: علمه وعجائبه. ويقال: معاني كلمات الله. لأن لكل آية ولكل كلمة من المعاني ما لا يدرك ولا يحصى.

ويقال: {مَّا نَفِدَتْ كلمات الله} لأن كلمات الله لا تدرك ما تكلم به في الأزل سبحانه وتعالى.

ثم قال: {أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} عزيز بالنعمة على الكافر، حكيم حكم أنه ليس لعلمه غاية، وأن العلم للخلق غاية.

ثم قال عز وجل: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ واحدة} قال مقاتل: نزلت في أبي بن خلف وابني أسد منبه ونبيه كلاهما ابني أسد قالوا: إن الله عز وجل خلقنا أطواراً، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم يقول: إنه بعث في ساعة واحدة، فقال الله عز وجل: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ واحدة} أيها الناس جميعاً. يقال: هاهنا مضمر. فكأنه يقول: إلا كخلق نفس واحدة، وكبعث نفس واحدة. ويقال: معناه قدرته على بعث الخلق أجمعين، وعلى خلق الخلق أجمعين، كقدرته على خلق نفس واحدة. ويقال: {كَنَفْسٍ واحدة} أي: إلا كخلق آدم عليه السلام.

ثم قال: {إِنَّ الله سَمِيعٌ} لمقالتهم {بَصِيرٌ} بهم.

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُولِجُ اليل فِى النهار} يعني: انتقاص كل واحد منها بصاحبه. ويقال: يدخل الليل في النهار، والنهار في الليل {وَيُولِجُ النهار فِى اليل وَسَخَّرَ الشمس والقمر} يعني: ذللهما لبني آدم {كُلٌّ يَجْرِى لاِجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: يجريان في السماء إلى يوم القيامة، وهو الأجل المسمى. ويقال: يجري كل واحد منهما إلى أجله في الغروب، حتى ينتهي إلى وقت نهايته {وَأَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

روي عن أبي عمرو في إحدى الروايتين أنه قرأ {يَعْمَلُونَ} بالياء بلفظ المغايبة. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة.
ثم قال عز وجل: {ذلك} يعني: هذا الذي ذكر من صنع الله عز وجل بالنهار والليل والشمس والقمر {بِأَنَّ الله هُوَ الحق} يعني: ليعلموا أن الله هو الحق {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الباطل} يعني: من الآلهة لا يقدرون على شيء من ذلك يعني: لا تنفعهم عبادتها. قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: وإنما {يَدَّعُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة لهم.
ثم عظّم نفسه فقال تعالى: {وَأَنَّ الله هُوَ العلى الكبير} يعني: ليعلموا أن الله هو الرفيع الكبير. يعني: العظيم، وهو الذي يعظم ويحمد.
ثم بيّن قدرته فقال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفلك} يعني: السفن {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفلك تَجْرِى} أي: برحمة الله لمنفعة الخلق {لِيُرِيَكُمْ مّنْ ءاياته} يعني: من علامات وحدانيته. ويقال: من عجائبه. {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: إن الذي ترون في البحر {لآيَاتٍ} يعني: لعبارات {لّكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} على أمر الله عز وجل عند البلاء. ويقال: الذي يصبر في الأحوال كلها، شكوراً لله عز وجل في نعمه. ويقال: {لّكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} يعني: لكل مؤمن موحد. وإنما وصفه بأفضل خصلتين في المؤمن، لأن أفضل خصال المؤمن: الصبر والشكر. والصبار هو للمبالغة في الصبر. والشكور على ميزان فعول هو للمبالغة في الشكر.
وروي عن قتادة أنه قال: إن أحب العباد إلى الله من إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر. فأعلم الله عز وجل أن المتفكر المعتبر في خلق السموات والأرض هو الصبار والشكور.
قوله عز وجل: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كالظلل} يعني: أتاهم موج، كما يقال: من غشي سدد السلطان يجلس ويقوم. ويقال: علاهم. ويقال: غطاهم موج كالظلل يعني: كالسحاب. ويقال: كالجبال، وهو جمع ظلة. يعني: يأتيهم الموج بعضه فوق بعض وله سواد لكثرته.
{دَعَوُاْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يعني: أخلصوا له بالدعوة {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البر} يعني: إلى القرار {فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ} يعني: فمنهم من يؤمن، ومنهم من يكفر ولا يؤمن.

ثم ذكر المشرك الذي ينقض العهد فقال تعالى: {وَمَا يَجْحَدُ بئاياتنا} يعني: لا يترك العهد {إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} يعني: غدار بالعهد. كفور لله عز وجل في نعمه. وقال القتبي: الختر أقبح الغدر. {كَفُورٌ} على ميزان فعول. وإنما يذكر هذا اللفظ إذا صار عادة له كما يقال: ظلوم. وقد ذكر الكافر بأقبح خصلتين فيه، كما ذكر المؤمن بأحسن خصلتين فيه وهو قوله: {صَبَّارٍ شَكُورٍ}.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 34]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)}

قوله عز وجل: {يَأَيُّهَا الناس اتقوا رَبَّكُمْ} يعني: وحّدوه وأطيعوه {واخشوا} يعني: واخشوا عذاب يوم {يَوْماً لاَّ يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ} يعني: هو جاز عن والده شيئاً، ولا ينفع والد عن ولده. ويقال: لا يقضي والد عن ولده ما عليه {وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً} يعني: لا يقدر الولد أن ينفع والده شيئاً، وهذا في الكفار خاصة. وأما المؤمن فإنه ينفع كما قال في آية أُخرى: {والذين ءَامَنُواْ واتبعتهم ذُرِّيَّتُهُم بإيمان أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ ألتناهم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَئ كُلُّ امرئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور: 21] ثم قال: {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: البعث بعد الموت كائن ولا خلف فيه {فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحياة الدنيا} يعني: لا يغرّنكم ما في الدنيا من زينتها وزهوتها، فتركنوا إليها، وتطمئنوا بها، وتتركوا الآخرة والعمل لها {وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بالله الغرور} يعني: لا يغرنكم الشيطان عن طاعة الله عز وجل. ويقال: كل مضل هو شيطان. وقال أهل اللغة: {الغرور} بنصب الغين هو الشيطان. وبالضم أباطيل الدنيا.

قوله عز وجل: {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة} قال مقاتل: نزلت في رجل يقال له: الوليد بن عمرو من أهل البادية، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ أرضنا أجدبت، فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حبلى، فماذا تلد؟ وقد علمت بأيِّ أرض ولدت، فبأيِّ أرض أموت؟ وقد علمت ما عملت اليوم، فماذا أنا عامل غداً؟ ومتى الساعة؟ فنزل {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة} يعني: علم القيامة لا يعلمه غيره {وَيُنَزّلُ الغيث} يعني: وهو الذي ينزل الغيث متى شاء {وَيَعْلَمُ مَا فِى الارحام} من ذكر وأنثى {وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً

وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىّ أَرْضٍ تَمُوتُ} في سهل أو جبل. وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ الله فَقَرَأ: {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة} الآية». وقال ابن مسعود كل شيء أوتي نبيكم إلا مفاتيح الغيب الخمس. {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة} إلى آخر السورة. وقالت عائشة رضي الله عنها: من حدثكم بأنه يعلم ما في غد فقد كذب. ثم قرأت: {وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىّ أَرْضٍ تَمُوتُ} يعني: بأي مكان تموت، وبأي قدم تؤخذ، وبأي نفس ينقضي أجله.

وروى شهر بن حوشب قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فقال رجل من جلسائه لسليمان: من هذا؟ فقال ملك الموت. فقال: لقد رأيته ينظر إليّ كأنه يريدني. فأريد أن تحملني على الريح حتى تلقيني بالهند. ففعل. ثم أتى ملك الموت إلى سليمان فسأله عن نظره ذلك. فقال: إني كنت أعجب أني كنت أمرت أقبض روحه في أرض الهند في آخر النهار وهو عندك.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله عَلَيمٌ خَبِيرٌ} يعني: بهذه الأشياء التي ذكرها.

(سورة الم سجده)

سورة السجدة

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5)}

قوله تعالى: {الم تَنزِيلُ الكتاب} يعني: المنزل من الله عز وجل القرآن على معنى التقديم. يعني: أن هذا الكتاب تنزيل من الله عز وجل والكتاب وهو التنزيل. ويقال: معناه نزل به جبريل عليه السلام بهذا التنزيل {الكتاب} يعني: القرآن {لاَ رَيْبَ فِيهِ} يعني: لا شك فيه أنه {مِن رَّبّ العالمين}.

فلما نزله جبريل جحده قريش، وقالوا: إنما يقوله من تلقاء نفسه. فنزل {أَمْ يَقُولُونَ افتراه} يعني: أيقولون اختلقه من ذات نفسه. وقال أهل اللغة: فرى يفري إذا قطعه للإصلاح. وأفرى يفري: إذا قطعه للاستهلاك.

فأكذبهم الله عز وجل قال: {بَلْ هُوَ الحق مِن رَّبّكَ} يعني: القرآن. ولو لم يكن من الله عز وجل، لم يكن حقاً وكان باطلاً، ويقال: {بَلْ هُوَ الحق مِن رَّبّكَ} يعني: نزل من عند ربك {لِتُنذِرَ قَوْماً} يعني: كفار قريش {مَّا أتاهم مّن نَّذِيرٍ مّن قَبْلِكَ} يعني: لم يأتهم في عصرك. ولكن أتاهم من قبل، لأن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام ما كانوا إلى جميع الناس. ويقال: معناه: لم يشاهدوا نذيراً قبلك. وإنما الإنذار قد كان سبق لأنه قال: {مَّنِ اهتدى فَإِنَّمَا يَهْتَدى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء: 15] وقد سبق الرسل. ويقال: {مَّا أتاهم مّن نَّذِيرٍ مّن قَبْلِكَ} يعني: من قومهم من قريش.

ثم قال: {لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} يعني: يهتدون من الضلالة. وأصل الإنذار هو الإسلام. يقال: أنذر العدو إذا أعلمه.

ثم دلّ على نفسه بصفة فقال عز وجل: {الله الذى خَلَقَ السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من السحاب والرياح وغيره {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} ولو شاء خلقها في ساعة واحدة لفعل. ولكنه خلقها في ستة أيام، ليدل على التأني. ويقال: خلقها في ستة أيام لتكون الأيام أصلاً عند الناس {ثُمَّ استوى عَلَى العرش} فيها تقديم يعني: خلق العرش قبل السموات. ويقال: علا فوق العرش من غير أن يوصف بالاستقرار على العرش. ويقال: استوى أمره على بريته فوق عرشه، كما استوى أمره وسلطانه وعظمته دون عرشه وسمائه {مَا لَكُمْ مّن دُونِهِ مِن وَلِيّ} يعني: من قريب ينفعكم في الآخرة {وَلاَ شَفِيعٍ} من الملائكة {أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ} يعني: أفلا تتعظون فيما ذكره من صفته فتوحّدونه.

ثم قال عز وجل: {يُدَبّرُ الامر} يقول: يقضي القضاء {مِنَ السماء إِلَى الارض} يعني: يبعث الملائكة من السماء إلى الأرض {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} يعني: يصعد إليه. قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا عمرو بن محمد بإسناده عن الأعمش، عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط.

قال: يدبر أمر الدنيا أربعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل. أما جبرائيل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالنبات والقطر، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمور عليهم، فذلك قوله عز وجل: {يُدَبّرُ الامر مِنَ السماء إِلَى الارض ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ}.

{فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ} يعني: في يوم واحد من أيام الدنيا كان مقدار ذلك اليوم {أَلْفَ سَنَةٍ مّمَّا تَعُدُّونَ} أنتم. وقال القتبي: معناه يقضي في السماء، وينزله مع الملائكة إلى الأرض، فتوقعه الملائكة عليهم السلام في الأرض.

{ثُمَّ يَعْرُجُ * إِلَى السماء} فيكون نزولها ورجوعها في يوم واحد مقدار المسير، على قدر سيرنا {أَلْفَ سَنَةٍ} لأنّ بعد ما بين السماء والأرض خمسمائة عام. فيكون نزوله وصعوده ألف عام في يوم واحد. وروى جويبر عن الضحاك {فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ} قال: يصعد الملك إلى السماء مسيرة خمسمائة عام، ويهبط مسيرة خمسمائة عام في كل يوم من أيامكم وهو مسيرة ألف سنة.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 10]

{ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ

سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9) وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)}

ثم قال عز وجل: {ذلك عَالِمُ الغيب} يعني: ذلك الذي يفعل هذا هو عالم الغيب {والشهادة} يعني: ما غاب من العباد، وما شاهدوه. ويقال: عالم بما كان، وبما يكون. ويقال: عالم السر والعلانية. ويقال: عالم بأمر الآخرة وأمر الدنيا {العزيز} في ملكه {الرحيم} بخلقه.

قوله عز وجل: {الذى أَحْسَنَ كُلَّ شَئ خَلَقَهُ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: {خَلْقَهُ} بجزم اللام. وقرأ الباقون: بالنصب فمن قرأ بالجزم فمعناه: الذي أحسن كل شيء.

وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الإنسان في خلقه حسن، والخنزير في خلقه حسن، وكل شيء في خلقه حسن. ومن قرأ بالنصب فعلى فعل الماضي يعني: خلق كل شيء على إرادته، وخلق الإنسان في أحسن تقويم. ويقال: الذي علم خلق كل شيء خلقه. يعني: علم كيف خلق. ويقال: هل تحسن شيئاً. يعني: تعلم. ومعناه: الذي علم خلق كل شيء خلقه. ويقال: الحسن عبارة عن الزينة. يعني: الذي زين كل شيء خلقه وأتقنه كما قال: {وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب صُنْعَ الله الذى أَتْقَنَ كُلَّ شَئ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} [النمل: 88].

ثم قال: {وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ} يعني: خلق آدم عليه السلام من طين من أديم الأرض {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ} أي: خلق ذريته من سلالة من النطفة التي تنسل من الإنسان. وقال أهل اللغة: كل شيء على ميزان فعالة، فهو ما فضّل من شيء. يقال: نشارة ونخالة.

ثم رجع إلى آدم عليه السلام فقال عز وجل: {مّن مَّاء مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ} يعني: سوى خلقه {وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ}.

ثم رجع إلى ذريته فقال: {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والابصار} ويقال: هذا كله في صفة الذرية يعني: ثم {جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مَّاء مَّهِينٍ} يعني: من نطفة ضعيفة {ثُمَّ سَوَّاهُ} يعني: جمع خلقه في رحم أمه {وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} يعني: جعل فيه الروح بأمره، {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والابصار والافئدة}.

ثم قال: {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} يعني: لا تشكرون رب هذه النعم على حسن خلقكم، فتوحّدوه. فلا تستعملوا سمعكم وأفئدتكم إلا في طاعتي. ويقال: ما هاهنا

صلة. فكأنه يقول: تشكرونه قليلاً. ويقال: ما بمعنى: الذي. فكأنه قال: فقليل الذي تشكرون. وقد يكون الكلام بعضه بلفظ المغايبة.
ثم قال: {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع} بلفظ المخاطب، فكما قال: هاهنا {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} بلفظ المغايبة. ثم قال: {وَجَعَلَ لَكُمُ} بلفظ المخاطبة.
ثم قال عز وجل: {وَقَالُواْ أءذَا ضَلَلْنَا فِى الارض} يعني: هلكنا وصرنا تراباً {إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ} يعني: أنبعث بعد الموت. وأصله ضلّ الماء في اللبن إذا غاب وهلك. وروي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قرأ {أءذا صللنا} بالصاد، وتفسيره النتن. يقال: صل اللحم إذا أنتن. وقراءة العامة بالضاد المعجمة أي: هلكنا. وقرأ ابن عامر: {وَقَالُواْ إءِذَا ضَلَلْنَا} إذ بغير استفهام {إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ} على وجه الاستفهام. قال: لأنهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه. وإنما أنكروا البعث. ويكون الاستفهام في البعث دون الموت.
ثم قال عز وجل: {بَلْ هُم بِلَقَاء رَبّهِمْ كافرون} يعني: بالبعث جاحدون فلا يؤمنون به.
[بم قوله عز وجل:

تفسير الآيات رقم [11- 14]

{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (14)}
{قُلْ يتوفاكم} يعني: يقبض أرواحكم {مَّلَكُ الموت} واسمه عزرائيل. وروي في الخبر أن له وجوهاً أربعة. فوجه من نار يقبض به أرواح الكفار، ووجه من ظلمة يقبض به أرواح المنافقين، ووجه من رحمة يقبض به أرواح المؤمنين، ووجه من نور يقبض به أرواح الأنبياء والصديقين عليهم السلام والدنيا بين يديه كالكف، وله أعوان من ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب. فإذا قبض روح المؤمن دفعها إلى ملائكة الرحمة، وإذا قبض روح الكافر دفعها إلى ملائكة العذاب.

وروى جابر بن زيد أن ملك الموت كان يقبض الأرواح بغير وجه، فأقبل الناس يسبونه ويلعنونه. فشكى إلى ربه عز وجل. فوضع الله عز وجل الأمراض والأوجاع. فقالوا: مات فلان بكذا وكذا.

ثم قال تعالى: {الذى وُكّل بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ} بعد الموت أحياءً فيجازيكم بأعمالكم.

ثم قال عز وجل: {وَلَوْ ترى إِذِ المجرمون} يعني: المشركون {الكافرين كُفْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ} استحياء من ربهم بأعمالهم يقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا} الهدى {وَسَمِعْنَا} الإيمان. ويقال {أبصارنا} يوم القيامة بالمعاينة، {وَسَمِعْنَا} يعني: أيقنوا حين لم ينفعهم يقينهم {فارجعنا} إلى الدنيا {نَعْمَلْ صالحا إِنَّا مُوقِنُونَ} يعني: أيقنّا بالقيامة. ويقال: {إِنَّا مُوقِنُونَ} يعني: قد آمنا ولكن لا ينفعهم. وقد حذف الجواب لأن في الكلام دليلاً ومعناه: ولو ترى يا محمد ذلك، لرأيت ما تعتبر به غاية الاعتبار.

يقول الله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا} يعني: لأعطينا {كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ولكن حَقَّ القول مِنْى} يعني: وجب العذاب مني. ويقال: ولكن سبق القول بالعذاب وهو قوله: {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجنة والناس أَجْمَعِينَ} من كفار الإنس، ومن كفار الجن أجمعين. فيقول لهم الخزنة: {فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ} يعني: ذوقوا العذاب بما تركتم {لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا} يعني: تركتم العمل بحضور يومكم هذا. قال القتبي: النسيان ضد الحفظ، والنسيان الترك. فقوله: {فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا} أي: تركتم الإيمان بلقاء هذا اليوم {إِنَّا نسيناكم} يعني: تركناكم في العذاب. ويقال: نجازيكم بنسيانكم كما قال الله عز وجل: {أَمْ لَكُمْ كتاب فِيهِ تَدْرُسُونَ} [التوبة: 67] {وَذُوقُواْ عَذَابَ الخلد} الذي لا ينقطع أبداً {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من الكفر.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 20]

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20)}

ثم قال الله عز وجل: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بئاياتنا} يعني: يصدق بآياتنا. يعني: بالعذاب {الذين إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا} يعني: وعظوا بها. يعني: بآيات الله عز وجل {خَرُّواْ سُجَّداً} على وجوههم {وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبّهِمْ} يقول: وذكروا الله عز وجل بأمره {وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} عن السجود كفعل الكفار. ويقال: {الذين إِذَا ذُكّرُواْ} يعني: دعوا إلى الصلوات الخمس. أتوها فصلوها، ولا يستكبرون عنها.

قوله عز وجل: {تتجافى جُنُوبُهُمْ} قال مقاتل: نزلت في الأنصار. كانت منازلهم بعيدة من المسجد. فإذا صلوا المغرب كرهوا أن ينصرفوا، مخافة أن تفوتهم صلاة العشاء في الجماعة. فكانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء. ويقال: الذي يصلي العشاء والفجر بجماعة. وقال أنس بن مالك: الذي يصلي ما بين المغرب والعشاء وهو صلاة الليل كما جاء في الخبر. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَكْعَةٌ فِي اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ فِي النَّهَارِ» قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا السراج. قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم. قال: حدثنا أبو معاوية عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد العبسية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فيسمعهمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ البَصَرُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ سَيَعْلَمُ أَهْلُ الجَمْعِ اليَوْمَ مَنْ أَوْلَى بِالكَرَمِ. فَأَيْنَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله؟ فَيَقُومُونَ، وَهُمْ قَلِيلٌ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيْنَ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ؟ وَهُمْ قَلِيلٌ فَيَدْخَلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. ثُمَّ يُؤْمَرُ بِسَائِرِ النَّاسِ فَيُحَاسَبُونَ». فذلك قوله عز وجل: {تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضاجع} يعني: يصلون بالليل ويقومون عن فرشهم {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً} خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} يعني: يتصدقون من أموالهم. يعني: صدقة التطوع، لأنه قرنه بصلاة التطوع. ويقال: يعني: الزكاة المفروضة. والأول أراد به العشاء والفجر.

ثم بيَّن ثوابهم فقال عز وجل: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم} يعني: ما أعدّ لهم {مّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ} يعني: من الثواب في الجنة. ويقال: من طيبة النفس. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ

بَشَرٍ». قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}.
قال مقاتل: قيل لابن عباس، ما الذي أخفي لهم؟ قال: في جنة عدن ما لم يكن في جناتهم. قرأ حمزة {مَّا أُخْفِىَ} بسكون الياء. وقرأ الباقون: بنصبها. فمن قرأ بالسكون فهو على معنى الخبر عن نفسه. فكأنه قال: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم} ومن قرأ بالنصب فهو على فعل ما لم يسم فاعله على معنى أفعل. وقرئ في الشاذ {وَمَا أُخْفِىَ} يعني: {وَمَا أُخْفِىَ الله عَزِيزٌ عَرَّفَهَا لَهُمْ} ثم قال: {جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: جزاء لأعمالهم.
قوله عز وجل: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ} يعني: لا يستوون عند الله عز وجل في الفضل. نزلت الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط. وذلك أنه جرى بينهما كلام. فقال الوليد لعلي: بأي شيء تفاخرني؟ أنا والله أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ منك في الكتيبة عيناً. يعني: أكون أملأ مكاناً في العسكر. فقال له علي رضي الله عنه: اسكت فإنك فاسق فنزل {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ}. وقال الزجاج: نزلت في عقبة بن أبي معيط. قال: ويجوز في اللغة لا يستويان. ولم يقرأ. والقراءة {لاَّ يَسْتَوُونَ} ومعناهما: لا يستوي المؤمنون والكافرون.
ثم بيّن مصير كلا الفريقين فقال تعالى: {أَمَّا الذين ءامَنُواْ} أي: أقروا بالله ورسوله والقرآن {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الطاعات {فَلَهُمْ جنات المأوى نُزُلاً} يعني: يأوي إليها المؤمنون. ويقال: يأوي إليها أرواح الشهداء، وهو أصح في اللغة.
ثم قال: {نُزُلاً} يعني: رزقاً. والنزل في اللغة هو الرزق. ويقال: {نُزُلاً} يعني: منزلاً {بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بأعمالهم.
ثم بيّن مصير الفاسقين فقال: {وَأَمَّا الذين فَسَقُواْ} يعني: عصوا ولم يتوبوا {فَمَأْوَاهُمُ النار} فسقوا يعني: نافقوا وهو الوليد بن عتبة ومن كان مثل حاله {فَمَأْوَاهُمُ النار} يعني: مصيرهم إلى النار ومرجعهم إليها {كُلَّمَا أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا} يعني: من النار {أُعِيدُواْ فِيهَا} ويقال: إن جهنم إذا جاشت، ألقتهم في أعلى الباب. فطمعوا في الخروج منها، فتلقاهم الخزنة بمقامع فتضربهم، فتهوي بهم إلى قعرها {وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النار الذي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ} وقال في آية أخرى: {فاليوم لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلاَ ضَرّاً

وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النار التى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} [سبأ: 42] بلفظ التأنيث. لأنه أراد به النار وهي مؤنثة. وهاهنا قال {الذي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} بلفظ التذكير لأنه أراد به العذاب وهو مذكر.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 24]

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)}

ثم قال عز وجل: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مّنَ العذاب الادنى} وهو المصيبات والقتل والجوع {دُونَ العذاب الاكبر} وهو عذاب النار. يعني: إن لم يتوبوا. ويقال: {العذاب الادنى} هو السحر للفاسقين، والعذاب الأكبر النار إن لم يتوبوا. ويقال: {العذاب الادنى} عذاب القبر. وقال إبراهيم: يعني: سنين جدب أصابتهم. وقال أبو العالية: مصيبات في الدنيا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يعني: يتوبون.

قوله عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكّرَ بئايات رَبّهِ} يعني: وعظ بآيات ربه القرآن {ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} يعني: عن الإيمان بها فلم يؤمن بها {إِنَّا مِنَ المجرمين مُنتَقِمُونَ} بالعذاب يعني: منتصرون.

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: أعطينا موسى التوراة {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ مّن لّقَائِهِ} قال مقاتل: يعني: فلا تكن في شك من لقاء موسى التوراة. فإن الله عز وجل ألقى عليه الكتاب. وقال في رواية الكلبي: {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ} من لقاء موسى عليه السلام، فلقيه ليلة أُسري به في بيت المقدس يعني: لقي النبي صلى الله عليه وسلم موسى هناك. ويقال: لقيه في السماء. وذكر الخبر المعروف أنه فرض على النبي صلى الله عليه وسلم خمسون صلاة. فقال له موسى عليه السلام: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فلم يزل يرجع حتى حطّ الله عز وجل إلى الخمس ويقال: {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ مّن لّقَائِهِ} يعني: من لقاء الله عز وجل وهو البعث بعد الموت. ويقال: {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ مّن لّقَائِهِ} يعني: لا تشكن أنك تلقى موسى يوم القيامة.

ثم قال عز وجل: {وجعلناه هُدًى لّبَنِى إسراءيل} يعني: جعلنا التوراة بياناً لهم، وهدى من الضلالة. ويقال: {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى} يعني: جعلنا موسى هادياً لبني إسرائيل يدعوهم {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً} يعني: وجعلنا من بني إسرائيل قادة في الخير {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} يعني: يدعون الناس إلى أمر الله عز وجل {لَمَّا صَبَرُواْ} أي: حين صبروا ويقال: هو حكاية المجازاة، يعني لما صبروا جعلنا منهم أئمة ومن قرأ بالتخفيف {لِمَّا صَبَرُواْ} أي بكسر اللام والتخفيف. وقرأ الباقون بالنصب والتشديد. فمن قرأ بالتشديد {لَمَّا صَبَرُواْ} بما صبروا، وتشهد لها قراءة ابن مسعود، كان يقرأ {بِمَا صَبَرُواْ}. ويقال: معناه كما صبروا عن الدنيا، وصبروا على دينهم، ولم يرجعوا عنه. ويقال: معناه وجعلناهم أئمة بصبرهم {وَكَانُواْ بئاياتنا يُوقِنُونَ} يعني: يصدقون بالعلامات التي أعطي موسى.

▲ تفسير الآيات رقم [25- 30]

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ} يعني: يقضي بينهم {يَوْمَ القيامة فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} من الدين.

ثم خوّف كفار مكة فقال عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَهْدِ لَهُمْ} يعني: أو لم يبيِّن لهم الله تعالى. وقرئ في الشاذ {أَوَ لَمْ *** عَرَّفَهَا لَهُمْ} بالنون. وقرأ العامة بالياء. {كَمْ أَهْلَكْنَا} يعني: أو لم نبين لهم الهلاك {مِن قَبْلِهِمْ مّنَ القرون} يعني: قوم لوط وصالح وهود {يَمْشُونَ فِى مساكنهم} يعني: يمرون في منازلهم {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} يعني: في إهلاكهم لآيات لعبرات {أَفَلاَ يَسْمَعُونَ} أي: أفلا يسمعون المواعظ فيعتبرون بها.

ثم قال عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الماء إِلَى الارض الجرز} يعني: اليابسة الملساء التي ليس فيها نبات. يقال: أرض جرز أي: أرض جدب لا نبات فيها. يقال: جرزت الجراد إذا أكلت، وتركت الأرض جرزاً {فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً} يعني: نخرج بالماء النبات {تَأْكُلُ مِنْهُ أنعامهم} أي: من الكلأ والعشب

والتبن {وَأَنفُسِهِمْ} من الحبوب والثمار {أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} هذه العجائب فيوحّدوا ربهم.
قوله عز وجل: {وَيَقُولُونَ متى هذا الفتح} قال مقاتل: أي متى هذا القضاء وهو البعث؟ وقال قتادة: {الفتح} القضاء. وقال مجاهد: {الفتح} يوم القيامة {إِن كُنتُمْ صادقين} تكذيباً منهم يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم.
ثم قال عز وجل: {قُلْ} يا محمد {يَوْمَ الفتح} يعني: يوم القيامة {لاَ يَنفَعُ الذين كَفَرُواْ إيمانهم} قال في رواية الكلبي: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتذاكرون فيما بينهم وهم بمكة قبل فتح مكة لهم. وكان ناس من بني خزيمة كانوا إذا سمعوا ذلك منهم، يستهزئون بهم ويقولون لهم: متى فتحكم هذا الذي كنتم تزعمون؟ ويقولون: فنزل يعني: بني خزيمة. {متى هذا الفتح} يا أصحاب محمد إن كنتم صادقين.
{قُلْ} يا محمد {يَوْمَ الفتح} أي: فتح مكة {لاَ يَنفَعُ الذين كَفَرُواْ إيمانهم} من القتل {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} حتى يقتلوا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، بعث خالد بن الوليد إلى بني خزيمة، وقد كانت بينه وبينهم إحنة في الجاهلية. يعني: الحقد. فقالوا: قد أسلمنا. فقال لهم: انزلوا. فنزلوا فوضع فيهم السلاح فقتل منهم، وأسر. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالَدُ بْنُ الوَلِيدِ»؟ فبعث إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالدية من غنائم خيبر، فذلك قوله تعالى: {قُلْ يَوْمَ الفتح لاَ يَنفَعُ الذين كَفَرُواْ إيمانهم} من القتل {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} يعني: يؤجلون.
ثم قال عز وجل: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} يا محمد {وانتظر} لهم فتح مكة ويقال: العذاب. {إِنَّهُمْ مُّنتَظِرُونَ} بهلاكك. وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل، وتبارك الذي بيده الملك. وروى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الم السَّجْدَة، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ فَكَأَنَّمَا أَحْيَى لَيْلَةَ القَدْرِ» والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة الأحزاب

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (3)}

قوله تبارك وتعالى: {ياأيها النبى اتق الله وَلاَ تُطِعِ الكافرين} قال مقاتل: وذلك أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، قدموا المدينة بعد أحد، وبعد الهدنة. فمروا على عبد الله بن أبي المنافق. فقام معهم عبد الله بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق. فجاؤوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. فقالوا له: اترك ذكر آلهتنا. وقل: إن لها شفاعة في الآخرة ومنفعة لمن عبدها، وندعك وربك. فشقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي في قتلهم. فقال: «قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الأَمَانَ». فلم يأذن له بالقتل وأمره بأن يخرجهم من المدينة. فقال لهم عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه. فنزل {مُّنتَظِرُونَ ياأيها النبى اتق الله} وقال مقاتل في رواية الكلبي: قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فنزلوا على عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير، وجد بن قيس، فتكلموا فيما بينهم. فلما اجتمعوا في أمر فيما بينهم، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونه إلى أمرهم، وعرضوا عليه أشياءً فكرهها منهم. فهمّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون أن يقتلوهم فنزل {مُّنتَظِرُونَ ياأيها النبى اتق الله} ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم إلى المدةَ. {وَلاَ تُطِعِ الكافرين} من أهل مكة {والمنافقين} من أهل المدينة فيما دعوك إليه. ويقال: إن المسلمين أرادوا أن ينقضوا العهد فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لهم. فنزل {مُّنتَظِرُونَ ياأيها النبى اتق الله} في نقض العهد. وإنما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وأراده هو وأصحابه. ألا ترى أنه قال في سياق الآية: {إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} ثم قال: {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً} بما اجتمعوا عليه {حَكِيماً} حيث نهاك عن نقض العهد وحكم بالوفاء.

قوله عز وجل: {واتبعِ مَا يوحى إِلَيْكَ مِن رَبّكَ} يعني: ما في القرآن {إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} من وفاء العهد ونقضه {وَتَوَكَّلْ عَلَى الله} يعني: ثق بالله، وفوض أمرك إلى الله تعالى {وكفى بالله وَكِيلاً} يعني: حافظاً وناصراً. قرأ أبو عمرو: {بِمَا يَعْمَلُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 5]

{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (5)}

قوله عز وجل: {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ} قال مقاتل: نزلت في جميل بن معمر، ويكنى أبا معمر. وكان حافظاً بما يسمع، وأهدى الناس للطريق. يعني: طريق البلدان وكان مبغضاً للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان يقول: إن لي قلبين. أحدهما أعقل من قلب محمد فنزل: {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ} وكان الناس يظنون أنه صادق في ذلك، حتى كان يوم بدر فانهزم، وهو آخذ بإحدى نعليه في أصبعه، والأخرى في رجله حتى أدركه أبو سفيان بن حرب. وكان لا يعلم بذلك، حتى أخبر أن إحدى نعليه في أصبعه، والأخرى في رجله. فعرفوا أنه ليس له قلبان. ويقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهى في صلاته، فقال المنافقون: لو أن له قلبين أحدهما في صلاته، والآخر مع أصحابه، فنزل {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ}. وروى معمر عن قتادة قال: كان رجل لا يسمع شيئاً إلا وعاه. فقال الناس: ما يعي هذا إلا أن له قلبين. وكان يسمى ذا القلبين فنزلت هذه الآية. وروى معمر عن الزهري قال: بلغنا أن ذلك في شأن زيد بن حارثة. ضرب الله مثلاً يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك، كما لا يكون لرجل آخر من قلبين.

وذكر عن الشافعي أنه احتج على محمد بن الحسن قال: {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ} يعني: ما جعل الله لرجل من أبوين في الإسلام. يعني: لا يجوز أن يثبت نسب صبي واحد من أبوين. ولكن هذا التفسير لم يذعن به أحد من المتقدمين. فلو أراد به على وجه القياس لا يصح. لأنه ليس بينهما جامع يجمع

بينهما. وذكر عن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما أن جارية كانت بين رجلين، جاءت بولد فادعياه. فقالا: إنه ابنهما يرثهما ويرثانه.
ثم قال عز وجل: {وَمَا جَعَلَ أزواجكم اللائى تظاهرون مِنْهُنَّ أمهاتكم} قرأ عاصم {تظاهرون} بضم التاء وكسر الهاء والألف. وقرأ ابن عامر: {تظاهرون} بنصب التاء والهاء وتشديد الظاء. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: {تُظْهِرُونَ} بنصب التاء والهاء بغير ألف والتشديد. وقرأ حمزة والكسائي {تظاهرون} بنصب التاء والتخفيف مع الألف. وهذه كلها لغات. يقال: ظاهر من امرأته، وتظاهر، وتظهر بمعنى واحد. وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر أمي. فمن قرأ: {تُظْهِرُونَ} بالتشديد، فالأصل تظهرون، فأدغم إحدى التاءين في الظاء وشددت. من قرأ {تظاهرون} فالأصل يتظاهرون فأدغمت إحدى التاءين. ومن قرأ بالتخفيف حذف إحدى التاءين، ولم يشدد للتخفيف كقوله: {تُسْأَلُونَ} والأصل تتساءلون، والآية نزلت في شأن أوس بن الصامت حين ظاهر من امرأته وذكر حكم الظهار في سورة المجادلة.
ثم قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ} نزلت في شأن زيد بن حارثة حين تبنّاه النبي صلى الله عليه وسلم قال: فكما لا يجوز أن يكون لرجل واحد قلبان، فكذلك لا يجوز أن تكون امرأته أمه، ولا ابن غيره يكون ابنه.
ثم قال: {ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بأفواهكم} يعني: قولكم الذي قلتم زيد بن محمد صلى الله عليه وسلم أنتم قلتموه بألسنتكم {والله يَقُولُ الحق} يعني: يبيّن الحق، ويأمركم به كي لا تنسبوا إليه غير النسبة {وَهُوَ يَهْدِى السبيل} يعني: يدلّ على طريق الحق. يقال: يدلّ على الصواب بأن تدعوهم إلى آبائهم. وروى أبو بكر بن عياش عن الكلبي قال: كان زيد بن حارثة مملوكاً لخديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه، وتبناه، فكانوا يقولون زيد بن محمد فنزل قوله: {ادعوهم لِابَائِهِمْ} يعني: انسبوهم لآبائهم. فقالوا: زيد بن حارثة {هُوَ أَقْسَطُ عِندَ الله} يعني: أعدل عند الله عز وجل {ادعوهم لِابَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ} يعني: إن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم {فَإِخوَانُكُمْ فِى الدين} أي: قولوا ابن عبد الله وابن عبد الرحمن {ومواليكم} يعني: قولوا مولى فلان. وكان أبو حذيفة أعتق عبداً يقال له: سالم وتبناه، فكانوا يسمونه سالم بن أبي حذيفة. فلما نزلت هذه الآية سموه سالماً مولى أبي حذيفة.

ثم قال: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} يعني: أن تنسبوهم إلى غير آبائهم قبل النهي. ويقال: ما جرى على لسانهم بعد النهي، لأن ألسنتهم قد تعودت بذلك {ولكن} الجناح فيما {مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} يعني: قصدت قلوبكم بعد النهي.

وروي عن عطاء بن أبي رباح عن عبيد بن عمرو عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَجَاوَزَ الله عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». وروي عن سعد بن أبي وقاص أنه حلف باللات والعزى ناسياً. فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن ينفث عن يساره ثلاثاً، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

ثم قال: {وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} يعني: غفوراً لمن أخطأ ثم رجع {رَّحِيماً} بهم.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 8]

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (6) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (8)}

قوله عز وجل: {النبى أولى بالمؤمنين مِنْ أَنْفُسِهِمْ} يعني: ما يرى لهم رأياً فذلك أولى وأحسن لهم من رأيهم. ويقال: معناه النبي أرحم بالمؤمنين من أنفسهم {وأزواجه أمهاتهم} يعني: كأمهاتهم في الحرمة. وذكر عن أبي أنه كان يقرأ {النبى أولى بالمؤمنين مِنْ أَنْفُسِهِمْ} وهو أب لهم {وأزواجه أمهاتهم} {وَأُوْلُو الارحام بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ} قال في رواية الكلبي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين الناس. فكان يؤاخي بين الرجلين. فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته وأهله. فمكثوا في ذلك ما شاء الله حتى نزلت هذه الآية: {وَأُوْلُو الارحام بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ}. {فِى كتاب الله مِنَ المؤمنين والمهاجرين} الذين آخى بينهم فصارت المواريث بالقرابات، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُسْلِمٍ فَمَنْ تَرَكَ مالاً فَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً فَإِلَى الله وَإِلَى رَسُولِهِ». فأمر بصرف الميراث إلى العصبة.

ثم قال تعالى: {إِلاَّ أَن تَفْعَلُواْ إلى أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفاً} يعني: إلا أن يوصي له بثلث ماله. وقال مقاتل: كان المهاجرون والأنصار يرثون بعضهم من بعض بالقرابة، ولا يرث من لم يهاجر إلا أن يوصي للذي لم يهاجر. ثم نسخ بما في آخر سورة الأنفال.
ثم قال: {كَانَ ذلك فِى الكتاب مَسْطُورًا} يعني: هكذا كان مكتوباً في التوراة. ويقال: في اللوح المحفوظ. ويقال: في القرآن.
قوله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النبيين مِيثَاقَهُمْ} وهو الوحي الذي أوحى إليهم أن يدعوا الخلق إلى عبادة الله عز وجل، وأن يصدق بعضهم بعضاً. ويقال: الميثاق الذي أخذ عليهم من ظهورهم. ويقال: كل نبي أمر بأن يأمر من بعده بأن يخبروا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينتهي إليه.
ثم قال: {وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ} في هذا تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه قد ذكر جملة الأنبياء عليهم السلام ثم خصّه بالذكر قبلهم، وكان آخرهم خروجاً. ثم ذكر نوحاً لأنه كان أولهم. ثم ذكر إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم صلوات الله عليهم لأن كل واحد منهم كان على أثر بعض.
فقال: {وإبراهيم وموسى وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ} ثم قال: {وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ ميثاقا غَلِيظاً} يعني: عهداً وثيقاً أن يعبدوا الله تعالى، ويدعوا الخلق إلى عبادة الله عز وجل، وأن يبشروا كل واحد منهم بمن بعده.
ثم قال عز وجل: {لِّيَسْأَلَ الصادقين عَن صِدْقِهِمْ} يعني: أخذ عليهم الميثاق لكي يسأل الصادقين عن صدقهم. يعني: يسأل المرسلين عن تبليغ الرسالة. ويسأل الوفيّين عن وفائهم.
وروي في الخبر: أنه يسأل القلم يوم القيامة. فيقول له: ما فعلت بأمانتي؟ فيقول: يا رب سلمتها إلى اللوح. ثم جعل القلم يرتعد مخافة أن لا يصدقه اللوح. فيسأل اللوح بأن القلم قد أدى الأمانة، وأنه قد سلم إلى إسرافيل. فيقول لإسرافيل: ما فعلت بأماتني التي سلمها إليك اللوح؟ فيقول: سلمتها إلى جبريل. فيقول لجبريل عليه السلام: ما فعلت بأمانتي. فيقول: سلمتها إلى أنبيائك. فيسأل الأنبياء عليهم السلام فيقولون: قد سلمناها إلى خلقك، فذلك قوله تعالى: {لِّيَسْأَلَ الصادقين عَن صِدْقِهِمْ} {وَأَعَدَّ للكافرين عَذَاباً أَلِيماً} يعني: الذين كذبوا الرسل قوله عز وجل:

▲ تفسير الآية رقم [9]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9)}

{يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} يعني: احفظوا منة الله عليكم بالنصرة. {إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ} يعني: الأحزاب. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، صالح بني قريظة وبني النضير على أن لا يكونوا عليه، ولا معه. فنقضت بنو النضير عهودهم، وأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم منها، وذكر قصتهم في سورة الحشر.

ثم إنّ بني قريظة جددوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم. ثم إن حيي بن أخطب ركب، وخرج إلى مكة. فقال لأبي سفيان بن حرب: إن قومي مع بني قريظة وهم سبعمائة وخمسون مقاتلاً. فحثّه على الخروج إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خرج من مكة إلى غطفان وحثهم على ذلك. ثم خرج إلى كنانة وحثهم على ذلك. فخرج أبو سفيان مع جماعة من أهل مكة. وخرج غطفان وبنو كنانة حتى نزلوا قريباً من المدينة مع مقدار خمسة عشر ألف رجل. ويقال: ثمانية عشر ألف رجل. ثم جاء حيي بن أخطب إلى بني قريظة. فجاء إلى باب كعب بن الأشرف وهو رئيس بني قريظة. فاستأذن عليه. فقال لجاريته: انظري من هذا؟ فعرفته الجارية فقالت: هذا حيي بن أخطب. فقال: لا تأذني له عليّ. فإنه مسؤوم إنه قد سأم قومه. يريد أن يسأمنا زيادة. فقالت له الجارية: ليس هاهنا فقال حيي بن أخطب بلى هو ثم ولكن عنده قدر جيش لا يحب أن يشركه فيها أحد. فقال كعب: أحفظني أخزاه الله. يعني: أغضبني ائذني له في الدخول. فدخل عليه. فقال له: يجيئُك مليكك، قد جئتك بعارض برد جئتك بقريش بأجمعها، وكنانة بأجمعها، وغطفان بأجمعها. لا يذهب هذا الفوز حتى يقتل محمد. فانقض الحلف بينك وبين محمد. فقال له كعب بن الأشرف: إن العارض ليسبب بنفحاته شيئاً. ثم يرجع وأنا في بحر لجي، لا أقدر على أن أريم داري ومالي. والله ما رأينا جاراً قط خيراً من محمد ما خفر لنا بذمة، ولا هتك لنا ستراً ولا آذانا، وإنما أخشى أن لا يقتل محمد، وترجع أنت وأقتل أنا. فقال لكم ما في التوراة إن لم يقتل محمداً في هذا الغور، لأدخلنّ معكم حصنكم، فيصيبني ما أصابكم. فنقض الحلف، وشقّ الصحيفة، فقدم بنعيم بن مسعود المدينة، وكان تاجراً يقدم من مكة. فقال: يا محمد شعرت أن بني قريظة نقضوا الحلف الذي كان بينك وبينهم. فقال النبي صلى الله عليه

وسلم: «لَعَلَّنَا نَحْنُ أَمَرْنَاهُمْ بذلك». فقال عمر: إن كنت أمرتهم بذلك، وإن كنت تأمرهم بذلك، فقتالهم علينا هيّن. فقال: «مَا أَنا بِكَذَّابٍ، ولكن الحَرْبَ خُدْعَةٌ». ونعيم لم يسلم ذلك اليوم. فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة إلى كعب بن الأشرف، يناشدوه الله الحلف الذي كان بينهم. وأن يرجعوا إلى ما كانوا عليه من قبل. فأبى كعب بن الأشرف، وجرى بينهم كلام. وسبّ سعد بن معاذ. فقال أسيد بن حضير: أتسب سيدك معاذاً يا عدو الله؟ ما هو لك بكفؤ. فقال سعد بن معاذ: اللهم لا تميتني حتى أشفي نفسي منهم. فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثوه الحديث. فانطلق نعيم بن مسعود إلى أبي سفيان. فقال: يا أبا سفيان والله ما كذب محمد قط كذبة. أخبرني بأنه أمر بنقض الحلف بينه وبين بني قريظة. فقال سلمان الفارسي: إنا كنا يا رسول الله بأرض فارس إذا تخوفنا الجنود، خندقنا على أنفسنا. فهل لك أن تخندق خندقاً؟ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل المدينة، وخندق وأخذ المعول بيده، فضرب لكي يقتدي الناس. فضرب ضربةً فأبرق برقة، حتى ظهر ضوء بضربته.

ثم ضرب ضربة أخرى فأبرق برقة، ثم ضرب الثالثة فقال سلمان: لقد رأيت أمراً عجيباً. لقد رأيت ذلك. قال: نعم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ رَأَيْتُ بِالأُولَى قُصُورَ الشَّامِ، وَبِالثَّانِيَةِ قُصُورَ كِسْرَى؛ وَبِالثَّالِثَةِ قُصُورَ اليَمَنِ. فهذه فُتُوحٌ يَفْتَحُ الله عَلَيْكُمْ». فقال ناس من المنافقين: يعدنا أن تفتح الشام، وأرض فارس، واليمن. وما يستطيع أحد منا أن يذهب إلى الخلاء. ما يعدنا إلا غروراً.

فمكث الجنود حول المدينة بضعة عشرة ليلة، فأرسل عيينة بن حصن الفزاري، والحارث بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك إن أعطيتنا تمر المدينة هذه السنة، نرجع عنك بغطفان وكنانة، ونخلي بينك وبين قومك فتقاتلهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا». فقال: فنصف ذلك التمر. قال: «نعم». وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وهو سيد الأوس، وسعد بن عبادة وهو سيد الخزرج. فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة، والحارث بن عوف لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب لنا كتاباً. فدعى بصحيفة ليكتب بينهم. فقال سعد بن معاذ وسعد بن عبادة: يا رسول الله أوحي إليك في هذا شيء. فقال: «لا ولكنني رَأَيْتُ العَرَبَ رَمَتْكُمْ مِنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ أَرُدُّ هؤلاء وَأُقَاتِلُ هؤلاء» فقالا: ما رجون بهذا منها في

الجاهلية قط أن يأخذوا منا تمرة واحدة إلا بشراء وقرًى. فحين زادنا الله بك، وأمدنا بك، وأكرمنا بك، نعطيهم الدنية. لا نعطيهم شيئاً إلا بالسيف. فشق النبي صلى الله عليه وسلم الصحيفة قال:

»اذْهَبُوا فَلا نُعْطِيكُمْ شَيْئاً إلاَّ بِالسَّيْفِ«. فلما كان يوم الجمعة أرسل أبو سفيان إلى حييّ بن أخطب أن استعدَّ غداً إلى القتال فقد طال المقام هاهنا وقل لقومك يعدوا. فلما جاء بني قريظة الرسول، فقالوا: غداً يوم السبت لا نقاتل فيه. فقال أبو سفيان: نحن نؤخر القتال إلى يوم الأحد. هاتوا لنا رهوناً أبناءكم نثلج إليهم أي: نطمئن بذلك.

فجاء رسول أبي سفيان إلى بني قريظة، وقد أمسوا، فقالوا: هذه الليلة لا يدخل علينا أحد، ولا يخرج من عندنا أحد. فوقع في نفس أبي سفيان من قول نعيم بن مسعود أنه خوان حق، وأن نقض العهد كان مكراً منهم.

فلما كانت الليلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عند الخندق فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الليل ثم قال: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ الْقَوْمُ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ». فما تحرك منهم أحد. ثم صلى الثلث الثاني فقال: «من رجل ينظر ما يفعل القوم» فما تحرك منهم أحد ثم صلى ساعة، ثم هتف مرة أخرى، فما تحرك منهم إنسان. فقال: «يَا حُذَيْفَةُ» فجاء حذيفة. فقال: «أَمَا سَمِعْتَ كَلامِي مُنْذُ اللَّيْلَة». قال: بلى. ولكن بي من الجوع والقر يعني: البرد لم أقدر على أن أجيبك. قال: «اذْهَبْ فَانْظُرْ ما فَعَلَ القَوْمُ، وَلاَ تَرْمِي بِسَهْمٍ، وَلاَ بِحَجَرٍ، وَلاَ تَطْعَنْ بِرمْحٍ، وَلاَ تَضْرِبْ بِسَيْفٍ». فقال: يا رسول الله إني لا أخشى أن يقتلوني، إني لميت. ولكن أخشى أن يمثلوا بي. فقال: «لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ». فلما قال هذا، قال حذيفة: آمنت وعرفت أنه لا بأس علي. فلما ولى حذيفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ». فدخل حذيفة رضي الله عنه في عسكر قريش، فإذا هم يصطلون يعني: مجتمعين على نار لهم. فجلس حذيفة في حلقة منهم. فقال: أتدرون ما يريد الناس غداً؟ قالوا: ماذا يريدون؟ قال: يقولون: يعني: أهل العساكر أين قريش؟ أين سادات الناس وقادتهم؟ فتجيئون فيطرحونكم في نحور العدو. فتقتلوا أو تفروا. فما زال ذلك الحديث يفشو في العسكر.

ثم دخل عسكر بني كنانة. فقال: أتدرون ماذا يريد الناس غداً؟ قالوا: ماذا يريدون؟ قالوا: يقولون أين بنو كنانة؟ أين ذروة العرب؟ أين رماة الخندق؟ فتجيبون. فيطرحونكم في نحور العدو؟ فتقتلوا أو تفروا.

ثم دخل عسكر غطفان، فقال: أتدرون ماذا يريد الناس غداً؟ قولوا ماذا يريدون؟ قال: يقولون أين غطفان؟ أين بنو فزارة بن حلاس الخيول؟ فتجيبون. فيطرحونكم في نحور العدو. فتقتلوا أو تفروا.

قال: فبعث الله تعالى عليهم ريحاً شديدة، فلم تترك لهم خباء إلا قلعته، ولا إناء إلا أكفأته. وقلعت أوتاد خيولهم، وجالت الخيول بعضها في بعض. فقالوا فيما بينهم: لقد بدا محمد بالسر. فالنجاة النجاة. فركب أبو سفيان جمله معقولاً، فما حلّ عقاله إلا بعد أن انبعث. قال حذيفة: ولو شئت أن أضربه بسيفي أو أطعنه برمحي لفعلت. ولكن نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فترحلوا كلهم وذهبوا.

فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه عن العساكر وما فعل الله عز وجل بها. فنزل {الجحيم يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} في الدفع عنكم {إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ} من المشركين {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً} شديدة {وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا} من الملائكة. وذلك كبرت حوالي العسكر حتى انهزموا حين هبت بهم الريح، وهي ريح الصبا. وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ» ثم قال تعالى: {وَكَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} في أمر الخندق.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 17]

{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (15) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا

تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17)}

قوله عز وجل: {إِذْ جاؤوكم مّن فَوْقِكُمْ} يعني: أتاكم المشركون من فوق الوادي. يعني: طلحة بن خويلد الأسدي {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} من قبل المغرب وهو أبو الأعور السلمي. ويقال: {مّن فَوْقِكُمْ} أي: من قبل المشرق، مالك بن عوف، وعيينة بن حصن الفزاري، ويهود بني قريظة. {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} أبو سفيان. فلما رأى ذلك قالوا: {وَإِذْ زَاغَتِ الابصار} يعني: شخصت الأبصار فوقاً يعني: أبصار المنافقين، لأنهم أشد خوفاً كأنهم خشب مسندة {وَبَلَغَتِ القلوب الحناجر} خوفاً، هذا على وجه المثل. ويقال: اضطراب القلب يبلغ الحناجر. ويقال: إذا خاف الإنسان، تنتفخ الرئة، وإذا انتفخت الرئة، يبلغ القلب الحنجرة. ويقال للجبان: منتفخ الرئة.

{وَتَظُنُّونَ بالله الظنونا} يعني: الإياس من النصرة. يعني: ظننتم أن لن ينصر الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم، قرأ ابن كثير والكسائي وعاصم في رواية حفص: الظنون بالألف عند الوقف، ويطرحونها عند الوصل. وكذلك في قوله {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النار يَقُولُونَ ياليتنآ أَطَعْنَا الله وَأَطَعْنَا الرسولا} [الأحزاب: 66] وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: بالألف في حال الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو وحمزة بغير ألف في الحالتين جميعاً. فمن قرأ بالألف في الحالين، فلاتباع الخط. لأن في مصحف الإمام وفي سائر المصاحف بالألف. ومن قرأ بغير ألف فلأن الألف غير أصلية، وإنما يستعمل هذه الألف الشعراء في القوافي. وقال أبو عبيدة: أحب إلي في هذه الحروف أن يتعمد الوقف عليها بالألف، ليكون متبعاً للمصحف، واللغة.

ثم قال عز وجل: {هُنَالِكَ ابتلى المؤمنون} يعني: عند ذلك اختبر المؤمنون. يعني: أمروا بالقتال والحضور. وكان في ذلك اختباراً لهم {وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً} أي: حركوا تحريكاً شديداً واجتهدوا اجتهاداً شديداً.

{وَإِذْ يَقُولُ المنافقون والذين فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً} وهم لم يقولوا رسول الله، وإنما قالوا باسمه. ولكن الله عز وجل ذكره بهذا اللفظ.

قوله عز وجل: {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مّنْهُمْ} يعني: جماعة من المنافقين {مّنْهُمْ ياأهل يَثْرِبَ} يعني: يا أهل المدينة وكان اسم المدينة يثرب، فسماها رسول

الله صلى الله عليه وسلم المدينة {لاَ مُقَامَ لَكُمْ} قرأ عاصم في رواية حفص: بضم الميم. وقرأ الباقون: بالنصب. فمن يقرأ بالضم فمعناه لا إقامة لكم. ومن قرأ بالنصب، فهو بالمكان أي: لا مكان لكم تقومون فيه، والجمع المقامات. وكان أبو عبيدة يقرأ بالنصب، لأنه يحتمل المقام والمكان جميعاً. يعني: أن المنافقين قالوا: خوفاً ورعباً منهم: لا مقام لكم عند القتال.
{فارجعوا} يعني: فانصرفوا إلى المدينة {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مّنْهُمُ النبى} وهم بنو حارثة وبنو سلمة، وذلك أن بيوتهم كانت من ناحية المدينة {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} يعني: ضائعة، نخشى عليها السراق.
ويقال: معناه أن بيوتنا مما يلي العدو، وإنا لا نأمن على أهالينا. وقال القتبي: أصل العورة ما ذهب عنه الستر والحفظ. وكان الرجال ستراً وحفظاً للبيوت. فقالوا: {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} يعني: خالية والعرب تقول: اعور منزلك أي: إذا سقط جداره.
يقول الله تعالى: {وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ} لأن الله عز وجل يحفظها، يعني: وما هي بخالية {إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً} أي: ما يريدون إلا فراراً من القتال.
ثم قال: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مّنْ أَقْطَارِهَا} يعني: لو دخل العسكر من نواحي المدينة {ثُمَّ سُئِلُواْ الفتنة} يعني: دعوهم إلى الشرك {لآتَوْهَا} قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: {لأَتَوْهَا} بالهمزة بغير مد. وقرأ الباقون: بالهمز والمد. فمن قرأ بالمد {لآتَوْهَا} يعني: لأعطوها. ومن قرأ بغير مد معناه صاروا إليها وجاؤوها وكلاهما يرجع إلى معنى واحد يعني: لو دعوا إلى الشرك لأجابوا سريعاً.
{وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَا إِلاَّ يَسِيراً} أي: وما تحسبوا بالشرك إلا قليلاً. يعني: يجيبوا سريعاً. ويقال: لو فعلوا ذلك لم يلبثوا بالمدينة إلا قليلاً.
ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ كَانُواْ عاهدوا الله مِن قَبْلُ} يعني: من قبل قتال الخندق حين كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، خرج سبعون رجلاً من المدينة إلى مكة. فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة إلى السبعين، فبايعهم وبايعوه. فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: «أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا مَنَعْتُمْ به أَنْفُسَكُمْ وَأَوْلادَكُمْ». فقالوا: قد فعلنا ذلك. فما لنا؟ قال عليه السلام: «لكم النصرة في الدنيا، والجنة في الآخرة». قالوا: قد فعلنا ذلك،

فذلك قوله: {وَلَقَدْ كَانُواْ عاهدوا الله مِن قَبْلُ} {لاَ يُوَلُّونَ الادبار} منهزمين {وَكَانَ عَهْدُ الله * مَسْؤُولاً} يعني: يسأل في الآخرة من ينقض العهد. قوله عز وجل: {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفرار إِن فَرَرْتُمْ مّنَ الموت أَوِ القتل وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} أي: لا تؤجلون إلا يسيراً، لأن الدنيا كلها قليلة. ثم قال عز وجل: {قُلْ مَن ذَا الذى يَعْصِمُكُمْ مّنَ الله} يعني: يمنعكم من قضاء الله وعذابه {إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً} يعني: القتل {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} أي: عافية. ويقال: {سُوءا} يعني: الهزيمة {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} يعني: خيراً. وهو النصر. يعني: من يقدر على دفع السوء عنكم وجر الخير إليكم {وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مّن دُونِ الله وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} يعني: قريباً ومانعاً.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 22]

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (19) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)}

قوله عز وجل: {قَدْ يَعْلَمُ الله المعوقين مِنكُمْ} يعني: يرى المثبطين منكم، المانعين من القتال منكم وهم المنافقون {والقائلين لإخوانهم} يعني: لأوليائهم وأصدقائهم {هَلُمَّ إِلَيْنَا} يعني: ارجعوا إلينا إلى المدينة، وهذا بلغة أهل المدينة، يقولون للواحد وللاثنين والجماعة: هلم وسائر العرب تقول للجماعة: هلموا. ثم قال: {وَلاَ يَأْتُونَ البأس إِلاَّ قَلِيلاً} وذلك أن المنافقين كانوا يقولون: إن لنا شغلاً، فيرجعون إلى المدينة، فإذا لقيهم أحد بالمدينة من المؤمنين يقولون: دخلنا لشغل ونريد أن نرجع. وإذا لقوا أحداً من المنافقين يقولون: أي شيء تصنعون هناك؟ ارجعوا إلينا {وَلاَ يَأْتُونَ البأس} يعني: ولا يحضرون القتال إلا قليلاً، رياءً وسمعةً. ولو كان ذلك لله لكان كثيراً وهذا كقوله: {وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً}.

ثم قال عز وجل: {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} يعني: أشفقة عليكم، حباً لكم حتى يعوقكم يا معشر المسلمين. ويقال: يعني: بخلاء في النفقة عليكمْ ويقال: فيه تقديم. فكأنه يقول: ولا يأتون البأس شفقة عليكم أي: لم يحضروا شفقة عليكم {إِلاَّ قَلِيلاً} يعني: لا قليلاً ولا كثيراً.

{فَإِذَا جَاء الخوف} يعني: خوف القتال {رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ} من الخوف {تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كالذى يغشى عَلَيْهِ مِنَ الموت} يعني: تدور أعينهم كدوران الذي هو في غثيان الموت، ونزعاته جبناً وخوفاً {فَإِذَا ذَهَبَ الخوف} وجاءت قسمة الغنيمة {سَلَقُوكُم} يعني: رموكم. ويقال: طعنوا فيكم {بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} يعني: سلاط باسطة بالشر {أَشِحَّةً عَلَى الخير} يعني: حرصاً على الغنيمة. ويقال: بخلاً على الغنيمة {أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ} يعني: لم يصدقوا حقّ التصديق {فَأَحْبَطَ الله أعمالهم} يعني: أبطل الله ثواب أعمالهم. {وَكَانَ ذلك عَلَى الله يَسِيراً} يعني: إبطال أعمالهم. ويقال: عذابهم في الآخرة على الله هيّن.

ثم قال عز وجل: {يَحْسَبُونَ الاحزاب لَمْ يَذْهَبُواْ} يعني: يظنون أن الجنود لم يذهبوا من الخوف والرعب {وَإِن يَأْتِ الاحزاب} مرة أخرى. ويقال: حكاية عن الماضي {يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى الاعراب} يعني: تمنوا أنهم خارجون في البادية مع الأعراب {يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ} يعني: عن أخباركم وأحاديثكم {وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ} يعني: معكم في القتال {مَّا قَاتَلُواْ إِلاَّ قَلِيلاً} رياءً وسمعةً من غير حسبة. وقرئ في الشاذ {يُسْئَلُونَ} بتشديد السين وأصله يتساءلون أي: يسأل بعضهم بعضاً. وقراءة العامة {يُسْئَلُونَ} لأنهم يسألون القادمين. ولا يسأل بعضهم بعضاً.

قوله عز وجل: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} قرأ عاصم {أُسْوَةٌ} بضم الألف. وقرأ الباقون: بالكسر. وهما لغتان ومعناهما واحد. يعني: لقد كان لكم اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم وقدوة حسنة، وسنة صالحة، لأنه كان أسبقهم في الحرب.

وكسرت رباعيته يوم أحد. وَوَاسَاكُمْ بنفسه في مواطن الحرب.

{لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله} يعني: يخاف الله عز وجل {واليوم الاخر وَذَكَرَ الله كَثِيراً} باللسان {وَلَمَّا رَأَى المؤمنون الاحزاب} يعني: الجنود يوم الخندق والقتال {قَالُواْ هذا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ} في سورة البقرة وهو قوله عز وجل: {وَمِنَ الناس مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابتغآء مَرْضَاتِ الله والله رَءُوفٌ

بالعباد} [البقرة: 214] الآية. ويقال: إنه قد أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نازل ذلك الأمر. فلما رأوه {قَالُواْ هذا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ} {وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إلاَّ إيمَانًا وَتَسْلِيماً} يعني: لم يزدهم الجهد والبلاء إلا تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم وَجُرْأَةً {وَتَسْلِيماً} يعني: تواضعاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم نعت المؤمنين.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 27]

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (24) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)}

فقال عز وجل: {مّنَ المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عاهدوا الله عَلَيْهِ} يعني: وفوا بالعهد الذي عاهدوا ليلة العقبة {فَمِنْهُمْ مَّن قضى نَحْبَهُ} يعني: أجله فمات. أو قتل على الوفاء. يعني: وفاء بالعهد. وقال القتبي: النحب في اللغة النذر. وذلك أنهم نذروا، إذا لقوا العدو أن يقاتلوا فقتل في القتال، فسمي قتله قضاء نحبه، واستعير النحب مكان الموت. وقال مجاهد: النحب العهد.

وروى عيسى بن طلحة قال: جاء أعرابي فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين قضوا نحبهم فأعرض عنه. وطلع طلحة بن عبيد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ». ثم قال عزّ وجلّ: {وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ} يعني: ينتظر أجله {وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً} يعني: ما غيّروا بالعهد الذي عهدوا تغييراً.

ثم قال عز وجل: {لّيَجْزِىَ الله الصادقين بِصِدْقِهِمْ} يعني: الوافين بوفائهم {وَيُعَذّبَ المنافقين} يعني: إذا ماتوا على النفاق {إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} يعني: يقبل توبتهم إن تابوا {إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} لمن تاب منهم رحيماً بهم قوله عز وجل: {وَرَدَّ الله الذين كَفَرُواْ} يعني: صدهم وهم الكفار الّذين جاؤوا يوم الخندق {بِغَيْظِهِمْ} يعني: صرفهم عن المدينة مع غيظ منهم {لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً} يعني: لم يصيبوا ما أرادوا من الظفر والغنيمة {وَكَفَى

الله المؤمنين القتال} يعني: دفع الله عنهم مؤنة القتال حيث بعث عليهم ريحاً وجنوداً.
{وَكَانَ الله قَوِيّاً عَزِيزاً} فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق دخل المدينة، ودخل على فاطمة رضي الله عنها، وأراد أن يغسل رأسه. فجاءه جبريل عليه السلام: وقال: لا تغسل رأسك، ولكن اذهب إلى بني قريظة. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقال: إن جبريل عليه السلام قال له حين وضع سلاحه: وضعت سلاحك؟ قال: «نعم» قال: ما وضعت الملائكة عليهم السلام سلاحها بعد، وقد أمرك الله عز وجل أن تنهض نحو بني قريظة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فقال: «عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ لا تُصَلُّوا العَصْرَ إلاّ بِبَنِي قُرَيْظَة». فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه وخرج المسلمون معه، واللواء في يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فمر على بني عدي وبني النجار وقد أخذوا السلاح. فقال: «مَنْ أَمَرَكُمْ أنْ تَلْبَسُوا السِّلاحَ». فقالوا: دحية الكلبي. وكان جبريل عليه السلام يتمثل في صورته.
فلما جاء بني قريظة، وجد بعض الصحابة قد صلوا العصر قبل أن يأتوا بني قريظة مخافة أن تفوتهم عن وقتها، وأبى بعضهم فقالوا: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي حتى نأتي بني قريظة. فلم ينتهوا إلى بني قريظة حتى غابت الشمس، ولم يصلوا العصر. قال: فلم يؤنب أحداً من الفريقين، أي: رضي بما فعل الفريقان جميعاً. وفيه دليل لقول بعض الناس: إن لكل مجتهد نصيب.
فجاء علي رضي الله عنه باللواء حتى غرزه عند الحصن. فسبت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، ورجع إليه علي رضي الله عنه، فقال: تأخر يا رسول الله ونحن نكفيك فيهم. قال: «سَبُّونِي وَلَوْ كَانُوا دُونِي لَمْ يَسُبُّونِي». فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا إِخْوَةَ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ انزِلُوا عَلَى حُكْمِ الله وحُكْمِ رَسُولِهِ». فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً. ورجع حيي بن أخطب من الروحاء، وقد ذكر يمينه التي حلف بها لكعب بن الأشرف، ودخل معهم في حصنهم، ونزل بنو سعد بن شعبة أسد وثعلبة، فأسلموا. وأبى من بقي.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة بن عبد المنذر: «اذْهَبْ فَقُلْ لِحُلَفَائِكَ وَمَوَالِيكَ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ الله تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمَ». فجاءهم أبو لبابة. فقال: انزلوا على حكم الله ورسوله. فقالوا: يا أبا لبابة نصرناك يوم

بعاث، ويوم الحدائق والمواطن كلها التي كانت بين الأوس والخزرج، ونحن مواليك وحلفاؤك، فانصح لنا ماذا ترى؟ فأشار إليهم ووضع يده على حلقه يعني: الذبح. فقالوا: لا تفعل يعني: لا ننزل. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خنت الله ورسوله». فقال: نعم.

فانطلق فربط نفسه بخشبة من خشب المسجد حتى تاب الله عليه، والتمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجده. فقالوا: إنه قد ربط نفسه بخشبة من خشبة المسجد. فقال: «لَوْ جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ فأمَّا إذ رَبَطَ نَفْسَهُ فَدَعُوهُ حَتَّى يَتُوبَ الله عَلَيْهِ». ثم أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فحلّه، فقال كعب بن أسد لأصحابه من بني قريظة: أما تعلمون أنه قد جاءنا ابن فلان اليهودي من الشام؟ فقال لنا: جئتكم لنبي ينتهي إلى هذه الأرض من قريش، وأنه يبعث بالذبح والقتل والسب، فلا يهولنكم ذلك، وكونوا أولياءه وأنصاره. فقالوا: لا نكون تبعاً لغيرنا، نحن أهل الكتاب والنبوة، لا نتبع قوماً أميين ما درسوا كتاباً قط، فلا نفعل.

فقال كعب بن أسد: أطيعوني في إحدى ثلاث: قالوا: وما هي؟ فقال: إنكم لتعرفون أنه رسول الله. فاتبعوه، وانصروه، وكونوا أنصاره وأولياءه. فقالوا: لا نكون تبعاً لغيرنا.

فقال: إما إذا أبيتم، فإن هذه ليلة السبت، هم يأمنونكم، انزلوا إليهم فبيتوهم حتى تقتلوهم. فقالوا لا نكسر سبتنا. فقد كسر قوم من بني إسرائيل سبتهم، فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير. قال: فإن أبيتم هذا. فإذا كان يوم الأحد فاقتلوا أبناءكم ونساءكم. ثم انزلوا إليهم بأسيافكم فقاتلوهم حتى تموتوا كراماً. فقالوا: لا نفعل. فلبثوا خمسة عشر ليلة محاصرين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَى حُكْمِ مَنْ تَنْزِلُونَ؟» قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ، وكان جريحاً قد رمته بني قريظة، فأصاب أكحله، فدعا الله تعالى أن لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة. فأتي به على حمار، فتبعه قوم كان ميلهم إلى بني قريظة، وكانوا يقولون له: يا أبا عمرو أحسن في حلفائك ومواليك، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب البقية وقد نصروك يوم بعاث، ويوم حدائق، فلم يكلمهم حتى نظر إلى بيوت بني قريظة. فقال سعد: قد آن لي أن لا أخاف في الله لومة لائم. فعرفوا أنه سوف يقتلهم. فرجعوا عنه. فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: لمن حوله: «قُومُوا إلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ». فقام إليه

الأنصار، فأنزلوه. فقال: «احْكُمْ فِيهِمْ يَا أبا عَمْرٍو». فقال سعد لليهود: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم. فقال: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه؟ قالوا: نعم. فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهاب أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: وَعَلَيَّ مِنْ هَاهُنَا مثل ذلك، وإنه ليغض بصره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ نَعَمْ وَعَلَيْنَا». فقال لبني قريظة: انزلوا فلما نزلوا. قال: احكم فيهم يا رسول الله أن تقتل مقاتليهم، وتسبي ذراريهم، وتقسم أموالهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ مَنْ فَوْقَ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ». فأتى حيي بن أخطب مأسوراً في حلة. فجاءه رجل من الأنصار، فنزع رداءه، فبقي في إزاره، فجعل يمزق إزاره لكي لا يلبسه أحد وهو يقول: لا بأس بأمر الله. فلما جاء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَمْ يُمَكِنِّي الله مِنْكَ يَا عَدُوَّ الله» فقال: بلى وما ألوم نفسي فيك قد التمست العز في مظانه، وقلقلت في كل مقلقل، فأبى الله إلا أن يمكّنك مني. فأمر بضرب عنقه.

ثم جاؤوا بعزاز بن سموأل فقال: «أَلَمْ يُمْكِنِّي الله مِنْكَ» فقال: بلى يا أبا القاسم، فضرب عنقه.

ثم قال لسعد: " عَلَيْكَ بِمَنْ بَقِيَ ". وقال: " لاَ تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّيْنِ حَرَّ الهَاجِرَةِ، وَحَرَّ السَّيْف ". فحسبهم كذلك في دار الحارث، وفي بعض الروايات ببيت خراب».

ثم أخرجهم رسلاً فقتلهم على الولاء والترتيب. فقال بعضهم لبعض: ما تراهم يصنعون بنا؟ فقال واحد: ألا تعقلون أنهم يقتلون؟ ألا ترون أن الداعي لا يسكت؟ ومن ذهب لا يرجع؟ فقتلوا كلهم ولم يسلم أحد منهم.

كان فيهم رجل يقال له: زبير بن باطا. فكلم ثابت بن قيس بن شماس رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره فقال: إن الزبير بن باطا له عندي يد، وقد أعانني يوم بعاث فهبهُ لي يا رسول الله حتى أعتقه. فقال عليه السلام: " هُوَ لَكَ ". فجاء إليه. فقال: يا أبا عبد الرحمن أتعرفني؟ قال: نعم. وهل ينكر الرجل أخاه، أنت ثابت بن قيس. قال: أتذكر يداً لك عندي يوم بعاث؟. قال: نعم. إن الكريم يجزي باليد، فاجز بها. فقال: قد وهبك النبي صلى الله عليه وسلم لي، وقد أعتقتك. قال: شيخ كبير لا أهل له كيف يعيش. فجاء ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلّمه في أهله، فقال: " لَكَ أَهْلُهُ ". فجاء إليه. فقال: قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك فهي لك. فقال: شيخ كبير أعمى

وامرأة ضعيفة، وأطفال صغار لا مال لهم كيف يعيشون؟ فقام ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله ماله. فقال: " لَكَ مَالُهُ ". فجاء إليه. فقال: قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك لي فهو لك. فقال: فما فعلت بكعب بن أسد الذي وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي؟ قال: قتل. قال: فما فعل بعزاز بن سموأل مقدم اليهود إذا حملوا وحاميهم إذا انصرفوا؟ قال: قتل. قال: فما فعل بسيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب يحملهم في الحرب ويطعمهم في المحل؟ قال: قتل. قال فما فعل بفلان وفلان؟ قال: قتل. قال: فقال يا ابن الأخ لا خير في الحياة بعد أولئك ألا أصبر فيه قدر فراغ دلو ماء حتى ألقى الأحبة. قال أبو بكر: ويلك يا ابن باطا، والله ما هو إفراغ دلو ماء، ولكنه عذاب الله أبداً. يا ابن الأخ قدمني إلى مصارع قومي، فاضرب ضربة أجهز بها، وأرفع يدك عن العصام، وألصق بالرأس. فإن أحسن الجسد أن يكون فيه شيء من العنق. فقال ثابت: ما كنت لأقتلك. قال: ما أبالي من قتلني. فتقدم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه.

وغنم الله عز وجل رسوله أموال بني قريظة، وذراريها، فقسمها بين المسلمين.

فنزل قوله تعالى: {وَأَنزَلَ الذين ظاهروهم} يعني: عاونوهم {مِّنْ أَهْلِ الكتاب} وهم بنو قريظة {مِن صَيَاصِيهِمْ} يعني: من قصورهم، وحصونهم، وأصل الصياصي في اللغة: قرون الثور لأنه يتحصن به. فقيل: للحصون صياصي لأنها تمنع.

ثم قال: {وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرعب} حين انهزم الأحزاب {فَرِيقاً تَقْتُلُونَ} يعني: رجالهم {وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً} تسبون طائفة وهم النساء والصبيان. قال مقاتل: قتل أربعمائة وخمسون رجلاً، وسبي من النساء والصبيان ستمائة وخمسون. وقال في رواية الكلبي: كانوا سبعمائة فقسمها بين المهاجرين.

ثم قال عز وجل: {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ} يعني: مزارعهم {وديارهم} يعني: منازلهم {وأموالهم} يعني: العروض والحيوان {وَأَرْضاً لَّمْ} يعني: لم تملكوها ولم تقدروا عليها. يعني: ورثكم تلك الأرض أيضاً وهي أرض خيبر. وروي عن الحسن وغيره في قوله {أَرْضًا لَمْ} قال: كل ما فتح على المسلمين إلى يوم القيامة {تَطَئُوهَا وَكَانَ الله على كُلّ شَىْءٍ قَدِيراً} يعني: على فتح مكة وغيرها من القرى.

▲ تفسير الآيات رقم [28- 33]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)}

قوله عز وجل {قَدِيراً ياأيها النبى قُل لازواجك} وذلك أنه رأى منهن الميل إلى الدنيا، وطلبن منه فضل النفقة {ياأيها النبي قُل لازواجك إِن كُنتُنَّ} يعني: وزهرتها {فَتَعَالَيْنَ أُمَتّعْكُنَّ} متعة الطلاق {وَأُسَرّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً} يعني: أطلقكن طلاق السنة من غير إضرار.

قوله عز وجل: {وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ} يعني: تطلبن رضي الله ورضى رسوله {والدار الاخرة} يعني: الجنة {فَإِنَّ الله أَعَدَّ للمحسنات مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً} يعني: ثواباً جزيلاً في الجنة. فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً. فلما نزلت هذه الآية، جمع نساءه. فبدأ بعائشة فقال: «يا عَائِشَةُ إنِّي أُرِيدُ أنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أمْراً أُحِبُّ أَنْ لا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ». قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة.

ثم خيّر نساءه فاخترنه سائر النساء.

ثم قال عز وجل: {عَظِيماً يانساء النبى مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحشة مُّبَيّنَةٍ} يعني الزنى {يُضَاعَفْ لَهَا العذاب ضِعْفَيْنِ} يعني: تعاقب مثلي ما يعاقب غيرها. ويقال: الجلد والرجم، وهذا قول الكلبي. ويقال: {مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحشة مُّبَيّنَةٍ} يعني: بمعصية، يضاعف لها العذاب ضعفين. لأن كرامتهن كانت أكثر. فجعل العقوبة عليهن أشد. وهذا كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: يغفر للجاهل سبعون ما لا يغفر للعالم واحد.

ثم قال: {وَكَانَ ذلك عَلَى الله يَسِيراً} يعني: هيّناً. قرأ ابن كثير وعاصم في إحدى الروايتين {مُّبَيَّنَةٍ} بنصب الياء. وقرأ الباقون: بالكسر. وقرأ ابن كثير وابن عامر: {نُضَعِّفْ} بالنون وتشديد العين، لها العذابَ بنصب الباء، ومعناه: لها العذاب. وقرأ أبو عمرو: {والله يضاعف} بالياء والتشديد وضم الباء في العذاب على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: {يضاعف} وهما لغتان. والعرب تقول: تضعف الشيء وضاعفه.

ثم قال: {وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للَّهِ وَرَسُولِهِ} أي: تطع منكن الله ورسوله {وَتَعْمَلْ صالحا} يعني: تعمل بالطاعات فيما بينها وبين ربّها {نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ} يعني: ثوابها ضعفين {وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً} يعني: ثواباً حسناً في الجنة. قرأ حمزة والكسائي: {وَيَعْمَلْ صالحا} بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. فمن قرأ بالياء فللفظ مَنْ لأن لفظها لفظ واحد مذكر. كما اتفقوا في قوله: {وَمَن يَقْنُتْ}. ومن قرأ بالياء ذهب إلى المعنى، وصار منكن فاصلاً بين الفعلين. وقرأ حمزة والكسائي {يؤتها} بالياء يعني: يؤتها الله. وقرأ الباقون بالنون على معنى الإضافة إلى نفسه.

ثم قال عز وجل: {كَرِيماً يانساء النبى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مّنَ النساء} يعني: لستنّ كسائر النساء.

فقال: لستن كأحد. ولم يقل: كواحد. لأن لفظ الأحد يصلح للواحد والجماعة، وأما لفظ الواحد لا يصلح إلا للواحد.

ثم قال عز وجل: {إِنِ اتقيتن} يعني: إن اتقيتن المعصية وأطعتن الله ورسوله {فَلاَ تَخْضَعْنَ بالقول} يعني: لا تلنَّ بالقول. ويقال: {لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مّنَ النساء إِنِ اتقيتن} فأنتن أحق الناس بالتقوى وتم الكلام.

ثم قال: {فَلاَ تَخْضَعْنَ بالقول} يعني: لا ترفقن بالقول وهو اللين من الكلام. ومعلوم أن الرجل إذا أتى باب إنسان والرجل غائب، فلا يجوز للمرأة أن تلين القول معه.

ثم قال: {فَيَطْمَعَ الذى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ} يعني: فجور. وقال عكرمة هو شهوة الزنى. ويقال: الميل إلى المعصية {وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} يعني: صحيحاً جميلاً. ويقال: قولاً حسناً يعني: ليناً. ويقال: لا يقلن باللين فيفتن، ولا بالخشن فتؤذين {وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} بين ذلك.

قال عز وجل: {وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ} قرأ نافع وعاصم {وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ} بالنصب. والباقون: بالكسر. فمن قرأ بالكسر فمعناه: اسكن في بيوتكنَّ بالوقار.

وهو من وقر يقر وقاراً. ويقال: هو من التقرير. ويقال: قر يقر وأصلهُ قررن. ولكن المضاعف يراد به التخفيف. فحذف إحدى الراءين للتخفيف. فلما طرحوا إحدى الراءين، استثقلوا الألف ولم تكن أصلية، وإنما دخلت للوصل. فحذفت الألف. ومن قرأ {وَقَرْنَ} بنصب القاف لا يكون إلا للتقرير.

ثم قال: {وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الاولى} يعني: لا تتزين كتزين الجاهلية الأولى. والتبرج إظهار الزينة. ويقال: التبرج: الخروج من المنزل. و{الجاهلية الاولى} قال الكلبي: يعني: الأزمنة التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام. فكانت المرأة من أهل ذلك الزمان تتخذ الدروع من اللؤلؤ، ثم تمشي وسط الطريق. وكان ذلك في زمن النمرود الجبار.

وروي عن الحكم بن عيينة قال {الجاهلية الاولى} كانت بين نوح وآدم عليهما السلام. وكانت نساؤهم أقبح ما يكون من النساء، ورجالهم حسان. وكانت المرأة تريد الرجل على نفسها. وروى عكرمة عن ابن عباس أن {الجاهلية الاولى} كانت بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة. وقال مقاتل: الجاهلية الأولى كانت قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم. وإنما سمى جاهلية الأولى لأنه كان قبله.

ثم قال: {وَقَرْنَ فِى} يعني: أتممن الصلوات الخمس {وَقَرْنَ فِى} يعني: إن كان لكن مال {وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ} فيما ينهاكن وفيما يأمركن {إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرجس} يعني: الإثم. وأصله في اللغة كل خبيث من المأكول وغيره. {أَهْلَ البيت} يعني: يا أهل البيت وإنما كان نصباً للنداء. ويقال: إنما صار نصباً للمدح. ويقال: صار نصباً على جهة التفسير، فكأنه يقول: أعني أهل البيت. وقال: {عَنْكُمْ} بلفظ التذكير، ولم يقل: عنكن لأن لفظ أهل البيت يصلح أن يذكر ويؤنث.

قوله {وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً} يعني: من الإثم والذنوب.

▲ تفسير الآيات رقم [34- 36]

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا (35) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36)}

قوله عز وجل: {واذكرن مَا يتلى فِى بُيُوتِكُنَّ} يعني: احفظن ما يقرأ عليكن {مِنْ آيات الله} يعني: القرآن {والحكمة} يعني: أمره ونهيه في القرآن. فوعظهن ليتفكرون.

ثم قال: {إِنَّ الله كَانَ لَطِيفاً} لطيف علمه، فيعلم حالهن إن خضعن بالقول. ويقال: لطيفاً أمر نبيه بأن يلطف بهن {خَبِيراً} يعني: عالماً بأعمالهن.

قوله عز وجل: {إِنَّ المسلمين والمسلمات} وذلك أن أم سلمة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه، فأخشى أن لا يكون فيهن خير، ولا لله عز وجل فيهن حاجة؟ فنزل {إِنَّ المسلمين والمسلمات} ويقال: إن النساء اجتمعن وبعثن أنيسة رسولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقالت: إن الله تبارك وتعالى خالق الرجال والنساء، وقد أرسلك إلى الرجال والنساء، فما بال النساء ليس لهن ذكر في الكتاب فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: لما ذكر الله عز وجل أزواج النبي يعني: دخل نِسَاءٌ مسلماتٌ عليهن، فقلن: ذكرتن ولم نذكر. ولو كان طفينا خير ذكرنا. فنزلت هذه الآية {إِنَّ المسلمين والمسلمات} يعني: المسلمين من الرجال، والمسلمات من النساء. {والمؤمنين} يعني: المصدقين الموحدين من الرجال {والمؤمنات} يعني: المصدقات الموحدات من النساء {والقانتين} يعني: المطيعين، وأصل القنوت القيام. ثم يكون للمعاني، ويكون للطاقة. كقوله {والقانتين} ويكون للإقرار بالعبودية كقوله: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكتاب لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إيمانكم كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحق فاعفوا واصفحوا حتى يَأْتِىَ الله بِأَمْرِهِ إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} [البقرة: 109] {وَلَهُ مَن فِى السماوات والارض كُلٌّ لَّهُ قانتون} [البقرة: 116 والروم: 26] {والقانتات} أي: المطيعات من النساء {والصادقين} يعني: الصادقين في إيمانهم من الرجال {والصادقات} من النساء {والصابرين والصابرات} على أمر الله تعالى من الرجال والنساء {والخاشعين والخاشعات} يعني: المتواضعين من الرجال والنساء {والمتصدقين والمتصدقات} يعني: المنفقين أموالهم في طاعة الله من الرجال والنساء {والصائمين والصائمات} قال مقاتل: من صام رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات.

ثم قال: {والحافظين فُرُوجَهُمْ والحافظات} يعني: من الفواحش من الرجال والنساء {والذكرين الله كَثِيراً والذكرات} يعني: باللسان من الرجال والنساء. فذكر أعمالهم.
ثم ذكر ثوابهم فقال: {أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً} في الدنيا لذنوبهم {وَأَجْراً عَظِيماً} في الآخرة وهو الجنة.
قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ} الآية. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزينب بنت جحش الأسدية وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب:
»إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُزَوِّجَكِ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ». فقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي. وأنا أرفع قريش لأنني من قريش وابنة عمتك. فنزل {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ} يعني: ما جاز لمؤمن يعني: زيد بن حارثة، {وَلاَ مُؤْمِنَةٍ} يعني: زينب بنت جحش {إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً} يعني: حكم حكماً في تزويجهما {أَن يَكُونَ لَهُمُ الخيرة مِنْ أَمْرِهِمْ} يعني: اختيار من أمرهم بخلاف ما أمر الله ورسوله. قرأ حمزة والكسائي وعاصم: أن يكون بالياء بالتذكير. وقرأ الباقون: بالتاء بلفظ التأنيث. فمن قرأ بالتاء: فلأن لفظ الخيرة مؤنث. ومن قرأ بالياء: فإنه ينصرف إلى المعنى، ومعناهما الاختيار لتقديم الفعل {وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضلالا مُّبِيناً} فلما سمعت زينب بنت جحش نزول هذه الآية قالت: أطعتك يا رسول الله.

تفسير الآيات رقم [37- 39]

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)}
ثم قال عز وجل: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنعَمَ الله عَلَيْهِ} يعني: زيد بن حارثة قد أنعم الله عز وجل عليه بالإسلام {وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} بالعتق {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} قال قتادة: جاء زيد بن حارثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن زينب

اشتد عليّ لسانها، وإني أريد أن أطلقها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ الله {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ}». وكان يحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلقها. وخشي مقالة الناس أن أمره بطلاقها فنزلت هذه الآية.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى زيد بن حارثة يطلبه في حاجة له. فإذا زينب بنت جحش قائمة في درع وخمار. فلما رآها أعجبته ووقعت في نفسه. فقال: «سُبْحَانَ الله مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي». فلما سمعت زينب جلست. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما جاء زيد ذكرت ذلك له. فعرف أنها أعجبته ووقعت في نفسه، وأعجب بها رسول الله. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله: إنَّ زينب امرأة فيها كبر، تعصي أمري، ولا تبرُّ قسمي، فلا حاجة لي فيها. فقال له: «اتَّقِ الله يَا زَيْدُ فِي أَهْلِكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». وكان يحب أن يطلقها. فطلّقها زيد ونزلت هذه الآية {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتق الله}. {وَتُخْفِي فِى نِفْسِكَ} يعني: تسر في نفسك ليت أنه طلقها {مَا الله مُبْدِيهِ} يعني: مظهره عليك حتى ينزل به قرآناً {وَتَخْشَى الناس} يعني: تستحي من الناس. ويقال: {وَتَخْشَى} مقالة الناس {والله أَحَقُّ أَن تخشاه} في أمرها. قال الحسن: ما أنزل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد منها، ولو كان كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها.

ثم قال: {فَلَمَّا قضى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً} يعني: حاجة {زوجناكها} فلما انقضت عدتها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم. قال الحسن: فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول: أما أنتن فزوّجكن آباؤكن. وأما أنا فزوجني رب العرش تعني: قوله: {زوجناكها} {لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَى المؤمنين حَرَجٌ} يعني: لكيلا يكون على الرجل حرج بأن يتزوج امرأة ابنه الذي يتبنّاه {فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً} يعني: حاجة {وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً} تزوُّج النبي صلى الله عليه وسلم إياها كائن لا بد واللام للزيادة، وكي مثله فلو كان أحدهما، لكان يكفي ولكن يجوز أن يجمع بين حرفين زائدين إذا كانا جنسين.

وإنما لا يجوز إذا كانا من جنس واحد كما قال {فَاطِرُ السماوات والارض جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أزواجا وَمِنَ الانعام أزواجا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ وَهُوَ السميع البصير} [الشورى: 11] ولا يصلح أن يقال: مثل مثل أو كي كي فإذا كانا جنسين جاز. فقالت اليهود والمنافقون: يا محمد تنهى عن تزوج

امرأة الابن ثم تتزوجها. فنزل قوله عز وجل: {مَّا كَانَ عَلَى النبى مِنْ حَرَجٍ} يقول: ليس على النبي إثم {فِيمَا فَرَضَ الله لَهُ} يعني: في الذي رخص الله عز وجل من تزوج زينب {سُنَّةَ الله فِى الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلُ} يعني: هكذا سنة الله في الذين مضوا يعني: في كثرة تزوج النساء كما فعل الأنبياء عليهم السلام {وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً} يعني: قضاء كائناً.

قوله عز وجل: {الذين يُبَلّغُونَ رسالات الله} قال مقاتل: يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وحده. ويقال: ينصرف إلى قوله: {سُنَّةَ الله فِى الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلُ} {الذين يُبَلّغُونَ رسالات الله}. {وَيَخْشَوْنَهُ} في كتمان ما أظهر الله عليهم {وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً} في البلاغ {إِلاَّ الله وكفى بالله حَسِيباً} يعني: شهيداً بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلّغ الرسالة عن الله عز وجل ويقال: شهيداً يعني: حفيظاً.

▲ تفسير الآيات رقم [40- 48]

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (44) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (48)}

قوله عز وجل: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مّن رّجَالِكُمْ} يعني: بالتبني. وليس بأب لزيد بن حارثة {ولكن رَّسُولَ الله} يعني: ولكنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال: لم يكن أب الرجال لأن بنيه ماتوا صغاراً، ولو كان الرجال بنيه لكانوا أنبياء، ولا نبي بعده.

فذلك قوله: {وَخَاتَمَ النبيين} قرأ بعضهم ولكن {رَسُولِ الله} بضم اللام، ومعناه: ولكن هو رسول الله وكان {وَيَقْتُلُونَ النبيين} وقرأ عاصم في إحدى الروايتين {وَخَاتَمَ النبيين} بنصب التاء. وقرأ الباقون: بالكسر. فمن قرأ بالكسر يعني: آخر النبيين. ومن قرأ بالنصب فهو على معنى إضافة الفعل إليه. يعني: أنه ختمهم وهو خاتم. قال أبو عبيد: وبالكسر نقرأ لأنه رويت

الآثار عنه أنه قال «أَنَا خَاَتَمُ النَّبِيِّين» فلم يسمع أحد من فقهائنا يروون إلا بكسر التاء.
{وَكَانَ الله بِكُلّ شَئ عَلِيماً} بمن يصلح للنبوة، وبمن لا يصلح. فإن قيل: كيف يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يظهر من نفسه، خلاف ما في قلبه. قيل له: يجوز مثل هذا لأن في قوله {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتق الله} أمر بالمعروف وفيه ردّ النفس عما تهوى. وهذا عمل الأنبياء والصالحين عليهم السلام. وقال بعضهم: للآية وجه آخر وهو أن الله تعالى قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تكون زوجته. فلما زوّجها من زيد بن حارثة لم يكن بينهما ألفة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهاه عن الطلاق، ويخفي في نفسه ما أخبره الله تعالى. وقال: بأنها تكون زوجته. فلما طلقها زيد بن حارثة، كان يمتنع من تزوجها، خشية مقالة الناس، يتزوج امرأة ابنه المتبنى به. فأمره الله عز وجل بأن يتزوجها، ليكون ذلك سبب الإباحة لنكاح امرأة الابن المتبنى لأمته ونزل {وَإِذْ تَقُولُ للذى أَنعَمَ الله عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتق الله وَتُخْفِى فِى نِفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ وَتَخْشَى الناس والله أَحَقُّ أَن تخشاه فَلَمَّا قضى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زوجناكها لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى المؤمنين حَرَجٌ فى أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً} [الأحزاب: 37] الآية. ثم قال تعالى: {عَلِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً} يعني: اذكروا الله باللسان. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ هِذِه القُلُوبَ لَتَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الحَدِيدُ». قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: «تِلاوَةُ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَكَثْرَةُ ذِكْرِهِ». وذكر أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن شرائع الإسلام قد كثرت، فأنبئني منها بأمر أتشبث به.
فقال: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ». ويقال: ليس شيء من العبادات أفضل من ذكر الله تعالى، لأنه قدر لكل عبادة مقداراً، ولم يقدر للذكر، وأمر بالكثرة فقال: {اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً} يعني: اذكروه في الأحوال كلها. لأن الإنسان لا يخلو من أربعة أحوال. إما أن يكون في الطاعة، أو في المعصية، أو في النعمة، أو في الشدة. فإذا كان في الطاعة ينبغي أن يذكر الله عز وجل بالإخلاص، ويسأله القبول والتوفيق. وإذا كان في المعصية ينبغي أن يذكر الله عز وجل بالامتناع عنها، ويسأل منه التوبة منها والمغفرة. وإذا كان في النعمة يذكره بالشكر؛ وإذا كان في الشدة يذكره بالصبر.

ثم قال تعالى: {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} يعني: غدواً وعشياً. يعني: صلوا لله بالغداة والعشي. يعني: الفجر والعصر. ويقال: بالغداة. يعني: صلوا أول النهار وهي صلاة الفجر {وَأَصِيلاً} يعني: صلوا آخر النهار، وأول النهار. وهي صلاة الظهر والعصر، والمغرب، والعشاء.
ثم قال عز وجل: {هُوَ الذى يُصَلّى عَلَيْكُمْ} يقول: هو الذي يرحمكم ويغفر لكم {وَمَلَئِكَتُهُ} أي: يأمر الملائكة عليهم السلام بالاستغفار لكم {لِيُخْرِجَكُمْ مّنَ الظلمات إِلَى النور} يعني: أخرجكم من الكفر إلى الإيمان ووفّقكم لذلك. اللفظ لفظ المستأنف، والمراد به الماضي يعني: أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ونّور قلوبكم بالمعرفة. ويقال: معناه ليثبتكم على الإيمان ويمنعكم عن الكفر. ويقال: {لِيُخْرِجَكُمْ مّنَ الظلمات} يعني: من المعاصي إلى نور التوبة، والطهارة من الذنوب. ويقال: من ظلمات القبر إلى نور المحشر. ويقال: من ظلمات الصراط إلى نور الجنة. ويقال: من ظلمات الشبهات إلى نور البرهان والحجة.
ثم قال: {وَكَانَ بالمؤمنين رَحِيماً} يعني: بالمصدقين الموحدين {رَّحِيماً} يرحم عليهم.
ثم قال عز وجل: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سلام} قال مقاتل: يعني: يلقون الرب في الآخرة بسلام. وقال الكلبي: تجيبهم الملائكة عليهم السلام على أبواب الجنة بالسلام. فإذا دخلوها، حيًّا بعضهم بالسلام. وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام. ويقال: يعني: يسلم بعضهم على بعض. ويقال: يسلمون على الله تعالى.
{وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً} يعني: جزاءً حسناً في الجنة. ويقال: مساكن في الجنة حسنة.
قوله عز وجل: {كَرِيماً ياأيها النبى إِنَّا أرسلناك شَاهِداً} يعني: شهيداً على أمتك بالبلاغ {وَمُبَشّراً} بالجنة لمن أطاع الله في الآخرة وفي الدنيا بالنصرة {وَنَذِيرًا} من النار يعني: مخوفاً لمن عصى الله عز وجل {وَدَاعِياً إِلَى الله} يعني: أرسلناك داعياً إلى توحيد الله ومعرفته {بِإِذْنِهِ} يعني: بأمره {وَسِرَاجاً مُّنِيراً} يعني: أرسلناك بسراج منير، لأنه يضيء الطريق. فهذه كلها صارت نصباً لنزع الخافض.
ثم قال عز وجل: {وَبَشّرِ المؤمنين} يعني: بشّر يا محمد المصدقين بالتوحيد {بِأَنَّ لَهُمْ مّنَ الله فَضْلاً كِبِيراً} في الجنة. وذلك أنه لما نزل قوله عز

وجل: {وَعَدَكُمُ الله مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه وَكَفَّ أَيْدِىَ الناس عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءايَةً لّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صراطا مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 20] فقال المؤمنون: هذا لك. فما لنا؟ فنزل قوله تعالى: {بَشّرِ المنافقين بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [النساء: 138] في الجنة فلما سمع المنافقون ذلك قالوا فما لنا فنزل و{بَشّرِ المنافقين بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [النساء: 138]. ثم رجع إلى ما ذكر في أول السورة فقال تعالى: {وَلاَ تُطِعِ الكافرين} من أهل مكة {والمنافقين} من أهل المدينة {وَدَعْ أَذَاهُمْ} أي: تجاوز عن المنافقين، ولا تقتلهم. ويقال: ودع أذاهم يعني: اصبر على أذاهم. وإن خوفك شيء منهم فتوكل على الله يعني: فوض أمْرك إلى الله. وروى الأعمش عن سفيان بن سلمة عن ابن مسعود. وقال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة. فقال رجل من الأنصار: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فأخبر بذلك، فاحمر وجهه، فقال: «رَحِمَ الله أخِي مُوسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذا فَصَبَرَ». ثم قال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الله وكفى بالله وَكِيلاً} يعني: حافظاً نصيراً.

▲ تفسير الآيات رقم [49- 50]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (49) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (50)}

وقوله عز وجل: {وَكِيلاً ياأيها الذين ءامَنُواْ إِذَا نَكَحْتُمُ المؤمنات ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ} قرأ حمزة والكسائي {تماسوهن} وقرأ الباقون {لَمْ تَمَسُّوهُنَّ} مثل الاختلاف الذي ذكرنا في سورة البقرة {فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ} يعني: ليس للأزواج عليهن عدة {تَعْتَدُّونَهَا} وإنما خصّ المؤمنات، لأن نكاح المؤمنات كان مباحاً في ذلك الوقت. فلما أحلّ الله تعالى نكاح الكتابيات، صار حكم الكتابية وحكم المؤمنة في هذا سواء إذا طلقها قبل أن يخلو بها لا عدة عليها بالإجماع. وإن طلقها بعد ما خلا بها، ولم يدخل بها فقد روي عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: لا عدة عليها. وقال عمر

وعلي ومعاذ وزيد بن ثابت وجماعة منهم رضي الله عنهم أن عليها العدة، وهو أحوط الوجهين، أنه إذا خلا بها ولم تكن المرأة حائضاً، ولم يكن أحدهما مريضاً، ولا محرماً ولا صائماً صوم فرض، يجب على الزوج المهر كاملاً، وعليها العدة احتياطاً.
وأما إذا كانت المرأة حائضاً أو مريضة أو محرمة أو صائمة عن فرض أو الرجل مريض أو صائم عن فرض أو محرم فطلقها بعد الخلوة قبل الدخول، فعليه نصف المهر، وعليها العدة احتياطاً.
ثم قال: {فَمَتِّعُوهُنَّ} يعني: متعة الطلاق ثلاثة أثواب وهي مستحبة غير واجبة {وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً} يعني: خلوا سبيلهن تخلية حسنة وهو أن يعطيها حقها.
قوله عز وجل: {جَمِيلاً ياأيها النبى إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أزواجك} يعني: نساءك {ياأيها النبى إِنَّا} يعني: أعطيت مهورهن، لأن غيره كان له أكثر من أربع نسوة أمره أن يترك ما زاد على الأربع، وقد أحلّ للنبي صلى الله عليه وسلم إمساك التسع ولم يأمره بالفرقة. {وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} يعني: أحللنا لك من الإماء مثل مارية القبطية {مِمَّا أَفَاء الله عَلَيْكَ} من الغنيمة يعني: أعطاك الله كقوله تعالى: {مَّآ أَفَآءَ الله على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كَى لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الاغنيآء مِنكُمْ وَمَآ ءاتاكم الرسول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنْهُ فانتهوا واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العقاب} [الحشر: 7].
ثم قال: {وَبَنَاتِ عَمّكَ} يعني: أحللنا لك نكاح بنات عمك {وَبَنَاتِ عماتك وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خالاتك اللاتى هاجرن مَعَكَ} يعني: هاجرن معه من مكة إلى المدينة أو قبله أو بعده.
ثم قال: {وامرأة مُّؤْمِنَةً} يعني: أحللنا لك امرأة مؤمنة {إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيّ} صلى الله عليه وسلم وقرأ الحسن {إِن وَهَبَتْ} بنصب الألف ومعناه إذا وهبت ويكون ذلك الفعل خاصة لامرأة واحدة.
وقراءة العامة إن بالكسر فيكون معناه لكل امرأة إن فعلت ذلك في المستقبل. قال مقاتل: وذلك أن أم شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم بغير مهر كذا قال الكلبي. وروى معمر عن الزهري في قوله: {إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيّ} قال: بلغنا أن ميمونة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ووهبت سودة يومها لعائشة رضي الله عنها وروى وكيع عن موسى بن عبيدة، عن

محمد بن كعب القرظي وعمرو بن الحكم، وعبد الله بن عبيدة قال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشر امرأة. ستة من قريش. خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية. وثلاثاً من بني عامر، وامرأتين من بني هلال ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. وزينب أم المساكين، وامرأة من بني بكر وهي التي اختارت الدنيا. وامرأة من بني الحزن من كندة وهي التي استعاذت منه.

وقال يحيى بن أبي كثير تزوج أربعة عشر. خديجة وسودة وعائشة. تزوج هؤلاء الثلاث بمكة. وتزوج بالمدينة زينب بنت خزيمة، وأم سلمة، وجويرية من بني المصطلق. وميمونة بنت الحارث، وصفية بنت حيي بن أخطب، وزينب بنت جحش وكانت امرأة زيد بن حارثة، وعالية بنت ظبيان، وحفصة، وأم حبيبة، والكندية، وامرأة من كلب.

وروى الزهري عن عروة قال: لما دخلت الكندية على النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أعوذ بالله منك. فقال: «لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك».

ثم قال عز وجل: {إِنْ أَرَادَ النبى أَن يَسْتَنكِحَهَا} يعني: أن يتزوجها بغير صداق {خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين} يعني: خالصاً للنبي صلى الله عليه وسلم بغير مهر، ولا يحل لغيره. وقال الزهري: الهبة كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، ولا تحل لأحد أن تهب له امرأة نفسها بغير صداق.

وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال: لم تحل الموهوبة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم. واختلف الناس في جواز النكاح. قال أهل المدينة باطل. وقال أهل العراق: النكاح جائز، ولها مهر مثلها. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أجاز ذلك. وروى هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن خولة بنت حكيم وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت من المهاجرات الأول. وقال القتبي: العرب تخبر عن غائب، ثم ترجع إلى الشاهد فتخاطبه، كما قال هاهنا: {إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىّ} بلفظ الغائب ثم قال: {خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين}.

ثم قال: {قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ} يعني: ما أوجبنا عليهم {فِى أزواجهم} يعني: في أن لا يتزوجوا إلا بالمهر. ويقال: إلا أربعاً {وَمَا مَلَكَتْ أيمانهم} ويقال: يعني إلا ما لا وقت فيهن {لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ} في الهبة بغير

مهر. وفي الآية ومعناه: أنا أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم لكي لا يكون عليك حرج.
ثم قال: {وَكَانَ الله غَفُوراً} يعني: غفوراً فيما تزوج قبل النهي {رَّحِيماً} في تحليل ذلك.

تفسير الآيات رقم [51- 55]

{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (51) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (52) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (54) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (55)}
قوله عز وجل: {تُرْجِى مَن تَشَاء مِنْهُنَّ} قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: {ترجئ} بالهمزة. وقرأ الباقون: بغير الهمز. كلاهما في اللغة واحد، وأصله من التأخير. يقول: تؤخر من تشاء منهن ولا تتزوجها {مِنْهُنَّ وَتُؤْوِى إِلَيْكَ مَن تَشَاء} يعني: تضم فتتزوجها لخيره في تزويج القرابة. ويقال: تطلق من تشاء منهن، وتمسك من تشاء.
وقال قتادة: جعله في حل أن يدع من يشاء منهن، ويضم إليه من يشاء. يعني: إن شاء جعل لهن قسماً، وإن شاء لم يجعل. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم. وقال الحسن: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة فليس لأحد أن يخطبها حتى يتزوجها أو يدعها، وفي ذلك نزل: {تُرْجِى مَن تَشَاء مِنْهُنَّ}.
ثم قال: {وَمَنِ ابتغيت مِمَّنْ عَزَلْتَ} يعني: أشرت ممن تركت {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ} يعني: لا إثم عليك {ذَلِكَ أدنى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ} أي: ذلك أجدى وأجدر

إذا علمن أنك تفعل بأمر الله أن تطمئن قلوبهن {وَلاَ يَحْزَنَّ} مخافة الطلاق {وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ} من النفقة، إذا علمن أنه من الله عز وجل. وقرئ في الشاذ: {كُلُّهُنَّ} بالنصب صار نصباً لوقوع الفعل عليه وهو الإعطاء. وتقرأه العامة: {كُلُّهُنَّ والله} بالضم. ومعناه: يرضين كلهن بما أعطيتهن.

ثم قال: {والله يَعْلَمُ مَا فِى قلُوبِكُمْ} من الحب والبغض {وَكَانَ الله عَلِيماً} بما في قلوبكم {حَلِيماً} بالتجاوز.

قوله عز وجل: {لاَّ يَحِلُّ لَكَ النساء مِن بَعْدُ} قال مجاهد: أي لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات {مِن بَعْدِ}، يعني: من بعد المسلمات، {وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ}. يقول: لا تبديل اليهوديات، ولا النصرانيات على المؤمنات. يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك من اليهوديات والنصرانيات يتسرى بهن. قال الحسن وابن سيرين: خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم، نساءه بين الدنيا والآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فشكر الله لهن على ذلك، فحبسه عليهن. فقال: {لاَّ يَحِلُّ لَكَ النساء مِن بَعْدُ} {وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ} يعني: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن، وتتزوج غيرها. قرأ أبو عمرو: {لاَ تُحِلُّواْ} بالتاء بلفظ التأنيث. وقرأ الباقون: بالياء، بمعنى لا يحل لك من النساء شيء. ويقال: معناه لا تحل لجميع النساء. فمن قرأ: بالتاء بالتأنيث يعني: جماعة النساء.

ثم قال: {وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} يعني: أسماء بنت عميس أراد أن يتزوجها، فنهاه الله تعالى عز وجل عن ذلك، فتركها وتزوجها أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم {إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} من السريات {وَكَانَ الله على كُلّ شَئ رَّقِيباً} من أمر التزويج {رَقِيباً} يعني: حفيظاً.

وروى عمرو بن دينار، عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حلّ له النساء بعد قوله: {لاَّ يَحِلُّ لَكَ النساء}.

قوله عز وجل: {رَّقِيباً يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النبى} وذلك أن أناساً من المسلمين كانوا يتحينون غذاء النبي صلى الله عليه وسلم، ويدخلون عليه بغير إذن، ويجلسون وينتظرون الغداء، وإذا أكلوا جلسوا طويلاً، ويتحدثون طويلاً، فأمرهم الله عز وجل بحفظ الأدب فقال: {لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ

النبى} {إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعَامٍ} يعني: إلا أن يدعوكم ويأذن لكم في الدخول {غَيْرَ ناظرين إناه} يعني: من غير أن تنتظروا وقته. ويقال: أصله إدراك الطعام يعني: غير ناظرين إدراكه. ويقال: {إناه} يعني: نضج الطعام. ثم قال: {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فادخلوا} يعني: إذا دعاكم إلى الطعام فادخلوا بيته {فَإِذَا طَعِمْتُمْ} الطعام {فانتشروا} يعني: تفرقوا {وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} أي: لا تدخلوا مستأنسين للحديث {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النبى فَيَسْتَحْيِى مِنكُمْ} أن يقول لكم تفرقوا {والله لاَ يَسْتَحْيِ مِنَ الحق} يعني: من بيان الحق أن يأمركم بالخروج بعد الطعام.

قال الفقيه أبو الليث: في الآية حفظ الأدب والتعليم أن الرجل إذا كان ضيفاً لا ينبغي أن يجعل نفسه ثقيلاً، ولكنه إذا أكل ينبغي أن يخرج.

ثم قال: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ متاعا} يعني: إذا سألتم من نسائه متاعاً {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ} ولا تدخلوا عليهن، واسألوا من خلف الستر. ويقال: خارج الباب {ذلكم أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} من الريبة.

ثم قال: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ الله} قال: وذلك أن طلحة بن عبيد الله قال: لئن مات محمد لأتزوجن بعائشة فنزل: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ الله} {وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً} يعني: ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد وفاته أبداً {إِنَّ ذلكم كَانَ عِندَ الله عَظِيماً} في العقوبة.

ويقال: إنما نهى عن ذلك لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة. وروي عن حذيفة أنه قال لامرأته: إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها. ولذلك حرم الله تعالى على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجن بعده. وروي أن أم الدرداء قالت لأبي الدرداء عند موته إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا فأنكحاك. وإني أخطبك إلى نفسي في الآخرة فقال لها فلا تنكحي بعدي، فخطبها معاوية بن أبي سفيان فأخبرته بالذي كان، وأبت أن تتزوجه.

وروي في خبر آخر بخلاف هذا أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المرأة منا كان لها زوجان لأيهما تكون في الآخرة؟ فقال: «إِنَّهَا تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمَا خُلُقاً مَعَهَا».

ثم قال: «يا أَمَّ حَبِيبَةَ إِنَّ حُسْنَ الخُلُقِ ذَهَبَ بالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

ثم قال عز وجل: {إِن تُبْدُواْ شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ} يعني: إن تظهروا من أمر التزويج شيئاً أو تسروه وتضمروه {فَإِنَّ الله كَانَ بِكُلّ شَئ عَلِيماً} من السر والعلانية. يعلم ما أعلنتم وما أخفيتم، يجازيكم به.

ثم خصّ الدخول على نساء ذوات محرم بغير حجاب فرخّص في ذلك وهو قوله عز وجل: {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِى ءابَائِهِنَّ} يعني: من الدخول عليهن {وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إخوانهن وَلاَ أَبْنَاء إخوانهن وَلاَ أَبْنَاء أخواتهن وَلاَ نِسَائِهِنَّ} يعني: نساء أهل دينهن {وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} من الخدم {واتقين الله} يعني: اخشين الله، وأطعن الله، فلا يراهن غير هؤلاء {إِنَّ الله كَانَ على كُلّ شَئ شَهِيداً} يعني: عالماً بأعمالهم.

▲ تفسير الآيات رقم [56- 59]

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (58) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ عَلَى النبى} والصلاة من الله الرحمة والمغفرة، ومن الملائكة عليهم السلام الاستغفار. يعني: أن الله عز وجل يغفر للنبي، ويأمر ملائكته بالاستغفار والصلاة عليه.

ثم أمر المسلمين بالصلاة عليه فقال: {النبى ياأيها الذين ءامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ} روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن كعب بن عجرة أنه قال: قلنا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» إلى آخِرِهِ. وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّ الصَّلاة عَلَيَّ زَكَاةٌ لَكُمْ وَاسْأَلُوا الله لِيَ الوَسِيلَةَ». قالوا: وما الوسيلة يا رسول الله؟ قال: «أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ لا يَنَالُهَا إلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ». وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ». ويقال: ليس شيء من العبادات أفضل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لأن سائر العبادات أمر الله تعالى بها عباده. وأما

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد صلى عليه أولاً هو بنفسه، وأمر الملائكة بذلك، ثم أمر العباد بذلك.
ثم قال: {وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} يعني: اخضعوا له خضوعاً. ويقال: ائتمروا بما يأمركم الله تعالى. ويقال: لما نزلت هذه الآية، قال المسلمون: هذا لك فما لنا فنزل: {هُوَ الذى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وملائكته لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظلمات إِلَى النور وَكَانَ بالمؤمنين رَحِيماً} [الأحزاب: 43].
ثم قال عز وجل: {إِنَّ الذين يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ} يعني: اليهود والنصارى حيث قالوا: {وَقَالَتِ اليهود يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طغيانا وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العداوة والبغضآء إلى يَوْمِ القيامة كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله وَيَسْعَوْنَ فِى الارض فَسَاداً والله لاَ يُحِبُّ المفسدين} [المائدة: 64] ونحو ذلك من الكلمات، ويقال: أذاهم الله وهو قولهم: لله ولد ونحو ذلك. وإيذاءهم رسوله أنهم زعموا أنه ساحر ومجنون {لَعَنَهُمُ الله فِى الدنيا} يعني: عذبهم الله في الدنيا بالقتل والسبي {والاخرة} بالنار. ويقال: هم الذين يجعلون التصاوير. ويقولون: تخلق كما يخلق الله تعالى {وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً} يهانون فيه.
ثم قال عز وجل: {والذين يُؤْذُونَ المؤمنين والمؤمنات بِغَيْرِ مَا اكتسبوا} يعني: بغير جرم {فَقَدِ احتملوا بهتانا} يعني: قالوا كذباً {وَإِثْماً مُّبِيناً} يعني: ذنباً بيّناً.
قال مقاتل: قال السدي: نزلت هذه الآية في أمر عائشة وصفوان. ويقال: في جميع من يؤذي مسلماً بغير حق. وقال عثمان لأبي بن كعب: إني قرأت هذه الآية: {والذين يُؤْذُونَ المؤمنات} فوقعت مني كل موقع، والله إني لأضربهم وأعاقبهم. فقال له أبي: إنك لست منهم، إنك مؤدب معلم.
قوله عز وجل: {مُّبِيناً يأَيُّهَا النبى قُل لازواجك وبناتك} وذلك أن المهاجرين نزلوا في ديار الأنصار، فضاقت الدور عليهم. وكن النساء يخرجن بالليل إلى التخلي يقضين حوائجهن. كان الزناة يرصدون في الطريق، وكانوا يطلبون الولائد، ولم يعرفوا المرأة الحرة من الأمة بالليل. فأمر الحرائر بأخذ الجلباب. وقال الحسن: كن النساء والإماء بالمدينة. يقال لهن: كذا وكذا يخرجن، فيتعرض لهن السفهاء فيؤذونهن، فكانت الحرة تخرج فيحسبون أنها أمة ويؤذونها، فأمر الله تعالى المؤمنات {ءانٍ * يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جلابيبهن}.

وقال القتبي: يلبسن الأردية. ويقال: يعني يرخين الجلابيب على وجوههن. وقال مجاهد: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جلابيبهن} يعني: متجلببين ليعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة.

قوله: {وَنِسَاء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جلابيبهن ذلك أدنى أَن يُعْرَفْنَ} يعني: أحرى {فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} إذا تابوا ورجعوا، ثم وعد المنافقين وخوّفهم لينزجروا عن الحرائر أو الإماء.

▲ تفسير الآيات رقم [60- 68]

{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62) يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)}

فقال عز وجل: {لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ المنافقون} عن نفاقهم {والذين فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} يعني: الميل إلى الزنى إن لم يتوبوا عن ذلك {والمرجفون فِى المدينة} يعني: الذين يخبرون بالأراجيف. وكانوا يخبرون المؤمنين بما يكرهون من عدوهم. والأراجيف: هي أول الاختيار. وأصل الرجف هو الحركة. فإذا وقع خبر الكذب فإنه يقع الحركة بالناس فسمي إرجافاً. ويقال: الأراجيف تلقح الفتنة. يعني: إن لم ينتهوا عن النفاق وعن الفجور وعن القول بالأراجيف.

{لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} يعني: لنسلطنك عليهم، ويقال: لنحملنك على قتلهم. وروى سفيان عن منصور بن زرين قال: {لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ المنافقون والذين فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ والمرجفون فِى المدينة} هذا كله شيء واحد. يعني: أنه نعتهم بأعمالهم الخبيثة.

{ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً} يعني: لا يساكنوك في المدينة إلا قليلاً حتى أهلكهم. ويقال: إلا جواراً قليلاً. ويقال: إلا قليلاً منهم. وقال قتادة: إن أناساً من المنافقين أرادوا أن يُظْهِرُوا نفاقهم فنزلت هذه الآية.

ثم قال عز وجل: {مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُواْ} يعني: يجعلهم ملعونين أينما وجدوا. فأوجب الله تعالى لهم اللعنة على كل حال أينما وجدوا وأدركوا {أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً} فلما سمعوا بالقتل، انتهوا عن ذلك.

قوله عز وجل: {سُنَّةَ الله فِى الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلُ} يعني: سنة الله في الزناة القتل. ويقال: هذا سنة الله في الذين مضوا من قبل. يعني: الذين أضمروا النفاق بأن يسلط الله عليهم الأنبياء بالقتل {سُنَّةَ الله} {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً} يعني: مبدلاً ومغيراً.

قوله عز وجل: {يَسْئَلُكَ الناس عَنِ الساعة} يعني: عن قيام الساعة وذلك أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله: متى الساعة؟ فقال عليه السلام: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». فنزل {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ الله} يعني: علم قيام الساعة عند الله {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة تَكُونُ قَرِيباً} يعني: سريعاً. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: من أشراط الساعة أن يفتح القول، ويحزن الفعل، وأن ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار. ومعنى يفتح الأقوال: أن يقول أفعل غداً فإذا جاء غداً، خالف قوله وقت الفعل. وأصل الفتح الابتداء، وهو أن يعد لأخيه عدة حسنة ثم يخالفه. وقال عطاء بن أبي رباح: من اقتراب الساعة مطر ولا نبات، وعلو أصوات الفساق في المساجد، وظهور أولاد الزِّنى، وموت الفجأة، وانبعاث الرويبضة يعني: السفلة من الناس. وقوله: {لَعَلَّ الساعة تَكُونُ قَرِيباً} ولم يقل قريبة، لأنها جعلت ظرفاً وبدلاً ولم تجعل نعتاً وصفة.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله لَعَنَ الكافرين} يعني: خذلهم وطردهم من رحمته {وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً} يعني: جهنم.

ويقال: لعن الكافرين في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة أعد لهم سعيراً {خالدين فِيهَا أَبَداً لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً} يعني: قريباً ينفعهم {وَلاَ نَصِيراً} أي: مانعاً يمنعهم من العذاب، والسعير في اللغة هو النار الموقدة.

ثم قال عز وجل: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النار} يعني: تحول. يقول: هذا العذاب في {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النار} يعني: تحول عن الحسن إلى القبح من حال البياض إلى حال السواد وزرقة الأعين. ويقال: {تَقَلُّبُ} يعني: تجدد كقوله: {وَمَن يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ والذين ءامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الغالبون} [النساء: 56] فيندمون على فعلهم ويوبخون أنفسهم {يَقُولُونَ ياليتنا ياليتنا أَطَعْنَا الله} فيما أمرنا ونهانا في دار الدنيا {وَأَطَعْنَا الرسولا} فيما دعانا

إلى الحق {وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا} يعني: قادتنا وأشرافنا وعظماءنا {فَأَضَلُّونَا السبيلا} يعني: صرفونا عن طريق الإسلام. ويقال: أضللت الطريق وأضللته عن الطريق بمعنى واحد. قرأ ابن عامر: ساداتنا. وقرأ الباقون: سادتنا جمع سيد وساداتنا جمع الجمع.

ثم قال عز وجل: {رَبَّنَا ءاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العذاب} يعني: زدهم واحمل عليهم. يعني: عذبهم وارفع عنا بعض العذاب، واحمل عليهم فإنهم هم الذين أضلونا {والعنهم لَعْناً كَبِيراً} قرأ عاصم وابن عامر في إحدى الروايتين {كَبِيراً} بالباء من الكبر والعظم يعني: عذبهم عذاباً عظيماً. وقرأ الباقون: {كَثِيراً} من الكثرة، يعني: عذبهم عذاباً كثيراً دائماً.

▲ تفسير الآيات رقم [69- 73]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (69) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73)}

قوله عز وجل: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كالذين ءاذَوْاْ موسى} عليه السلام يعني: لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أخبرني الثقة، بإسناده عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى سَوْأَةِ بَعْض، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: والله مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إلاّ أَنَّهُ آدَرُ. فَذَهَبَ مُوسَى مَرَّةً يَغْتَسِلُ. فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَر. فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ. فَخَرَجَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ: حَجَرْ ثَوْبِي، حَجَرْ ثَوْبِي حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى. فَقَالُوا: وَالله ما بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ. فَقَامَ الحَجَرُ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْباً». فقال أبو هريرة: ستة أو سبعاً. والله إن بالحجر لندباً سبعة بضرب موسى، وذلك قوله: {فَبرَّأَهُ الله مِمَّا قَالُواْ} ويقال: إن موسى وهارون وابني هارون خرجوا فتوفي هارون في تلك الخرجة، فلما رجع

موسى إلى قومه قالت السفهاء من بني إسرائيل لموسى: أنت قتلت هارون. فخرج موسى مع جماعة من بني إسرائيل. فأحيا الله تعالى هارون عليه السلام فأخبر أنه لم يقتله أحد، وأنه مات بأجله فذلك قوله تعالى: {فَبرَّأَهُ الله مِمَّا قَالُواْ} {وَكَانَ عِندَ الله وَجِيهاً} يعني: مكيناً وكان له جاه عنده منزلة وكرامة. ثم قال عز وجل: {مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا الله} يعني: أطيعوا الله واخشوا الله {وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} يعني: عدلاً صواباً فيما بينكم وهو قولهم ابن فلان فأمرهم أن ينسبوهم إلى آبائهم. ويقال: {قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} يعني: لا إله إلا الله. ويقال: قولاً مخلصاً {يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالكم} يعني: يقبل أعمالكم {وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} في السر والعلانية {فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} يعني: نجى بالخير وأصاب نصيباً وافراً.

قوله عز وجل: {إِنَّا عَرَضْنَا الامانة عَلَى السموات والارض والجبال} قال مجاهد: لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام عرض عليه الأمانة فحملها، فما كان بين أن حملها، وبين أن أخرج من الجنة، إلا كما بين الظهر والعصر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: {إِنَّا عَرَضْنَا الامانة} يعني: الفرائض على السموات والأرض والجبال. فقال لهن: يأخذن بما فيها. فقلنا: وما فيه يا رب؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن. وإن أسأتن عوقبتن. فقلن: يا رب إن تعرضها علينا فلا نريد، وإن أمرتنا بها فنحن نجتهد.

وعرضت على الإنسان يعني: آدم عليه السلام فقبلها وحملها. وقال بعضهم: هذا على وجه المثل إن لم تظهر الخيانة في الأمانة إلا من الإنسان. فلم تظهر من السموات والأرض والجبال كما قال: {لَوْ أَنزَلْنَا هذا القرءان على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خاشعا مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ الله وَتِلْكَ الامثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21] فكأنه يقول: لو عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال لأبين حملها {وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان} يعني: آدم وذريته {إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} بالقبول. وروي عن الحسن أنه قال: عرض على السموات عرض تخيير لا عرض إيجاب. فلذلك لم تعص بترك قبولها ويقال: {عَرَضْنَا الامانة عَلَى السموات} يعني: على ملائكة السموات والأرض والجبال. كما قال: {واسئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعير التى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لصادقون} [يوسف: 82] يعني: أهل القرية. وقال السدي: لما أراد أن يحج، عرض الأمانة يعني: أمر ولده شِيث وقابيل وهابيل فعرض على قابيل الكخداذبية والائتمار، والقيام في شغل الدنيا، والعيش حتى يرجع هو

من الحج إلى وطنه. فقبله ثم خانه، فقتل أخاه. وإنما كان عرض آدم بأمر الله تعالى فلذلك قال: {عَرَضْنَا}. وقال بعضهم: إن الله عز وجل لما استخلف آدم على ذريته، وسلّطه على جميع ما في الأرض من الأنعام والوحوش والطير، عهد إليه عهداً أمره فيه، ونهاه فقبله. ولم يزل عاملاً به إلى أن حضرته الوفاة. فسأل ربه أن يعلمه من يستخلف بعده، ويقلده الأمانة. أن يعرض على السموات والأرض بالشرط الذي أخذ عليه من الثواب إن أطاع، ومن العقاب إن عصى {فَأَبَيْنَ} أن يقبلنها شفقاً من عذاب الله. فأمره أن يعرض على الأرض والجبال فكلاهما أبيا، ثم أمره أن يعرض على ولده فقبل بالشرط إنه كان ظلوماً جهولاً لعاقبة ما تقلده يعني: المتقبل الذي تقبله منه.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم قال: {الامانة} ثلاث في الصلاة والصيام والجنابة.

ثم قال عز وجل: {لِّيُعَذِّبَ الله المنافقين والمنافقات} يعني: عرضنا الأمانة على الإنسان لكي يعذب الله المنافقين والمنافقات {والمشركين والمشركات} بما خانوا الأمانة {وَيَتُوبَ الله عَلَى المؤمنين والمؤمنات} بما أوفوا الأمانة {وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} وكان صلة في الكلام يعني والله غفور لذنوب المؤمنين، رحيم بهم. وروى سفيان عن عاصم، عن زر بن حبيش قال: قال أبي بن كعب: كانت سورة الأحزاب لتقارب سورة البقرة أو أطول منها، وكان فيها آية الرجم. قلت: يا أبا المنذر وما آية الرجم؟ فقال: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله العزيز الحكيم، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وسلم.

▲ سورة سبأ

▲ تفسير الآيات رقم [1- 2]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2)}

قول الله تعالى: {الحمد للَّهِ الذى لَهُ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} من الخلق {وَلَهُ الحمد فِى الاخرة} يعني: يحمده أهل الجنة. ويقال: يحمدونه في ستة مواضع. أحدهما حين نودي {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} [يس: 59] فإذا تميز المؤمنون من الكافرين يقولون: {فَإِذَا استويت أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الفلك فَقُلِ الحمد للَّهِ الذى نَجَّانَا مِنَ القوم الظالمين} [المؤمنون: 28] كما قال نوح عليه السلام حين أنجاه الله عز وجل من قومه. والثاني حين جازوا الصراط قالوا: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى أَذْهَبَ عَنَّا الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: 34]. والثالث لما دنوا إلى باب الجنة، واغتسلوا بماء الحيوان، ونظروا إلى الجنة، وقالوا: {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الانهار وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى هَدَانَا لهذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لولا أَنْ هَدَانَا الله لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بالحق ونودوا أَن تِلْكُمُ الجنة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 43]. والرابع لما دخلوا الجنة استقبلتهم الملائكة عليهم السلام بالتحية فقالوا: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الارض نَتَبَوَّأُ مِنَ الجنة حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين} [الزمر: 74] الآية. والخامس حين استقروا في منازلهم وقالوا: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى أَذْهَبَ عَنَّا الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الذى أَحَلَّنَا دَارَ المقامة مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 34، 35]. والسادس كلما فرغوا من الطعام قالوا: {بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم} [الفاتحة: 1]. وقال بعضهم: إنها الذي استوجب الحمد في الآخرة كما استوجب الحمد في الدنيا.

ثم قال: {وَهُوَ الحكيم} حين حكم بالبعث {الخبير} يعني: العليم بهم.

ثم قال عز وجل: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِى الارض} يعني: ما يدخل في الأرض من المطر والأموات والكنوز {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من النبات والكنوز

والأموات {وَمَا يَنزِلُ مِنَ السماء} من مطر أو وحي أو رزق أو مصيبة {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} يعني: يصعد إلى السماء من الملائكة وأعمال بني آدم {وَهُوَ الرحيم} بخلقه {الغفور} بستر الذنوب وتأخير العذاب عنهم.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 5]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5)}

قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا الساعة قُلْ بلى وَرَبّى} قسم أقسم به يعني: بلى والله.

قوله: {لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالم الغيب} قرأ ابن عامر ونافع {عالم} بالضم، جعله رفعاً بالابتداء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: {عالم الغيب} بكسر الميم وهو صفة لله تعالى. وهو قوله: {الحمد للَّهِ} ويقال: ردّه إلى حرف القسم وهو قوله تعالى: {قُلْ بلى وَرَبّى * عالم}. وقرأ حمزة والكسائي {عِلْمَ الغيب} وهو على المبالغة في وصف الله عز وجل بالعلم. ويقال: من قرأ {عالم الغيب} بالضم فهو على المدح ومعناه: هو {عالم الغيب}. ويقال: هو على الابتداء وخبره {لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ} قرأ الكسائي: {لاَ يَعْزِبُ} بكسر الواو. وقرأ الباقون: بالضم، ومعناهما واحد أي: لا يغيب عنه {مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعني: وزن ذرة صغيرة. والذرة النملة الصغيرة الحمراء. ويقال: التي ترى في شعاع الشمس {فِي السموات وَلاَ فِى الارض وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِى كتاب مُّبِينٍ} يعني: قد بيّن الله عز وجل في اللوح المحفوظ {لِيَجْزِىَ} يعني: لكي يثيب {الذين كَفَرُواْ} بأعمالهم في الدنيا {وَعَمِلُواْ الصالحات أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} أي: ثواب حسن في الجنة.

قوله عز وجل: {والذين سَعَوْاْ فِى ءاياتنا} يعني: عملوا في القرآن {معاجزين} يعني: متسابقين ليسبق كل واحد منهم بالتكذيب قرأ أبو عمرو وابن كثير {معاجزين} أي: مثبطين يثبطون الناس عن الإيمان بالقرآن و{أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّن رّجْزٍ أَلِيمٌ} قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص {أَلِيمٌ} بضم الميم وكذلك في الجاثية جعلاه من نعت العذاب يعني:

عذاب أليم من رجز على معنى التقديم. يعني: عذاب شديد. وقرأ الباقون: بالكسر فيكون صفة للرجز يعني: عذاب من العذاب الأليم.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 9]

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9)}

ثم قال عز وجل: {وَيَرَى الذين أُوتُواْ العلم} يعني: أي يعلم الذين أوتوا العلم. وهذا روي في قراءة ابن مسعود: يعني به مؤمني أهل الكتاب يعني: إنهم يعلمون أن {الذى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ} يعني: القرآن {هُوَ الحق وَيَهْدِى} يعني: يدعو ويدل {إلى صِرَاطِ العزيز الحميد} يعني: إلى طريق الرب العزيز بالنقمة لمن لم يجب الرسل الحميد في فعاله.

قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} يعني: كفار أهل مكة {هَلْ نَدُلُّكُمْ على رَجُلٍ} يعني: قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل {يُنَبّئُكُمْ} يعني: يخبركم {إِذَا مُزّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} يعني: يخبركم أنكم إذا متم وتفرقتم في الأرض، وأكلتكم الأرض كل ممزق، يعني: وكنتم تراباً {إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ} يعني: بعد هذا كله صرتم خلقاً جديداً.

قوله عز وجل: {افترى عَلَى الله كَذِبًا} يعني: قالوا: إن الذي يقول إنكم لفي خلق جديد اختلق على الله كذباً {أَم بِهِ جِنَّةٌ} يعني: به جنون.

يقول الله: {بَلِ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} هم كذبوا حين كذبوا بالبعث {فِى العذاب والضلال البعيد} يعني: هم في العذاب في الآخرة. والخطأ الطويل في الدنيا عن الحق.

ثم خوفهم ليعتبروا فقال عز وجل: {أَفَلَمْ يَرَوْاْ إلى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مّنَ السماء والارض} لأن الإنسان حيثما نظر، رأى السماء والأرض. قال قتادة: إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض {إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الارض} يعني: تغور بهم وتبتلعهم الأرض {أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مّنَ السماء} يعني: جانباً من السماء. قرأ حمزة والكسائي: {إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ} أو يسقط الثلاثة كلها بالياء. وقرأ الباقون: كلها

بالنون. فمن قرأ بالياء: فمعناه إن يشأ الله. ومن قرأ بالنون فهو على معنى الإضافة إلى نفسه.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعني: لعبرة {لِّكُلّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} يعني: مقبل إلى طاعة الله عز وجل. ويقال: مخلص القلب بالتوحيد. ويقال: مشتاق إلى ربه. ويقال: {أَفَلَمْ يَرَوْاْ إلى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني: أفلم يعلموا أن الله خالقهم، وخالق السموات والأرض، وهو قادر على أن يخسف بهم إن لم يوحدوا {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} أي: لعلامة لوحدانيتي.

تفسير الآيات رقم [10- 11]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا دَاوُدُ مِنَّا فَضْلاً} يعني: أعطيناه النبوة والملك {فَضْلاً ياجبال أَوّبِى مَعَهُ} يعني: سبحي مع داود. وأصله في اللغة من الرجوع. وإنما سمي التسبيح إياباً لأن المسبح مرة بعد مرة وقال القتبي: أصله التأويب من السير، وهو أن يسير النهار كله، كأنه أراد أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل.

ثم قال: {والطير} وقرئ في الشاذ: {والطير} بالضم. وقراءة العامة بالنصب. فمن قرأ بالضم: فهو على وجهين. أحدهما أن يكون نسقاً على أوبي، والمعنى يا جبال ارجعي بالتسبيح معه أنت والطير. ويجوز أن يكون مرفوعاً على النداء والمعنى أيها الجبال وأيها الطير. ومن قرأ بالنصب فلثلاث معانٍ أحدها لنزع الخافض ومعناه: أوبي معه، ومع الطير. والثاني أنه عطف على قوله: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا دَاوُدُ مِنَّا فَضْلاً} وآتيناه الطير يعني: وسخرنا له الطير. والثالث أن النداء إذا كان على أثره اسم، فكان الأول بغير الألف واللام، والثاني بالألف واللام، فإنه في الثاني بالخيار إن شاء نصبه، وإن شاء رفعه والنصب أكثر كما قال الشاعر

ألاَ يَا زَيْدُ والضَّحَّاكَ سِيْرَا *** فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمرَ الطَّرِيقِ

ورفع زيداً لأنه نداء مفرد، ونصب الضحاك بإدخال الألف واللام.

ثم قال عز وجل: {وَأَلَنَّا لَهُ الحديد} يعني: جعلنا له الحديد مثل العجين {أَنِ اعمل سابغات} يعني: قلنا له اعمل الدروع الواسعة. وكان قبل ذلك صفائح الحديد مضروبة.

ثم قال: {وَقَدِّرْ فِى السرد} قال السدي: {السرد} المسامير التي في خلق الدرع. وقال مجاهد: {وَقَدِّرْ فِى السرد} أي: لا تدق المسامير، فتقلقل في الحلقة، ولا تغلظها فتعصمها، واجعله قدراً بين ذلك. وقال في رواية الكلبي هكذا. وقال بعضهم: هذا لا يصح لأن الدروع التي عملها داود عليه السلام وكانت بغير مسامير، لأنها كانت معجزة له. ولو كان محتاجاً إلى المسمار لما كان بينه وبين غيره فرق. وقد يوجد من بقايا تلك الدروع بغير مسامير، ولكن معنى قوله: {وَقَدِّرْ فِى السرد} أي: قدر في نسخها وطولها وعرضها وضيقها وسعتها. ويقال: {قُدِرَ} في تأليفه والسرد في اللغة تقدمة الشيء إلى الشيء. يأتي منسقاً بعضه إلى أثر بعض، متتابعاً. ويقال: يسرد في الكلام إذا ذكره بالتأليف. ومنه قيل لصانع الدروع: سراد وزراد، تبدل من السين الزاي. وروي عن عائشة أنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم أي: لم يتابع في الحديث كتتابعكم.

ثم قال: {واعملوا صالحا} يعني: أدوا فرائضي وقد خاطبه بلفظ الجماعة كما قال: {ياأيها الرسل كُلُواْ مِنَ الطيبات واعملوا صالحا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51] وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. ويقال: إنه أراد به داود وقومه {إِنّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} يعني: عالم

▲ تفسير الآيات رقم [12- 14]

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (31) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)}

قوله عز وجل: {ولسليمان الريح} قرأ عاصم في رواية أبي بكر {الريح} بالضم وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فمعناه: {وَسَخَّرْنَا لسليمان الريح} كما اتفقوا في سورة الأنبياء {ولسليمان الريح} تكون رفعاً على معنى الخبر.

ثم قال: {الريح غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} تسير به الريح عند الغداة مسيرة شهر فتحمله مع جنوده من بيت المقدس إلى اصطخر. {وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} يعني: تسير به عند آخر النهار مسيرة شهر من اصطخر إلى بيت المقدس،

واصطخر عند بلاد فارس. {وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القطر} يعني: أجرينا له عين الصفر المذاب. يقال: تسيل له في كل شهر ثلاثة أيام يعمل بها ما أحب. وروى سفيان عن الأعمش قال: سيلت له كما سيل الماء ويقال جرى له عين النحاس في اليمن. وقال شهر بن حوشب: جرى له عين النحاس من صنعاء {وَمِنَ الجن مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني: وسخرنا لسليمان {مّن الجن مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ} {بِإِذْنِ رَبِّهِ} يعني: بأمر ربه {وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا} يعني: من يعصِ سليمان فيما أمره {نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السعير} قال بعضهم: كان معه ملك، ومعه سوط من عذاب السعير. فإذا خالف سليمان أحد الشياطين ضربه بذلك السوط. وقال مقاتل: يعني به عذاب الوقود في الآخرة.
قوله عز وجل: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء} يعني: ما يشاء سليمان {مِن محاريب} يعني: المساجد. ويقال: الغرف. {وتماثيل} يعني: على صور الرجال من الصفر والنحاس لأجل الهيبة في الحرب وغيره. ويقال: ويجعلون صوراً للأنبياء ليستزيد الناس رغبة في الإسلام.
ثم قال: {وَجِفَانٍ كالجواب} يعني: قصاعاً كالحياض الكبيرة. ويجلس على القصعة الواحدة ألف رجل أو أقل أو أكثر. الجابية في اللغة: الحوض الكبير وجماعته جواب. قرأ ابن كثير: كالجوابي بالياء في الوقف والوصل جميعاً. وقرأ أبو عمرو: وبالياء في الوصل والباقون: بغير ياء. فمن قرأ بالياء فلأنه الأصل ومن حذف فلاكتفائه بكسر الياء.
قوله: {كالجواب وَقُدُورٍ رسيات} يعني: ثابتات في الأرض لا تزول من مكانها، وكان يتخذ القدور من الجبال. قال مقاتل: كان ملكه ما بين مصر وبابل. وقال بعضهم: جميع الأرض.
ثم قال: {اعملوا ءالَ دَاوُدُ شاكرا} يعني: يا آل داود لما أعطيتكم من الفضل. ويقال: معناه اعملوا عملاً تؤدوا بذلك شكر نعمتي {وَقَلِيلٌ مّنْ عِبَادِىَ الشكور} والشكور هو المبالغة في الشكر. وهو من كان عادته الشكر في الأحوال كلها. ومثل هذا في الناس قليل. وهذا معنى قوله: {وَقَلِيلٌ مّنْ عِبَادِىَ الشكور} وروي عن أبي العالية أنه قال هو شكر الشكر يعني: إذا شكر النعمة يعلم أن ذلك الشكر بتوفيق الله عز وجل.
ويشكر لذلك الشكر، وهذا في الناس قليل.
ثم قال عز وجل: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الموت} يعني: على سليمان عليه الصلاة والسلام فكان سليمان يبني في بيت المقدس، فرأى أن ذلك لا يتم إلا بالجن.

فأمرهم بالعمل وقال لأهله: لا تخبروهم بموتي. فكان قائماً في الصلاة، متكئاً على عصاه، وكان سليمان عليه الصلاة والسلام يطول الصلاة. فكان الجن إذا حضروا، رأوه قائماً فرجعوا ويقولون: إنه قائم يصلي فيقبلون على أعمالهم.

وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال: كان سليمان عليه السلام إذا مرّ بشجرة يعني: بشيء من نبات الأرض قال لها: ما شأنك؟ فتخبره الشجرة أنها كذا وكذا، ولمنفعة كذا وكذا، فيدفعها إلى الناس حتى ينتفعوا بها. فمر بشجرة فقال لها: ما اسمك يا شجرة؟ فقالت: أنا خرنوبة. فقال: ما شأنك؟ قالت: أنا لخراب المسجد. فتعصى سليمان منها عصا، فكانت الجن يقولون للإنس: إنا نعلم الغيب. وإن سليمان سأل الله عز وجل أن يخفي موته. فلما قضى الله عز وجل على سليمان الموت لم تدر الجن ولا الإنس ولا أحد كيف مات، ولم يطلع أحد على موته. والجن تعمل بأشد ما كانوا عليه، حتى خرّ سليمان عليه السلام فنظروا كيف مات فلم يدروا، فنظروا إلى العصا فرأوا العصا قد أكلت يعني: قد أكل منها، وفي العصا أرضة. فنظروا إلى أين أكلت الأرضة من العصا. فجعلوه علماً، ثم ردوا الأرضة فيها فأكلت شهراً، ثم نظروا كم أكلت في ذلك الشهر، ثم قاسوها بما أكلت من قبل. فكان لموته اثنا عشر شهراً. فتبيّن للجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. فقالت الجن: إن لها علينا حقاً. يعني: الأرضة فهم يبلغونها الماء فلا يزال لها طينة رطبة فذلك قوله: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الموت} {مَا دَلَّهُمْ على مَوْتِهِ} يعني: ما دلّ على موت سليمان {إِلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ} يعني: الأرضة {تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ} يعني: عصاه. قرأ نافع وأبو عمرو {مِنسَأَتَهُ} بلا همز. وقرأ الباقون بالهمز. فمن قرأ بالهمز فهو من نسأ ينسأ إذا زجر الدابة، ثم تسمى عصاه منسأة لأنه يزجر بها الدَّابَة. ومن قرأ بغير همز فقد حذف الهمزة للتخفيف وكلاهما جائز {فَلَمَّا خَرَّ} يعني: سقط عليه السلام {تَبَيَّنَتِ الجن} علم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب. ويقال: {تَبَيَّنَتِ الجن} يعني: ظهر لهم: أنهم لو علموا الغيب يعني: {أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الغيب مَا لَبِثُواْ فِى العذاب المهين} فتفرقوا عن ذلك. قرأ حمزة: {مِّنْ عِبَادِىَ الشكور} بسكون الياء. وقرأ الباقون: بالنصب وهما لغتان وكلاهما جائز.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 17]

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)}

قوله عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ} قرئ بالنصب والكسر. وقد ذكرناه من قبل. فمن قرأ بالكسر والتنوين جعله اسم أب القبيلة ومن قرأ بالنصب جعله أرضاً والأول أشبه. لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن سبأ. فقال: «هُوَ اسمُ رَجُلٍ». ويقال: هو سبأ بن يشخب بن يغرب بن قحطان. وروي عن ابن عباس أنه قال: هي من قرى اليمن بعث عز وجل ثلاثة عشر نبياً عليهم السلام إلى ثلاث عشر قرية باليمن اتبع بعضهم بعضاً، حتى اجتمعت الرسل في آل سبأ. وقرية أخرى، فأتوهم فذكروهم نعم الله عز وجل وخوفوهم عقابه. وروى أسباط عن السدي قال: كانت أرضهم أرضاً خصيبة، وكانت المرأة تخرج على رأسها مكتلاً فلا ترجع حتى تملأ مكتلها من أنواع الفاكهة من غير أن تمد يدها، وكان الماء يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يحبس بين جبلين، وكانوا قد ردموا ردماً بين جبلين فحبسوا الماء، وكان يأتيهم من السيول فيسقون بساتينهم وأشجارهم. ويقال: كان لهم وادي. وكان للوادي ثلاث درفات. فإذا كثر الماء فتحوا الدرفة العليا، وإذا انتقص فتحوا الدرفة الوسطى، وإذا قلّ الماء فتحوا الدرفة السفلى. فأخصبوا، وكثرت أموالهم، واتخذوا من الجنان ما شاؤوا. فلما أحبوا ذلك وكذبوا رسلهم، بعث الله عز وجل عليهم جرذاً، فنقب ذلك الردم بجنب بستان رجل منهم يقال له عمران بن عامر وهو أب الأنصار والأزد وغسان وخزاعة ويسمون المنسأة العرم، فدخل البستان فإذا هو ينقب العرم وقد سال فأمر به فسد ثم نظر إلى الجرزة تنقل أولادها من أصل الجبل إلى أعلاه. وكان كاهناً فقال: ما تنقل هذه الجرزة أولادها من أصل الجبل إلى أعلاه إلا وقد حضر هلاك هذه البلدة. فدعى ابن أخ له فقال: إذا رأيتني جلست في جماعة قومي فائتني. فقل: أي عم أعطني ميراثي من أبي. فإني سأقول: وهل ترك أبوك شيئاً؟ فأردد علي وكذبني. فإذا كذبتني فإني سألطمك فالطمني. فقال: أي عم ما كنت لأفعل هذا بك؟ قال: بلى. فلما رأى لعمه في ذلك هوًى. قال: أفعل ما تأمرني، ففعل. فقال عمران بن عامر: لله علي كذا وكذا أن أسكن هذه البلاد من يشتري ما لي. فلما عرفوا

منه الجد قال هذا: أعطيك كذا. فنظر إلى أجودهم صفقة. فقال: عجل إليَّ مالي فقد حلفت أن لا أبيت بها، فعجل إليه ماله، وارتحل من يومه حتى شخص عنهم، فاتسع ذلك الخرق حتى انهدم وغرق بلادهم، وتفرقوا في البلدان. فذلك قوله: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ} {فِى مَسْكَنِهِمْ} قرأ الكسائي: {فِى مَسْكَنِهِمْ} بكسر الكاف والنون.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: {مَسْكَنِهِمْ} بنصب الكاف وكسر النون.

وقرأ الباقون: {مساكنهم} بالألف. والمسكن بنصب الكاف وكسره واحد وهما لغتان مثل مطلع ومطلع. والمساكين جمع مسكين.

وقد قيل: المسكن جمع المساكين لقد كان في منازلهم وقرياتهم {ءايَةً} أي: علامة ظاهرة لوحدانيتي {جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ} يعني: بستانان عن يمين الوادي، وعن شماله. وإنما أراد بالبستان البساتين. ويقال: بساتين عن يمين الطريق، وبساتين عن شماله. فأرسل الله تعالى إليهم الرسل فذكروهم النعم فقيل لهم {كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ} يعني: من فضل ربكم {واشكروا لَهُ} فيما رزقكم {بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ} يعني: هذه بلدة طيبة لينة بلا سبخة {وَرَبٌّ غَفُورٌ} لمن تاب من الشرك {فَأَعْرِضُواْ} عن الإيمان. وقالوا: من ذا الذي يأخذ منا النعم {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العرم} والعرم هو اسم لذلك الوادي. ويقال: اسم للمنشأة. ويقال: هو اسم للفأرة التي قرضت النهر حتى سال عليهم الماء. وجرى في بساتينهم وفي بيوتهم فخربها، وندت أنعامهم، وأخذ كل واحد منهم بيد ولده وامرأته، فصعدوا بهم الجبل فذلك قوله تعالى {وبدلناهم بجناتهم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ} يعني: أبدلهم الله تعالى مكان الفاكهة ذواتي أكل خمط أي الأراك {وَأَثْلٍ} يعني: الطرفاء {وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ} والسدر كانوا يستظلون في ظله، ويأكلون من ثمره. قرأ أبو عمرو: {أُكُلَ} بكسر اللام بغير تنوين. وقرأ الباقون: بالتنوين فمن قرأ بالتنوين أراد {ذَوَاتَىْ} ثمر يؤكل ثم قال: {خَمْطٍ} بدلاً من أكل. والمعنى: ذواتي خمط وأكله ثمرة. ومن قرأ: بغير تنوين أضاف الأكل إلى الخمط. والخمط هو الأراك في اللغة المعروفة. وقال بعضهم: كل نبت أخذ طعماً من مرارة، حتى لا يمكن أكله فهو خمط.

ثم قال: {ذلك جزيناهم} يعني: ذلك الذي أصابهم عقوبة لهم عاقبناهم {بِمَا كَفَرُواْ} أي: بكفرهم {وَهَلْ * نُجْزِى إِلاَّ الكفور} يعني: وهل يعاقب بمثل هذه العقوبة إلا الكفور بنعمة الله تعالى. ويقال: {الكفور} الكافر. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: {وَهَلْ} بالنون وكسر الزاي {نُجْزِى إِلاَّ

الكفور} بالنصب. وقرأ الباقون {يجازي} بالياء وفتح الزاي {نُجْزِى إلاَّ الكفور} بالضم. فمن قرأ بالنون فهو على معنى الإضافة إلى نفسه. والكفور ينصب لوقوع الفعل عليه. ومن قرأ {يجازى} بالياء فهو على فعل ما لم يسم فاعله. يعني: هل يعاقب بمثل هذه العقوبة إلا الكفور بنعمة الله تعالى. ويقال: هل يجازي الله. ومعنى الآية: أن المؤمن من يكفر عنه السيئات بالحسنات، وأما الكافر فإنه يحبط عمله كله، فيجازى بكل سوء يعمله كما قال تعالى: {الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله أَضَلَّ أعمالهم} [محمد: 1] أي: أبطل أعمالهم وأحبطها، فلم ينفعهم منها شيء وهذا معنى قوله: {وَهَلْ * نُجْزِى إلاَّ الكفور}.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 21]

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آَمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21)}

ثم قال عز وجل: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القرى التى بَارَكْنَا فِيهَا} قال في رواية الكلبي: إنهم قالوا للرسل: إنا قد عرفنا نعمة الله علينا، فوالله لئن يرد الله فيئتنا وجماعتنا، والذي كنا عليه، لنعبدنه عبادة لم يعبدها إياه قوم قط. فدعت لهم الرسل ربهم فرد الله لهم ما كانوا عليه. وأتاهم نعمة وجعل لهم من أرضهم إلى أرض الشام قرى متصلة بعضها إلى بعض، فذلك قوله: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القرى التى بَارَكْنَا فِيهَا} {قُرًى ظاهرة} ثم عادوا إلى الكفر فأتاهم الرسل فذكروهم نعمة الله فكذبوهم فمزقهم الله كل ممزق. وقال غيره: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القرى التى بَارَكْنَا فِيهَا} هذا حكاية عما كانوا فيه من قبل أن يرسل عليهم سيل العرم قرى ظاهرة يعني: متصلة على الطريق من حيث يرى بعضها من بعض {وَقَدَّرْنَا فِيهَا السير} للمبيت والمعيل من قرية إلى قرية {سِيرُواْ فِيهَا} يعني: ليسيروا فيها. اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الشرط والجزاء. فلم يشكروا ربهم، فسألوا ربهم أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض.

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ * فَقَالُواْ رَبَّنَا باعد بَيْنَ أَسْفَارِنَا} وقد كانوا في قراهم آمنين منعّمين فذلك قوله: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ} يعني: أنهم كانوا يسيرون من قرية إلى قرية بالليل والنهار، آمنين من الجوع، والعطش، واللصوص، والسباع. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {بَعْدَ} بغير ألف وتشديد العين. وقرأ الباقون {باعد} بالألف وهما لغتان بَعّدَ باعد. وقرأ يعقوب الخضرمي وكان من أهل البصرة {رَبَّنَا} بضم الباء {باعد} بنصب العين وهو على معنى الخبر.
وروى الكلبي عن أبي صالح أنه قرأ هكذا معناه {رَبَّنَا باعد بَيْنَ أَسْفَارِنَا} فلذلك لا ينصب.
ثم قال: {وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ} بالشرك وتكذيب الأنبياء {فجعلناهم أَحَادِيثَ} يعني: أهلكهم الله تعالى فصاروا أحاديث للناس يتحدثون في أمرهم وشأنهم لم يبق أحد منهم في تلك القرى {ومزقناهم كُلَّ مُمَزَّقٍ} أي: فرقناهم في كل وجه، فألقى الله الأزد بعمان، والأوس والخزرج بالمدينة، وهما أخوان وأهل المدينة كانوا من أولادهما إحدى القبيلتين الخزرج والأخرى الأوس، فسموا باسم أبيهم. وخزاعة بمكة كانوا بنو خزاعة، منهم لخم وجذام بالشام. ويقال كلب وغسان {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} أي: في هلاكهم وتفريقهم لعبرات {لّكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} يعني: للمؤمنين الذين صبروا على طاعة الله تعالى، وشكروا نعمته.
قوله عز وجل: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} يعني: على أهل سبأ. ويقال: هذا ابتداء. يعني: جميع الكفار وذلك أن إبليس قد قال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين}
[ص: 82، 83] فكان ذلك ظناً منه فصدق ظنه {فاتبعوه إِلاَّ فَرِيقاً} يعني: طائفة {مِنَ المؤمنين} وهم الذين قال الله تعالى: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سلطان إِلاَّ مَنِ اتبعك مِنَ الغاوين} [الحجر: 42] وقال سعيد بن جبير: كان ظنه أنه قال: أنا ناري وآدم طيني والنار تأكل الطين. وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: {وَلَقَدْ صَدَّقَ} بالتخفيف يعني: صدق في ظنه. وقرأ الباقون: {صَدَقَ} بالتشديد. يعني: صار ظنه صدقاً.
قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مّن سلطان} يعني: لم يكن له عليهم ملك فيقهرهم. ويقال: يعني ما سلطناه عليهم إلا لنختبرهم من الذي يطيعنا. وقال الحسن البصري رحمه الله: والله ما ضربهم بعصا، ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غروراً وأماني دعاهم إليها فأجابوه. وقال قتادة: والله ما كان ظنه

إلا ظناً، فنزل الناس عند ظنه. وقال معمر: قال لي مقاتل: إن إبليس لما أنزل آدم عليه السلام ظن أن في ذريته من سيكون أضعف منه. فصدق عليهم ظنه. فإن قيل في آية أخرى: {إِنَّمَا سلطانه على الذين يَتَوَلَّوْنَهُ والذين هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: 100] وهاهنا يقول: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مّن سلطان} قيل له: أراد بالسلطان هناك الحجة يعني: إنما حجته على الذين يتولونه. وهاهنا أراد به الملك والقهر يعني: لم يكن له عليهم ملك يقهرهم به. ويقال: معنى الآيتين واحد. لأن هناك قال: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا. وهاهنا قال: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مّن سلطان} يعني: حجة على فريق من المؤمنين إلا بالتزيين والوسوسة منه.

{إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بالاخرة مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكّ} يعني: نميز من يصدق بالبعث ممن هو في شك. يعني: من قيام الساعة. وقال القتبي: علم الله نوعان: أحدهما علم ما يكون من إيمان المؤمنين. وكفر الكافرين من قبل أن يكون. وهذا علم لا يجب به حجة، ولا عقوبة، والآخر علم الأمور الظاهرة. فيحق به القول، ويقع بوقوعها الجزاء. يعني: ما سلطانه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمنين ظاهراً موجوداً، وكفر الكافرين ظاهراً موجوداً. وكذلك قوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جاهدوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصابرين} [آل عمران: 142] الآية.

ثم قال عز وجل: {وَرَبُّكَ عَلَى كُلّ شَئ حَفُيظٌ} يعني: عالماً بالشك واليقين. ويقال: عالم بقولهم. ويقال: عالم بما يكون منهم قبل كونه. ويقال: حفيظ يحفظ أعمالهم ليجازيهم.

▲ تفسير الآيات رقم [22- 23]

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23)}

ثم قال عز وجل: {قُلِ ادعوا الذين زَعَمْتُم} يعني: قل لكفار مكة {أَدْعُو الذين زَعَمْتُمْ} {مِن دُونِ الله} أنهم آلهة فيكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم من الجوع. يعني: الأصنام. ويقال: الملائكة عليهم السلام. {لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعني: نملة صغيرة {فِي السموات وَلاَ فِى الارض} يعني: إذا كان حالهم هذا، فمن أين جعلوا لهم الشركة في العبادة.

ثم قال: {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ} يعني: في خلق السموات والأرض من عون. ويقال: ما لهم فيها من نصيب {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مّن ظَهِيرٍ} يعني: معين من الملائكة الذين يعبدونهم.
ثم ذكر أن الملائكة لا يملكون شيئاً من الشفاعة فقال عز وجل: {وَلاَ تَنفَعُ الشفاعة عِندَهُ} يعني: لا تنفع لأحد لا نبياً ولا ملكاً {إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} أن يشفع لأحد من أهل التوحيد. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر في إحدى الروايتين، {إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} بالنصب. يعني: حتى يأذن الله عز وجل له. قرأ الباقون. بالضم على فعل ما لم يسم فاعله. ومعناه: مثل الأول.
ثم أخبر عن خوف الملائكة أنهم إذا سمعوا الوحي خرّوا سجداً من مخافة الله عز وجل، وكيف يعبدون من هذه حاله وكذلك قوله: {حتى إِذَا فُزّعَ عَن قُلُوبِهِمْ} وذلك أن أهل السموات لم يكونوا سمعوا صوت الوحي بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فسمعوا صوتاً كوقع الحديد على الصفا فخروا سجداً مخافة القيامة وذلك صوت الوحي. ويقال: صوت نزول جبريل عليه السلام فخروا سجداً مخافة القيامة فهبط جبريل عليه السلام على أهل كل سماء فذلك قوله: {حتى إِذَا فُزّعَ عَن قُلُوبِهِمْ}. وذكر عن بعض أهل اللغة أنه قال: إذا كانت حتى موصولة بإذا تكون بمعنى لما، تقع موقع الابتداء كقوله عز وجل: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مّنَ السماء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ} / [الحجر: 14] كقوله: {حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مّن كُلّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} [الأنبياء: 96] {وَلاَ تَنفَعُ الشفاعة عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حتى إِذَا فُزّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ الحق وَهُوَ العلى الكبير} [سبأ: 23] يعني: لما فزع عن قلوبهم. ومعناه: انجلاء الفزع عن قلوبهم، فقاموا عن السجود، وسأل بعضهم بعضاً {قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} يعني: ماذا قال جبريل عليه السلام عن ربكم {قَالُواْ الحق} يعني: الوحي.
قال: حدّثنا الفقيه أبو الليث رحمه الله. قال: حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا الديبلي. قال: حدّثنا أبو عبد الله. قال: حدّثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
»إِذَا قَضَى الله فِي السَّمَاءِ أَمْراً ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَاناً لِقَوْلِه، وَسُمِعَ لذلك صَوْتٌ كَأَنَّهَا سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ {قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} {قَالُواْ الحق} الَّذِي قَالَ: فَسِيحي الشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْض. فَإِذَا سَمِعَ الأَعْلَى مِنْهُمُ الْكَلِمَةَ، رَمَى بِهَا إِلَى الذي تَحْتَهُ وَرُبَّما أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ

قَبْلَ أنْ يَنْبِذَهَا وَرُبَّمَا نَبَذَهَا قَبْلَ أنْ تُدْرِكَهُ، فَيَنْبِذَهَا، بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إلَى الأرْضِ، فَتُلْقَى عَلَى لِسَانِ الْكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ، فَيُصَدِّقُ فَيَقُولُ، ألَيْسَ قَدْ أخْبَرَ بِكَذَا وَكَذَا، وَكَانَ حَقّاً وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ» قرأ ابن عامر {حتى إِذَا فَزَّعَ} بنصب الفاء والزاي يعني: كشف الله الفزع. وقرأ الباقون: بضم الفاء على معنى ما لم يسم فاعله. وقرأ الحسن {حتى إِذَا فُرِّغَ} بالواو والغين يعني: فرغ الفزع عن قلوبهم. وقراءة العامة بالزاي أي خفف عنها الفزع. وقال مجاهد: معناه حتى إذا كشف عنها الغطاء يوم القيامة ثم قال {وَهُوَ العلى الكبير} يعني: هو أعلى وأعظم وأجلّ من أن يوصف له شريك.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 30]

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (29) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (30)}

قوله عز وجل: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مّنَ السموات والارض} يعني: المطر والنبات فإن أجابوك وإلا {قُلِ الله} يعني: الله يرزقكم من السموات والأرض {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ} يعني: قل لهم أحدنا {لعلى هُدًى} والأخرى على الضلال. يعني: إنا على الهدى وأنتم على الضلالة وهذا كرجل يقول لآخر: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه أراد به صاحبه. ويقال: في الآية تقديم يعني: وإنا على الهدى وإياكم {أَوْ فِي ضلال مُّبِينٍ}.

ثم قال عز وجل: {قُل لاَّ تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا} يعني: لا تسألون عن جرم أعمالنا {وَلاَ نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} يعني: لا نسأل عن جرم أعمالكم. ويقال: لا تأخذون بجرمنا، ولا نؤخذ بجرمكم.

قوله عز وجل: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا} يعني: يوم القيامة نحن وأنتم {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بالحق} يعني: بالعدل {وَهُوَ الفتاح العليم} القابض العليم بما يقضي {قُلْ أَرُونِىَ الذين أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاء} أروني آلهتكم الذين تعبدون من دون الله، وتزعمون أنها له شركاء. أي: ماذا خلقوا في السموات والأرض من

الخلق {كَلاَّ} يعني: ما خلقوا شيئاً {بَلْ هُوَ الله} خالق كل شيء {العزيز} في ملكه {الحكيم} في أمره.
قوله عز وجل: {وَمَا أرسلناك إِلاَّ كَافَّةً لّلنَّاسِ} أي: عامة للناس {بَشِيراً}. وروى خالد الحذاء عن قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أُعْطَيْتُ خَمْساً لَمْ يعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي. بُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ يَدْخُلُ فِي أُمَّتِي إلاَّ كَانَ مِنْهُمْ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ أَمَامِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ. وَجُعِلْتُ فَاتِحاً وَخَاتِماً. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، أَيْنَمَا أدْرَكَتْنَا الصَّلاَةَ صَلَّيْنَا، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ مَاءً تَيَمَّمْنَا وَأُطْعِمْنَا غَنَائِمَنَا وَلَمْ يطْعَمْهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلَنَا كَانَتْ قُرْبَانُهُمْ تَأْكُلُهُ النَّارُ». ثم قال: {بَشِيراً وَنَذِيراً} يعني: بشيراً بالجنة لمن أطاعه، ونذيراً بالنار لمن عصاه {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون بالجنة ولا بالنار {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد} يعني: البعث {إِن كُنتُمْ صادقين} يعني: إن كنت صادقاً. ويقال: إن كنت رسول الله.
قوله عز وجل: {قُل لَّكُم مّيعَادُ يَوْمٍ} يعني: ميقاتاً في العذاب. ويقال: ميعاداً في البعث والعذاب {لاَّ تَسْتَئَخِرُونَ عَنْهُ} يعني: عن الميعاد والعذاب {سَاعَةٍ} يعني: قدر ساعة {وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ} قبل الأجل. ويقال: معناه أنا قادر اليوم على عذابهم، ولكن أؤخرهم في الوعد الذي كتب لهم في اللوح المحفوظ.

▲ تفسير الآيات رقم [31- 35]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (34) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35)}
قوله تعالى: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بهذا القرءان وَلاَ بالذى بَيْنَ يَدَيْهِ} من التوراة والإنجيل. يعني: لا نصدق بذلك كله فحكى الله قولهم ثم ذكر عقوبتهم في الآخرة فقال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظالمون} يعني: لو رأيت يا محمد

الظالمين يوم القيامة {مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ} يعني: محبوسين في الآخرة {يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضِ القول} يعني: يرد بعضهم بعضاً الجواب. ثم أخبر عن قولهم فقال: {يَقُولُ الذِّين استضعفوا} وهم السفلة والأتباع {لِلَّذِينَ استكبروا} يعني: القادة والرؤساء {لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} يعني: لولا دعوتكم وتعريفكم إيانا لكنا مصدقين.

قوله عز وجل: {قَالَ الذين استكبروا} يعني: القادة {لِلَّذِينَ استضعفوا} وهم الأتباع {أَنَحْنُ صددناكم عَنِ الهدى} يعني: أنحن منعناكم عن الإيمان {بَعْدَ إِذْ جَاءكُمْ} به الرسول {بَلْ كُنتُمْ مُّجْرِمِينَ} يعني: مشركين.

قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين استضعفوا} يعني: ردت الضعفاء عليهم الجواب. وقالوا: {لِلَّذِينَ استكبروا بَلْ مَكْرُ اليل والنهار} يعني: قولكم لنا بالليل والنهار، واحتيالكم بالدعوة إلى الشرك. {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بالله} يعني: نجحد بوحدانية الله {وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً} يعني: نقول له شركاء {وَأَسَرُّواْ الندامة} يعني: أخفوا الحسرة. ويقال: أظهروا الندامة والحسرة {لَمَّا رَأَوُاْ العذاب وَجَعَلْنَا الاغلال} يعني: نجعل الأغلال يوم القيامة {فِى أَعْنَاقِ الذين كَفَرُواْ} من الرؤساء والسفلة {هَلْ يُجْزَوْنَ} يعني: هل يثابون في الآخرة {إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدنيا.

قوله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مّن نَّذِيرٍ} يعني: من رسول {إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا} يعني: جبابرتها ورؤساؤها للرسل {إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافرون} يعني: جاحدون بالتوحيد. والمترف المتنعم، وإنما أراد به المتكبرين {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أموالا وأولادا} في الدنيا {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} في الآخرة. ومعناه: أن الكفار المتقدمين استخفوا بالفقراء، وآذوا الرسل. كما يفعل بك قومك، وافتخروا بما أعطاهم الله عز وجل من الأموال كما افتخر قومك. وأمره بأن يأمرهم بأن لا يفتخروا بالمال. فإن الله تعالى يعطي المال لمن يشاء.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 42]

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ (37) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (38) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (42)}

وهو قوله عز وجل: {قُلْ إِنَّ رَبّى يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء} أي: يوسع المال لمن يشاء وهو مكر منه واستدراج {وَيَقْدِرُ} يعني: يقتر على من يشاء، وهو نظر له لكي يعطى في الآخرة من الجنة بما قتر عليه في الدنيا {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} أن التقتير والبسط من الله عز وجل. ويقال: لا يصدقون أن الذين اختاروا الآخرة خير من الذين اختاروا الدنيا ثم أخبر الله تعالى أن أموالهم لا تنفعهم يوم القيامة فقال عز وجل: {وَمَا أموالكم وَلاَ أولادكم بالتى تُقَرّبُكُمْ عِندَنَا زلفى} يعني: قربة. ومعناه: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا ولو كان على سبيل الجمع لقال بالذين يقربونكم، لأن الحكم للآدميين إذا اجتمع معهم غيرهم.

ثم قال: {وَمَا أموالكم وَلاَ} يعني: إلا من صدق الله ورسوله {وَعَمِلَ صالحا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضعف بِمَا عَمِلُواْ} يعني: للواحد عشرة إلى سبعمائة وإلى ما لا يحصى. وقال القتبي: أراد بالضعف التضعيف أي: لهم جزاء وزيادة. قال: ويحتمل {جَزَاء الضعف} أي: جزاء الأضعاف كقوله: {قَالَ ادخلوا فى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الجن والإنس فِى النار كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حتى إِذَا اداركوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لاولاهم رَبَّنَا هؤلاء أَضَلُّونَا فَأاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النار قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ولكن لاَّ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 38] أي: مضافاً.

وروي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: إن الغني إذا كان تقياً، يضاعف الله له الأجر مرتين، ثم قرأ هذه الآية. {وَمَا أموالكم وَلاَ أولادكم} إلى قوله: {فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضعف} يعني: أجره مِثْلَيْ ما يكون لغيره. ويقال: هذا لجميع من عمل صالحاً {وَهُمْ فِى الغرفات ءامِنُونَ} قرأ حمزة: {وَهُمْ فِى * الغرفة}. وقرأ الباقون: {وَهُمْ فِى الغرفات} والغرفة في اللغة كل بناء يكون علواً فوق سفل، وجمعه غرف وغرفات. ومعناه: وهم في الجنة آمنون من الموت، والهرم، والأمراض، والعدو وغير ذلك من الآفات.

ثم قال عز وجل: {والذين يَسْعَوْنَ فِى ءاياتنا * معاجزين} والقراءة قد ذكرناها {أُوْلَئِكَ فِى العذاب مُحْضَرُونَ} يعني: في النار معذبون {قُلْ إِنَّ رَبّى يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} وقد ذكرناه {وَمَا أَنفَقْتُم مّن شَئ}

يعني: ما تصدقتم من صدقة {فَهُوَ يُخْلِفُهُ} يعني: فإن الله يعطي خلفه في الدنيا وثوابه في الآخرة {وَهُوَ خَيْرُ الرزقين} يعني: أقوى المعطين.
وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلا غَرَبَتْ شَمْسٌ إلاَّ بُعِث بِجَنْبَيْهَا مَلَكَان يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ مَالَهُ خَلَفاً وَعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ مَالَهُ تَلَفاً».
ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً} يعني: الملائكة عليهم السلام ومن عبدهم. قرأ بعضهم من أهل البصرة: {يَحْشُرُهُمْ} بالياء يعني: يحشرهم الله عز وجل. وقراءة العامة بالنون على معنى الحكاية عن نفسه، {ثُمَّ يَقُولُ للملائكة أَهَؤُلاَء إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ} يعني: أنتم أمرتم عبادي أن يعبدوكم، وهذا سؤال توبيخ كقوله لعيسى عليه السلام: {وَإِذْ قَالَ الله ياعيسى ابن مَرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذونى وَأُمِّىَ إلهين مِن دُونِ الله قَالَ سبحانك مَا يَكُونُ لى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ علام الغيوب} [المائدة: 116] الآية {قَالُواْ سبحانك} فنزهت الملائكة ربها عن الشرك وقالوا: {سبحانك} يعني: تنزيهاً لك {أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ} ونحن بَرَآءٌ منهم من أن نأمرهم أن يعبدونا {بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الجن} يعني: أطاعوا الشياطين في عبادتهم {أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} يعني: مصدقين الشياطين مطيعين لها.
يقول الله تعالى: {فاليوم لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً} يعني: شفاعة {وَلاَ ضَرّاً} يعني: ولا دفع الضر عنهم {وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ} يعني: كفروا في الدنيا. يقال: لهم في الآخرة {ذُوقُواْ عَذَابَ النار التى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} إنها غير كائنة ثم أخبر عن أفعالهم في الدنيا.

▲ تفسير الآيات رقم [43- 49]

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (43) وَمَا آَتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (44) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آَتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (45) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (49)}

قوله عز وجل: {وَإِذَا تتلى} يعني: يقرأ وتعرض {عَلَيْهِمْ ءاياتنا بينات} بالأمر والنهي والحلال والحرام {قَالُواْ} ما نعرف هذا {مَا هذا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ} يعني: يصرفكم {عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءابَاؤُكُمْ} من عبادة الأصنام {وَقَالُواْ مَا هذا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى} يعني: كذباً مختلقاً {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لِلْحَقّ} يعني: للقرآن {لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} يعني: كذب بيّن.

ثم قال عز وجل: {وَمَا ءاتيناهم} يعني: ما أعطيناهم {مّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} يعني: من كتب يقرؤونها وفيها حجة لهم بأن مع الله شريكاً {وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مّن نَّذِيرٍ} يعني: من رسول في زمانهم {وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِمْ} يعني: من قبل قومك رسلهم كما كذبك قومك {وَمَا بَلَغُواْ} أي: ما بلغ قومك {مِعْشَارَ مَا ءاتيناهم} يعني: ما بلغ أهل مكة عشر الذي أعطينا الأمم الخالية من الأموال والقوة، فأهلكتهم بالعذاب حين كذبوا رسلي {فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} يعني: كيف كان إنكاري وتغييري عليهم وإيش خطر هؤلاء بجنب أولئك فاحذروا مثل عذابهم {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بواحدة} يعني: بكلمة واحدة ويقال: بخصلة واحدة {أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ} بالحق {مثنى وفرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بصاحبكم مّن جِنَّةٍ} يعني: أمركم بالإنصاف أن تتأملوا حق التأمل، وتتفكروا في أنفسكم، هل لهذا الرجل الذي يدعوكم إلى خالقكم وخالق السموات والأرض هل رأيتم به جنوناً.

ثم قال: {مَا بصاحبكم مّن جِنَّةٍ} يعني: من جنون. وقال القتبي: تأويله أن المشركين لما قالوا: إنه ساحر ومجنون وكذاب فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم اعتبروا أمري بواحدة أن تنصحوا لأنفسكم ولا يميل بكم هوى فتقوموا لله في دار يخلو فيها الرجل منكم بصاحبه. فيقول له: هلمّ فلنتصادق. هل رأينا بهذا الرجل جنة أم جربنا عليه كذباً.

ثم ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه فيتفكر، وينظر. فإن ذلك يدل على أنه نذير. قال: وكل من تحيّر في أمر قد اشتبه عليه واستبهم، أخرجه من الحيرة أن يسأل ويناظر فيه ثم يتفكر ويعتبر.

ثم قال: {إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ} أي: ما هو إلا مخوف لكم {بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} أي: بين يدي القيامة.

ثم قال عز وجل: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر كفار مكة أن لا يؤذوا أقربائه فكفوا عن ذلك فنزل {ذَلِكَ الذى يُبَشّرُ الله عِبَادَهُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودة فِى القربى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى: 23] فكفوا عن ذلك. ثم سمعوا بذكر آلهتهم فقالوا: لا تنظرون إليه ينهانا عن إيذاء أقربائه. وسألناه أن لا يؤذينا في آلهتنا فلا يمتنع فنزل {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} إن شئتم آذوهم، وإنْ شئتم امتنعتم. {إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى الله} فهو الحافظ والناصر {وَهُوَ على كُلّ شَىْء شَهِيدٍ} بأني نذير وما بي جنون.

ثم قال عز وجل: {قُلْ إِنَّ رَبّى يَقْذِفُ بالحق} يعني: يبين الحق من الباطل. ويقال: يأمر بالحق. ويقال: يتكلم بالحق. يعني: بالوحي {علام الغيوب} يعني: هو عالم كل غيب.

قوله عز وجل: {قُلْ جَاء الحق} يعني: ظهر الإسلام {وَمَا يُبْدِئ الباطل} يعني: لا يقدر الشيطان أن يخلق أحداً {وَمَا يُعِيدُ} يعني: لا يقدر أن يحييه بعد الموت، والله تعالى يفعل ذلك. ويقال: {الباطل} أيضاً الصنم. وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول «{جَاء الحق} وَزَهَقَ البَاطِلُ. قُلْ: {جَاء الحق} وَمَا يُبْدِي البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ».

▲ تفسير الآيات رقم [50- 54]

{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (51) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (52) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (53) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54)}

قوله عز وجل: {قُلْ} يا محمد {إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ على نَفْسِى} يعني: وزور الضلال على نفسي {وَإِنِ اهتديت} إلى الحق والهدى {فَبِمَا يُوحِى إِلَىَّ رَبّى} يعني: اهتديت بما يوحي إليّ من القرآن {إِنَّهُ سَمِيعٌ} للدعاء {قَرِيبٌ} بالإجابة ممن دعاه. وقيل للنابغة حين أسلم: أصبوت؟ يعني: آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم. قال: بلى. هو غلبني بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل. فأردت أن أقول ثلاثة أبيات من الشعر على قافيتها. فلما سمعت هذه الآيات

فعييت فيها ولم أطق، فعلمت أنه ليس من كلام البشر وهي هذه {قُلْ إِنَّ رَبّى يَقْذِفُ بالحق علام الغيوب} {قُلْ جَاء الحق وَمَا يُبْدِئ الباطل وَمَا يُعِيدُ} {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ على نَفْسِى وَإِنِ اهتديت فِيمَا يُوحِى إِلَيَّ رَبّى إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}.

قوله عز وجل: {وَلَوْ ترى إِذْ فَزِعُواْ} يعني: خافوا من العذاب {فَلاَ فَوْتَ} يعني: فلا نجاة لهم منها {وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}. روي عن الكلبي أنه قال: نزلت الآية في قوم يقال لهم: السفيانية يخرجون في آخر الزمان، عددهم ثلاثون ألف رجل إلى أن يبلغوا أرض الحجاز. فافترقوا فرقتين. فتقدمت فرقة إلى موضع يقال له: بيداء، صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة، فخسف بهم الأرض كلهم إلا واحداً منهم ينجو. فيحول وجهه إلى خلفه. فيرجع إلى الفرقة الأخرى، فيخبرهم بما أصابهم يعني: ولو ترى يا محمد فزعهم حين صاح بهم جبريل عليه السلام {فَلاَ فَوْتَ} أي: لا يفوت منهم فايت {وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} يعني: خسف بهم البيداء بقرب مكة. ويقال: يعني: يوم القيامة. {وَلَوْ تَرَى} {كَانَ مُحَمَّدٌ} {إِذْ فَزِعُواْ} حين نزل بهم العذاب يوم القيامة {فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} كما قال: {يَوْمَ يَكُونُ الناس كالفراش المبثوث} [النازعات: 36]. وقال الحسن: {وَلَوْ ترى إِذْ فَزِعُواْ} من قبورهم يوم القيامة وقال الضحاك: يعني: يوم بدر.

ثم قال عز وجل: {وَقَالُواْ ءامَنَّا بِهِ} يعني: العذاب حين رأوه، يقول الله تعالى {وأنى لَهُمُ التناوش} يعني: من أين لهم التوبة. ويقال: من أين لهم الرجفة. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في إحدى الروايتين التناؤش بالهمز. وقرأ الباقون بغير همز. فمن قرأ بالهمز فهو من {التناوش} وهو الحركة في إبطاء. والمعنى من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه. ومن قرأ بغير همز فهو من التناول. ويقال: تناول إذا مدّ يده إلى شيء ليصل إليه، وتناوش يده إذا مدّ يده إلى شيء لا يصل إليه.

ثم قال: {مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} يعني: من الآخرة إلى الدنيا. وروي عن ابن عباس أنه قال: {مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} قال: سألوا الرد حين لا رد.

ثم قال عز وجل: {وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ} يعني: كفروا بالله من قبل الموت. ويقال به، يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال: بالقرآن {وَيَقْذِفُونَ بالغيب} يعني: يتكلمون بالظن في الدنيا {مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} أنه لا جنة ولا نار ولا بعث.

ثم قال: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} يعني: من الرجفة إلى الدنيا ويقال: من التسوية. كيف ينالون التسوية في هذا الوقت وقد كفروا به من قبل {كَمَا فُعِلَ بأشياعهم مّن قَبْلُ} يعني: الأقدمون أهل دينهم، الأولون من قبل الأشياع جمع الجمع. يقال: شيعة وشيع وأشياع.

ثم قال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكّ مُّرِيبِ} يعني: هم في شكّ مما نزل بهم مريب. يعني: إنهم لا يعرفون شكهم. وقال القتبي في قوله: فلا فوت يعني: لا مهرب ولا ملجأ وهذا مثل قوله: {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [ص: 3] أي: نادوا حين لا مهرب والله أعلم.

▲ سورة فاطر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 2]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)}

قوله تبارك وتعالى: {الحمد لِلَّهِ فَاطِرِ السموات والارض} يعني: خالق السموات والأرض. يقال: فطر الشيء إذا بدأه. قال ابن عباس رضي الله عنه: ما كنت أعرف فاطر حتى اختصما لي أعرابيان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها يعني: بدأتها.

ثم قال: {جَاعِلِ الملائكة رُسُلاً} يعني: مرسل الملائكة بالرسالة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والكرام الكاتبين عليهم السلام {أُوْلِى أَجْنِحَةٍ} يعني: ذوي أجنحة، ولفظ أولي يستعمل في الجماعة، ولا يستعمل في الواحد وواحدها ذو.

ثم قال: {مثنى وثلاث وَرُبَاعَ} يعني: من الملائكة من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة. ومنهم كذا. ويقال: {ثلاث} معدول من ثلاثة. يعني: ثلاثة ثلاثة. {وَرُبَاعَ} معدول من أربعة يعني: أربعة أربعة.

ثم قال: {يَزِيدُ فِى الخلق مَا يَشَاء} يعني: يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء. وروي عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته. فقال له جبريل: إنك لا تطيق ذلك. فقال: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ». فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه. ثم أفاق وجبريل عليه السلام يسنده، واضع إحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سُبْحَانَ الله مَا كُنْتُ أرَى شَيْئاً مِنَ الخَلْقِ هَكَذا» فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن له اثني عشر جناحاً، منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، وأن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضائل بالأحايين لعظمة الله، حتى يعود مثل الوضع يعني:

عصفوراً. حتى لا يحمل عرشه إلا عظمته. فذلك قوله تعالى: {يَزِيدُ فِى الخلق مَا يَشَاء} يعني: في خلق الملائكة. ويقال: {يَزِيدُ فِى الخلق مَا يَشَاء} يعني: الشعر الحسن، والصوت الحسن، والخد الحسن. ويقال: {يَزِيدُ فِى الخلق مَا يَشَاء} يعني: في الجمال والكمال والدمامة.

ثم قال: {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من الزيادة والنقصان وغيره.

ثم قال عز وجل: {مَّا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ} يعني: ما يرسل الله للناس من رزق كقوله: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابتغاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا} [الإسراء: 28] ويقال: الغيث. ويقال: {مِن رَّحْمَةٍ} يعني: من كل خير {فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا} يعني: لا يقدر أحد على حبسها {وَمَا يُمْسِكْ} يعني: ما يحبس من رزق {فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ} يعني: فلا معطي أحد بعد الله عز وجل. قال في أول الكلام: {فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا} بلفظ التأنيث، لأنه انصرف إلى اللفظ وهو الرحمة.

ثم قال: {فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ} بلفظ التذكير، لأنه ينصرف إلى المعنى وهو المطر والرزق، ولو كان كلاهما بلفظ التذكير أو كلاهما بلفظ التأنيث لجاز في اللغة. فذكر الأول بلفظ التأنيث لأن الرحمة كانت أقرب إليه، وفي الثاني كان أبعد وقد ذكر بلفظ التذكير مجاز حذف ما ثم قال: {وَهُوَ العزيز} فيما أمسك {الحكيم} فيما أرسل.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 8]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (7) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8)}

قوله عز وجل: {يأَيُّهَا الناس اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} يعني: احفظوا نعمة الله.

ثم ذكر النعمة فقال: {هَلْ مِنْ خالق غَيْرُ الله يَرْزُقُكُم مّنَ السماء والارض} يعني: النبات والمطر. قرأ حمزة والكسائي {غَيْرُ الله} بكسر الراء. وقرأ

الباقون بالضم مثل ما في سورة الأعراف. والاستثناء إذا كان بحرف إلا. فإن الإعراب يكون على ما بعده. وإذا كان الاستثناء بحرف غير، فإن الإعراب يقع على نفس الغير. فمن قرأ بالكسر، صار كسراً على البدل. ومن قرأ بالرفع فمعناه: هل خالق غير الله، لأن من موكدة. ولفظ الآية لفظ الاستفهام. والمراد به النفس يعني: أنتم تعلمون أنه لا يخلق أحد سواه، ولا يرزقكم أحد سواه.
ثم وحّد نفسه فقال: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يفعل بكم ذلك {فأنى تُؤْفَكُونَ} يعني: من أين تكذبون، وأنتم تعلمون أنه لا يخلق أحد سواه.
ثم قال عز وجل: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مّن قَبْلِكَ} كما كذبك قومك، وهذا تعزية يعزي بها نبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذاهم {وَإِلَى الله تُرْجَعُ الامور} يعني: إليه ترجع عواقب الأمور بالبعث.
ثم قال عز وجل: {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} يعني: يا أهل مكة {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: البعث بعد الموت حق كائن {فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحياة الدنيا} يعني: حياتكم في الدنيا، والدنيا في الأصل هي القربى. سميت بهذا لأن حياتهم هذه أقرب إليهم. ويقال: هي فعلى من الأدون يعني: حياة الأدون {وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بالله الغرور} يعني: الباطل وهو الشيطان. قال: حدّثنا أبو الليث رحمه الله. قال: حدّثني أبي. قال: حدّثنا أبو الحسن الفراء الفقيه السمرقندي. قال: حدّثنا أبو بكر الجرجاني الإمام بسمرقند ذكر بإسناده عن العلاء بن زيادة. قال: رأيت الدنيا في النوم امرأة قبيحة عمشاء، ضعيفة، عليها من كل زينة فقلت: من أنت. أعوذ بالله منك؟ فقالت: أنا الدُّنيا. فإن يسرك أن يعيذك الله مني، فأبغض الدراهم يعني: لا تمسكها عن النفقة في موضع الحق.
ثم قال عز وجل: {إِنَّ الشيطان لَكُمْ عَدُوٌّ} يعني: حين يأمركم بالكفر، ومن عداوته مع أبيكم ترك طاعة الله {فاتخذوه عَدُوّاً} يعني: فعادوه بطاعة الله. ومعناه: أطيعوا الله عز وجل لأنك إذا أطعت الله فقد عاديت الشيطان {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ} يعني: شيعته إلى الكفر {لِيَكُونُواْ مِنْ أصحاب السعير} يعني: من أهل النار. ثم بيّن مصير من أطاع الشيطان، ومصير من عصاه فقال {الذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا بوحدانية الله عز وجل: {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الآخرة {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بوحدانية الله، وعملوا الطاعات، واتخذوا الشيطان عدواً {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} في الدنيا لذنوبهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} يعني: ثواباً حسناً في الجنة.

قوله عز وجل: {أَفَمَن زُيّنَ لَهُ سُوء عَمَلِهِ} يعني: قبيح عمله كمن لم يزين له ذلك {أَفَمَن زُيّنَ} يعني: فظنه حقاً. والجواب فيه مضمر فمن زيّن له سوء عمله كمن لم يزين له ذلك. وقال الزجاج: {أَفَمَن زُيّنَ لَهُ سُوء عَمَلِهِ} يعني: أبا جهل وأصحابه، وأضله الله كمن لم يزين له ذلك وهداه الله تعالى.

ثم قال: {فَإِنَّ الله يُضِلُّ مَن يَشَاء} عن دينه {وَيَهْدِى مَن يَشَاء} لدينه {فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حسرات} قال القتبي: هذا من الإضمار. يعني: ذهبت نفسك حسرة عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات بتركهم الإيمان. وقرئ في الشاذ: {فَلاَ تَذْهَبْ} بضم التاء وكسر الهاء {نَّفْسَكَ} بنصب السين. من أذهب يذهب يعني: لا تقتل نفسك وقراءة العامة {فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ} بنصب التاء والهاء وضم السين أي: لا تحزن نفسك {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} من الخير والشر.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11)}

ثم قال عز وجل: {والله الذى أَرْسَلَ الرياح فَتُثِيرُ سحابا} أي: ترفعه وتهيجه {فَسُقْنَاهُ} يعني: نسوقه {إلى بَلَدٍ مَّيّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني: بعد يبسها {كَذَلِكَ النشور} يعني: هكذا تحيون بعد الموت يوم القيامة وروي عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن ابن الزبعرى، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: تقوم الساعة على شرار الناس. ثم يقوم ملك بالصور. فينفخ فيه، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات إلا ما شاء الله، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله، فيرسل الله الوباء من السماء من تحت العرش، كمني الرجال فتنبت لحومهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الندا. ثم قرأ: {فَأَحْيَيْنَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النشور} ثم ينفخ في الصور.

قوله عز وجل: {مَن كَانَ يُرِيدُ العزة فَلِلَّهِ العزة جَمِيعاً} يعني: من طلب العزة بعبادة الأوثان، فليتعزز بطاعة الله عز وجل. فإن العزة لله جميعاً. يقول: من

يتعزز بإذن الله. ويقال: معناه من كان يريد أن يعلم لمن تكون العزة، فليعلم بأن العزة لله جميعاً. ويقال: من كان يطلب لنفسه العزة، فإن العزة لله جميعاً.
ثم قال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب} قال مقاتل: يصعد إلى السماء كلمة التوحيد {والعمل الصالح يَرْفَعُهُ} يقول: التوحيد يرفع العمل الصالح إلى الله تعالى في السماء، فيها تقديم. وقال الحسن البصري: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله عز وجل. فإذا كان الكلام الطيب عملاً غير صالح، يرد القول إلى العمل لأنه أحق من القول. وقال قتادة {والعمل الصالح يَرْفَعُهُ} قال: الله يرفعه. ويقال: العمل الصالح يرفعه لصاحبه. ويقال: {يَرْفَعُهُ} يعني: يعظمه. ويقال: العمل الصالح يرفعه أي: يقبل الأعمال بالإخلاص. معناه: العمل الخالص الذي يقبله.
ثم قال: {والذين يَمْكُرُونَ السيئات} أي: يعملون بالشرك، ويقال: يعملون بالرياء لا يقبل منهم {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الآخرة {وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ} يعني: شرك أولئك، وفسقهم، وصنيعهم، يهلك صاحبه في الآخرة. يقال: بارت السلعة إذا كسدت لأنها إذا كسدت فقد تعرضت للهلاك.
ثم قال عز وجل: {والله خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ} يعني: آدم عليه السلام وهو أصل الخلق {ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ} يعني: خلقكم من نطفة {ثُمَّ جَعَلَكُمْ أزواجا} يعني: أصنافاً ذكراً وأنثى. ويقال: أصنافاً، أحمر وأبيض أسود. يعني: فاذكروني ووحدوني {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أنثى} ومن صلة في الكلام {وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ} يعني: بمشيئته {وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ} فيطول عمره {وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كتاب} يعني: إلا وكل ذلك في كتاب الله. أي: قد بيّن في اللوح المحفوظ. وروي عن ابن عمر أنه قرأ {مِنْ عُمُرِهِ} بجزم الميم وهما لغتان مثل نكر ونكر {إِنَّ ذلك عَلَى الله يَسِيرٌ} يعني: حفظه على الله هيِّن بغير كتابة.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 14]

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)}

ثم قال عز وجل: {وَمَا يَسْتَوِى البحران} العذب والمالح {هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ} يعني: طيّب هيّن شربه. ويقال: سلس في حلقه، حلو في شرابه {سَائِغٌ} يعني: شهياً. ويقال: يسوغه الشراب {وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ} يعني: الشديد الذي شيب بضرب إلى المرارة {وَمِن كُلّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً} يعني: السمك {وَتَسْتَخْرِجُونَ} من المالح {حِلْيَةٍ} وهي اللؤلؤ {تَلْبَسُونَهَا} يعني: تستعملونها، وتلبسون نساءكم. وهذا المثل لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار يعني: وما يستوي الذين صدقوا والذين كذبوا. ومن كل يظهر شيء من الصلاح يعني: يلد الكافر المسلم مثل ما أولد الوليد بن المغيرة خالد بن الوليد، وأبو جهل عكرمة بن أبي جهل.

قوله: {وَتَرَى الفلك} يعني: السفن {مَوَاخِرَ} يعني: تذهب وتجيء {فِيهِ} يعني: في البحر {لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} يعني: من رزقه {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} يعني: لكي تشكروا رب هذه النعمة. يقال في اللغة مخر يمخر إذا شقّ الماء. يعني: أن السفينة تشق الماء في حال جريها. يقال: مخرت السفينة إذا جرت وشقت الماء في جريها.

ثم قال عز وجل: {يُولِجُ اليل فِى النهار وَيُولِجُ النهار فِى اليل} وقد ذكرناه {وَسَخَّرَ الشمس والقمر} يعني: ذلّل الشمس والقمر لبني آدم. {كُلٌّ يَجْرِى لاِجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: إلى أقصى منازلها في الغروب، لأنها تغرب كل ليلة في موضع. وهو قوله عز وجل: {إِلاَّ على أزواجهم أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهم فَأِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المعارج: 30] ويقال: {إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: يجريان دائماً إلى يوم القيامة {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ} يعني: هذا الذي فعل لكم هذا الفعل هو ربكم وخالقكم {لَهُ الملك} فاعرفوا توحيده، وادعوه ولا تدعوا غيره {والذين تَدْعُونَ مِن دُونِهِ} يعني: من دون الله الأوثان وما يعبدونهم من دون الله {مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ} يعني: لا يقدرون أن يعطوكم ولا ينفعوكم بمقدار القطمير. والقطمير قشر النواة الأبيض الذي يكون بين النوى والتمر. وقال مجاهد: القطمير لفاف النوى.

ثم قال: {إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا استجابوا لَكُمْ} يعني: ولو كانوا بحال يسمعون أيضاً فلا يجيبونكم، ولا يكشفون عنكم شيئاً {وَيَوْمَ القيامة يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} يعني: يتبرؤون من عبادتكم. ويقولون: ما كنتم إيانا تعبدون.

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} يعني: لا يخبرك من عمل الآخرة مثل الرب تبارك وتعالى. ويقال: لا يخبرك أحد مثل الرب بأن هذا الذي ذكر عن الأصنام أنهم يتبرؤون عن عبادتهم.

تفسير الآيات رقم [15- 26]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (26)}

ثم قال عز وجل: {ياأيها الناس أَنتُمُ الفقراء إِلَى الله} يعني: أنتم محتاجون إلى ما عنده. ويقال: {أَنتُمُ الفقراء إِلَى الله} في رزقه ومغفرته {والله هُوَ الغنى الحميد} {الغنى} عن عبادتكم {الحميد} في فعله وسلطانه. وهذا كما قال في آية أخرى: {هَآ أَنتُمْ هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ الله فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ والله الغنى وَأَنتُمُ الفقرآء وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يكونوا أمثالكم} [محمد: 38] لأن كل واحد يحتاج إليه. لأن أحداً لا يقدر أن يصلح أمره إلا بالأعوان، والأمير ما لم يكن له خدم وأعوان، لا يقدر على الإمارة. وكذلك التاجر يحتاج إلى المكارين، والله عز وجل غني عن الأعوانِ وغيره.

ثم قال عز وجل: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} يعني: يهلككم ويميتكم {وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} أفضل منكم وأطوع لله {وَمَا ذلك عَلَى الله بِعَزِيزٍ} يعني: شديد {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى} يعني: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى. ويقال: لا تحمل بالطوع ولكن يحمل عليها إذا كان له خصماً.

ثم قال: {وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِهَا} يعني: الذي أثقلته الذنوب والأوزار، إن لو دعا أحداً، ليحمل عنه بعض أوزاره، لا يحمل من وزره شيئاً. وإن كان ذا قرابة لا يحمل من وزره. وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه، عن عكرمة قال:

إن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني إني كنت لك والداً فيثني عليه خيراً. فيقول: يا بني قد احتجت إلى مثقال ذرة. وفي رواية أخرى: إلى مثقال حبة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول له ولده: ما أيسر ما طلبت ولكن لا أطيق. إني أخاف مثل الذي تخوفت. ثم يتعلق بزوجته فيقول لها: إني كنت لك زوجاً في الدنيا فيثني عليها خيراً ويقول: إني طلبت إليك حسنة واحدة لعلي أنجو بها مما ترين. فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكن لا أطيق. إني أخاف مثل الذي تخوفت فذلك قوله: {وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَئ وَلَوْ كَانَ ذَا قربى}.

ثم قال: {إِنَّمَا تُنذِرُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالغيب} يعني: إنما تخوف بالقرآن الذين يخافون ربهم بالغيب. يعني: آمنوا بالله وهم في غيب منه {والذين يُمَسّكُونَ} يعني: يقيمون الصلاة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُنذر المؤمنين والكافرين. ولكن الذين يخشون ربهم هم الذين يقبلون الإنذار فكأنه أنذرهم خاصة.

ثم قال: {وَمَن تزكى} يعني: توحد. ويقال: تطهر نفسه من الشرك. ويقال: من صلح فإنما صلاحه لنفسه يثاب عليه في الآخرة.

ويقال: من يعطي الزكاة فإنما ثوابه لنفسه. {فَإِنَّمَا يتزكى لِنَفْسِهِ وَإِلَى الله المصير} فيجازيهم بعملهم.

قوله عز وجل: {وَمَا يَسْتَوِى الاعمى} يعني: الكافر الأعمى عن الهدى {والبصير} يعني: المؤمن {وَلاَ الظلمات وَلاَ النور} يعني: الكفر والإيمان {وَلاَ الظل وَلاَ الحرور} يعني: الجنة والنار {وَلاَ الحرور} هو استقرار الحر {وَمَا يَسْتَوِى الاحياء وَلاَ الاموات} قال القتبي: مثل الأعمى والبصير كالكافر والمسلم، والظلمات والنور مثل الكفر والإيمان، والظل والحرور مثل الجنة والنار، وما يستوي الأحياء ولا الأموات مثل العقلاء والجهال.

ثم قال: {إِنَّ الله يُسْمِعُ مَن يَشَاء} يعني: يفقه من يشاء {وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى القبور} يعني: لا تقدر أن تفقه الأموات وهم الكفار {إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ} يعني: ما أنت إلا رسول {إِنَّا أرسلناك بالحق} يعني: بالقرآن. ويقال: لبيان الحق {بَشِيراً وَنَذِيراً} وقد ذكرناه {وَإِن مّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ} يعني: وما من أمة فيما مضى إلا فيهم نذير. يعني: إلا جاءهم رسول.

ثم قال: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ} يا محمد {فَقَدْ كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني: بالأمر والنهي {وبالزبر} يعني: بالكتب، وبأخبار من كان قبلهم {وبالكتاب المنير} يعني: المضيء. الكتاب هو نعت لما سبق ذكره من البينات والزبر {ثُمَّ أَخَذْتُ الذين كَفَرُواْ} يعني: الذين كذبوهم فعاقبتهم {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} يعني: كيف كان إنكاري وتغييري عليهم ثم ذكر خلقه ليعتبروا به ويوحدوه:

▲ تفسير الآيات رقم [27- 30]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)}

فقال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السماء مَاء} يعني: المطر {فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا} من الثمار الأحمر، والأصفر، والحلو، والحامض {وَمِنَ الجبال جُدَدٌ بِيضٌ} يعني: خلق من الجبال جدداً يعني: جماعة الجدة. والجدة هي الطريق التي في الجبل. والجدد هي الطرائق. فترى الطريق من البعد منها أبيض، وبعضها حمر. وقال القتبي: الجدد الخطوط والطرق تكون في الجبال، فبعضها بيض وبعضها حمر، وبعضها غرابيب سود، وهو جمع غربيب وهو الشديد السواد. ويقال: أسود غربيب {وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ ألوانها وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ الناس والدواب} يعني: خلق من الناس والدواب {والانعام مُخْتَلِفٌ ألوانه كَذَلِكَ} أي: كاختلاف الثمرات.

ثم استأنف فقال: {إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماء} وقال بعضهم: إنما يتم الكلام عند قوله: {مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ}.

ثم استأنف فقال: {كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماء} يعني: هكذا يخشى الله من عباده العلماء. يعني: إن العلماء يعلمون خلق الله تعالى ويتفكرون في خلقه، ويعملون ثوابه وعقابه فيخشونه، ويعلمون بالطاعة طمعاً لثوابه، ويمتنعون عن المعاصي خشية عقابه. وقال مقاتل: أشد الناس خشية أعلمهم بالله تعالى. فيها تقديم. وروى سفيان عن بعض المشيخة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل: يا رسول الله أينا أعلم؟ فقال: " أَخْشَاكُمْ لله تَعَالَى إِنَّمَا

يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " قالوا: يا رسول الله فأيُّ الأصحاب أفضل؟ قال: " الذي إذا ذَكَرْتَ أَعَانَكَ، وإذا نَسِيتَ ذَكَّرَكَ». قالوا: فأي الأصحاب شر؟ قال: «الَّذِي إِذَا ذَكَرْتَ لَمْ يُعِنْكَ، وإذا أُنْسِيتَ لَمْ يُذَكِّرْكَ ". قالوا: فأيُّ الناس شر؟ قال: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلعُلَمَاءِ. وَالعَالِمُ إذا فَسَدَ فَسدَ النَّاسُ ". ثم قال تعالى: {أَنَّ الله عَزِيزٌ} في ملكه {غَفُورٌ} لمن تاب.

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين يَتْلُونَ كتاب الله} يعني: يقرؤون القرآن. ويقال: معناه يتبعون كتاب الله تعالى. يقال: تلا يتلو إذا تبعه كقوله تعالى: {والقمر إِذَا تلاها} [الشمس: 2] {والذين يُمَسّكُونَ} يعني: أتموا الصلوات في مواقيتها {وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} يعني: تصدقوا مما أعطيناهم من الأموال {سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تجارة لَّن تَبُورَ} يعني: لن تهلك ولن تخسر. ومعناه: {يَرْجُونَ تجارة} رابحة وهي الجنة مكان الحياة الدنيا.

ثم قال عز وجل: {لِيُوَفّيَهُمْ أُجُورَهُمْ} يعني: يوفر ثواب أعمالهم {وَيَزِيدَهُم مّن فَضْلِهِ} يعني: من رزقه من الجزاء، والثواب في الجنة. ويقال: {مِن فَضْلِهِ} يعني: من تفضله {إِنَّهُ غَفُورٌ} لذنوبهم {شَكُورٍ} لأعمالهم اليسيرة. والشكر على ثلاثة أوجه. الشكر ممن يكون دونه الطاعة لأمره وترك مخالفته. والشكر ممن هو شكله يكون الجزاء والمكافأة. والشكر ممن فوقه يكون رضى منه باليسير.

▲ تفسير الآيات رقم [31- 32]

{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)}

ثم قال عز وجل: {والذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكتاب} يعني: أرسلنا إليك جبريل عليه السلام بالقرآن {هُوَ الحق} لا شك فيه، {مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني: موافقاً لما قبله من الكتب {إِنَّ الله بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} يعني: عالم بهم وبأعمالهم.

قوله عز وجل: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب} ويقال: أعطينا القرآن {الذين اصطفينا مِنْ عِبَادِنَا} يعني: اخترنا من هذه الأمة. و{ثُمَّ} بمعنى العطف. يعني: وأورثنا الكتاب. ويقال {ثُمَّ} بمعنى التأخير. يعني: بعد كتب الأولين {أَوْرَثْنَا

الكتاب} {فَمِنْهُمْ ظالم لِّنَفْسِهِ} يعني: من الناس ظالم لنفسه {وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بالخيرات}.

روي عن ابن عباس في إحدى الروايتين أنه قال: الظالم الكافر، والمقتصد المنافق، والسابق المؤمن. وروي عنه رواية أخرى أنه قال: هؤلاء كلهم من المؤمنين. فالسابق الذي أسلم قبل الهجرة. والمقتصد الذي أسلم بعد الهجرة، قبل فتح مكة. والظالم الذي أسلم بعد فتح مكة. وطريق ثالث ما روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «السَّابِقُ الَّذِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالمُقْتَصِدُ الَّذِي يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَالظَّالِمُ الذي يُحَاسَبُ فِي طُولِ المَحْشَرِ». وطريق رابع ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجي، وظالمنا مغفور له. وطريق آخر ما روى أسد بن رفاعة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: سابقنا أهل الجهاد، ومقتصدنا أهل حضرنا، يعني: أهل الأمصار وهم أهل الجماعات والجمعات، وظالمنا أهل بدونا. وطريق سادس ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت عن هذه الآية فقالت: السابق النبي صلى الله عليه وسلم ومن مضى معه، والمقتصد مثل أبي بكر ومن مضى معه، والظالم فمثلي ومثلكم.

وطريق سابع ما روي عن مجاهد قال: الظالم هم أصحاب المشأمة، والمقتصد أصحاب الميمنة، والسابق هم السابقون بالخيرات، فكأنه استخرجه من قوله: {فأصحاب الميمنة مَآ أصحاب الميمنة} [الواقعة: 8] {والسابقون السابقون} [الواقعة: 10] وطريق ثامن ما روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: الظالم هم المنافقون، والمقتصد هم التابعون بإحسان، والسابق هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وطريق تاسع ما روي عن الحسن أيضاً أنه قال: السابق الذي ترك الدنيا، والمقتصد الذي أخذ من الحلال، والظالم الذي لا يبالي من أين أخذ.

وقيل: طريق عاشر: السابق الذي رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد الذي استوت حسناته مع سيئاته، والظالم الذي رجحت سيئاته على حسناته.

وقيل: طريق حادي عشر، السابق الذي سره خَيْرٌ من علانيته، والمقتصد الذي سِرُّهُ وعلانيته سواء، والظالم الذي علانيته خير من سره.

وطريق ثاني عشر: السابق الذي تهيأ للصلاة قبل دخول وقتها، والمقتصد الذي تهيأ للصلاة بعد دخول وقتها، والظالم الذي ينتظر الإقامة. وطريق ثالث عشر: السابق الذي يتوكل على الله يجعل جميع جهده في طاعة الله عز وجل،

والمقتصد الذي يطلب قوته ولا يطلب الزيادة، والظالم الذي يطلب فوق القوت والكفاف.
وقيل: طريق رابع عشر: السابق الذي شغله معاده عن معاشه، والمقتصد الذي يشتغل بهما جميعاً، والظالم الذي شغله معاشه عن معاده.
وقيل: طريق خامس عشر: السابق الذي ينجو نفسه وينجو غيره بشفاعته، والمقتصد الذي يدخل الجنة برحمة الله وفضله، والظالم الذي يدخل الجنة بشفاعة الشافعين.
وطريق سادس عشر: السابق الذي يعطى كتابه بيمينه، والمقتصد الذي يعطى كتابه بشماله، والظالم الذي يعطى كتابه وراء ظهره.
وطريق سابع عشر قيل: السابق الذي ركن إلى المولى، والمقتصد الذي ركن إلى العقبى، والظالم الذي ركن إلى الدنيا. وطريق ثامن عشر: ما روي عن يحيى بن معاذ الرازي قال: الظالم الذي يضيع العمر في الشهوة، والمعصية، والمقتصد الذي يحارب فيهما، والسابق الذي يجتهد في الزلات. ثم قال: لأن محاربة الصديقين في الزلات، ومحاربة الزاهدين في الشهوات، ومحاربة التائبين في الموبقات.
وطريق تاسع عشر قال: الظالم يطلب الدنيا تمتعاً، والمقتصد الذي يطلب الدنيا تلذذاً، والسابق الذي ترك الدنيا تزهداً. وطريق العشرين قال: الظالم الذي يطلب ما لم يؤمر بطلبه، وهو الرزق، والمقتصد الذي يطلب ما أمر به ولم يؤمر بطلبه، والسابق الذي طلبه مرضاة الله ومحبته.
وطريق حادي عشرين قيل: الظالم أصحاب الكبائر، والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق المجتنب عن الصغائر والكبائر. وطريق ثاني عشرين قيل: السابق الخارج إلى الغزو والرباطات قبل الناس، والمقتصد الخارج إليها مع الناس الذي يعلم ويعلم الناس ويعمل به، والمقتصد الذي يعلم ويعلم ولا يعمل به، والظالم الذي لا يعلم ولا يرغب إلى التعليم. وطريق رابع وعشرين، السابق الذي هو مشغول في عيب نفسه ولا يطلب عيب غيره، والمقتصد الذي يطلب عيب غيره، والظالم الذي هو مشغول في عيب غيره ولا يصلح عيب نفسه. وطريق خامس وعشرين ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب الذين اصطفينا} إلى قوله: {الفضل الكبير} قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَؤُلاءِ كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ. أمَّا السَّابِقُ بِالخَيْرَاتِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا

المُقْتَصِدُ فَإِنَّهُ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيْرَاً ثُمَّ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ يُحَاسَبُ حِسَاباً شَدِيداً وَيُحْبَسُ حَبْساً طَوِيلاً ثُمَّ يَدْخُلُ الجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلُوا الجَنَّةَ قَالُوا: الحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ».

وقد قيل غير هذا: إلا أنه يطول الكلام فيه. وفيما ذكرنا كفاية لمن عمل به. وأكثر الروايات أن الأصناف الثلاثة كلهم في الجنة مؤمنون، وأول الآية وآخرها دليل على ذلك. فأما أول الآية فقوله عز وجل: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب الذين اصطفينا} من عبادنا يعني: أعطينا الكتاب. فأخبر أنه أعطى الكتاب لهؤلاء الثلاثة.

وقال في آخر الآية {جنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى الله المتقين} [النحل: 31 وغيرها] فأشار إلى الأصناف الثلاثة بالآية الأولى، حيث قال: {وَأَوْرَثْنَا *** الكتاب}، والأخرى حيث قال: {يَدْخُلُونَهَا} ولم يقل: يدخلانها. وفي الآية الأخرى دليل أن الأصناف الثلاثة هم يدخلون الجنة. وقال بعضهم: تأول قول ابن عباس الذي قاله في رواية أبي صالح: أن الظالم كافر يعني: كفر النعمة. ومعناه: فمنهم من كفر بهذه النعمة، ولم يشكر الله عز وجل عليها. ومنهم مقتصد يعني: يشكر ويكفر. ومنهم سابق يعني: يشكر ولا يكفر.

وروي عن كعب الأحبار أنه قيل له: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان أبي مكنني جميع التوراة إلا ورقات منعني أن أنظر فيها. فخرج أبي يوماً لحاجة. فنظرت فيها فوجدت فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، وأنه يجعلهم يوم القيامة ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب. وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، ويدخلون الجنة بغير حساب، وثلث تشفع لهم الملائكة والنبيون فأسلمت. وقلت: لعلّي أكون من الصنف الأول، وإن لم أكن من الصنف الأول لعلّي أن أكون من الصنف الثاني أو من الصنف الثالث. فلما قرأت القرآن وجدتها في القرآن وهو قوله عز وجل: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب} إلى قوله: {جنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} الآية. فإن قيل: ايش الحكمة في ذكره الظالم ابتداءً وتأخيره ذكر السابق قيل له: الحكمة فيه والله أعلم لكيلا يعجب السابق بنفسه، ولا ييأس الظالم من رحمة الله عز وجل. ثم قال تعالى: {بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الفضل الكبير} يعني: الذي أورثهم من الكتاب واختارهم هو الفضل الكبير من الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 35]

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)}

ثم قال عز وجل: {جنات عَدْنٍ} يعني: لهم جنات عدن أي دار الإقامة يقال عدن يعدن إذا أقام قرأ أبو عمرو وابن كثير في إحدى الروايتين {يَدْخُلُونَهَا} بضم الياء، وفتح الخاء على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون {يَدْخُلُونَهَا} على معنى أن الفعل لهم {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ} يعني: يلبسون الحلي من أساور {مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً} قرأ نافع وعاصم {وَلُؤْلُؤاً} بالنصب ومعناه: يحلون أساور ولؤلؤاً. وقرأ الباقون بالكسر يعني: من ذهب ومن لؤلؤ.

ثم قال: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} يعني: لباسهم في الجنة من حرير الجنة لا كحرير الدنيا.

قوله عز وجل: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى أَذْهَبَ عَنَّا الحزن} يعني: حزن الموت وحزن خوف الخاتمة. ويقال: همّ العيش. ويقال: همّ المرور على الصراط {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ} يغفر الذنوب {شَكُورٍ} يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل عز وجل {الذى أَحَلَّنَا دَارَ المقامة مِن فَضْلِهِ} يعني: الحمد لله الذي أنزلنا دار الخلود والمقامة. والمقام بمعنى واحد يعني: الإقامة والدوام من فضله وكرمه {لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ} يعني: لا يصيبنا تعب وعناء {وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} يعني: لا يصيبنا فيها من أعباء كما يصيبنا في الدنيا.

ثم بيّن حال المشركين في النار:

▲ تفسير الآيات رقم [36- 40]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ

كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (39) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40)}

فقال عز وجل: {والذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا بوحدانية الله عز وجل {لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يقضى عَلَيْهِمْ} الموت. ويقال: لا يرسل عليهم ولا ينزل الموت {فَيَمُوتُواْ} حتى يستريحوا {وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مّنْ عَذَابِهَا} يعني: من عذاب جهنم {كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ} يعني: هكذا نعاقب كل كافر بالله تعالى. قرأ أبو عمرو {يَجْزِى} بالياء والضم ونصب الزاي {كُلَّ كَفُورٍ} بضم اللام على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون {نُجْزِى} بالنون والنصب {كُلَّ} بنصب اللام ومعنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد. يعني: كذلك يجزي الله تعالى.

ثم أخبر عن حالهم فيها فقال عز وجل: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا} أي: يستغيثون. يقال: صرخ يصرخ إذا أغاث واستغاث وهو من الأضداد. ويستعمل للإغاثة والاستغاثة، لأن كل واحد منهما يصلح وهو افتعال من الصراخ. يعني: يدعون في النار ويقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالحا غَيْرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ} يعني: نعمل غير الشرك وغير المعصية. يقول الله تعالى: {أَوَلَمْ نُعَمّرْكُمْ} يعني: أولم نعطكم من العمر والمهلة في الدنيا {مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ} يعني: يتعظ فيه من أراد أن يتعظ.

وروى مجاهد عن ابن عباس في قوله {أَوَلَمْ نُعَمّرْكُمْ} قال: العمر ستون سنة {وَجَاءكُمُ النذير} يعني: الشيب والهرم. وروي أن إبراهيم الخليل أول من رأى الشيب، فقال: يا رب ما هذا؟ فقال: هذا وقار في الدنيا، ونور في الآخرة. فقال: يا رب زدني وقاراً. ويقال: {أَوَلَمْ نُعَمّرْكُمْ} يعني: أولم نعطكم، ونطول أعماركم و {مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ} من تذكر أي: مقدار ما يتعظ فيه من يتعظ.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَقَدْ أَعْذَرَ الله إِلَى عَبْدٍ أَحْيَاهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً أَزَالَ عُذْرَهُ» {وَجَاءكُمُ النذير} أي: الرسول {فَذُوقُواْ} العذاب في النار {فَمَا للظالمين مِن نَّصِيرٍ} يعني: ما للمشركين من مانع من عذاب الله عز وجل.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله عالم غَيْبِ * السموات والارض} يعني: غيب ما يكون في السموات والأرض. يعني: أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه {إِنَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: عليم بما في قلوبهم. ويقال: عالم بما في قلوب العباد من الخير والشر.
ثم قال عز وجل: {هُوَ الذى جَعَلَكُمْ خلائف فِى الارض} يعني: قل لهم يا محمد الله تعالى جعلكم سكان الأرض من بعد الأمم الخالية {فَمَن كَفَرَ} بتوحيد الله {فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} يعني: عاقبة كفره وعقوبة كفره {وَلاَ يَزِيدُ الكافرين كُفْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً} وهو الغضب الشديد الذي يستوجب العقوبة.
يعني: لا يزدادون في طول أعمارهم إلا غضب الله تعالى عليهم. وقال الزجاج: المقت أشد الغضب {وَلاَ يَزِيدُ الكافرين كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً} يعني: غبناً في الآخرة وخسراناً.
ثم قال عز وجل: {قُلْ أَرَءيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: تعبدون من دون الله {أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الارض} يعني: أخبروني أي شيء خلقوا مما في السموات أو مما في الأرض من الخلق. وقال القتبي: من بمعنى في يعني: أروني ماذا خلقوا في الأرض. يعني: أي شيء خلقوا في الأرض كما خلق الله عز وجل {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى * السموات} يعني: عون على خلق السموات والأرض. ويقال: نصيب في السموات. اللفظ لفظ الاستفهام والشك، والمراد به النفي. يعني: ليس لهم شرك في السموات.
ثم قال: {قُلْ أَرَءيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ} يعني: أعطيناهم كتاباً. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به النفي. يعني: كما ليس لهم كتاب فيه حجة على كفرهم {فَهُمْ على بَيّنَةٍ مّنْهُ} يعني: ليسوا على بيان مما يقولون. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وعاصم، في رواية حفص {على بَيّنَةٍ} بغير ألف. وقرأ الباقون: {بينات} بلفظ الجماعة، ومعناهما واحد، لأن الواحد ينبئ عن الجماعة.
ثم قال: {بَلْ إِن يَعِدُ الظالمون بَعْضُهُم بَعْضاً} يعني: ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً. يعني: الشياطين للكافرين من الشفاعة لمعبودهم {إِلاَّ غُرُوراً} يعني: باطلاً.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 45]

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ

يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الله يُمْسِكُ السموات} يعني: يحفظ السموات {والارض أَن تَزُولاَ} يعني: لئلا تزولا عن مكانها {وَلَئِن زَالَتَا} يعني: يوم القيامة {إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مّن بَعْدِهِ} يعني: لا يقدر أحد أن يمسكهما. ويقال: {وَلَئِن زَالَتَا} يعني: إن زالتا في الحال، وهما لا يزولان {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا} عن قول الكُفَّار، حيث قالوا: لله ولد، فكادت السموات والأرض أن تزولا فأمسكهما بحلمه فلم يزولا {غَفُوراً} يعني: متجاوزاً عنهم إن تابوا. ويقال: {غَفُوراً} حيث لم يعجل عليهم بالعقوبة، وأمسك السموات والأرض أن تزولا.

وقوله عز وجل {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} يعني: كفار مكة كانوا يعيرون اليهود والنصارى بتكذيبهم أنبياءهم، وقالوا: لو أرسل الله عز وجل إلينا رسولاً، لكنا أهدى من إحدى الأمم، وكانوا يحلفون على ذلك فذلك قوله: {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} فكل من حلف بالله، فهو جهد اليمين {لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ} يعني: رسول {لَّيَكُونُنَّ أهدى مِنْ إِحْدَى الامم} يعني: أصوب ديناً من اليهود والنصارى {فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ} وهو محمد صلى الله عليه وسلم {مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً} يعني: ما زادهم الرسول إلا تباعداً عن الهدى.

قوله عز وجل: {استكبارا فِى الارض} يعني: تكبراً في الأرض، {استكبارا} مفعول المعنى زادهم الرسول تكبراً هذا كقوله {وَنُنَزِّلُ مِنَ القرءان مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظالمين إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء: 82] وكأن القرآن سبب لخسرانهم فأضاف إليهم.

ثم قال: {وَمَكْرَ السيئ} يقول: قول الشرك واجتماعهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم. قرأ حمزة {وَمَكْرَ السيئ} بجزم الياء. وقرأ الباقون بالكسر لتبين الحروف، وجزم حمزة لكثرة الحركات.

ثم قال: {وَلاَ يَحِيقُ المكر السيئ إِلاَّ بِأَهْلِهِ} يعني: لا يدور وينزل المكر السيئ إلا بأهله. يعني عقوبة المكر ترجع إليهم {فَهَلْ يَنظُرُونَ} يعني: ما ينتظرون {إِلاَّ سُنَّةَ آلأَوَّلِينَ} يعني: عقوبة الأمم الخالية أن ينزل بهم مثل ما

نزل بالأولين {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً} يعني: لصنعة الله تعالى. ويقال: لملة الله. ويقال: لسنة الله في العذاب {تَبْدِيلاً} يعني: لا يقدر أحد أن يبدله {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَحْوِيلاً} يعني: تغييراً. يعني: لا يقدر أحد أن يغير فعل الله تعالى.
ثم وعظهم ليعتبروا فقال عز وجل: {أَوَلَمْ يَسيرُواْ فِى الارض} يعني: أو لم يسافروا في الأرض {فَيَنظُرُواْ} يعني: فيعتبروا {كَيْفَ كَانَ عاقبة الذين} يعني: آخر أمر الذين كانوا {مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} يعني: منعة {وَمَا كَانَ الله لِيُعْجِزَهُ مِن شَئ} يعني: ليسبقه، ويفوته من شيء.
ويقال: لا يقدر أحد أن يهرب من عذابه {فِي السموات *** وَلاَ فِى الارض إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً} بخلقه بأنه لا يفوت منهم أحد {قَدِيراً} يعني: قادراً عليهم بالعقوبة.
قوله عز وجل: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله الناس بِمَا كَسَبُواْ} يعني: لو عاقبهم {مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا} يعني: على ظهر الأرض {مِن دَابَّةٍ} يعني: لهلكت الدواب من قحط المطر. قال قتادة: {مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا} من دابة إلا أهلكهم كما أهلك من كان في زمان نوح عليه السلام ويقال: {مِن دَابَّةٍ} يعني: من الجن والإنس فيعاقبهم بذنوبهم، فيهلكهم. وقال مجاهد: {مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ} يعني من هوام الأرض من العقارب، ومن الخنافس. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كاد الجعل أن يعذب في حجره بذنب بني آدم. ثم قرأ {وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله الناس} الآية. والعرب تكني عن الشيء إذا كان مفهوماً كما كنى ها هنا عن الأرض كقوله: {مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا} وَإِن لم يسبق ذكر الأرض.
ثم قال: {ولكن يُؤَخِرُهُمْ إلى أَجَلٍ مسمى} يعني: إلى الميعاد الذي وعدهم الله تعالى. ويقال: إلى الوقت الذي وقت لهم في اللوح المحفوظ {فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ} يعني: إلى انقضاء حياتهم. ويقال: هو البعث.
قال تعالى: {فَإِنَّ الله كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً} يعني: عالماً بهم وبأعمالهم. روى الزهري عن سعيد بن المسيب قال: لما طعن عمر رضي الله عنه، قال كعب: لو دعى الله عمر لأخر في أجله. فقال الناس: سبحان الله أليس قد قال الله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: 34] فقال كعب: وقد قال: {والله خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أزواجا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أنثى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كتاب إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ} [فاطر:

[11] قال الزهري: فنرى أن ذلك ما لم يحضر الأجل فإذا حضر لم يؤخر، وليس أحد إلا وعمره مكتوب في اللوح المحفوظ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

▲ سورة يس

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5)}

قوله تبارك وتعالى: {يس} قرأ حمزة بين الكسر والفتح. وقرأ الكسائي بالإمالة. وقرأ الباقون: بالفتح. وقرأ ابن عامر، والكسائي: {يس والقرءان} مدغم بالنون. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وحمزة: بإظهار النون. وكل ذلك جائز في اللغة. وقرئ في الشاذ {يَاسِينَ} بنصب النون، ومعناه: اتل ياسين. لأن يس اسم سورة. وقراءة العامة بالتسكين، لأنها حروف هجاء، فلا تحتمل الإعراب مثل قوله تعالى: {الم} وروي عن ابن عباس في تفسير قوله: {يس} يعني: يا إنسان بلغة طيئ. وهكذا قال مقاتل عن قتادة، والضحاك. وروي عن محمد ابن الحنفية أنه قال: {يس} يعني: يا محمد. وروى معمر عن قتادة قال: {يس} اسم من أسماء القرآن. ويقال: افتتاح السورة. وقال مجاهد: هذه فواتح السور يفتتح بها كلام رب العالمين. وقال شهر بن حوشب. قال كعب: {يس} قسم أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، فقال: {يس والقرءان الحكيم} ويا محمد {إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين} وقال ابن عباس في قوله: {والقرءان الحكيم} أي: أحكم حلاله، وحرامه، وأمره، ونهيه. ويقال: حكيم يعني: محكم من التناقض والعيب. ويقال: {الحكيم} أي: الحاكم كالعليم. يعني: العالم. يعني: القرآن حاكم على جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى من قبل {إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين} فهذا جواب القسم، ومعناه: يا إنسان {والقرءان الحكيم إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين} يعني: رسولاً كسائر المرسلين جواباً لقولهم: لست مرسلاً {على صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: إنك على صراط مستقيم ويقال: هذا نعت للرسل يعني: {إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين} الذين كانوا على صراط مستقيم، أي: على طريق الإسلام.

ثم قال عز وجل: {تَنزِيلَ العزيز الرحيم} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في إحدى الروايتين {تَنزِيلَ} بضم اللام ومعناه: هذا القرآن تنزيل أو

هو تنزيل العزيز الرحيم، وقرأ الباقون {تَنزِيلَ} بالنصب، ومعناه: نزّله تنزيلاً فصار نصباً بالمصدر.

تفسير الآيات رقم [6- 10]

{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10)}

ثم قوله تعالى: {لّتُنذِرَ} يعني: لتخوف بالقرآن {قَوْماً مَّا أُنذِرَ ءابَاؤُهُمْ} يعني: كما أنذر آباؤهم الأولون {فَهُمْ غافلون} عن ذلك يعني: عما أنذر آباؤهم.

ثم قال عز وجل: {لَقَدْ حَقَّ القول} أي: وجب القول بالعذاب {على أَكْثَرِهِمْ} أي: على الكفار. ويقال: {لَقَدْ حَقَّ القول} وهو قوله: {قَالَ اخرج مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: 18 وغيرها] ويقال: {القول} كناية عن العذاب أي: وجب عليهم العذاب {فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} يعني: لا يصدقون بالقرآن {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم أغلالا} قال مقاتل: نزلت في بني مخزوم، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليدفعنه بحجر، فأتاه وهو يصلي، فرفع الحجر ليدمغه، فيبست يده إلى عنقه، والتزق الحجر بيده، ورجع إلى أصحابه، فخلصوا الحجر من يده. ورجل آخر من بني المغيرة، أتاه ليقتله، فطمس الله على بصره، فلم يرَ النبي صلى الله عليه وسلم، وسمع قوله، فرجع إلى أصحابه، فلم يرهم حتى نادوه، فذلك قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم أغلالا *** فَهِىَ **إِلَى الاذقان فَهُم مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً} وذكر في رواية الكلبي نحو هذا، وقال بعضهم: {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم أغلالا} أي: نجعل في أعناقهم أغلالاً يوم القيامة. ويقال: معناه {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم أغلالا} أي: جعلنا أيديهم ممسكة عن الخيرات، مجازاة لكفرهم. {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً} أي: حائلاً لا يهتدون إلى الإسلام، ولا يبصرون الهدى، وقال بعضهم: {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم أغلالا} يعني: أيديهم. ولم يذكر في الآية اليد، وفيها دليل، لأن الغل لا يكون إلا باليد إلى العنق. فلما ذكر العنق فكأنما ذكر اليد. وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، أنهما قرآ: إنا جعلنا في {أيمانهم *** أغلالا}. وقرأ بعضهم {فَى أَيْدِيهِمْ}. وكل ذلك يرجع إلى معنى واحد. لأنه لا يجوز أن يكون الغل بأحدهما دون الآخر كقوله: {والله جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظلالا وَجَعَلَ لَكُمْ

مِّنَ الجبال أكنانا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحر وسرابيل تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} [النحل: 81] ولم يذكر البرد لأن في الكلام دليلاً عليه.

ثم قال: {فَهِىَ * إِلَى الاذقان فَهُم مُّقْمَحُونَ} أي: رددنا أيديهم إلى أعناقهم {إِلَى الاذقان} أي: الحنك الأيسر {فَهُم مُّقْمَحُونَ} أي: رافعو الرأس إلى السماء، غاضّو الطرف لا يبصر موضع قدميه. وقال قتادة: أي مغلولين من كل خير.

ثم قال عز وجل: {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً} أي: ظلمة {ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً} أي: ظلمة {فأغشيناهم} بالظلمة {فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ * وَسَوَآء عَلَيْهِمْ} الآية.

يعني: خوفتهم، اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ {وَسَوَآء عَلَيْهِمْ أَءنذَرْتَهُمْ} يعني: خوفتهم {أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} يعني: أم لم تخوفهم لا يصدقون. إنما نزلت الآية في شأن الذين ماتوا على كفرهم، أو قتلوا على كفرهم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {سَدّا} بنصب السين في كلاهما. وقرأ الباقون: بالضم. وقال أبو عبيدة: قراءتنا بالضم لأنهما من فعل الله تعالى، وليس من فعل بني آدم. وقال القتبي: المقمح الذي يرفع رأسه، ويغض بصره. يقال: بعير قامح إذا روي من الماء فقمحت عيناه. وقال: والسد الجبل {فأغشيناهم} يعني: أعمينا أبصارهم عن الهدى.

تفسير الآيات رقم [11- 12]

{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتبع الذكر} يعني تخوف بالقرآن من اتبع الذكر، يعني من قبل الموعظة وسمع القرآن {وَخشِىَ الرحمن بالغيب} يعني: أطاعه في الغيب {فَبَشّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ} في الدنيا {وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} في الآخرة.

ثم قال عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ الموتى} يعني: نبعثهم في الآخرة {وَنَكْتُبُ مَاَ قَدَّمُواْ} يعني: نحفظ ما أسلفوا، وما عملوا من أعمالهم. ويقال: {وَنَكْتُبُ مَاَ قَدَّمُواْ} يعني: تكتب أعمالهم الكرام الكاتبون، وما عملوا من خير أو شر {وَءاثَارَهُمْ} يعني: ما استنوا من سنة خير أو شر عملوه، واقتدى بهم من بعدهم، فلهم مثل أجورهم، أو عليهم مثل أوزارهم من غير أن ينقص منه شيئاً، وهذا كقوله عز وجل: {بَلِ الإنسان على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: 14] وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ» إلى آخره

وقال مجاهد: {وَءاثَارَهُمْ} يعني: خطاهم. وروى مسروق أنه قال: مَا خَطَا عَبْدٌ خُطْوَةً إلاَّ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ أوْ سَيِّئَةٌ. وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن بني سلمة ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارُكُمْ فَإنَّمَا تُكْتَبُ آثَارُكُمْ». ثم قال: {وَكُلَّ شئ أحصيناه} أي: حفظناه وبيَّناه {فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ} يعني: في اللوح المحفوظ.

تفسير الآيات رقم [13- 14]

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14)}

قوله عز وجل: {واضرب لَهُمْ مَّثَلاً} أي: وصف لهم شبهاً {أصحاب القرية} أهل القرية وهي أنطاكية {إِذْ جَاءهَا المرسلون} يعني: رسل عيسى عليه السلام {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثنين} قال مقاتل: هما تومان وطالوس {فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} يعني: قويناهما بثالث وهو شمعون وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {فَعَزَّزْنَا} بالتخفيف، ومعناهما: غلبنا. نقول: عزه يعزه إذا غلبه، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ هَذَآ أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِى نَعْجَةٌ واحدة فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الخطاب} [ص: 23] يعني: غلبني في القول. وقرأ الباقون: {فَعَزَّزْنَا} بالتشديد، ومعناه: قوينا، وشددنا الرسالة برسول ثالث، وذلك أن عيسى ابن مريم عليهما السلام رسول إلى أنطاكية. وإنما كان إرساله بإذن الله عز وجل. فأضاف إليه حيث قال: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثنين} ثم بعث بعد ذلك شمعون. وروي في بعض الروايات أن عيسى عليه السلام أوصى إلى الحواريين أن يتفرقوا في البلدان. ثم رفع عيسى إلى السماء، وكان مجيء الرسل بعدما رفع عيسى. وفي بعض الروايات: أنه أرسل الرسل، ثم رفع، وكان للرسل من المعجزة ما للأنبياء عليهم السلام بدعاء عيسى عليه السلام فلما جاء الرسولان الأولان، ودخلا أنطاكية، وجعلا يناديان فيها بالإيمان بالرحمن، يعني: يدعوان إلى الإيمان بالله عز وجل، ويزجران أهلها عن عبادة الأصنام والشيطان، فأخذوهما شرط الملك، وأتَوْا بهما إلى الملك، فلما دخلا على الملك، قالا: إن الأوثان التي تعبدون ليست بشيء، وإن إلهاكم الله الذي في السماء، وأن من مات منكم صار إلى النار. فغضب الملك، وجلدهما، وسجنهما، ثم حضر شمعون ودخل أنطاكية، وجاء إلى السجن فقال للسجان: ائذن لي حتى أدخل السجن، فإني أريد أن أدفع إلى كل واحد كسرة خبز، فأذن

له. فدخل وجعل يعطي لكل واحد كسرة خبز، حتى انتهى إلى صاحبيه، فقال لهما: إني أريد أن آتي الملك، وأطلب فكاككما، حتى أخلصكما، فإنكما لم تأتيا الأمر من قبل وجهه. ألم تعلما أنكما لا تطاعان إلا بالرفق واللطف، وأن مثلكما مثل امرأة لم تلد زماناً من دهرها ثم ولدت غلاماً، فأسرعت بشأنه، فأطعمته الخبز قبل أوانه، فغص بلقمة فمات. فكذلك دعوتكما هذا الملك قبل أوان الدعاء، فأصابكما البلاء، ثم انطلق شمعون، وتركهما، فقعد عند بيت الأصنام، حتى إذا دخلوا بيت الأصنام، دخل في صلاتهم، فقام بين يدي تلك الأصنام يصلي، ويتضرع، ويسجد لله تعالى، ولا يشكون أنه على ملتهم، وأنه إنما يدعو آلهتهم، ففعل ذلك أياماً، فذكروا ذلك للملك، فدعاه، وكلمه، وقال له: من أين أنت؟ فقال: أنا رجل من بني إسرائيل، وقد انقرض أهلي، وكنت بقيتهم، وجئت إلى أصحابك آنس بهم، وأسكن إليكم، فسأله الملك عن أشياء، فوجده حسن التدبير، والرأي فلبث فيهم ما شاء الله، فلما رأى أمره قد استقام، قال: يا أيها الملك إنِّي قد بلغني أنك سجنت رجلين منذ زمان يدعوانك إلى إله غير إلهاك، فهل لك أن تدعوهما، فأسمع كلاهما وأخاصمهما عنك؟ فقال الملك: نعم.

فدعاهما، وأقيما بين يديه، فقال لهما شمعون، أخبراني عن إلهاكما؟ فقالا: إنه يبرئ الأكمه والأبرص، فدعي برجل ولد أعمى فدعوا الله تعالى، فأبصر الأعمى. قال شمعون: فأنا أفعل مثل ذلك. فأتي بآخر، فدعا شمعون رضي الله عنه فبرئ، فقال لهما شمعون، لا فضل لكما عليّ بهذا. ثم أتي برجل أبرص، فدعوا، فبرئ، وفعل شمعون بآخر مثل ذلك. فقال لهما شمعون: فهل عندكما شيء غير هذا؟ فقالا: نعم إن ربنا يحيي الموتى. فقال شمعون: أنا لا أقدر على ذلك. ثم قال للملك: هل لك أن تأتي بالصنم فلعله يحيي الموتى، فيكون لك الفضل عليهما ولإلاهك؟ فقال الملك: إنك تعلم أنه لا يسمع، ولا يبصر، فكيف يحيي الموتى؟ ثم قال له شمعون سلهما هل يستطيعان أن يفعلا مثل ما قالا؟ فقال الملك: إن عندنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام، وكان لأبيه ضيعة قد خرج إليها وأهله ينتظرون قدومه، واستأذنوا في دفنه، فأمرهم أن يؤخروه حتى يحضر أبوه، فَأَمَرَهم بإحضار ذلك الميت، فلم يزالا يدعوان الله تعالى، وشمعون يعينهما بالدعاء في نفسه، حتى أحياه الله تعالى. فقال شمعون: أنا أشهد أنهما صادقان وأن إلههما حق، فاجتمع أهل المصر، وقالوا: إن كلمتهم كانت واحدة، فرجموهم بالحجارة، وجاء أب الغلام، فأسلم، وقتل أب الغلام

أيضاً، وهو حبيب بن إسرائيل النجار. ثم إن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام فصاح صيحة فماتوا كلهم، فذلك قوله تعالى: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثنين فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ} يعني: هؤلاء الثلاثة {إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ} وأروهم العلامة.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 19]

{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19)}

قوله عز وجل: {قَالُواْ مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَا} يعني: آدمي مثلنا {وَمَا أَنزلَ الرحمن مِن شَئ} يعني: لم يرسل الرسل من الآدميين {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ} بأنكم رسل الله تعالى. يعني: أرسلكم عيسى بأمر الله تعالى، فأنكروا ذلك {قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ} يعني: أن الرسل قالوا: {رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} يعني: أرسلنا عيسى عليه السلام بأمر الله تعالى {وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ البلاغ المبين قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} يعني: قال أهل أنطاكية: إنا تشاءمنا بكم، وهذا الذي يصيبنا من شؤمكم، وهو قحط المطر {لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ} يعني: لنقتلنّكم {وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُواْ طائركم مَّعَكُمْ} يعني: شؤمكم معكم، وبأعمالكم الخبيثة. ويقال: إن الذي يصيبكم، كان مكتوباً في أعناقكم، {أءن ذُكّرْتُم} يعني: إن وعظتم بالله. قرأ نافع وأبو عمرو {أَيْنَ} بهمزة واحدة ممدودة. وقرأ الباقون: بهمزتين. وقرأ زر بن حبيش: {ءانٍ ذُكّرْتُم} بهمزة واحدة مع التخفيف والفتح. يعني: لأنكم وعظتم؟ فلم تتعظوا. ومن قرأ بالاستفهام فمعناه: إن وعظتم تطيرتم. قالوا: هذا جواباً لقولهم: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} ويقال: معناه {أَءن ذُكّرْتُم}. يعني: حين وعظتم بالله تشاءمتم بنا.

ثم قال: {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} يعني: مشركون.

تفسير الآيات رقم [20- 32]

{وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آَمَنْتُ

بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (31) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32)}

قوله تعالى: {وَجَاء مِنْ أَقْصَى المدينة} يعني: من وسط المدينة، وهو حبيب بن إسرائيل النجار {رَجُلٌ يسعى} يعني: يسعى في مشيه. وقال بعضهم: هو الذي عاش ابنه بعد الموت، بدعاء الرسل، فجاء وأسلم. وقال بعضهم: كان ابنه مريضاً، فبرئ بدعوة الرسل، فصدق بهم، فلما بلغه أن القوم أرادوا قتل الرسل، جاء ليمنع الناس عن قتلهم. وقال قتادة: كان في غار يدعو ربه فلما بلغه مجيء الرسل أتاهم {قَالَ يَا قَوْمٌ اتبعوا المرسلين} يعني: دين المرسلين ثم قال للرسل هل تسألون على هذا أجراً؟ فقالوا: لا. فقال: للقوم {اتبعوا مَن لاَّ يَسْئَلُكُمْ أَجْراً} يعني: على الإيمان {وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} يدعوكم إلى التوحيد. فقال له قومه: تبرأت عن ديننا، واتبعت دين غيرنا. فقال: {وَمَا لِىَ لاَ أَعْبُدُ الذى فَطَرَنِى} يعني: خلقني. قرأ حمزة وابن عامر في إحدى الروايتين: {وَمَا لِىَ} بسكون الياء. وقرأ الباقون: بالفتح. وهما لغتان وكلاهما جائز.

ثم قال: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يعني: تصيرون إليه بعد الموت، وهذا كقوله: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بِمَآ ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القيامة وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السماوات والارض والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران: 180] فقالوا له: ارجع إلى ديننا. فقال حبيب: {أَءتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءالِهَةً} يعني: أعبد من دونه أصناماً {إِن يُرِدْنِ الرحمن بِضُرّ} يعني: ببلاء وشدة إذا فعلت ذلك {لاَّ تُغْنِ عَنّى شفاعتهم شَيْئاً} يعني: لا تقدر الآلهة أن يشفعوا لي {وَلاَ يُنقِذُونَ} يعني: لا يدفعون عني الضرر {إِنّى إِذاً لَّفِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: إني إذا فعلت ذلك لفي خسران بيّن {إِنّى ءامَنتُ بِرَبّكُمْ فاسمعون} يعني: فاشهدوني، وأعينوني بقول لا إله إلا الله. وقال ابن عباس: أُلقي في البئر وهو الرس كما قال {وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ} [ق: 12] وقال قتادة: قتلوه بالحجارة. وهو يقول: رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون. وقال مقاتل: أخذوه ووطؤوه، تحت أقدامهم، حتى خرجت أمعاؤه، ثم ألقي في البئر، وقتلوا الرسل الثلاثة. فلما ذهب بروح حبيب

النجار إلى الجنة ف {قِيلَ} له {ادخل الجنة قَالَ ياليت ياليت قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبّى} وذلك حين دخلها، وعاين ما فيها من النعيم، تمنى أن يسلم قومه فقال: {قَالَ ياليت قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبّى} بالذي غفر لي ربي. ويقال: بمغفرتي. ويقال: بماذا غفر لي ربي؟ فلو علموا، لآمنوا بالرسل.

ثم قال: {وَجَعَلَنِى مِنَ المكرمين} أي: الموحدين في الجنة. نصح لهم في حياته، وبعد وفاته.

يقول الله تعالى: {وَمَا أَنزَلْنَا على قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مّنَ السماء} يعني: من بعد حبيب النجار {مِن جُندٍ} من السماء، يعني: الملائكة {وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ} يعني: لم نبعث إليهم أحداً {إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً واحدة} يعني: ما كانت إلا صيحة جبريل عليه السلام {فَإِذَا هُمْ خامدون} يعني: ميتون لا يتحركون {خامدون ياحسرة عَلَى العباد} يعني: يا ندامة على العباد في الآخرة.

يعني: يقولون: يا حسرتنا على ما فعلنا بالأنبياء عليهم السلام {مَا يَأْتِيهِمْ مّن رَّسُولٍ} في الدنيا {إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

ثم خوّف المشركين بمثل عذاب الأمم الخالية ليعتبروا فقال: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا} يعني: ألم يعلموا؟ ويقال: ألم يخبروا كم أهلكنا {قَبْلَهُمْ مّنَ القرون} يعني: كم عاقبنا من القرون الماضية {أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ} إلى الدنيا {وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ} قرأ عاصم، وحمزة، وابن عامر، بتشديد الميم. وقرأ الباقون: بالتخفيف. فمن قرأ بالتشديد فمعناه: وما كل إلا جميع. ومن قرأ بالتخفيف فما زائدة ومؤكدة. والمعنى وإن كل لجميع لدينا محضرون. يعني: يوم القيامة محضرون عندنا، ثم وعظهم كي يعتبروا من صنعه، فيعرفوا توحيده.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 35]

{وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)}

قوله تعالى {وَآيَةٌ لَهُمُ} يعني علامة وحدانيته {الأرض الميتة أَحْيَيْنَاهَا} يغني الأرض اليابسة أحييانها بالمطر لتنبت {وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً} يعني الحبوب كلها {فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا} يعني وخلقنا في الأرض {جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} يعني البساتين والكروم {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العيون} يعني أجرينا في

الأرض الأنهار تخرج ن العيون {لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ} يعني من الثمرات {وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ} يعني لم تعمل أيديهم، ويقال: والذي عملت أيديهم مما يزرعون {أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} رب هذه النعم فيوحدوه، وقرأ حمزة والكسائي {ثُمُرِهِ} بالضم. وقرأ الباقون: بالنصب. والثَّمر بالنصب، جماعة الثمرة. والثمرات جمع الجمع وهو الثمر، مثل كتاب وكتب. والثُّمر بالضم جمع الثمار. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: {وَمَا عَمِلَتْ} بغير هاء. وقرأ الباقون: بالهاء. ومعناهما واحد.

ثم قال: {أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، يعني: اشكروا رب هذه النعم ووحدوه.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 40]

{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)}

ثم قال عز وجل: {سبحان الذى خَلَقَ الازواج كُلَّهَا} يعني: تنزيهاً لله عز وجل الذي خلق الأصناف كلها {مِمَّا تُنبِتُ الارض} يعني: ألواناً من النبات والثمار. ففي كل شيء خلق الله تعالى دليلاً على وحدانيته تعالى وربوبيته {وَمِنْ أَنفُسِهِمْ} يعني: خلق من جنسهم أصناف الذكر والأنثى، وألواناً مختلفة {وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: وخلق من الخلق ما لا يعلمون، وهذا كقوله: {والخيل والبغال والحمير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [النحل: 8].

ثم ذكر لهم دلالة أخرى ليعتبروا بها، فقال عز وجل: {وَءايَةٌ لَّهُمُ اليل} يعني: علامة وحدانيته الليل {نَسْلَخُ مِنْهُ النهار} يعني: نخرج ونميز منه النهار {فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} يعني: داخلون في الظلمة. ويقال: يبقون في الظلمة. ويقال: إن الله خلق الدنيا مظلمة.

ثم قال: {والشمس} سراجاً، فإذا طلعت الشمس، صارت الدنيا مضيئة. وإذا غربت الشمس، بقيت الظلمة. كما كانت، وهو قوله تعالى: {نَسْلَخُ مِنْهُ النهار} يعني: ننزع الضوء منه {فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} يعني: يبقون في الظلمة. ويقال: نسلخ الليل. يعني: نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى منه شيء من ضوء النهار، كما نسلخ الليل من النَّهار، فكذلك نسلخ النهار من الليل. فكأنه يقول:

الليل نسلخ منه النهار، والنهار نسلخ منه الليل، فاكتفى بذكر أحدهما، لأن في الكلام دليلاً. وقد ذكر في آية أخرى قال: {خَلَقَ السماوات والارض بالحق يُكَوِّرُ اليل عَلَى النهار وَيُكَوِّرُ النهار عَلَى اليل وَسَخَّرَ الشمس والقمر كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ العزيز الغفار} [الزمر: 5].
ثم قال عز وجل: {والشمس تَجْرِى لِمُسْتَقَرّ لَّهَا} قال مقاتل: يعني: لوقت لها. وقال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها، ولا تتجاوزها. ثم ترجع إلى أول منازلها. وقال القتبي: {والشمس تَجْرِى لِمُسْتَقَرّ لَّهَا} يعني: إلى مستقر لها. ومستقرها أقصى منازلها في الغروب. وذلك لأنها لا تزال تتقدم في كل ليلة، حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع فذلك مستقرها، لأنها لا تجاوزها. وطريق آخر ما روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس، فقال: «يا أبَا ذَرَ أَتَدْرِي أيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّهَا تَغْربُ، وَتَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، وَتَسْتَأْذِن فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أنْ تَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، حَتَّى تَسْتَشْفِعَ، وَتَطْلُبَ، فَإذا طَالَ عَلَيْهَا، قيلَ لَهَا: اطلعي مَكَانَكِ، فذلك قوله: {والشمس تَجْرِى لِمُسْتَقَرّ لَّهَا} قال: مُسْتَقَرُّها تَحْتَ العَرْشِ». ثم قال: {ذلك تَقْدِيرُ العزيز العليم} العزيز بالنقمة، العليم بما قدّره من أمرها، وخلقها.
وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ: {والشمس تَجْرِى لمُّسْتَقِرٌّ لَهَا} يعني: لا تقف، ولا تستقر، ولكنها جارية أبداً.
ثم قال عز وجل: {والقمر قدرناه مَنَازِلَ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو {والقمر} بالضم وقرأ الباقون: بالنصب. فمن قرأ بالضم، فله وجهان. أحدهما أن يكون على الابتداء، والآخر معناه: {وَءايَةٌ لَّهُمُ} القمر عطف على قوله: {وَءايَةٌ لَّهُمُ اليل} ومن قرأ بالنصب، فمعناه: وقدرنا القمر. وقال مقاتل في قوله: {والقمر قدرناه مَنَازِلَ} يعني: قدرناه منازل في السماء، يبدو رقيقاً، ثم يستوي، ثم ينقص في آخر الشهر. وقال الكلبي: {قدرناه مَنَازِلَ} أي: قدرناه منازل بالليل، ينزل كل ليلة في منزل، ويصعد في منزل، حتى ينتهي إلى مستقره الذي لا يجاوزه، ثم يعود إلى أدنى منازله. ويقال: إن القمر يدور في منازله في شهر واحد، مثل ما تدور الشمس في منازلها في سنة واحدة، قال مقاتل وذلك أن القمر عرضه ثمانون فرسخاً مستديرة، والشمس هكذا. وكان ضوؤهما واحداً، فأخذ تسعة وتسعون جزءاً من القمر، فألحقت بالشمس.

وروي عن ابن عباس أنه قال: القمر أربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً، والشمس ستون فرسخاً في ستين فرسخاً. وقال بعضهم: القمر والشمس عرض كل واحد منهما مثل الدنيا كلها.
ثم قال تعالى: {حتى عَادَ كالعرجون القديم} يعني: صار كالعذق اليابس، المنقرس، الذي حال عليه الحول. ويقال: للقمر ثمانية وعشرون منزلاً، فإذا صار في آخر منازله، دقّ حتى يعود كالعذق اليابس. والعرجون إذا يبس، دق واستقوس، فشبه القمر به. يعني: صار في عين الناظر كالعرجون، وإن كان هو في الحقيقة عظيم بنفسه، إلا أنه في عين الناظر يراه دقيقاً.
ثم قال عز وجل: {لاَ الشمس يَنبَغِى لَهَا أَن تدْرِكَ القمر} يعني: أن تطلع في سلطان القمر. وقال عكرمة: لكل واحد منهما سلطان للشمس سلطان بالنهار، وللقمر سلطان بالليل. فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل {وَلاَ اليل سَابِقُ النهار} يعني: لا يدرك سواد الليل ضوء النهار، فيغلبه على ضوئه {وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} يعني: في دوران يجرون، ويدورون، ويقال: {يَسْبَحُونَ} يعني: يسيرون فيه بالانبساط، وكل من انبسط في شيء، فقد سبح فيه، وقال بعضهم: السماء كالموج المكفوف، والشمس والقمر، والكواكب الدوارة يسبحون فيها وقال بعضهم: الأفلاك كثيرة، مختلفة في السير، تقطع القمر في ثمانية وعشرين يوماً، والشمس تقطع في سنة. وقال بعضهم: الفلك واحد، وجريهن مختلف، والفلك في اللغة كل ما يدور.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 44]

{وَآَيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (43) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (44)}
ثم قال عز وجل: {وَءايَةٌ لَّهُمُ} يعني: علامة لكفار مكة على معرفة وحدانية الله تعالى، {أَنَّا حَمَلْنَا ذُرّيَّتَهُمْ} يعني: آباءهم، واسم الذرية يقع على الآباء والنسوة، والصبيان، وأصله الخلق، كقوله عز وجل: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجن والإنس لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أولئك كالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أولئك هُمُ الغافلون} [الأعراف: 179] يعني: خلقنا. ويقال: {ذُرّيَّتُهُم} خاصة.
ثم قال: {فِى الفلك المشحون} يعني: في سفينة نوح عليه السلام الموقرة المملوءة. يعني: حملنا ذريتهم في أصلاب آبائهم قرأ نافع وابن

عامر: {ذُرّياتِهِمْ} بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون: {واتبعتهم ذُرّيَّتُهُم} وأراد به الجنس.

ثم قال عز وجل: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مّن مّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} يعني: من مثل سفينة نوح عليه السلام ما يركبون في البحر. وقال قتادة: يعني: الإبل يركب عليها في السير، كما تركب السفن في البحر. وقال السدي: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مّن مّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ}. فقال: هذه السفن الصغار. يعني: الزوارق. وقال عبد الله بن سلام: هي الإبل.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أخبرني الثقة بإسناده عن أبي صالح. قال: قال لي ابن عباس: ما تقول في قوله: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مّن مّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} قلت: هي السفن. قال: خذ مني بآذان إنما هي الإبل. فلقيني بعد ذلك. فقال: إني ما رأيتك إلا وقد غلبتني فيها، هي كما قلت ألا ترى أنه يقول: {وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ} يعني: إن نشأ نغرقهم في الماء {فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ} يعني: لا مغيث لهم {وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ} يعني: لا يمنعون، فلا ينجون من الغرق.

قوله عز وجل: {إِلاَّ رَحْمَةً مّنَّا} يعني: إلا نعمة منا، حين لم نغرقهم. ويقال: معناه لكن رحمة منا بحيث لم نغرقهم {ومتاعا إلى حِينٍ} يعني: بلاغاً إلى آجالهم.

▲ تفسير الآيات رقم [45- 52]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (46) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)}

ثم قال عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} يعني: {مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} من أمر الآخرة فاعملوا لها {وَمَا خَلْفَكُمْ} من أمر الدنيا فلا تغتروا بها. وقال مقاتل: {اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} لكيلا يصيبكم مثل عذاب الأمم الخالية {وَمَا خَلْفَكُمْ} يعني: {واتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} أي: من عذاب الآخرة. والأول قول الكلبي.

ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يعني: لكي ترحموا فلا تعذبوا {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءايَةٍ مِّنْ ءايات رَبّهِمْ} مثل انشقاق القمر {إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ} يعني: مكذبين. وهذا جواب لقوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} الآية.

ثم أخبر عن حال زنادقة الكفار فقال عز وجل {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رِزَقَكُمُ الله} يعني: تصدقوا من المال الذي أعطاكم الله عز وجل: {قَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء الله أَطْعَمَهُ} على وجه الاستهزاء منهم {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: في خطأ بيّن. قال بعضهم: هذا قول الكفار الذين أمرهم بالنفقة. وقال بعضهم: هذا قول الله تعالى. يعني: قل لهم يا محمد: {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضلال مُّبِينٍ} وروي عن ابن عباس مثل هذا. ثم قال عز وجل: {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد إِن كُنتُمْ صادقين} يعني: متى هذا الوعد الذي تعدونا به يوم القيامة {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنا نبعث بعد الموت، فيقول الله تعالى: {مَا يَنظُرُونَ} بالعذاب {إِلاَّ صَيْحَةً واحدة} يعني: لا حظر لإهلاكهم، فليس إلا صيحة واحدة {تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصّمُونَ} قرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَخِصّمُونَ} بكسر الياء والخاء. وقرأ نافع {يَخِصّمُونَ} بنصب الياء، وسكون الخاء. وقرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص وابن عامر في إحدى الروايتين: بنصب الياء، وكسر الخاء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بنصب الياء والخاء. وقراءة حمزة {يَخِصّمُونَ} بنصب الياء، وجزم الخاء بغير تشديد. ومعناه: تأخذهم وبعضهم يخصم بعضاً. ومن قرأ بالتشديد. فالأصل فيه يختصمون فأدغمت التاء في الصاد، وشددت. ومن قرأ: بنصب الخاء طرح فتحة التاء على الخاء. ومن قرأ بكسر الخاء، فلسكونها، وسكون الصاد. وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: لينفخن في الصور، والناس في طرقهم، وأسواقهم، حتى أن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان، فما يرسله واحد منهما، حتى ينفخ في الصور، فيصعق به، وهي التي قال الله تعالى: {مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً واحدة تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصّمُونَ} قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: وأخبرني الثقة بإسناده عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

»تَقُومُ السَّاعَةُ والرَّجُلانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْب، فَلا يَطْوِيَانِه، وَلا يَتَبايَعَانِهِ. وَتَقُومُ السَّاعَةُ، وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ النَّاقَةَ، فَلا يَصِلُ الإنَاءُ إلَى فِيه. وَتَقُومُ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلُوطُ الْحَوْضَ، فَلا يَسْقِيَ فِيهِ«. ثم قال تعالى: {فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً} يعني:

يموتون من ساعتهم بغير وصية، فلا يستطيعون أن يوصوا إلى أهلهم بشيء {وَلاَ إلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} يعني: ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق فأخبر الله تعالى بما يلقون في النفخة الأولى ثم أخبر بما يلقون في النفخة الثانية. يعني: إذا بعثوا من قبورهم بعد الموت فذلك قوله: {وَنُفِخَ فِى الصور فَإِذَا هُم مّنَ الاجداث} من القبور {إلى رَبّهِمْ يَنسِلُونَ} يعني: يخرجون من قبورهم أحياء. وكان بين النفختين أربعين عاماً في رواية ابن عباس. وقيل: أكثر من ذلك. ورفع العذاب عن الكفار بين النفختين. فكأنهم رقدوا. فلما بعثوا {قَالُواْ يأَبَانَا ياويلنا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} يعني: من أيقظنا من منامنا. قال: فيقول لهم الحفظة من الملائكة {هَذَا مَا وَعَدَ الرحمن} على ألسنة الرسل {وَصَدَقَ المرسلون} بأن البعث حق. ويقال: إن المؤمنين هم الذين يقولون: {هَذَا مَا وَعَدَ الرحمن وَصَدَقَ المرسلون} بأن البعث كائن.

▲ تفسير الآيات رقم [53- 58]

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58)}

ثم قال عز وجل: {إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً واحدة فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ} قال الكلبي: يعني: في الآخرة. وقال مقاتل: في بيت المقدس لحسابهم.

ثم قال: {فاليوم لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً} يعني يوم القيامة لا تنقص نفس مؤمنة، ولا كافرة، من أعمالهم شيئاً {وَلاَ تُجْزَوْنَ} يعني: ولا تثابون {إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من خير أو شر.

ثم قال: {إِنَّ أصحاب الجنة اليوم فِى شُغُلٍ فاكهون} يعني: يوم القيامة في شغل مما هم فيه. أي: عن الذي هم فيه فاكهون. يعني: ناعمين. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو {فِى شُغُلٍ} بجزم الغين. وقرأ الباقون: بالضم. وهما لغتان. يقال: شغْل وشغُل مثل عُذْر وعذُر وعمْر وعمُر. قرأ أبو جعفر المدني: {فاكهون} بغير ألف، وقراءة العامة {فاكهون} بالألف. فمن قرأ بغير ألف يعني: يتفكهون. قال أبو عبيد: يقال: للرجل إذا كان يتفكه بالطعام، أو بالشراب، أو بالفاكهة، أو بأعراض الناس، إن فلاناً يتفكه. ومنه يقال للمزاحة فكاهة. ومن قرأ بالألف يعني: ذوي فاكهة. وقال الفراء: فاكهة وفكهة لغتان، كما يقال حذر وحاذر. وروي في التفسير {فاكهون} يعني: ناعمون. وفكهون

معجبون. وقال الكلبي ومقاتل في قوله: {إِنَّ أصحاب الجنة} الآية يعني: شغلوا بالنعيم في افتضاض الأبكار العذارى عن أهل النار، فلا يذكرونهم يعني: معجبين بما هم فيه من النعم والكرامة. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدّثنا محمد بن الفضل بإسناده عن عكرمة في قوله: {فِى شُغُلٍ فاكهون} قال في افتضاض الأبكار. وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالجمَاعِ» فقال رجل من أهل الكتاب: إن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة. فقال الرسول: «يَفِيضُ مِنْ جَسَدِ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ مِثْلُ المِسْكِ الأَذْفَرِ فَيَضْمُرُ بذلكَ بَطْنُهُ». ثم قال تعالى: {هُمْ وأزواجهم فِى ظلال} قرأ حمزة والكسائي {فِي ظُلَلٍ} وقرأ الباقون {فِى ظلال} فمن قرأ {فِي ظُلَلٍ} فهو جمع الظلة. يقال: ظلة وظلل مثل حلة وحلل. ومن قرأ بكسر الظاء فهو جمع الظل يعني: هم في ظلال العرش والشجر ويقال معنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد. يعني: إن أهل الجنة {هُمْ وأزواجهم} الحور العين في القصور {عَلَى الارائك مُتَّكِئُونَ} يعني: على السرر عليها الحجال. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: الأرائك سرر في الحجال. وقال الكلبي: لا تكون أريكة إلا إذا اجتمعتا، فإذا تفرقا فليست بأريكة {مُتَّكِئُونَ} أي: ناعمون. وإنما سمي هذا لأن الناعم يكون متكئاً. ثم قال: {لَهُمْ فِيهَا فاكهة} يعني: لهم في الجنة من أنواع الفاكهة {وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ} يعني: ما يتمنون مما يشتهوا من الخير، {سَلاَمٌ قَوْلاً مّن رَّبّ رَّحِيمٍ} يعني: يرسل إليهم ربهم بالتحية والسلام. والعرب تقول: ادّعي ما شئت، {يَدَّعُونَ} يتمنون. فقوله عز وجل: {سَلاَمٌ قَوْلاً} يعني: يقال لهم سلام كأنهم يتلقونه بالسلام {مّن رَّبّ رَّحِيمٍ} ويقال: {وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ سلام} يعني: لهم ما يشاؤون خالصاً.

ثم قال: {قَوْلاً مّن رَّبّ رَّحِيمٍ}.

▲ تفسير الآيات رقم [59- 66]

{وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (64) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66)}

يقول الله تعالى {وامتازوا اليوم} وذلك أنه إذا كان يوم نادى مناد: {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} يعني: اعتزلوا أيها الكفار من المؤمنين، فإنهم قد تأذوا منكم في الدنيا، فاعتزلوهم حتى ينجوا منكم. ويقال: إن المنادي ينادي {أَيُّهَا المجرمون} امتازوا، فإن المؤمنين قد فازوا. وأيها المنافقون امتازوا، فإن المخلصين قد فازوا. ويا أيها الفاسقون امتازوا فإن الصالحين قد فازوا ويا أيها العاصون امتازوا، فإن المطيعين قد فازوا. ثم يقول للكفار والمنافقين بعدما امتازوا: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ} يعني: ألم أتقدم إليكم. ويقال: ألم أبيّن لكم في القرآن. ويقال: ألم أوضح لكم {تَتَّقُونَ وَإِذْ أَخَذَ} بالكتاب والرسل. وقال القتبي: العهد يكون لمعان، يكون للأمانة كقوله: {إِلاَّ الذين عاهدتم مِّنَ المشركين ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يظاهروا عَلَيْكُمْ أَحَداً فأتموا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ المتقين} [التوبة: 4] ويكون لليقين، ويكون للميثاق، ويكون للزمان. كما يقال: كان ذلك في عهد فلان أي: في زمانه. ويكون العهد للوصية، كقوله: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يبَنِى أَن لاَّ تَعْبُدُواْ الشيطان} يعني: أن لا تطيعوا الشيطان. قال ابن عباس: من أطاع شيئاً فقد عبده {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} يعني: بيّن العداوة {وَأَنِ اعبدونى هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ} يعني: أطيعوني، ووحدوني. يعني: هذا التوحيد طريق مستقيم. ويقال: دين الإسلام هو طريق مستقيم لا عوج فيه، وهو طريق الجنة.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً} يعني: خلقاً كثيراً. وقرأ نافع وعاصم {جِبِلاًّ} بكسر الجيم، والباء، والتشديد. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: {جِبِلاًّ} بضم الجيم، وجزم الباء. والباقون: بضم الجيم والباء. ومعنى ذلك كله واحد. وقال أهل اللغة: الجبل، والجبلة كله بمعنى واحد يعني: الناس الكثير {أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ} ما فعل بمن كان قبلكم، فتعتبروا فلم تطيعوه، فلما دنوا من النار قال لهم خزنتها {هذه جَهَنَّمُ التى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} في الدنيا فلم تصدقوا بها {اصلوها اليوم بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} يعني: اصلوها اليوم بما كفرتم في الدنيا عقوبة لكم في الدنيا {اليوم نَخْتِمُ على أفواههم} وذلك حين قالوا: {والله رَبّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} {وَتُكَلّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: يعملون من الشرك والمعاصي.

ثم قال: {وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا على أَعْيُنِهِمْ} قال مقاتل يعني: لو نشاء لحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى {فاستبقوا الصراط} يعني: ولو طمست الكفر، لاستبقوا الصراط، أي: لجازوا الطريق {فأنى يُبْصِرُونَ} يعني: فمن

أين يبصرون الهدى بعدما جعلت قلوبهم قاسية، وجعلت على أعمالهم غطاء، وَأكِنَّةً على قلوبهم. قال الكلبي: {وَلَوْ نَشَاء} لفقأنا أعين الضلالة، فأبصروا الهدى، واستبقوا الطريق فَأنَّى يُبْصِرُونَ الطريق. ويقال: فأنى يبصرون. الهدى وقال بعضهم: ولو نشاء لأعمينا أبصارهم في أسواقهم، ومجالسهم، كما فعلنا بقوم لوط عليه السلام حين كذبوه وراودوه عن ضيفه {فاستبقوا الصراط} يعني: فابتدروا الطريق هرباً إلى منازلهم، ولو فعلنا ذلك بهم.

▲ تفسير الآيات رقم [67- 70]

{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70)}

ثم قال عز وجل: {وَلَوْ نَشَاء لمسخناهم على مكانتهم} يعني: إن شئت لمسختهم حجارة في منازلهم ليس فيها أرواح {فَمَا استطاعوا مُضِيّاً وَلاَ يَرْجِعُونَ} ولا يتقدمون، ولا يتأخرون. وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير {فَمَا استطاعوا مُضِيّاً} يعني: فما قدروا ذهاباً، ولا يرجعون.

قوله عز وجل: {وَمَن نّعَمّرْهُ} يعني: من أطلنا عمره في الدنيا {نُنَكّسْهُ فِى الخلق} يعني: نرده إلى أرذل العمر، فلا يعقل فيه كعقله الأول. قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر {نُنَكّسْهُ} بضم النون الأولى، ونصب الثانية، وكسر الكاف مع التشديد. وقرأ الباقون: {نُنَكّسْهُ} بنصب النون الأولى، وجزم الثانية، وضم الكاف، والتخفيف، ومعناهما واحد. يقال: نكسَه ونكسَّه وأنكسه بمعنى واحد. ومعناه: من أطلنا عمره، نكسنا خلقه. فصار بدل القوة ضعفاً. وبدل الشباب هرماً. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر مكاناتهم وقرأ الباقون {مكانتهم} والمكانة والمكان واحد. مثل المنزل والمنزلة والمكانات جمع المكانة.

ثم قال: {أَفَلاَ يَعْقِلُونَ} يعني: أفلا تفهمون أن الله هو الذي يفعل ذلك، فتوحدوه، وليس لمعبودهم قدرة على ذلك. قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} بالتاء، على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة: {وَأَنِ اعبدونى} بالياء. وقرأ الباقون: بغير ياء. لأن الكسر يدل عليه.

ثم قال عز وجل: {وَمَا علمناه الشعر} جواباً لقولهم إنه شاعر يعني: أرسلنا إليه القرآن، ولم نرسل إليه الشعر {وَمَا يَنبَغِى لَهُ} يعني: لم يكن أهلاً لذلك. وقال: ما يسهل له، وما يحضره الشعر {وَمَا علمناه الشعر وَمَا يَنبَغِى لَهُ} يعني: ما هو إلا عظة {الر تِلْكَ} يعني: يبين الحق من الضلالة. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة أنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت كان أبغض الحديث إليه الشعر، ولم يتمثل بشيء من الشعر، إلا ببيت أخي بني قيس بن طرفة

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْت جَاهِلا *** وَيَأْتِيكَ بِالأخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ، مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالأَخْبَارِ». فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله. فقال: «لَسْتُ بِشَاعِرٍ وَلا يَنْبَغِي لِي أنْ أَتَكَلَّمَ بِالشِّعْرِ». فإن قيل: روي عنه أنه كان يتكلم بالشعر لأنه ذكر أنه قال

أنَا النَّبِيُّ لا كَذِب *** أنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

وذكر أنه عثر يوماً فدميت أصبعه فقال

هَلْ أنْتِ إلاَّ إصْبَعٌ دَمِيت *** وفِي كِتَابِ الله مَا لَقِيت

وذكر أنه قال يوم الخندق

بِسْمِ الإله وَبِهِ هُدِينَار *** وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شقِينَا

قيل له: هذه كلمات تكلم بها فصارت موافقة للشعر، وليست بشعر.

ثم قال عز وجل: {لّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً} يعني: من كان مؤمناً، لأن المؤمن هو الذي يقبل الإنذار. ويقال: {مَن كَانَ حَيّاً} يعني: عاقلاً راغباً في الطاعة. قرأ نافع وابن عامر: {لّتُنذِرَ} بالتاء على معنى المخاطبة. يقول: لتنذر يا محمد. وقرأ الباقون: بالياء على معنى الخبر عنه. يعني: لتنذر يا محمد. ويقال: يعني: لتنذر بالقرآن من كان مهتدياً في علم الله تعالى الأزلي {وَيَحِقَّ القول} يعني: وجب العذاب {عَلَى الكافرين} يعني: قوله: {قَالَ اخرج مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: 18] ثم وعظهم ليعتبروا.

▲ تفسير الآيات رقم [71- 76]

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا

يَشْكُرُونَ (73) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (75) فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76)}

فقال عز وجل: {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم} يعني: أولم ينظروا فيعتبروا فيما أنعم الله عز وجل عليهم.

قوله: {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أنعاما} يعني: أنا خلقنا لهم بقوتنا، وبقدرتنا، وبأمرنا، {أنعاما} يعني: الإبل، والبقر، والغنم، {فَهُمْ لَهَا مالكون} يعني: الأنعام. وقال قتادة: يعني: ما في بطونها {وذللناها لَهُمْ} يعني: سخرناها لهم، فيحملون عليها، ويسوقونها حيث شاؤوا، فلا تمتنع منهم {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} في انتفاعهم وحوائجهم {وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} من الإبل، والبقر، والغنم، {وَلَهُمْ فِيهَا} يعني: في الأنعام {منافع} في الركوب، والحمل، والصوف، والوبر، {ومشارب} يعني: ألبانها {أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} رب هذه النعمة، فيوحدونه. يعني: اشكروا، ووحدوا، {واتخذوا مِن دُونِ الله ءالِهَةً} يعني: تركوا عبادة رب هذه النعم، وعبدوا الآلهة {لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} يعني: لعل هذه الآلهة تمنعهم من العذاب في ظنهم.

يقول الله عز وجل: {لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ} يعني: منعهم من العذاب {وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مٌّحْضَرُونَ} يعني: الكفار للأصنام جند يتعصبون لها، ويحضرونها في الدنيا للآلهة. ويقال: {وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مٌّحْضَرُونَ} يعني: لآلهتهم كالعبيد، والخدم. قيام بين أيديهم. وقال الحسن: {وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ} في الدنيا {مُحْضَرُونَ} في النار.

ثم قال عز وجل: {فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ} يعني: لا يحزنك يا محمد تكذيبهم إياك {إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ} من التكذيب {وَمَا يُعْلِنُونَ} يعني: ما يظهرون لك من العداوة.

▲ تفسير الآيات رقم [77- 83]

{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)}

قوله عز وجل: {أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خلقناه مِن نُّطْفَةٍ} روى سفيان، عن الكلبي، عن مجاهد قال: أتى أبيّ بن خلف الجمحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بالي، قد أتى عليه حين، فقام ففته بيده، ثم قال: يا محمد أتعدنا أنا إذا متنا وكنا مثل هذا بعثنا؟ فأنزل الله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإنسان} الآية. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم القرون الماضية أنهم يبعثون بعد الموت، وأنكم يا أهل مكة معهم، فأخذ أبيّ بن خلف الجمحي عظماً بالياً، فجعل يفته بيده، ويذروه في الرياح، ويقول: عجباً يا أهل مكة إن محمداً يزعم أنا إذا متنا، وكنا عظاماً بالية مثل هذا العظم، وكنا تراباً، أنا نعاد خلقاً جديداً، وفينا الروح، وذلك ما لا يكون أبداً، فنزل {أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خلقناه مِن نُّطْفَةٍ} يعني: أولم يعلم هذا الكافر أنا خلقناه أول مرة من نطفة {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} جدل بالباطل. ويقال {خَصِيمٌ} بيَّن الخصومة فيما يخاصم {مُّبِينٌ} أي: بيّن {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً} يعني: وصف لنا شبهاً في أمر العظام. ويقال: وصف لنا بالعجز {وَنَسِىَ خَلْقَهُ} يعني: وترك ابتداءه حين خلقه من نطفة. ويقال: ترك النظر في خلق نفسه فلم يعتبر و{قَالَ مَن يُحىِ العظام وَهِىَ رَمِيمٌ} يعني: بالية. والرميم: العظم البالي. يقال: رمّ العظم إذا بلي.

قال الله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الذى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} يعني: قل يا محمد يحيي العظام الذي خلقها أول مرة يعني: في أول مرة ولم يكن شيئاً.

ثم قال عز وجل: {وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} يعني: {عَلِيمٌ} بخلقهم، وببعثهم.

ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا في البعث فقال: {الذى جَعَلَ لَكُمُ} يعني: قل يا محمد العظام يحييها {الذى جَعَلَ لَكُمُ} {مّنَ الشجر الاخضر نَاراً فَإِذَا أَنتُم مّنْه تُوقِدُونَ} قال الكلبي: كل شجرة يقدح منها النار إلا شجرة العناب، فمن ذلك القصارون يدقون عليه {فَإِذَا أَنتُم مّنْه تُوقِدُونَ} يعني: تقدحون. يعني: فهو الذي يقدر على أن يبعثكم.

ثم قال عز وجل: {أَوَلَيْسَ الذى خَلَقَ السموات والارض} وهي أعْظَمُ خلقاً {بقادر على أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم} في الآخرة. والكلام يخرج على لفظ الاستفهام. ويراد به التقرير.

ثم قال: {بلى} هو قادر على ذلك {وَهُوَ الخلاق العليم} يعني: الباعث {العليم} ببعثهم.

قوله عز وجل: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً} من أمر البعث وغيره {أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} خلقاً.
قرأ ابن عامر والكسائي: {فَيَكُونُ} بالنصب، وقد ذكرناه في سورة البقرة {فسبحان الذى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَئ} يعني: خلق كل شيء من البعث وغيره. ويقال: خزائن كل شيء. ويقال: له القدرة على كل شيء {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بعد الموت، فيجازيكم بأعمالكم. قال: حدّثنا الفقيه أبو الليث رحمه الله. قال: حدّثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، بإسناده عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً، وَقَلْبُ القُرْآنِ يس، فَمَنْ قَرَأَ يس يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ الله تَعَالَى غُفِرَ لَهُ، وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآن اثْنَتَيْ عَشَرَةَ مَرَّةً. وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قُرِئَتْ عِنْدَهُ سُورَةُ يس حِينَ يَنْزِلُ بِهِ مَلِكُ الْمَوْتِ يَنْزِلُ إِلَيْهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا عَشَرَةُ أَمْلاكٍ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفاً، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَشْهَدُونَ قَبْضَهُ، وَيَشْهَدُونَ غَسْلَهُ، وَيُشَيِّعُونَ جِنَازَتَهُ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ. وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ مَرِيض قُرِئَ عِنْدَهُ سُورَةُ يس وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ، لا يَقْبِض مَلَكَ المَوْتِ رُوحَهُ حَتَّى يَجِيءَ رَضْوَانُ خَازِنُ الْجَنَّةِ بِشُرْبَةٍ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ فَيَشْرَبُهَا وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ رَيَّانُ، وَيَدْخُلُ قَبْرَهُ وَهُوَ رَيَّان، وَيَمْكُثُ فِي قَبْرِهِ وَهُوَ رَيَّان، وَيُخْرَجُ مِنَ الْقَبْرِ وَهُوَ رَيَّانُ، وَيُحَاسَبُ وَهُوَ رَيَّان، وَلا يَحْتَاجُ إِلَى حَوْض مِنْ حِيَّاضِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلامُ حَتَّى يُدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ رَيَّان» وَالله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأوَّاب وعلى آله وسلم.

سورة الصافات

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (4) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5)}

قوله تبارك وتعالى: {والصافات صَفًّا} قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {والصافات صَفًّا} قال: أقسم الله تعالى بصفوف الملائكة الذين في السموات، كصفوف المؤمنين في الصلاة. ويقال: يعني: صفوف الغزاة في الحرب، كقوله عز وجل:

{إِنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتلون فِى سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بنيان مَّرْصُوصٌ} [الصف: 4] ويقال: بصفوف الأمم يوم القيامة لقوله عز وجل: {وَعُرِضُواْ على رَبِّكَ صَفَا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا} [الكهف: 48] ويقال: صف الطيور بين السماء والأرض صافات بأجنحتها لقوله: {وَلَمَنِ انتصر بَعْدَ ظُلْمِهِ فأولئك مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ} [النور: 41] ويقال: صفوف الجماعات في المساجد. وفي الآية بيان فضل الصفوف، حيث أقسم الله بهن.

ثم قال عز وجل: {فالزجرات زَجْراً} يعني: الملائكة الذين يزجرون السحاب، ويؤلفونه، ويسوقونه إلى البلد الذي لا مطر بها. ويقال: {فالزجرات} يعني: فالدافعات وهم الملائكة الذين يدفعون الشر عن بني آدم، موكلون بذلك. ويقال: {الزاجرات} يعني: ما زجر الله تعالى في القرآن بقوله: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 130] {وَءاتُواْ اليتامى أموالهم وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث بالطيب وَلاَ تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء: 2] ويقال: هي التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وما كان من عند الله من كتب. ويقال: {صَفًّا فالزجرات زَجْراً} يعني: هم الأنبياء، والرسل، والعلماء، يزجرون الناس عن المعاصي، والمناهي، والمناكر {فالتاليات ذِكْراً} يعني: الملائكة وهو جبريل يتلو القرآن على الأنبياء. ويقال: هم المؤمنون الذين يقرؤون القرآن. ويقال: {فالتاليات

ذِكْراً} قال: هم الصبيان يتلون في الكتاب من الغدوة إلى العشية. كان الله تعالى يحول العذاب عن الخلق، ما دامت تصعد هذه الأربعة إلى السماء. أولها أذان المؤذنين، والثاني تكبير المجاهدين، والثالث تلبية الملبين، والرابع صوت الصبيان في الكتاب. وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: {والصافات صَفًّا} قال: الملائكة {فالزجرات زَجْراً} قال: الملائكة {فالتاليات ذِكْراً} قال: الملائكة وهكذا قال مجاهد: قد أقسم الله بهذه الأشياء {إِنَّ إلهكم لَوَاحِدٌ} ويقال: أقسم بنفسه فكأنه يقول: وخالق هذه الأشياء {إِنَّ إلهكم لَوَاحِدٌ} يعني: ربكم، وخالقكم، ورازقكم، لواحد. {رَب السموات} يعني: الذي خلق السموات {والارض وَمَا بَيْنَهُمَآ} من خلق {وَرَبُّ المشارق} يعني: مشرق كل يوم. وقال في آية أخرى: {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الاولين} [الرحمن: 17] أي: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف. وقال في هذه السورة {رَبّ المشارق} أي: مشرق كل يوم.

تفسير الآيات رقم [6- 18]

{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13) وَإِذَا رَأَوْا آَيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (15) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَوَآَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (18)}

ثم قال {إِنَّا زَيَّنَّا السماء الدنيا} يعني: الأدنى. وإنما سميت الدنيا لأنها أقرب إلى الأرض {بِزِينَةٍ الكواكب} أي: بضوء الكواكب. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص {بِزِينَةٍ} بالتنوين {الكواكب} بالكسر بغير تنوين، بكسر الباء. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {بِزِينَةٍ} بالتنوين {الكواكب} بالنصب، والباقون {بِزِينَةٍ} بالكسر بغير تنوين {الكواكب} بكسر الباء. فمن قرأ {بِزِينَةٍ الكواكب} بالكسر جعل الكواكب بدلاً من الزينة. والمعنى: إنّا زينا السماء الدنيا بالكواكب. ومن قرأ بالنصب، أقام الزينة مقام التزيين. فكأنه قال: إنّا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب، فيكون الكواكب على معنى التفسير. ومن قرأ بغير تنوين، فهو على إضافة الزينة إلى الكواكب. وروي عن ابن عباس

رضي الله عنه أنه قال: الكواكب معلقة بالسماء، كالقناديل. ويقال: إنها مركبة عليها، كما تكون في الصناديق والأبواب.
ثم قال: {وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شيطان مَّارِدٍ} يعني: حفظ الله تعالى السماء بالكواكب من كل شيطان متمرد. يعني: شديد يقال: مرد يمرد إذا اشتد.
ثم قال: {لاَ يَسْمَعُونَ} قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية حفص: {لاَ يَسْمَعُونَ} بنصب السين والتشديد. والباقون: {يَسْمَعُونَ} بنصب الياء، وجزم السين، مع التخفيف. فمن قرأ: بجزم السين فهو بمعنى يسمعون. ومن قرأ بالتشديد فأصله يتسمعون، فأدغمت التاء في السين، وشددت. يعني: لكيلا يستمعون {إلى الملإِ الاعلى} يعني: إلى الكتبة {وَيَقْذِفُونَ} يعني: يرمون {مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً} يعني: طرداً من كل ناحية من السماء، وكانوا من قبل يستمعون إلى كلام الملائكة عليهم السلام قال: حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم. قال: حدّثنا عبد الرزاق. قال: أخبرنا معمر عن الزهري، عن علي بن الحسن، عن ابن عباس. قال: بَيْنَمَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ في نَفَرٍ من أصحابه، إذ رمي بنجم فاستنار فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَا كُنْتُمْ تَقَولُونَ لِمِثْلِ هذا فِي الجَاهِلِيَّةِ» قالوا: يموت عظيم، أو يولد عظيم فقال عليه السلام: «إِنَّهُ لا يُرْمَى لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلا لِحيَاتِهِ ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا قَضَى أَمْراً يُسَبِّحُهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَأَهْل السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. يَقُولُ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيَخْبِرُونَهُمْ فَيَسْتَخْبِرَ أَهْلَ كُلِّ سَمَاءٍ أَهْلَ السَّمَاءِ الأُخْرَى، حَتَّى يَنْتَهِي الخَبَرُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَتَخطَفُ الجِنُّ، وَيَرْمُونَ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَهُوَ حَقٌّ. ولكنهم يَزِيدُونَ فِيهِ وَيَكْذِبُونَ» قال معمر: قلت للزهري: أو كان يرمى به في الجاهلية. قال: نعم. قال: قالت الجن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
{وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مقاعد لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الان يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً} [الجن: 9] قال: غلظ وشدد أمرها، حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: {دُحُوراً} يعني طرداً بالشهب فيعيدونهم {وَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِبٌ} يعني: دائم. يعني: الشياطين لمن استمع، ولمن لم يستمع في الآخرة. وقال مقاتل: في الآية تقديم {إِلاَّ مَنْ خَطِفَ} من الشياطين {الخطفة} يختطف يعني: يستمع إلى الملأ الأعلى من كلام الملائكة عليهم السلام {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} والشهاب في اللغة كل أبيض ذي نور، والثاقب المضيء، {فاستفتهم} يعني: سل أهل مكة. وهذا سؤال تقدير لا سؤال استفهام.

وقال تعالى: {أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً} بالبعث {أَم مَّنْ خَلَقْنَا} يعني: ما خلقنا من السموات، وما ذكر من المشارق والمغارب. ويقال: {أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً} بالبعث. يعني: بعثهم أشد {أَم مَّنْ خَلَقْنَا} يعني: أم خلقهم في الابتداء.

ثم ذكر خلقهم في الابتداء فقال: {إِنَّا خلقناهم مّن طِينٍ لاَّزِبٍ} يعني: خلقنا آدم وهم من نسله من طين حمئة. ويقال: {لاَّزِبٍ} أي: لاصق. ويقال: {لاَّزِبٍ} يعني: لازم. إلاَّ أن الباء تبدل من الميم، لقرب مخرجهما، كما يقال سمد رأسه، وسبد إذا استأصله، واللازب واللاصق واحد.

ثم قال: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخُرُونَ} قرأ حمزة والكسائي: {عَجِبْتَ} بضم التاء. وقرأ الباقون: بالنصب. فمن قرأ بالنصب، فالمعنى بل عجبت يا محمد من نزول الوحي عليك، والكافرون يسخرون، مكذبين لك. ومن قرأ {بَلْ عَجِبْتَ} بالضم، فهو إخبار عن الله تعالى. وقد أنكر قوم هذه القراءة، وقالوا: إن الله تعالى لا يعجب من شيء، لأنه علم الأشياء قبل كونها، وإنما يتعجب من سمع أو رأى شيئاً لم يسمعه، ولم يره، ولكن الجواب أن يقال: العجب من الله عز وجل بخلاف العجب من الآدميين. ويكون على وجه التعجب، ويكون على وجه الإنكار والاستعظام لذلك القول. كما قال في آية أخرى {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أولئك الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون} [الرعد: 5] وروى الأعمش عن سفيان بن سلمة أن شريحاً كان يقرأ {بَلْ عَجِبْتَ} بالنصب. ويقول: إنما يعجب من لا يعلم. وقال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي، فقال إبراهيم النخعي: إن شريحاً كان معجباً برأيه، وعبد الله بن مسعود كان أعلم منه، وكان يقرؤها {بَلْ عَجِبْتَ} بالضم. وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ هكذا بالضم، وهو اختيار أبي عبيدة.

ثم قال: {وَيَسْخُرُونَ} يعني: يسخرون حين سمعوا {وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ} يعني: إذا وعظوا بالقرآن، لا يتعظون {وَإِذَا رَأَوْاْ ءايَةً} يعني: علامة مثل انشقاق القمر {يَسْتَسْخِرُونَ} يعني: يستهزئون، ويسخرون. وقال أهل اللغة سخر واستسخر بمعنى واحد، مثل قرأ واستقرأ {وَقَالُواْ إِن هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} يعني: يبين قوله عز وجل: {أَءذَا مِتْنَا} يعني: يقولون إذا متنا {وَكُنَّا تُرَاباً وعظاما أَءنَّا لَمَبْعُوثُونَ} يعني: لمحيون بعد الموت {أَوَ ءابَاؤُنَا الاولون قُلْ} يا محمد {نَعَمْ وَأَنتُمْ داخرون} يعني: صاغرون.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 40]

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (20) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (21) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (30) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (36) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (38) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (39) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40)}

ثم قال عز وجل: {فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ واحدة} يعني: صيحة ونفخة واحدة، ولا يحتاج إلى الأخرى {فَإِذَا هُم} يعني: الخلائق {يُنظَرُونَ} يعني: يخرجون من قبورهم، وينظرون إلى السماء كيف غيرت؟ والأرض كيف بدلت؟ فلما عاينوا البعث، ذكروا قول الرسل: إن البعث حق. {وَقَالُواْ ياويلنا هذا يَوْمُ الدين} يعني: يوم الحساب. ويقال: يوم الجزاء. فردت عليهم الحفظة. ويقولون: {هذا يَوْمُ الفصل الذى كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ} أنه لا يكون.

ثم ينادي المنادي: {احشروا الذين ظَلَمُواْ} يعني: سوقوا الذين كفروا {وأزواجهم} يعني: وأشباههم. ويقال: وقرناءهم، وضرباءهم. ويقال: وأشياعهم، وأعوانهم. ويقال: وأمثالهم {وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله} يعني: من الشياطين الذين أضلوهم. ويقال: كل معبود، وكل من يطاع في المعصية {فاهدوهم} يعني: ادعوهم جميعاً. ويقال: اذهبوا بهم، وسوقوهم جميعاً {إلى صراط الجحيم} يعني: إلى طريق الجحيم، والجحيم ما عظم من النار. ويقال: إلى وسط الجحيم. فلما انطلق بهم إلى جهنم أرسل الله عز وجل ملكاً يقول: {وَقِفُوهُمْ} أي: احبسوهم {أَنَّهُمْ} عن ترك قول لا إله إلاَّ الله. ويقال: في الآية تقديم. يعني: يقال لهم قفوا قبل ذلك. فحبسوا، أو سئلوا.

ثم يساق بهم إلى الجحيم فيقال لهم: {مَّسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لاَ تناصرون} يعني: لم ينصر بعضكم بعضاً، ولا يدفع بعضكم عن بعض كما كنتم تفعلون في الدنيا.

قوله عز وجل: {بَلْ هُمُ اليوم مُسْتَسْلِمُونَ} أي: خاضعون ذليلون {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ} يعني: يسأل ويخاصم بعضهم بعضاً القادة والسفلة، والعابد، والمعبود، ومتابعي الشيطان للشيطان. ويقال: {يَتَسَاءلُونَ} يعني: يتلاومون {قَالُواْ} يعني: السفلة للرؤساء {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليمين} يعني: من قبل الحق أي: الدين فزينتم لنا ضلالتنا. وروي عن الفراء أنه قال: {اليمين} في اللغة القوة والقدرة. ومعناه {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا} بأقوى الحيل، وكنتم تزينون علينا أعمالنا. وقال الضحاك: تقول السفلة للقادة: إنكم قادرون وظاهرون علينا. ونحن ضعفاء أذلاء في أيديكم. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: {تَأْتُونَنَا عَنِ اليمين} عن الحق. يعني: الكفار يقولون: للشيطان. وقال القتبي: إنما يقول هذا: المشركون لقرنائهم من الشياطين {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليمين} يعني: عن أيماننا لأن إبليس قال: {ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانهم وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكرين} [الأعراف: 17] وقال المفسرون: من أتاه الشيطان من قبل اليمين، أتاه من قبل الدين، وليس عليه الحق. ومن أتاه من قبل الشمال، أتاه من قبل الشهوات، ومن أتاه من بين يديه، أتاه من قبل التكذيب بالقيامة، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه، وعلى من يخلف بعده، فلم يصل رحماً، ولم يؤد زكاة.

وقال المشركون لقرنائهم: {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليمين} في الدنيا من جهة الدين يعني: أضللتمونا {قَالُواْ} لهم قرناؤهم {بَلْ لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} أي: لم تكونوا على حق، فتشبه عليكم، ونزيلكم عنه إلى الباطل {وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّن سلطان} يعني: من قدرة فنقهركم. ويقال: من ملك فنجبركم عليه {بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طاغين} يعني: كافرين عاصين {فَحَقَّ عَلَيْنَا} يعني: وجب علينا جميعاً {قَوْلُ رَبّنَا} وهو السخط. ويقال: {قَوْلُ رَبّنَا} يوم قال لإبليس {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: 85] {إِنَّا لَذَائِقُونَ} يعني: العذاب جميعاً في النار.

قوله عز وجل: {فأغويناكم} يعني: أضللناكم عن الهدى {إِنَّا كُنَّا غاوين} يعني: ضالين. يقول الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ} يعني: الكفار والشياطين {يَوْمَئِذٍ فِى العذاب مُشْتَرِكُونَ} يعني: شركاء في النار، وفي العذاب يوم القيامة {إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمجرمين} يعني: هكذا نفعل بمن أشرك، فنجمع بينهم وبين الذين أضلّوهم في النار.

ثم أخبر عنهم فقال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ} يعني: في الدنيا {إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إله إِلاَّ الله} يعني: قولوا لا إله إلا الله {يَسْتَكْبِرُونَ} عنها، ولا يقولونها {وَيَقُولُون اعتراك بَعْضُ ءالِهَتِنَا} يعني: أنترك عبادة آلهتنا {لِشَاعِرٍ} يعني: لقول شاعر {مَّجْنُونٍ} أي: مغلوب على عقله. يقول الله تعالى: {بَلْ جَاء بالحق} يعني: بالقرآن. ويقال: بأمر التوحيد. ويقال: جاء ببيان الحق {وَصَدَّقَ المرسلين} الذين قبله. قال مقاتل: يعني: صدق محمد صلى الله عليه وسلم بالمرسلين الذين قبله. وقال الكلبي: وبتصديق المرسلين الذين قبله. ومعناهما واحد. ويقال: معناه جاء محمد عليه السلام بموافقة المرسلين عليهم السلام {إِنَّكُمْ} يعني: العابد والمعبود {يَرَوُاْ العذاب الاليم} يعني: لتصيبوا العذاب الوجيع الدائم {وَمَا تُجْزَوْنَ} في الآخرة {إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: إلا بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي والشرك.

ثم استثنى المؤمنين فقال عز وجل: {إِلاَّ عِبَادَ الله المخلصين} يعني: الموحدين ويقال: {إلا} بمعنى لكن {عِبَادَ الله المخلصين}.

تفسير الآيات رقم [41- 56]

{أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56)}

ثم قال {أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ} يعني: طعام معلوم معروف حين يشتهونه على قدر غدوة وعشية.

ثم بيّن الرزق فقال: {فواكه} يعني: ألوان الفاكهة {وَهُم مُّكْرَمُونَ} بالثواب. ويقال: منعمون {فِي جنات النعيم على سُرُرٍ متقابلين} في الزيارة {يُطَافُ عَلَيْهِمْ} يعني: يطوف عليهم خدمهم {بِكَأْسٍ مّن مَّعِينٍ} خمراً جارياً من معين. يعني: الطاهر الجاري {بَيْضَاء}. يعني: بخمرة توجب اللذة {بَيْضَاء لَذَّةٍ} يعني: شهوة {لِلشَّارِبِينَ لاَ فِيهَا غَوْلٌ} يعني: ليس فيها إثم. ويقال: لا غائلة لها، ولا يوجع منها الرأس. وروى شريك عن سالم قال: {لاَ فِيهَا غَوْلٌ} أي:

لا مكروه فيها، ولا أذى. وقال القتبي: {لاَ فِيهَا غَوْلٌ} أي: لا تغتال عقولهم، فتذهب بها. يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس، والغول البعد {وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ} قرأ حمزة والكسائي {يُنزِفُونَ} بكسر الزاي. وقرأ الباقون: بالنصب فمن قرأ بالنصب فمعناه: لا يذهب عقولهم شربها. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف إذا زال عقله. ومن قرأ بالكسر، فله معنيان: أحدهما لا ينفد شرابهم أبداً، والثاني أنهم لا يسكرون.
ثم قال عز وجل: {وَعِندَهُمْ قاصرات الطرف عِينٌ} يعني: غاضات الأعين عن غير أزواجهن. يعني: قصرن طرفهن على أزواجهن، وقنعن بهم، ولا يبغين بهم بدلاً.
ثم قال: {عِينٌ} أي: حسان الأعين شدة البياض في شدة السواد. يقال لواحدة العين: عيناء. يعني: كبيرة العين. ويقال: الحسن العيناء التي سواد عينها أكثر من بياضها.
ثم قال: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ} يعني: إنهن أحسن بياضاً من بيض النعم، والعرب تشبه النساء ببيض النعام. يقال: لا يكون لون البياض في شيء أحسن من بيض النعام. وقال قتادة: البيض التي لم تلوثه الأيدي. ويقال: البيض أراد به القشر الداخل من البيض المكنون قد خبأ، وكنَّ من البرد والحر {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ} يعني: يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.
قوله عز وجل: {قَالَ قَائِلٌ مّنْهُمْ} يعني: من أهل الجنة {إِنّى كَانَ لِى قَرِينٌ} وهو الذي بيّن الله تعالى أمرهما في سورة الكهف {واضرب لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أعناب وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا} [الكهف: 32] فكانا أخوين وشريكين، وأنفق أحدهما ماله في أمر الآخرة، واتخذ الآخر لنفسه ضياعاً، وخدماً، واحتاج المؤمن إلى شيء، فجاء إلى أخيه الكافر يسأله، فقال له الكافر ما صنعت بمالك، فأخبره أن قدمه إلى الآخرة، فقال له الكافر: {يِقُولُ أءنَّكَ لَمِنَ المصدقين} يعني: إنك ممن يصدق بالبعث. وطلب منه أن يدخل في دينه، ولم يقض حاجته، فذلك قوله: {أءنَّكَ لَمِنَ المصدقين} يعني: بالبعث بعد الموت.
قوله عز وجل: {أَءذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وعظاما أَءنَّا لَمَدِينُونَ} يعني: لمحاسبون. فيقول المؤمن لأصحابه في الجنة: {قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ} حتى ننظر إلى حاله، وإلى منزله، فيقول أصحابه: اطلع أنت، فإنك أعرف به منا {فَأَطَّلِعَ} يعني: فنظر في النار {فاطلع فَرَءاهُ فِى سَوَاء} يعني: رأى أخاه في وسط

الجحيم، أسود الوجه، مزرق العين، فيقول المؤمن عند ذلك قوله: {قَالَ تاللهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ} يعني: والله لقد هممت لتغويني، ولتضلني. ويقال: {لَتُرْدِينِ} أي: لتهلكني يقال: أرديت فلان أي: أهلكته. والردى: الموت والهلاك. وقال القتبي في قوله: {أَنَاْ * لَمَدِينُونَ} أي: مجازون بأعمالنا. يقال: دنته بما عمل أي جازيته.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 70]

{وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61) أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (67) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَى آَثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70)}

ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبّى} يعني: لولا ما أنعم الله عليَّ بالإسلام {لَكُنتُ مِنَ المحضرين} معك في النار ثم أقبل المؤمن على أصحابه في الجنة فقال: يا أهل الجنة {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيّتِينَ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الاولى} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به النفي. يعني: لا نموت أبداً سوى موتتنا الأولى. وذلك حين يذبح الموت، فيأمنوا من الموت {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} يعني: لم نكن من المعذبين مثل أهل النار.

قال الله عز وجل: {إِنَّ هذا لَهُوَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة، فازوا بالجنة، ونجوا من النار {لِمِثْلِ هذا} يعني: لمثل هذا الثواب، والنعم، والخلود، {فَلْيَعْمَلِ العاملون} أي فليبادر المبادرون. ويقال: فليجتهد المجتهدون. ويقال: فليحتمل المحتملون الأذى، لأنه فد حفّت الجنة بالمكاره {أذلك خَيْرٌ نُّزُلاً} يعني: الذي وصفت في الجنة خير ثواباً. ويقال رزقاً. ويقال: منزلاً {أَمْ شَجَرَةُ الزقوم} للكافرين {إِنَّا جعلناها فِتْنَةً للظالمين} يعني: ذكر الشجرة بلاء للمشركين. قال قتادة: زادتهم تكذيباً، فقالوا: يخبركم محمد أن في النار شجرة، والنار تحرق الشجر. وقال مجاهد: {إِنَّا جعلناها فِتْنَةً} قول أبي جهل: إنما الزقوم التمر، والزبد. فقال لجاريته: زقمينا فزقمته. وذكر أن ابن الزبعري قال: الزقوم بلسان البربر، وإفريقيا التمر والزبد. فأخبر الله تعالى عن الزقوم أنه لا يشبه النخل، ولا طلعها كطلع النخل، فقال: {أذلك

خَيْرٌ نُّزُلاً} يعني: نعيم الجنة، وما فيها من اللذات {خَيْرٌ نُّزُلاً} أي: طعاماً {أَمْ شَجَرَةُ الزقوم} لأهل النار.
قوله عز وجل: {إِنَّا جعلناها فِتْنَةً للظالمين} ثم وصف الشجرة فقال: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الجحيم} يعني: في وسط الجحيم {طَلْعِهَا} يعني: ثمرتها {كَأَنَّهُ رؤوس الشياطين} يعني: رؤوس الحيات، قبيح في النظر. ويقال: هو نبت لا يكون شيء من النبات أقبح منه، وهو يشبه الحسك، فيبقى في الحلق. ويقال: هي رؤوس الشياطين بعينها، وذلك أن العرب إذا وصفت الشيء بالقبح، تقول: كأنه شيطان. ثم وصف أكلهم فقال: {فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا} يعني: من ثمرها {فَمَالِئُونَ مِنْهَا البطون} وهو جماعة المالئ. يعني: يملؤون منها البطون. قال: حدّثنا أبو الليث رحمه الله قال: حدّثنا الفقيه أبو جعفر. قال: حدّثنا محمد بن عقيل. قال: حدّثنا عباس الدوري. قال: حدّثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا الله وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي الأرْضِ، لأَمَرَّتْ عَلَى أهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ مِنْهُ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ». قوله عز وجل: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ} يعني: خلطاً من حميم من ماء حار في جهنم {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الجحيم} يعني: مصيرهم إلى النار.
ثم بيّن المعنى الذي به يستوجبون العقوبة فقال تعالى: {إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ} يعني: وجدوا {ضَالّين فَهُمْ} عن الهدى {فَهُمْ على ءاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} يعني: يسعون في مثل أعمال آبائهم، والإهراع في اللغة المشي بين المشيتين. وقال مجاهد: كهيئة الهرولة.

▲ تفسير الآيات رقم [71- 98]

{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ

تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)}

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ} يعني: أضلّ إبليس قبلهم {أَكْثَرُ الاولين} يعني: من الأمم الخالية. ولم يذكر إبليس لأن في الكلام دليلاً عليه، فاكتفى بالإشارة. ومثل هذا كثير في القرآن.

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ} يعني: رسلاً ينذرونهم كما أرسلناك إلى قومك، فكذبوهم بالعذاب كما كذبك قومك، فعذبهم الله تعالى في الدنيا {فانظر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المنذرين} يعني: آخر أمر من أنذر فلم يؤمن {إلاَّ عِبَادَ الله المخلصين} يعني: الموحدين، المطيعين، فإنهم لم يعذبوا.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ} يعني: دعا نوح ربه على قومه، وهو قوله: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّى مَغْلُوبٌ فانتصر} [القمر: 10] {فَلَنِعْمَ المجيبون} يعني: نعم المجيب أنا {ونجيناه وَأَهْلَهُ مِنَ الكرب العظيم} يعني: من الهول الشديد، وهو الغرق.

قوله: {وَجَعَلْنَا ذُرّيَّتَهُ هُمُ الباقين} لأن الذي حمل معه من الناس ثمانون رجلاً وامرأة غرقوا كلهم، ولم يبق إلا ولده سام وحام ويافث قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدّثنا أبو جعفر. قال: حدّثنا أبو القاسم الصفار بإسناده عن سمرة بن جندب. قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَام أَبُو العَرَبِ، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم». ثم قال تعالى: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخرين} يعني: أبقينا عليه ذكراً حسناً في الباقين من الأمم، وهذا قول القتبي: وقال مقاتل: يعني: أثنينا على نوح بعد موته ثناء حسناً.

ثم قال عز وجل: {سلام على نُوحٍ فِى العالمين} يعني: السعادة والبركة على نوح من بين العالمين {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} يعني: هكذا نجزي كل من أحسن {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين} يعني: المصدقين بالتوحيد {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الاخرين} يعني: قومه الكافرين.

قوله عز وجل: {وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإبراهيم} قال مقاتل: يعني: إبراهيم من شيعة نوح عليه السلام وعلى ملته. وقال الكلبي يعني: من شيعة محمد صلى الله

عليه وسلم إبراهيم، وعلى دينه، ومنهاجه. وذكر عن الفراء أنه قال: هذا جائز. وإن كان إبراهيم قبله كما قال: {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الفلك المشحون} [يس: 41]. يعني: آباءهم ذريته الذين هو منهم.

قوله عز وجل: {إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} يعني: إبراهيم دعا ربه بقلب سليم. أي: خالص ويقال: {إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} أي: مخلص سليم من الشرك {إِذْ قَالَ لِابِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ} يعني: إيش الذي تعبدون. ويقال: معناه لماذا تعبدون هذه الأوثان؟.

قوله عز وجل: {الله ءالِهَةً} يعني: أكذباً آلهة {دُونَ الله تُرِيدُونَ} عبادتها {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبّ العالمين} إذا عبدتم غيره، فما ظنّكُم به إذ لقيتموه؟ {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النجوم} قال مقاتل: يعني: في الكواكب.

ويقال: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النجوم} أي: في أمر النجوم.

ثم تفكر بالعين وبالقلب وذلك أنه رأى كوكباً قد طلع {فَقَالَ إِنّى سَقِيمٌ} أي: سأسقم. ويقال: مطعوناً. وهو قول سعيد بن جبير، والضحاك. وقال القتبي: نظر في الحساب لأنه لو نظر إلى الكواكب لقال: نظر نظرة إلى النجوم. وإنما يقال: نظر فيه إذا نظر في الحساب. {فَقَالَ إِنّى سَقِيمٌ} أي: سأمرض غداً، وكانوا يتطيرون من المريض. فلما سمعوا ذلك منه هربوا، فذلك قوله تعالى: {فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ} قال الفقيه أبو الليث رحمه الله حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا خزيمة. قال: حدّثنا عيسى بن إبراهيم. قال: حدّثنا ابن وهب عن جرير بن حازم، عن أيوب السجستاني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمَ قَطُّ إلاَّ ثَلاثَ كَذِباتٍ، ثِنْتَانِ فِي ذَاتِ الله قوله: {إِنّى سَقِيمٌ} وَقَوْلُهُ: {قالوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وابعث فِى المدآئن حاشرين} [الأنبياء: 63] وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَّةَ، ذلك أَنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَّةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النِّسَاءِ فَقَالَ لَهَا: إنَّ هذا الجَبَّارَ إنْ عَلِمَ أَنَّكِ امْرَأَةٌ، يَغْلِبنِي عَلَيْكِ. فَإنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فِي الإسْلامِ، فإنِّي لا أعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِماً غَيْرِي وَغَيْرَكِ. فَلَّمَا دَخَلَ الأَرْضَ، رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الجَبَّارِ، فأتَاهُ. فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ دَخَلَ الْيَوْمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إلاَّ لَكَ؟ فَأَرْسَلَ إلَيْهَا. فَأُتِي بِهَا. فَقَامَ إبْرَاهِيمُ إلَى الصَّلاةِ، فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً. فَقَالَ لَهَا ادْعِي الله أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، وَلا أَضُرُّكِ. فَفَعَلَتْ. فَعَادَ، فَقُبِضَتْ يَدُهُ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَةِ الأُولَى. فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ. فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ القَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي الله أَنْ

يُطْلِقَ يَدِي، وَلَكِ عَلَيَّ ألاَّ أضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَأُطْلِقَتْ يَدُهُ. فَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إنَّكَ أتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بإنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أرْضِي، وَأعْطَاهَا هَاجَرَ، فَأقْبَلَتْ تَمْشِي حَتَّى جَاءَتْ إِلَى إبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا رَآهَا إبْرَاهِيمُ انْصَرَفَ مِنَ الصَّلاةِ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ يَعْنِي مَا الخَبَرُ؟ فَقَالَتْ: خَيْراً كُفِيتُ الفَاجِرَ، وأخْدَمَنِي خَادِماً». فقال أبو هريرة: فتلك أمُّكم يا بني ماء السماء. يعني: نسل العرب منها. لأنه روي في الخبر أنها وهبت هاجر لإبراهيم، فولد منها إسماعيل. ويقال: {فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ} يعني: أعرضوا عنه ذاهبين إلى عيدهم.

قوله عز وجل: {فَرَاغَ إلى ءالِهَتِهِمْ} يعني: مال إلى أصنامهم. ويقال: دخل بيوت الأصنام، فرأى بين أيديهم طعاماً {فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} فلم يجيبوه، فقال: {مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُون فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً باليمين} يعني: أقبل يضربهم بيمينه.

ويقال: يضربهم باليمين التي حلف، وهو قوله: {قَالَ أَفَرَءيْتُم مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} [الأنبياء: 57] ويقال: {باليمين}. يعني: يضربهم بالقوة. واليمين كناية عنها، لأن القوة في اليمين {فَأَقْبَلُواْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ} يعني: يسرعون {قَالَ} إبراهيم {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ} بأيديكم من الأصنام. قرأ حمزة: يُزِفون بضم الياء. وقرأ الباقون: بالنصب. فمن قرأ بالنصب فأصله من زفيف النعام، وهو ابتداء عدوه. ومن قرأ بالضم أي: يصيروا إلى الزفيف، ويدخلون في الزفيف، وكلا القراءتين يرجع إلى معنى واحد، وهو الإسراع في المشي.

ثم قال عز وجل: {والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} يعني: وما تنحتون به بأيديكم من الأصنام. ومعناه: تتركون عبادة من خلقكم، وخلق ما تعملون، وتعبدون غيره {قَالُواْ ابنوا لَهُ بنيانا} يعني: أتوناً {فَأَلْقُوهُ فِى الجحيم} يعني: في النار العظيمة {فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً} يعني: أرادوا حرقه وقتله {فجعلناهم الاسفلين} يعني: الآخرين. ويقال: الأذلين. وعلاهم إبراهيم فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أهلكهم الله عز وجل.

▲ تفسير الآيات رقم [99- 113]

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104)

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)}

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي} يعني: إني مهاجر إلى طاعة ربي. ويقال: من أرض ربي. إلى أرض ربي. وقال مقاتل: يعني: من بابل إلى بيت المقدس. ويقال: من أرض حران إلى بيت المقدس، ويقال: من أرض حران إلى بيت المقدس، {سَيَهْدِينِ} يعني: يحفظني ويقال: إني مهاجر إلى ربي يعني: مقبل إلى طاعة ربي {سَيَهْدِينِ} أي سيرشدني ربي. ويقال: سيعينني.

قوله عز وجل: {رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصالحين} يعني: يا رب أعطني ولداً صالحاً من المسلمين {فبشرناه بغلام حَلِيمٍ} يعني: حليم في صغره، عليم في كبره.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السعى} إلى الحج، ويقال: إلى الجبل {قَالَ} إبراهيم عليه السلام لابنه {قَالَ يابنى إِنّى أرى فِى المنام} قال مقاتل: هو إسحاق. وقال الكلبي: هو إسماعيل. وروى معمر عن الزهري قال في قوله: {فبشرناه بغلام حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السعى} قال ابن عباس: هو إسماعيل. وكان ذلك بمنًى. وقال كعب: هو إسحاق. وكان ذلك ببيت المقدس. وقال مجاهد، وابن عمر، ومحمد بن كعب القرظي؛ هو إسماعيل. وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو إسحاق. وهكذا روي عن ابن عباس، وهكذا قال وعكرمة، وقتادة، وأبو هريرة، وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم وهكذا قال أهل الكتابين كلهم، والذي قال: هو إسماعيل احتج بالكتاب والخبر، أما الكتاب فهو أنه لما ذكر قصة الذبح قال على أثر ذلك: {وبشرناه بإسحاق نَبِيّاً} وأما الخبر فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْن» يعني: أباه عبد الله بن عبد المطلب، وإسماعيل بن إبراهيم. وأما الذي يقول: هو إسحاق يحتج بما روي في الخبر، أنه ذكر نسبة يوسف، فقال: كان يوسف أشرف نسباً. يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله قد اختلفوا فيه هذا الاختلاف، والله أعلم بالصواب، والظاهر عند العامة هو إسحاق. فذلك قوله: {قَالَ يابنى إِنّى أرى فِى المنام أَنّى أَذْبَحُكَ} فظاهر اللفظ أنه رأى في المنام أنه يذبحه، ولكن معناه: {إِنّى أرى فِى المنام}

أني قد أمرت بذبحك بدليل ما قال في سياق الآية: {قَالَ ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ}
وروي في الخبر: «أَنَّهُ رَأَى فِي المَنَامِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تَذْبَحَ وَلَدَكَ فَاسْتَيْقَظَ خَائِفاً، وَقَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ثُمَّ رَأَى فِي المَنَامِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ مِثْلَ ذلك، فَاسْتَيْقَظَ وَضَمَّ ابْنَهُ إلى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ، فَانقادَ لأَمْرِ الله تَعَالَى، وَقَالَ لامْرَأَتِهِ سَارَّة إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ إِلى طَاعَةِ رَبِّي، فَابْعَثِي ابْنِي مَعِي، فَجَهَّزَتْهُ، وَبَعَثَتْهُ مَعَهُ«
قال كعب الأحبار: قال الشيطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبداً. فلما خرج إبراهيم بابنه ليذبحه، فذهب الشيطان، ودخل على سارة. فقال: أين ذهب إبراهيم بابنك؟ فقالت: غدا به لبعض حاجته. قال: إنه لم يغد به لحاجته، ولكنه إنما ذهب به ليذبحه، فقالت: ولم يذبحه؟ قال: يزعم أن ربه أمره بذلك. فقالت: قد أحسن أن يطيع ربه، فخرج في أثرهما، فقال للغلام: أين يذهب بك أبوك؟ قال لبعض حاجته. قال: فإنه لا يذهب بك لحاجته، ولكنه إنما يذهب بك ليذبحك. فقال: ولم يذبحني؟ قال: يزعم أن ربه أمره بذلك. قال: فوالله لئن كان الله أمره بذلك، ليفعلن. فتركه ولحق بإبراهيم، فقال: أين غدوت بابنك؟ قال: لحاجة. قال: فإنك لم تغد به لحاجة، وإنما غدوت به لتذبحه. قال ولم أذبحه؟ قال: تزعم أن الله تعالى أمرك بذلك. قال: فوالله لئن كان الله أمرني بذلك لأفعلن. فتركه، وأيس من أن يطاع.
قوله عز وجل: {فانظر مَاذَا ترى قَالَ ياأبت قَالَ ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء الله مِنَ الصابرين * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وناديناه أَن ياإبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين إِنَّ هذا لَهُوَ البلاء المبين * وفديناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} فأوحى الله تعالى إلى إسحاق أن ادعو، فإن لك دعوة مستجابة. فقال إسحاق: اللَّهم إني أدعوك أن تستجيب لي في أيما عبد من الأولين والآخرين لقيك لا يشرك بك شيئاً أن تدخله الجنة. وقال مجاهد: إن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يذبح ابنه بالسكين، قال ابنه: يا أبت خذ بناصيتي، واجلس بين كتفي، حتى لا أوذيك إذا أصابني حدّ السكين، ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي، عسى أن ترحمني، واجعل وجهي إلى الأرض، ففعل إبراهيم. فلما أمرّ السكينة على حلقه، انقلبت. فقال: يا أبت ما لك؟ قال: قد انقلبت السكين. قال: فاطعن بها طعناً. قال: فطعن، فانثنت. قال: فعرف الله عز وجل الصدق منه، ففداه بذبح عظيم، وقال: هو إسحاق. وروى أسباط عن السدي قال: كان من شأن إسحاق حين أراد أبوه أن يذبحه. أنه ركب مع أبيه

في حاجة، فأعجبه شبابه، وحسن هيئته، وكان إبراهيم حين بشر بإسحاق قبل أن يولد له، قال: هو إذاً لله ذبيح. فقيل لإبراهيم في منامه: قد نذرت لله نذراً فاوفيه، فلما أصبح قال: {قَالَ يابنى إِنّى أرى فِى المنام أَنّى أَذْبَحُكَ} يقول: قد أمرت بذبحك {قَالَ ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ} قال: فانطلق معي، وأخبر أمك أنك تنطلق إلى أخوالك، وأخذ إبراهيم معه حبلاً، ومدية، يعني: السكين.

فقال له: يا أبتاه حدها فإنه أهون للموت. فانطلق به، حتى أتى به جبلاً من جبال الشام. فأضجعه في أصرة، وربط يديه ورجليه، فقال له إسحاق: يا أبتاه شدّ رباطي، لكي لا أضطرب، فيصيب الدم ثيابك، فتراه سارة، فتحزن، فبكى إبراهيم بكاء شديداً. وأخذ الشفرة، فوضعها على حلقه، وضرب الله تعالى على حلقه صفيحة نحاس، فجعل يحز، فلا تصنع شيئاً. فلما رأى إبراهيم ذلك، قلّبه على وجهه، فضرب الله تعالى على قفاه صفيحة نحاس، وبكيا حتى ابتلت الأرض من دموعهما. فجعل يحز، فلا تقطع شيئاً فنودي: {أَن ياإبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا} ودونك هذا الكبش فهو فداه. فالتفت فإذا هو بكبش أبيض، أملح، ينحط من الجبل، وقد كان رعي في الجنة أربعين خريفاً، فخلّى عن ابنه، وأخذ الكبش فذبحه. وقال وهب بن منبه: لما قال لإسحاق: {السعى قَالَ يابنى إِنّى أرى فِى المنام أَنّى أَذْبَحُكَ فانظر مَاذَا ترى قَالَ ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ} ثم قال: يا أبت إني أوصيك بثلاثة أشياء. قال: وكان إسحاق في ذلك اليوم ابن سبع سنين. أحدهما: أن تربط يدي لكيلا أضطرب فأؤذيك، والثاني أن تجعل وجهي إلى الأرض لكيلا تنظر إلى وجهي فترحمني، والثالث أن تذهب بقميصي إلى أمي ليكون القميص عندها تذكرة مني. فذلك قوله: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السعى قَالَ يابنى إِنّى أرى فِى المنام أَنّى أَذْبَحُكَ فانظر مَاذَا ترى} قرأ حمزة والكسائي {مَاذَا ترى} بضم التاء. يعني: ماذا ترى من صبرك. ويقال: معناه ماذا تشير. وقرأ الباقون: بالنصب، وهو من الرأي. يعني: ماذا ترى من صبرك. ويقال: معناه ماذا تشير فيما أمر الله به. ويقال: هو من المشورة والرأي قال أبو عبيد: بالنصب تقرأ لأن هذا في موضع المشورة والرأي، والآخر يستعمل في رؤية العين {قَالَ يَاءادَمُ * ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله مِنَ الصابرين} على الذبح.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا أَسْلَمَا} يعني: اتفقا على أمر الله تعالى. قال قتادة: أسلم هذا نفسه لله تعالى. وأسلم هذا ابنه لله تعالى. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: {فَلَمَّا أسلاما وتله للجبين} يعني: رضيا {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} يعني:

صرعه على جبينه. أي: على وجهه. وقال القتبي {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} يعني: جعل إحدى جبينيه على الأرض، وهما جبينان، والجبهة بينهما {وناديناه أَن ياإبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا} وقال القتبي: الواو زيادة. ومعناه: فلما أسلما وتله للجبين ناديناه وهذا كما قال امرئ القيس

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى *** بِنَا بَطْنُ خَبْت ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ

يعني: انتحى، والواو زيادة. وقال بعضهم: في الآية مضمر. ومعناه {فَلَمَّا أَسْلَمَا} سلما {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} وذكر عن الخليل بن أحمد أنه سئل عن هذه الآية: فقال: ليس لنا في كتاب الله عز وجل متكلم.

فقيل له: فما مثله في العربية. فقال: قول امرئ القيس: فلما أجزنا، ساحة الحي أجزنا وانتحى بنا. كذلك قوله: {أَسْلَمَا} سلما {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}. {وناديناه أَن ياإبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا} يعني: أوفيت الوعد، وائتمرت ما أمرت لقول الله تعالى: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} كما فعلت يا إبراهيم.

قوله: {إِنَّ هذا لَهُوَ البلاء المبين} يعني: الاختبار البيّن. ثم قال: {وفديناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} يعني: بكبش عظيم. والذبح بكسر الذال اسم لما يذبح، وبالنصب مصدر. وروي عن ابن عباس أنه قال: حدثني من رأى قرني الكبش، معلقين في الكعبة، وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم عن إسماعيل عليهما السلام.

ثم قال: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخرين} قال: الثناء الحسن {سلام على إبراهيم} يعني: سلام الله على إبراهيم. ويقال: هذا موصول بالأول. يعني: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخرين * سلام على إبراهيم} يعني: أثنينا عليه السلام في الآخرين.

قوله: {كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين} يعني: المصدقين، المخلصين.

ثم قال عز وجل: {وبشرناه بإسحاق نَبِيّاً مّنَ الصالحين} يعني: بشرناه بنبوة إسحاق بعدما أمر بذبح إسحاق. وقال ابن عباس: بشر بإسحاق بعدما أمر بذبح إسماعيل. وكان إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة.

ثم قال عز وجل: {وباركنا عَلَيْهِ وعلى إسحاق} أي: على إبراهيم وعلى إسحاق، وبركته النماء، والزيادة في الأموال، والأولاد، فكان من صلبه ذرية لا تحصى {وَمِن ذُرّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ} مثل موسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسى عليهم السلام ومؤمنو أهل الكتاب {وظالم لّنَفْسِهِ مُبِينٌ} يعني: الذين كفروا بآيات الله عز وجل. وروي عن ابن عباس أنه قال: قد رعي الكبش في الجنة أربعين خريفاً. وقال بعضهم: هي الشاة التي تقرب بها هابيل ابن آدم

عليهما السلام فتقبل منه قربانه، ورفع إلى السماء حياً، ثم جعل بدلاً عن ذبح إسماعيل أو إسحاق. ويقال: هي الشاة التي خلقها الله تعالى لأجله. وقال بعضهم: إنها وعلة من البر، يعني: بقرة وحش من البر جبلية.

تفسير الآيات رقم [114- 148]

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (116) وَآَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآَخِرِينَ (119) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (120) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (128) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ (129) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآَخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138) وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ مَنَنَّا على موسى وهارون} يعني: أنعمنا عليهما بالنبوة {ونجيناهما وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكرب العظيم} يعني: من الغرق {ونصرناهم} يعني: موسى، وقومه، {فَكَانُواْ هُمُ الغالبون} بالحجة على فرعون {وءاتيناهما} يعني: موسى وهارون {الكتاب المستبين} يعني: المبين الذي قد بيّن فيه الحلال والحرام {وهديناهما الصراط المستقيم} يعني: ثبتناهما على دين الإسلام {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى الاخرين} يعني: الثناء الحسن في الباقين {سلام على موسى وهارون} يعني: السلامة منا، والمغفرة

عليهما {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} أي: نكافئ المحسنين {إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين} يعني: من المرسلين.
قوله عز وجل: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ المرسلين} يعني: نبي من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وقال بعضهم: إنه إدريس. وروي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ {وَأَنْ إِدْرِيسَ لَمِنَ المرسلين سلام على إِدْرِيسَ}. وقال بعضهم: إلياس هو الخضر عليه السلام. وقال بعضهم: إلياس غير الخضر. وإلياس صاحب البراري. والخضر صاحب الجزائر، ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات ويقال: هو من سبط يوشع بن نون، بعثه الله تعالى إلى أهل بعلبك، فكذبوه، فأهلكهم الله تعالى بالقحط. وقال الله عز وجل لإلياس: سلني أعطك. قال: ترفعني إليك. فرفعه الله تعالى إليه، وجعله أرضياً، سماوياً، إنسياً، ملكياً، يطير مع الملائكة، فذلك قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر. يعني: اتقوا الله تعالى {أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ} ربّاً. روى عكرمة عن ابن عباس قال: البعل الصنم. وقال مجاهد: {أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ} رباً. وروى جبير عن الضحاك قال: مرّ رجل وهو يقول: من يعرف بعل البقرة. فقال رجل أنا بعلها. فقال له ابن عباس إنك زوج البقرة. فقال الرجل: يا ابن عباس أما سمعت قول الله تعالى يقول: {أَتَدْعُونَ بَعْلاً} يعني: رباً وأنا ربها ويقال: البعل كان اسم ذلك الصنم خاصة الذي كان لهم. ويقال: كان صنماً من ذهب، فقال لهم: {أَتَدْعُونَ بَعْلاً} أي الصنم {وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخالقين} الذي خلقكم يعني: تتركون عبادة الله {الله رَبُّكُمُ} قرأ حمزة. والكسائي، وعاصم، في رواية حفص {الله رَبُّكُمُ} {وَرَبُّ ءابَائِكُمُ} كلها بالنصب. وقرأ الباقون كلها بالضم. فمن قرأ: بالنصب. يرده إلى قوله: {وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخالقين الله رَبَّكُمْ وَرَبَّ} على صفة أحسن الخالقين. ومن قرأ بالضم، فهو على معنى الاستئناف. فكأنه قال: هو الله ربكم ورب آبائكم الأولين.
ثم قال عز وجل: {فَكَذَّبُوهُ} يعني: كذبوا إلياس {فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} يعني: هم وآلهتهم لمحضرون النار {إِلاَّ عِبَادَ الله المخلصين} فإنهم لا يحضرون النار {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخرين} يعني: الثناء الحسن {سلام على إِلْ يَاسِينَ} قرأ نافع، وابن عامر، {سلام على إِلْ يَاسِينَ} وقرأ الباقون: {إِلْيَاسِين}.
ومن قرأ {على إِلْ يَاسِينَ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم ويقال: آل محمد. فياسين اسم والال مضاف إليه، وآل الرجل أتباعه. وقيل: أهله. ومن قرأ

الياسين، فله طريقان أحدهما أنه جمع الياس. ومعناه: الياس، وأمته من المؤمنين. كما يقال: رأيت المهالبة. يعني: بني المهلب. والثاني أن يكون لقبان الياس والياسين مثل ميكال وميكائيل.
ثم قال: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المحسنين إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين} وقد ذكرناه. قوله عز وجل: {وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ المرسلين}.
قوله: {إِذْ نجيناه وَأَهْلَهُ أَجْمَعِين إِلاَّ عَجُوزاً فِى الغابرين ثُمَّ دَمَّرْنَا الاخرين} وقد ذكرناه.
ثم قال عز وجل: {وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} يعني: إنكم يا أهل مكة لتمرون على قرياتهم، إذا سافرتم بالليل والنهار، فذلك قوله: {وبالليل أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المرسلين} يعني: من جملة المرسلين {إِذْ أَبَقَ} يعني: إذ فرّ. ويقال: إذ هرب. ويقال: خرج {إِلَى الفلك المشحون} يعني: المُوقد من الناس، والدواب. ويقال: المجهز الذي قد فرغ من جهازه {فساهم} يعني: اقترعوا وقد ذكرت قصته في سورة الأنبياء {فَكَانَ مِنَ المدحضين} يعني: من المقروعين والمدحض في اللغة هو المغلوب في الحجة، وأصله من دحض الرجل إذ ذلّ من مكانه.
قوله: {فالتقمه الحوت} يعني: ابتلعه الحوت {وَهُوَ مُلِيمٌ} قال أهل اللغة: المليم الذي استوجب اللوم، سواء لأمره، أو لا. والملوم الذي يلام، سواء استوجب اللوم أو لا. ويقال: وهو ملوم يعني: يلوم نفسه {فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المسبحين} قال مقاتل والكلبي: لولا أنه كان من المصلين قبل ذلك. ويقال: {لَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المسبحين} في بطن الحوت {لَلَبِثَ} أي: لمكث {فِى بَطْنِهِ} ولكان بطنه قبره {إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} يعني: إلى يوم القيامة.
قوله عز وجل: {فنبذناه بالعراء} يعني: نبذه الحوت على ساحل البحر. ويقال: بالفضاء على ظاهر الأرض. وقال أهل اللغة: العراء هو المكان الخاليّ من البناء، والشجر، والنبات. فكأنه من عرى الشيء {وَهُوَ سَقِيمٌ} يعني: مريض. وذكر في الخبر أنه لم يبقَ له لحم، ولا ظفر، ولا شعر، فألقاه على الأرض كهيئة الطفل لا قوة له، وقد كان مكث في بطن الحوت أربعين يوماً.
ثم قال: {وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مّن يَقْطِينٍ} قال مقاتل: يعني: من قرع. وهكذا قال قتادة، ومجاهد. وقال أهل اللغة: كل شيء ينبت بسطاً، فهو يقطين، هكذا قال الكلبي. وذكر في الخبر أن وعلة كانت تختلف إليه، ويشرب من لبنها، فكان تحت ظل اليقطين، ويشرب من لبن الوعلة، يعني: بقرة الوحش حتى

تقوى، ثم يبست تلك الشجرة، فاغتم لذلك، وحزن حزناً شديداً، وبكى فأوحى الله تعالى إليه إنك قد اغتتمت بيبس هذه الشجرة، فكيف لم تغتم بهلاك مائة ألف أو يزيدون؟ فذلك قوله: {وأرسلناه إلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} يعني: كما أرسلناه قبل ذلك إلى قومه، وهم مائة ألف.

يعني: أهل نينوى {أَوْ يَزِيدُونَ}. يعني: بل يزيدون. ويقال: يعني: ويزيدون وكانوا مائة وعشرين ألفاً {فَئَامِنُواْ} يعني: لما جاءهم العذاب، أقروا وصدقوا، فصرف الله عنهم العذاب، فذلك قوله: {فمتعناهم إلى حِينٍ} يعني: أبقيناهم إلى منتهى آجالهم. فخرج يونس عليه السلام، فمر بجانب مدينة نينوى، فرأى هناك غلاماً يرعى، فقال: من أنت يا غلام؟ فقال: من قوم يونس. فقال: فإذا رجعت إليهم فأخبرهم بأنك قد رأيت يونس. فقال الغلام: إنه من يحدث، ولم تكن له بينة قتلوه. فقال له يونس: تشهد لك هذه البقعة، وهذه الشجرة. فدخل، وقال للملك: إني رأيت يونس عليه السلام يقرئك السلام، فلم يصدقوه، حتى خرجوا. فشهدت له الشجرة، والبقعة. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فأخذ الملك بيد الغلام، وقال: أنت أحق بالملك مني. فأقام الغلام أميرهم أربعين سنة.

▲ تفسير الآيات رقم [149- 157]

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157)}

ثم قال عز وجل: {فاستفتهم} يعني: سل أهل مكة {أَلِرَبّكَ البنات} قال مقاتل: وذلك أن جنساً من الملائكة، يقال لهم: الجن منهم إبليس. قال بعض الكفار: إن الله عز وجل اتخذتهم بناتاً لنفسه، فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهم؟ فقالوا: سروات الجن. فذلك قوله: {أَلِرَبّكَ البنات وَلَهُمُ البنون} يعني: يختارون له البنات، ولأنفسهم البنين.

ثم قال: {أَمْ خَلَقْنَا الملائكة إناثا وَهُمْ شاهدون} يعني: كانوا شاهدين حاضرين حين خلقهم بناتاً {أَلاَ إِنَّهُم مّنْ إِفْكِهِمْ} يعني: من كذبهم {لَيَقُولُونَ وَلَدَ الله وَإِنَّهُمْ لكاذبون} في قلوبهم.

ثم قال عز وجل: {أَصْطَفَى البنات على البنين} وذكر عن نافع أنه قرأ بإسقاط الألف في الوصل وهو قوله: {لكاذبون اصطفى} وبكسرها في الابتداء. وجعلها ألف وصل، ولم يجعلها ألف قطع، ولا ألف استفهام. ومعناها: أن الله عز وجل حكى عن كفار قريش أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، وأنهم من إفكهم ليقولون: ولد الله، وإنهم لكاذبون في قولهم: اصطفى البنات على البنين. وقرأ الباقون: {لكاذبون اصطفى} بإثبات الألف على معنى الاستفهام. فلفظه لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر.

ثم قال عز وجل: {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} يعني: كيف تقضون بالحق {أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} أنه لا يختار البنات على البنين {أَمْ لَكُمْ سلطان مُّبِينٌ} يعني: ألكم حجة. ويقال: ألكم عذر بيّن في كتاب الله، أنزل الله إليكم بأن الملائكة بناته {فَأْتُواْ بكتابكم} يعني: أي بعذركم وحجتكم {إن كُنتُمْ صادقين} في مقالتكم.

▲ تفسير الآيات رقم [158- 170]

{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (160) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (162) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (163) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (164) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (168) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (169) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (170)}

ثم قال عز وجل: {وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنة نَسَباً} يعني: وصفوا بين الرب، وبين الملائكة نسباً حين زعموا أنهم بناته. ويقال: جعلوا بينه وبين إبليس قرابة. وروى جبير عن الضحاك قال: قالت قريش: إن إبليس أخو الرحمن. وقال عكرمة: {وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنة نَسَباً} قالوا: الملائكة بنات الله، وجعلوهم من الجن. وهكذا قال القتبي.

ثم قال: {وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجنة} قال مقاتل والكلبي: يعني: علمت الملائكة الذين قالوا إنهم البنات {إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} أن من قال: إنهم بناته لمحضرون في النار. ويقال: لو علمت الملائكة أنهم لو قالوا بذلك، أدخلوا النار ثم قال عز وجل:

{سبحان الله عَمَّا يَصِفُونَ} يعني: تنزيهاً لله عما يصف الكفار. ثم استثنى على معنى التقديم والتأخير، يعني: فقال إنهم لمحضرون {إِلاَّ عِبَادَ الله المخلصين} يعني: الموحدين. فإنهم لا يقولون ذلك.

ثم قال عز وجل: {فَإِنَّكُمْ} يا أهل مكة {وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بفاتنين} يعني: ما أنتم عليه بمضلين أحداً بآلهتكم {إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجحيم} يعني: إلا من قدر الله له أن يصلى الجحيم. ويقال: إلا من كان في علم الله تعالى أنه يصلى الجحيم. ويقال: إلا من قدرت عليه الضلالة، وعلمت ذلك منه، وأنتم لا تقدرون على الإضلال والهدى {وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} يعني: قل يا جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم. وما منا معشر الملائكة إلا له مقام معلوم. يعني: مصلى معروفاً في السماء، يصلي فيه ويعبد الله تعالى فيه {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصافون} يعني: صفوف الملائكة في السموات. وروي عن مسروق، عن ابن مسعود قال: إن في السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك ساجد. وروي: أو قدماه. وروي عن مجاهد عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَها أنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إلاَّ وَفِيهِ جَبْهَةُ مَلَك سَاجِد». ويقال: إن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: لمزمل: 20) {وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} في السموات، يعبد الله عز وجل فيه {وَإِنَّا لَنَحْنُ المسبحون} يعني: المصلين {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدنى مِن ثُلُثَيِ اليل وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الذين مَعَكَ والله يُقَدِّرُ اليل والنهار عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القرءان عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مرضى وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الارض يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ الله وَءَاخَرُونَ يقاتلون فِى سَبِيلِ الله فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ الصلاة وَءَاتُواْ الزكواة وَأَقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً واستغفروا الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

[المزمل: 20] {وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا} يعني: إن أهل مكة كانوا يقولون: لو أتانا بكتاب مثل اليهود والنصارى، لكنا نؤمن، فذلك قوله عز وجل: {لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الاولين} يعني: لو جاءنا رسول {لَكُنَّا عِبَادَ الله المخلصين} يعني: الموحدين. فلما جاءهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به. ويقال: يعني: بالقرآن {فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} يعني: يعرفون في الآخرة، وهذا وعيد لهم. ويقال في الدنيا.

▲ تفسير الآيات رقم [171- 182]

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا} يعني: قد مضت كلمتنا بالنصرة لعبادنا {المرسلين} يعني: الأنبياء عليهم السلام وهو قوله عز وجل: {كَتَبَ الله لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ ورسلي إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: 21] {إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصورون} في الدنيا على أعدائهم {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغالبون} يعني: المؤمنون أهل ديننا. ويقال: رسلنا لهم الغالبون في الدنيا بالغلبة، والحجة في الآخرة {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: فأعرض عنهم إلى نزول العذاب، وكان ذلك قبل أن يؤمر بالقتال {حتى حِينٍ} قال الكلبي: إلى فتح مكة. ويقال: إلى أن تؤمر بالقتال {وأبصارهم} يعني: أعلمهم ذلك {فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} يعني: يرون ماذا يفعل بهم إذا نزل بهم العذاب {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ} يعني: أفبعذاب مثلي {يَسْتَعْجِلُونَ} {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ} يعني: بقربهم وحضرتهم {فَسَاء صَبَاحُ المنذرين} يعني: بئس الصباح صباح من أنذر بالعذاب. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما نزل بقرب خيبر قال: «هَلَكَت خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ» يعني: من أنذرتهم فلم يؤمنوا.

قوله عز وجل: {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} وتكرار الكلام للتأكيد، والمبالغة في الحجة.

ثم نزّه نفسه عما قالت الكفار، فقال عز وجل: {سبحان رَبّكَ} يا محمد {رَبّ العزة} والقدرة {عَمَّا يَصِفُونَ} يعني: عما يقولون وقرئ في الشاذ {رَبّ العزة} ويكون نصباً على المدح، وفي الشاذ قرئ (رَبُّ العِزَّة) بالرفع على معنى هو رب العزة. وقراءة العامة: بالكسر على معنى النعت.

ثم قال عز وجل: {وسلام على المرسلين} بتبليغ الرسالة. ففي الآية دليل وتنبيه للمؤمنين بالتسليم على جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام. ثم قال: {والحمد للَّهِ رَبّ العالمين} على هلاك الكافرين الذين لم يوحدوا ربهم. ويقال: حمد الرب نفسه ليكون دليلاً لعباده، ليحمدوه سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين.

▲ سورة ص

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (3)}

قوله تعالى: {ص والقرءان} قرأ الحسن: صاد بالكسر. وجعلها من المصادات. يقول عارض القرآن: أي عارض عملك بالقرآن. ويقال: بقلبك. وروى معمر، عن قتادة، في قوله {ص} قال: هو كما تقول تلق كذا أي: هيئ نفسك لقدوم فلان. يعني: طهر نفسك بآداب القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم: «الْقُرْآنُ مَأْدُبَةُ الله تَعَالَى فَتَطَّعمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ» وكان عيسى ابن مريم يعمر، يقرأ صَادَ بالنصب، وكذلك يقرأ قاف، ونون بالنصب. ومعناه: اقرأ صاد، وقراءة العامة بسكون الدال، لأنها حروف هجاء، فلا يدخلها الإعراب، وتقديرها الوقف عليها. وقيل: في تفسير قول الله تعالى: {ص} يعني: الله هو الصادق. ويقال: هو قسم. {والقرءان} عطف عليه قسم بعد قسم. ومعناه أقسمت بصاد، وبالقرآن. وقال علي بن أبي طالب: الصاد اسم بحر في السماء. وقال ابن مسعود في قوله: {ص والقرءان} يعني: صادقوا القرآن حتى تعرفوا الحق من الباطل. وقال الضحاك: معناه صدق الله.

ثم قال {ص والقرءان ذِى} يعني: والقرآن ذي الشرف. ويقال: فيه ذكر من كان قبله، وجواب القسم عند قوله: {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النار} [ص: 64] والجواب قد يكون مؤخراً عن الكلام كما قال: {والفجر وَلَيالٍ عَشْرٍ} [الفجر: 1، 2] وجوابه قوله: {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد} [الفجر: 14] وقوله: {والسمآء ذَاتِ البروج} [البروج: 1] وجوابه قوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: 12] وقال بعضهم: جواب القسم هاهنا {كَمْ أَهْلَكْنَا} ومعناه: لكم أهلكنا، فلما طال الكلام حذف اللام.

ثم قال: {بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ} أي: في حمية. كقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتق الله أَخَذَتْهُ العزة بالإثم فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المهاد} [البقرة: 206] يعني: الحمية. ويقال: {فِى عِزَّةٍ} يعني: في تكبر {وَشِقَاقٍ} يعني: في خلاف من الدين بعيد. ويقال: في عداوة، ومباعدة، وتكذيب. وقال القتبي: بل في اللغة على وجهين أحدهما لتدارك كلام غلطت فيه. تقول: رأيت زيداً بل عمراً.

والثاني أن يكون لترك شيء، وأخذ غيره من الكلام كقوله: {بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}.

ثم خوّفهم فقال عز وجل: {كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مّن قَرْنٍ} يعني: من أمة {فَنَادَوْاْ} يعني: فنادوا في الدنيا، واستغاثوا {وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ} يعني: وليس تحين فرار. قال الكلبي: فكانوا إذا قاتلوا، قال بعضهم لبعض: {مَنَاصٍ} يعني: يقول احمل حملة واحدة، فينجو من نجا، ويهلك من هلك. فلما أتاهم العذاب قالوا: {مَنَاصٍ} مثل ما كانوا يقولون. فقال الله تعالى: ليس تحين فرار وهي لغة اليمن. وقال القتبي: النوص التأخر. والبوص التقدم في كلام العرب. وروى معمر عن قتادة في قوله: {فَنَادَواْ وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ} قال: نادوا على غير حين النداء. وقال عكرمة: نادوا وليس تحين انفلات. وقال أبو عبيدة: اختلفوا في الوقف. فقال بعضهم: يوقف عند قوله: {وَّلاَتَ} ثم يبتدأ ب {حِينَ مَنَاصٍ} لأنا لا نجد في شيء من كلام العرب ولات. أما المعروف لا ولأنَّ تفسير ابن عباس يشهد لها، وذلك أنه قال: ليس تحين فرار. وليس هي أخت لا ولا بمعناها. قال أبو عبيد ومع هذا تعمدت النظر في الذي يقال له: مصحف الإمام. وهو مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجدت التاء متصلة مع حين.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 10]

{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7) أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (8) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (9) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (10)}

ثم قال عز وجل: {وَعَجِبُواْ أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مّنْهُمْ} يعني: مخوف منهم، ورسول منهم يعني: من العرب وهو محمد صلى الله عليه وسلم {وَقَالَ الكافرون هذا ساحر كَذَّابٌ} يكذب على الله تعالى أنه رسوله {أَجَعَلَ الالهة إلها واحدا} يعني: كيف يتسع لحاجتنا إله واحد {إِنَّ هذا لَشَئ عُجَابٌ} يعني: لأمر عجيب. والعرب تحول فعيلاً إلى فعال. وهاهنا أصله شيء عجيب. كما قال في سورة ق {أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ الله إِنَّنِى لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} [ق: 2] {وانطلق الملا مِنْهُمْ} قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أخبرنا الثقة بإسناده

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما مرض أبو طالب، دخل عليه نفر من قريش، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويقول ويقول، ويفعل ويفعل، فأرسل إليه، فانهه عن ذلك، فأرسل إليه أبو طالب، وكان إلى جنب أبي طالب موضع رجل، فخشي أبو جهل إن جاء النبي صلى الله عليه وسلم يجلس إلى جنب عمه، أن يكون أرق له عليه. فوثب أبو جهل، فجلس في ذلك المجلس، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد مجلساً إلا عند الباب. فلما دخل، قال له أبو طالب: يا ابن أخي إن قومك يشكونك، ويزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول، وتفعل وتفعل. فقال: «يَا عَمُّ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، تُدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِي إليهم بِهَا العَرَبُ والعَجَمُ الجِزْيَةَ» فقالوا: وما هي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لاَ إله إلاَّ الله» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، ويقولون: {أَجَعَلَ الالهة إلها واحدا إِنَّ هذا لَشَىْءٌ عُجَابٌ وانطلق الملا مِنْهُمْ} يعني: الأشراف من قريش {أَنِ امشوا} يعني: امكثوا {واصبروا} يعني: اثبتوا {على ءالِهَتِكُمْ} يعني: على عبادة آلهتكم {إِنَّ هذا لَشَىْءٌ يُرَادُ} يعني: لأمر يراد كونه بأهل الأرض. ويقال: إن هذا لشيء يراد. يعني: لا يكون ولا يتم له {مَّا سَمِعْنَا بهذا فِى الملة الاخرة} يعني: في اليهود والنصارى {إِنْ هذا إِلاَّ اختلاق} يعني: يختلقه من قبل نفسه. ويقال: في قوله: {إِنَّ هذا لَشَىْءٌ يُرَادُ} يعني: أراد أن يكون.

ثم قال عز وجل: {عَلَيْهِ الذكر مِن بَيْنِنَا بَلْ} يعني: أخصّ بالنبوة من بيننا. يقول الله عز وجل: {بَلْ هُمْ فَى شَكٍّ مّن ذِكْرِى} يعني: في ريب من القرآن والتوحيد {بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ} أي: لم يذوقوا عذابي كقوله: {قَالَتِ الاعراب ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ ولكن قولوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الايمان فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِّنْ أعمالكم شَيْئاً إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

[الحجرات: 14] أي: لم يدخل فهذا تهديد لهم، أي: سيذوقوا عذابي.

ثم قال: {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبّكَ} يعني: مفاتيح رحمة ربك. يعني: مفاتيح النبوة بأيديهم، ليس ذلك بأيديهم، وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء {العزيز الوهاب} يعني: بيد الله {العزيز} في ملكه {الوهاب} لمن يشاء. بل الله يختار من يشاء للوحي، فيوحي الله عز وجل وهي الرسالة لمن يشاء {وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى الاسباب} يعني: إن لم يرضوا بما فعل الله تعالى، فليتكلفوا الصعود إلى السماء. وقال القتبي: أسباب السماء أي: أبواب السماء، كما قال القائل. ولو نال أسباب السماء بسلم. قال: ويكون

أيضاً {فَلْيَرْتَقُواْ فِى الاسباب} يعني: في الجبال إلى السماء كما سألوك أن ترقى إلى السماء، فتأتيهم بآية، وهذا كله تهديد، وتوبيخ بالعجز.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 20]

{جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (11) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (15) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)}

ثم قال عز وجل: {جُندٌ مَّا هُنَالِكَ} يعني: جند عند ذلك، وما زائدة. يعني: حين أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم {مَهْزُومٌ} يعني: مغلوب {مّن الاحزاب} يعني: من الكفار. وقال مقاتل: فأخبر الله تعالى بهزيمتهم ببدر. وقال الكلبي: يعني عند ذلك إن أرادوه {مَهْزُومٌ} مغلوب.

ثم قال عز وجل: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ} يعني: من قبل أهل مكة {قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو الاوتاد} يعني: ذو ملك ثابت، شديد دائم ويقال: ذو بناء محكم. ويقال: يعني: في عز ثابت. والعرب تقول: فلان في عز ثابت الأوتاد. يريدون دائم شديد، وأصل هذا أن بيوت العرب تثبت بأوتاد. ويقال: هي أوتاد كانت لفرعون يعذب بها، وكان إذا غضب على أحد شدّه بأربعة أوتاد.

ثم قال: {وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وأصحاب لئَيْكَةِ} يعني: الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام {أُوْلَئِكَ الاحزاب} يعني: الكفار، سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا على أنبيائهم. أي: تجمعوا، وأخبر في الابتداء أن مشركي قريش، حزب من هؤلاء الأحزاب {إن كُلٌّ} يعني: ما كل {إلاَّ كَذَّبَ الرسل فَحَقَّ عِقَابِ} يعني: وجب عذابي عليهم.

قوله عز وجل: {وَمَا يَنظُرُ هَؤُلآء} يعني: قومك {إلاَّ صَيْحَةً واحدة} يعني: النفخة الأولى {مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ} يعني: من نظرة، ومن رجعة. قرأ حمزة والكسائي {فُوَاقٍ} بضم الفاء. وقرأ الباقون: بالنصب. ومعناهما واحد. يسمى ما بين حلبتي الناقة {فَوَاقٍ} لأن اللبن يعود إلى الضرع. وكذلك إفاقة المريض يعني: يرجع إلى الصحة. فقال: {مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ} يعني: من رجوع. وقال أبو عبيدة: من فتحها أراد ما لها من راحة ولا إفاقة يذهب بها إلى إفاقة

المريض، ومن ضمها جعلها من فواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين، يعني: ما لها من انتظار. وقال القتبي: الفُواق والفَواق واحد، وهو ما بين الحلبتين.
ثم قال تعالى: {وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجّل لَّنَا قِطَّنَا} قال ابن عباس وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش: «مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالله أُعْطِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ» فقالوا: {رَبَّنَا عَجّل لَّنَا قِطَّنَا} يعني: صحيفتنا، وكتابنا في الدنيا {قَبْلَ يَوْمِ الحساب} والقط في اللغة الصحيفة المكتوبة. ويقال: لما نزل قوله: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابه بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقرؤا كتابيه} [الحاقة: 19] فقالوا {رَبَّنَا عَجّل لَّنَا} هذا الكتاب {قَبْلَ يَوْمِ الحساب} استهزاء.
ثم عزّى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل: {اصبر على مَا يَقُولُونَ} من التكذيب {واذكر عَبْدَنَا دَاودُ ذَا الايد} يعني: ذا القوة على العبادة {إِنَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مقبل على طاعة الله عز وجل.
وقال مقاتل: {أَوَّابٌ} يعني: مطيع.
قوله عز وجل: {إِنَّا سَخَّرْنَا الجبال مَعَهُ} يعني: ذلّلنا الجبال {يُسَبّحْنَ} مع داود عليه السلام {بالعشى والإشراق} يعني: في آخر النهار، وأوله. وروى طاوس أن ابن عباس قال لأصحابه: هل تجدون صلاة الضحى في القرآن؟ قالوا: لا. قال: بلى. قوله: {يُسَبّحْنَ بالعشى والإشراق} كانت صلاة الضحى يصليها داود عليه السلام.
ثم قال عز وجل: {والطير مَحْشُورَةً} يعني: مجموعة {كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مطيع. وقال عمرو بن شرحبيل: الأواب بلغة الحبشة المسيح. وقال الكلبي: المقبل على طاعة الله تعالى.
قوله عز وجل: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} يعني: قوّينا حراسه. قال مقاتل والكلبي: كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل. ويقال: قوينا ملكه، وأثبتناه، وحفظناه عليه. وروي في الخبر أن غلاماً استعدى على رجل، وادعى عليه. بقراً فأنكر المدعى عليه، وقد كان لطمه لطمة حين ادعى عليه، فسأل داود من الغلام البينة، فلم يقمها، فرأى داود في منامه أن الله عز وجل يأمره أن يقتل المدعى عليه، ويسلم البقر إلى الغلام. فقال داود: هو منام ثم أتاه الوحي بذلك، فأخبر بذلك بنو إسرائيل، فجزعت بنو إسرائيل وقالوا: رجل لطم غلاماً لطمة فقتله بذلك. فقال داود عليه السلام: هذا أمر الله تعالى به، فسكتوا. ثم أحضر الرجل فأخبره أن الله تعالى أمره بقتله. فقال الرجل: صدقت يا نبي الله: إني قتلت أباه غيلة، وأخذت البقر، فقتله داود، فعظمت هيبته، وشدد ملكه. فلما رأى الناس

ذلك جلّ أمره في أعينهم، وقالوا: إنه يقضي بوحي الله تعالى، ثم إن الله تعالى أرخى سلسلة من السماء، وأمره بأن يقضي بها بين الناس، فمن كان على الحق يأخذ السلسلة، ومن كان ظالماً لا يقدر على أخذ السلسلة. وقد كان غصب رجل من رجل لؤلؤاً، فجعل اللؤلؤ في جوف عصاً له، ثم خاصمه المدعي إلى داود عليه السلام فقال المدعي: إن هذا أخذ مني لؤلؤاً، وإني لصادق في مقالتي. فجاء، وأخذ السلسلة، ثم قال المدعى عليه: خذ مني العصا، فأخذ عصاه، وقال: إني قد دفعت إليه اللؤلؤ، وإني لصادق في مقالتي، فجاء وأخذ السلسلة. فتحير داود عليه السلام في ذلك، فرفعت السلسلة، وأمره بأن يقضي بالبينات والأيمان، فذلك قوله عز وجل: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} يعني: الفهم، والعلم. ويقال: يعني النبوة {وَفَصْلَ الخطاب} يعني: القضاء بالبينات، والأيمان. وقال قتادة، والحسن؛ {وَفَصْلَ الخطاب} يعني: البينة على الطالب، واليمين على المطلوب.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 26]

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26)}

ثم قال عز وجل: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الخصم} يعني: خبر الخصم. ويقال: خبر الخصوم أي: وهل أتاك يا محمد، ما أتاك، حين أتاك، ويقال: وقد أتاك {إِذْ تَسَوَّرُواْ المحراب} والتسور أن يصعد في مكان مرتفع، وإنما سمي المحراب سوراً، لارتفاعه من الأرض. ويقال {تَسَوَّرُواْ} يعني: دخلوا عليه من فوق الجدار. وقال الحسن البصري: وذلك أن داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أيام. فيوماً لنسائه، ويوماً لقضائه، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه، ويوماً لبني

إسرائيل ليسألونه فقال يوماً لبني إسرائيل: أيكم يستطيع أن يتفرغ لعبادة ربه يوماً لا يصيب الشيطان منه شيئاً؟ فقالوا: يا نبي الله، والله لا نستطيع. فحدث داود نفسه أنه يستطيع ذلك. فدخل محرابه، وأغلق بابه، فقام يصلي في المحراب، فجاء طائر في أحسن صورة مزين كأحسن ما يكون، فوقع قريباً منه، فنظر إليه، فأعجبه، فوقع في نفسه منه، فدنا منه ليأخذه، فوقع قريباً منه وأطمعه، أن سيأخذه، ففعل ذلك ثلاث مرات، حتى إذا كان في الرابعة، ضرب يده عليه فأخطأه، ووقع على سور المحراب. قال: وخلف المحراب حوض تغتسل فيه النساء، فضرب يده عليه، وهو على سور المحراب، فأخطأه وهرب الطائر، فأشرف داود، فإذا بامرأة تغتسل، فلما رأته نقضت شعرها، فغطى جسدها، فوقع في نفسه منها ما يشغله عن صلاته، فنزل من محرابه، ولبست المرأة ثيابها، وخرجت إلى بيتها، فخرج حتى عرف بيتها، وسألها من أنت؟ فأخبرته: فقال: هل لك زوج؟ قالت: نعم. قال أين هو؟ فقالت: في بعث كذا وكذا، وجند كذا وكذا. فرجع، وكتب إلى عامله إذا جاءك كتابي هذا، فاجعل فلاناً في أول الخيل. فقدم في فوارس، فقاتل، فقتل. ثم انتظر حتى انقضت عدتها، فخطبها، وتزوجها. فبينما هو في المحراب، إذ تسور عليه ملكان، وكان الباب مغلقاً، ففزع منهما، فقالا: لا تخف {خَصْمَانِ بغى بَعْضُنَا على بَعْضٍ فاحكم بَيْنَنَا بالحق} يعني: اقض بيننا بالعدل. ثم خاصم أحدهما الآخر، فقال: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً} إلى آخره. فعلم داود عليه السلام أنه مراد بذلك، فخرّ راكعاً وأناب. قال الحسن: سجد أربعين ليلة، لا يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة. قال: ولم يذق طعاماً، ولا شراباً، حتى أوحى الله عز وجل إليه أن ارفع رأسك فإني قد غفرت لك. وهكذا ذكر في رواية الكلبي عن ابن عباس، أنه سجد أربعين يوماً حتى سقط جلد وجهه، ونبت العشب من دموعه. فقال: يا رب كيف ترحمني وأنا أعلم أنك منتقم مني بخطيئتي، وذكر أن جبريل عليه السلام قال له: اذهب إلى أوريا فاستحل منه، فإنك تسمع صوته في يوم كذا، فأتاه ذات ليلة، فناداه، فأجابه، فاستحل منه، فقال: أنت في حلّ.

فلما رجع، قال له جبريل: هل أخبرته بجرمك. قال: لا. قال: فإنك لم تفعل شيئاً. قال: فارجع، فأخبره بالذي صنعت، فرجع داود فأخبره بذلك، فقال: أنا خصمك يوم القيامة، فرجع مغتماً، وبكى أربعين يوماً فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقول: إني أستوهبك من عبدي فيهبك لي، وأجزيه على

ذلك أفضل الجزاء، فسري عنه ذلك، وكان محزوناً في عمره، باكياً على خطيئته. وروي في خبر آخر، أن داود سمع بني إسرائيل كانوا يقولون في دعائهم: يا إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فيستجاب لهم. فقال لهم داود عليه السلام اذكروني فيهم. فقولوا: يا إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وداود، فقالوا: الله أمرك بهذا. قال: لا. فقالوا: لا نزيد فيهم ما لم يأمرك الله تعالى بذلك. فسأل داود ربه أن يجعله فيهم، فأوحى الله تعالى إليه، وذكر له ما لقي إبراهيم من الشدائد، وما لقي إسحاق ويعقوب عليهم السلام فسأل داود ربه أن يبتليه ببلية لكي يبلغ منزلتهم، فابتلي بذلك حتى بلغ مبلغهم. وقال بعضهم: هذه القصة لا تصح لأنه لا يظن بالنبي مثل داود أنه يفعل مثل ذلك، ولكن كانت خطيئته أنه لما اختصما إليه، فقال للمدعي: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فنسبه إلى الظلم بقول المدعي. فكان ذلك منه زلة، فاستغفر ربه عن زلته، فذلك قوله: {إِذْ دَخَلُواْ على * دَاوُودُ} وقال بعضهم: كانوا اثنين. فذكر بلفظ الجماعة فقال: {إِذْ دَخَلُواْ على * دَاوُودُ} وقال بعضهم: كانوا جماعة، ولكنهم كانوا فريقين فقال: {إِذْ دَخَلُواْ على * دَاوُودُ ***فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بغى بَعْضُنَا على بَعْضٍ} يعني: استطال، وظلم بعضنا على بعض {فاحكم بَيْنَنَا بالحق} يعني: اقض بيننا بالعدل {وَلاَ تُشْطِطْ} أي ولا تجر في الحكم، والقضاء. ويقال: أشططت إذا جرت {واهدنا إلى سَوَاء الصراط} يعني: أرشدنا إلى أعدل الطريق.

قوله عز وجل: {إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِى نَعْجَةٌ واحدة فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا} يعني: أعطني هذه النعجة. وهذا قول الكلبي ومقاتل. وقال القتبي {أَكْفِلْنِيهَا} يعني: ضمها إليّ، واجعلني كافلها {وَعَزَّنِى فِى الخطاب} يعني: غلبني في الكلام {قَالَ} داود {لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ} أي: مع نعاجه {وَإِنَّ كَثِيراً مّنَ الخلطاء} يعني: من الإخوان والشركاء {لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ} يعني: ليظلم بعضهم بعضاً {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} فإنهم لا يظلمون {وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} يعني: قليل منهم الذين لا يظلمون. فلما قضى بينهما داود عليه السلام أحب أن يعرفهما، فصعد إلى السماء حيال وجهه {وَظَنَّ * دَاوُودُ} يعني: علم داود.

ويقال: ظن بمعنى أيقن. إلا أنه ليس بيقين عياناً، لأن العيان لا يقال فيه إلا العلم. {أَنَّمَا فتناه} يعني: ابتليناه، واختبرناه. ويقال: إنهما ضحكا، وذهبا. فعلم داود أن الله عز وجل ابتلاه بذلك. وروي عن أبي عمرو في بعض الروايات

أنه قرأ {أَنَّمَا فتناه} بالتخفيف، ومعناه ظن أن الملكين اختبراه، وامتحناه في الحكم وقراءة العامة {فتناه} بالتشديد يعني: أن الله عز وجل قد اختبره، وامتحنه بالملكين {فاستغفر رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ} يعني: {وَخَرَّ} وقع راكعاً ساجداً {وَأَنَابَ} يعني: أقبل إلى طاعة الله تعالى بالتوبة. وروى عطاء بن السائب، عن أبي عبد الله البجلي قال: إن داود لم يرفع رأسه إلى السماء، مذ أصاب الخطيئة حتى مات. وذكر في الخبر أن داود كان له تسع وتسعون امرأة، فتزوج امرأة أوريا على شرط أن يكون ولدها خليفة بعده، فولد له منها سليمان، وكان خليفته بعده.

يقول الله عز وجل: {فَغَفَرْنَا لَهُ ذلك} يعني: ذنبه {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لزلفى} لقربة {وَحُسْنُ مَئَابٍ} أي: المرجع في الآخرة. وروي أن كاتباً كان يكتب قوله تعالى: {وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ} وكان تحت شجرة، فقرأها، وكتبها، فخرت الشجرة ساجدة لله تعالى، وهي تقول: اللهم اغفر بها ذنباً، وخرت الدواة ساجدة كذلك، وهي تقول اللهم: احطط عني بها وزراً. وكذلك الصحيفة التي في يده، وهي تقول: اللهم أحدث مني بها شكراً. وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله رأيتني الليلة، وأنا نائم، كأني أصلي خلف الشجرة، فقرأت السجدة فسجدتُّ فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود. قال ابن عباس فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم آية سجدة، ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة. وأيضاً سئل ابن عباس عن سجدة {ص} من أين سجدت. قال: أما تقرأ هذه الآية: {وَمِن ذُرّيَّتِهِ دَاوُدُ وسليمان}، ثم قال: {أولئك الذين هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقتده قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذكرى للعالمين} [الأنعام: 90] فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به، فسجدها داود، فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتداءً به.

ثم قوله عز وجل: {مَئَابٍ ياداوود إِنَّا جعلناك خَلِيفَةً فِى الارض} يعني: أكرمناك بالنبوة، وجعلناك خليفة، والخليفة الذي يقوم مقام الذي قبله، فقام مقام الخلفاء الذين قبله، وكان قبله النبوة في سبط، والملك في سبط آخر، فأعطاهما الله تعالى لداود.

ثم قال: {فاحكم بَيْنَ الناس بالحق} يعني: بالعدل {وَلاَ تَتَّبِعِ الهوى} أي: لا تمل إلى هوى نفسك، فتقضي بغير عدل. ويقال: لا تعمل بالجور في

القضاء، {وَلاَ تَتَّبِعِ الهوى} كما اتبعت في بتشايع، وهي امرأة أوريا، {فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ الله} يعني: عن طاعة الله تعالى. ويقال: يعني: الهوى يستزلك {عَن سَبِيلِ الله} {إِنَّ الذين يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الله} يعني: عن دين الله الإسلام {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الحساب} يعني: بما تركوا من العمل ليوم القيامة، فلم يخافوه. ويقال: بما تركوا الإيمان بيوم القيامة.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 29]

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)}

قوله عز وجل: {وَمَا خَلَقْنَا السماء والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من الخلق {باطلا} يعني: عبثاً لغير شيء، بل خلقناهما لأمر هو كائن {ذلك ظَنُّ الذين كَفَرُواْ} يعني: يظنون أنهما خلقتا لغير شيء، وأنكروا البعث {فَوَيْلٌ لّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النار} يعني: جحدوا من النار يعني: من عذاب النار {أَمْ نَجْعَلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} وذلك أن كفار مكة قالوا: إنا نعطى في الآخرة، من الخير أكثر مما تعطون فنزل: {أَمْ نَجْعَلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} في الثواب {كالمفسدين فِى الارض} يعني: كالمشركين. وقال في رواية الكلبي: نزلت في مبارزي يوم بدر {أَمْ نَجْعَلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: علياً، وحمزة، وعبيدة رضي الله عنهم {كالمفسدين فِى الارض} يعني: عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد. ويقال: نزلت في جميع المسلمين، وجميع الكافرين. يعني: لا نجعل جزاء المؤمنين كجزاء الكافرين في الدنيا والآخرة، كما قال في آية أُخرى: {أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات أَن نَّجْعَلَهُمْ كالذين ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات سَوَآءً محياهم ومماتهم سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: 21].

ثم قال عز وجل: {أَمْ نَجْعَلُ المتقين كالفجار} يعني: كالكفار في الثواب. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الوعيد.

ثم قال عز وجل: {كتاب أنزلناه إِلَيْكَ مبارك} يعني: أنزلنا جبريل عليه السلام به إليك {مُّبَارَكٌ} يعني: كتاب مبارك فيه مغفرة للذنوب لمن آمن به، وصدقه، وعمل بما فيه، {لّيَدَّبَّرُواْ ءاياته} أي: لكي يتفكروا في آياته. قرأ عاصم في إحدى الروايتين: {لِتَدَبَّرُوا} بالتاء مع النصب، وتخفيف الدال. وهو بمعنى:

لتتدبروا. فحذفت إحدى التاءين، وتركت الأخرى خفيفة، وقراءة العامة {مبارك لِّيَدَّبَّرُواْ} بالياء، وتشديد الدال. وهو بمعنى: ليتدبروا. فأدغمت التاء في الدال، وشددت.
ثم قوله عز وجل: {وَلِيَتَذَكَّرَ} يعني: وليتعظ بالقرآن {أُوْلُو الالباب} يعني: ذوو العقول من الناس.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 34]

{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34)}
{وَوَهَبْنَا لداود سليمان} يعني: أعطينا لداود سليمان. وروي عن ابن عباس أنه قال: أولادنا من مواهب الله عز وجل.
ثم قرأ: و{لِلَّهِ مُلْكُ السماوات والارض يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إناثا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور} [الشورى: 49] فوهب الله تعالى لداود سليمان {نِعْمَ العبد إِنَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مقبلاً إلى طاعة الله تعالى.
قوله عز وجل: {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعشى} يعني: في آخر النهار {الصافنات الجياد} يعني: الخيل. قال الكلبي ومقاتل: صفن الفرس إذا رفع إحدى رجليه، فيقوم على طرف حافره. وقال أهل اللغة: الصافن الواقف من الخيل. وفي الخبر: «مَنْ أَحَبَّ أنْ يَقُومَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُوفاً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» يعني: يديمون له القيام، والجياد الحسان. ويقال: الإسراع في المشي. وقال ابن عباس في رواية الكلبي: إن أهل دمشق من العرب، وأهل نصيبين جمعوا جموعاً، وأقبلوا ليقاتلوا سليمان، فقهرهم سليمان، وأصاب منهم ألف فرس عراب، فعرضت على سليمان الخيل، فجعل ينظر إليها، ويتعجب من حسنها، حتى شغلته عن صلاة العصر، وغربت الشمس، ثم ذكرها بعد ذلك، فغضب، وقال: {رُدُّوهَا عَلَيَّ}، فضرب بسوقها، وأعناقها بالسيف، حتى خرّ منها تسعمائة فرس، وهي التي كانت عرضت عليه، وبقيت مائة فرس لم تعرض عليه كما كان في أيدي الناس الآن من الجياد، فهو من نسلها أي: من نسل المائة الباقية.

قوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخير} يعني: آثرت حب المال {عَن ذِكْرِ رَبِى} يعني: عن الصلاة، وهي صلاة العصر {حتى تَوَارَتْ بالحجاب} يعني: حتى غابت الشمس، وهذا إضمار لما لم يسبق ذكره. يعني: ذكر الشمس لأن في الكلام دليلاً فاكتفى بالإشارة عن العبارة. قوله. عز وجل {رُدُّوهَا عَلَىَّ} يعني: قال سليمان: ردوا الخيل عليّ، فردت عليه {فَطَفِقَ مَسْحاً بالسوق} يعني: يضرب السوق وهو جماعة الساق {والاعناق} وهو جمع العنق. وروي عن إبراهيم النخعي قال: كانت عشرين ألف فرس. وقال السدي: كانت خيل لها أجنحة. وقال أبو الليث: يجوز أن يكون مراده في سرعة السير، كأن لها أجنحة. وقال بعضهم: كانت الجن والشياطين أخرجتها من البحر. وقال عامة المفسرين في قوله: {فَطَفِقَ مَسْحاً بالسوق والاعناق} يعني: فضرب سوقها، وأعناقها. وقال بعضهم: لم يعقر ولكن جعل على سوقهن، وعلى أعناقهن، سمة وجعلها في سبيل الله. قال: لأن التوبة لا تكون بأمر منكر. ولكن الجواب عنه أن يقال له: يجوز أن يكون ذلك مباحاً في ذلك الوقت، وإنما أراد بذلك الاستهانة بمال الدنيا لمكان فريضة الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سليمان} ابتليناه {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً} يعني: شيطاناً.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن سليمان أمر بأن لا يتزوج إلا من بني إسرائيل، فتزوج امرأة من غير بني إسرائيل، فعاقبه الله تعالى. فأخذ شيطان يقال له: صخر خاتمه، وجلس على كرسيه أربعين يوماً، وقد ذكرنا قصته في سورة البقرة {ثُمَّ أَنَابَ} يعني: رجع إلى ملكه، وأقبل على طاعة الله تعالى. وقال الحسن في قوله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً} قال: شيطاناً. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: سألت كعباً عن قوله: {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً} قال: شيطاناً. يعني: أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه، فقذفه في البحر، فوقع في بطن سمكة، وانطلق سليمان يطوف، فتصدق عليه بسمكة، فشواها ليأكل، فإذا فيها خاتمه. وقال وهب بن منبه: إن سليمان تزوج امرأة من أهل الكتاب، وكان لها عبد، فطلبت منه أن يجزرها لعبدها. يعني: ينحر الجزور فأجزرها، فكره ذلك منه ثم ابتلي بالجسد الذي ألقي على كرسيه. وروى معمر عن قتادة في قوله: {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً} قال: كان الشيطان جلس على كرسيه أربعين ليلة، حتى ردّ الله تعالى إليه ملكه. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً} قال: شيطان

يقال له صخر. قال له سليمان يوماً: كيف تفتنون الناس؟ فقال له: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه، نبذه في البحر، فذهب ملكه، وقعد صخر على كرسيه، ومنعه الله تعالى نساء سليمان، فلم يقربهن، فأنكرته أم سليمان، أهو سليمان أم آصف؟ فكان يقول: أنا سليمان. فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، ودخل صخر البحر فاراً. وذكر شهر بن حوشب نحو هذا، وقال: لما جلس سليمان على سريره، بعث في طلب صخر، فأتي به، فأمر به، فقورت له صخرة، وأدخله فيها، ثم أطبق عليها، وألقاه في البحر، وقال: هذا سجنك إلى يوم القيامة. وقال بعضهم: هذا التفسير الذي قاله هؤلاء الذين ذكروا أنه شيطان لا يصح، لأنه لا يجوز من الحكيم أن يسلط شيطاناً من الشياطين على أحكام المسلمين، ويجلسه على كرسي نبي من الأنبياء عليهم السلام ولكن تأويل الآية والله أعلم: أن سليمان كان له ابن، فجاء ملك الموت يوماً زائراً لسليمان، فرآه ابنه فخافه، وتغيّر لونه، ومرض من هيبته، فأمر سليمان عليه السلام الريح بأن تحمل ابنه فوق السحاب ليزول ذلك عنه، فلما رفعته الريح فوق السحاب، ودنا أجله، فقبض ابنه، وألقي على كرسيه فذلك قوله: {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً} يعني: ابنه الميت. قال: والدليل على ذلك أن الجسد في اللغة هو الميت الذي لا يأكل الطعام، والشراب، كالميت ونحوه.

وذكر أن سليمان جزع على ابنه، إذ لم يكن له إلا ابن واحد، فدخل عليه ملكان، فقال أحدهما: إن هذا مشى في زرعي فأفسده. فقال له سليمان: لم مشيت في زرعه؟ فقال: لأن هذا الرجل زرع في طريق الناس، ولم أجد مسلكاً غير ذلك. فقال سليمان للآخر: لم زرعت في طريق الناس، أما علمت أن الناس لا بد لهم من طريق يمشون فيه؟ فقال لسليمان: صدقت. لم ولدت على طريق الموت أما علمت أن ممر الخلق على الموت؟ ثم غابا عنه. فاستغفر سليمان فذلك قوله: {ثُمَّ أَنَابَ} يعني: تاب ورجع إلى طاعة الله عز وجل.

▲ تفسير الآيات رقم [35- 40]

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآَخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَذَا

عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (40)}

قوله عز وجل: {قَالَ رَبِّ اغفر لِى وَهَبْ لِى مُلْكاً} أي: أعطني ملكاً {لاَّ يَنبَغِى لِاحَدٍ مّن بَعْدِى} قال سعيد بن جبير: أعطني ملكاً لا تسلبه كما سلبت في المرة الأولى. ويقال: إنما تمنى ملكاً لا يكون لأحد من بعده، حتى يكون ذلك معجزة له، وعلامة لنبوته. {إِنَّكَ أَنتَ الوهاب} يعني: المعطي الملك.

قوله عز وجل: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِى بِأَمْرِهِ} وكان من قبل ذلك لم تسخر له الريح، والشياطين. فلما دعا بذلك، سخرت له الريح والشياطين. فقال: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِى بِأَمْرِهِ} يعني: بأمر سليمان. ويقال: بأمر الله تعالى {رُخَاء} يعني: لينة مطيعة {حَيْثُ أَصَابَ} يعني: حيث أراد من الأرض، والنواحي {أَصَابَ} يعني: أراد. وقال الأصمعي: العرب تقول: أصاب الصواب، فأخطأ الجواب. يعني: أراد الصواب، فأخطأ الجواب. {والشياطين} يعني: سخرنا له كل شيء، وسخرنا له الشياطين أيضاً {كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ} يعني: يغوصون في البحر، ويستخرجون اللؤلؤ، وقال مقاتل: وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر {وَءاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ} يعني: مردة الشياطين موثقين {فِى الاصفاد} يعني: في الحديد ويقال: {الاصفاد} الأغلال.

ثم قال عز وجل: {هذا عَطَاؤُنَا} يعني: هذا عطاؤنا لك، وكرامتنا عليك {فامنن} يعني: اعتق من شئت منهم، فخلّ سبيله من الشياطين {أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} يعني: احبس في العمل، والوثاق، والسلاسل من شئت منهم {بِغَيْرِ حِسَابٍ} أي: فلا تبعة عليك في الآخرة فيمن أرسلته، وفيمن حبسته. ويقال: ليس عليك بذلك إثم {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لزلفى} يعني: لقربى {وَحُسْنُ مَئَابٍ} يعني: حسن المرجع.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 44]

{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)}

قوله عز وجل: {واذكر عَبْدَنَا أَيُّوبَ} يعني: واذكر صبر عبدنا أيوب {إِذْ نادى رَبَّهُ} يعني: دعا ربه {أَنّى مَسَّنِيَ الشيطان} يعني: أصابني الشيطان {بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} وهو المشقة والعناء والأمراض، وعذاب في ماله. يعني: هلاك أهله، وماله وقد ذكرناه في سورة الأنبياء قوله عز وجل: {اركض بِرِجْلِكَ هذا} يعني: قال له جبريل: اضرب الأرض برجلك، فضرب فنبعت عين من تحت قدميه، فاغتسل فيها، فخرج منها صحيحاً، ثم ضرب برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منها، فذلك قوله {هذا مُغْتَسَلٌ} يعني: الذي اغتسل منها. ثم قال: {بَارِدٌ وَشَرَابٌ} يعني: الذي شرب منها.

قوله عز وجل: {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مّنَّا وذكرى لِاوْلِى الالباب وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً} يعني: قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة. وقال الكلبي {ضِغْثاً} أي: مجتمعاً. وقال مقاتل: الضغث القبضة الواحدة، فأخذ عيداناً رطبة من الآس، فيه مائة عود. وقال القتبي: الضغث الحزمة من العيدان، والكلأ {فاضرب بّهِ} يعني: اضرب به امرأتك {وَلاَ تَحْنَثْ} في يمينك. وقال الزجاج: قالت امرأته: لو ذبحت عناقاً باسم الشيطان؟ فقال: لا، وَلاَ كَفّاً مِن تُرَاب. وحلف أنه يضربها مائة سوط، وأمر بأن يبرّ في يمينه {إِنَّا وجدناه صَابِراً} على البلاء الذي ابتليناه {نِعْمَ العبد إِنَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مقبل على طاعة ربه. وقال وهب بن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، ومكث يوسف في السجن سبع سنين، ويقال: {إِنَّهُ أَوَّابٌ} لما هلك ماله. قال: كان ذلك من عطاء الله، ولما هلك أولاده قال: {الذين إِذَآ أصابتهم مُّصِيبَةٌ قالوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ راجعون} [البقرة: 156] ولما ابتلي بالنفس قال: إني له. ويقال: واذكر أنت يا محمد صبر عبدنا أيوب، إذ ضاق صدرك من أذى الكفار، وأمر أمتك ليذكروا صبره، ويعتبروا، ويصبروا.

▲ تفسير الآيات رقم [45- 64]

{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (48) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (50) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ

مِنْ نَفَادٍ (54) هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (55) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (56) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (57) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (58) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (63) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)}

ثم قال عز وجل: {واذكر عِبَادَنَا إبراهيم} فجعل العبد نعت إبراهيم خاصة، كأنه قال: واذكر عبدنا قرأ ابن كثير {واذكر عَبْدَنَا} بغير ألف وقرأ الباقون: {عِبَادِنَا} بالألف. فمن قرأ عبدنا فمعناه: {واذكر عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ} فجعل العبد نعتاً لإبراهيم خاصة، فكأنه قال: {واذكر عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ} {و} اذكر {لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ} ومن قرأ {عِبَادِنَا} يعني: ما بعده مع إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، ويَعْقُوبَ {أُوْلِى الايدى والابصار} يعني: أولي القوة في العبادة، والأبصار. يعني: ذوي البصر في أمر الله تعالى.

قوله عز وجل: {إِنَّا أخلصناهم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار} يعني: اختصصناهم بذكر الله تعالى، وبذكر الجنة، وليس لهم همّ إلا همّ الآخرة. ويقال: معناه واذكر صبر إبراهيم، وصبر إسحاق، وصبر يعقوب، ولم يذكر صبر إسماعيل لأنه لم يبتلَ بشيء. قرأ نافع {بِخَالِصَةِ} بغير تنوين على معنى الإضافة. وقرأ الباقون مع التنوين. وروي عن مالك بن دينار أنه قال: نزع الله ما في قلوبهم من حب الدنيا، وذكرها، وقد أخلصهم بحب الآخرة، وذكرها. ومن قرأ {بِخَالِصَةٍ} بالتنوين، جعل قوله: {ذِكْرَى الدار} بدلاً من خالصة. والمعنى: {إِنَّا أخلصناهم} بذكر الدار، والدار هاهنا دار الآخرة. يعني: جعلناهم لنا خالصين، بأن جعلناهم يكثرون ذكر الدار، والرجوع إلى الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المصطفين الاخيار} يعني: المختارين للرسالة، الأخيار في الجنة.

ثم قال: {واذكر إسماعيل} قال مقاتل: واذكر صبر إسماعيل، وهو أشمويل بن هلفانا. وقال غيره: هو إسماعيل بن إبراهيم. يعني: اذكر لقومك صبر إسماعيل، وصدق وعده {واليسع وَذَا الكفل} واليسع كان خليفة إلياس، وذا الكفل كفل مائة نبي أطعمهم، وكساهم، {وَكُلٌّ مّنَ الاخيار هذا ذِكْرُ} يعني:

هذا الذي ذكرنا من الأنبياء عليهم السلام في هذه السورة {ذُكِرَ} يعني: بيان لعظمته {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ} من هذه الأمة {لَحُسْنَ مَئَابٍ} يعني: حسن المرجع.
ثم وصف الجنة فقال عز وجل: {جنات عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الابواب} يعني: تفتح لهم الأبواب فيدخلونها. يعني: الجنة كما قال تعالى في آية أخرى: {وَسِيقَ الذين اتقوا رَبَّهُمْ إِلَى الجنة زُمَراً حتى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أبوابها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سلام عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادخلوها خالدين} [الزمر: 73] فإذا دخلوها، وجلسوا على السرر، وكانوا {مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بفاكهة كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ} يعني: ألوان الفاكهة، والشراب {وَعِندَهُمْ قاصرات الطرف} يعني: غاضات أعينهن عن غير أزواجهن {أَتْرَابٌ} يعني: ذات أقران. أي: مستويات على سن واحد {هذا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحساب} يقول: {إِنَّ هَذَا} يعني: إنّ هذا الثواب الذي توعدون بأنه يكون لكم في يوم الحساب.
وقرأ ابن كثير، وأبو عمر، بالياء على معنى الإخبار عنهم. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة. يقول الله تعالى: {إِنَّ هذا لَرِزْقُنَا} يعني: إن هذا الذي ذكرنا لعطاؤنا للمتقين {مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ} يعني: لا يكون له فناء، ولا انقطاع عنهم، وهذا كما قال تعالى: {لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: 33]
ثم قال: {هذا} يعني: هذا الرزق للمتقين فيتم الكلام عند قوله: {هذا}.
ثم ذكر ما أوعد الكفار فقال عز وجل: {هذا وَإِنَّ للطاغين لَشَرَّ} يعني: للكافرين، لبئس المرجع لهم في الآخرة.
ثم بيّن مرجعهم فقال عز وجل: {جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا} يعني: يدخلونها {فَبِئْسَ المهاد} يعني: فبئس موضع القرار {هذا فَلْيَذُوقُوهُ} يعني: هذا العذاب لهم {فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} وهو ماء حار قد انتهى حرّه. قرأ حمزة والكسائي، وحفص {غسَّاق} بتشديد السين وقرأ الباقون: بالتخفيف. وعن عاصم روايتان. رواية حفص بالتشديد، ورواية أبي بكر بالتخفيف. فمن قرأ بالتشديد فهو بمعنى سيال، وهو ما يسيل من جلود أهل النار. ومن قرأ بالتخفيف جعله مصدر غسق يغسق غساقاً. أي: سال. وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، أنهما قرآ {غساق} بالتشديد، وفسراه بالزمهرير. وقال مقاتل: {الغساق} البارد الذي انتهى برده. وقال الكلبي: الحميم هو ماء حار قد انتهى حره. وأما غساق فهو الزمهرير يعني: برد يحرق كما تحرق النار
وقال بعضهم: الغساق: المنتن بلفظ الطحاوية ثم قال عز وجل: {وَغَسَّاقٌ وَءاخَرُ مِن شَكْلِهِ أزواج} يعني وعذاب آخر من نحوه يعني من نحو الحميم

والزمهرير. قرأ أبو عمر، وابن كثير، في إحدى الروايتين {وَءاخَرُ مِن شَكْلِهِ} بضم الألف. وقرأ الباقون: {وَأَخَّرَ} بالنصب فمن قرأ بالضم فهو لفظ الجماعة، ومعناه: وأنواع أخر ومن قرأ: {وَأَخَّرَ} بنصب الألف بلفظ الواحد، يعني: وعذاب آخر من شكله أي: مثل عذابه الأول {أزواج} يعني: ألوان {هذا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ} يعني: جماعة داخلة معكم النار. يقال: اقتحم إذا دخل في المهالك، وأضلوا الدخول. تقول الخزنة للقادة: وهذه جماعة داخلة معكم النار، وهم الأتباع {لاَ مَرْحَباً بِهِمْ} يعني: لا وسع الله لهم {إِنَّهُمْ صَالُو النار} يعني: داخل النار معكم فردت الأتباع على القادة {قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ} يعني: لا وسع الله عليكم {أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا} يعني: أسلفتموه لنا، وبدأتم بالكفر قبلنا، فاتبعناكم {فَبِئْسَ القرار} يعني: بئس موضع القرار في النار.

قوله عز وجل: {قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هذا} الأمر هذا الذي كنا فيه {فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِى النار وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نرى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مّنَ الاشرار} يعني: فقراء المسلمين.

قوله عز وجل: {أتخذناهم سِخْرِيّاً} قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، {سِخْرِيّاً أتخذناهم} بالوصل.

وقرأ الباقون: بالقطع فمن قرأ بالقطع، فهو على معنى الاستفهام بدليل قوله: {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الابصار} لأن {أَمْ} تدل على الاستفهام. ومن قرأ: بالوصل، فمعناه: أنا {أتخذناهم سِخْرِيّاً} وجعل {أَمْ} بمعنى بل. وقرأ حمزة والكسائي ونافع {سِخْرِيّاً} بضم السين. وقرأ الباقون بالكسر. قال القتبي: فمن قرأ بالضم، جعله من السخرة. يعني: تستذلهم. ومن قرأ بالكسر فمعناه إنا كنا نسخر منهم.

ثم قال: {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الابصار} يعني: مالت، وحادت أبصارنا عنهم، فلا نراهم. قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النار} يعني: يتكلم به أهل النار ويتخاصمون فيما بينهم.

▲ تفسير الآيات رقم [65- 69]

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (65) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (66) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)}

{قُلْ} يا محمد {إِنَّمَا أَنَاْ مُنذِرٌ} يعني: رسول أخوفكم عذاب الله تعالى، وأبيّن لكم، أن الله تعالى واحد {وَمَا مِنْ إله إِلاَّ الله الواحد القهار} يعني: قاهر لخلقه {رَب السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا العزيز} بالنقمة {الغفار} للمؤمنين.

قوله عز وجل: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} يعني: القرآن حديث عظيم، لأنه كلام رب العالمين {أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} يعني: تاركون، فلا تؤمنون به. وقال الزجاج: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} يعني: قل إن النبأ الذي أنبأتكم عن الله عز وجل {نَبَأٌ عَظِيمٌ} فيه دليل نبوتي مما ذكر فيه من قصة آدم عليه السلام، فإن ذلك لا يعرف إلا بوحي، أو بقراءة كتب، ولم يكن قرأ الكتب.

ثم قال: {مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بالملإ الاعلى} يعني: الملائكة عليهم السلام {إِذْ يَخْتَصِمُونَ} يعني: يتكلمون حين قالوا: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدماء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إني أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 30] وإنما عرفت ذلك بالوحي.

▲ تفسير الآيات رقم [70- 88]

{إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)}

{إِن يوحى إِلَيَّ} يعني: ما يوحي إليَّ {إِلاَّ أَنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} إلاَّ أنا رسول بيّن.

ثم قال عز وجل: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إِنّى خالق بَشَراً مّن طِينٍ} يعني: آدم {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ} يعني: جمعت خلقه {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى} يعني: وجعلت

الروح فيه {فَقَعُواْ لَهُ ساجدين} يعني: اسجدوا له {فَسَجَدَ الملائكة كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} يعني: سجدوا كلهم دفعة واحدة {إِلاَّ إِبْلِيسَ} أبى عن السجود {استكبر وَكَانَ مِنَ الكافرين} يعني: وصار من الكافرين {قَالَ يَا إِبْلِيسَ} ما منعك يعني: يا خبيث {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ} يعني: الذي خلقته بيدي قال بعضهم نؤمن بهذه الآية ونقرؤها، ولا نعرف تفسيرها. يعني: قوله: {بِيَدَىَّ} يعني: الذي خلقت بيدي. وقال بعضهم: تفسيرها كما قال الله تعالى: {خَلَقْتَهُ بِيَدَىَّ}. ولا نفسر اليد. ونقول: يد لا كالأيدي. وهذا قول أهل السنة والجماعة. وقال بعضهم: نفسرها بما يليق من صفات الله تعالى. يعني: خلقه بقدرته، وقوته، وإرادته. فإن قيل: قد خلق الله عز وجل سائر الأشياء بقوته، وقدرته، وإرادته. فما الفائدة في التخصيص هنا؟ قيل له: قد ذكر اليد في خلق سائر الأشياء أيضاً، وهو قوله: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أنعاما فَهُمْ لَهَا مالكون} [يس: 71] ويقال: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ} أي: بقوتي. قوة العلم، وقوة القدرة. ويقال: {خَلَقْتَهُ بِيَدَىَّ} أي: بماء السماء، وتراب الأرض، كقوله: {إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران: 59] وكما قال عليه السلام: «خَلَقَ الله تَعَالَى الخَلْقَ مِنْ مَاءٍ» وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن. وكذلك الأخبار قد جاء فيها أيضاً ما له ظهر وبطن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لاَ تَقُولُوا فَلاَنٌ قَبِيح فَإِن الله عز وجل خلق آدم عَلَى صُورَتِهِ». ومن قال: إن لله تعالى صورة كصورة آدم فهو كافر، ولكن المعنى في الخبر، ما روي عن بعض المتقدمين أنه قال: إن الله تبارك وتعالى اختار من الصور صورة، وخلق آدم عليه السلام بتلك الصورة، فمن ذلك قال: «إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُوَرتِهِ» أي: على تلك الصورة التي اختارها الله. روى شبل عن ابن كثير أنه قرأ: {بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ} موصولة الألف، وقراءة العامة بقطع الألف على الاستفهام، بدليل قوله عز وجل: {أَمْ كُنتَ مِنَ العالين} ومن قرأ موصولة، فهو على معنى الوجوب.

وتكون {أَمْ} بمعنى بل، {أَسْتَكْبَرْتَ} يعني: تعظمت عن السجود {أَمْ كُنتَ مِنَ العالين} يعني: بل كنت من العالين، من المخالفين لأمري. {قَالَ} إبليس: {أَنَاْ خَيْرٌ مّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}.

قوله عز وجل: {قَالَ فاخرج مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إلى يَوْمِ الدين قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المنظرين إلى يَوْمِ الوقت المعلوم} وقد ذكرناه من قبل {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين قَالَ فالحق والحق أَقُولُ} يقال: معناه قولي الحق. وأقول: الحق. قرأ حمزة وعاصم {فالحق} بالضم القاف. وقرأ الباقون، واتفقوا في الثاني أنه بالنصب. فمن قرأ بالضم فمعناه: أنا الحق، والحق أقول. ويقال: فمعناه: فالحق مني، والحق أقول. ويقال: معناه فقولنا الحق، وأقول الحق {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ومن قرأ بالنصب فهو على معنى الإغراء. يعني: الزموا الحق، واتبعوا الحق.

ثم قال: {والحق أَقُولُ} يعني: وأقول الحق كقوله عز وجل: {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات سَنُدْخِلُهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَآ أَبَداً وَعْدَ الله حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً} [النساء: 122].

ثم قال عز وجل: {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} يعني: من ذريتك، وممن تبعك في دينك. {قُلْ} يا محمد {مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} يعني: على الذي أتيتكم به من القرآن من أجر، ولكن أعلمكم بغير أجر {وَمَا أَنَا مِنَ المتكلفين} يعني: ما أتيتكم به من قبل نفسي، وما تكلفته من تلقاء نفسي، {إِنْ هُوَ} يعني: ما هذا القرآن {إِلاَّ ذِكْرٌ للعالمين} يعني: إلا عظة للجن، والإنس، {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينِ} يعني: خبر هذا القرآن أنه حق بعد حين. يعني: بعد الموت. ويقال: بعد الإسلام. ويقال: بعد ظهور الإسلام، والله أعلم بالصواب.

سورة الزمر

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)}

قول الله تبارك وتعالى: {تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله} يعني: القرآن صار رفعاً بالابتداء، وخبره من الله تعالى. أي: نزل الكتاب من عند الله {العزيز} بالنقمة {الحكيم} في أمره. ومعناه: نزل جبريل بهذا القرآن من عند الله {العزيز الحكيم} وقال بعضهم: صار رفعاً لمضمر فيه. ومعناه: هذا الكتاب تنزيل.

قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب} يعني: أنزلنا إليك جبريل بالكتاب {بالحق} {فاعبد الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين} يعني: استقم على التوحيد، وعلى عبادة الله تعالى مخلصاً، وإنما خاطبه، والمراد به قومه. يعني: وحدوا الله تعالى، ولا تقولوا مع الله شريكاً.

ثم قال: {أَلاَ لِلَّهِ الدين الخالص} يعني: له الولاية، والوحدانية. ويقال: له الدين الخالص، والخالص هو دين الإسلام. فلا يقبل غيره من الأديان، لأن غيره من الأديان ليس هو بخالص سوى دين الإسلام.

قوله عز وجل: {والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} يعني: عبدوا من دونه أرباباً، وأوثاناً، {مَا نَعْبُدُهُمْ} على وجه الإضمار. قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ} يعني: يقولون ما نعبدهم. وروي عن عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، أنهما كانا يقرآن {والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} قالوا: {مَا} بالياء، وقراءة العامة مَا نَعْبُدُهُمْ} على وجه الإضمار، لأن في الكلام دليلاً عليه {نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرّبُونَا

إِلَي الله زُلْفَى} يعني: ليشفعوا لنا، ويقربونا عند الله. ويقال: {لِيُقَرّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى} يعني: منزلة.

يقول الله تعالى: {إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} يعني: يقضي بينهم يوم القيامة {فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} من الدين.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى} أي: لا يرشد إلي دينه {مَنْ هُوَ كاذب كَفَّارٌ} في قوله: الملائكة بنات الله وعيسى ابن الله {كَفَّارٌ} يعني: كفروا بالله بعبادتهم إياهم. ويقال: معناه لا يوفق لتوحيده من هو كاذب على الله، حتى يترك كذبه، ويرغب في دين الله. {لَّوْ أَرَادَ الله أَن يَتَّخِذَ وَلَداً} كما قلتم {لاصطفى} يعني: لاختار من الولد {مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء} من خلقه إن فعل ذلك.

ثم قال: {سبحانه} نزه نفسه عن الولد، وعن الشرك، {هُوَ الله الواحد القهار} يعني: الذي لا شريك له {القهار} يعني: القاهر لخلقه.

ثم بيّن ما يدل على توحيده، ويعجز عنه المخلوقون. قوله عز وجل: {خُلِقَ السموات والارض بالحق} يعني: للحق، ولم يخلقهما باطلاً لغير شيء {يُكَوّرُ اليل عَلَى النهار} قال مجاهد: يعني: يدهور الليل على النهار {وَيُكَوّرُ النهار عَلَى اليل} يعني: يدور النهار على الليل. وقال مقاتل {يُكَوّرُ} يعني: يسلط عليه، وهو انتقاص كل واحد منهما من صاحبه.

وقال الكلبي: {يُكَوّرُ} يعني: يزيد من النهار في الليل، فيكون اللَّيل أطول من النهار، ويزيد من الليل في النهار، فيكون النهار أطول من الليل. هذا يأخذ من هذا، وهذا يأخذ من هذا. وقال القتبي {يُكَوّرُ} يعني: يدخل هذا على هذا. وأصل التكوير اللف، والجمع، ومنه كور العمامة ومنه قوله: {إِذَا الشمس كُوِّرَتْ} [التكوير: 1] {وَيُكَوّرُ النهار عَلَى اليل} {وَسَخَّرَ الشمس والقمر} يعني: ذلل ضوء الشمس، والقمر، للخلق {كُلٌّ يَجْرِى لاِجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: إلى أقصى منازله. ويقال: إلى يوم القيامة. {إِلاَّ هُوَ العزيز} يعني: {العزيز} بالنقمة لمن لم يتب {الغفار} لمن تاب. ويقال: {العزيز} في ملكه. {الغفار} لخلقه بتأخير العذاب.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 7]

{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ

وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)}

قوله عز وجل: {خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ واحدة} يعني: من نفس آدم عليه السلام {ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} حواء {وَأَنزَلَ لَكُمْ مّنَ الانعام ثمانية أزواج} يعني: ثمانية أصناف. وقد فسرناه في سورة الأنعام {يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أمهاتكم خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ} يعني: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، حالاً بعد حال، {فِى ظلمات ثلاث} أي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وهو الذي يكون فيه الولد في الرحم، فتخرج بعد ما يخرج الولد، {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ} يعني: الذي خلق هذه الأشياء هو ربكم، {لَهُ الملك لا إله إِلاَّ هُوَ فأنى تُصْرَفُونَ} يعني: من أين تكذبون على الله، ومن أين تعدلون عنه إلى غيره؟ فاعلموا، أنه خالق هذه الأشياء.

ثم قال: {إِن تَكْفُرُواْ} يعني: إن تجحدوا وحدانيته، {فَإِنَّ الله غَنِىٌّ عَنكُمْ} يعني: عن إقراركم، وعبادتكم، {وَلاَ يرضى لِعِبَادِهِ الكفر} قال الكلبي: يعني: ليس يرضى من دينه الكفر. ويقال: {لاَ يرضى لِعِبَادِهِ الكفر} وهو ما قاله لإبليس: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان. ويقال: {لاَ يرضى لِعِبَادِهِ الكفر} يعني: بشيء من عبادة الكفار {وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ} يعني: إن تؤمنوا بالله، وتوحدوه، يرضه لكم. يعني: يقبله منكم، لأنه دينه، {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى} يعني: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، {ثُمَّ إلى رَبّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ} يعني: مصيركم في الآخرة {فَيُنَبّئُكُمْ} يعني: فيخبركم، {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من خير، أو شر، فيجازيكم، {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: عالم بما في ضمائر قلوبهم.

▲ تفسير الآيات رقم [8- 10]

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)}

ثم قال: {وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ} يعني: إذا أصاب الكافر شدة في جسده، {دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ} يعني: مقبلاً إليه بدعائه {ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مّنْهُ} قال مقاتل

يعني: أعطاه، وقال الكلبي: يعني: بدله عافية مكان البلاء {نَسِيَ} ترك الدعاء {مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ} ويتضرع به، {وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً} يعني: يصف لله شريكاً، {لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ}. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، {لِيُضِلَّ} بنصب الياء، وهو من ضل يضل. يعني: ترك الهدى. وقرأ الباقون: {لِيُضِلَّ} بالضم. يعني: ليضلّ الناس. ويقال: ليضل نفسه بعبادة غير الله، ويصرفهم عن سبيل الله. يعني: عن دين الله {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً} يعني: عش في الدنيا مع كفرك قليلاً {إِنَّكَ مِنْ أصحاب النار} يعني: من أهل النار.

قوله عز وجل: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَاء اليل ساجدا وَقَائِماً} وأصل القنوت هو القيام. ثم سمي المصلي قانتاً، لأنه بالقيام يكون. ومعناه: أمن هو مصل كمن لا يكون مصلياً على وجه الإضمار. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ القَانِتِ القَائِمِ» يعني: المصلي القائم. قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، {مِن} بالتخفيف. وقرأ الباقون: بالتشديد. فمن قرأ: بالتخفيف، فقد روي عن الفراء أنه قال: معناه يا من هو قانت. كما تقول في الكلام: فلان لا يصوم، ولا يصلي، فيا من يصلي، ويصوم، أبشر. فكأنه قال: يا من هو قانت أبشر. ومن قرأ: بالتشديد. فإنَّه يريد به معنى الذي. ومعناه: الذي هو من أصحاب النار. فهذا أفضل أم الذي هو قانت آناء الليل. يعني: ساعات الليل في الصلاة، ساجداً، وقائماً في الصلاة، {يَحْذَرُ الاخرة} يعني: يخاف عذاب الآخرة، {مِن رَّحْمَةِ رَبّهِ} يعني: مغفرة الله تعالى {قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ} وهم المؤمنون، {والذين لاَ يَعْلَمُونَ} وهم الكفار في الثواب، والطاعة. ويقال: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ} يعني: يصدقون بما وعد الله في الآخرة من الثواب، {والذين لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون. ويقال: معناه قل هل يستوي العالم والجاهل. فكما لا يستوي العالم والجاهل، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الالباب} يعني: يعتبر في صنعي، وقدرتي من له عقل، وذهن.

قوله عز وجل: {قُلْ ياعباد الذين كَفَرُواْ} يعني: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، {اتقوا رَبَّكُمْ} يعني: اخشوا ربكم في صغير الأمور، وكبيرها، واثبتوا على التوحيد.

ثم قال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هذه الدنيا حَسَنَةٌ} يعني: لمن عمل بالطاعة في الدنيا حسنة، له الجنة في الآخرة.

ويقال: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ} يعني: شهدوا أن لا إله إلا الله في الدنيا حسنة. يعني: لهم الجنة في الآخرة. ويقال: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ} أي: ثبتوا على إيمانهم فلهم الجنة.

قوله: {وَأَرْضُ الله وَاسِعَةٌ} قال مقاتل: يعني: الجنة واسعة. وقال الكلبي: {وَأَرْضُ الله وَاسِعَةٌ} يعني: المدينة، فتهاجروا فيها. يعني: انتقلوا إليها، واعملوا لآخرتكم، {إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ} يعني: هم الذين يصبرون على الطاعة لله في الدنيا، جزاؤهم، وثوابهم على الله، {بِغَيْرِ حِسَابٍ} يعني: بلا عدد، ولا انقطاع. وروى سفيان عن عبد الملك بن عمير، عن جندب بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْض». قال سفيان لما نزل {مَن جَآءَ بالحسنة فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بالسيئة فَلاَ يجزى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [الأنعام: 160] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي». فنزل: {مَّثَلُ الذين يُنفِقُونَ أموالهم فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ والله يضاعف لِمَن يَشَآءُ والله واسع عَلِيمٌ} [البقرة: 261] قال: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي» فنزل {مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً والله يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي» فنزل: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 20]

{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (20)}

قوله عز وجل:

{قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين} وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وملة جدك عبد المطلب، وسادات قومك يعبدون الأصنام؟ فنزل: {قُلْ} يا نبي الله {إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين} يعني: التوحيد، {وَأُمِرْتُ لاِنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين} من أهل بلدي {قُلْ إِنّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّى} وعبدت غيره، ينزل علي {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} أي: في يوم القيامة {قُلِ الله أَعْبُدُ} يعني: أعبد الله {مُخْلِصاً لَّهُ دِينِى} أي: توحيدي. {فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مّن دُونِهِ} من الآلهة. وهذا كقوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ} [الكافرون: 6] ويقال: {فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مّن دُونِهِ} لفظه لفظ التخبير والأمر، والمراد به التهديد والتخويف، كقوله: {اعملوا مَا شِئْتُم مِن دُونِهِ} وكقوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً} ويقال: قد بيّن الله ثواب المؤمنين، وعقوبة الكافرين. ثم قال: {فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مّن دُونِهِ} وذلك قبل أن يؤمر بالقتال، فلما أيسوا منه أن يرجع إلى دينهم، قالوا: خسرت إن خالفت دين آبائك. فقال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ الخاسرين الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القيامة} يعني: أنتم الخاسرون، لا أنا. ويقال: الذين خسروا أنفسهم بفوات الدرجات، ولزوم الشركات، {أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخسران المبين} يعني: الظاهر حيث خسروا أنفسهم، وأهلهم، وأزواجهم، {لَهُمْ مّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مّنَ النار} يعني: أطباقاً من نار، {وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} يعني: مهاداً من نار، أو معناه: أن فوقهم نار، وتحتهم نار، {ذلك يُخَوّفُ الله بِهِ عِبَادَهُ} أي: ذلك الذي ذكر، يخوف الله به عباده في القرآن، لكي يؤمنوا.

{قَلِيلاً وإياى فاتقون} : أي: فوحدون، وأطيعون، {والذين اجتنبوا الطاغوت} قال مقاتل: يعني: اجتنبوا عبادة الأوثان. وقال الكلبي: {الطاغوت} يعني: الكهنة {أَن يَعْبُدُوهَا} يعني: أن يطيعوها، ورجعوا إلى عبادة ربهم {وَأَنَابُواْ إِلَى الله} أي: أقبلوا إلى طاعة الله. ويقال: رجعوا من عبادة الأوثان إلى عبادة الله {لَهُمُ البشرى} يعني: الجنة. ويقال: الملائكة يبشرونهم في الآخرة، {فَبَشّرْ عِبَادِ الذين يَسْتَمِعُونَ القول} يعني: القرآن {فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} يعني: يعملون بحلاله، وينتهون عن حرامه، وقال الكلبي: يعني: يجلس الرجل مع القوم، فيستمع الأحاديث، محاسن ومساوئ، فيتبع أحسنه، فيأخذ المحاسن، فيحدث بها، ويدع مساوئه. ويقال: يستمعون القرآن ويتبعون أحسن ما فيه، وهو القصاص، والعفو يأخذ العفو لقوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ

وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصابرين} [النحل: 126]، [وقال بعضهم: يستمع النداء، فيستجيب، ويسرع إلى الجماعة.
وقال بعضهم: يستمع الناسخ، والمنسوخ، والمحكم من القرآن، فيعمل بالمحكم، ويؤمن بالناسخ والمنسوخ].
ثم قال: {أُوْلَئِكَ الذين هَدَاهُمُ الله} أي: وفقهم الله لمحاسن الأمور. ويقال: {هَدَاهُمُ الله} أي: أكرمهم الله تعالى بدين التوحيد {وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُو الالباب} يعني: ذوي العقول.
قوله عز وجل: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العذاب} يعني: وجب له العذاب. ويقال: أفمن سبق في علم الله تعالى أنه في النار، كمن لا يجب عليه العذاب. {أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى النار} يعني: تستنقذ من هو في علم الله تعالى، أنه يكون في النار بعمله الخبيث. ويقال: من وجبت له النار: وقدرت عليه.
ثم ذكر حال المؤمنين المتقين فقال عز من قائل: {لَكِنِ الذين اتقوا رَبَّهُمْ} يعني: وحدوا ربهم، وأطاعوا ربهم، {لَهُمْ غُرَفٌ مّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ} في الجنة، وهي العلالي. غرف مبنية، مرتفعة بعضها فوق بعض، {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَعْدَ الله} في القرآن، {لاَ يُخْلِفُ الله الميعاد}.

تفسير الآيات رقم [21- 26]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (24) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (25) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (26)}
قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السماء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الارض} أي: فأدخله في الأرض فجعله ينابيع. يعني: عيوناً في الأرض تنبع. ويقال: {فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الارض} يعني: جارياً في الأرض، وهي تجري فيها. ويقال: جعل فيها أنهاراً وعيوناً {ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ}

أحمر، وأصفر، وأخضر، {ثُمَّ يَهِيجُ} أي: يتغير {فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً} أي: يابساً بعد الخضرة. ويقال: {ثُمَّ يَهِيجُ} يعني: ييبس. ويقال: {يَهِيجُ} أي: يتم، ويشتد من هاج يهيج. أي: تم يتم {فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً} متغيراً عن حاله، {ثُمَّ يَجْعَلُهُ حطاما} قال القتبي: {حطاما} مثل الرفات، والفتات. وقال الزجاج: الحطام ما تفتت، وتكسر من النبت. وقال مقاتل: {حطاما} يعني: هالكاً {إِنَّ فِى ذَلِكَ لذكرى} أي: فيما ذكر لعظة {لاِوْلِى الالباب} يعني: لذوي العقول من الناس {أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ للإسلام} يعني: وسع الله قلبه للإسلام. ويقال: لين الله قلبه لقبول التوحيد، {فَهُوَ على نُورٍ مّن رَّبّهِ} يعني: على هدى من الله تعالى. وجوابه مضمر. يعني أفمن شرح الله صدره للإسلام، واهتدى، كمن طبع على قلبه، وختم على قلبه فلم يهتد. ويقال: {فَهُوَ على نُورٍ مّن رَّبّهِ} يعني: القرآن. لأن فيه بيان الحلال والحرام. فهو على نور من ربه لمن تمسك به. ويقال: على نور يعني: التوحيد، والمعرفة. وروي في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية: {أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ للإسلام} قالوا: فكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا دَخَلَ النُّورُ فِي القَلْبِ انْفَسَحَ، وَانْشَرَحَ». قالوا: فهل لذلك علامة؟ قال: «نَعَمْ. التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، وَالإنَابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ». ثم قال: {فَوَيْلٌ} يعني: الشدة من العذاب {للقاسية قُلُوبُهُمْ} يعني: لمن قست، ويبست قلوبهم، {مّن ذِكْرِ الله} تعالى. ويقال: القاسية. الخالية من الخير، {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة {فِى ضلال مُّبِينٍ} أي: في خطأ بيّن.

قوله عز وجل: {الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث} يعني: أحكم الحديث، وهو القرآن. وذلك أن المسلمين قالوا لبعض مؤمني أهل الكتاب، نحو عبد الله بن سلام: أخبرنا عن التوراة، فإن فيها علم الأولين والآخرين. فأنزل الله تعالى: {الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث} يعني: أنزل عليكم أحسن الحديث، وهو القرآن. ويقال: {أَحْسَنَ الحديث} يعني: أحسن من سائر الكتب، لأن سائر الكتب صارت منسوخة بالقرآن، {كتابا متشابها} يعني: يشبه بعضه بعضاً، ولا يختلف. ويقال: {متشابها} يعني: موافقاً لسائر الكتب في التوحيد، وفي بعض الشرائع.

وروي عن الحسن البصري أنه قال: {متشابها} يعني: خياراً لا رذالة فيه. ويقال: {متشابها} اشتبه على الناس تأويله.

ثم قال: {مَّثَانِيَ} يعني: أن الأنباء، والقصص، تثنى فيه. ويقال: سمي مثاني، لأن فيه سورة المثاني. يعني: سورة الفاتحة {الحمد للَّهِ رَبّ العالمين}.

ثم قال: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ} يعني: ترتعد مما فيه من الوعيد، {جُلُودُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}. ويقال: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ} يعني: تتحرك مما في القرآن من الوعيد. ويقال: ترتعد منه الفرائض. {ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ} يعني: بعد الاقشعرار {إلى ذِكْرِ الله} من آية الرحمة، والمغفرة. يعني: إذا قرأت آيات الرجاء، والرحمة، تطمئن قلوبهم، وتسكن، {ذلك} يعني: القرآن {هُدَى الله يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاء} يعني: بالقرآن من يشاء الله أن يهديه إلى دينه {وَمَن يُضْلِلِ الله} عن دينه {فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} يعني: لا يقدر أحد أن يهديه، بعد خذلان الله تعالى.

قوله عز وجل: {أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوء العذاب} يعني: أفمن يدفع بوجهه شدة سوء العذاب، وجوابه مضمر. يعني: هل يكون حاله كحال من هو في الجنة. يعني: ليس الضال الذي تصل النار إلى وجهه، كالمهتدي الذي لا تصل النار إلى وجهه، ليسا سواء. وقال أهل اللغة: أصل الاتقاء في اللغة، الإوتقاء، وهو التستر. يعني: وجهه إلى النار كالذي لا يفعل ذلك به. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: {أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوء العذاب} يعني: يجر على وجهه في النار، وهذا كقوله: {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فِى ءاياتنا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يلقى فِى النار خَيْرٌ أَم مَّن يأتى ءامِناً يَوْمَ القيامة اعملوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت: 40] ويقال: {أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوء العذاب} معناه: أنه يلقى في النار مغلولاً، لا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه، {يَوْمَ القيامة وَقِيلَ لِلظَّلِمِينَ} يعني: للكافرين، {ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} من التكذيب.

قوله عز وجل: {كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني من قبل قومك، رسلهم، {فأتاهم العذاب مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} يعني: لا يعلمون، ولا يحتسبون، وهم غافلون. {فَأَذَاقَهُمُ الله الخزى} العذاب {فَأَذَاقَهُمُ الله الخزى فِى الحياة الدنيا} يعني: أعظم مما عذبوا به في الدنيا {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} ولكنهم لا يعلمون.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 31]

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هذا القرءان مِن كُلِّ مَثَلٍ} يعني: بيّنا في هذا القرآن من كل شيء. وقد بيّن بعضه مفسراً، وبعضه مبهماً مجملاً، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: لكي يتعظوا {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} يعني: أنزلناه قرآناً عربياً بلغة العرب {غَيْرَ ذِى عِوَجٍ} يعني: ليس بمختلف، ولكنه مستقيم. ويقال: غير ذي تناقض. ويقال: غير ذي عيب. ويقال: {غَيْرَ ذِى عِوَجٍ} أي: غير مخلوق. قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا محمد بن داود. قال: حدثنا محمد بن أحمد بإسناده. قال: حدثنا أبو حاتم الداري، عن سليمان بن داود العتكي، عن يعقوب بن محمد بن عبد الله الأشعري، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: في قوله تعالى: {قُرْءاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ} قال: غير مخلوق {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} أي: لكي يتقوا الشرك {ضَرَبَ الله مَثَلاً} أي: بيّن شبهاً {رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء متشاكسون} أي: عبداً بين موالي مختلفين يأمره، هذا بأمر، وينهاه هذا عنه. ويقال: {متشاكسون} أي: مختلفون، يتنازعون، {وَرَجُلاً سَلَماً لّرَجُلٍ} أي: خالصاً لرجل لا شركة فيه لأحد. قرأ ابن كثير، وأبو عمر، {سَالِماً} بالألف، وكسر اللام. والباقون {قِيلاً سلاما} بغير ألف، ونصب السين. فمن قرأ: سَالِماً فهو اسم الفاعل على معنى سلم، فهو سالم. ومعناه: الخالص. ومن قرأ {سلاما} فهو مصدر. فكأنه أراد به رجلاً ذا سلم لرجل. ومعنى الآية: هل يستوي من عبد آلهة مختلفة، كمن عبد رباً واحداً. وقال قتادة: الرجل الكافر، والشركاء الشياطين، والآلهة، وَرَجُلاً سَلَماً. المؤمن يعمل لله تعالى وحده. وقال بعضهم: هذه المثل للراغب، والزاهد. فالراغب شغلته أمور مختلفة، فلا يتفرغ لعبادة ربه. فإذا كان في العبادة، فقلبه مشغول بها، والزاهد قد يتفرغ عن جميع أشغال الدنيا، فهو يعبد ربه خوفاً وطمعاً، {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً} يعني: عنده في المنزلة يوم القيامة.
{الحمد لِلَّهِ} قال مقاتل: {الحمد لِلَّهِ} حين خصمهم. ويقال: {الحمد لِلَّهِ} على تفضيل من اختاره، على من اشتغل بما دونه. ويقال: يعني: قولوا الحمد لله، {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أَنَّ عبادة رب واحد، خير من عبادة أرباب شتى. ويقال: {لاَّ يَعْلَمُونَ} أنهما لا يستويان. ويقال: {لاَّ يَعْلَمُونَ} توحيد ربهم. {إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ} ذلك أن كفار قريش قالوا: {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون} [الطور: 30]، يعني: ننتظر موت محمد عليه السلام فنزل: {إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ} يعني: أنت ستموت، وهم سيموتون.

ويقال: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ} يعني: إنك لميت لا محالة، وإنهم لميتون لا محالة، والشيء إذا قرب من الشيء سمي باسمه.
فالخلق كلهم إذا كانوا بقرب من الموت، فكل واحد منهم يموت لا محالة، فسماهم ميتين.
{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} أي: تتكلمون بحججكم. الكافر مع المؤمن، والظالم مع المظلوم. فإن قيل: قد قال في آية أخرى: {قَالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بالوعيد} [ق: 28] قيل له: إن في يوم القيامة ساعات كثيرة، وأحوالها مختلفة، مرة يختصمون، ومرة لا يختصمون. كما أنه قال: فهم لا يتساءلون، وقال في آية أخرى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ} [الصافات: 27] يعني: في حال يتساءلون، وفي حال لا يتساءلون، وهذا كما قال في موضع آخر: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ} [الرحمن: 39] وقال في آية أخرى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: 92] وكما قال في آية أخرى: لا يتكلمون، وفي آية أخرى أنهم يتكلمون، ونحو هذا كثير في القرآن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لاَ تَزَال الخُصومَة بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتى تَتَخَاصَم الرُّوح والجَسَد، فَيَقُول الجَسَد: إِنَّمَا كُنْتُ بِمَنْزِلَة جِذع مُلْقَى، لاَ أَسْتَطِيع شَيْئاً. وَتَقُولُ الرُّوح: إِنَّمَا كُنْتُ رِيحاً، لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْمَلَ شَيْئاً. فَضُرِبَ لَهُما مَثَلُ الأعْمَى والمُقْعَد، فَحَمَلَ الأَعْمَى المُقْعَد، فَيَدُلَّهُ المُقْعَد بِبَصَرِهِ، وَيَحْمِله الأعْمَى بِرِجْلَيه». وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أنس قال: سألت أبا العالية عن قوله: {لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} ثم قال: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} فكيف هذا؟ قال: أما قوله: {لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} فهو لأهل الشرك، وأما قوله: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} فهو لأهل القبلة، يختصمون في مظالم ما بينهم.

▲ تفسير الآيات رقم [32- 37]

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (32) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (34) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (35) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (37)}

ثم قال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ علَى الله} أي: فلا أحد أظلم ممن كذب على الله بأن معه شريكاً، {وَكَذَّبَ بالصدق إِذْ جَاءهُ} يعني: بالقرآن، وبالتوحيد. ويقال: {وَكَذَّبَ بالصدق} يعني: بالصادق وهو النبي صلى الله عليه وسلم {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى للكافرين} يعني: مأوى للذين يكفرون بالقرآن. فاللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التحقيق كقوله: {أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الحاكمين} [التين: 8]. {والذى جَاء بالصدق وَصَدَّقَ بِهِ} أي: بالقرآن {وَصَدَّقَ بِهِ} أي: أصحابه. ويقال: {وَصَدَّقَ بِهِ} المؤمنون. وقال القتبي: {والذى جَاء بالصدق وَصَدَّقَ بِهِ} هو في موضع جماعة. ومعناه: والذين جاؤوا بالصدق، وصدقوا به، وهذا موافق لخبر ابن مسعود. وقال قتادة، والشعبي، ومقاتل، والكلبي: {والذى جَاء بالصدق} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {وَصَدَّقَ بِهِ} يعني: المؤمنون. وذكر عن علي بن أبي طالب أنه قال: {والذى جَاء بالصدق} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {وَصَدَّقَ بِهِ} يعني: أبو بكر {أُوْلَئِكَ هُمُ المتقون} الذين اتقوا الشرك، والفواحش. وقرأ بعضهم: وَصَدَقَ بالتخفيف. يعني: النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الناس كما أنزل عليه، ولم يزد في الوحي شيئاً، ولم ينقص من الوحي شيئاً.

{لَهُمْ مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبّهِمْ} يعني: لهم ما يريدون، ويحبون في الجنة، {ذَلِكَ جَزَاء المحسنين} أي: ثواب الموحدين، المطيعين، المخلصين {لِيُكَفّرَ الله عَنْهُمْ} يعني: ليمحو عنهم، ويغفر لهم، {أَسْوَأَ الذى عَمِلُواْ} يعني: أقبح ما عملوا، مخالفاً للتوحيد، {وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ} أي: ثوابهم {بِأَحْسَنِ الذى كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني يجزيهم بالمحاسن، ولا يجزيهم بالمساوئ، لأنه ليس لهم ذنب، ولا خطايا، فلا يجزيهم بمساوئهم.

{أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ} قرأ حمزة، والكسائي: عِبَادَهُ بالألف بلفظ الجماعة. يعني: الذين صدقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن، والباقون عَبْدَه بغير ألف. يعني: النبي صلى الله عليه وسلم. {وَيُخَوّفُونَكَ بالذين مِن دُونِهِ} يعني: بالذين يعبدون من دونه، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال تقع في آلهتنا، فاتقِ كيلا يصيبك منها معرة، أو سوء. فنزل: {أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ} الآية. وروى معمر عن قتادة قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها، فمشى إليها بالفأس. فقالت له: قيمتها يا خالد احذر، فإن لها شدة، لا يقوم لها أحد، فمشى إليها خالد، فهشم أنفها بالفأس. ويقال: {أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ} يعني: الأنبياء.

ثم قال: {وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} يعني: من يخذله الله عن الهدى، فما له من مرشد، ولا ناصر {وَمَن يَهْدِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّضِلّ} أي: ليس له أحد يخذله {أَلَيْسَ الله بِعَزِيزٍ ذِى انتقام} يعني: عزيزاً في ملكه، ذي انتقام من عدوه.

▲ تفسير الآيات رقم [38- 45]

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (40) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (41) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45)}

قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السموات والارض لَيَقُولُنَّ الله} فعل ذلك، {قُلْ أَفَرَايْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: ما تعبدون من دون الله من الآلهة، {إِنْ أَرَادَنِىَ الله بِضُرّ} يعني: إنْ أصابني الله ببلاء، ومرض في جسدي، وضيق في معيشتي، أو عذاب في الآخرة، {هَلْ هُنَّ كاشفات ضُرّهِ} يعني: هل تقدر الأصنام على دفع ذلك عني، {أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ} أي: بنعمة، وعافية، وخير، {هَلْ هُنَّ ممسكات رَحْمَتِهِ} يعني: هل تقدر الأصنام على دفع تلك الرحمة عني. قرأ أبو عمر: كَاشِفَاتٌ. بالتنوين، ضُرَّهُ: بالنصب، مُمْسِكَاتٌ: بالتنوين، رَحْمَتَهُ: بالنصب، والباقون: بغير تنوين، وكسر ما بعده على وجه الإضافة. فمن قرأ بالتنوين: نصب ضره ورحمته، لأنه مفعول به {قُلْ حَسْبِىَ الله} يعني: يكفيني الله من شر آلهتكم. ويقال: {حَسْبِىَ الله} يعني: أثق به {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} أي: فوضت أمري إلى الله، {عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المتوكلون} أي: يثق به الواثقون. فأنا متوكل، وعليه توكلت.

{قُلْ ياقوم اعملوا على مَكَانَتِكُمْ} أي: في منازلكم. ويقال: {على مَكَانَتِكُمْ} أي: على قدر طاقتكم، وجهدكم، {إنّى عامل} في إهلاككم. لأنهم قالوا له: إن لم تسكت عن آلهتنا، نعمل في إهلاكك. فنزل: {قُلْ ياقوم اعملوا على مَكَانَتِكُمْ} إهلاكي في مكانتكم {إنّى عامل} في إهلاككم {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} من نجا، ومن هلك. قرأ عاصم في رواية أبي بكر: مكاناتكم بلفظ الجماعة. والباقون: {مَكَانَتِكُمْ} والمكانة، والمكان واحد.

{مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} أي: من يأتيه عذاب الله، يهلكه، {وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} أي: دائم لا ينقطع أبداً.

{إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب لِلنَّاسِ بالحق} يعني: أنزلنا عليك جبريل بالقرآن للناس بالحق. يعني: لتدعو الناس إلى الحق، وهو التوحيد {فَمَنُ اهتدى} أي: وحّد، وصدق بالقرآن، وعمل بما فيه فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ أي: ثواب الهدى لنفسه، {وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} يعني: أعرض ولم يؤمن بالقرآن، فقد أوجب العقوبة على نفسه. {وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} يعني: ما أنت يا محمد عليهم بحفيظ. ويقال: بمسلط. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

{الله يَتَوَفَّى الانفس حِينَ مِوْتِهَا} قال الكلبي: الله يقبض الأنفس عند موتها {والتى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا} فيقبض نفسها إذا نامت أيضاً، {فَيُمْسِكُ التى قضى عَلَيْهَا الموت} فلا يردها، {وَيُرْسِلُ الاخرى} التي لم تبلغ أجلها، {إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى} أي: يردها إلى أجلها. وقال مقاتل: {الله يَتَوَفَّى الانفس} عند أجلها، والتي قضى عليها الموت، فيمسكها عن الجسد. على وجه التقديم {والتى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا} فتلك الأخرى التي أرسلها إلى الجسد، إلى أجل مسمى.

وقال سعيد بن جبير: الله يقبض أنفس الأحياء، والأموات. فيمسك أنفس الأموات، ويرسل أنفس الأحياء إلى أجل مسمى.

{إِنَّ فِى ذلك لآيات لّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ{ أي: يعتبرون. قرأ حمزة والكسائي: قُضِيَ عليها بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء، وبضم التاء في الموت، على فعل ما لم يسم فاعله. والباقون: {قضى عَلَيْهَا} بالنصب. يعني: قضى الله عليها الموت، ونصب الموت لأنه مفعول به. {أَمِ اتخذوا مِن دُونِ الله} الميم صلة. معناه: اتخذوا. فاللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ والزجر. فقال: {أَمِ اتخذوا مِن دُونِ الله} {شُفَعَاء} يعني: يعبدون الأصنام، لكي تشفع لهم. {قُلْ أُو لَّوْ كَانُواْ اَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ} يعني: يعبدونهم، وإن كانوا

لا يعقلون شيئاً. {قُل لِّلَّهِ الشفاعة جَمِيعاً} أي: قل يا محمد: لله الأمر والإذن في الشفاعة، وهذا كقوله: {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحى القيوم لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض مَن ذَا الذى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والارض وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العلى العظيم} [البقرة: 255] وكما قال: {يتخافتون بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً} [طه: 103].

ثم قال: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} يعني: خزائن السموات والأرض. ويقال: نفاذ الأمر في السموات والأرض. وله نفاذ الأمر في السموات والأرض. {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة {وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ اشمأزت} يعني: إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله، اشمأزت. قال مقاتل: يعني انقبضت عن التوحيد. وقال الكلبي: أعرضت، ونفرت. وقال القتبي: العرب تقول: اشمأز قلبي من فلان. أي: نفر منه. {قُلُوبُ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} يعني: لا يصدقون بيوم القيامة. {وَإِذَا ذُكِرَ الذين مِن دُونِهِ} يعني: الآلهة {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} بذكرها. وذلك أنه حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم، وذكر آلهتهم استبشروا.

تفسير الآيات رقم [46- 53]

{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (48) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (49) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (50) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)}

قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُلِ اللهم فَاطِرَ السموات والارض} صار نصباً بالنداء. يعني: يا خالق السموات والأرض، {عالم الغيب والشهادة} يعني: عالماً بما غاب عن العباد، وما لم يغب عنهم. ويقال: عالماً

بما مضى، وما لم يمض، وما هو كائن. ويقال: عالم السر والعلانية. {أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ} يعني: أنت تقضي في الآخرة بين عبادك، {فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} من أمر الدين.

{وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ} أي: كفروا {مَّا فِى الارض جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ} أي: مثل ما في الأرض، {لاَفْتَدَوْاْ بِهِ} أي: لفادوا به أنفسهم {مِن سُوء العذاب} أي: من شدة العذاب {يَوْمُ القيامة}. وفي الآية مضمر. أي: لا يقبل منهم ذلك.

{وَبَدَا لَهُمْ مّنَ الله} أي: ظهر لهم حين بعثوا من قبورهم، {مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ} في الدنيا أنه نازل بهم. يعني: يعملون أعمالاً يظنون أن لهم فيها ثواباً، فلم تنفعهم مع شركهم، فظهرت لهم العقوبة مكان الثواب، {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ} أي: عقوبات ما عملوا، {وَحَاقَ بِهِم} أي: نزل بهم عقوبة، {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: باستهزائهم بالمسلمين. ويقال: باستهزائهم بالرسول، والكتاب، والعذاب.

{فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا} يعني: أصاب الكافر شدة، وبلاء، وهو أبو جهل. ويقال: جميع الكفار دعانا أي: أخلص في الدعاء {ثُمَّ إِذَا خولناه} أي: بدلنا، وأعطيناه مكانها عافية، {نِعْمَةً مّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ} أي: على علم عندي. يعني: أعطاني ذلك، لأنه علم أني أهل لذلك. ويقال: معناه على علم عندي بالدواء.

{بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ} أي: بلية، وعطية، يبتلى بها العبد ليشكر، أو ليكفر، {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أن إعطائي ذلك بلية، وفتنة، {قَدْ قَالَهَا الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: قال تلك الكلمة: الذين من قبل كفار مكة، مثل قارون، وأشباهه.

{فَمَآ أغنى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: لم ينفعهم ما كانوا يجمعون من الأموال، {فأصابهم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ} أي عقوبات ما عملوا.

قوله: {والذين ظَلَمُواْ مِنْ هَؤُلاَء} يعني: من أهل مكة {سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ} يعني: عقوبات ما عملوا، مثل ما أصاب الذين من قبلهم، {وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ} أي: غير فائتين من عذاب الله، {أَوَ لَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء} أي: يوسع الرزق لمن يشاء، {وَيَقْدِرُ} أي: يقتر على من يشاء، {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: في القبض والبسط {لآيَاتٍ} أي: لعلامات لوحدانيتي {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي: يصدقون بتوحيد الله.

{قُلْ ياعبادى الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ} يعني: أسرفوا بالذنوب على أنفسهم. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن عامر، {قُلْ ياعبادى} بفتح الياء،

والباقون بالإرسال. وهما لغتان، ومعناهما واحد، {لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ الله} أي: لا تيأسوا من مغفرة الله، {إِنَّ الله يَغْفِرُ الذنوب جَمِيعاً} الكبائر، وغير الكبائر إذا تبتم، {إِنَّهُ هُوَ الغفور} لمن تاب، {الرحيم} بعد التوبة لهم. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة. قال: أصاب قوم في الشرك ذنوباً عظاماً، فكانوا يخافون أن لا يغفر الله لهم، فدعاهم الله تعالى بهذه الآية: {قُلْ ياعبادى الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ}. وقال مجاهد: {قُلْ ياعبادى الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ} بقتل الأنفس في الجاهلية. وقال في رواية الكلبي: نزلت الآية في شأن وحشي. يعني: أسرفوا على أنفسهم بالقتل، والشرك، والزنى. لا تيأسوا {مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذنوب جَمِيعاً} لمن تاب. وقال ابن مسعود: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية. وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص. وروي عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: فيها عظة.

▲ تفسير الآيات رقم [54- 61]

{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)}

قوله تعالى: {وَأَنِيبُواْ إلى رَبّكُمْ} يعني: ارجعوا له، وأقبلوا إلى طاعة ربكم {وَأَسْلِمُواْ لَهُ} يعني: أخلصوا، وأقروا بالتوحيد، {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العذاب ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} أي: لا تمنعون مما نزل بكم، {واتبعوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مّن رَّبّكُمْ} قال الكلبي: هذا القرآن أحسن ما أنزل إليهم يعني: اتبعوا ما أمرتم به. ويقال: أحلوا، وحرموا حرامه، {مّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العذاب بَغْتَةً} أي: فجأة، {وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ} بنزوله، {أَن تَقُولَ نَفْسٌ} يعني: لكي لا تقول نفس. ويقال: معناه اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم خوفاً، قبل أن تصيروا إلى حال الندامة.

وتقول نفس: {يَا حَسْرَتَى} يعني: يا ندامتا، {نَفْسٌ ياحسرتى على مَا فَرَّطَتُ فِى جَنبِ الله} يعني: تركت، وضيعت من طاعة الله. وقال مقاتل: يعني ما

ضيعت من ذكر الله. ويقال: يا ندامتاه على ما فرطت في أمر الله. {وَإِن كُنتُ لَمِنَ الساخرين} يعني: وقد كنت من المستهزئين بالقرآن في الدنيا. ويقال: وقد كنت من اللاهين. وقال أبو عبيدة: في جنب الله، وذات الله واحد.
{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِى} يعني: قبل، أو تقول: لو أن الله هداني بالمعرفة، {لَكُنتُ مِنَ المتقين} أي: من الموحدين. يعني: لو بيّن لي الحق من الباطل، لكنت من المؤمنين، {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العذاب} يعني: من قبل أن تقول: {لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً} أي: رجعة إلى الدنيا {فَأَكُونَ مِنَ المحسنين} يعني: من الموحدين.
يقول الله تعالى: {بلى قَدْ جَاءتْكَ ءاياتى} يعني: القرآن، {فَكَذَّبْتَ بِهَا واستكبرت} أي: تكبرت، وتجبرت عن الإيمان بها، {وَكُنتَ مِنَ الكافرين}.
قرأ عاصم الجحدري: {بلى قَدْ جَاءتْكَ ءاياتى} يعني: القرآن. {فَكَذَّبْتَ بِهَا واستكبرت}، وَكُنْتِ، كلها بالكسر. وهو اختيار ابن مسعود، وصالح، ومن تابعه من قراء سمرقند. وإنما قرأ بالكسر، لأنه سبق ذكر النفس، والنفس تؤنث. وقراءة العامة كلها بالنصب، لأنه انصرف إلى المعنى. يعني يقال للكافر: {وَيَوْمَ القيامة تَرَى الذين كَذَبُواْ عَلَى الله} يعني: قالوا: بأن لله شريكاً، {وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ} صار وجوههم رفعاً بالابتداء. ويقال: معناه مسودة وجوههم {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لّلْمُتَكَبّرِينَ} أي: مأوى للّذين تكبروا عن الإيمان، {وَيُنَجّى الله الذين اتقوا بِمَفَازَتِهِمْ} يعني: ينجي الله الذين اتقوا الشرك من جهنم. قال مقاتل، والكلبي: بأعمالهم الحسنة لا يصيبهم العذاب. وقال القتبي: بمنجاتهم. قرأ حمزة، والكسائي: بِمَفَازَاتِهِم بالألف، وكذلك عاصم في رواية أبي بكر. والباقون {بِمَفَازَتِهِمْ} بغير ألفِ والمفازة الفوز، والسعادة، والفلاح، والمفازات جمع. {لاَ يَمَسُّهُمُ السوء} أي: لا يصيبهم العذاب {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [62- 70]

{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) وَنُفِخَ فِي

الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70)}

{الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} أي: حفيظ. ويقال: كفيل بأرزاقهم، {لَّهُ مَقَالِيدُ السموات والارض} يعني: بيده مفاتيح السموات والأرض. ويقال: خزائن السموات والأرض، وهو المطر، والنبات. وقال القتبي: المقاليد: المفاتيح. يعني: مفاتيحها، وخزائنها، وواحدها إقليد. ويقال: إنها فارسية، معربة، إكليد.

{والذين كَفَرُواْ بئايات الله} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن، {أولئك هُمُ الخاسرون} يعني: اختاروا العقوبة على الثواب، {قُلْ أَفَغَيْرَ الله تَأْمُرُونّى} قرأ ابن عامر: تأمرونني بنونين، وقرأ نافع: {تَأْمُرُونّى} بنون واحدة، والتخفيف. وقرأ الباقون: بنون واحدة، والتشديد، والأصل: تأمرونني بنونين، كما روي عن ابن عامر، إلا أنه أدغم إحدى النونين في الأخرى، وشدد، وتركها نافع على التخفيف.

{أَعْبُدُ أَيُّهَا الجاهلون} يعني: أيها المشركون تأمروني أن أعبد غير الله {وَلَقَدْ أُوْحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ} يعني: الأنبياء بالتوحيد، {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} أي: ثوابك، وإن كنت كريماً عليَّ. فلو أشركت بالله، ليحبطنّ عملك {وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين} في الآخرة. فكيف لو شرك غيرك، فالله تعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرك بالله، ولكنه أراد تنبيهاً لأمته، أنَّ من أشرك بالله، حبط عمله، وإن كان كريماً على الله.

{بَلِ الله فاعبد} أي: استقم على عبادة الله، وتوحيده. وقال مقاتل: بل الله فاعبد، أي: فوحد الله تعالى. وقال الكلبي: يعني أطع الله تعالى، {وَكُنْ مّنَ الشاكرين} على ما أنعم الله عليك من النبوة، والإسلام، والرسالة. ويقال: هذا الخطاب لجميع المؤمنين. أمرهم بأن يشكروا الله تعالى على ما أنعم عليهم، وأكرمهم بمعرفته، ووفقهم لدينه، {وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ} أي: ما عظموا الله حق عظمته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عرفوا الله حق معرفته. وذلك أن اليهود والمشركين، وصفوا الله تعالى بما لا يليق بصفاته، فنزل: {وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ} وفيه تنبيه للمؤمنين، لكيلا يقولوا مثل مقالتهم، ويعظموا الله حق عظمته، ويصفوه حق صفته، {فَاطِرُ السماوات والارض جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

أزواجا وَمِنَ الانعام أزواجا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ وَهُوَ السميع البصير} [الشورى: 11].
ثم قال: {والارض جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامة} أي: في قدرته، وملكه، وسلطانه، لا سلطان لأحد عليها، وهذا كقوله: {مالك يَوْمِ الدين} [الفاتحة: 4]. وقال القتبي: {فِى قَبْضَتُهُ} أي: في ملكه، نحو قولك للرجل: هذا في يدك، وقبضتك. أي في ملكك. {والسماوات مطويات بِيَمِينِهِ} أي: بقدرته. ويقال: في الآية تقديم. معناه: {والسماوات مطويات بِيَمِينِهِ} يوم القيامة. أي: في يوم القيامة. ويقال: {بِيَمِينِهِ} يعني: عن يمين العرش. وقال القتبي: {بِيَمِينِهِ} أي: بقدرته نحو قوله:
{ياأيها النبى إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أزواجك اللاتى ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ الله عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عماتك وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خالاتك اللاتى هاجرن مَعَكَ وامرأة مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النبى أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فى أزواجهم وَمَا مَلَكَتْ أيمانهم لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب: 50] يعني: ما كانت لهم عليه قدرة. وليس الملك لليمين دون الشمال. ويقال: اليمين هاهنا الحلف، لأنه حلف بعزته، وجلاله، ليطوينّ السموات والأرض.
ثم نزّه نفسه، فقال تعالى: {سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي: تنزيهاً لله تعالى. يعني: ارتفع، وتعظم عما يشركون. يعني: عما يصفون له من الشريك، {وَنُفِخَ فِى الصور} روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّه سُئِلَ عَنِ الصُّورِ فَقَالَ: " هُوَ الْقَرْنُ وَإِنَّ عِظَمَ دَائِرَتِهِ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةً، فَيُفْزِعُ الخَلْقَ، ثُمَّ يَنْفُخُ نَفْخَةً أُخْرَى، فَيَمُوتُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ النَّفْخَةِ الثَّالِثَةِ، تَجَمَّعَتِ الأَرْوَاحُ كُلّهَا في الصُّورِ، ثُمَّ يَنْفُخُ النَّفْخَةَ الثَّالِثَةَ، فَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ كُلُّها كَالنَّحلِ وَكَالزَّنَابِيرِ، وَتَأْتِي كُلُّ رُوح إِلَى جَسَدِهَا " فذلك قوله تعالى: {فَصَعِقَ مَن فِى السموات وَمَن فِى الارض} يعني: يموت من في السموات، ومن في الأرض، {إِلاَّ مَن شَاء الله} يعني: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. ويقال: أرواح الشهداء. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: استثنى الله تعالى الشهداء حول العرش متقلدين بسيوفهم». وقال بعضهم: النفخة نفختان. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يُنْفَخُ فِي الصُّور ثَلاَثُ نَفَخَاتٍ: الأُوْلَى نَفْخَةُ الفَزَعِ؛ والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعقِ، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ العَالَمِينِ " وهو قوله: {ثُمَّ نُفِخَ

فِيهِ أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} أي: ينظرون ماذا يأمرهم. ويقال: ينظرون إلى السماء كيف غيرت، وينظرون إلى الأرض كيف بدلت، وينظرون إلى الداعي كيف يدعوهم إلى الحساب، وينظرون فيما عملوا في الدنيا، وينظرون إلى الآباء والأمهات كيف ذهبت شفقتهم عنهم، واشتغلوا بأنفسهم، وينظرون إلى خصمائهم ماذا يفعلون بهم.

{وَأَشْرَقَتِ الارض} يعني: أضاءت {بِنُورِ رَبّهَا} أي: بعدل ربها. ويقال: وأشرقت وجوه من على الأرض بمعرفة ربها، وأظلم وجوه من على الأرض بنكرة ربها. وقال بعضهم: هذا من المكتوم الذي لا يفسر. {وَوُضِعَ الكتاب} يعني: ووضع الحساب. ويقال: ووضع الكتاب في أيدي الخلق، في أيمانهم، وشمائلهم {وَجِئ بالنبيين والشهداء وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بالحق} أي: بين الخلق بالعدل، بين الظالم والمظلوم، وبين الرسل، وقومهم، {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} أي: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً. {وَوُفّيَتْ} أي: وفرت، {كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} أي: جزاء ما عملت من خير، أو شر، {وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ}، لأنه قد سبق ذكر قوله: {وَأَشْرَقَتِ الارض بِنُورِ} ثم أخبر أنه لم يدع الشهداء ليشهدوا بما يعلموا بل هو أعلم بما يفعلون، وإنما يدعو الشهداء لتأكيد الحجة عليهم.

▲ تفسير الآيات رقم [71- 75]

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)}

ثم قال: {وَسِيقَ الذين كَفَرُواْ} أي: يساق الذين كفروا، {إلى جَهَنَّمَ زُمَراً} يعني: أمة، فوجاً فوجاً، وواحدتها زمرة، {حتى إِذَا} يعني: جهنم، {جَاءوهَا فُتِحَتْ أبوابها} وقال أصحاب اللغة: جهنم في أصل اللغة جهنام. وهي بئر لا قعر لها. فحذفت الألف، وشددت النون، فسميت جهنم. قرأ

حمزة، والكسائي، وعاصم: {فُتِحَتْ} بتخفيف التاء. والباقون: بالتشديد. فمن قرأ بالتشديد، فلتكثير الفعل. ومن قرأ بالتخفيف، فعلى فعل الواحد. وكذلك الاختلاف في الذي بعده.
{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا} أي: خزنة جهنم، وواحدها خازن. وقال القتبي: الواو قد تزاد في الكلام، والمراد به حذفه، كقوله: {حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} [الأنبياء: 96] يعني: اقترب، وكقوله: {وَسِيقَ الذين كفروا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً حتى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أبوابها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءايات رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هذا قَالُواْ بلى ولكن حَقَّتْ كَلِمَةُ العذاب عَلَى الكافرين} [الزمر: 71] يعني: قال لهم. وهذا في كلام العرب ظاهر، كما قال امرؤ القيس. فلما أجزنا ساحة الحي، وانتحى. يعني: انتحى بغير واو.
ثم قال: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مّنكُمْ} يعني: آدمياً مثلكم تفهمون كلامه {يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءايات رَبّكُمْ} يعني: يقرؤون عليكم ما أوحي إليهم، {وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا} يعني: أنهم يخوّفونكم بهذا اليوم، فكأنه يقول لهم: يا أشقياء ألم يأتكم رسل منكم؟ فأجابوه: {قَالُواْ بلى} فيقرون بذلك في وقت لا ينفعهم الإقرار، ولو كان قولهم: بلى في الدنيا، لكان ينفعهم. ولكنهم قالوا: بلى في وقت لا ينفعهم.
{ولكن حَقَّتْ كَلِمَةُ العذاب عَلَى الكافرين} أي: وجبت كلمة العذاب في علم الله السابق، أنهم من أهل النار. ويقال: وجبت كلمة العذاب، وهي قوله الله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليمين وَذَاتَ الشمال وَكَلْبُهُمْ باسط ذِرَاعَيْهِ بالوصيد لَوِ اطلعت عَلَيْهِمْ لَوْلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} [الأعراف: 18 وغيرها] {قِيلَ ادخلوا أبواب جَهَنَّمَ خالدين فِيهَا} أي: دائمين فيها، {فَبِئْسَ مَثْوَى المتكبرين} أي: بئس موضع القرار لمن تكبر عن الإيمان.
ثم بيّن حال المؤمنين المطيعين، فقال تعالى: {وَسِيقَ الذين اتقوا رَبَّهُمْ} يعني: اتقوا الشرك، والفواحش، {إِلَى الجنة زُمَراً} يعني: فوجاً فوجاً، بعضم قبل الحساب اليسير، وبعضهم بعد الحساب الشديد، على قدر مراتبهم، {حتى إِذَا جَاءوهَا وَفُتِحَتْ أبوابها} يعني: وقد فتحت أبوابها، ويقال: {وَفُتِحَتْ أبوابها} قبل مجيئهم تكريماً، وتبجيلاً لهم. ويقال: الواو زيادة في الكلام. ويقال: هذه الواو منسوقة على قوله: فتحت. كما يقال في الكلام: دخل زيد،

وعمرو، {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سلام عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادخلوها خالدين} أي: فزتم، ونجوتم.
ويقال: طابت لكم الجنة. وقال: بعض أهل العربية: في الآية دليل على أن أبواب الجنة ثمانية، لأنه قد ذكر بالواو. وإنما يذكر بالواو، إذا بلغ الحساب ثمانية، كما قال في آية أخرى: {سَيَقُولُونَ ثلاثة رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بالغيب وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل ربى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظاهرا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً} [الكهف: 22] فذكر الواو عند الثمانية، وكما قال: {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عَنِ المنكر والحافظون لِحُدُودِ الله وَبَشِّرِ المؤمنين} [التوبة: 112] فذكرها كلها بغير واو فلما انتهى إلى الثمانية قال: {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عَنِ المنكر والحافظون لِحُدُودِ الله وَبَشِّرِ المؤمنين} [التوبة: 112]، وقال في آية أخرى: {عسى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أزواجا خَيْراً مِّنكُنَّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وَأَبْكَاراً} [التحريم: 5] ثم قال: عند الثمانية: {عسى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أزواجا خَيْراً مِّنكُنَّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وَأَبْكَاراً} [التحريم: 5] وعرف أن أبواب جهنم سبعة بالآية. وهي قوله: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} [الحجر: 44]. وقال أكثر أهل اللغة: ليس في الآية دليل، لأن الواو قد تكون عند الثمانية، وقد تكون عند غيرها، ولكن عرف أن أبوابها ثمانية بالأخبار، ثم إنهم لما دخلوا الجنة حمدوا الله تعالى: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ} يعني: الشكر لله، {الذى صَدَقَنَا وَعْدَهُ} يعني: أنجز لنا وعده على لسان رسله، {وَأَوْرَثَنَا الارض} يعني: أنزلنا أرض الجنة، {نَتَبَوَّأُ مِنَ الجنة حَيْثُ نَشَاء} أي: ننزل في الجنة، ونستقر فيها، حَيْثُ نَشَاءُ ونشتهي، {فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين} أي: ثواب الموحدين، المطيعين، {وَتَرَى الملائكة حَافِّينَ} أي: ترى يا محمد الملائكة يوم القيامة محدقين، {مِنْ حَوْلِ العرش يُسَبّحُونَ بِحَمْدِ رَبّهِمْ} أي: يسبحونه، ويحمدونه. {وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بالحق} أي: بين الخلق. وهو تأكيد لما سبق من قوله: {وَأَشْرَقَتِ الارض بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكتاب وَجِئ بالنبيين والشهدآء وَقُضِىَ بَيْنَهُم بالحق وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [الزمر: 69] {وَقِيلَ الحمد لِلَّهِ رَبّ العالمين} يعني: لما قضي بينهم بالحق. أي: بالعدل، وميزوا من الكفار حمدوا

الله تعالى. وقالوا: الحمد لله رب العالمين الذي قضى بيننا بالحق، ونجانا من القوم الظالمين. وقال مقاتل: ابتدأ الدنيا بالحمد لله رب العالمين. وهو قوله: {الحمد للَّهِ الذى خَلَقَ السموات والارض} وختمها بقوله: {الحمد للَّهِ رَبِّ العالمين}.

سورة غافر

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)}

قوله تبارك وتعالى: {حم} روي عن ابن عباس أنه قال الحواميم كلها مكية. وهكذا روي عن محمد بن الحنفية. وقال ابن مسعود: إنَّ {حم} دِيْبَاجُ القُرْآنِ. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الجَنَّةِ فَلْيَقْرَأْ الحَوَامِيم». وقال قتادة: {حم} اسم من أسماء الله الأعظم. ويقال: اسم من أسماء القرآن. ويقال: قسم أقسم الله بحم. ويقال: معناه قضى بما هو كائن. ويقال: حم الأمر أي: قدر، وقضى، وتم. وقرأ ابن كثير، وحفص، عن عاصم: {حم} بفتح الحاء. وقرأ أبو عمرو، ونافع: بين الفتح والكسر، والباقون بالكسر. وكل ذلك جائز في اللغة.

ثم قال: {تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العزيز العليم} يعني: إنّ هذا القرآن الذي يقرأه عليكم محمد، هو من عند الله، العَزِيز في سلطانه، وملكه، الْعَلِيمِ بخلقه، وبأعمالهم، {غَافِرِ الذنب} لمن يقول: لا إله إلا الله، مخلصاً، يستر عليه ذنوبه، {وَقَابِلِ التوب} لمن تاب، ورجع، {شَدِيدُ العقاب} لمن مات على الشرك، ولم يقل لا إله إلا الله، {ذِى الطول} يعني: ذي الفضل على عباده، والمن والطول في اللغة: التفضل. يقال: طل علي برحمتك أي: تفضل. وقال مقاتل: ذي الطَّوْلِ يعني: ذي الغنى عمن لم يوحده.

ثم وحّد نفسه فقال: {لاَ إله إلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المصير} يعني: إليه مصير العباد، ومرجعهم في الآخرة، فيجازيهم بأعمالهم.

تفسير الآيات رقم [4- 6]

{مَا يُجَادِلُ فِي آَيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (6)}

قوله: {مَا يجادل فِى ءايات الله} يعني: ما يخاصم في آيات الله بالتكذيب، {إلاَّ الذين كَفَرُواْ فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى البلاد} يعني: ذهابهم، ومجيئهم في أسفارهم، وتجاراتهم، فإنهم ليسوا على شيء من الدين. وقال مقاتل: {تَقَلُّبِهِمْ} يعني: ما هم فيه من السعة في الرزق.

ثم خوّفهم ليحذروا فقال: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والاحزاب مِن بَعْدِهِمْ} يعني: الأمم من بعد قوم نوح، {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ} يعني: أرادوا أن يقتلوه، {وجادلوا بالباطل} أي: بالشرك، {لِيُدْحِضُواْ بِهِ الحق} يعني: ليبطلوا به دين الحق، وهو الإسلام، والذي جاء به الرسل. {فَأَخَذْتُهُمْ} أي: عاقبتهم، {فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} يعني: كيف رأيت عذابي لهم. أليس قد وجدوه حقاً.

{وكذلك حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبّكَ} يعني: سبقت، ووجبت كَلِمَةُ رَبِّكَ، {عَلَى الذين كَفَرُواْ} بالعذاب، {أَنَّهُمْ أصحاب النار} يعني: يصيرون إليها. قرأ نافع، وابن عامر: {كلمات رَبَّكَ} بلفظ الجماعة. والباقون: كلمة ربك بلفظ الواحد. وهي عبارة عن الجنس. والجنس يقع على الواحد، وعلى الجماعة، وقرئ في الشاذ: إِنَّهم بالكسر على معنى الابتداء، وقراءة العامة بالنصب على معنى البناء.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 9]

{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)}

ثم قال الله تعالى: {الذين يَحْمِلُونَ العرش} وهم الملائكة، {وَمَنْ حَوْلَهُ} من المقربين، {يُسَبّحُونَ بِحَمْدِ رَبّهِمْ} يعني: يسبحون الله تعالى، ويحمدونه، {وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} أي: يصدقون بالله، {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ} يعني: المؤمنين. وفي الآية: دليل فضل المؤمنين، وبيانه، أن الملائكة مشتغلون بالدعاء لهم.

ثم وصف دعاءهم للمؤمنين وهو قولهم: {رَبَّنَا} يعني: يقولون: يا ربنا، {وَسِعْتَ كُلَّ شَئ رَّحْمَةً وَعِلْماً} يعني: يا ربنا رحمتك واسعة، وعلمك محيط بكل شيء. ويقال: معناه ملأت كل شيء نعمة، وعلماً، علم ما فيها من الخلق. روى قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: وجدنا أنصح عباد

الله، لعباد الله، الملائكة. ووجدنا أغش عباد الله، لعباد الله، الشياطين. وروى الأعمش، عن إبراهيم قال: كان أصحاب عبد الله بن مسعود يقولون: الملائكة خير للمسلمين من ابن الكواء، الملائكة يستغفرون لمن في الأرض، وابن الكواء يشهد عليهم بالكفر، وكان ابن الكواء رجلاً خارجياً.

قوله: {فاغفر لِلَّذِينَ تَابُواْ} أي: تجاوز عنهم يعني الذين رجعوا عن الشرك، {واتبعوا سَبِيلَكَ} يعني: دينك الإسلام، {وَقِهِمْ عَذَابَ الجحيم} يعني: ادفع عنهم في الآخرة عذاب النار {رَبَّنَا} يعني: ويقولون: رَبَّنَا {وَأَدْخِلْهُمْ جنات عَدْنٍ التى وَعَدْتَّهُمْ} على لسان رسلك، {وَمَنْ صَلَحَ} أي: من وحّد الله تعالى {مِنْ ءابَائِهِمْ وأزواجهم وذرياتهم} أي: وأدخلهم معهم الجنة أيضاً، {إِنَّكَ أنتَ العزيز} في ملكك، {الحكيم} في أمرك، {وَقِهِمُ السيئات} يعني: ادفع عنهم العذاب في الآخرة. {وَمَن تَقِ السيئات يَوْمَئِذٍ} يعني: من دفعت العذاب عنه، فقد رحمته. قال مقاتل: السيئات يعني: الشرك في الدنيا، {فَقَدْ رَحِمْتَهُ} في الآخرة، {وذلك هُوَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 12]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (12)}

{إِنَّ الذين كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ} قال مقاتل والكلبي: لما عاين الكفار النار، ودخلوها، مقتوا أنفسهم أي: لاموا أنفسهم، وغضبوا عليها. فتقول لهم خزنة جهنم: {لَمَقْتُ الله أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ} يعني: غضب الله عليكم، وسخطه، أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ {أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإيمان فَتَكْفُرُونَ} أي: تجحدون، وتثبتون على الكفر، {قَالُواْ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثنتين} يعني: كنا نطفاً أمواتاً، {وَأَحْيَيْتَنَا اثنتين} يعني: فأحييتنا، ثم أمتنا عند آجالنا، ثم أحييتنا اليوم. وذكر عن القتبي نحو هذا. وقال بعضهم: إحدى الإماتتين يوم الميثاق، حين صيروا إلى صلب آدم، والأخرى في الدنيا عند انقضاء الأجل، وإحدى الإحيائين في بطن الأمهات، والأخرى في القبر.

{فاعترفنا بِذُنُوبِنَا} يعني: أقررنا بشركنا، وظهر لنا أن البعث حق، {فَهَلْ إلى خُرُوجٍ مّن سَبِيلٍ} يعني: فهل سبيل إلى الخروج من النار. ويقال: فهل من

حيلة إلى الرجوع {ذلكم} يعني: يقال لهم ذلك الخلود {بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ الله وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} يعني: إذا قيل لكم لا إله إلا الله جحدتم، وأقمتم على الكفر، {وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُواْ} يعني: إذا دعيتم إلى الشرك، وعبادة الأوثان، تصدقوا {فالحكم للهِ العلى الكبير} يعني: القضاء فيكم {للهِ العلى الكبير} أي: الرفيع فوق خلقه، القاهر لخلقه، {الكبير} بالقدرة، والمنزلة.

▲ تفسير الآيات رقم [13- 19]

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)}

ثم قال الله تعالى: {هُوَ الذى يُرِيكُمْ ءاياته} يعني: عجائبه، ودلائله، من خلق السموات والأرض، والشمس، والقمر، والليل، والنهار، وذلك أنه لما ذكر ما يصيبهم يوم القيامة، عظم نفسه تعالى.

ثم ذكر لأهل مكة من الدلائل ليؤمنوا به، فقال: {هُوَ الذى يُرِيكُمْ ءاياته} {وَيُنَزّلُ لَكُم مّنَ السماء رِزْقاً} يعني: المطر. ويقال: الملائكة لتدبير الرزق. {وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ} يعني: ما يتعظ بالقرآن، إلا من يقبل إليه بالطاعة. ويقال: {وَمَا يَتَذَكَّرُ} في هذا الصنيع، فيوحد الرب إلا من يرجع إليه، {فادعوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يعني: اعبدوه بالإخلاص، {وَلَوْ كَرِهَ الكافرون} يعني: وإن شق ذلك على المشركين، الكافرين. {رَفِيعُ الدرجات} يعني: رافع، وخالق السموات. أي: مطبقاً بعضها فوق بعض. ويقال: هو رافع الدرجات في الدنيا بالمنازل، وفي الآخرة الجنة ذو الدرجات، {ذُو العرش} يعني: رافع العرش. ويقال: خالق العرش، هو رب العرش {يُلْقِى الروح مِنْ أَمْرِهِ} يعني: ينزل جبريل بالوحي {على مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ} وهو النبي صلى الله عليه وسلم، {لِيُنذِرَ يَوْمَ التلاق} يعني: ليخوف بالقرآن. وقرأ الحسن: {لّتُنذِرَ} بالتاء على معنى المخاطبة. يعني: لتنذر يا محمد. وقراءة العامة بالياء يعني: لينذر الله. ويقال: {لّيُنذِرَ} من أنزل عليه الوحي {يَوْمَ

التلاق} قرأ ابن كثير: يَوْمَ التَّلاَقِي بالياء. وهي إحدى الروايتين عن نافع، والباقون بغير ياء. فمن قرأ بالياء فهو الأصل. ومن قرأ بغير ياء، فلأن الكسر يدل عليه. وقال في رواية الكلبي: {يَوْمَ التلاق} يوم يلتقي أهل السموات، وأهل الأرض. ويقال: يوم يلتقي الخصم، والمخصوم، {يَوْمَ هُم بارزون} أي: ظاهرين، خارجين من قبورهم، {لاَ يخفى عَلَى الله مِنْهُمْ شَئ} يعني: من أعمال أهل السموات، وأهل الأرض.

{لّمَنِ الملك اليوم} قال بعضهم: هذا بين النفختين. يقول الرب تبارك وتعالى: {لّمَنِ الملك اليوم}؟ فلا يجيبه أحد، فيقول لنفسه: {لِلَّهِ الواحد الْقَهَّارِ}. قال بعضهم: إن ذلك لأهل الجمع يوم القيامة. يقول: {لّمَنِ الملك اليوم} فأقر الخلائق كلهم، وقالوا: {لِلَّهِ الواحد الْقَهَّارِ}.

يقول الله تعالى: {اليوم تجزى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} يعني: ما عملت في الدنيا من خير أو شر، {لاَ ظُلْمَ اليوم إِنَّ الله سَرِيعُ الحساب} وقد ذكرناه، {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الازفة} يعني: خوفهم بيوم القيامة. فسمي الأزفة لقربه. ويقال: أزف شخوص فلان يعني: قرب كما قال أَزِفَتِ الآزفة.

ثم قال: {إِذِ القلوب لَدَى الحناجر} من الخوف، لا تخرج، ولا تعود إلى مكانها، {كاظمين} أي: مغمومين يتردد خوفهم في أجوافهم {مَا للظالمين} يعني: المشركين {مِنْ حَمِيمٍ} أي قريب، {وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ} أي: له الشفاعة فيهم.

{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الاعين} هذا موصول بقوله: {لاَ يخفى عَلَى الله مِنْهُمْ شَئ} وهو {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الاعين}. وقال أهل اللغة: الخائنة والخيانة واحدة، كقوله: {فَبِمَا نَقْضِهِم ميثاقهم لعناهم وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكلم عَن مواضعه وَنَسُواْ حَظَّا مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ على خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فاعف عَنْهُمْ واصفح إِنَّ الله يُحِبُّ المحسنين} [المائدة: 13]. وقال مجاهد: {خَائِنَةَ الاعين} يعني: نظر العين إلى ما نهى الله عنه. وقال مقاتل: الغمزة فيما لا يحل له، والنظرة إلى المعصية. ويقال: النظرة بعد النظرة. وقال قتادة: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الاعين} يعني: يعلم غمزه بعينه، وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى، {وَمَا تُخْفِى الصدور}.

▲ تفسير الآية رقم [20]

{وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (20)}

{والله يَقْضِي بالحق} أي: يحكم بالحق. ويقال: يأمر بما يجب به الثواب، وينهى عما يجب به العقاب. {والذين يَدْعُونَ مِن دُونِهِ} يعني: يعبدون من الآلهة. قرأ نافع، وابن عامر: {تَدْعُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة. والباقون، بالياء على معنى الخبر عنهم.
{لاَ يَقْضُونَ بِشَئ} يعني: ليس لهم قدرة، ولا يحكمون بشيء، {إِنَّ الله هُوَ السميع البصير} يعني: {السميع} لمقالة الكفار {البصير} بأعمالهم.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 22]

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (22)}
أَوَلَمْ يسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا} يعني: فيعتبروا، {كَيْفَ كَانَ عاقبة} يعني: آخر أمر، {الذين كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} يعني: منعة. قرأ ابن عامر، ومن تابعه من أهل الشام {أَشَدَّ مِنكُمْ} بالكاف على معنى المخاطبة. والباقون {أَشَدُّ مِنْهُم} بالهاء على معنى الخبر عنهم.
{أَوَلَمْ يَسِيروُاْ فِى} يعني: أكثر أعمالاً. ويقال: أشد لها طلباً، وأبعد لها ذهاباً. {فَأَخَذَهُمُ الله بِذُنُوبِهِمْ} أي: عاقبهم الله {وَمَا كَانَ لَهُم مّنَ الله مِن وَاقٍ} أي: من مانع يمنعهم من عذاب الله. {ذلك} أي: ذلك العذاب {بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني: بالأمر، والنهي. ويقال: بالدلائل الواضحات، {فَكَفَرُواْ} بهم، وبدلائلهم، {فَأَخَذَهُمُ الله إِنَّهُ قَوِىٌّ شَدِيدُ العقاب} أي: عاقبهم الله بذنوبهم، إنه قادر على أخذهم، شديد العقاب لمن عاقب.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 27]

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بئاياتنا} التسع، {وسلطان مُّبِينٍ} أي: حجة بيّنة {إلى فِرْعَوْنَ وهامان وَقَسْرُونَ فَقَالُواْ ساحر كَذَّابٌ} يعني: لم يصدقوا موسى.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُمْ بالحق مِنْ عِندِنَا} يعني: بالرسالة، {قَالُواْ اقتلوا أَبْنَاء الذين ءامَنُواْ مَعَهُ} يعني: أعيدوا القتل عليهم، {واستحيوا نِسَاءهُمْ} فلا تقتلوهن، {وَمَا كَيْدُ الكافرين إِلاَّ فِى ضلال} أي: في خطأ بيّن.

قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} لقومه {ذَرُونِى أَقْتُلْ موسى} يعني: خلوا عني، حتى أقتل موسى. {وَلْيَدْعُ رَبَّهُ} يعني: ليدعوا ربه موسى، لكي يمنعه عني. وذلك أن قومه كانوا يقولون: أرجئه وأخاه، ولا تقتله حتى لا يفسدوا عليك الملك. فقال لهم فرعون: {ذَرُونِى أَقْتُلْ موسى} فإني أعلم أن صلاح ملكي في قتله.

{إِنّى أَخَافُ أَن يُبَدّلَ دِينَكُمْ} يعني: عبادتكم إياي، {أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الارض الفساد} يعني: الدعاء إلى غير عبادتي. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو {وَإِن يَظْهَرُوا} على معنى العطف. والباقون: {أَوْ أَن يُظْهِرَ} على معنى الشك، وكلاهما جائز. وأو لأحد الشيئين: إما لشك المتكلم أو أحدهما. والواو للجمع، وتقع على الأمرين جميعاً. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وعاصم {يُظْهِرُ} بضم الياء، وكسر الهاء، {الفساد} بالنصب. والباقون: {يُظْهِرُ} بنصب الياء، والهاء، {الفساد} بالضم. فمن قرأ: يُظْهر بالضم. فالفعل لموسى، والفساد نصب لوقوع الفعل عليه. ومن قرأ يَظْهَر، فالفعل للفساد، فيصير الفسادُ رفعاً، لأنه فاعل. فلما سمع موسى ذلك التهديد، استعاذ بالله من شره، فذلك قوله: {وَقَالَ موسى إِنّى عُذْتُ بِرَبّى وَرَبّكُمْ} يعني: أستعيذ بربي، وربكم، {مّن كُلّ مُتَكَبّرٍ} عن الإيمان يعني: {لاَ يُؤْمِنُ} أي: لا يصدق {بِيَوْمِ الحساب}.

▲ تفسير الآيات رقم [28- 35]

{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ

مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ
التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِنْ هَادٍ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا
جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ
هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35)}
{وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءالِ فِرْعَوْنَ} وهو حزبيل بن ميخائيل، هو ابن عم
قارون، وكان أبوه من آل فرعون، وأمه من بني إسرائيل. ويقال: كان ابن
فرعون {يَكْتُمُ إيمانه}، وكان قد أسلم سراً من فرعون.
قوله: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبّىَ الله وَقَدْ جَاءكُمْ بالبينات مِن رَّبّكُمْ} يعني:
اليد، والعصا. وروى الأوزاعي عن يحيى بن كثير، عن محمد بن إبراهيم بن
الحارث، عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو: حدثني بأشد شيء
صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أقبل عقبة بن أبي
معيط، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه على
عنقه، وخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبيه، ودفعه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم قال أبو بكر: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبّىَ الله وَقَدْ
جَاءكُمْ بالبينات مِن رَّبّكُمْ} {وَإِن يَكُ كاذبا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ} يعني: فعليه وبال كذبه،
فلا ينبغي أن تقتلوه بغير حجة، ولا برهان. {وَإِن يَكُ صادقا} في قوله،
وكذبتموه، {يُصِبْكُمْ بَعْضُ الذى يَعِدُكُمْ} من العذاب. يعني: بعض ذلك العذاب
يصبكم في الدنيا. ويقال: بعض الذي يعدكم فيه. أي: جميع الذي يعدكم،
كقوله: {وَلَمَّا جَاءَ عيسى بالبينات قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بالحكمة وَلأُبَيّنَ لَكُم بَعْضَ
الذى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} [الزخرف: 63] أي: جميع الذي
تختلفون فيه، {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى} يعني: لا يرشد، ولا يوفق إلى دينه، {مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ} في قوله: {كَذَّابٌ} يعني: الذي عادته الكذب.
{كَذَّابٌ ياقوم لَكُمُ الملك اليوم} أي: ملك مصر، {ظاهرين فِى الارض} أي:
غالبين على أرض مصر، {فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ الله} يعني: من يعصمنا من
عذاب الله، {إِن جَاءنَا} يعني: أرأيتم إن قتلتم موسى، وهو الصادق، فمن
يمنعنا من عذاب الله. فلما سمع فرعون قول المؤمن، {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ
إِلاَّ مَا أرى} يعني: ما أريكم من الهدى، إلا ما أرى لنفسي. ويقال: ما آمركم
إلا ما رأيت لنفسي أنه حق وصواب، {وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرشاد} يعني:

ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى وقرئ في الشاذ {الرشاد} بتشديد الشين. يعني: سبيل الرشاد الذي يرشد الناس. ويقال: رشاد اسم من أسماء أصنامه. قوله: {وَقَالَ الذى ءامَنَ} وهو حزبيل {ءامَنَ ياقوم إِنّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مّثْلَ يَوْمِ الاحزاب} يعني: أخاف عليكم من تكذيبكم مثل عذاب الأمم الخالية، {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ} أي مثل عذاب قوم نوح، {وَعَادٍ وَثَمُودَ والذين مِن بَعْدِهِمْ وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْماً لّلْعِبَادِ} يعني: لا يعذبهم بغير ذنب، {لّلْعِبَادِ وياقوم إِنّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التناد} وهو من نَدَّ يَند، وهو من تنادى، يتنادى، تنادياً.

وروى أبو صالح، عن ابن عباس أنه قرأ: {يَوْمَ التناد} بتشديد الدال. وقال: تندون كما تند الإبل، وهذا موافق لما بعده، {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} وكقوله: {يَوْمَ يَفِرُّ المرء مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} [عبس: 34، 35].

وقرأ الحسن يَوْمَ التَّنَادِي بالياء، وهو من النداء. يوم ينادى كل قوم بأعمالهم. وينادي المنادي من مكان بعيد. وينادي أهل النار أهل الجنة. وينادي أهل الجنة أهل النار {ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ الله عَلَى الظالمين} [الأعراف: 44] وقراءة العامة. التناد بالتخفيف بغير ياء، وأصله الياء، فحذف الياء، لأن الكسرة تدل عليه، وقوله: {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} أي: هاربين. قال الكلبي: هاربين، إذا انطلق بهم إلى النار، فعاينوها، هربوا. فيقال لهم: {مَا لَكُمْ مّنَ الله مِنْ عَاصِمٍ} أي: ليس لكم من عذاب الله من مانع. وقال مقاتل: {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} أي: ذاهبين بعد الحساب إلى النار، كقوله: {فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ} أي ذاهبين {مَا لَكُمْ مّنَ الله مِنْ عَاصِمٍ} يعني: من مانع من عذابه.

{وَمَن يُضْلِلِ الله} عن الهدى، {فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} يعني: من مرشد، وموفق.

{وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بالبينات} هذا قول حزبيل أيضاً لقوم فرعون قال: {وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ} ويقال: يعني: به أهل مصر، وهم الذين قبل فرعون، لأن القرون الذين كانوا في زمن فرعون، لم يروا يوسف، وهذا كما قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ الحق مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ الله مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: 91] وإنما أراد به آباءهم {بالبينات} أي: بتعبير الرؤيا. وروي عن وهب بن منبه: قال فرعون: موسى هو الذي كان في زمن يوسف، وعاش إلى وقت موسى. وهذا خلاف قول جميع المفسرين. {فَمَا زِلْتُمْ

فِى شَكّ مّمَّا جَاءكُمْ بِهِ} من تصديق الرؤيا، وبما أخبركم، {حتى إِذَا هَلَكَ} يعني: مات، {قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ الله مِن بَعْدِهِ رَسُولاً}.

يقول الله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ الله مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ} يعني: من هو مشرك، شاك في توحيد الله.

ثم وصفهم فقال: {الذين يجادلون فِى ءايات الله بِغَيْرِ سلطان} أي: بغير حجة {أتاهم كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله} أي: عظم بغضاً لهم من الله، {وَعِندَ الذين ءامَنُواْ} يعني: عند المؤمنين {كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله} أي: يختم الله بالكفر، {على كُلّ قَلْبِ مُتَكَبّرٍ جَبَّارٍ} يعني: متكبر عن عبادة الله تعالى. قرأ أبو عمرو: {قَلْبِ مُتَكَبّرٍ} بالتنوين. جعل قوله متكبر نعتاً للقلب. ومعناه: أن صاحبه متكبر. والباقون: {قَلْبِ مُتَكَبّرٍ} بغير تنوين على معنى الإضافة، لأن المتكبر هو الرجل، وأضاف القلب إليه.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 46]

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37) وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)}

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ياهامان ابن لِى صَرْحاً} أي: قصراً مشيداً {لَّعَلّى أَبْلُغُ الاسباب} يعني: أصعد طرق السموات، {فَأَطَّلِعَ} أي: انظر {إلى إله موسى} الذي يزعم أنه أرسله. وقال مقاتل، والقتبي: {أسباب السموات} أبوابها. قرأ عاصم في رواية حفص: {فَأَطَّلِعَ} بنصب العين. والباقون: بالضم. فمن قرأ:

بالنصب. جعله جواباً للفعل. ومن قرأ بالضم رده إلى قوله: أبلغ الأسباب، فأطلع. {وَإِنّى لأَظُنُّهُ كاذبا} أي: لأحسب موسى كاذباً في قوله.
قال الله تعالى: {وكذلك زُيّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوء عَمَلِهِ} أي: قبح عمله، {وَصُدَّ عَنِ السبيل} أي: الدين، والتوحيد. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: {وَصُدَّ} بضم الصاد. والباقون: بالنصب. فمن قرأ: بالضم. فمعناه: إن فرعون صرف عن طريق الهدى. يعني: إن الشيطان زين له سوء عمله، وصرفه عن طريق الهدى. ومن قرأ: بالنصب. فمعناه: صرف فرعون الناس عن الدين.
{وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِى تَبَابٍ} أي: ما صنع فرعون إلا في خسارة يوم القيامة، كقوله: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ} {صلى الله عليه وسلم} [المسد: 1] يعني: إن فرعون اختار متاعاً قليلاً، وترك الجنة الباقية، فكان عمله في الخسارة.
{وَقَالَ الذى ءامَنَ} وهو حزبيل {عَلَيْهِ قَوْمٌ} {اتبعون أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرشاد} يعني: أطيعوني حتى أرشدكم، وأبيّن لكم دين الصواب.
قوله تعالى: {سَبِيلَ الرشاد ياقوم إِنَّمَا هذه الحياة الدنيا} أي: قليل، {وَإِنَّ الاخرة هِىَ دَارُ القرار} لا زوال لها. {مَنْ عَمِلَ سَيّئَةً فَلاَ يجزى إِلاَّ مِثْلَهَا} يعني: من عمل الشرك فلا يجزى إلا النار في الآخرة. {وَمَنْ عَمِلَ صالحا مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} يعني: من رجل، أو امرأة، {فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجنة يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} أي: بغير مقدار. وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى قال: {مَنْ عَمِلَ سَيّئَةً} ولم يقل من ذكر أو أنثى. وقال: {وَمَنْ عَمِلَ صالحا مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى} لأن العمل الصالح يَحْسُن من الرجل، والمرأة. والسيئة من المرأة، أقبح من الرجل. فلم يذكر من ذكر أو أنثى. {حِسَابٍ وياقوم مَا لِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النجاة} يعني: أن حزبيل قال لقومه: ما لي أدعوكم إلى التوحيد، والطاعة، وذلك سبب النجاة، والمغفرة، فلم تطيعوني، {وَتَدْعُونَنِى إِلَى النار} يعني: إلى عمل أهل النار.
ثم بيّن عمل أهل النار فقال: {تَدْعُونَنِى لأَكْفُرَ بالله} يعني: لأجحد بوحدانية الله، {وَأُشْرِكَ بِهِ} أي: أشرك بالله، {مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ} يعني: ما ليس لي به حجة بأن مع الله شريكاً، {وَأَنَاْ أَدْعُوكُمْ إِلَى العزيز الغفار} يعني: إلى دين العزيز الغفار {العزيز} في ملكه {الغفار} لمن تاب.
{لاَ جَرَمَ} أي: حقاً يقال {لاَ جَرَمَ} يعني: لا بد. {أَنَّمَا تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدنيا} أي: ليس له قدرة. ويقال: ليس له استجابة دعوة تنفع في

الدنيا. {وَلاَ فِى الاخرة وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى الله} أي مصيرنا، ومرجعنا إلى الله يوم القيامة، {وَأَنَّ المسرفين} يعني: المشركين، {هُمْ أصحاب النار} يعني: هم في النار أبداً.

{فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ} يعني: ستعرفون إذا نزل بكم العذاب، وتعلمون أن ما أقول لكم من النصيحة أنه حق. {وَأُفَوّضُ أَمْرِى إِلَى الله} يعني: أمر نفسي إلى الله، وأدع تدبيري إليه، {إِنَّ الله بَصِيرٌ بالعباد} يعني: عالم بأعمالهم، وبثوابهم. فأرادوا قتله، فهرب منهم، فبعث فرعون في طلبه، فلم يقدروا عليه، فذلك قوله: {فَوقَاهُ الله سَيّئَاتِ مَا مَكَرُواْ} يعني: دفع الله عنه شر ما أرادوا، {وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ} يعني: نزل بهم {سُوء العذاب} يعني: شدة العذاب، وهو الغرق.

{النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} قال ابن عباس: يعني: تعرض أرواحهم على النار، {غُدُوّاً وَعَشِيّاً} هكذا قال قتادة، ومجاهد، وقال مقاتل: تعرض روح كل كافر على منازلهم من النار كل يوم مرتين. وقال ابن مسعود: «أَرْوَاحُهُم في جوْف طَيْر سُودٍ يَرَوْنَ مَنَازِلهم غُدوة وَعَشِيَّةً». وقال هذيل بن شرحبيل: «أرواح الشهداء في جوف طير خضر تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش». وإن أرواح آل فرعون في جوف طير سود تغدو، وتروح، على النار فذلك عرضها. والآية تدل على إثبات عذاب القبر، لأنه ذكر دخولهم النار يوم القيامة. وذكر أنه تعرض عليهم النار قبل ذلك غدواً وعشياً.

ثم قال: {وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة} يعني: يقال لهم يوم القيامة: {النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا}. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو: {أَدْخِلُواْ} بضم الألف، والخاء. وهكذا قرأ عاصم في رواية أبي بكر. والباقون: بنصب الألف، وكسر الخاء. فمن قرأ {أَدْخِلُواْ} بالضم. فمعناه: ادخلوا يا آل فرعون {أَشَدَّ العذاب}، فصار الآل نصباً بالنداء. ومن قرأ {أَدْخِلُواْ} بالنصب. معناه: يقال للخزنة: أدخلوا آل فرعون. يعني: قوم فرعون {أَشَدَّ العذاب} يعني: أسفل العذاب. فصار الآل نصباً لوقوع الفعل عليه.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 52]

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (49) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا

فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52)}

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ} أي: يتخاصمون في النار الضعفاء، والرؤساء، فَيَقُولُ الضعفاء لِلَّذِينَ استكبروا} يعني: لرؤسائهم {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} في الدنيا {فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا} أي: حاملون عنا، {نَصِيباً مّنَ النار} يعني: بعض الذي علينا من العذاب، باتباعنا إياكم، كما كنا ندفع عنكم المؤونة في دار الدنيا.

{قَالَ الذين استكبروا} يعني: الرؤساء يقولون للضعفاء: {إِنَّا كُلٌّ فِيهَا} يعني: نعذب نحن، وأنتم على قدر حصصكم في الذنوب، فلا يغني واحد واحداً، {إِنَّ الله قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العباد} أي: قضى بين العباد، بين التابع والمتبوع. ويقال: {حَكَمَ بَيْنَ العباد} يعني: أنزلنا منازلنا، وأنزلكم منازلكم.

{وَقَالَ الذين فِى النار لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ} إذا اشتد عليهم العذاب {ادعوا رَبَّكُمْ} يعني: سلوا ربكم. {يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مّنَ العذاب} يعني: يوماً من أيام الدنيا، حتى نستريح، فترد الخزنة عليهم فتقول: {قَالُواْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بالبينات} يعني: ألم تخبركم الرسل أن عذاب جهنم إلى الأبد. ويقال: {أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بالبينات} يعني: ألم تخبركم الرسل بالدلائل، والحجج، والبراهين، فكذبتموهم. {قَالُواْ بلى قَالُواْ فادعوا} يعني: تقول لهم الخزنة، فادعوا ما شئتم، فإنه لا يستجاب لكم. {وَمَا دُعَاء الكافرين إِلاَّ فِى ضلال} أي: في خطأ بيّن.

{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا} بالغلبة، والحجة، {والذين ءامَنُواْ} بهم يعني: الذين صدقوهم {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم} أي: بالحجة، والغلبة على جميع الخلق. يعني: على جميع أهل الأديان {وَيَوْمَ يَقُومُ الاشهاد} قال مقاتل: يعني: الحفظة من الملائكة، يشهدون عند رب العالمين للرسل بالبلاغ، وعلى الكافرين بتكذيبهم. وقال الكلبي: يعني: يوم القيامة يقوم الرسل عند رب العالمين، {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظالمين مَعْذِرَتُهُمْ} يعني: لا ينفع الكافرون اعتذارهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {يَوْمٌ لاَّ تَنفَعُ} بالتاء بلفظ التأنيث، لأن المعذرة مؤنثة. والباقون: بالياء. وانصرف إلى المعنى، يعني: لا ينفع لهم اعتذارهم {وَلَهُمُ اللعنة} أي: السخطة {وَلَهُمْ سُوء الدار} أي: عذاب جهنم.

▲ تفسير الآيات رقم [53- 65]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (53) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (54) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (55) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (58) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (59) وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (62) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (63) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (65)}

{وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَى الهدى} يعني: التوراة فيها هدى، ونور من الضلالة، {وَأَوْرَثْنَا بَنِى إسراءيل الكتاب} يعني: أعطيناهم على لسان الرسل التوراة، والإنجيل، والزبور {هُدًى} أي: بياناً من الضلالة. ويقال: فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم {وذكرى لاِوْلِى الالباب} يعني: عظة لذوي العقول.

{فاصبر إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: اصبر يا محمد على أذى المشركين. فإن وعد الله حق، وهو ظهور الإسلام على الأديان كلها، وفتح مكة. {واستغفر لِذَنبِكَ}. وهذا قبل نزول قوله: {لِّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صراطا مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 2]. ويقال: {أَسْتَغْفِرُ لِذَنبِكَ} أي: لذنب أمتك {وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ} أي: صل بأمر ربك {بالعشى} أي: صلاة العصر، {والإبكار} يعني: صلاة الغداة. ويقال: سبح الله تعالى، واحمده بلسانك في أول النهار، وآخره.

{إِنَّ الذين يجادلون فِى ءايات الله} قال الكلبي ومقاتل: يعني: اليهود، والنصارى، كانوا يجادلون في الدجال. وذلك أنهم كانوا يقولون: إن صاحبنا

يبعث في آخر الزمان، وله سلطان، فيخوض البحر، وتجري معه الأنهار، ويرد علينا الملك. فنزل: {إِنَّ الذين يجادلون فِى ءايات الله} يعني: في الدجال. لأن الدجال آية من آيات الله، {بِغَيْرِ سلطان} أي: بغير حجة {ءاتاهم} من الله. {إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم ببالغيه} أي: ما في قلوبهم إلا عظمة {مَّا هُم ببالغيه} يعني: ما هم ببالغي ذلك الكبر الذي في قلوبهم، بأن الدجال منهم. وقال القتبي: إِنْ في صُدُورِهِمْ إِلاَّ تكبراً على محمد صلى الله عليه وسلم، وطمعاً أن يغلبوه، وما هم ببالغي ذلك. وقال الزجاج: معناه وما هم ببالغي إرادتهم، وإرادتهم دفع آيات الله. وروى أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية قال: إن اليهود ذكروا الدجال، وعظموا أمره، فنزل: {إِنَّ الذين يجادلون فِى ءايات الله} يعني: إن الدجال من آيات الله {فاستعذ بالله} من فتنة الدجال، فإنه ليس ثم فتنة أعظم من فتنة الدجال. {إِنَّهُ هُوَ السميع} لقول اليهود، {البصير} يعني: العليم بأمر الدجال. ويقال: {السميع} لدعائك، {البصير} برد فتنة الدجال عنك.

{لَخَلْقُ السماوات والارض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} قال الكلبي ومقاتل: {لَخَلْقُ السموات والارض} أعظم من خلق الدجال. ويقال: {لَخَلْقُ السموات والارض} أعظم من خلق الناس بعد موتهم. يعني: أنهم يبعثون يوم القيامة، {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} أن الدجال خلق من خلق الله. ويقال: لا يعلمون أن الله يبعثهم، ولا يصدقون.

{وَمَا يَسْتَوِى الاعمى والبصير} يعني: الكافر، والمؤمن في الثواب، {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَلاَ المسىء} يعني: لا يستوي الصالح، مع الطالح، {قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ} أي: يتعظون، ويعتبرون.

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: {تَتَذَكَّرُونَ} بالتاء على وجه المخاطبة. والباقون: بالياء {يَتَذَكَّرُونَ} على معنى الخبر عنهم. وفي كلا القراءتين مَا للصلة، والزينة.

{إِنَّ الساعة لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا} يعني: قيام الساعة آتية لا شك فيها عند المؤمنين، {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يُؤْمِنُونَ} أي: لا يصدقون الله تعالى.

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادعونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ} قال الكلبي معناه: وحدوني، أغفر لكم. وقال مقاتل: معناه: وقال ربكم لأهل الإيمان، ادعوني أستجب لكم، {إِنَّ الذين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى} أي: عن توحيدي، فلا يؤمنون بي، ولا يطيعونني. {سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخرين} أي: صاغرين. ويقال: {وَقَالَ رَبُّكُمْ

ادعونى} يعني: الدعاء بعينه: {أَسْتَجِبْ لَكُمْ} يعني: أستجب دعاءكم. وقال بعض المتأخرين: معناه ادعوني بلا غفلة، أستجب لكم بلا مهلة. وقيل أيضاً: ادعوني بلا جفاء، أستجب لكم بالوفاء. وقيل أيضاً: ادعوني بلا خطأ، أستجب لكم مع العطاء. وروى النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ العِبَادَةُ، ثُمَّ قرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادعونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الذين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخرين}» قرأ ابن كثير، وعاصم، في رواية أبي بكر، وإحدى الروايتين، عن أبي عمرو: {سَيَدْخُلُونَ} بضم الياء، ونصب الخاء على معنى فعل ما لم يسم فاعله، وتكون جهنم مفعولاً ثانياً. والباقون: يدخلون بنصب الياء، وضم الخاء، على الإخبار عنهم بالفعل المستقبل، على معنى سوف يدخلون.

{الله الذى جَعَلَ لَكُمُ اليل} أي: خلق لكم الليل، {لِتَسْكُنُواْ فِيهِ} أي: لتستقروا فيه، وتستريحوا فيه، {والنهار مُبْصِراً} أي: مضيئاً لابتغاء الرزق، والمعيشة. ويقال: {مُبْصِراً} معناه: يبصر فيه، {إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس} يعني: على أهل مكة بتأخير العذاب عنهم. ويقال {لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس} أي: على جميع الناس، بخلق الليل والنهار، {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَشْكُرُونَ} لربهم في النعمة فيوحدونه، ويطيعونه. {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ} يعني: الذي خلق هذا هو ربكم، {خالق كُلّ شَىْءٍ لاَّ إله إِلاَّ هُوَ فأنى تُؤْفَكُونَ} أي: تصرفون، وتحولون. ويقال: {فأنى تُؤْفَكُونَ} أي: من أين تكذبون، {كَذَلِكَ يُؤْفَكُ} أي: هكذا يكذب. ويقال: هكذا يحول، {الذين كَانُواْ بئايات الله يَجْحَدُونَ} ويقال: هكذا يؤفك الذين كانوا من قبلهم.

{الله الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض قَرَاراً} أي بسط لكم الأرض، وجعلها موضع قراركم، {والسماء بِنَاء} أي: خلق السماء فوقكم مرتفعاً، {وَصَوَّرَكُمْ} أي: خلقكم {فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} ولم يخلقكم على صورة الدَّواب، {فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} أي: أحكم خلقكم، {وَرَزَقَكُم مّنَ الطيبات} أي: الحلالات. يقال: اللذيذات، {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ} يعني: الذي خلق هذه الأشياء هو ربكم، {فتبارك الله رَبُّ العالمين} أي: فتعالى الله رب العالمين. ويقال: هو من البركة يعني: البركة منه. {هُوَ الحى} يعني: هو الحي الذي لا يموت، ويميت الخلائق، {لاَ إله إِلاَّ هُوَ فادعوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يعني: بالتوحيد، {الحمد للَّهِ رَبّ العالمين} يعني: قولوا الحمد لله رب العالمين الذي صنع لنا هذا.

▲ تفسير الآيات رقم [66- 68]

{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (66) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68)}

{قُلْ إِنّى نُهِيتُ} يعني: قل يا محمد لأهل مكة: {إِنّى نُهِيتُ} {أَنْ أَعْبُدَ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: نهاني ربي أن أعبد الذين تعبدون من دون الله من الأصنام، {لَمَّا جَاءنِى البينات مِن رَّبّى} يعني: حين جاءني الواضحات، وهو القرآن، {وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبّ العالمين} يعني: أستقيم على التوحيد، {هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ} وقد ذكرناه من قبل، {ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً} يعني: يعيش الإنسان إلى أن يصير شيخاً، {وَمِنكُمْ مَّن يتوفى مِن قَبْلُ} {وَلِتَبْلُغُواْ أَجَلاً مُّسَمًّى} يعني: الشباب، والشيخ، يبلغ {أَجَلاً مُّسَمًّى} وقتاً معلوماً. ويقال: في الآية تقديم، ومعناه: {ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً} أي: لتبلغوا {أَجَلاً مُّسَمًّى} يعني: وقت انقضاء أجله {وَمِنكُمْ مَّن يتوفى مِن قَبْلُ} أي: من قبل أن يبلغ أشده. ويقال: من قبل أن يصير شيخاً، {وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أي: لكي تعقلوا أمر ربكم، ولتستدلوا به، وتتفكروا في خلقه.

{هُوَ الذى اَ إله} أي: يحيي للبعث، ويميت في الدنيا، على معنى التقديم، ويقال: معناه هو الذي يحيي في الأرحام، ويميت عند انقضاء الآجال، {فَإِذَا قضى أَمْراً} يعني: أراد أن يخلق شيئاً، {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}.

▲ تفسير الآيات رقم [69- 76]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يجادلون فِى ءايات الله} أي: يجادلون في القرآن، أنه ليس منه، {أنى يُصْرَفُونَ} يعني: من أين يصرفون عن القرآن، والإيمان من أين تعدلون عنه إلى غيره؟ ويقال: عن الحق، والتوحيد.

ثم وصفهم فقال: {الذين كَذَّبُواْ بالكتاب} أي: بالقرآن، {وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا} يعني: بالتوحيد. ويقال: بالأمر، والنهي، {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ماذا ينزل بهم في الآخرة.

ثم وصف ما ينزل بهم، فقال عز وجل: {إِذِ الاغلال فِى أعناقهم} يعني: ترد أيمانهم إلى أعناقهم {والسلاسل يُسْحَبُونَ} يعني: تجعل السلاسل في أعناقهم، يُسْحَبُونَ، ويجرون، {فِى الحميم} يعني: في ماء حار، قد انتهى حره. قال مقاتل {يُسْحَبُونَ فِى الحميم} يعني: في حر النار. وقال الكلبي: يعني: في الماء الحار.

{ثُمَّ فِى النار يُسْجَرُونَ} أي: يوقدون، فصاروا وقوداً. وروي عن ابن عباس أنه قرأ: {والسلاسل} بنصب اللام، {يُسْحَبُونَ} بنصب الياء، يعني: أنهم يسحبون السلاسل. وقال: هو أشد عليهم. وقراءة العامة {والسلاسل} بضم اللام {يُسْحَبُونَ} بالضم على معنى فعل ما لم يسم فاعله. والمعنى: أن الملائكة يسحبونهم في السلاسل.

{ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ} أي: تقول لهم الخزنة: {أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ} أي: تعبدون، {مِن دُونِ الله} من الأوثان، {قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا} يعني: اشتغلوا بأنفسهم عنا، {بَل لَّمْ نَكُنْ نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئاً} وذلك أنهم يندمون على إقرارهم، وينكرون، ويقولون: {بَل لَّمْ نَكُنْ نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئاً} في الدنيا. ويقال: معناه بل لم نكن نعبد شيئاً ينفعنا.

يقول الله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ الله الكافرين} عن الحجة، {ذلكم} أي: ذلكم العذاب، {بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الارض} أي: تبطرون، وتتكبرون في الأرض {بِغَيْرِ الحق وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ} أي: تعصون، وتستهزئون بالمسلمين، {ادخلوا أبواب جَهَنَّمَ خالدين فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المتكبرين} أي: فبئس مقام المتكبرين عن الإيمان.

▲ تفسير الآيات رقم [77- 85]

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ

قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (80) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (81) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85)}

{فاصبر إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: اصبر يا محمد على أذى الكفار، {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} أي: كائن، {فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذى نَعِدُهُمْ} من العذاب يعني: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا، وهو القتل، والهزيمة. {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} من قبل أن نرينك عذابهم في الدنيا، {فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} يعني: يرجعون إلينا في الآخرة، فنجزيهم بأعمالهم.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مّن قَبْلِكَ} يعني: إلى قومهم، {مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ} يعني: سميناهم لك، فأنت تعرفهم، {وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} يعني: لم نسمهم لك ولم نخبرك بهم يعني: أنهم صبروا على أذاهم، فاصبر أنت يا محمد على أذى قومك كما صبروا.

{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِئَايَةٍ} أي: ما كان لرسول، من القدرة {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً} أي بدلائل، وبراهين، {إِلاَّ بِإِذْنِ الله} يعني: بأمره. {فَإِذَا جَاء أَمْرُ الله} يعني: العذاب، {قُضِىَ بالحق} أي: عذبوا، ولم يظلموا حين عذبوا، {وَخَسِرَ هُنَالِكَ المبطلون}. أي: خسر عند ذلك المبطلون. يعني: المشركون. ويقال: يعني: الظالمون. ويقال: الخاسرون.

ثم ذكر صنعه ليعتبروا فقال: {الله الذى جَعَلَ لَكُمُ الانعام} يعني: خلق لكم البقر، والغنم، والإبل، {لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا} أي بعضها وهو الإبل، {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} أي: من الأنعام منافع في ظهورها، وشعورها، وشرب ألبانها، {وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ} أي ما في قلوبكم، من بلد إلى بلد {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفلك تُحْمَلُونَ} يعني: على الأنعام، وعلى السفن، {وَيُرِيكُمْ ءاياته} يعني: دلائله، وعجائبه، {وَيُرِيكُمْ ءاياته فَأَىَّ ءايات} بأنها ليست من الله، {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الارض} يعني: يسافروا في الأرض، {فَيَنظُرُواْ} أي:

فيعتبروا، {كَيْفَ كَانَ عاقبة الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: آخر أمر من كان قبلهم، كيف فعلنا بهم حين كذبوا رسلهم، {كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ} يعني: أكثر من قومك في العدد، {وَأَشَدَّ قُوَّةً} من قومك، {أَوَلَمْ يَسِيروُاْ فِى}، يعني: مصانعهم أعظم آثاراً في الأرض، وأطول أعماراً، وأكثر ملكاً في الأرض، {فَمَآ أغنى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: لم ينفعهم ما عملوا في الدنيا، حين نزل بهم العذاب.

{فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات} بالأمر، والنهي، وبخبر العذاب، {فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُمْ مّنَ العلم} يعني: من قلة علمهم، رضوا بما عندهم من العلم، ولم ينظروا إلى دلائل الرسل. ويقال: رضوا بما عندهم. فقالوا: لن نعذب، ولن نبعث. ويقال: {فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُمْ مّنَ العلم} أي: علم التجارة، كقوله {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحياة الدنيا وَهُمْ عَنِ الاخرة هُمْ غافلون} [الروم: 7].

{وَحَاقَ بِهِم} أي نزل بهم {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} أي: يسخرون به، ويقولون: إنه غير نازل بهم.

{فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا} أي: عذابنا في الدنيا، {قَالُواْ ءامَنَّا بالله وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا} أي: تبرأنا، {بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} يعني: بما كنا به مشركين من الأوثان، {فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إيمانهم} يعني: تصديقهم، {لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا} أي: حين رأوا عذابنا. قال القتبي: البأس الشدة. والبأس العذاب كقوله: {فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا} وكقوله: {فَلَمَّا أَحَسُّواْ} بأسنا، {سُنَّتُ الله التى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ} قال مقاتل: يعني: كذلك كانت سنة الله {فِى عِبَادِهِ}. يعني: العذاب في الأمم الخالية إذا عاينوا العذاب، لم ينفعهم الإيمان. وقال القتبي: هكذا سنة الله أنه من كفر عذبه، {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكافرون} أي: خسر عند ذلك الكافرون بتوحيد الله عز وجل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(سورة حم سجده)

او

سورة فصلت

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آَذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5)}

قوله تبارك وتعالى {حم} اسم السورة. ويقال: حم يعني: قضي ما هو كائن ويقال هو قسم أقسم الله تعالى به. {تَنزِيلَ} أي: نزل بهذا القرآن جبريل، {مّنَ الرحمن الرحيم} تنزيل صار رفعاً بالابتداء، وخبره، {كتاب فُصّلَتْ ءاياته} ويقال: صار رفعاً بإضمار فيه. ومعناه: هذا تنزيل من الرحمن الرحيم، {كِتَابٌ} يعني: القرآن {فُصّلَتْ ءاياته} يعني: بينت، وفسرت دلائله، وحججه. ويقال: بيّن حلاله، وحرامه، {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} صار نصباً على الحال. أي: بينت آياته في حال جمعه، {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أي: يصدقون، ويقرون بالرسل. ويقال: يعلمون ما فيه، ويفهمونه. {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} أخذ من الجمع، ولو كان غير عربي لم يعلموه.

قوله تعالى: {بَشِيراً وَنَذِيراً} يعني: {بَشِيراً} للمؤمنين بالجنة {وَنَذِيرًا} للكافرين بالنار. {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ} يعني: أعرض أكثر أهل مكة، {فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} يعني: لا يسمعون سمعاً ينفعهم، لأنهم لا يجيبون، ولا يطيعون.

{وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ} يعني: في غطاء لا نفقه ما تقول، {مّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} من التوحيد لا يصل إلى قلوبنا، {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى} يعني: ثقلاً فلا نسمع قولك. يعني: نحن في استماع قولك، كالصم لا نسمع ما تقول، {وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ} أي ستر، وغطاء، {فاعمل إِنَّنَا عاملون} يعني: اعمل على أمرك، نعمل على أمرنا. ويقال: اعمل لإلهك الذي أرسلك، إننا عاملون لآلهتنا، وهذا

قول مقاتل، والأول قول الكلبي. ويقال: اعمل في هلاكنا، إننا عاملون في هلاكك. روى محمد بن كعب القرظي عمن حدثه: أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش: ألا أقُوم إلى هذا الرجل، وأكلمه، وأعرض عليه أموراً، لعله يقبل منا بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا، وذلك حين رأوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون، ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد. فقام عتبة: حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من المكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وعبت آلهتهم، ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فإن كنت، إنما تريد بما جئت به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت تريد شرفاً شرفناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه، أي: خيالاً، لا تستطيع أن تردّه عنك نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا لك فيه أموالنا حتى نبريك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل، حتى يداوى منه.

فلما فرغ منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرحمن الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه} حتى انتهى إلى قوله: {فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صاعقة مِّثْلَ صاعقة عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: 13]» فقام عتبة، وجاء إلى أصحابه. فقال بعضهم لبعض: تالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك؟ قال: سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني، وخلوا بيني وبين الرجل، وبين ما هو فيه. فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا الرأي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 12]

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي

كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12)}
يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد، {إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ} يعني: آدمياً مثلكم، {يوحى إِلَيَّ} ما أبلغكم من الرسالة، {أَنَّمَا إلهكم إله واحد فاستقيموا إِلَيْهِ} يعني: أقروا له بالتوحيد، {واستغفروه} من الشرك، {وَوَيْلٌ لّلْمُشْرِكِينَ} يعني: الشدة من العذاب للمشركين، {الذين لاَ يُؤْتُونَ الزكواة} يعني: لا يعطون الزكاة، ولا يقرون بها، {وَهُمْ بالاخرة هُمْ كافرون} يعني: بالبعث بعد الموت.
ثم وصف المؤمنين فقال: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بالله، وأدوا الفرائض، {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: غير منقوص. ويقال: غير مقطوع. عنهم في حال ضعفهم، ومرضهم.
فقال عز وجل: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالذى خَلَقَ الارض فِى يَوْمَيْنِ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التهديد والزجر. يعني: أئنكم لتكذبون بالخالق الذي خلق الأرض في يومين، يوم الأحد ويوم الاثنين. فبدأ خلقها في يوم الأحد، وبسطها في يوم الاثنين، {وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً} يعني: تصفون له شركاء من الآلهة، {ذَلِكَ رَبُّ العالمين} يعني: الذي خلق الأرض، فهو رب جميع الخلق، ولو أراد الله أن يخلقها في لحظة واحدة لفعل، وكان قادراً. ولكنه أحب أن يبصر الخلق وجوه الأناة، والقدرة على خلق السموات والأرض في أيام كثيرة، وفي لحظة واحدة سواء، لأن الخلق عاجزون عن مثقال ذرة منها، وكان ابتداء خلق الأرض في يوم الأحد، وإتمام خلقها، وبسطها في يوم الاثنين.
{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا} يعني: وخلق في الأرض الرواسي. يعني: الجبال الثوابت من فوقها، {وبارك فِيهَا} بالماء، والشجر، {وَقَدَّرَ فِيهَا أقواتها} يعني: قسم فيها الأرزاق. وقال عكرمة: {قُدِر فِيهَا أقواتها} يعني: قدر في كل قرية عملاً لا يصلح في الأخرى، مثل النيسابوري لا يكون إلا بنيسابور، والهروي لا يكون إلا بهراة. وقال قتادة: {وَقَدَّرَ فِيهَا أقواتها} قال: جبالها، ودوابها، وأنهارها، وثمارها. وقال الحسن {وَقَدَّرَ فِيهَا أقواتها} قال: أرزاقها. وقال مقاتل: يعني: أرزاقها، ومعايشها وروى الأعمش عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: أول ما خلق الله من شيء، خلق القلم. فقال له اكتب. فقال: يا رب وما أكتب؟ فقال: اكتب القدر. فجرى بما

يكون من ذلك اليوم إلى يوم القيامة. ثم خلق النون، ثم رفع بخار الماء، ففتق منه السموات، ثم بسط الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فتمادت الأرض، فأوتدت بالجبال.

ثم قال: {فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ} يعني: من أيام الآخرة. ويقال: من أيام الدنيا، {سَوَاء لّلسَّائِلِينَ} يعني: لمن سأل الرزق ومن لم يسأل. وقال مقاتل: {سَوَاء لّلسَّائِلِينَ} يعني: عدلاً لمن سأل الرزق، كقوله:

{إِذْ دَخَلُواْ على دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بغى بَعْضُنَا على بَعْضٍ فاحكم بَيْنَنَا بالحق وَلاَ تُشْطِطْ واهدنآ إلى سَوَآءِ الصراط} [ص: 22] يعني: عدلاً. وقال ابن عباس: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، فقال: «خَلَقَ الأَرْوَاحَ، قَبْلَ الأَجْسَادَ بأَرْبَعِ آلافِ سَنَة»، وهكذا خلق الأرزاق قبل الأرواح بأربع آلاف سنة {فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء}. قرأ الحسن: {سَوَآءٍ} بكسر الألف. وقرأ أبو جعفر المدني: {سَوَآءٌ} بالضم. وقراءة العامة: بالنصب. فمن قرأ: بالكسر، جعل سواء صفة للأيام، والمعنى في أربعة أيام، مستويات، تامات للسائلين. ومن قرأ: بالضم، فمعناه في أربعة أيام وقد تم الكلام.

ثم استأنف فقال: {سَوَاء لّلسَّائِلِينَ} ومن قرأ: بالنصب. يعني: قدرها سواء صار نصباً على المصدر. ومعناه: استوت استواءً. {ثُمَّ استوى إِلَى السماء} أي: صعد أمره إلى السماء، وهو قوله: {كُنَّ} ويقال: عمد إلى خلق السماء {وَهِىَ دُخَانٌ} يعني: بخار الماء كهيئة الدخان. وذلك أنه لما خلق العرش، لم يكن تحت العرش شيء سوى الماء كما قال. وكان عرشه على الماء، ثم ألقى الحرارة على الماء حتى ظهر منه البخار، فارتفع بخاره كهيئة الدخان، فارتفع البخار، وألقى الريح الزبد على الماء، فزيد الماء، فخلق الأرض من الزبد، وخلق السماء من الدخان وهو البخار.

ثم قال تعالى: {وَهِىَ دُخَانٌ}، {فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ} يعني: للسماء، والأرض، {ائتيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً} يعني: اعطيا الطاعة، طوعاً أو كرهاً. يعني: ائتيا بالمعرفة لربكما، والذكر له طوعاً، أو كرهاً، {قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} فأعطيا الطاعة بالطوع. ويقال: كانت السماء رتقاً عن المطر، والأرض عن النبات، فقال لهما {ائتيا} يعني: أعطيا، وأخرجا ما فيكما من المطر، والنبات منفعة للخلق إن شئتما طائعين، وإن شئتما كارهين. {قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} يعني: أخرجنا ما فينا طائعين غير كارهين. وروي عن مجاهد أنه قال: معناه يا

سماء أبرزي شمسك، وقمرك، ونجومك، ويا أرض أخرجي نباتك طوعاً، أو كرهاً. ويقال: هذا على وجه المثل، يعني: أمرهما بإخراج ما فيهما، فأخرجتا طائعتين.

قوله عز وجل {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سموات فِى يَوْمَيْنِ وأوحى فِى كُلّ سَمَاء أَمْرَهَا} يعني: أمر أهل كل سماء بأمرها. قال السدي: خلق في كل سماء، خلقاً من الملائكة، {وَزَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح} يعني: بالنجوم {وَحِفْظاً} يعني: من الشياطين أن يسترقوا السمع {ذلك} أي: الذي ذكر من صنعه {تَقْدِيرُ العزيز} في ملكه {العليم} بخلقه.

▲ تفسير الآيات رقم [13- 18]

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (13) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (14) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (16) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18)}

{فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ} أي: خوفتكم، {صاعقة} أي: عذاباً، {مّثْلَ صاعقة} أي: مثل عذاب {عَادٍ وَثَمُودَ}. وقال مقاتل: كان عاد وثمود ابني عم، وموسى وقارون ابني عم، وإلياس واليسع، ابني عم، وعيسى ويحيى ابني خالة. ومعنى: الآية إن لم يعتبروا فيما وصف لهم من قدرتي، وعظمتي، في خلق السموات والأرض، وأعرضوا عن الإيمان. فقال: أنذرتكم عذاباً مثل عذاب عاد وثمود، أنه يصيبهم مثل ما أصابهم. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أخبرني الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا علي بن المنذر. قال: حدّثنا ابن فضيل، عن الأجلح، عن ابن حرملة، عن جابر بن عبد الله: أن أبا جهل، والملأ من قريش، بعثوا عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه، فقال: له أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ فلم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا، فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك لواء، وكنت رأساً ما بقيت. وإن كنت تريد الباءة، زوجناك عشرة نسوة تختارهن، من أي حي، من بنات

قريش شئت. وإن كنت تريد المال، جمعنا لك من أموالنا، ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك. فلما فرغ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم حمتَنزِيلٌ مّنَ الرحمن الرحيم}» إلى قوله: «{مّثْلَ صاعقة عَادٍ وَثَمُودَ} ". فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم أن يكف. ثم رجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم. فقال: أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا وقد صبأ، فأتوه. فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبوت إلى دين محمد، وأعجبك أمره، فغضب عتبة، وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً. وقال: إني أتيته، وقصصت عليه القصة، فأجابني بقوله: " والله ليس فيه سحر ولا شعر، ولا كهانة " فأمسكت على فيه، وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم إذا قال قولاً، لم يكذب. فخفت أن ينزل بكم العذاب.

ثم قال تعالى: {إِذْ جَاءتْهُمُ الرسل مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} يعني: من قبل عاد وثمود، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} يعني: من بعد عاد وثمود، {أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ الله} يعني: ألا تطيعوا في التوحيد غير الله. وهذا قول الرسل لقومهم، فأجابهم قومهم: {قَالُواْ لَوْ شَاء رَبُّنَا لاَنزَلَ ملائكة} ولم يرسل إلينا آدمياً، {فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافرون} أي: جاحدون.

وقد قيل في قوله: {مّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ} يعني: خوفوهم من بين أيديهم من أمر الآخرة، وحذروهم النار، ورغبوهم في الجنة.

{وَمِنْ خَلْفِهِمْ} يعني: زهّدوهم في الدنيا، فلم يقبلوا، وقد قيل: {مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} يعني: ما خلق قبلهم، كيف أهلكهم الله، ومما خلفهم من أمر الآخرة. {فَأَمَّا عَادٌ فاستكبروا فِى الارض} يعني: تعظموا عن الإيمان عن قول لا إله إلا الله، {بِغَيْرِ الحق وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}.

يقول الله تعالى: {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ الله الذى خَلَقَهُمْ} وقواهم، {هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} يعني: بطشاً، ولم يعتبروا بذلك. {وَكَانُواْ بئاياتنا يَجْحَدُونَ} يعني: جاحدين بما آتاهم هود عليه السلام، أنه لا ينزل بهم.

قوله عز وجل: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً} يعني: ريحاً بارداً، ذا صوت ودوي تحرق، كما تحرق النار. ويقال: {رِيحاً صَرْصَراً} أي: شديدة الصوت، {فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ}. قال مقاتل: يعني: شدائد. وقال الكلبي: يعني: أيام مشؤومات. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، {فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ} بجزم

الحاء، والباقون: بكسر الحاء، ومعناهما واحد. ويقال: يوم نحس، ويوم نحس، وأيام نحسه، ونحسه، والنحسات جمع الجمع.
{لّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخزى} يعني: العذاب الشديد في الدنيا، قبل عذاب الآخرة. وهذا كقوله: {ظَهَرَ الفساد فِى البر والبحر بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى الناس لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41] يعني: ليصيبهم بعض العقوبة في الدنيا. كقوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مّنَ العذاب الادنى دُونَ العذاب الاكبر لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يعني: يتوبون.
ثم قال عز وجل: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ} يعني: أشد مما كان في الدنيا. {وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعهم أحد من عذاب الله، لا في الدنيا، ولا في الآخرة. {وَأَمَّا ثَمُودُ} قرأ الأعمش: {ثَمُودُ} بالتنوين. وقراءة العامة بغير تنوين. {فهديناهم} يعني: بيّنا لهم الحق من الباطل، والكفر من الإيمان. وقال مجاهد: {فهديناهم} أي: دعوناهم. وقال قتادة ومقاتل: بيّنا لهم. وقال القتبي: دعوناهم، ودللناهم، {فاستحبوا العمى عَلَى الهدى} يعني: اختاروا الكفر على الإيمان. ويقال: اختاروا طريق الضلالة، على طريق الهدى، {فَأَخَذَتْهُمْ صاعقة العذاب الهون} والصاعقة هي العذاب الْهُونِ. يعني: يهانون فيه. ويقال: الهون الشديد. {بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: يعملون من الشرك، والمعاصي.
قوله عز وجل: {وَنَجَّيْنَا الذين ءامَنُواْ وَكَانُواْ يتَّقُونَ} يعني: آمنوا بصالح النبي عليه السلام، وَكَانُوا يَتَّقُونَ عقر الناقة، ويتقون الشرك، والفواحش.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 25]

{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (24) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (25)}

ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء الله} يعني: يساق أعداء الله، وهم الكفار والمنافقون، {إِلَى النار}. قرأ نافع: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ} بالنون، أعداء: بالنصب، على معنى الإضافة إلى نفسه. وقرأ الباقون: بالياء والضم. {يُحْشَرُ أَعْدَاء الله} على معنى فعل ما لم يسم فاعله، ويوم صار نصباً لإضمار فيه. يعني: واذكر يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ الله إِلَى النَّارِ، {فَهُمْ يُوزَعُونَ} يعني: يحبس أولهم: ليلحق بهم آخرهم. وأصله من وزعته أي: كففته.

{حتى إِذَا مَا} يعني: إذا جاؤوها، ما صلة في الكلام. يعني: جاؤوا النار، وعاينوها. قيل لهم: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الذين كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 22] فقالوا عند ذلك وَالله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ فيختم على أفواههم، وتستنطق جوارحهم، فتنطق بما كتمت الألسن، فذلك قوله: {جَاءوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ} يعني: آذانهم بما سمعت، {وأبصارهم} يعني: أعينهم بما نظرت، ورأت، {وَجُلُودُهُم} يعني: فروجهم، {بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بجميع أعمالهم.

قوله تعالى: {وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ} يعني: لجوارحهم. وقال القتبي: الجلود كناية عن الفروج، {لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَقَنَا الله الذى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ} يعني: أنطق الدواب، وغيرهم، {وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} يعني: أنطقكم في الدنيا، {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة.

يقول الله تعالى: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ} يعني: ما كنتم تمتنعون. ويقال: ما كنتم تحسبون، وتستيقنون، {أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أبصاركم وَلاَ جُلُودُكُمْ ولكن ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مّمَّا تَعْمَلُونَ} من الخير، والشر، {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الذى ظَنَنتُم بِرَبّكُمْ أَرْدَاكُمْ} يعني: ذلك الظن الذي أهلككم. ويقال: {أَرْدَاكُمْ} يعني: أغواكم. ويقال: أهلككم سوء الظن. وروى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يَقُولُ الله تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ". وقال الحسن: إن المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل. وإن المنافق أساء الظن بربه، فأساء العمل. {فَأَصْبَحْتُمْ مّنَ الخاسرين} يعني: صرتم من المغبونين.

{فَإِن يَصْبِرُواْ} على النار، {فالنار مَثْوًى لَّهُمْ} أي: مأوى لهم. ويقال: هذا جواب، لقولهم: {اصبروا على ءالِهَتِكُمْ}.

يقول الله تعالى: {فَإِن يَصْبِرُواْ فالنار مَثْوًى لَّهُمْ}، {وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ} أي: يسترجعوا من الآخرة، إلى الدنيا، {فَمَا هُم مّنَ المعتبين} أي: من المرجوعين

إلى الدنيا. ويقال: {وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ} يعني: وإن يطلبوا العذر، {فَمَا هُم مِّنَ المعتبين} أي: لا يسمع، ولا يقبل منهم عذر.

قوله عز وجل: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء} قال القتبي: يعني: ألزمناهم قرناء من الشياطين.

وقال أهل اللغة: قيض يعني: سلط. ويقال: قيض بمعنى قدر. {فَزَيَّنُواْ لَهُم} يعني: زينوا لهم التكذيب بالحساب، وقال الحسن: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء} أي: خلينا بينهم، وبين الشياطين بما استحقوا من الخذلان، فَزَيَّنُوا لَهُمْ، {مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} قال الضحاك. يعني: شككوهم في أمر الآخرة، وَمَا خَلْفَهُمْ يعني: رغبوهم في الدنيا. ويقال: زينوا لهم ما بين أيديهم. يعني: ما كان عليه آباؤهم من أمر الجاهلية، وما خلفهم. يعني: تكذيبهم بالبعث، {وَحَقَّ عَلَيْهِمُ القول} يعني: وجب عليهم العذاب {فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ} يعني: مع أمم قد خلت من قبل أهل مكة، {مِّنَ الجن والإنس إِنَّهُمْ كَانُواْ خاسرين} بالعقوبة. ويقال: إِنَّهُمْ كَانوا خاسِرِين مثلهم.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 29]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (28) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (29)}

قوله تعالى: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرءان} نزلت الآية في أبي جهل، وأصحابه، فإنه قال: إذا تلى محمد القرآن، فارفعوا أصواتكم، بالأشعار، والكلام في وجوههم، حتى تلبسوا عليهم، فذلك قوله: {والغوا فِيهِ} يعني: الغطوا، واللغط هو الشغب، والجلب، {لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} أي: تغلبوهم فيسكتون. قال الزجاج: قوله: {والغوا فِيهِ} أي: عارضوه بكلام لا يفهم، يكون ذلك الكلام لغواً.

يقول الله تعالى: {فَلَنُذِيقَنَّ الذين كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً} يعني: في الدنيا بالقتل، {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} في الآخرة {أَسْوَأَ الذى كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: أقبح ما كانوا يعملون، ويقال: هذا كله من عذاب الآخرة. يعني: فلنذيقن الذين كفروا في الآخرة عذاباً شديداً، ولنجزينهم من العذاب أَسْوَأَ ما كانوا يعملون. يعني: بأسوإ أعمالهم، وهو الشرك. {ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء الله النار} يعني: ذلك العذاب

الشديد هو جزاء أعداء الله النَّارُ. يعني: ذلك العذاب هو النار ويقال: صار رفعاً بالبدل عن الجزاء.
ثم قال: {لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ} يعني: في النار موضع المقام أبداً، {جَزَاء أَعْدَاء الله النار لَهُمْ} يعني: بالكتاب، والرسل.
قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَا أَرِنَا اللذين} يعني: الصنفين اللذين {أضلانا} يعني: استنا ضلالتنا، {مّنَ الجن والإنس} ويقال: جهلانا حتى نسينا الآخرة.
ثم قال: {نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الاسفلين} في النار. ويقال: من الجن. ويقال: يعني: إبليس هو الذي أضلنا، ومن الإنس يعني: ابن آدم الذي قتل أخاه. ويقال: يعني: رؤساؤهم في الضلالة. كقوله: {وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السبيلا} [الأحزاب: 67] الآية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر: {أَرْنَا} بجزم الراء. والباقون: بالكسر ومعناهما واحد.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 36]

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)}
قوله تعالى: {إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا} يعني: قالوا ربنا الله، فعرفوه، واستقاموا على المعرفة. وقال القتبي: يعني: آمنوا، ثم استقاموا على طاعة الله. وقال ابن عباس في رواية الكلبي: {ثُمَّ استقاموا} على ما افترض الله عليهم. وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: أتدرون ما استقاموا عليه؟ فقالوا: ما هو يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «اسْتَقَامُوا، وَلَمْ يُشْرِكُوا». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: {ثُمَّ استقاموا} ولم يروغوا روغان الثعلب على طاعة الله. فقال ابن عباس في رواية القتبي: {ثُمَّ استقاموا}. وعن أبي العالية أنه قال: {ثُمَّ

استقاموا} أي: أخلصوا له الدين، والعمل. ويقال: وحّدوا الله تعالى، واستقاموا على طاعته، ولزموا سنة نبيه. وقال بعض المتأخرين: معناه: ثم استقاموا أفعالاً، كما استقاموا أقوالاً. وقد قيل أيضاً: {إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا} يعني: يقولون الله مانعنا، ومعطينا، وضارنا، ونافعنا، {ثُمَّ استقاموا} على ذلك القول، ولا يرون النفع، ولا يرجون من أحد دون الله تعالى، ولا يخافون أحداً دون الله، فذكر أعمالهم، ثم ذكر ثوابهم.

فقال: {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملئكة} قال الكلبي يعني: تتنزل عليهم الملائكة عند قبض أرواحهم، ويبشرونهم، ويقولون: {أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ} يعني: لا تخافوا ما أمامكم من العذاب. ولا تحزنوا على ما خلفكم من الدنيا. وقال مقاتل: تتنزل عليهم الملائكة يعني: تتنزل عليهم الحفظة من السماء، يوم القيامة، فتقول له: أتعرفني؟ فيقول: لا. فيقول: أنا الذي كنت أكتب عملك، وبشره بالجنة، فذلك قوله: {وَأَبْشِرُواْ بالجنة التى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} في الدنيا. وقال زيد بن أسلم البشرى: في ثلاث مواطن، عند الموت، وفي القبر، وفي البعث. وقال بعض المتأخرين: هذه البشرى للخائف الحزين، لا للآمن المستبشر. يعني: الذي كان خائفاً في الدنيا.

ثم قال عز وجل: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الحياة} يعني: تقول لهم الحفظة، نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا، ونحن أولياؤكم، {وَفِى الاخرة وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ} يعني: لكم في الجنة ما تحب، وتتمنى قلوبكم، {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} يعني: تسألون.

ثم قال: {نُزُلاً} أي: رزقاً {مّنْ غَفُورٍ} للذنوب العظام، {رَّحِيمٌ} بالمؤمنين. حكى الزجاج عن الأخفش: {نُزُلاً} منصوباً من وجهين، أحدهما على المصدر، فمعناه: أنزلناه نزلاً. ويجوز أن يكون على الحال.

قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مّمَّن دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صالحا} قال بعضهم: الآية نزلت في شأن المؤذنين، يدعون الناس إلى الصلاة.

{وَعَمِلَ صالحا} يعني: صلى بين الأذان، والإقامة. ويقال: الأنبياء يدعون الخلق إلى توحيد الله تعالى {عَمِلَ صالحا} يعني: الطاعات. ويقال: العلماء يعلمون الناس أمور دينهم، ويدعونهم إلى طريق الآخرة {وَعَمِلَ صالحا} يعني: عملوا بالعلم. ويقال: نزلت الآية في الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر. يعني: يأمرون بالمعروف، ويعملون به، ويصبرون على ما أصابهم.

قوله: {وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ المسلمين} يعني: أكون على دين الإسلام، لأنه لا تقبل طاعة بغير دين الإسلام.
فقال عز وجل: {وَلاَ تَسْتَوِى الحسنة وَلاَ السيئة} قال الزجاج: لا زائدة، مؤكدة، والمعنى: {لا تَسْتَوِى الحسنة} يعني: لا تستوي الطاعة، والمعصية. ولا يستوي الكفر، والإيمان. ويقال: لا يستوي البصير، والأعمى. ويقال: لا يستوي الصبر، والجزع، واحتمال الأذى، والإساءة. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤذيه أبو جهل لعنة الله عليه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره رؤيته بُغْضاً له، فأمره الله تعالى بالعفو، والصفح، فقال: {لقادرون ادفع بالتى هِىَ أَحْسَنُ} يعني: ادفع بالكلمة الحسنة، الكلمة القبيحة، {فَإِذَا الذى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ} يعني: إذا فعلت ذلك، يصير الذي بينك وبينه عداوة، بمنزلة القرابة في النسب.
قوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الذين صَبَرُواْ} يعني: الكلمة الحسنة، ودفع السيئة، ما يعطاها إلا الذين صبروا على طاعة الله، وأداء الفرائض، {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظّ عَظِيمٍ} يعني: ذو نصيب وافر في الآخرة.
ويقال: {ادفع بالتى هِىَ أَحْسَنُ} يعني: بقول لا إله إلا الله السيئة. يعني: الشرك. {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الذين صَبَرُواْ} على كظم الغيظ.
ثم قال: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ} يعني: يصيبك {مِنَ الشيطان نَزْغٌ} يعني: وسوسة على الاحتمال، {فاستعذ بالله} من شره، وامض على احتمالك. وقال مقاتل: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ} يعني: يفتتنك مِنَ الشَّيْطَانِ. {نَّزغَ} أي: فتنة. وقال الكلبي: الذنب عند دفع السيئة. ويقال: {يَنزَغَنَّكَ} يعني: يغوينك {فاستعذ بالله} يعني: تعوذ بالله، {إِنَّهُ هُوَ السميع} للاستعاذة، {العليم} بقول الكفار وعقوبتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [37- 39]

{وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (38) وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)}
{وَمِنْ ءاياته} يعني: من علامات وحدانيته، {وَمِنْ ءاياته اليل والنهار والشمس والقمر لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ} يعني: خلق الشمس، والقمر، والليل،

والنهار، دلالة لوحدانيته، لتعرفوا وحدانيته فتعبدوه، ولا تعبدوا هذه الأشياء، {واسجدوا لِلَّهِ الذى خَلَقَهُنَّ} يعني: اعبدوا خالق هذه الأشياء، واسجدوا له، وأطيعوه، {إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} يعني: إن أردتم بعبادة الشمس، والقمر، رضا الله تعالى. فإن رضاه أن تعبدوه، ولا تعبدوا غيره.

ويقال: {إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} يعني: إن أردتم بعبادتهما عبادة الله تعالى، فاعبدوا الله، وأطيعوه، ولا تسجدوا لغيره، {فَإِنِ استكبروا} يعني: تكبروا عن السجود لله تعالى، وعن توحيده.

{فالذين عِندَ رَبّكَ} يعني: الملائكة، {يُسَبّحُونَ لَهُ} يعني: يصلون لله تعالى {الذين يُنفِقُونَ} يقال: هو التسبيح بعينه. يعني: يسبحونه، ويذكرونه، {وَهُمْ لاَ يَسْئَمُونَ} يعني: لا يملون من الذكر، والعبادة، والتسبيح.

قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته} أي: من علامات وحدانيته، {أَنَّكَ تَرَى الارض خاشعة} أي: غبراء، يابسة، لا نبت فيها، {فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الماء} يعني: المطر {اهتزت} يعني: تحركت بالنبات، {وَرَبَتْ} أي: علت يعني: انتفخت الأرض إذا أرادت أن تنبت {إِنَّ الذى أحياها} بعد موتها {فانظر إلى} للبعث في الآخرة، {إِنَّهُ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} أي: من البعث وغيره.

▲ تفسير الآيات رقم [40- 42]

{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)}

قوله تعالى: {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فِى ءاياتنا} قال مقاتل: يعني: يميلون عن الإيمان بالقرآن. وقال الكلبي: يعني: يميلون في آياتنا بالتكذيب. وقال قتادة: الإلحاد التكذيب. وقال الزجاج: أي يجعلون الكلام على غير وجهه. ومن هذا سمي اللحد لحداً، لأنه في جانب القبر. قرأ حمزة: {يُلْحِدُونَ} بنصب الحاء، والياء. والباقون: بضم الياء، وكسر الحاء، ومعناهما واحد، لحد وألحد بمعنى واحد.

قوله: {لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} أي: لا يقدرون على أن يهربوا من عذابنا، ولا يستترون منا، {أَفَمَن يلقى فِى النار} يعني: أبا جهل وأصحابه، {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فِى} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم. ويقال: نزلت في شأن جميع

الكفار، وجميع المؤمنين. يعني: من كان مرجعه إلى النار، حاله يكون خيراً أم حال من يدخل الجنة.
ثم قال لكفار مكة: {إعملوا مَا شِئْتُمْ} لفظه لفظ التخيير والإباحة، والمراد به التوبيخ، والتهديد، لأنه بيّن مصير كل عامل.
ثم قال تعالى: {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} من الخير، والشر.
قوله تعالى: بصير أي: عالم {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بالذكر لَمَّا جَاءهُمْ} يعني: جحدوا بالقرآن لما جاءهم، {وَأَنَّهُ} يعني: القرآن، {لكتاب عَزِيزٌ} يعني: كريم عند المؤمنين. ويقال: كريم على الله، أنزله آخر الكتب. وقال مقاتل: كتاب عزيز يعني: منيع عن الباطل. ويقال: عزيز لا يوجد مثله في النظم، وكثرة فوائده.
{لاَّ يَأْتِيهِ الباطل مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ} قال الكلبي ومقاتل: {لاَّ يَأْتِيهِ الباطل} أي: لا يأتيه التكذيب من الكتاب الذي قبله، كل يصدق هذا، ولا يجيء من بعده كتاب يكذبه. وقال قتادة: {لاَّ يَأْتِيهِ الباطل مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ} يعني: لا يستطيع الشيطان أن يبطل منه حقاً، ولا يؤيد فيه باطلاً. قال أبو الليث: حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الباغندي. قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أمتك ستفترق من بعدك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلَى». فقالوا: ما المخرج منها. فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. من ابتغى العلم في غيره، أضله الله، ومن حكم بغيره، قصمه الله، وهو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، فيه خبر من كان قبلكم، وبيان من بعدكم، والحكم فيما بينكم هو الفصل المبين، وهو الفصل، وليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن، فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً لا يخلق على طول الدهر، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، ثم قال للحارث خذها إليك يا أعور.
ثم قال: {تَنزِيلٌ مّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} يعني: القرآن تنزيل من الله تعالى، الحكيم في أمره، المحمود في فعاله. وقال بعضهم: قوله: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بالذكر لَمَّا جَاءهُمْ}، لم يذكر جوابه، وجوابه مضمر. وقال بعضهم: جوابه في قوله: {وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} ويقال: جوابه في قوله {وَلَوْ جعلناه قُرْءاناً أعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ ءاياته ءاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ

والذين لاَ يُؤْمِنُونَ فى ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أولئك يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت: 44].

▲ تفسير الآيات رقم [43- 46]

{مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (43) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (45) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)}

قوله تعالى: {مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ} يعني: اصبر على مقالة الكفار، فإنهم لا يقولون من التكذيب لك، إلا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب. ويقال: معناه {مَّا يُقَالُ لَكَ} يعني: لا يؤمر لك. يعني: في الرسالة إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، بأن يعبدوا الله. فيقال لك: أن تعبد الله أيضاً. ويقال: {مَّا يُقَالُ لَكَ} إلا بأن تبلغ الرسالة، {إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ} بأن يبلغوا الرسالة، {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةَ} قال مقاتل: أي ذو تجاوز في تأخير العذاب عنهم إلى أجلهم. وقال الكلبي: {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةَ} لمن تاب من الشرك، {وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} لمن لم يتب، ومات على الكفر.

قوله عز وجل: {وَلَوْ جعلناه قُرْءاناً أَعْجَمِيّاً} يعني: لو أنزلناه بلسان العبرانية، {لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصّلَتْ ءاياته} يعني: هلا بيّن بالعربية. {ءاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ} ويقولون: القرآن أعجمي، والرسول عربي، فكان ذلك أشد لتكذيبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية أبي بكر: بهمزتين بغير مد. والباقون بهمزة واحدة مع المد، ومعناهما واحد ويكون على معنى الاستفهام. وقرأ الحسن {أَعْجَمِىٌّ} بهمزة واحدة بغير مد. ويكون على غير وجه الاستفهام. وقرأ بعضهم {أَعْجَمِىٌّ} بنصب العين، والجيم. يقال: رجل عجمي إذا كان من العجم، وإن كان فصيحاً. ورجل أعجمي إذا كان لا يفصح، وإن كان من العرب.

ثم قال تعالى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ هُدًى} يعني: القرآن هدى للمؤمنين من الضلالة، {وَشِفَاء} أي: شفاء لما في الصدور من العمى، {والذين لاَ يُؤْمِنُونَ} بالآخرة، {وَلَوْ جعلناه قُرْءاناً} يعني: ثقل، وصمم، {وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} عَمي بالكسر على معنى النعت، وقراءة العامة بالنصب. يعني: القرآن عليهم حجة،

وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: يعني: عموا عنه فلا ينظرونه، ولا يفهمونه. وروي عن ابن عباس أنه قرأ: {وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} بالكسر على معنى النعت، وقراءة العامة بالنصب، على معنى المصدر. كما أنه قال: {هُدًى وَشِفَاء} على معنى المصدر.

ثم قال: {أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} وهذا على سبيل المثل. يقال للرجل إذا قل فهمه: إنك تنادي من مكان بعيد يعني: إنك لا تفهم شيئاً ويقال ينادون من مكان بعيد. يعني: من السماء. وقال مجاهد: يعني: بعيداً من قلوبهم. وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة من مكان بعيد، فينادى الرجل بأشنع أسمائه. يعني: يقال له يا فاسق، يا منافق يا، كذا يا كذا.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسى الكتاب} يعني: أعطينا موسى التوراة، ويقال: الألواح.

قوله: {فاختلف فِيهِ} يعني: صدق بعضهم، وكذب بعضهم، {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبّكَ} يعني: وجبت بتأخير العذاب، {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} يعني: لفرغ من أمرهم، ولهلك المكذب. {وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكّ مّنْهُ مُرِيبٍ} يعني: من العذاب بعد البعث {مُرِيبٍ} لا يعرفون شكهم. ويقال: {مُرِيبٍ} أي: ظاهر الشك. ويقال: {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبّكَ} بتأخير العذاب عن هذه الأمة إلى يوم القيامة، لأتاهم العذاب، إذ كذبوه كما فعل بغيرهم.

قوله تعالى: {مَّنْ عَمِلَ صالحا فَلِنَفْسِهِ} يعني: ثوابه لنفسه، {وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا} يعني: العذاب على نفسه، {وَمَا رَبُّكَ بظلام لّلْعَبِيدِ} يعني: لا يعذب أحداً بغير ذنب.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 50]

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (47) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (48) لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (49) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (50)}

قوله تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ الساعة} يعني: لا يعلم قيام الساعة أحد إلا الله. يعني: يرد الخلق كلهم علم قيام الساعة إلى ربهم. {وَمَا تَخْرُجُ مِن ثمرات مّنْ

أَكْمَامِهَا} يعني: من أجوافها. يعني: حين تطلع، وغلاف كل شيء كمه أي: تخرج من موضعها الذي كانت فيه. قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، في إحدى رواية حفص: {مِن ثمرات} بلفظ الجمع. والباقون: {مِن ثَمَرَةٍ} بلفظ الواحد.
ثم قال: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أنثى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ} يعني: إلا وهو يعلمه، ولا يعلم أحد قبل الولادة، قبل صفته، ولا يعلم أحد بعد وضعه، كم أجله. {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: يدعوهم، {أَيْنَ شُرَكَائِىَ} يعني: الذين كنتم تدعون من دون الله، {قَالُواْ ءاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ} يعني: أعلمناك، وقلنا لك: {مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ} يعني: يشهد بأن لك شريك تبرؤوا من أن يكون مع الله شريك. وقالوا: ما منا من أحد يشهد لك أنه عبد أحد دونك. وقال القتبي: هذا قول الآلهة التي كانوا يعبدون في الدنيا. ما منا من شهيد لهم كما قالوا. وادعوه في الدنيا فينا. {وَضَلَّ عَنْهُم} يعني: بطل عنهم، {مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ} في الدنيا، {وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مّن مَّحِيصٍ} يعني: علموا، واستيقنوا ما لهم من ملجأ، ولا مفر من النار.
قوله تعالى: {وَ لاَّ يَسْئَمُ} يعني: لا يمل الكافر. قال الضحاك: نزلت في شأن النضر بن الحارث. {مِن دُعَاء الخير} يعني: من سؤال الخير. يعني: العافية في الجسد، والسعة في الرزق.
{وَإِن مَّسَّهُ الشر} يعني: أصابته الشدة، والبلاء، والفقر، {فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} يعني: آيساً من الخير، قانطاً من رحمة الله تعالى. ويقال: لا يمل من دعاء الخير، وإذا نزلت به شدة. يقول: اللهم عافني، وإذا مسه الشر {فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} يعني: آيساً من معبوده.
{وَلَئِنْ أذقناه رَحْمَةً مّنَّا} يعني: أصبناه عافية منا، وَغِنًى، {مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ} يعني: من بعد شدة أصابته، {لَيَقُولَنَّ هذا لِى} يعني: أنا أهل لهذا، ومستحق له. ويقال: أنا أحق بهذا. ويقال: هذا بعملي، وأنا محقوق به.
{وَمَا أَظُنُّ الساعة قَائِمَةً} يعني: ما أحسب القيامة كائنة، {وَلَئِن رُّجّعْتُ إلى رَبّى} يعني: يوم القيامة، {إِنَّ لِى عِندَهُ للحسنى} يعني: الجنة ولئن كان يوم القيامة، كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلي الجنة.
يقول الله تعالى: {فَلَنُنَبّئَنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: لنخبرنهم، {بِمَا عَمِلُواْ} من أعمالهم الخبيثة، {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ} يعني: لنجزينهم، {مّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} يعني: عذاب شديد لا يفتر عنهم.

▲ تفسير الآيات رقم [51- 54]

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (51) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54)}

قوله تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} يعني: أعرض الكافر، فلا يدعو ربه. وقال الكلبي: أعرض عن الإيمان. {وَنَأَى بِجَانِبِهِ} يعني: تباعد بجانبه عن الدعاء، وعن الإيمان. {وَإِذَا مَسَّهُ الشر} يعني: أصابته الشدة {فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ} قال مقاتل والكلبي: يعني: كثيراً. ويقال: يعني: طويلاً. فإن قيل: قد قال في موضع. {وَإِذَا مَسَّهُ الشر فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} وقال في موضع آخر: {فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ} مرة ذكر أنه يؤوس، ومرة أُخرى ذكر أنه يدعو، فكيف هذا؟ قيل له: هذا في شأن رجل، وهذا في شأن رجل آخر، ويجوز أن يكون في شأن إنسان واحد. {وَإِذَا مَسَّهُ الشر فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} عن كل معبود دون الله، فيدعو الله دائماً.

فقال عز وجل: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ الله} يعني: إن كان هذا الكتاب من عند الله، {ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ} يعني: جحدتم أنه ليس من عند الله، ماذا تقولون؟ وماذا تجيبون؟ وماذا تحتالون. إذا نزل بكم العذاب يوم القيامة؟

{مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ} أي: في خلاف طويل، بعيد عن الحق.

قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الافاق} يعني: عذابنا في البلاد، مثل هلاك عاد، وثمود، وقوم لوط، وهم يرون إذا سافروا، آثارهم، وديارهم. {وَفِى أَنفُسِهِمْ} يبتلون بأنفسهم من البلايا. ويقال: من قتل أصحابهم الكفار في الحرب، {حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحق} يعني: إن الذي قلت هو الحق، فيصدقونك.

وقال مجاهد: {سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الافاق} يعني: ما يفتح الله عليهم من القرى، {وَفِى أَنفُسِهِمْ} قال: فتح مكة. وقال الضحاك: معناه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بعلامة، فانشق القمر نصفين. فقال: أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كان القمر قد انشق، فهي آية. ثم قال: يا معشر قريش، إن محمداً قد سحر القمر، فوجهوا رسلكم إلى الآفاق. هل عاينوا القمر؟ إنْ كان كذلك، فهي آية وإلا فذلك سحر، فوجهوا. فإذا أهل الآفاق، يتحدثون بانشقاقه. فقال أبو جهل عليه اللعنة: هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِر. يعني: ذاهباً في الدنيا.

فنزل {سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الافاق وَفِى أَنفُسِهِمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحق} وقال بعض المتأخرين. {سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الافاق} ما وضع في العالم من الدلائل، وفي أنفسهم ما وضع فيها من الدلائل، التي تدل على وحدانية الله تعالى، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق ينطق بالوحي فيما يقول. وهذا كما قال: {وَفِى الارض ءايات لِلْمُؤْمِنِين وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}.

قوله تعالى: {أَوَ لَم يَكْفِ بِرَبّكَ} شاهداً أن القرآن من الله تعالى، {أَنَّهُ على كُلّ شَىْء شَهِيدٌ} أي: عالم بأعمالهم، بالبعث وغيره.

وقال الكلبي: {أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبّكَ} يعني: أنه قد أخبرهم بذلك، وإن لم يسافروا. ويقال: {أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبّكَ} ومعنى الكفاية هاهنا، أنه قد بيّن لهم ما فيه كفاية، بالدلالة على توحيده، وتثبيت رسله.

ثم قال: {أَلاَ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مّن لّقَاء رَبّهِمْ} ألا: كلمة تنبيه. يعني: اعلم أنهم في شك من البعث، {أَلاَ إِنَّهُ بِكُلّ شَىْء مُّحِيطٌ} يعني: ألا إن الله تعالى عالم بأعمالهم، وعقوبتهم، والإحاطة إدراك الشيء بكماله. يعني: أحاط علمه سبحانه وتعالى بكل شيء من البعث، وغيره، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وسلم.

سورة الشورى

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{حم (1) عسق (2) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4)}

قوله تبارك وتعالى: {حم عسق} روي عن ابن عباس أنه قال: الحاء حكم الله، والميم ملك الله، والعين علو الله، والسين سناء الله، والقاف قدرة الله. فكأنه يقول: فبحكمي، وملكي، وعلوي، وسنائي، وقدرتي، لا أعذب عبداً قال: لا إله إلا الله، مخلصاً، فلقيني بها. ومعنى قول ابن عباس: لا يعذب عبداً يعني: لا يعذبه عذاباً دائماً، خالداً. وروى المسيب عن رجل، عن أبي عبيدة، قال: العين عذاب الله، والسين سنون، والقاف فيها القحط العجب. قال: وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «افْتَحُوا صِبْيَانُكُمْ قَوْلَ لا إله إلاَّ الله، وَلَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إله إلاَّ الله» الحِكْمَةُ فِي ذلك، لأن حال الصبيان حال حسن، لا غل، ولا غش في قلوبهم، وحال الموتى حال الاضطرار. فإذا قلتم ذلك في أول ما يجري عليكم القلم، وآخر يجف القلم فعسى الله أن يتجاوز ما بين ذلك. قال المسيب: وحدثنا محدث قال: قاف قذف؛ وقال الضحاك: في قوله: {حم عسق} قال: قضى عذاب سيكون واقعاً، وأرجو أن يكون قد مضى يوم بدر، والسنون. وقال شهر بن حوشب: {حم عسق} حرب يذل فيه العزيز، ويعز فيه الذليل من قريش، ثم يفضي إلى العرب، ثم إلى العجم، ثم هي متصلة إلى خروج الدجال. وقال عطاء: الحاء حرب، وهو موت ذريع في الناس، وفي الحيوان، حتى يبيدهم، ويفنيهم، والميم تحويل ملك من قوم إلى قوم، والعين عدو لقريش يركبهم، ثم ترجع الدولة إليهم بحرمة البيت، والسين هو استئصال بالسنين كسني يوسف، والقاف قدر من الله نافذ في ملكوت الأرض، لا يخرجون من قدره، وهو نافذ فيهم. وقال السدي: الحاء حلمه، والميم ملكه، والعين عظمته، والسين سناؤه، والقاف قدرته. وقال قتادة: هو اسم من أسماء الله تعالى. ويقال اسم من أسماء القرآن.

ثم قال تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ} يعني: أوحى الله إليك ب {حم عسق} كما أوحى الله بها إلى الذين كانوا من قبلك. وقال ابن عباس:

ليس من نبي وإلا وقد أوحى الله تعالى إليه ب {حم عسق} كما أوحى الله بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قرأ ابن كثير: {يوحى إِلَيْكَ} بالألف، على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: {يُوحِى} بالكسر. يعني: هكذا يوحي الله إليك. وقرئ في الشاذ (نوحي) بالنون.

ثم قال: {الله العزيز} بالنقمة على من لم يجب الرسل، {الحكيم} حكم بإنزال الوحي عليك. وقال مقاتل: {كَذَلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ} يعني: في أمر العذاب.

قوله عز وجل: {لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض} يعني: من خلق، {وَهُوَ العلى} يعني: لرفعي {العظيم} فلا شيء أعظم منه. يعني: عظيم قدرته.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 10]

{تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (6) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)}

قوله تعالى: {تَكَادُ السموات يَتَفَطَّرْنَ} يعني: يتشققن، {مِن فَوْقِهِنَّ} يعني: تكاد أن يتشققن من قدرة الله، وهيبته. يعني: من هيبة الرحمن، وجلاله، وعظمته. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وعاصم، في رواية حفص: {تَكَادُ السموات} بالتاء، بلفظ التأنيث، {يَتَفَطَّرْنَ} بالتاء بلفظ التأنيث. وقرأ أبو عمرو، وعاصم، في رواية أبي بكر: {تَكَادُ} بالتاء بلفظ التأنيث، {يَنْفَطِرْنَ} بالنون. وقرأ الباقون: بالياء بلفظ التذكير {السماوات يَتَفَطَّرْنَ} بالياء.

ثم قال: {والملائكة يُسَبّحُونَ بِحَمْدِ رَبّهِمْ} يعني: يسبحونه، ويذكرونه، {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض} يعني: للمؤمنين. وروى داود بن قيس قال: دخلت على وهب بن منبه، فَسُئِلَ عن قوله: {الذين يَحْمِلُونَ العرش وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَئ رَّحْمَةً وَعِلْماً فاغفر لِلَّذِينَ تَابُواْ واتبعوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ

الجحيم} [غافر: 7] قال: للمؤمنين منهم. وفي رواية أنه قال: نسختها الآية التي في سورة المؤمن حيث قال: {الذين يَحْمِلُونَ العرش وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَئ رَّحْمَةً وَعِلْماً فاغفر لِلَّذِينَ تَابُواْ واتبعوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجحيم} [غافر: 7]. وروى معمر عن قتادة قال: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض} قال: للمؤمنين منهم. قال أبو الليث رحمه الله: هذا الذي روي عن قتادة أصح، لأن النسخ في الأخبار لا يجوز، وإنما في الأمر، والنهي.

ثم قال: {أَلاَ إِنَّ الله هُوَ الغفور} لذنوبهم، {الرحيم} بهم في الرزق. ويقال: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض} يعني: يسألون لهم الرزق.

قوله عز وجل: {والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} يعني: عبدوا من دون الله {أَوْلِيَاء} يعني: أصناماً. {الله حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} يعني: يحفظ أعمالهم، ويقال: شهيد عليهم، {وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} يعني: بمسلط، لتجبرهم على الإيمان. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءاناً عَرَبِيّاً} يعني: هكذا أنزلنا عليك جبريل بالقرآن، ليقرأ عليك القرآن بلغتهم، ليفهموه. {لّتُنذِرَ أُمَّ القرى} يعني: لتخوف بالقرآن أهل مكة، {وَمَنْ حَوْلَهَا} من البلدان، {وَتُنذِرَ يَوْمَ الجمع} يعني: لتنذرهم بيوم القيامة. والباء محذوفة منه كما قال: {لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا} يعني: ببأس شديد. وإنما سمي يوم الجمع، لأنه يجتمع فيه أهل السماء، وأهل الأرض كلهم، من الأولين والآخرين. {لاَ رَيْبَ فِيهِ} يعني: يوم القيامة لا شك فيه أنه كائن. {فَرِيقٌ فِى الجنة} وهم المؤمنون، {وَفَرِيقٌ فِى السعير} وهم الكافرون.

قوله تعالى: {وَلَوْ شَاء الله لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحدة} يعني: على ملة واحدة، وهو الإسلام. {ولكن يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِى رَحْمَتِهِ} يعني: يكرم بدينه من يشاء، من كان أهلاً لذلك، ويدخله في الآخرة في رحمته.

أي: في جنته {والظالمون مَا لَهُمْ مّن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ} يعني: الكافرين ليس لهم مانع يمنعهم من العذاب، ولا ناصر ينصرهم.

قوله تعالى: {أَمِ اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} يعني: عبدوا من دون الله أرباباً، {فالله هُوَ الولى} يعني: هو أولى أن يعبدوه. ويقال: الله هو الولي. يعني: هو الرب، وهو إله السموات، وإله الأرض. ويقال: هو الولي لمصالحهم، ينزل المطر بعد المطر، {وَهُوَ يُحْىِ الموتى} يعني: يحيهم بعد

الموت. ويقال: يحيي قلوبهم بالمعرفة، {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: قادر على ما يشاء.
قوله تعالى: {وَمَا اختلفتم فِيهِ مِن شَئ} يعني: إذا اختلفتم في أمر الدين، {فَحُكْمُهُ إِلَى الله} يعني: علمه عند الله، {ذَلِكُمُ الله رَبّى} يعني: الذي ذكر هو الله ربي، {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} يعني: فوضت أمري إليه سبحانه، {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} يعني: أقبل إلى الله تعالى بالطاعة.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 15]

{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)}
{فَاطِرَ السموات والارض} يعني: هو خالق السموات والأرض، {جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يعني: أصنافاً ذكراً، وأنثى، {وَمِنَ الانعام أزواجا} يعني: أصنافاً، ذكراً، وأنثى. وقال القتبي: {جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يعني: من جنسكم إناثاً، {وَمِنَ الانعام أزواجا} يعني: إناثاً، {يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} يعني: يخلقكم فيه. أي: من الرحم. وقال الكلبي: {يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} يعني: يكثرهم في التزويج. وقال مقاتل: يعيشكم فيما جعل لكم من الذكور والإناث من الأنعام.
ثم قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ} في القدرة. وقال أهل اللغة: هذا الكاف مؤكدة. أي: ليس مثله شيء. ويقال: المثل صلة في الكلام. يعني: ليس هو كشيء، {وَهُوَ السميع البصير} يعني: هو السميع لمقالتهم، البصير بهم وبأعمالهم. ومعنى الآية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ} لأنه الخالق، العالم بكل شيء، والقادر على ما يشاء، {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحى القيوم لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض مَن ذَا الذى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والارض وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العلى العظيم} [البقرة: 255] وهذه المعاني بعيدة من غيره.
ثم قال عز وجل: {لَّهُ مَقَالِيد السموات والارض} يعني: خزائن السموات والأرض وهو المطر، وخزائن الأرض وهو النبات، {يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء} يعني: يوسع الرزق على من كان صلاحه في ذلك، {وَيَقْدِرُ} يعني: يقتر على من كان صلاحه في ذلك، {إِنَّهُ بِكُلِّ شَئ عَلِيمٌ} من البسط، والتقتير.
قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مّنَ الدين} قال مقاتل: أي بيّن لكم الدين، وهو الإسلام. و{مِنْ} هاهنا صلةِ وقال الكلبي: اختار لكم من الدين. ومعناه: اختار لكم ديناً من الأديان، وأكرمكم به.
ثم قال: {مَا وصى بِهِ نُوحاً} يعني: الدين الذي أمر به نوحاً أن يدعو الخلق إليه، وأن يستقيم عليه، {والذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} يعني: الذي أوحينا إليك بأن تدعو الناس إليه: {وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ} يعني: والدين الذي أمرنا به {إِبْرَاهِيمَ وموسى وعيسى} ثم بيّن ما أمرهم به، فقال: {أَنْ أَقِيمُواْ الدين} يعني: أقيموا التوحيد، {وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ} يعني: لا تختلفوا في التوحيد، {كَبُرَ عَلَى المشركين} يعني: على مشركي مكة {مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} وهو التوحيد. وقال أبو العالية: {أَنْ أَقِيمُواْ الدين} قال: الإخلاص لله في عبادته، لا شريك له، ولا تتفرقوا فيه. قال: لا تتعالوا فيه، وكونوا عباد الله إخواناً {كَبُرَ عَلَى المشركين مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} يعني: الإخلاص لله تعالى.
ويقال: {أَنْ أَقِيمُواْ الدين} يعني: ارفقوا في الدين. اتفقوا ولا تتفرقوا فيه. يعني: لا تختلفوا فيه، كما اختلف أهل الكتاب.
ثم قال: {الله يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاء} أي: يختار لدينه من يشاء، من كان أهلاً لذلك، {وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} يعني: يرشد إلى دينه، من يقبل إليه. ويقال: يهدي من كان في علمه السابق أنه يتوب ويرجع. ويقال: {مَن يُنِيبُ} يعني: من يجتهد بقلبه. كما قال: {والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} قوله تعالى: {وَمَا تَفَرَّقُواْ} يعني: مشركي مكة ما تفرقوا في الدين، {إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم} في كتابهم. يعني: جاءهم محمد بالبينات. ويقال: {وَمَا تَفَرَّقُواْ} يعني: أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم في كتابهم. يعني: من نعت محمد صلى الله عليه وسلم {بَغْياً بَيْنَهُمْ} يعني: حسداً فيما بينهم، لأنه كان من العرب. وروى معمر عن قتادة أنه تلى: {وَمَا تَفَرَّقُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم} قال:

إياكم والفرقة فإنها مهلكة. وروي في الخبر: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَة وآفَةُ الدِّينِ الهَوَى». ثم قال: {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبّكَ إلى أَجَلٍ مٌّسَمًّى} يعني: بتأخير العذاب إلي وقت معلوم. {لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ} يعني: لفرغ منهم بالهلاك. {وَإِنَّ الذين أُورِثُواْ الكتاب} يعني: أعطوا التوراة، والإنجيل، {مّن بَعْدِهِمْ} يعني: من بعد نوح، وإبراهيم. وقال مقاتل: يعني: من بعد الأنبياء {لَفِى شَكّ مّنْهُ} يعني: من القرآن {مُرِيبٍ} أي: ظاهر الشك.

وقوله تعالى: {فَلِذَلِكَ فادع} يعني: فإلى ذلك ادعهم يعني: إلى القرآن، ويقال: إلى التوحيد {واستقم كَمَا أُمِرْتَ} يعني: استقم عليه كما أمر {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ} يعني: لا تعمل بهواهم، وذلك حين دعوه إلى ملة آبائه {وَقُلْ ءامَنتُ} يعني: صدقت {بِمَا أَنزَلَ الله مِن كتاب} يعني: بجميع ما أنزل الله من الكتب عليَّ وعلى من كان قبلي {وَأُمِرْتُ لِاعْدِلَ بَيْنَكُمُ} وهو الدعوة إلى التوحيد، وإلى قول: لا إله إلا الله {الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} يعني: خالقنا وخالقكم {لَنَا أعمالنا وَلَكُمْ أعمالكم} يعني: لنا ديننا، ولكم دينكم {لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} يعني: لا خصومة بيننا وبينكم، يوم القيامة {وَإِلَيْهِ المصير} يعني: إليه المرجع في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 20]

{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (18) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (19) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)}

قوله تعالى: {والذين يُحَاجُّونَ فِى الله} يعني: يخاصمون في توحيد الله ودين الله {مِن بَعْدِ مَا استجيب لَهُ} يعني: من بعد ما أجابوا إياه، أي: بعد ما أجاب المؤمنون بتوحيد الله لنبيه. وقال مجاهد: طمع رجال بأن يعودوا إلى الجاهلية فنزل {والذين يُحَاجُّونَ فِى الله} إلى قوله: {حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ} وروى معمر عن قتادة قال: والذين يحاجون في الله، يعني: في دينه قال: هم اليهود، والنصارى. قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم. فنزل {والذين يُحَاجُّونَ فِى الله} أي: في دين الله {مِن بَعْدِ مَا استجيب لَهُ}

يعني: من بعد ما دخل الناس في الإسلام {حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ} يعني: خصومتهم باطلة. ويقال: احتجاجهم زائل، ساقط. يقال دحض أي: زال، ومعناه: ليس لهم حجة. وسمى قولهم حجة على وجه المجاز، يعني: حجتهم كما قال: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءالِهَتَهُمُ} يعني: الآلهة بزعمهم، ولم يكونوا آلِهَة في الحقيقة {عِندَ رَبّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ} يعني: كما يكابرون عقولهم {وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} بما كانوا يفعلون.

قوله عز وجل: {الله الذى أَنزَلَ الكتاب بالحق والميزان} أي: لبيان الحق، وأنزل الميزان وهو العدل ويقال: وأنزل الميزان في زمان نوح. ويقال: هي الحدود والأحكام والأمر والنهي. قوله: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة قَرِيبٌ} يعني: قيام الساعة قريب. وهذا كقوله: {اقتربت الساعة} وقال تعالى: {لَعَلَّ الساعة قَرِيبٌ} ولم يقل قريبة، لأن تأنيثها ليس بحقيقي، ولأنه انصرف إلى المعنى، يعني: للبعث. قوله تعالى: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا} يعني: إنَّ المشركين كانوا يقولون: {متى هذا الوعد إِن كُنتُمْ صادقين} ويقولون: {رَبَّنَا عَجّل لَّنَا قِطَّنَا} {والذين ءامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا} يعني: خائفين من قيام الساعة، لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون، محاسبون {وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحق} يعني: يعلمون أن الساعة كائنة. {أَلاَ إِنَّ الذين يُمَارُونَ فَى الساعة} يعني: يشكون ويخاصمون فيها. {لَفِى ضلال بَعِيدٍ} أي: في خطأ طويل، بعيد عن الحق.

قوله عز وجل: {الله لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ} يعني: عالم بعباده. ويقال: رحيم بعباده، ويقال اللطيف الذي يرزقهم في الدنيا، ولا يعاقبهم في الآخرة. ويقال: اللطيف بعباده، بالبر، والفاجر لا يهلكهم جوعاً {يَرْزُقُ مَن يَشَاء} بغير حساب. ويقال يزرق من يشاء، مقدار ما يشاء، في الوقت الذي يشاء {وَهُوَ القوى} على هلاكهم. {العزيز} يعني: المنيع لا يغلبه أحد.

قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الاخرة} يعني: ثواب الآخرة بعمله. {نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ} يعني: ينال كليهما {وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدنيا} يعني: ثواب الدنيا بعمله.

{نُؤْتِهِ مِنْهَا} يعني: نعطه منها. {وَمَا لَهُ فِى الاخرة مِن نَّصِيبٍ} لأنه عمل لغير الله تعالى. قال أبو الليث رحمه الله: حدّثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدّثنا محمد بن عقيل قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل الصايغ قال: حدّثنا الحجاج قال: حدّثنا شعبة، عن عمر بن سليمان، عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ كانَتْ نِيَّتُهُ الآخِرَةَ

جَمَعَ الله شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَرَّقَ الله عَلَيْهِ أمْرَهُ، وَجعلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا كَتَبَ الله لَهُ». وقال القتبي: الحرث في اللغة العمل. يعني: من كان يريد بحرثه، أي: بعمله {الاخرة} نضاعف له الحسنات. ومن أراد بعمله الدنيا أعطيناه ولا نصيب له في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [21- 23]

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)}

قوله عز وجل: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء} يعني: ألهم آلهة دوني. {شَرَعُواْ لَهُمْ مّنَ الدين} أي: بينوا لهم من الدين {مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ الله} يعني: ما لم يأمر به. ويقال: معناه ألهم آلهة ابتدعوا لهم من الدين. أي: من الشريعة والطريقة. ويقال: سنوا لهم ما لم يأذن به الله، يعني: ما لم ينزل به الله من الكتاب والدين {وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الفصل} يعني: القضاء الذي سبق، ألا يعذب هذه الأمة، ويؤخر عذابهم إلى الآخرة. {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} يعني: أنزل بهم العذاب في الدنيا {وَإِنَّ الظالمين} يعني: المشركين. {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

قوله تعالى: {تَرَى الظالمين} يعني: ترى الكافرين يوم القيامة. {مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ} يعني: خائفين مما عملوا في الدنيا {وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ} يعني: نازل بهم ما كانوا يحذرون. {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الذين صدقوا بالتوحيد، وأدّوا الفرائض، والسنن {فِى روضات الجنات} يعني: في بساتين الجنة. {لَهُمْ مَّا يَشَآءونَ عِندَ رَبّهِمْ} من الكرامة. {ذَلِكَ هُوَ الفضل الكبير} يعني: المن العظيم.

قوله تعالى: {ذَلِكَ الذى يُبَشّرُ الله} يعني: ذلك الثواب الذي يبشر الله {عِبَادِهِ} في الدنيا قرأ حمزة، والكسائي، وابن كثير، وأبو عمرو {يُبَشّرُ} بنصب الياء، وجزم الباء، وضم الشين مع التخفيف. والباقون بالتشديد وقد ذكرناه {الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: يبشرهم بتلك الجنة، وبذلك الثواب ثم قال: {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً} يعني: قل يا محمد لأهل مكة، لا أسألكم عليه

أجراً، أي على ما جئتكم به أجراً {إِلاَّ المودة فِى القربى} قال مقاتل: يعني: إلا أن تصلوا قرابتي، وتكفوا عني الأذى.
ثم نسخ بقوله: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مّن أَجْرٍ لَكُمْ} ويقال: {إِلاَّ المودة فِى القربى} يعني: إلاَّ، ألاَّ تؤذونني بقرابتي منكم. قال ابن عباس: ليس حي من أحياء العرب إلا وللنبي عليه السلام فيه قرابة.
وقال الحسن: إلا المودة في القربى، يعني: إلا أن تتوددوا إلى الله تعالى، بما يقربكم منه، وهكذا قال مجاهد، وقال سعيد بن جبير: إلا المودة في القربى، يعني: إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم.
ثم قال: {وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً} يعني: يكتسب حسنة، {نَزِدْ فِيهَا حُسْناً} يعني: للواحد عشرة. ويقال: نزد له التوفيق في الدنيا، ونضاعف له الثواب في الآخرة. {إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ} يعني: غفور لمن تاب، شكور يقبل اليسير، ويعطي الجزيل.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 30]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (24) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (26) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)}
قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افترى عَلَى الله كَذِباً} يعني: تقوله من ذات نفسه، ولم يأمره الله تعالى. قال الله تعالى: {فَإِن يَشَإِ الله يَخْتِمْ على قَلْبِكَ} يعني: يحفظ قلبك، حتى لا تدخل في قلبك المشقة والأذى من قولهم: {وَيَمْحُ الله الباطل} يعني: يهلك الله تعالى الشرك {وَيُحِقُّ الحق} يعني: يظهر دينه الإسلام {بكلماته} يعني: بتحقيقه، وبنصرته، وبالقرآن {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: يعلم ما في قلب محمد صلى الله عليه وسلم من الحزن، ويعلم ما في قلوب الكافرين من التكذيب.

قوله تعالى: {وَهُوَ الذى يَقْبَلُ التوبة عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السيئات} حتى يتجاوز عما عملوا قبل التوبة. وروى عبد العزيز بن إسماعيل، عن محمد بن مطرف قال: «يقول الله تعالى: وَيْحَ ابْنَ آدَمَ، يُذْنِب الذَّنْبَ ثُمَّ يَسْتَغْفِر، فَأَغْفِرَ لَهُ، ثُمَّ يُذْنِبُ ذَنْباً ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ، فأَغْفِر لَهُ، ثُمَّ يُذْنِبُ ذَنْباً ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ، فَأَغْفِرَ لَهُ لاَ هُوَ يَتْرك ذُنُوبَهُ، وَلاَ هُوَ يَيْأس مِن رَّحْمَتِي. أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ» {وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} من خير أو شر.
قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص {تَفْعَلُونَ} بالتاء على معنى المخاطبة، والباقون بالياء على معنى الخبر عنهم {وَيَسْتَجِيبُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: يجيب دعاءهم، ويعطيهم أكثر ما سألوا من المغفرة {وَيَزِيدَهُم مّن فَضْلِهِ} يعني: يزيدهم على أعمالهم من الثواب. ويقال: يعطيهم الثواب في الجنة، أكثر مما سألوا {والكافرين لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} يعني: دائماً لا يفتر عنهم.
قوله تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ الله الرزق لِعِبَادِهِ} يعني: لو وسع الله تعالى عليهم المال {لَبَغَوْاْ} أي: لطغوا {فِى الارض} وعصوا {ولكن يُنَزّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء} يعني: يوسع على كل إنسان، بمقدار صلاحه في ذلك، قال أبو الليث رحمه الله: حدّثنا أبو القاسم، حمزة بن محمد قال: حدّثنا أبو القاسم، أحمد بن حمزة، قال: حدّثنا نصر بن يحيى، قال: سمعت شقيق بن إبراهيم الزاهد يقول: {وَلَوْ بَسَطَ الله الرزق لِعِبَادِهِ لَبَغَوْاْ فِى الارض} قال: لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب، لتفرغوا وتفاسدوا في الأرض، ولكن شغلهم بالكسب، حتى لا يتفرغوا للفساد.
ثم قال: {إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرُ بَصِيرٌ} يعني: بالبر، والفاجر، والمؤمن، والكافر. ويقال: يعني: عالم بصلاح كل واحد منهم. قوله تعالى: {وَهُوَ الذى يُنَزّلُ الغيث} يعني: المطر {مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ} أي: حبس عنهم {وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ} يعني: المطر {وَهُوَ الولى الحميد} يعني: الولي للمطر يرسله مرة بعد مرة {الحميد} يعني: أهل أن يحمد على صنعه.
قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته} يعني: من علامات وحدانيته {خُلِقَ السموات والارض} يعني: خلقين عظيمين، لا يقدر عليهما بنو آدم، ولا غيرهم {وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ} يعني: ما خلق في السموات والأرض من خلق أو بشر فيهما {وَهُوَ على جَمْعِهِمْ} يعني: على إحيائهم للبعث {إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ} يعني: قادر على ذلك. ويقال: {وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ} يعني: في الأرض خاصة

كما قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا الُّلؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ} [الرحمن: 22] يعني: من أحدهما ثم قال {وَمَا أصابكم مّن مُّصِيبَةٍ} يعني: ما تصابون من مصيبة في أنفسكم، وأموالكم {فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} يعني: يصيبكم بأعمالكم، ومعاصيكم {وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} يعني: ما عفى الله عنه، فهو أكثر.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله، أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالوا بلى. فقرأ عليهم: {وَمَا أصابكم مّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} قال: فالمصائب في الدنيا بكسب الأيدي، وما عفى الله تعالى عنه في الدنيا، ولم يعاقب، فهو أجود وأمجد، وأكرم من أن يعذب فيه يوم القيامة.

وعن الضحاك قال: ما تعلم رجل القرآن، ثم نسيه، إلا بذنب. ثم قرأ: {وَمَا أصابكم مّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن. قرأ نافع وابن عامر «بما كسبت أيديكم» بحذف الفاء. ويكون ما بمعنى الذي، ومعناه الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم. وقرأ الباقون: {فَبِمَا كَسَبَتْ} بالفاء، وتكون الفاء جواب الشرط، ومعناه: ما يصيبكم من مصيبة، فبما كسبت أيديكم، ثم قال:

تفسير الآيات رقم [31- 35]

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (31) وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (32) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (34) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (35)}

{وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِى الارض} يعني: بفائتين من عذاب الله، حتى يجزيكم به {وَمَا لَكُم مّن دُونِ الله} يعني: من عذاب الله {مِن وَلِىّ} يعني: من حافظ {وَلاَ نَصِيرٍ} يعني: مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى.

قوله تعالى: {وَمِنْ ءاياته الجوار} قرأ ابن كثير (الجَوَارِي) بالياء في الوقف، والوصل. وقرأ نافع، وأبو عمر بالياء في الوصل، وبغير الياء في الوقف، والباقون بغير ياء في الوقف، والوصل. فمن قرأ بالياء فهو الأصل في اللغة، وهي جماعة السفن تجرين في الماء، واحدتها جارية. كقوله: {إِنَّا لَمَّا طَغَا المآء حملناكم فِى الجارية} [الحاقة: 11] يعني: السفينة. ومن قرأ بغير ياء، فلأن الكسر يدل عليه {فِى البحر كالاعلام} يعني: تسير في البحر كالجبال {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الريح فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ} يعني: يبقين سواكن

على ظهر الماء {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لأَيَاتٍ} يعني: لعلامات لوحدانيتي {لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} يعني: الذي يصبر على طاعة الله (شَكُورٍ) لنعم الله.
قوله تعالى: {أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} يعني: إن يشأ يهلك السفن، بما عملوا من الشرك وعبادة الأوثان {وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ} ولا يجازيهم {وَيَعْلَمَ الذين يجادلون فِى ءاياتنا} قرأ ابن عامر ونافع بضم الميم، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالضم، فلأنه عطف على قوله: (ويعف) وموضعه الرفع وأصله: (ويعفو) فاكتفى بضم الفاء، والذين كان معطوفاً عليه، رفع أيضاً. ومن قرأ بالنصب، صار نصباً للصرف، يعني: صرف الكلام عن الإعراب الأول، ومعناه: ولكي {يَعْلَمُ الذين يجادلون فِى ءاياتنا} يعني: في القرآن بالتكذيب {مَا لَهُمْ مّن مَّحِيصٍ} يعني: من مفر من الله.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 42]

{فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (36) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (38) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)}
{فَمَا أُوتِيتُمْ مّن شَىْءٍ} يعني: ما أعطيتم من الدنيا {فمتاع الحياة الدنيا} أي: منفعة الحياة الدنيا {وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ وأبقى} أي: ما عند الله في الآخرة من الثواب والكرامة، خير وأبقى. يعني: أدوم. ثم بين لمن يكون ذلك الثواب فقال: {لِلَّذِينَ ءامَنُواْ وعلى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يثقون به تعالى، ويفوضون الأمر إليه.
قوله تعالى: {والذين يَجْتَنِبُونَ كبائر الإثم والفواحش} وهذا نعت المؤمنين أيضاً، الذين يجتنبون كبائر الإثم، والفواحش. قرأ حمزة والكسائي (كَبِيرَ الإِثْمِ) بغير ألف، بلفظ الواحد، لأن الواحد يدل على الجمع، والباقون (كبائر) وهو جمع كبيرة، والكبيرة: ما أوجب الله تعالى الحد عليها في الدنيا، أو العذاب في الآخرة. ثم قال: {وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ} يعني: إذا غضبوا على أحد يتجاوزون، ويكظمون الغيظ.

ثم قال: {والذين استجابوا لِرَبِّهِمْ} يعني: أجابوا وأطاعوا ربهم فيما يدعوهم إليه، ويأمرهم به. {والذين يُمَسِّكُونَ} يعني: أتموا الصلوات الخمس، في مواقيتها {وَأَمْرُهُمْ شورى بَيْنَهُمْ} يعني: إذا أرادوا حاجة، تشاوروا فيما بينهم. وروي عن الحسن أنه قال: هم الذين إذا حزبهم أمر، استشاروا أولي الرأي منهم {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} يعني: يتصدقون في طاعة الله. ثم قال: {والذين إِذَا أَصَابَهُمُ البغى} يعني: الظلم {هُمْ يَنتَصِرُونَ} أي: ينتقمون ويقتصون.
روى سفيان، عن منصور، عن إبراهيم أنه قال: كانوا يكرهون أن يستذلوا، ويحبون العفو إذا قدروا. قوله تعالى: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ مِّثْلِهَا} يعني: يعاقب مثل عقوبته لغيره {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ} يعني: عفا عن مظلمته، وأصلح بالعفو {فَأَجْرُهُ عَلَى الله} يعني: ثوابه على الله {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظالمين} يعني: لمن يبدأ بالظلم. روي عن زيد بن أسلم، أنه قال: كانوا ثلاث فرق، فرقة بالمدينة، وفرقتان بمكة، إحداهم تصبر على الأذى، والثانية تنتصر، والثالثة تكظم، فنزلت الآية: {والذين استجابوا لِرَبِّهِمْ} نزلت في الذين بالمدينة {والذين إِذَا أَصَابَهُمُ البغى هُمْ يَنتَصِرُونَ} نزلت في الذين ينتصرون وقوله: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ} نزلت في الذين يصبرون. فأثنى الله تعالى عليهم جميعاً.
قوله عز وجل: {وَلَمَنِ انتصر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مّن سَبِيلٍ} ثم نزل في الظالمين {إِنَّمَا السبيل عَلَى الذين يَظْلِمُونَ الناس} وذكر أن أبا بكر رضي الله عنه، كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ورجل من المنافقين يسبه، وأبو بكر رضي الله عنه لم يجبه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت يبتسم، فأجابه أبو بكر، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله ما دام يسبني كنت جالساً، فلما أجبته قمت فقال صلى الله عليه وسلم: إن الملك كان يجيبه عنك، فلما أجبته ذهب الملك، وجاء الشيطان وأنا لا أجلس في مجلس يكون فيه الشيطان.
فنزل {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله}.
وروى محمد بن المنكدر قال: ينادي المنادي يوم القيامة، من كان له عند الله حق، فليقم. قال: فيقوم من عفا وأصلح. قوله عز وجل: {وَلَمَنِ انتصر بَعْدَ ظُلْمِهِ} يعني: انتصف بعد ظلمه، واقتص منه {فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مّن سَبِيلٍ} يعني: من مأثم. وقال قتادة: هذا، فيما يكون بين الناس من القصاص، فأما لو ظلمك، لا يحل لك أن تظلمه، يعني: فيما لا يحتمل القصاص. وقال الحسن:

يعني: إذا قال: لعنك الله، أن تقول له: يلعنك الله، وإذا سبك، فلك أن تسبه ما لم يكن فيه حد، أو كلمة لا تصلح. ثم قال تعالى: {إِنَّمَا السبيل} يعني: الإثم والحرج {عَلَى الذين يَظْلِمُونَ الناس} يعني: يبدؤون بالظلم {وَيَبْغُونَ فِى الارض بِغَيْرِ الحق} يعني: ويظلمون في الأرض، ويعملون المعاصي {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: وجيع.

▲ تفسير الآيات رقم [43- 46]

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (44) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (45) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (46)}

قوله عز وجل: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ} يعني: صبر عن مظلمته، فلم يقتص من صاحبه وغفر يعني: تجاوز عنه {إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الامور} يعني: الصبر والتجاوز من أفضل الأمور، وأصوب الأمور. قال بعضهم: هذه الآيات مدنيات. وقال بعضهم: مكيات. قوله تعالى: {وَمَن يُضْلِلِ الله} يعني: يخذله الله عن الهدى ويقال من يخذله ويتركه على ما هو فيه من ظلم الناس {فَمَا لَهُ مِن وَلِىّ مّن بَعْدِهِ} يعني: ليس له قريب يهديه، ويرشده إلى دينه من بعده، يعني: من بعد خذلان الله تعالى إياه.

قوله: {وَتَرَى الظالمين} يعني: المشركين والعاصين {لَمَّا رَأَوُاْ العذاب} في الآخرة {يَقُولُونَ هَلْ إلى مَرَدّ مّن سَبِيلٍ} يعني: هل من رجعة إلى الدنيا من حيلة، فنؤمن بك يتمنون الرجوع إلى الدنيا. قوله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} يعني: يساقون إلى النار {خاشعين مِنَ الذل} أي: خاضعين من الحزن، ويقال ساكتين ذليلين، مقهورين من الحياء {يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيّ} قال الكلبي: يعني: ينظرون بقلوبهم، ولا يرونها بأعينهم، لأنهم يسحبون على وجوههم. وقال مقاتل: يعني: يستخفون بالنظر إليها، يعني: إلى النار قال القتبي: يعني: غضوا أبصارهم من الذل، وقال بعضهم: مرة ينظرون إلى العرش بأطراف أعينهم ماذا يأمر الله تعالى بهم، ومرة ينظرون إلى النار.

{وَقَالَ الذين ءامَنُواْ} يعني: المؤمنين المظلومين {إِنَّ الخاسرين الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ} يعني: يظلمون غيرهم، حتى تصير حسناتهم للمظلومين، فخسروا

أنفسهم {وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القيامة} قال بعضهم: هذه حكاية كلام المؤمنين في الآخرة، بأنهم يقولون ذلك، حين رأوا الظالمين، الذين خسروا أنفسهم. وقال بعضهم: هذه حكاية قولهم في الدنيا، فحكى الله تعالى قولهم، وصدقهم على مقالتهم فقال: {أَلاَ إِنَّ الظالمين فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ} يعني: دائم وقال بعضهم هذا اللفظ، لفظ الخبر عنهم، والمراد به التعليم، أنه ينبغي لهم يقولوا هكذا يعني: يصبروا على ظلمهم.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُم مّنْ أَوْلِيَاء} يعني: لا يكون للظالمين يوم القيامة مانع يمنعهم من عذاب الله {يَنصُرُونَهُم مّن دُونِ الله} يعني: يمنعونهم من عذاب الله {وَمَن يُضْلِلِ الله} يعني: يضله الله عن الهدى {فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ} إلى الهدى من حجة. ويقال: ما له من حيلة.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 50]

{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (48) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)}

قوله عز وجل: {استجيبوا لِرَبّكُمْ} يعني: أجيبوا ربكم في الإيمان، وفيما أمركم به {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ} يعني: لا رجعة له، إذا جاء لا يقدر أحد على دفعه {مِنَ الله} ويقال: فيه تقديم. يعني: من قبل أن يأتي من عذاب الله، يوم لا مرد له. يعني: لا مدفع له {مَا لَكُمْ مّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ} يعني: ما لكم من مفر، ولا حرز يحرزكم من عذابه {وَمَا لَكُمْ مّن نَّكِيرٍ} يعني: من مغير، يغير العذاب عنكم.

قوله عز وجل: {فَإِنْ أَعْرَضُواْ} عن الإيمان، وعن الإجابة، بعد ما دعوتهم {فَمَا أرسلناك عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} تحفظهم على الإيمان، وتجبرهم على ذلك {إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البلاغ} يعني: ليس عليك، إلا تبليغ الرسالة، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم قال: {وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً} يعني: أصبنا الإنسان منا رحمة {فَرِحَ بِهَا} أي بطر بالنعمة. قال بعضهم: يعني: أبا جهل. وقال بعضهم: جميع الناس، والإنسان هو لفظ الجنس، وأراد به جميع الكافرين، بدليل أنه قال: {وَإِن تُصِبْهُمْ} ذكر بلفظ الجماعة يعني: إن تصبهم {سَيّئَةٌ}

يعني: القحط والشدة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يعني: بما عملوا من المعاصي {فَإِنَّ الإنسان كَفُورٌ} لنعم الله. يعني: يشكو ربه عند المصيبة، ولا يشكره عند النعمة.

قوله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السموات والارض} يعني: القدرة على أهل السموات والأرض {يَخْلُقُ مَا يَشَاء} على أي صورة شاء {يَهَبُ لِمَن يَشَاء إناثا} يعني: من يشاء الأولاد الإناث، فلا يجعل معهن ذكوراً {وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذكور} يعني: يعطي من يشاء الأولاد الذكور، ولا يكون معهم إناث {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإناثا} يعني: من يشاء الأولاد الذكور، والإناث {وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيماً} فلا يعطيه شيئاً من الولد ويقال: {يَهَبُ لِمَن يَشَاء إناثا} كما وهب للوط النبي {وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذكور} كما وهب لإبراهيم عليه السلام {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإناثا} كما جعل للنبي صلى الله عليه وسلم، وكما وهب ليعقوب عليه السلام {وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيماً} كما جعل ليحيى، وعيسى عليهما السلام {إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} يعني: عالم بما يصلح لكل واحد منهم. قادر على ذلك.

قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ} يعني: لأحد من خلق الله {أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْياً} يعني: يرسل إليه جبريل، ليقرأ عليه. ويقال: {إِلاَّ وَحْياً} يعني: إلهاماً ويقال: يسمع الصوت فيفهمه وذلك، أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألا يكلمك الله، أو ينظر إليك، إن كنت نبياً كما كلم موسى فنزل {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ الله} يعني: ما جاز لأحد من الآدميين، أن يكلمه الله، إلا وحياً يعني: يسمع الصوت، أو يرى في المنام، ولا يجوز أن يكلمه مواجهة عياناً في الدنيا.

{أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ} فيكلمه، كما كلم موسى {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً} كما أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم {فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء} يعني: فيرسل بأمره. ويقال: {بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء} من أمره. قرأ نافع وابن عامر {أَوْ يُرْسِلَ} بضم اللام وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم، فمعناه أو هو يرسل رسولاً، ومن قرأ بالنصب، فعلى الإضمار أيضاً، ومعناه أو يرسل رسولاً {فَيُوحِيَ} قرأ نافع وابن عامر فيوحي بسكون الياء، ومعناه أو هو يرسل رسولاً فيوحي وقرأ الباقون بالنصب {فَيُوحِيَ} لإضمار أن {إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} يعني: أعلى من أن يكلم أحداً في الدنيا مواجهة، ولا يراه فيها أحد عياناً {حَكِيمٌ} حكم ألا يكلم أحداً في المواجهة، ولا يراه أحد.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا} يعني: جبريل بأمرنا. ويقال: أوحينا إليك روحاً، يعني: القرآن. وقال القتبي: الروح روح الأجسام، ويسمى كلام الله تعالى، روحاً لأن فيه حياة من الجهل، وموت الكفر كما قال: {رَفِيعُ الدرجات ذُو العرش يُلْقِى الروح مِنْ أَمْرِهِ على مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التلاق} [غافر: 15] ثم قال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا}. {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الكتاب وَلاَ الإيمان} يعني: ما كنت تدري قبل الوحي، أن تقرأ القرآن، ولا تدري كيف تدعو الخلق إلى الإيمان.

{ولكن جعلناه نُوراً} يعني: أنزلنا جبريل بالقرآن. ضياءً من العمى، وبياناً من الضلالة. فإن قيل سبق ذكر الكتاب والإيمان ثم قال: {ولكن جعلناه نُوراً} ولم يقل جعلناهما؟ قيل له: لأن المعني هو الكتاب، وهو دليل على الإيمان. ويقال لأن شأنهما واحد كقوله: {وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وءاويناهمآ إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} [المؤمنون: 50] ولم يقل آيتين ويقال: {ولكن جعلناه نُوراً} يعني: الإيمان كناية عنه، ولأنه أقرب.

{نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا} يعني: نوفق من نشاء للهدى، من كان أهلاً لذلك {وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: لتدعو الخلق إلى دين الإسلام. قوله عز وجل: {صراط الله} يعني: دين الله {الذى لَهُ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} من خلق {أَلاَ إِلَى الله تَصِيرُ الامور} أي: ترجع إليه عواقب الأمور، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.

43

▲ سورة الزخرف

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (4)}

قوله تبارك وتعالى: {حم والكتاب المبين} يعني: أقسم بحم، وبالكتاب الذي أبان طريق الهدى، من طريق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة، ويقال: مُبين أي: بين بلغة تعرفونها. يعني: بين فيه الحلال والحرام {إِنَّا جعلناه} فهذا جواب القسم. يعني: إنا جعلناه، ووصفناه أقسم بالكتاب المبين {إِنَّا جعلناه} يعني: إنا قلناه ووصفناه وبيناه. ويقال: أنزلنا به جبريل {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} يعني: بلغة العرب {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يعني: لكي تعقلوا وتفهموا. ما فيه، ولو نزل بغير لغة العرب، لم تفهموا ما فيه.

ثم قال: {وَإِنَّهُ فِى أُمّ الكتاب لَدَيْنَا} يعني: إن كذبتم بالقرآن، فإن نسخته في أصل الكتاب. يعني: اللوح المحفوظ لدينا. يعني: عندنا {لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} يعني: شريف مرتفع، محكم من الباطل. ويقال: حكيم أحكم، حلاله وحرامه. ويقال: حَكِيمٌ أي حاكم على الكتب كلها. ويقال: حكيم أي ذو حكمة كما قال تعالى: {حِكْمَةٌ بالغة} قرأ حمزة والكسائي «في أم الكتاب» بكسر الألف في جميع القرآن، لأن الياء أخت الكسرة، فاتبع الكسرة الكسرة والباقون «أم» بضم الألف، وهو الأصل في اللغة.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 14]

{أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (5) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (7) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (8) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ

وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (14)}
قوله عز وجل: {أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذكر صَفْحاً} يعني: أفندع ونترك، أن نرسل إليكم الوحي مبهماً، لا آمركم ولا أنهاكم. وقال القتبي: معناه أن أمسك عنكم، فلا أذكركم إعراضاً. يقال: صفحت عن فلان، إذا أعرضت عنه. وقال مجاهد: معناه تكذبون بالقرآن، ولا تعاقبون فيه. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر {أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ} بنصب الألف. وقرأ الباقون بالكسر. فمن قرأ بالنصب، فمعناه: أفنضرب عنكم ذكر العذاب بأن أسرفتم، يعني: أشركتم وعصيتم. ويقال أفنضرب عنكم ذكر العذاب، لأن أسرفتم وكفرتم ومن قرأ بالكسر، فمعناه إن كنتم قوماً مسرفين. ويقال: هو على معنى الاستقبال، ومعناه إن تكونوا مسرفين، نضرب عنكم الذكر.
ثم قال عز وجل: {وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيّ فِى الاولين} يعني: كم بعثنا من نبي في أمر الأمم الأولين، كما أرسلنا إلى قومك {وَمَا يَأْتِيهِم مّنْ نَّبِىّ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: يسخرون منه قوله تعالى: {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً} يعني: من كان أشد منهم قوة {ومضى مَثَلُ الاولين} يعني: سنة الأولين بالهلاك.
قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يعني: المشركين {مِنْ خلاق السموات والارض لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيز العليم} يعني: يقولون خلقهن الله تعالى، الذي هو العزيز في ملكه، العليم بخلقه، فزادهم الله تعالى في جوابهم. فقال: {الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض مَهْداً} قرأ حمزة، والكسائي وعاصم مَهْداً، والباقون مَهاداً بالألف، يعني: قراراً للخلق {وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً} يعني: طرقاً {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} يعني: لكي تعرفوا طرقها من بلد إلى بلد، ويقال: لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ يعني: لكي تعرفوا هذه النعم، وتأخذوا طريق الهدى، ثم ذكرهم النعم فقال عز وجل: {والذى نَزَّلَ مِنَ السماء مَاء بِقَدَرٍ} يعني: بمقدار ووزن {فَأَنشَرْنَا بِهِ} يعني: أحيينا بالمطر {بَلْدَةً مَّيْتاً} يعني: أرضاً ميتة، لا نبات فيها {كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} أنتم من قبوركم.
قوله تعالى: {والذى خَلَقَ الازواج كُلَّهَا} يعني: الأصناف كلها من النبات، والحيوان وغير ذلك {وَجَعَلَ لَكُمْ مّنَ الفلك والانعام مَا تَرْكَبُونَ} يعني: جعل لبني آدم من السفن، والإبل، والدواب، ما يركبون عليها ثم قال: {لِتَسْتَوُواْ على ظُهُورِهِ} يعني: لتركبوا ظهور الأنعام، ولم يقل ظهورها؟ لأنه انصرف إلى المعنى، وهو جنس الأنعام {ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبّكُمْ إِذَا استويتم عَلَيْهِ} يعني:

إذا ركبتم فتحمدوا الله تعالى {وَتَقُولُواْ} عند ذلك {سبحان الذى سَخَّرَ لَنَا هذا} يعني: ذلل لنا هذا {وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} يعني: مطيعين. وقال أهل اللغة: أنا مقر لك أي: مطيق لك. ويقال: مقرنين أي: مالكين. ويقال: ضابطين.

ثم قال: {وَإِنَّا إلى رَبّنَا لَمُنقَلِبُونَ} يعني: راجعين إليه، في الآخرة.

وقد روى عثمان بن الأسود، عن مجاهد أنه قال: إذا ركب الرجل دابته، ولم يذكر اسم الله تعالى، ركب الشيطان من ورائه، ثم صك في قفاه، فإن كان يحسن الغناء، قال له: تغن، وإن كان لا يحسن الغناء، قال له تمن يعني: تكلم بالباطل.

وعن علي بن ربيعة أنه قال: كنت رديفاً لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلمَّا استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 25]

{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (15) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (16) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (17) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (18) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (21) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (25)}

قال الله تعالى: {وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءا} يعني: وصفوا لله من خلقه، شريكاً وولداً {إِنَّ الإنسان لَكَفُورٌ مُّبِينٌ} يعني: كَفُورٌ لنعمه {مُّبِينٌ} أي: بين الكفر. ثم قال تعالى: {أَمِ اتخذ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ} وهو رد على بني مليح، حيث قالوا: الملائكة بنات الله. معناه: اختار لكم البنين، ولنفسه البنات، ثم وصف كراهيتهم البنات فقال: {وأصفاكم بالبنين}.

قوله عز وجل: {وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ للرحمن مَثَلاً} يعني: بما وصفوا لله تعالى من البنات، وكرهوا لأنفسهم ذلك {ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا وَهُوَ كَظِيمٌ}

يعني: تغير لونه، وهو حزين مكروب. يعني: أترضون لله، ما لا ترضون لأنفسكم. قوله عز وجل: {أَوْ مِن يُنَشَّأُ فِى الحلية} يعني: يغذى في الذهب والفضة. ويقال: أفمن زين في الحلي والحلل {وَهُوَ فِى الخصام غَيْرُ مُبِينٍ} يعني: في الكلام غير فصيح. ويقال: هن في الخصومة، غير مبينات في الحجة ويقال: أفمن زين في الحلي، وهو في الخصومة غير مبين، لأن المرأة لا تبلغ بخصومتها، وكلامها ما يبلغ الرجل.

قرأ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية حفص، أو من يُنَشَّأُ بضم الياء، ونصب النون وتشديد الشين ومعناه: أومن يربى في الحلية، لفظه لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ. وقرأ الباقون، أوَمَنْ يَنْشَأ، بنصب الياء وجزم النون مع التخفيف، يعني: يشب وينبت في الحلي. قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ الملئكة الذين هُمْ عِبَادُ الرحمن إناثا} يعني: وصفوا الملائكة بالأنوثة. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع الَّذِينَ هُمْ عَنْدُ الرَّحْمَنِ {إناثا} يعني: وصفوا الملائكة بالأنوثة. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع عبيد يعني: الملائكة الذين هم في السماء، والباقون عِبَادُ يعني: جمع عبد.

ثم قال: {أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ} يعني: أحضروا خلق الملائكة حين خلقهم الله تعالى، فعلموا أنهم ذكوراً أو إناثاً؟ هذا استفهام فيه نفي، يعني: لم يشهدوا خلقهم على وجه التوبيخ، والتقريع. ثم قال: {سَتُكْتَبُ شهادتهم} يعني: ستكتب مقالتهم {وَيُسْئَلُونَ} عنه يوم القيامة. وروي عن الحسن: أنه قرأ سَتُكْتَبُ شَهَادَاتُهُم بالألف يعني: أقوالهم. وقرأ عبد الرحمن الأعرج سَنَكْتُبُ بالنون.

قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوْ شَاء الرحمن مَا عبدناهم} يعني: ما عبدنا الملائكة ويقال: الأصنام {مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} أي: ما لهم بذلك القول من حجة {إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} يعني: يكذبون بغير حجة. وقال مقاتل: في الآية تقديم يعني: عباد الرحمن إناثاً، ما لهم بذلك من علم. قوله عز وجل: {أَمْ ءاتيناهم كتابا مّن قَبْلِهِ} يعني: أنزلنا عليهم كتاباً، من قبل هذا القرآن {فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ} يعني: آخذون به عاملون، اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به النفي.

قوله عز وجل: {بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا ءابَاءنَا على أُمَّةٍ} يعني: لكنهم قالوا: إنا وجدنا آباءنا على دين وملة. وقال القتبي: أصل الأمة الجماعة، والصنف. كقوله: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الارض وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أمثالكم مَّا فَرَّطْنَا فِى الكتاب مِن شَئ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام: 38] ثم يستعار في أشياء منها: الدين. كقوله: {بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا ءابَاءنَا} أي: على دين، لأن

القوم كانوا يجتمعون على دين واحد، فتقام الأمة مكان الدين، ولهذا قيل للمسلمين: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم على ملة واحدة، وهي الإسلام. وروى مجاهد، وعمر بن عبد العزيز، أنهما قرآ {أُمَّةٍ} بكسر الألف، أي: على نعمة. ويقال: على هيئة، وقراءة العامة بالضمة، يعني: على دين وروى أبو عبيدة، عن بعض أهل اللغة، أن الأُمة والأمة لغتان.

ثم قال: {بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا} يعني: مستيقنين {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا} يعني: جبابرتها {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مّن نَّذِيرٍ} يعني: بسنتهم مقتدون. أي: بأعمالهم. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قَالَ أَوَلَوْ *** جِئْتُكُمْ بأهدى} يعني: أليس هذا الذي جئتكم به، هو أهدى {مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءابَاءكُمْ} يعني: بأصوب وأبين من ذلك. قرأ ابن عامر، وعاصم في رواية حفص {قَالَ أَوَلَوْ} على معنى الخبر والباقون (قُلْ) بلفظ الأمر. وقرأ أبو جعفر المدني (جِئْنَاكُم) بلفظ الجماعة. {قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافرون} يعني: إن الجبابرة قالوا لرسلهم: إنا بما أرسلتم به جاحدون.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 30]

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (29) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (30)}

قوله عز وجل: {فانتقمنا مِنْهُمْ} بالعذاب {فانظر كَيْفَ كَانَ عاقبة المكذبين} يعني: آخر أمرهم. قوله عز وجل: {وَإِذْ قَالَ إبراهيم لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَاء مّمَّا تَعْبُدُونَ} يعني: بريء من معبودكم. ذكر عن الفراء أنه قال: براء مصدر صرف أسماء، وكل مصدر صرف إلى اسم، فالواحد، والجماعة، والذكر، والأنثى فيه سواء.

قوله عز وجل: {إِلاَّ الذى فَطَرَنِى} يعني: إلا الذي خلقني، فإني لا أتبرأ منه. {فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} ويقال: إلا بمعنى لكن. يعني: لكن الذي خلقني، فهو سيهدين، يعني: يثبتني على دين الإسلام {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً باقية فِى عَقِبِهِ} يعني: جعل تلك الكلمة ثابتة في نسله {وَذُرّيَّتَهُ} وهي كلمة التوحيد لا إله إلا الله {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عن كفرهم إلى الإيمان. وقال قتادة: هو التوحيد والإخلاص، لا يزال في ذريته. من يوحدوا الله تعالى، ويعبدوه وقال مجاهد:

يعني: كلمة لا إله إلا الله في عقبه وولده. ويقال: {إِنَّنِي بَرَاء مّمَّا تَعْبُدُونَ} يعني: ذو البراءة كما يقال: رجل عدل ورجال عدل، أي: ذو عدل.
قوله تعالى: {بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلآء} يعني: أجلت هؤلاء، وأمهلتهم. يعني: قومك {بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلآء وَءابَاءهُمْ} يعني: القرآن. ويقال: الدعوة إلى التوحيد {وَرَسُولٌ مُّبِينٌ} يعني: بين أمره بالدلائل. والحجج. ويقال: مبين، يعني: بين لهم الحق من الباطل. قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمُ الحق} يعني: القرآن {قَالُواْ هذا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كافرون} يعني: جاحدون.

تفسير الآيات رقم [31- 32]

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)}
{وَقَالُواْ} يعني: أهل مكة {لَوْلاَ نُزّلَ هذا القرءان على رَجُلٍ مّنَ القريتين عَظِيمٍ} يعني: على رجل عظيم من رجلي القريتين، وهو الوليد بن المغيرة، من أهل مكة، وأبو مسعود الثقفي بالطائف يعني: لو كان حقاً، لأنزل على أحد هذين الرجلين. وروى وكيع، عن محمد بن عبد الله بن أفلح الطائفي، قال: عن خالد بن عبد الله بن يزيد، قال: كنت جالساً عند عبد الله بن عباس بالطائف، فسأله رجل عن هذه الآية وهي قوله: {مّنَ القريتين} فقال: القرية التي أنت فيها. يعني: الطائف والقرية التي جئت منها، يعني: مكة. وسئل عن الرجلين فقال: جبار من جبابرة قريش، وهو الوليد بن المغيرة بمكة، وعروة بن مسعود، جد المختار. يعني: أبا مسعود يقال اسمه عمرو بن عمير.
قوله تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ} يعني: أبأيديهم مفاتيح الرسالة والنبوة، فيضعوها حيث شاؤوا، ولكننا نختار للرسالة، من نشاء من عبادنا {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِى الحياة الدنيا} يعني: نحن قسمنا أرزاقهم فيما بينهم، وهو أدنى من الرسالة، فلم نترك اختيارها إليهم، فكيف نفوض اختيار ما هو أفضل منه، وأعظم، وهي الرسالة إليهم.
ثم قال: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ درجات} يعني: فضلنا بعضهم على بعض، بالمال في الدنيا. {لّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً} يعني: الاستهزاء ويقال: فضل بعضهم على بعض في العز، والرياسة، ليستخدم بعضهم بعضاً، ويستعبد الأحرار العبيد، ثم أخبر: أن الآخرة أفضل مما أعطوا في الدنيا.

فقال: {وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} يعني: خير مما يجمع الكفار من المال في الدنيا.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 39]

{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35) وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (39)}

{وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس أُمَّةً واحدة} يقول لولا أن يرغب الناس في الكفر، إذا رأوا الكفار في سعة المال. وقال الحسن: لولا أن يتتابعوا في الكفر. {لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بالرحمن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مّن فِضَّةٍ} وهي: سماء البيت {وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} يعني: الدرج عليها يرتقون ويرتفعون. وقال الزجاج: يصلح أن يكون لبيوتهم بدلاً من قوله: {لِمَن يَكْفُرُ} ويكون المعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن، ويصلح أن يكون معناه: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو «لِبُيُوتِهِم سَقْفاً» بنصب السين، وجزم القاف، ويكون عبارة عن الواحد، فدل على الجمع. والمعنى: لجعلنا لبيت كل واحد منهم، سقفاً من فضة. وقرأ الباقون سُقُفاً، بالضم على معنى الجمع. ويقال: سقف ومسقف مثل رهن ورهن.

قوله تعالى: {وَلِبُيُوتِهِمْ أبوابا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ} يعني: يجلسون وينامون {وَزُخْرُفاً} وهو الذهب يعني: لجعلنا هذا كله من ذهب وفضة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لَوْلاَ أَنْ يَجْزَعَ عَبْدِي المُؤْمن، لَعَصَّبْتُ الكَافِرَ بِعِصَابَةٍ مِن حَدِيدٍ، وَلَصَبَبْتُ عَلَيه الدُّنْيَا صَبّاً " وإنما أراد بعصابة الحديد، كناية عن صحة البدن، يعني: لا يصدع رأسه، ثم أخبر أن ذلك كله مما يفنى. فقال: {وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا متاع الحياة الدنيا والاخرة عِندَ رَبّكَ} وما ها هنا زيادة ومعناه: وإن كل ذلك لمتاع. ويقال: وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، يفنى ولا يبقى {والاخرة} يعني: الجنة للذين يتقون الشرك، والمعاصي والفواحش. قرأ عاصم، وابن عامر في رواية هشام: {وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا} بتشديد الميم، وقرأ الباقون بالتخفيف. فمن قرأ بالتخفيف، فما للصلة

والتأكيد. ومن قرأ بالتشديد فمعناه: وما كل ذلك إلا متاع. وقال مجاهد كنت لا أعلم ما الزخرف، حتى سمعت في قراءة عبد الله بيتاً من ذهب.

قوله تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن} قال الكلبي: يعني: يعرض عن الإيمان والقرآن، يعني: لا يؤمن. ويقال: من يعمى بصره عن ذكر الرحمن. وقال أبو عبيدة: من يظلم بصره عن ذكر الرحمن. {نُقَيّضْ لَهُ شَيْطَاناً} يعني: نسيب له شيطاناً، مجازاة لإعراضه عن ذكر الله. ويقال: نسلط عليه ويقال نقدر له، ويقال: نجعل له شيطاناً {فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} يعني: يكون له صاحباً في الدنيا، فيزين له الضلالة. ويقال: فهو له قرين. يعني: قرينه في سلسلة واحدة، لا يفارقه. يعني: في النار. وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس مثل من أمثال العرب، إلا وأصله في كتاب الله تعالى. قيل له: من أين قول الناس، أعطى أخاك تمرة، فإن أبى فجمرة.

فقال قوله: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن نُقَيّضْ لَهُ شَيْطَاناً} الآية {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السبيل} يعني: الشياطين يصرفونهم عن الدين {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} يعني: الكفار يظنون أنهم على الحق.

{حتى إِذَا جَاءنَا} قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، روعاصم في رواية أبي بكر (جَانَا) بالمد، بلفظ التثنية، يعني: الكافر وشيطانه الذي هو قرينه. وقرأ الباقون {جَاءنَا} بغير مد، يعني: الكافر يقول لقرينه: {قَالَ يَاءادَمُ ياليت بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المشرقين} يعني: ما بين المشرق والمغرب. ويقال: بين مشرق الشتاء، ومشرق الصيف {فَبِئْسَ القرين} يعني: بئس الصاحب معه في النار. ويقال: هذا قول الله تعالى: {فَبِئْسَ القرين} يعني: بئس الصاحب معه في النار. ويقال هذا قول الكافر يعني: بئس الصاحب كنت أنت في الدنيا، وبئس الصاحب اليوم. فيقول الله تعالى: {وَلَن يَنفَعَكُمُ اليوم} الاعتذار {إِذ ظَّلَمْتُمْ} يعني: كفرتم، وأشركتم في الدنيا {أَنَّكُمْ فِى العذاب مُشْتَرِكُونَ} يعني: أنكم جميعاً في النار، التابع والمتبوع في العذاب، سواء قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم:

▲ تفسير الآيات رقم [40- 45]

{أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (40) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (42) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (43)

وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)}

{أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصم أَوْ تَهْدِى العمى} إلى الهدى {وَمَن كَانَ فِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: من كان في علم الله في الضلالة. ومعنى الآية: إنك لا تقدر أن تُفهم من كان أصم القلب، ويعمي عن الحق، ومن كان في ضلال مبين، يعني: ظاهر الضلالة، قوله: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ} يعني: نميتك قبل أن نرينك الذي وعدناهم، يعني: قبل أن نريك النقمة {فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ} يعني: ننتقم منهم. بعد موتك. قال قتادة: ذهب النبي صلى الله عليه وسلم، وبقيت النقمة. قال: وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم، «أُرَى مَا يُصِيب أُمَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فما رُئِيَ ضَاحِكاً مُسْتَبْشِراً، حَتَّى قُبِضَ». ثم قال: {أَوْ نُرِيَنَّكَ الذى وعدناهم} يعني: في حياتك {فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ} يعني: إنا لقادرون على ذلك قوله تعالى: {فاستمسك بالذى أُوحِىَ إِلَيْكَ} يعني: اعمل بالذي أوحي إليك من القرآن {إِنَّكَ على صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: على دين الإسلام {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} يعني: القرآن شرف لك ولمن آمن به ويقال: {وَلِقَوْمِكَ} يعني: العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم {وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ} عن هذه النعم، وعن شكر هذا الشرف. يعني: القرآن إذا أديتم شكره، أو لم تؤدوه.

قوله تعالى: {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا} قال مقاتل، والكلبي: يعني: سل مؤمني أهل الكتاب {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن} يعني: هل جاءهم رسول، يدعوهم إلى عبادة غير الله. ويقال: {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا} يعني: سل المرسلين، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء ليلة المعراج، وصلى بهم ببيت المقدس. فقيل له: فسلهم فلم يشك، ولم يسألهم. ويقال: إنما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد أمته يعني: سلوا أهل الكتاب كقوله: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذين يَقْرَءُونَ الكتاب مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الحق مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين} [يونس: 94] الآية.

تفسير الآيات رقم [46- 56]

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (46) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (47) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (48) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (49) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ

الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (50) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (56)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بئاياتنا إلى فِرْعَوْنَ وَمَلاَيْهِ فَقَالَ إِنّى رَسُولُ رَبّ العالمين} وقد ذكرناه {فَلَمَّا جَاءهُم بئاياتنا} يعني: باليد والعصا {إِذَا هُم مِنْهَا يَضْحَكُونَ} يعني: يعجبون ويسخرون. {وَمَا نُرِيهِم مّنْ ءايَةٍ إِلاَّ هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} يعني: أعظم من التي كانت قبلها، وهي السنين والنقص، من الثمرات والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم فلم يؤمنوا بشيء. {وأخذناهم بالعذاب لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يعني: عاقبناهم بهذه العقوبات لكي يرجعوا، ويعرفوا ضعف معبودهم {وَقَالُواْ يأَيُّهَا الساحر} وكان الساحر فيهم، عظيم الشأن يعني: قالوا لموسى: يا أيها العالم {ادع لَنَا رَبَّكَ} أي: سل لنا ربك {بِمَا عَهِدَ عِندَكَ} يعني: بحق ما أمرك به ربك، أن تدعو إليه {إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ} يعني: نؤمن بك، ونوحد الله تعالى.

قوله تعالى: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العذاب إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ} يعني: ينقضون عهودهم {ونادى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ} يعني: خطب فرعون لقومه {قَالَ يَا قَوْمٌ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ} وهي أربعون فرسخاً، في أربعين فرسخاً {وهذه الانهار تَجْرِى مِن تَحْتِى} يعني: من تحت يدي. ويقال: من حولي، وحول قصوري وجناني {أَفلاَ تُبْصِرُونَ} فضلي على موسى {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مّنْ هذا الذى هُوَ مَهِينٌ} يعني: خير، وأم للصلة من هذا الذي هو مهين، يعني: ضعيف ذليل.

{وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ} يعني: لا يكاد يعبر حجة. ويقال: معناه: ألا تنظرون إلى فصاحتي، وإلى عيِّ كلام موسى {فَلَوْلاَ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مّن ذَهَبٍ} يعني: هلا أعطي أسورة من ذهب. يعني: لو كان حقاً وكان رسولاً كما يقول، لأعطي له المال، فيكون حاله خيراً من هذا، وكان آل فرعون يلبسون الأساور. قرأ عاصم في رواية حفص (أَسْوَرَةٌ) بغير ألف والباقون (أَسَاوِرَةٌ) فمن قرأ أسورة فهو جمع السوار، ومن قرأ أساورة، فهو جمع الجمع. ويقال: أساور جمع سوار.

ثم قال: {أَوْ جَاء مَعَهُ الملئكة مُقْتَرِنِينَ} يعني: لو كان حقاً، لأتته الملائكة متتابعين، فيصدقون على مقالته ويقال {مُقْتَرِنِينَ} أي: متعاونين {فاستخف قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} يعني: فاستذل قومه فأطاعوه. يعني: حملهم على الخفة، فانقادوا له {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: كافرين عاصين، وذلك أن فرعون قال لهم: مَا أُرِيكُم إِلاَّ مَا أَرَى، فأطاعوه على تكذيب موسى عليه السلام {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: ناقضي العهد.

قوله تعالى: {فَلَمَّا ءاسَفُونَا} يعني: أغضبونا قال أهل اللغة: الأسف: الغضب. وروى معمر عن سماك بن الفضل. قال: كنا عند عروة بن محمد، وعنده وهب بن منبه، فجاء قوم فشكوا عاملهم، وأثبتوا على ذلك، فتناول وهب عصا كانت في يد عروة، فضرب بها رأس العامل حتى أدماه، فاستعابها عروة، وكان حليماً وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب وهو يغضب، فقال وهب: وما لي لا أغضب، وقد غضب الذي خلق الأحلام، إن الله تعالى يقول {فَلَمَّا ءاسَفُونَا انتقمنا مِنْهُمْ} يعني: أغضبونا.

ويقال: فلما آسفونا، يعني: وجب عليهم عذابنا {انتقمنا مِنْهُمْ} يعني: أهلكناهم {فأغرقناهم أَجْمَعِينَ} يعني: لم نبق منهم أحداً.

قوله تعالى: {فجعلناهم سَلَفاً} قال مجاهد: يعني: كفار قوم فرعون، سلفاً لكفار مكة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة: جعلناهم سلفاً إلى النار. قرأ حمزة والكسائي (سُلُفاً) بالضم، وقرأ الباقون (سَلفاً) بنصب السين واللام، فمن قرأ بالنصب فمعناه: جعلناهم سلفاً متقدمين، ليتعظ بهم الآخرون. ومن قرأ بالضم، فهو جمع سليف، أي: جمع قد مضى. ويقال: سلفاً واحدها سلفة من الناس، أي: قطعة. قوله: {وَمَثَلاً لّلآخِرِينَ} يعني: عبرة لمن بعدهم.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 62]

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا أَآَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (62)}

قوله تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابن مَرْيَمَ مَثَلاً} يعني: وصف ابن مريم شبهاً {إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} يعني: يعرضون عن ذكره. ويقال: لما قالت النصارى إن عيسى ابن الله إذا قومك منه يصدون. قرأ ابن عامر، والكسائي

ونافع (يَصُدُّونَ) بضم الصاد. وقرأ الباقون (يَصِدُّونَ) بالكسر فمن قرأ بالضم فمعناه يعرضون، ومن قرأ بالكسر فمعناه يضجون، ويرفعون أصواتهم تعجباً، وذلك أنهم قالوا: لما جاز أن يكون عيسى ابن الله، جاز أن تكون الملائكة بناته، فعارضوه بذلك، يعني: أهل مكة، ورفعوا أصواتهم بذلك. ويقال: إن عبد الله بن الزبعرى قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما ذكرنا في سورة الأنبياء، ففرح المشركون بذلك، ورفعوا أصواتهم تعجباً من قوله آلهتنا خير.

ثم قال تعالى: {وَقَالُواْ ءأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ} يعني: أم عيسى فإذا جاز أن يكون هو ولداً، جاز أن تكون الأصنام والملائكة كذلك. ويقال: فإذا جاز أن يكون هو في النار، جاز أن تكون معه الأصنام في النار. قوله: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً} يعني: ما عارضوك بهذه المعارضة، إلا جدلاً {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} يعني: يجادلونك شديد المجادلة بالباطل.

قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ} أي: ما كان عيسى إلاَّ عبداً لله، أنعم الله تعالى عليه بالنبوة، وأكرمه بها {وجعلناه مَثَلاً لّبَنِى إسراءيل} يعني: عبرة لبني إسرائيل، ليعتبروا به، حين ولد ابن من غير أب.

ثم قال: {وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَّلَئِكَةً فِى الارض يَخْلُفُونَ} يعني: لو شاء الله، لجعل مكانكم في الأرض ملائكة يخلفون، فكانوا خلفاً منكم. ثم رجع إلى صفة عيسى عليه السلام فقال: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لّلسَّاعَةِ} يعني: نزول عيسى، علامة لقيام الساعة. ويقال: نزول عيسى آية للناس. وروى وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، عن ابن عباس في قوله: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لّلسَّاعَةِ} قال: خروج عيسى ابن مريم. وروى معمر، عن قتادة قال: نزول عيسى وروى عبادة، عن حميد، عن أبي هريرة قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يُرى عيسى عليه السلام في الأَرْض إمَاماً مُقْسِطاً، وَكُنْتُ أَرْجُو أَلاَّ أَمُوتَ حَتَّى آكُل مع عيسى عليه السلام، عَلَى مَائِدَةٍ، فَمَنْ لَقِيهُ مِنْكُمْ، فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلاَم» قرأ بعضهم {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لّلسَّاعَةِ} بكسر العين أي: بنزول المسيح يعلم أنه قد قربت الساعة. ومن قرأ: (وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ) بالنصب، فإنه بمعنى الدليل، والعلامة.

قوله تعالى: {فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا} يعني: لا تشكن في القيامة والبعث {وَاتَّبِعُونِي} يعني: أطيعونني {فاعبدوه هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ} عني هذا التوحيد صراط مستقيم {وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ الشيطان} يعني: لا يصرفنكم الشيطان عن طريق الهدى {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} ظاهر العداوة.

▲ تفسير الآيات رقم [63- 76]

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (64) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (65) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (66) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (68) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (69) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (73) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76)}

{وَلَمَّا جَاء عيسى بالبينات} يعني: بالآيات والعلامات، وهو إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص. ويقال: بالبينات، يعني: بالإنجيل {قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بالحكمة} يعني: بالنبوة {وَلاُبَيّنَ لَكُم بَعْضَ الذى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ} قال: بعضهم، يعني: كل الذي تختلفون فيه. وقال بعضهم معناه: لأبين تحليل بعض الذي تختلفون فيه. كقوله: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التوراة وَلاحِلَّ لَكُم بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِأَيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} [آل عمران: 50] وكانوا في ذلك التحريم مختلفين، فمصدق ومكذب {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم به من التوحيد.

قوله تعالى: {إِنَّ الله هُوَ رَبّى وَرَبُّكُمْ} يعني: خالقي وخالقكم {فاعبدوه} يعني: وحدوه وأطيعوه {هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ} يعني: دين الإسلام {فاختلف الاحزاب مِن بَيْنِهِمْ} أي: تفرقوا في أمر عيسى، وهم النسطورية، والماريعقوبية، والملكانية. وقد ذكرناه من قبل. ويقال: الأحزاب تحزبوا وتفرقوا في أمر عيسى، وهم اليهود. فقالوا فيه قولاً عظيماً، وفي أمه. فقالوا: إنه ساحر. ويقال: اختلفوا في قتله {فَوَيْلٌ لّلَّذِينَ ظَلَمُواْ} يعني: أشركوا {مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ} يعني: عذاب يوم شديد.

قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ الساعة} يعني: ما ينظرون إذا لم يؤمنوا إلا الساعة {أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} يعني: فجأة {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} بقيامها قوله تعالى: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} قال مجاهد: الأخلاء في معصية

الله تعالى في الدنيا، يومئذٍ متعادين في الآخرة {إِلاَّ المتقين} الموحدين. قال مقاتل: نزلت في أبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط. وقال الكلبي: كل خليل في غير طاعة الله، فهو عدوٌّ لخليله.
وروى عبيد بن عمير. قال: كان لرجل ثلاثة أخلاء، بعضهم أخص به من بعض، فنزلت به نازلة، فلقي أخص الثلاثة. فقال: يا فلان: إني قد نزل بي كذا وكذا، وإني أحب أن تعينني. فقال له: ما أنا بالذي أعينك، ولا أنفعك، فانطلق إلى الذي يليه. فقال له: أنا معك حتى أبلغ المكان الذي تريده، ثم رجعت وتركتك. فانطلق إلى الثالث فقال له: أنا معك حيثما دخلت. قال: فالأول ماله، والثاني أهله وعشيرته، والثالث عمله. وروى أبو إسحاق عن الحارث، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه سئل عن قوله: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المتقين} فقال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنَين فيثني على صاحبه خيراً، ثم يموت الآخر، فيجمع بين أرواحهما فيقول: كل واحد منهما لصاحبه، نعم الأخ ونعم الصاحب، ويموت أحد الكافرين، فيثني على صاحبه شراً، ثم يموت الآخر، فيجمع بين أرواحهما فيقول: كل واحد منهما لصاحبه، بئس الأخ وبئس الصاحب.
قوله تعالى: {المتقين ياعباد لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليوم وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} يعني: يوم القيامة ثم وصفهم فقال: {الذين ءامَنُواْ بئاياتنا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ} يعني: مخلصين بالتوحيد. قوله تعالى: {ادخلوا الجنة أَنتُمْ وأزواجكم تُحْبَرُونَ} يعني: تكرمون وتنعمون. ويقال: ترون والحبرة: السرور. قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بصحاف مّن ذَهَبٍ} قال كعب: يطاف عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب، في كل صحفة لون وطعام، ليس في الأخرى، والصحفة هي القصعة. {وَأَكْوابٍ} وهي: الأباريق التي لا خراطيم لها، يعني: مدورة الرأس. ويقال: التي لا عُرى لها، واحدها كوب.
{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الانفس} يعني: تتمنى كل نفس {وَتَلَذُّ الاعين} من النظر إليها {وَأَنتُمْ فِيهَا خالدون وَتِلْكَ الجنة} يعني: هذه الجنة {التى أُورِثْتُمُوهَا} يعني: أنزلتموها {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: دخلتموها برحمة الله تعالى، بإيمانكم واقتسمتموها بأعمالكم. {لَكُمْ فِيهَا فاكهة كَثِيرَةٌ} لا تنقطع. لقوله: {لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: 33] {مّنْهَا تَأْكُلُونَ} أي: من الفواكه متى تشاؤوا.

ثم وصف المشركين فقال: {إنَّ المجرمين} يعني: المشركين {فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خالدون} أي: دائمون، لا يموتون ولا يخرجون {لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ} يعني: لا ينقطع عنهم العذاب طرفة عين {وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} يعني: آيسين من رحمة الله تعالى. قوله تعالى: {وَمَا ظلمناهم} يعني: لم نعذبهم بغير ذنب {ولكن كَانُواْ هُمُ الظالمين} لأنهم كانوا يستكبرون عن الإيمان.

▲ تفسير الآيات رقم [77- 81]

{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (80) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81)}

قوله تعالى: {وَنَادَوْاْ يامالك} وذلك أنه لما يشتد عليهم العذاب، يتمنون الموت، ويقولون لخازن جهنم: يَا مَالِك {لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} يعني: ادع ربك لقبض أرواحنا، فأجابهم بعد أربعين سنة {قَالَ إِنَّكُمْ ماكثون} وروى عطاء بن السائب، عن رجل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يجيبهم بعد ألف سنة {إِنَّكُمْ ماكثون} ويقال: إنهم ينادون {وَنَادَوْاْ يامالك لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} فأوحى الله تعالى إلى مالك ليجيبهم، فيقول لهم مالك قَالَ: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ.

قوله تعالى: {لَقَدْ جئناكم بالحق} يعني: جاءكم جبريل في الدنيا، بالقرآن والتوحيد {ولكن أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقّ كارهون} يعني: جاحدون. وهو قوله تعالى: {أَمْ أَبْرَمُواْ أَمْراً} قال مقاتل: وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة، ودخل إبليس عليهم، وقد ذكرناه في سورة الأنفال. فنزل {أَمْ أَبْرَمُواْ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ} يعني: أجمعوا أمرهم بالشر على النبي صلى الله عليه وسلم {فَإِنَّا مُبْرِمُونَ} أي: مجمعون أمرنا على ما يكرهون. وقال الكلبي: وذلك أن ثلاثة نفر، اجتمعوا وقالوا: إنه يقول: بأن ربي يعلم السر. أترى أنه يعلم مَا نقول بيننا؟ فنزل {أَمْ أَبْرَمُواْ أَمْراً} يعني: أقاموا على المعصية {فَإِنَّا مُبْرِمُونَ{ أي: معذبون عليها. قال القتبي: أي: أحكموه، والمبرم: المفتول على طاقين.

قوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ} يعني: بل يظنون. ويقال: أيظنون، والميم صلة {أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونجواهم} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ، ومعناه إن الله تعالى يعلم سرهم ونجواهم. قال ابن عباس: الذين يتناجون خلف الكعبة، يعني: الذين يقولون: إن الله لا يسمع مقالتنا. قال الله تعالى: {بلى} يعني: نسمع ذلك {وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} مقالتهم.

قوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ للرحمن وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ العابدين} يعني: الموحدين من أهل مكة. قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية، وقرئت عليهم فقال النضر بن الحارث: ألا ترونه صدقني. فقال له الوليد: ما صدقك، ولكنه يقول: ما كان للرحمن ولد. يعني: إنَّ إن بمعنى ما قال: {فَأَنَاْ أَوَّلُ العابدين} يعني: الموحدين من أهل مكة. وقال الكلبي: أنا أول الآنفين أن لله ولداً. وقال القتبي: إن كان هذا في زعمكم، فأنا أول الموحدين، لأنكم تزعمون أن له ولداً، فأنَّا أوَّلِ الآنفين من ذلك، فلم توحدوه ومن وحد الله، فقد عبده، ومن جعل له ولداً، فليس من العابدين كقوله: {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] أي: ليوحدون ثم نزه نفسه فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [82- 89]

{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (86) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (88) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (89)}

{سبحان رَبّ السموات والارض رَبّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ} يعني: عما يقولون إن لله ولداً {فَذَرْهُمْ} يعني: كفار مكة، حين كذبوا بالعذاب {يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ} يعني: يخوضوا في أباطيلهم، ويستهزئوا {حتى يلاقوا يَوْمَهُمُ الذى يُوعَدُونَ} يعني: حتى يعاينوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَهُوَ الذى فِى السماء إله وَفِى الارض إله} يعني: إله كل شيء، ويعلم كل شيء. ويقال: هو إله في السماء يعبد، وفي الأرض إله يعبد. ويقال: يوحد في السماء ويوحد في الأرض {وَهُوَ الحكيم} في أمره {العليم} بخلقه وبمقالتهم، ثم عظم نفسه فقال تعالى: {وَتَبَارَكَ الذى} يعني: تعالى عما وصفوه الَّذي {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} يعني: خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات {وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ الساعة} يعني: قيام الساعة {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} قرأ أبو عمرو، ونافع، وعاصم (تُرْجَعُونَ) بالتاء، على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء، على معنى الخبر عنهم.

قوله تعالى: {وَلاَ يَمْلِكُ الذين يَدْعُونَ} يعني: لا يقدر الذين يعبدون {مِن دُونِهِ الشفاعة إِلاَّ مَن شَهِدَ بالحق} يعني: بلا إله إلا الله مخلصاً {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنه الحق، حين شهدوا بها من قبل أنفسهم، وأنهم يشفعون لهؤلاء قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله} يعني: كفار قريش {فأنى يُؤْفَكُونَ} يعني: أنى يصرفون بعد التصديق.

ثم قال: {وَقِيلِهِ يارب إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ} يعني: قال النبي صلى الله عليه وسلم {وَقِيلِهِ} يعني: وقوله. قرأ عاصم وحمزة (قِيلِهِ) بكسر اللام، والباقون بالنصب. وقرئ في الشاذ (وَقِيلُهُ) بضم اللام، فمن قرأ بالنصب، فنصبه من وجهين: أحدهما على العطف على قوله: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ الله يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ الله علام الغيوب} [التوبة: 78] (وقيله) ومعنى آخر وعنده علم الساعة، وعلم قيله يا رب. يعني: يعلم الغيب ومن قرأ بالكسر معناه وعنده علم الساعة، وعلم قيله يا رب. ومن قرأ بالرفع فمعناه: وقيله قول يا رب {إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ} يعني: لا يصدقون {فاصفح عَنْهُمْ} يعني: أعرض عنهم، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال {وَقُلْ سلام} يعني: سداداً من القول {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ{ وهذا وعيد منه. قرأ نافع وابن عامر (تَعْلَمُونَ) بالتاء، على معنى المخاطبة لهم، والباقون بالياء على معنى الخبر عنهم، والله أعلم.

سورة الدخان

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (7) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8)}

قوله تبارك وتعالى: {حم والكتاب المبين إِنَّا أنزلناه فِى لَيْلَةٍ مباركة} يعني: الكتاب أنزلناه في ليلة القدر سميت مباركة لما فيها من البركة، والمغفرة للمؤمنين، وذلك أن القرآن، أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ، إلى السماء الدنيا في ليلة القدر إلى السفرة. ثم أنزله جبريل متفرقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال: كان ينزل من اللوح المحفوظ، إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، مقدار ما ينزل به جبريل عليه السلام، متفرقاً إلى السنة الثانية ثم قال: {إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} يعني: مخوفين بالقرآن.

قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} يعني: في ليلة القدر، يقضى كل أمر محكم، ما يكون في تلك السنة إلى السنة الأخرى، وهذا قول عكرمة. وروى منصور، عن مجاهد قال فيها: يقضى أمر السنة إلى السنة، من المصائب والأرزاق وغير ذلك. وهذا موافق للقول الأول. ويقال: في تلك الليلة، يفرق يعني: ينسخ من اللوح المحفوظ، ما يكون إلى العام القابل من الرزق، والأجل، والأمراض، والخصب، والشدة. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه قال: إنك لتلقى الرجل في الأسواق، وقد وقع اسمه في الأموات.

ثم قرأ هذه الآية: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} يعني: في تلك الليلة، يفرق كل أمر الدنيا إلى مثلها إلى السنة من قابل {أَمْراً مّنْ عِنْدِنَا} يعني: قضاء من عندنا. ويقال: معناه بأمر من عندنا، فنزع حرف الخافض فصار نصباً {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} يعني: الرسل إلى الخلق. ويقال: يعني: الملائكة في تلك الليلة {رَحْمَةً مّن رَّبّكَ} يعني: إنزال الملائكة، رحمة من الله تعالى. ويقال: الرسالة رحمة من الله تعالى. ويقال: هذا القرآن رحمة لمن آمن به {إِنَّهُ هُوَ السميع} لقولهم {العليم} بهم وبأعمالهم.

قوله عز وجل: {رَبِّ السموات والارض} قرأ أهل الكوفة رب، بكسر الباء، والباقون بالضم، فمن قرأ بالكسر رده إلى قوله: رحمة من ربك رب السموات. ومن قرأ بالضم، رده إلى قوله: {إِنَّهُ هُوَ السميع العليم} رب السموات. ويقال: على الاستئناف. ومعناه: هو ربكم، وهو رب السموات والأرض {وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ} يعني: مؤمنين بتوحيد الله {لا إله إِلاَّ هُوَ يُحْيِ وَيُمِيتُ} وقد ذكرناه {رَبُّكُمْ} أي: خالقكم ورازقكم {وَرَبُّ ءابَائِكُمُ الاولين} يعني: هو خالقهم ورازقهم.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 16]

{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)}

قوله عز وجل: {بَلْ هُمْ فِى شَكّ يَلْعَبُونَ} يعني: يستهزئون. ويقال: هذا جواب قوله: {إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ} فكأنه قال: لا يوقنون، بل هم في شك يلعبون يعني: يخوضون في الباطل. قوله تعالى: {فارتقب} يعني: فانتظر يا محمد {يَوْمَ تَأْتِى السماء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} يعني: الجدب والقحط قال القتبي: سمي الجدب والقحط. دخاناً، وفيه قولان: أحدهما أن الجائع كأنه يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، والثاني: أنه سمي القحط دخاناً، ليبس الأرض، وانقطاع النبات، وارتفاع الغبار، فشبه بالدخان. وروى الأعمش، عن مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: «خمس مضين، الدخان واللزام يعني: العذاب الأكبر، والروم، والبطشة، والقمر.

وروي عن الأعمش، عن أبي الضحي، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في المسجد، فسئل عن قوله: {يَوْمَ تَأْتِى السماء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} فقال: إذا كان يوم القيامة، نزل دخان من السماء، فأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، وأخذ المؤمنون منه بمنزلة الزكام. قال مسروق: فدخلت على عبد الله فأخبرته، وكان متكئاً، فاستوى قاعداً. ثم أنشأ فقال: يا أيها الناس: من كان عنده علم فسئل عنه، فليقل به، ومن لم يكن عنده علم، فليقل الله أعلم. إن قريشاً حين كذبوه يعني: صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال: " اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كسِنِّي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام " فأصابهم سنة، وشدة

الجوع، حتى أكلوا الكلاب، والجيف والعظام، حتى كان يرى أحدهم كأن بينه وبين السماء دخاناً.
فذلك قوله: {فارتقب يَوْمَ تَأْتِي السماء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} يعني: انتظر بهلاكهم يوم تأتي السماء بدخان مبين {يَغْشَى الناس} يعني: أهل مكة {هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: يقولون: هذا الجوع عذاب أليم ثم إن أبا سفيان وعتبة بن ربيعة والعاص بن وائل وأصحابهم قالوا: يا رسول الله استسق الله لنا، فقد أصابنا شدة.
قوله تعالى: {رَّبَّنَا اكشف عَنَّا العذاب} يعني: الجوع {إِنَّا مْؤْمِنُونَ أنى لَهُمُ الذكرى} يعني: من أين لهم التوبة والعظة والتذكرة {وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ} بلغتهم ومفقه لهم {ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ} يعني: أعرضوا عما جاء به، فلم يصدقوه ومع ذلك {وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ} يعلمه جبر ويسار أسماء الرجلين غلامي الخضر {إِنَّا كَاشِفُواْ العذاب قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} إلى المعصية، فعادوا فانتقم منهم يوم بدر، فذلك قوله: {يَوْمَ نَبْطِشُ البطشة الكبرى} يعني: نعاقب العقوبة العظمى {إِنَّا مُنتَقِمُونَ} منهم بكفرهم ويقال: {يَوْمَ نَبْطِشُ البطشة الكبرى} يعني: يوم القيامة. ويقال: آية الدخان لم تمض، وستكون في آخر الزمان.
وروى إسرائيل عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه قال: لم تمض آية الدخان يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينتفخ الكافر حتى يصير كهيئة الجمل. وروى ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: " أُخْبِرْتُ أَنَّ الكَوْكَب ذَا الذَّنب قد طَلَعَ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكونَ الدُّخَانَ قَد طَرق " ويقال: هذا كله يوم القيامة، إذا خرجوا من قبورهم، تأتي السماء بدخان مبين، محيط بالخلائق فيقول الكافرون: {رَّبَّنَا اكشف عَنَّا العذاب} أي: ردنا إلى الدنيا {إِنَّا مْؤْمِنُونَ} يقول الله تعالى: من أين لهم الرجعة، وقد جاءهم رسول مبين فلم يجيبوه.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 29]

{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (17) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آَتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (19) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (20) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (21) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (23) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آَخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ} يعني: ابتلينا قبل قومك قوم فرعون. {وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ} على ربه، وهو موسى عليه السلام. ويقال: رسول كريم. أي: شريف {أَنْ أَدُّواْ إِلَيَّ عِبَادَ الله} يعني: أرسلوا معي بني إسرائيل، واتبعوني على ديني {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} قد جئتكم من عند الله تعالى. ويقال: كريم لأنه كان يتجاوز عنهم، ويقال أمين فيكم قبل الوحي، فكيف تتهموني اليوم. ويقال كريم حيث يتجاوز عنهم، حين دعا موسى، ورفع عنهم الجراد، والقمل، والضفادع والدم {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} فيما بينكم وبين ربكم.

قوله تعالى: {وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى الله} يعني: لا تخالفوا أمر الله تعالى. ويقال: لا تستكبروا عن الإيمان، ولا تعلوا بالفساد، لأن فرعون لعنه الله، كان عالياً من المسرفين {وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى} يعني: آتيكم بحجة بينة اليد والعصى، وغير ذلك. {وَإِنّى عُذْتُ بِرَبّى وَرَبّكُمْ} يعني: أعوذ بالله {أَن تَرْجُمُونِ} يعني: أن تقتلون. ومعناه: أسأل الله تعالى، أن يحفظني لكي لا تقتلوني. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي {عُذْتُ} بإدغام الذال في التاء، لقرب مخرجيهما، والباقون بغير إدغام، لتبيين الحرف.

ثم قال: {وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فاعتزلون} يعني: إن لم تصدقوني فاتركوني. قوله تعالى: {فَدَعَا رَبَّهُ} يعني: دعا موسى ربه، كما ذكر في سورة يونس {وَقَالَ موسى رَبَّنَآ إِنَّكَ ءاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلاَّهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِى الحياة الدنيا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطمس على أموالهم واشدد على قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حتى يَرَوُاْ العذاب الاليم} [يونس: 88] وقوله: {وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القوم الكافرين} [يونس: 86] {أَنَّ هَؤُلاَء قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ} يعني: مشركون فأبوا أن يطيعوني {فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً} فأوحى الله تعالى إليه، أن أدلج ببني إسرائيل {إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ} يعني: إنَّ فرعون يتبع أثركم، فخرج موسى ببني إسرائيل، وضرب بعصاه البحر، فصار طريقاً يابساً.

وهذا كقوله: {أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [طه: 77] فلما جاوز موسى مع بني إسرائيل البحر، فأراد موسى أن يضرب بعصاه البحر، ليعود إلى الحالة الأولى، فأوحى الله تعالى إليه بقوله {واترك البحر رَهْواً} قال قتادة: يعني: طريقاً يابساً واسعاً. وقال الضحاك: رَهْواً يعني: سهلاً. وقال مجاهد: يعني: منفرجاً. وقال القتبي: يعني: طريقاً سالكاً. كما هو. ويقال: رهواً أي: سككاً جدداً، طريقاً يابساً {إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ} وذلك، أن بني إسرائيل

خشوا أن يدركهم فرعون، فقالوا لموسى: اجعل البحر كما كان، فإننا نخشى أن يلحق بنا.
قال الله تعالى: {إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ} يعني: سيغرقون، فدخل فرعون وقومه البحر، فأغرقهم الله تعالى، وبقيت قصورهم وبساتينهم قوله تعالى: {كَمْ تَرَكُواْ مِن جنات وَعُيُونٍ} يعني: بساتين وأنهاراً جارية {وَزُرُوعٍ} يعني: الحروق {وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} يعني: مساكن ومنازل حسن.
كذلك يعني: هكذا أخرجناهم من النعم {وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فاكهين} يعني: معجبين. وقال أهل اللغة: النِّعمة بكسر النون هي المنة، واليد الصالحة، والنُّعمة بالضم هي الميسرة، وبالنصب هي السعة في العيش. ثم قال: {كذلك} يعني: هكذا أخرجناهم من السعة والنعمة {كَذَلِكَ وأورثناها قَوْماً} يعني: جعلناها ميراثاً لبني إسرائيل.
قوله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السماء والارض} قال بعضهم: هذا على سبيل المثل، والعرب إذا أرادت تعظيم ملك، عظيم الشأن، عظيم العطية تقول: كَسَفَ القَمَرُ لِفَقْدِهِ، وبَكَت الرِّيحُ والسَّمَاءُ وَالأَرْضُ، وقد ذكروا ذلك في أشعارهم، فأخبر الله تعالى، أن فرعون لم يكن ممن يجزع له جازع، ولم يقم لفقده فقد، وقال بعضهم: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السماء والارض} يعني: أهل السماء، وأهل الأرض. فأقام السماء والأرض مقام أهلها. كما قال: {واسئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعير التى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لصادقون} [يوسف: 82] وقال بعضهم: يعني: بكت السماء بعينها، وبكت الأرض. وقال ابن عباس: «لِكُلِّ مُؤْمِنٍ بَابٌ في السَّمَاءِ، يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ، وَيَنْزِلُ مِنهُ رِزْقُهُ، فَإذا مَاتَ بَكَى عَلَيْهِ بَابُه فِي السَّمَاءِ، وَبَكَتْ عَلَيْهِ آثَارُهُ فِي الأَرْضِ» وذكر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه سئل: أتبكي السماء والأرض على أحد؟ قال نعم، إذا مات المؤمن، بكت عليه معادنه من الأرض، التي كان يذكر الله تعالى فيها ويصلي، وبكى عليه بابه الذي كان يرفع فيه عمله، فأخبر الله تعالى: أن قوم فرعون، لم تبك عليهم السماء والأرض {وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ} يعني: مؤجلين.

تفسير الآيات رقم [30- 37]

{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32) وَآَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآَيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (33) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (34) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا

الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (35) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (36) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (37)}

{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إسراءيل مِنَ العذاب المهين} يعني: من العذاب الشديد. ويقال: المهين يعني: الهوان. وهو قتل الأبناء، واستخدام البنات {مِن فِرْعَوْنَ} يعني: من عذاب فرعون {إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ المسرفين} يعني: كان عاصياً، عاتياً، مستكبراً، متعظماً وكان من المسرفين. يعني: من المشركين {وَلَقَدِ اخترناهم} يعني: اصطفينا بني إسرائيل {على عِلْمٍ} يعني: على علم من الله تعالى، أنهم أهل لذلك. ويقال: {على عِلْمٍ} الله فيهم من صبرهم {عَلَى العالمين} يعني: على عالمي زمانهم {وءاتيناهم مِنَ الايات} يعني: أعطيناهم من العلامات {مَا فِيهِ بَلَؤٌاْ مُّبِينٌ} يعني: ابتلاء بيناً، مثل انفلاق البحر، وأشباه ذلك.

ثم ذكر كفار مكة فقال: {إِنَّ هَؤُلاَء لَيَقُولُون إِنْ هِىَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الاولى} يعني: ما هي إلا موتتنا الأولى {وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ} بعدها {فَأْتُواْ بِئَابَائِنَا إِن كُنتُمْ صادقين} أنا نبعث بعد الموت، يعني: قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ} يعني: قومك خير أم قوم تبع، وإنما ذكر قوم تبع، لأنهم كانوا أقرب إلى أهل مكة في الهلاك من غيرهم. قال الكلبي: وكانوا أشراف حمير {والذين مِن قَبْلِهِمْ أهلكناهم} فكيف لا نهلك قومك إذا كذبوك قال: وكان تبع اسم ملك منهم، مثل فرعون. ويقال: إنما سمي تبع، لكثرة أتباعه، فأسلم فخالفوه فأهلكهم الله تعالى، وكان اسمه سعد بن ملكي كرب.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، أن عائشة رضي الله عنها قالت: إن تبع كان رجلاً صالحاً. وكان كعب الأحبار يقول: ذم الله قومه، ولم يذمه. وقال سعيد بن جبير: إن تبعاً كسا البيت، يعني: الكعبة. وقال القتبي: هم ملوك اليمن، كل واحد منهم يسعى تبعاً، لأنه يتبع صاحبه، وكذلك الظل يسمى: تبعاً لأنه يتبع الشمس، وموضع التبع في الجاهلية، موضع الخليفة في الإسلام، وهم ملوك العرب. ثم قال: {والذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: من قبل تبع {أهلكناهم} يعني: عذبناهم عند التكذيب {إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ} يعني: مشركين.

▲ تفسير الآيات رقم [38- 42]

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40) يَوْمَ لَا

يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (41) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (42)}

قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ} يعني: عابثين لغير شيء {مَا خلقناهما إِلاَّ بالحق} يعني: إلا لأمر هو كائن. ويقال: خلقناهما للعبرة، ومنفعة الخلق ويقال: للأمر والنهي، والترهيب والترغيب {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون، ولا يفقهون.

قوله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الفصل} أي: يوم القضاء بين الخلق، وهو يوم القيامة {ميقاتهم أَجْمَعِينَ} يعني: ميعادهم أجمعين، الأولين والآخرين. ويقال: يوم الفصل، يعني: يوم يفصل بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والزوج والزوجة، والخليل والخليلة، ثم وصف ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ لاَ يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً} يعني: لا يدفع ولي عن ولي، ولا قريب عن قريب شيئاً في الشفاعة {وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعون مما نزل بهم من العذاب. يعني: الكافرين. ثم وصف المؤمنين، فإنه يشفع بعضهم لبعض فقال: {إِلاَّ مَن رَّحِمَ الله إِنَّهُ هُوَ العزيز} في نعمته للكافرين {الرحيم} بالمؤمنين.

▲ تفسير الآيات رقم [43- 50]

{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (50)}

قوله تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزقوم طَعَامُ الاثيم} يعني: الفاجر وهو الوليد، وأبو جهل، ومن كان مثل حالهما {كالمهل يَغْلِى فِى البطون} يعني: كالصفر المذاب. قرأ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص {كالمهل يَغْلِى}، بالياء بلفظ التذكير. والباقون بلفظ التأنيث، فمن قرأ بلفظ التذكير، رده إلى المهل. ومن قرأ بلفظ التأنيث، رده إلى الشجرة {كَغَلْىِ الحميم} يعني: الماء الحار الذي قد انتهى حره.

ثم قال للزبانية: {خُذُوهُ فاعتلوه إلى سَوَاء الجحيم} يعني: فسوقوه وادفعوه إلى وسط الجحيم. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر فَاعْتُلُوه بضم التاء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، معناهما واحد، يعني: امضوا به بالعنف والشدة. وقال مقاتل: يعني: ادفعوه على وجهه. وقال القتبي: خذوه بالعنف {ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحميم} ويقال له: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العزيز الكريم} وذلك أن أبا

جهل قال: أنا في الدنيا أعز أهل هذا الوادي، وأكرمه فيقال له في الآخرة: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العزيز الكريم}، يعني: المتعزز المتكرم، كما قلت في الدنيا.
قوله عز وجل: {إِنَّ هذا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ} يعني: تشكون في الدنيا. قرأ الكسائي {ذُقْ إِنَّكَ} بنصب الألف، والباقون بالكسر. فمن قرأ بالنصب فمعناه ذق يا أبا جهل، لأنك قلت: أنك أعز أهل هذا الوادي فقال الله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ} القائل أنا {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العزيز الكريم} [الدخان: 49] ومن قرأ بالكسر، فهو على الاستئناف. ثم وصف حال المؤمنين في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [51- 59]

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (53) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (59)}
فقال تعالى {إِنَّ المتقين فِى مَقَامٍ أَمِينٍ} يعني: في منازل حسنة، آمنين من العذاب. قرأ نافع، وابن عامر فِي مُقَامٍ، بضم الميم. والباقون بالنصب، فمن قرأ بالنصب يعني: المكان والموضع، ومن قرأ بالضم يعني: الإقامة {فِى جنات وَعُيُونٍ} يعني: في بساتين، وأنهار جارية {يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ} يعني: ما لطف من الديباج {وَإِسْتَبْرَقٍ} يعني: ما ثخن منه {متقابلين} يعني: متواجهين كما قال في آية أخرى {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا على سُرُرٍ متقابلين} [الحجر: 47] ثُم قال: {كذلك} يعني: هكذا، كما ذكرت لهم في الجنة.
ثم قال عز وجل: {وزوجناهم بِحُورٍ عِينٍ} يعني: بيض الوجوه حسان الأعين {يَدْعُونَ فِيهَا بِكلّ فاكهة ءامِنِينَ} يعني: ما يتمنون من الفواكهة، آمنين من الموت ومن زوال المملكة. ويقال: {ءامِنِينَ} مما يلقى أهل النار {لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الموت} يعني: في الجنة {إِلاَّ الموتة الاولى} يعني: سوى ما قضى عليهم من الموتة الأولى في الدنيا {ووقاهم عَذَابَ الجحيم} يعني: يصرف عنهم عذاب النار قوله تعالى: {فَضْلاً مّن رَّبّكَ} يعني: هذا الثواب، عطاء من ربك للمؤمنين المخلصين {ذلك هُوَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة {فَإِنَّمَا يسرناه بِلَسَانِكَ} يعني: هَوَّنَا قراءة القرآن على لسانك، لكي تقرأه وتخبرهم بذلك {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} يعني: يتعظون بالقرآن {فارتقب}

يعني: انتظر بهلاكهم {إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ} يعني: منتظرون بهلاكك. روى يعلى بن عبيد، عن إسماعيل، عن عبد الله بن عيسى قال: أخبرت أنه: من قرأ ليلة الجمعة سورة الدخان إيماناً، واحتساباً وتصديقاً، أصبح مغفوراً له، والله أعلم.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي، وآله وأزواجه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً دائماً.

سورة الجاثية

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6)}

قوله تبارك وتعالى: {حم تَنزِيلُ الكتاب} يعني: هذا الكتاب تنزيل {مِنَ الله العزيز الحكيم} وقد ذكرناه {إِنَّ فِى السموات والارض ايات لّلْمُؤْمِنِينَ} يعني: لعبرات للمؤمنين في خلقهن. ويقال: معناه أن ما في السموات من الشمس، والقمر، والنجوم، وفي الأرض من الجبال، والأشجار، والأنهار وغيرها من العجائب، لعبرات ودلائل، واضحات للمؤمنين. يعني: للمقرين المصدقين ويقال {لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني: لمن أراد أن يؤمن، ويتقي الشرك.

قوله عز وجل: {وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ} يعني: وفيما خلق من الدواب {لّقَوْمٍ يُوقِنُونَ واختلاف} يعني: عبرات ودلائل لمن كان له يقين. قرأ حمزة والكسائي آيَاتٍ بالكسر، والباقون بالضم. وكذلك الاختلاف في الذي بعده، فمن قرأ بالكسر، فإن المعنى: إن في خلقكم آيات لقوم يوقنون، فهو في موضع النصب إلاَّ أن هذه التاء تصير خفضاً في موضع النصب وإنما أضمر فيه إنَّ لأَنَّ قوله: {إِنَّ فِى السموات والارض لآيَاتٍ} في موضع النصب، فكذلك في الثاني معناه: إن في خلقكم آيات. ومن قرأ بالضم، فهو على الاستئناف على معنى، وفي خلقكم آيات.

{واختلاف اليل والنهار} يعني: في اختلاف الليل والنهار، في سواد الليل، وبياض النهار يعني: في اختلاف ألوانهما، وذهاب الليل ومجيء النهار {وَمَا أَنَزَلَ الله مِنَ السماء مّن رِزْقٍ} وهو المطر {فَأَحْيَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني: بعد يبسها وقحطها {وَتَصْرِيفِ الرياح} مرة رحمة، ومرة عذاباً. ويقال: مرة جنوباً ومرة شمالاً.

ثم قال: {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تَلْكَ * تِلْكَ آيات الله} يعني: هذه دلائل الله، وعلامة وحدانيته {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالحق} يعني: يقرأ عليك جبريل من القرآن، بأمر الله {تَلْكَ ءايات الله نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالحق} قال مقاتل: إن لم تؤمنوا بهذا القرآن، فبأي حديث بعد توحيد الله وبعد القرآن تؤمنون. يعني: تصدقون.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 11]

{وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (9) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (10) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (11)}

قوله تعالى: {وَيْلٌ لّكُلّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} يعني: كذاب فاجر {يَسْمَعُ ءايات الله} يعني: القرآن {تتلى عَلَيْهِ} يعني: يعرض عليه، ويقرأ عليه {ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً} يعني: يقيم على الكفر، متكبراً عن الإيمان {كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} يعني: كأن لم يعقلها، ولم يفهمها {فَبَشّرْهُ} يا محمد {بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} يعني: شديد. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر، وَآيَاتِهِ تُؤْمِنُونَ بالتاء على معنى المخاطبة. والباقون بالياء، على معنى الخبر عنهم.

قوله عز وجل: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءاياتنا شَيْئاً اتخذها هُزُواً} يعني: إذا سمع من آياتنا، يعني: من القرآن، اتخذها هزءاً. يعني: سخرية. ويقال: مثل حديث رستم وإسنفديار، وهو النضر بن الحارث {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهانون فيه. قوله تعالى: {مّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ} يعني: أمامهم جهنم. ويقال: من بعدهم في الآخرة جهنم {وَلاَ يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْئاً} يعني: لا ينفعهم ما جمعوا من المال. {وَلاَ مَا اتخذوا مِن دُونِ الله أَوْلِيَاء} يعني: لا ينفعهم ما عبدوا دونه من الأصنام {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} في الآخرة.

قوله تعالى: {هذا هُدًى} يعني: هذا القرآن بيان من الضلالة. ويقال: هذا العذاب الذي حق {والذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا {بآيات رَبّهِمْ} يعني: بالقرآن {لَهُمْ عَذَابٌ مّن رّجْزٍ أَلِيمٌ} يعني: وجيع في الآخرة. قرأ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص {أَلِيمٌ}، بضم الميم، والباقون بكسر الميم، كما ذكرنا في سورة سبأ، ثم ذكرهم النعم ليعتبروا.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 14]

{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)}

فقال تعالى {الله الذى سَخَّرَ لَكُمُ البحر لِتَجْرِىَ الفلك فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وقد ذكرناه. ثم قال: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السموات وَمَا فِي الارض} يعني: ذلل لكم ما في السموات وما في الأرض، لصلاحكم. ثم قال تعالى: {جَمِيعاً مّنْهُ} يعني: جميع ما سخر الله تعالى، هو من قدرته ورحمته. ويقال: {جَمِيعاً مّنْهُ} يعني: مِنَّةً منه. قال مقاتل: يعني: جميعاً من أمره. وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: جميعاً منه، منه النور، ومنه الشمس ومنه القمر.

{إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: فيما ذكر {لآيَاتٍ} يعني: دلالات وعبرات {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يعتبرون في صنعه وتوحيده. وروى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، «أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْم يَتَفَكَّرُونَ فِي الخَالِق، فَقَالَ: تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ». وروى وكيع، عن هشام، عن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُم، فَيَقُول: مَنْ خَلَقَ السماء؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الله تعالى؟ فإذا افْتُتِنَ أَحَدُكُمُ بِذَلِكَ، فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ». قال الله تعالى: {قُل لّلَّذِينَ ءامَنُواْ} قال مقاتل والكلبي: وذلك، أن رجلاً من الكفار من قريش، شتم عمر رضي الله عنه بمكة، فهم عمر بأن يبطش به، فأمره الله بأن يتجاوز عنه. فقال: {قُل لّلَّذِينَ ءامَنُواْ}، يعني: عمر {يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ} يعني: يتجاوزوا، ولا يعاقبوا الذين {لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله} يعني: لا يخافون عقوبته التي أهلك بها عاداً وثموداً، والقرون التي أهلكت قبلهم. يعني: لا يخشون مثل أيام الأمم الخالية. قال قتادة: ثم نسختها آية القتال {إِنَّ عِدَّةَ الشهور عِندَ الله اثنا عَشَرَ شَهْراً فِي كتاب الله يَوْمَ خَلَقَ السماوات والارض مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلك الدين القيم فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ المشركين كَآفَّةً كَمَا يقاتلونكم كَآفَّةً واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين} [التوبة: 36] ثم قال: {لِيَجْزِىَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: يجزيهم بأعمالهم في الآخرة. قال مجاهد: {لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله}، يعني: لا ينالون نعم الله. قرأ حمزة

والكسائي، وابن عامر لِنَجْزِيَ بالنون على الإضافة إلى نفسه. والباقون لِنَجْزِيَ بالياء، أي: ليجزي الله.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 20]

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15) وَلَقَدْ آَتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (16) وَآَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20)}

قوله عز وجل {مَّنْ عَمِلَ صالحا فَلِنَفْسِهِ} يعني: ثوابه لنفسه {وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا} يعني: عقوبته عليها {ثُمَّ إلى رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ} في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. قال الله تعالى: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا بَنِى إسراءيل} يعني: أولاد يعقوب {الكتاب} أي: التوراة، والزبور، والإنجيل، لأن موسى وداود وعيسى كانوا في بني إسرائيل {والحكم} يعني: الفهم والعلم {والنبوة} يعني: جعلنا فيهم النبوة، فكان فيهم ألف نبي.

{وَرَزَقْنَاهُمْ مّنَ الطيبات} يعني: الحلال من الرزق، وهو المن والسلوى. ويقال: {رزقناهم مّنَ الطيبات} يعني: أورثناهم أموال فرعون {وفضلناهم عَلَى العالمين} يعني: فضلناهم بالإسلام على عالمي زمانهم. {وءاتيناهم بينات مّنَ الامر} يعني: الحلال والحرام، وبيان ما كان قبلهم، ثم اختلفوا بعده قوله تعالى: {فَمَا اختلفوا} يعني: في الدين {إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم} أي: صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم {بَغْياً بَيْنَهُمْ} يعني: حسداً منهم، وطلباً للعز والملك. ويقال: اختلفوا في الدين، فصاروا أحزاباً فيما بينهم، يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من دين بعض.

ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة} يعني: يحكم بينهم {فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} في الكتاب والدين. قوله عز وجل: {ثُمَّ جعلناك على شَرِيعَةٍ مّنَ الامر} يعني: أمرناك وألزمناك وأثبتناك على شريعة. ويقال: على سنة من الأمر وذلك حين دعوه إلى ملتهم. ويقال: على شريعة. يعني: على ملة ومذهب. وقال قتادة: الشريعة الفرائض والحدود والأحكام. {فاتبعها} يعني: اثبت عليها.

{وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الذين لاَ يَعْلَمُونَ} أي لا يصدقون بالتوحيد {إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ الله شَيْئاً} يعني: إن تركت الإسلام، إنهم لا يمنعوك من عذاب الله شيئاً {وَإِنَّ الظالمين بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} يعني: بعضهم على دين بعض {والله وَلِيُّ المتقين} أي: ناصر الموحدين المخلصين {هذا بصائر لِلنَّاسِ} يعني: يبصرهم ما لهم وما عليهم، والواحدة بصيرة يعني: يبين لهم الحلال والحرام. ويقال: هذا القرآن دلائل للناس. ويقال: دعوة وكرامة.
ثم قال: {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} أي: هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} يعني: يصدقون بالرسل والكتاب، ويوقنون أن الله أنزله نعمة وفضلاً.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 23]

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (22) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23)}
{أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات} يعني: اكتسبوا السيئات، وذلك أنهم كانوا يقولون: إنا نعطى في الآخرة من الخير، ما لم تعطوا. قال الله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات} يعني: أيظن الذين عملوا الشرك، وهو عتبة وشيبة، والوليد وغيرهم {أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات أَن} يعني: علياً وحمزة وعيينة بن الحارث رضي الله عنهم {سَوَاء محياهم ومماتهم} يعني: يكونون سواء في نعم الآخرة، قرأ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية حفص، سَوَاءً بالنصب والباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب فمعناه: أحسبوا أن نجعلهم سواء، أي: مستوياً فيجعل أَن نَّجْعَلَهُمْ متعدياً إلى مفعولين. ومن قرأ بالضم، جعل تمام الكلام عند قوله: {وَعَمِلُواْ الصالحات} ثم ابتدأ فقال: {سَوَاء محياهم ومماتهم} خبر الابتداء وقال مجاهد: {سَوَاء محياهم ومماتهم} قال: المؤمنون في الدنيا والآخرة، مؤمن يكون على إيمانه، يموت على إيمانه، ويبعث على إيمانه والكافر في الدنيا والآخرة، كافر يموت على الكفر، ويبعث على الكفر.
وروى أبو الزبير عن جابر قال: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ المُؤمِنُ عَلَى إيمانِه، والمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِه» ثم قال: {سَاء مَا يَحْكُمُونَ} أي: بئس ما يقضون الخير لأنفسهم، حين يرون أن لهم ما في الآخرة، ما للمؤمنين. قوله

عز وجل: {وَخَلَقَ الله السموات والارض بالحق} وقد ذكرناه {ولتجزى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} يعني: ما عملت {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم، ولا يُزادون على سيئاتهم.

قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتخذ إلهه هَوَاهُ} قال: يعمل بهواه، ولا يهوى شيئاً إلا ركبه، ولا يخاف الله {وَأَضَلَّهُ الله على عِلْمٍ} يعني: علم منه، أنه ليس من أهل الهدى {وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ} يعني: خذله الله، فلم يسمع الهدى، وقلبه يعني: ختم على قلبه، فلا يرغب في الحق {وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غشاوة} يعني: غطاء. كي لا يعتبر في دلائل الله تعالى. قرأ حمزة والكسائي غشاوة بنصب الغين بغير ألف، والباقون غِشَاوَةً. كما اختلفوا في سورة البقرة، ومعناهما واحد {فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ الله} يعني: من بعد ما أضله الله {أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} أن من لا يقبل إلى دين الله، ولا يرغب في طاعته، لا يكرمه بالهدى والتوحيد.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 27]

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (26) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (27)}

قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدنيا} يعني: آجالنا تنقضي، نموت ويحيي آخرون. يعني: نموت نحن ويحيا أولادنا ويقال يموت قوم ويحيا آخرون ووجه آخر {نَمُوتُ وَنَحْيَا} يعني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع لا للتأخير، ووجه آخر نموت ونحيا، أي: كنا أمواتاً في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم يهلكنا الدهر فذلك قوله: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدهر} يعني: لا يميتنا إلا مضي الأيام، وطول العمر.

قال الله تعالى: {وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} يعني: يقولون قولاً بغير حجة، ويتكلمون بالجهل {إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} يعني: ما هم إلا جاهلون. قوله تعالى: {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بَيّنَاتٍ} يعني: تعرض عليهم آيات القرآن واضحات، بين فيه الحلال والحرام {مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ} أي: لم تكن حجتهم وجوابهم {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بينات} يعني: أحيوا لنا آباءنا {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنا نبعث {قُلِ الله يُحْيِيكُمْ} يخلقكم من النطفة {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عند انقضاء آجالكم.

{ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إلى يَوْمِ القيامة} يعني: يوم القيامة يجمع أولكم وآخركم {لاَ رَيْبَ فِيهِ} لا شك فيه عند المؤمنين. ويقال: لا ينبغي أن يشك فيه {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: البعث بعد الموت. قوله عز وجل: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السموات والارض} يعني: خزائن السموات والأرض. ويقال. له: نفاذ الأمر في السموات والأرض {وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المبطلون} يعني: يخسر المكذبون بالبعث، وهم أهل الباطل والكذب. ثم قال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ مرساها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السماوات والارض لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ الله ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187].

▲ تفسير الآيات رقم [28- 31]

{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (31)}

{وترى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً} يعني: مجتمعة للحساب على الركب {كُلُّ أمَّةٍ تدعى إلى كتابها} يعني: إلى ما في كتابها من خير أو شر، وهذا كقوله: {يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بإمامهم فَمَنْ أُوتِىَ كتابه بِيَمِينِهِ فأولئك يَقْرَءُونَ كتابهم وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} [الإسراء: 71] يعني: بكتابهم {اليوم تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: يقال لهم: اليوم تثابون بما كنتم تعملون في الدنيا، من خير أو شر. قوله تعالى: {هذا كتابنا يَنطِقُ عَلَيْكُم} يعني: هذا الذي كتب عليكم الحفظة {يَنطِقُ عَلَيْكُم} {بالحق} يعني: يشهد عليكم بالحق {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: نستنسخ عملكم من اللوح المحفوظ، نسخة أعمالكم، {مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من الحسنات والسيئات.

قال أبو الليث رحمه الله: حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا الماسرجسي قال: حدّثنا إسحاق قال: حدّثنا بقية بن الوليد قال: حدّثنا أرطأة بن المنذر. قال: عن مجاهد، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ الله القَلَمَ، فَكَتَبَ مَا يَكُون فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، براً وفاجِراً وَأَحْصَاهُ فِي الذِّكْرِ فَاقْرَؤُوا إن شِئْتُمْ {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فهَلَ يَكُونُ النَّسْخُ إلاَّ مِنْ شَيءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ». وروى الضحاك، عن ابن عباس، أن الله تعالى وكل

ملائكته، يستنسخون من ذلك الكتاب المكتوب عنده، كل عام في شهر رمضان، ما يكون في الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة، فيعارضون به، حفظه الله تعالى على عبادة كل عشية خميس، فيجدون ما رفع الحفظة موافقاً لما في كتابهم ذلك، لا زيادة فيه ولا نقصان.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ألستم قوماً عرباً، هل يكُون النَّسخ إلاَّ من أَصْل كَان قَبْل ذَلِكَ؟ وقال القتبي: إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ. قال إن الحفظة يكبتون جميع ما يكون من العبد، ثم يقابلونه بما في أم الكتاب، فما فيه من ثواب أو عقاب أثبت، وما لم يكن فيه ثواب ولا عقاب محي فذلك قوله: {يَمْحُو الله مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكتاب} [الرعد: 39] الآية. وقال الكلبي: يرفعان ما كتبا، فينسخان ما فيها من خير أو شر. ويطرح ما سوى ذلك.

قوله تعالى: {فَأَمَّا الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الفوز المبين} وقد ذكرناه. قوله عز وجل: {وَأَمَّا الذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا بالكتاب والرسل والتوحيد. يقال لهم: {وَأَمَّا الذين كَفَرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ} يعني: تقرأ عليكم في الدنيا {فاستكبرتم} يعني: تكبرتم عن الإيمان والقرآن {وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ} يعني: مشركين، كافرين بالرسل والكتب.

تفسير الآيات رقم [32- 37]

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (32) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (33) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (34) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (35) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37)}

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وعْدَ اللهِ حَقٌّ} يعني: إذا قال لكم الرسل في الدنيا، إن البعث بعد الموت حق {والساعة لاَ رَيْبَ فِيهَا} أي: لا شك فيها. قرأ حمزة {والساعة} بالنصب، عطف على قوله: {أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَأَنَّ الساعة} قرأ الباقون بالضم، ومعناه: وَإِذَا قِيلَ: {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَقِيلَ والساعة لاَ رَيْبَ فِيهَا}، أي: لا شك فيها {قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا الساعة} يعني: ما القيامة، وما البعث {إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً} يعني: قلتم ما نظن إلا ظناً غير اليقين {وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ} أنها كائنة.

قوله عز وجل: {وَبَدَا لَهُمْ} أي: ظهر لهم {سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ} يعني: عقوبات ما عملوا في الدنيا. ويقال: تشهد عليهم جوارحهم {وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: نزل بهم العذاب، ووجب عليهم العذاب، باستهزائهم أنه غير نازل بهم {وَقِيلَ} يعني: قالت لهم الخزنة {اليوم نَنسَاكُمْ} يعني: نترككم في النار. {كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا} يعني: كما تركتم الإيمان والعمل، لحضور يومكم هذا.

{وَمَأْوَاكُمُ النار} يعني: مثواكم ومستقركم النار {وَمَا لَكُمْ مّن ناصرين} يعني: ليس لكم مانع يمنعكم، مما نزل بكم من العذاب {ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتخذتم ءايات الله هُزُواً} يعني: هذا العذاب، بأنكم لم تؤمنوا {وَغَرَّتْكُمُ الحياة الدنيا} يعني: ما في الدنيا من زينتها وزهرتها {فاليوم لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا} قرأ حمزة والكسائي بنصب الياء، فيجعلان الفعل لهم. والباقون بالضم على فعل، ما لم يسم فاعله. {وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} يعني: لا يرجعون إلى الدنيا. وقال الكلبي: لا يعاتبون بعد هذا القول، ويتركون في النار. ويقال: لا يراجعون الكلام بعد دخولهم النار {فَلِلَّهِ الحمد} يعني: عند ذلك، يحمد المؤمنون الله في الجنة. كقوله: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الارض نَتَبَوَّأُ مِنَ الجنة حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين} [الزمر: 74] ويقال: {فَلِلَّهِ الحمد} يعني: له آثار الحمد، فعلى جميع الخلق أن يحمدوه. ويقال: {فَلِلَّهِ الحمد} يعني: الألوهية والربوبية {رَبّ السموات وَرَبّ الارض} يعني: الحمد لرب الأرض {رَبّ العالمين} يعني: لرب جميع الخلق الحمد والثناء {وَلَهُ الكبرياء} يعني: العظمة، والقدرة، والسلطان، والعزة {فِي السموات والارض وَهُوَ العزيز} في ملكه {الحكيم} في أمره وقضائه، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

▲ سورة الأحقاف

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (3)}

قوله تبارك وتعالى: {حم تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العزيز الحكيم} وقد ذكرناه {مَا خَلَقْنَا السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من الشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والخلق {إِلاَّ بالحق} يعني: إلا ببيان الحق، لأمر عظيم هو كائن، ولم يخلقهن عبثاً {وَأَجَلٌ مٌّسَمًّى} يعني: خلقهن لأجل أمر عظيم، ينتهي إليه وهو يوم القيامة، وهو الأجل المعلوم {والذين كَفَرُواْ} يعني: مشركي مكة {عَمَّا أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ} يعني: عما خوفوا به تاركون، فلا يؤمنون به، ولا يتفكرون فيه.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 7]

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)}

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: ما تعبدون من الأصنام. قال القتبي: ما هاهنا في موضع الجمع، يعني: الذين يدعون من الآلهة {أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الارض} يعني: أخبروني ما الذي خلقوا من الأرض، كالذي خلق الله تعالى، إن كانوا آلهة {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السموات} يعني: أم لهم نصيب ودعوة في السموات. يعني: في خلق السموات.

ثم قال {ائتونى بكتاب مّن قَبْلِ هذا} أي: بحجة لعبادتكم الأصنام في كتاب الله. ويقال ائتوني بحجة من الله ومن الأنبياء من قبل هذا يعني: من قبل هذا القرآن، الذي أتيتكم به، فيه بيان ما تقولون {أَوْ أثارة مّنْ عِلْمٍ} يعني: رواية تروونها من الأنبياء، والعلماء {إِن كُنتُمْ صادقين} أن الله تعالى، أمَركم بعبادة الأوثان. قرأ الحسن، وأبو عبد الرحمن السلمي، أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ. قال القتبي: هو اسم

مبني على فعلة من ذلك، والأول فعالة، والأثرة التذكرة، ومنه يقال: فلان يأثر الحديث أي: يرويه. وقال قتادة: أَوْ أَثَارَةٍ، يعني: خاصة من علم، ويقال: أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ يؤثر عن الأنبياء والعلماء. فلما قال لهم ذلك سكتوا.

قوله تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ الله} يعني: من أشد كفراً ممن يعبد من دون الله آلهة {مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القيامة} يعني لا يجيبه وإن دعاه إلى يوم القيامة {وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غافلون} يعني: عن عبادتهم. ثم بين إجابتهم وحالهم يوم القيامة، فقال تعالى: {وَإِذَا حُشِرَ الناس} يعني: إلى البعث {كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَاء} يعني: صارت الآلهة أعداء لمن عبدهم {وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كافرين} يعني: جاحدين، ويتبرؤون منهم {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بَيِّنَاتٍ} يعني: تقرأ عليهم آياتنا واضحات، فيها الحلال والحرام. ويقال: بينات فيها دلائل واضحات {قَالَ الذين كَفَرُواْ لِلْحَقّ} يعني: للقرآن {لَمَّا جَاءهُمْ هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ} أي: حين جاءهم هذا سحر بين.

▲ تفسير الآيات رقم [8- 10]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)}

قوله عز وجل: {أَمْ يَقُولُونَ افتراه} يعني: اختلقه من ذات نفسه {قُلْ إِنِ افتريته} يعني: اختلقته من تلقاء نفسي، يعذبني الله تعالى عليه. {فَلاَ تَمْلِكُونَ لِى مِنَ الله شَيْئاً} يعني: لا تقدرون أن تمنعوا عذاب الله عني {هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ} يعني: تخوضون فيه من الكذب في القرآن {كفى بِهِ شَهِيداً} يعني: كفى بالله عالماً {بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ} ويقال تفيضون أي تقولون ثم قال {وَهُوَ الغفور الرحيم} يعني: الغفور لمن تاب، الرحيم بهم.

قوله تعالى {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مّنَ الرسل} يعني: ما أنا أول رسول بعث {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ} يعني: يرحمني وإياكم، أو يعذبني وإياكم. وقال الحسن في قوله: وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ، يعني: في الدنيا. وقال الكلبي: وذلك أنه رأى في المنام، أنه أخرج إلى أرض، ذات نخل وشجر، فأخبر أصحابه، فظنوا أنه وحي أوحي إليه، فاستبشروا، فمكثوا بذلك ما شاء، فلم يروا شيئاً مما قال لهم، فقالوا يا رسول الله، ما رأينا الذي قلت لنا. فقال: «إِنَّمَا

كَانَ رُؤْيَا رَأَيْتُها، وَلَمْ يَأْتِ وَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا أَدْرِي أَيَكُونُ ذلك أَوْ لا يَكُونُ». فنزل قوله {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرسل} يعني: ما كنت أولهم، وقد بعث قبلي رسل كثير، {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ} {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يوحى إِلَيَّ} ويقال: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، يرحمني وإياكم، أو يعذبني وإياكم. فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إذاً لا فرق بيننا وبينك، كما نحن لا ندري ما يفعل بنا، ولا تدري ما يفعل بك. وقد عير المشركون المسلمين فقالوا: {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نجوى إِذْ يَقُولُ الظالمون إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا} [الإسراء: 47] لا يدري ما يفعل به، فأنزل الله تبارك وتعالى: {تَبَارَكَ الذى إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذلك جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً} [الفرقان: 10] فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، نزل عليه {وَعَدَكُمُ الله مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه وَكَفَّ أَيْدِىَ الناس عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صراطا مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 20] وقد نسخت هذه الآية {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نجوى إِذْ يَقُولُ الظالمون إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا} [الأسراء: 47].

ثم قال تعالى: {وَمَا أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: مخوف، مفقه لكم بلغة تعرفونها.

قوله تعالى: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ الله} يعني: إن كان القرآن من عند الله تعالى {وَكَفَرْتُمْ بِهِ} يعني: جحدتم بالقرآن {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مّن بَنِى إسراءيل} قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة هو عبد الله بن سلام.

وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يُشْهَدُ لأحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إلاّ لِعَبْدِ الله بْنِ سَلامٍ» وفيه نزلت {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مّن بَنِى إسراءيل} {على مِثْلِهِ} أي: على مثل شهادة عبد الله بن سلام. يعني: بنيامين على مثله. يعني: على مثل شهادة عبد الله بن سلام، وكان ابن أخ عبد الله بن سلام، شهد على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وروى وكيع، عن ابن عون قال: ذكر عند الشعبي {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مّن بَنِى إسراءيل} أنه عبد الله بن سلام. فقال الشعبي: وكيف يكون عبد الله بن سلام هو الشاهد، وهذه السورة مكية، وكان ابن سلام بالمدينة. قال ابن عون: صدق الشعبي إن تلك السورة نزلت بمكة، ولكن هذه الآية نزلت بالمدينة، فوضعت في هذه السورة. وروى داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: والله

ما هو عبد الله بن سلام، ولقد أنزلت بمكة، فخاصم به النبي صلى الله عليه وسلم الذين كفرُوا من أهل مكة، أن التوراة مثل القرآن، ومُوسَى مثل محمد صلى الله عليه وسلم، وكُل مؤمن بالتوراة فهو شاهد من بني إسرائيل. ثم قال: {قُلْ أَرَءيْتُمْ} يعني: تكبرتم وتعاظمتم عن الإيمان {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يعني: الكافرين.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 14]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (14)}

{وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ} يعني: قال رؤساء المشركين لضعفاء المسلمين {لَوْ كَانَ خَيْراً} يعني: لو كان هذا الدين حقاً {مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} وقال قتادة: قال أناس من المشركين: نحن أعز، ونحن أغنى، ونحن أكرم، فلو كان خيراً، ما سبقنا إليه فلان وفلان. قال الله تعالى: {مَّا يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب وَلاَ المشركين أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ والله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ والله ذُو الفضل العظيم} [البقرة: 105] و{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ والله ذُو الفضل العظيم} [آل عمران: 74] يعني: يختار لدينه، من كان أهلاً لذلك {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ} يعني: لم يؤمنوا بهذا. أي: القرآن كما اهتدى به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم {فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ} يعني: القرآن كذب قديم، أي: تقادم من محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ موسى} يعني: قد أنزل قبل هذا القرآن، الكتاب على موسى، يعني: التوراة {إِمَاماً} يقتدى به {وَرَحْمَةً} من العذاب، لمن آمن به {وهذا كتاب مٌّصَدّقٌ} يعني: وأنزل إليك هذا الكتاب، مصدق للكتب التي قبله {لّسَاناً عَرَبِيّاً} بلغتكم، لتفهموا ما فيه {لّيُنذِرَ الذين ظَلَمُواْ} يعني: مشركي مكة. قرأ نافع، وابن عامر لِتُنْذِرَ، بالتاء على معنى المخاطبة يعني: لتنذر أنت يا محمد. والباقون بالياء، على معنى الخبر عنه، يعني: ليخوف محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن {وبشرى لِلْمُحْسِنِينَ} يعني: بشارة بالجنة للموحدين {إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون أُوْلَئِكَ أصحاب الجنة خالدين فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقد ذكرناه.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 16]

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (16)}

ثم قال الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإنسان بوالديه إحسانا} يعني: أمرنا الإنسان بالإحسان إلى والديه. قال مقاتل والكلبي: نزلت الآية، في شأن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ويقال: هذا أمر عام لجميع الناس. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم إِحْسَاناً بالألف، ومعناه: أمرناه بأن يحسن إليهما إحساناً. والباقون حُسْناً بغير ألف، فجعلوه اسماً، وأقاموه مقام الإحسان.

ثم ذكر حق الوالدين، فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً} يعني: في مشقة {وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً} يعني: في مشقة {وَحَمْلُهُ وفصاله} يعني: حمله في بطن أمه، وفصاله ورضاعه {ثَلاَثُونَ شَهْراً} وروى وكيع بإسناده، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قال: إن رجلاً قال له: إني تزوجت جارية سليمة بكراً، لم أر منها ريبة، وإنها ولدت لستة أشهر. فقرأ علي {والوالدات يُرْضِعْنَ أولادهن حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرضاعة وَعلَى المولود لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ والدة بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوارث مِثْلُ ذلك فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تسترضعوا أولادكم فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 233] وقرأ {وَحَمْلُهُ وفصاله ثَلاَثُونَ شَهْراً} فالحمل ستة أشهر، والرضاع سنتين، والولد ولدك. وقال وكيع: هذا أصل، إذا جاءت بولد لأقل من ستة أشهر، لم يلزمه فيفرق بينهما.

ثم قال {حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ} يعني: بلغ ثلاثاً وثلاثين {وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم، يعني: أبا بكر {قَالَ رَبّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ} يعني: ألهمني ما أؤدي به شكر نعمتك، وما أوزعت به نفسي، أن أكفها عن كفران نعمتك، وأصله من وزعته. أي: دفعته قال: رب أوزعني أن

أشكر. يعني: أن أؤدي شكر نعمتك {التى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وعلى وَالِدَىَّ} بالإسلام {وَأَنْ أَعْمَلَ صالحا ترضاه} يعني: تقبله {وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرّيَّتِى} يعني: أكرمهم بالتوحيد. ويقال: اجعلهم أولاداً صالحين مسلمين، فأسلموا كلهم {إِنّى تُبْتُ إِلَيْكَ} يعني: أقبلت إليك بالتوبة {وَإِنّى مِنَ المسلمين} يعني: المخلصين، الموحدين على دينهم.

قوله تعالى {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة. يعني: أبا بكر ووالديه، وذريته، ومن كان في مثل حالهم {الذين نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ} يعني: ستجزيهم بإحسانهم. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص، نَتَقَبَّل بالنون {وَنَتَجَاوَزُ} بالنون. وقرأ الباقون بالياء والضم. فمن قرأ بالنون، فهو على معنى الإضافة إلى نفسه، يعني: نتقبل نحن، ونصب أحسن لوقوع الفعل عليه، ومن قرأ بالياء والضم، فهو على معنى فعل، ما لم يسم فاعله. ولهذا رفع قوله: «أَحْسَنُ» لأنه مفعول ما لم يسم فاعله.

ثم قال {وَنَتَجَاوَزُ عَن سيئاتهم} يعني: ما فعلوا قبل التوبة، فلا يعاقبون عليها {فِى أصحاب الجنة} يعني: هم مع أصحاب الجنة. وروى أبو معاوية، عن عاصم الأحول، عن الحسن قال: مَنْ يَعْمَل سُوءاً يُجْزَ بِهِ، إنما ذلك لمن أراد الله هوانه، وأما من أراد الله كرامته، فإنه يتجاوز عن سيئاته فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ. ثم قال: {وَعْدَ الصدق} يعني: وعد الصدق في الجنة. قوله تعالى {الذى كَانُواْ يُوعَدُونَ}.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 20]

{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (18) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (19) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)}

{والذى قَالَ لوالديه أُفّ لَّكُمَا} يعني: عبد الرحمن بن أبي بكر قال لوالديه: أف لكما يعني: قدراً لكما، وهو الرديء من الكلام، وقد ذكرنا الاختلاف في موضع آخر، وقد قرئ على سبع قراءات: بالنصب والضم والكسر، وكل قراءة تكون بالتنوين وبغير تنوين، فتلك ست قراءات، والسابع أفْ

بالسكون {أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ} يعني: أن أبعث بعد الموت، وذلك قبل أن يسلم {وَقَدْ خَلَتِ القرون مِن قَبْلِى} أي: مضت الأمم، ولم يبعث أحدهم {وَهِمَّا يَسْتَغِيثَانِ الله} يعني: أبويه يدعوان الله تعالى له بالهدى. اللهم اهده، وارزقه الإيمان ويقولان له: {وَيْلَكَ ءامِنْ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: ويحك أسلم وصدق بالبعث، فإن البعث كائن {فَيَقُولُ} لهما {مَا هذا إِلاَّ أساطير الاولين} يعني: كذبهم فقال عبدالرحمن: إن كنتما صادقين، فأخرجا فلاناً وفلاناً من قبورهما فنزل {أولئك} يعني: القرون التي ذكر {الذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القول} أي: وجب عليهم العذاب.

{فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ} يعني: في أمم قد مضت من قبلهم، من كفار {مّنَ الجن والإنس إِنَّهُمْ كَانُواْ خاسرين} في الآخرة بالعقوبة، فأسلم عبد الرحمن وحسن إسلامه، وذكر في الخبر، أن مروان بن الحكم قال: نزلت هذه الآية في شأن عبد الرحمن، أخ عائشة، فبلغ ذلك عائشة فقالت: بل نزلت في أبيك وأخيك. قوله عز وجل {وَلِكُلّ درجات مّمَّا عَمِلُواْ} يعني: فضائل في الثواب مما عملوا {وَلِيُوَفّيَهُمْ أعمالهم} أي أجورهم {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولا يزادون على سيئات أعمالهم.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذين كَفَرُواْ عَلَى النار} يعني: يكشف الغطاء عنها، فينظرون إليها، فيقال لهم: {أَذْهَبْتُمْ طيباتكم} يعني: أكلتم حسناتكم {فِى حياتكم الدنيا واستمتعتم بِهَا} يعني: انتفعتم بها في الدنيا. وقرأ ابن عامر أَأَذْهَبْتُمْ بهمزتين، وقرأ ابن كثير آذْهَبْتُمْ بالمد، ومعناهما واحد، ويكون استفهاماً على وجه التوبيخ. والباقون أَذْهَبْتُمْ بهمزة واحدة، بغير مد، على معنى الخبر. وروي عن عمر: أنه اشتهى شراباً، فأتي بقدح فيه عسل، فأدار القدح في يده قال: أشربها فتذهب حلاوتها، أو تبقى نقمتها. ثم ناول القدح رجلاً، فسئل عن ذلك فقال: خشيت أن أكون من أهل هذه الآية {أَذْهَبْتُمْ طيباتكم فِى حياتكم الدنيا}.

وروي عن عمر، أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير، وقد أثر بجنبه الشريط، فبكى عمر فقال: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: ذكرت كسرى وقيصر، وما كانا فيه من الدنيا، وأنت رسول رب العالمين قد أثر بجنبك الشريط. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ، عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِم الدُّنيا، وَنَحْنُ قَوْمٌ، أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي الآخِرَةِ». قوله: {فاليوم تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهون} يعني: العذاب الشديد {بِمَا كُنتُمْ

تَسْتَكْبِرُونَ فِي الارض بِغَيْرِ الحق} يعني: تستكبرون عن الإيمان {وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ} يعني: تعصون الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 28]

{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (27) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (28)}

قوله تعالى: {واذكر أَخَا عَادٍ} يعني: واذكر لأهل مكة. ويقال: معناه واصبر على ما يقولون، واذكر هود {إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بالاحقاف} يعني: خوف قومه بموضع. يقال له: الأحقاف. روى منصور، عن مجاهد قال: الأحقاف الأرض. ويقال: جبل بالشام، ويسمى الأحقاف. وقال القتبي: الأحقاف جمع حقف، وهو من الرمل ما أشرف من كثبانه، واستطال وانحنى {وَقَدْ خَلَتِ النذر مِن بَيْنِ يَدَيْهِ} يعني: مضت من قبل هود {وَمِنْ خَلْفِهِ} يعني: ومن بعده.

{أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ الله} يعني: خوفهم ألا تعبدوا إلا الله، ووحدوه {إِنّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} يعني: أعلم أنكم، إن لم تؤمنوا، يصبكم عذاب يوم كبير {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءالِهَتِنَا} يعني: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} من العذاب {إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} أن العذاب نازل بنا {قَالَ} هود {إِنَّمَا العلم عِندَ الله} يعني: علم العذاب عند الله، يجيء بأمر الله، وإنَّما عليَّ تبليغ الرسالة، وليس بيدي إتيان العذاب. فذلك قوله: {وَأُبَلّغُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ} يعني: ما يوحي الله إليَّ لأدعوكم إلى التوحيد {ولكنى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} لما قيل لكم، ولما يراد بكم من العذاب.

{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ} يعني: لما رأوا العذاب مقبلاً، وكانت السحابة إذا جاءت من قبل ذلك الوادي، أمطروا. وقال القتبي: العارض: السحاب {قَالُواْ هذا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا} يعني: هذه سحابة، وغيم ممطرنا. أي: تمطر به حروثنا، لأن المطر كان حبس عنهم. فقال هود: ليس هذا عارض {بَلْ هُوَ مَا استعجلتم بِهِ} يعني: الريح والعذاب {رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: متلف. وروى عطاء، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا رأى رياحاً مختلفة تلون وجهه، وتغير وخرج، ودخل وأقبل، وأدبر فذكرت ذلك له فقال: وما يدريك لعله كما قال الله: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هذا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا استعجلتم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} فإذا أمطرت سري عنه ويقول {وَهُوَ الذى يُرْسِلُ الرياح بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حتى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سقناه لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ المآء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثمرات كذلك نُخْرِجُ الموتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 57].

ثم قال تعالى: {تُدَمّرُ كُلَّ شَئ بِأَمْرِ رَبّهَا} يعني: تهلك الريح كل شيء بأمر ربها، أي: بإذنه تعالى {فَأَصْبَحُواْ} أي: فصاروا من العذاب بحال {لاَ يرى * مساكنهم} وقد ذكرناه في سورة الأعراف. قرأ حمزة، وعاصم لا يُرَى بضم الياء، مَسَاكِنُهُمْ بضم النون على معنى فعل، ما لم يسم فاعله، يعني: لا يرى شيء، وقد هلكوا كلهم.

وقرأ الباقون {لاَّ ترى} بالتاء على معنى المخاطبة. ومعناه لا ترى شيئاً أيها المخاطب، لو كنت حاضراً، ما رأيت إلا مساكنهم.

ثم قال {كذلك نَجْزِي القوم المجرمين} يعني: هكذا نعاقب القوم المشركين عند التكذيب {وَلَقَدْ مكناهم} يعني: أعطيناهم الملك والتمكين {فِيمَا إِن مكناكم فِيهِ} يعني: ما لم نمكن لكم، ولم نعطكم يا أهل مكة. وقال القتبي: إن الخفيفة قد تزاد في الكلام، كقول الشاعر: ما إن رأيت ولا سمعت به، يعني: ما رأيت ولا سمعت به، يعني: ما لم نمكن لكم ومعنى الآية {وَلَقَدْ مكناهم فِيمَا إِن مكناكم فِيهِ} وقال الزجاج: إنْ هاهنا مكان ما، يعني: فيما مكناكم فيه. ويقال معناه: ولقد مكناهم في الذي مكناكم فيه.

{وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وأبصارا وَأَفْئِدَةً} يعني: جعلنا لهم سمعاً ليسمعوا المواعظ، وأبصاراً لينظروا في الدلائل، وأفئدة ليتفكروا في خلق الله تعالى. {فَمَا أغنى عَنْهُمْ} يعني: لم ينفعهم من العذاب {سَمْعُهُمْ وَلاَ أبصارهم وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مّن

شَئ} إذ لم يسمعوا الهدى، ولم ينظروا في الدلائل، ولم يتفكروا في خلقه {وَلَقَدْ مكناهم فِيمَا إِن مكناكم} يعني: بدلائله {وَحَاقَ بِهِم} يعني: نزل بهم من العذاب {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: العذاب الذي كانوا يجحدون به، ويستهزئون.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مّنَ القرى} يعني: أهلكنا قبلكم يا أهل مكة بالعذاب، ما حولكم من القرى {وَصَرَّفْنَا الايات} أي: بينا لهم الدلائل، والحجج، والعلامات {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي: يرجعون عن كفرهم، قبل أن يهلكوا. قوله تعالى: {فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ} يعني: فهلا نصرهم. يعني: كيف لم يمنعهم من العذاب {الذين اتخذوا مِن دُونِ الله قُرْبَاناً} يعني: عبدوا من دون الله، ما يتقربون بها إلى الله {ءالِهَةً} يعني: أصناماً، كما قال في آية أخرى {أَلاَ لِلَّهِ الدين الخالص والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى الله زلفى إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كاذب كَفَّارٌ} [الزمر: 3] {بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ} يعني: الآلهة لم تنفعهم شيئاً. ويقال: اشتغلوا بأنفسهم. ويقال: بطلت عنهم.

{وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ} يعني: كذبهم {وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} يعني: يختلفون. وذكر أبو عبيدة بإسناده، عن عبد الله بن عباس، أنه قرأ أَفَكَهُمْ بنصب الألف والفاء والكاف. يعني: ذلك الفعل أضلهم، وأهلكهم وصرفهم عن الحق، وقراءة العامة بضده. وَذَلِكَ إفْكهم يعني: ذلك الفعل، وهو عبادتهم. وقولهم: وكذبهم ويقال: وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ اليوم، كما كان إفك من كان قبلهم.

▲ تفسير الآيات رقم [29- 35]

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (34) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ

مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)}

قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجن} وذلك، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث، خرت الأصنام على وجوهها في تلك الليلة. فصاح إبليس صيحة، فاجتمع إليه جنوده، فقال لهم: قد عرض أمر عظيم، امضوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها. يعني: امشوا وانظروا ماذا حدث من الأمر. وروى ابن عباس: أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حيل بين الشياطين وبين السماء، وأرسل عليهم الشهب، فجاؤوا إلى إبليس، فأخبروه بذلك، قال: هذا الأمر حادث، اضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فجاء نفر منهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي تحت نخلة في سوق عكاظ، ومعه ابن مسعود وأصحابه، وكان يقرأ سورة طه في الصلاة.

وروى وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن رجل، عن زر بن حبيش، في قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجن} قال: كانوا تسعة أحدهم: زوبعة أتوه ببطن نخلة {يَسْتَمِعُونَ القرءان فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ} وروى عكرمة، عن الزبير قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء الأخيرة، فلما حضروا النبي صلى الله عليه وسلم، قال بعضهم، لبعض أنصتوا للقرآن واستمعوا {فَلَمَّا قُضِىَ} يعني: فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة والصلاة {وَلَّوْاْ} يعني: رجعوا {إلى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ} قال مقاتل: يعني: المؤمنين. وقال الكلبي: يعني: مخوفين. وقال مجاهد: ليس في الجن رسل، وإنما الرسل في الإنس، والنذارة في الجن. ثم قرأ {فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إلى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ} يعني: أنذروا قومهم من الجن {قَالُواْ ياأبانا إِنَّا سَمِعْنَا} من محمد صلى الله عليه وسلم {كتابا} يعني: قراءة القرآن {أُنزِلَ مِن بَعْدِ موسى} يعني أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم {مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني موافقاً لما قبله من الكتب {يَهْدِى إِلَى الحق} يعني: يدعو إلى توحيد الله تعالى من الشرك، كما هو في سائر الكتب {وإلى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} لا عوج فيه، يعني: دين الله تعالى، وهو الإسلام {مُّسْتَقِيمٍ ياقومنا أَجِيبُواْ دَاعِىَ الله} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {ياقومنا أَجِيبُواْ} يعني: صدقوا به وبكتابه {يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ} وَمِنْ صلة في الكلام. يعني: يغفر لكم ذنوبكم إن صدقتم. وآمنتم {وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} يعني: يؤمنكم من عذاب النار {وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِىَ الله} يعني: من لم يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما يدعو إليه من الإيمان {فَلَيْسَ

بِمُعْجِزٍ فِى الارض} يعني: لا يستطيع أن يهرب في الأرض، من عذاب الله تعالى. ويقال: معناه فلن يجد الله عاجزاً عن طلبه {وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} يعني: ليس له أنصار يمنعونه، مما نزل به من العذاب {أُوْلَئِكَ فِى ضلال} يعني: في خطأ {مُّبِينٌ} وذكر في الخبر، أنهم لما أنذرهم وخوفهم، جاء جماعة منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فلقيهم بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن، فأمرهم ونهاهم، وكان معه عبد الله بن مسعود، وَخَطَّ لَهُ النبي صلى الله عليه وسلم خطاً، وقال له:

»لاَ تَخْرُجْ مِنْ هَذَا الخَطِّ، فَإِنَّكَ إِنْ خَرَجْتَ لَنْ تَرَانِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فلما رجع إليه قال: يا نبي الله سمعت هَدَّتين أي: صوتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أَمَّا إِحْدَاهُمَا: فَإِنِّي سَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيَّ السَّلاَمِ، وأَمّا الثَّانِيَةَ: فَإِنَّهُمْ سَأَلُوا الرِّزْقَ فَأَعْطَيْتُهُمْ عَظْماً رِزْقاً لهم، وَأَعْطَيْتَهُم رَوْثاً رِزْقاً لِدَوَابِّهِمْ«. ثم قال تعالى {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ} يعني: أو لم يعتبروا ويتفكروا. ويقال: أو لم يخبروا {أَنَّ الله الذى خَلَق السموات والارض وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ} يعني: لم يعجز عن خلق السموات والأرض، فكيف يعجز عن بعث الموتى. ويقال: {وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ} يعني: لم يعيه خلقهن، ولم يعي بخلقهن بقادر {على أَن يُحْىِ الموتى بلى} لأنهم كانوا مقرين بأن الله، هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا منكرين للبعث بعد مماتهم، فأخبرهم الله تعالى، بأن الذي كان قادراً على خلق السموات والأرض، يكون قادراً على إحيائهم بعد الموت. ثم قال {بلى} يعني: هو قادر على البعث {إِنَّهُ على كُلّ شَىْء قَدِيرٌ} من الإحياء والبعث.

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذين كَفَرُواْ عَلَى النار} يعني: يكشف الغطاء عنها. ويقال: يساق الذين كفروا إلى النار. ويقال لهم: {أَلَيْسَ هذا بالحق} يعني: أليس هذا العذاب الذي ترون حقاً، وكنتم تكذبون به {قَالُواْ بلى وَرَبّنَا} إنه الحق، وَرَبّنَا هو الله. ويقال: والله إنه لحق، فيقرون حين لا ينفعهم إقرارهم. قال: فيقال لهم: {قَالَ فَذُوقُواْ العذاب بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} أي: تجحدون {فاصبر} يا محمد، يعني: اصبر على أذى أهل مكة، وتكذيبهم.

{كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ العزم مِنَ الرسل} يعني: أولو الحزم، وهو أن يصبر في الأمور، ويثبت عليها، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، أراد أن يدعو عليهم، فأمره الله تعالى بالصبر، كما صبر نوح، وكما صبر إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال السدي: أولو العزم، الذين أمروا بالقتال من الرسل. وقال أبو العالية: أولو العزم من الرسل، كانوا ثلاثة والنبي صلى الله عليه وسلم رابعهم، إبراهيم وهود ونوح، فأمره الله تعالى أن يصبر كما صبروا. وقال مقاتل: أولو العزم من الرسل اثني عشر نبياً في بيت المقدس، فأوحى الله إليهم ثلاث مرات، أن اخرجوا من بين أقوامكم، فلم يخرجوا.

فقال الله تعالى: يمضي العذاب عليكم مع قومكم فتشاوروا فاختاروا هلاك أنفسهم بينهم {وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ} يعني: لا تستعجل لهم بالعذاب {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ} يعني: العذاب قد أتاهم من قريب في الآخرة، فلقربه كأنهم يرونه في الحال. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة في الدنيا يعني: إذا أتاهم ذلك اليوم، يرون أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا القليل.

فذلك قوله: {لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ} يعني: من نهار الدنيا. ويقال: يعني: في القبور. وقال أبو العالية: معناه كأنهم يرون، حين يظنون أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار. ثم قال {بَلاَغٌ} يعني: ذلك بلاغ وبلغه وأجل، فإذا بلغوا أجلهم ذلك {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القوم الفاسقون} يعني: هل يهلك في العذاب، إذا جاء العذاب إلا القوم العاصون. ويقال: معناه لا يهلك مع رحمة الله وفضله، إلا القوم الفاسقون. ويقال: بلاغ يعني: هذا الذي ذكر بلاغ. أي: تمام العظة. ويقال: هو من الإبلاغ، أي: هذا إرسال وبيان لهم كقوله {هذا بلاغ لِّلنَّاسِ} والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

▲ سورة محمد

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3)}

قوله تبارك وتعالى: {الذين كَفَرُواْ} أي: جحدوا بتوحيد الله تعالى، وبالقرآن {وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} أي: صرفوا الناس عن طاعة الله، وهو الجهاد {أَضَلَّ أعمالهم} يعني: أَبْطَلَ الله حسناتهم التي عملوا في الدنيا، لأنهم عملوا بغير إيمان، وكل عمل يكون بغير إيمان، فهو باطل كما قال {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الاخرة مِنَ الخاسرين} [آل عمران: 85] الآية. قال الكلبي: نزلت في مطعمي بدر، وهم رؤساء مكة، الذين كانوا يطعمون الناس في حال خروجهم إلى بدر، منهم أبو جهل والحارث ابنا هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأمية ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وغيرهم. ويقال: هذا في عامة الكفار.

وهذا كقوله: {والذين كفروا أعمالهم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظمآن مَآءً حتى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ الله عِندَهُ فوفاه حِسَابَهُ والله سَرِيعُ الحساب} [النور: 39] الآية. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: {الذين كَفَرُواْ} هم أهل مكة {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} قال هم الأنصار، الذين آمنوا، يعني: صدقوا بالله تعالى، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن وعملوا الصالحات، يعني: أدوا الفرائض والسنن، وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان في مثل حالهم {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَءامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ على مُحَمَّدٍ} يعني: صدقوا بما أنزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحق وليس فيه باطل، ولا تناقض {كَفَّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم} يعني: محا عنهم ذنوبهم التي عملوا في الشرك، بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وطاعتهم لله تعالى، فيما يأمرهم به من الجهاد {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} يعني: حالهم.

وهذا قول قتادة. وقال مقاتل: يعني: بين أمورهم في الإسلام، وعملهم وحالهم، حتى يدخلوا الجنة. وروى مجاهد {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} يعني: شأنهم وقال القتبي {كَفَّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم} أي: سترها {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} أي: حالهم. ويقال: أصلح بالهم يعني: أظهر الله تعالى أمرهم في الإسلام، حتى يقتدى بهم.

ثم بين المعنى الذي أحبط أعمال الكافرين، وأصلح شأن المؤمنين فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: ذلك الإبطال، بأن الذين كفروا {اتبعوا الباطل} يعني: اختاروا الشكر وثبتوا عليه، ولم يرغبوا في الإسلام. ويقال: معناه لأنهم اختاروا الباطل على الحق، واتباع الهوى، على اتباع رضى الله سبحانه وتعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين} وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم {اتبعوا الحق مِن رَّبّهِمْ} يعني: اتبعوا القرآن، وعملوا به. ويقال: معناه اختاروا الإيمان على الكفر، واتباع القرآن، واتباع رضى الله تعالى على اتباع الهوى.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله لِلنَّاسِ أمثالهم} يعني: هكذا يبين الله صفة أعمالهم. ثم حرض المؤمنين على القتال فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [4- 6]

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)}

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الذين كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرقاب} يعني: اضربوا الرقاب، صار نصباً بالأمر، ومعناه اضربوا الأعناق ضرباً. وروى وكيع، عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قَالَ: «إِنّي لَمْ أُبْعَثُ لأُعَذِّبَ بِعَذَابِ الله، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ بِضَرْبِ الرِّقَابِ، وَشَدِّ الوَثَاقِ» {حتى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الوثاق} يعني: حتى إذا قهرتموهم وأسرتموهم، فشدوا الوثاق يعني: فاستوثقوا أيديهم من خلفهم. ويقال الإثخان: أن يعطوا أيديهم، ويستسلموا وقال الزجاج {حتى أَثْخَنتُمُوهُمْ} يعني: أكثرتم فيهم القتل والأسر بعد المبالغة في القتل. وقال مقاتل: حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوُهم بالسيف، فظفرتم عليهم {فَشُدُّواْ الوثاق} يعني: الأسر.

{فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ} يعني: عتقاً بعد الأسر، بغير فداء {وَإِمَّا فِدَاء} يعني: يفادي نفسه بماله. وروي عن إبراهيم النخعي، أنه قال: الإمام بالخيار في الأسرى، إن شاء فادى، وإن شاء قتل وإن شاء استرق. وروي عن أبي بكر الصديق،

رضي الله عنه، أنه قال: لا أفادي، وإن طلبوا بمدين من ذهب، وذكر عن أبي بكر، أنه كتب إليه في أسير، التمسوا منه الفداء. فقال: اقتلوه، لأَنْ أقتل رجلاً من المشركين أحب إليَّ من كذا وكذا.
قال أبو الليث: وقد كره بعض الناس قتل الأسير، واحتج بظاهر هذه الآية {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء} وقال أَصْحَابُنَا: لا بأس بقتله، بالخبر الذي روي عن أبي بكر رضي الله عنهم. وروي عن ابن جريج، وغيره من أهل التفسير، أن هذه الآية منسوخة بقوله: {فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ واحصروهم واقعدوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصلاة وَءاتَوُاْ الزكواة فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 5]، وقد قتل النبي صلى الله عليه وسلم ابن خطل يوم فتح مكة، بعدما وقع في منعة المسلمين، فهو كالأسير، وأما الفداء: فإن فادوا بأسير من المسلمين، فلا بأس به.
كما قال إبراهيم النخعي: إن شاء فادى بالأسير، وإن أراد أن يفتدى بمال، لا يجوز إلا عند الضرورة، لأن في رد الأسير إلى دار الحرب، قوة لهم في الحرب. فكره ذلك، كما يكره أن يحمل إليهم السلاح. للبيع. ثم قال: {حتى تَضَعَ الحرب} روي عن ابن عباس، أنه قال: حتى تترك الكفار إشراكها، ويوحدوا الرب تبارك وتعالى، حتى لا يبقى إلا مسلم يعني: في ذمة المسلمين، الذين يعطون الجزية، وعن سعيد بن جبير قال: {فِدَاء حتى تَضَعَ الحرب أَوْزَارَهَا} قال خروج عيسى عليه السلام، يكسر الصليب، فيلقى الذئب الغنم، فلا يأخذها، ولا تكون عداوة بين اثنين، وهكذا قال مجاهد، وقال مقاتل {حتى تَضَعَ الحرب أَوْزَارَهَا} يعني: في مكان يقاتل سَمَّاهُم حرباً.
وقال القتبي: حتى تضع الحرب، يعني: حتى يضع أهل الحرب السلاح.
ثم قال عز وجل: {ذلك} يعني: افعلوا ذلك، ثم استأنف فقال {وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ} بغير قتال، يعني: يهلكهم {ولكن لّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} يعني: لم يهلكهم، لكي يختبرهم بالقتال، حتى يتبين فضلهم، ويستوجبوا الثَّواب. ثم قال: {والذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله} يعني: جاهدوا عدوهم في طاعة الله تعالى. {فَلَن يُضِلَّ أعمالهم} يعني: لن يبطل ثواب أعمالهم. قرأ أبو عمرو (قُتِلُوا) بضم القاف بغير ألف، وهكذا روي عن عاصم في إحدى الروايتين، يعني: الذين قتلوا يوم أحد، ويوم بدر وفي سائر الحروب. وقرأ

الباقون {والذين * قَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله} بالنصب، يعني: جاهدوا الكفار وحاربوهم.

ثم قال {سَيَهْدِيهِمْ} يعني: يجنبهم من أهوال الآخرة. ويقال: سيهديهم، يعني: يثبتهم على الهدى {وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} وقد ذكرناه {وَيُدْخِلُهُمُ الجنة} في الآخرة {عَرَّفَهَا لَهُمْ} يعني: هداهم الله تعالى إلى منازلهم. وروى أبو المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا أُذِنَ لأَهْلِ الجَنَّةِ فِي دُخُولِهَا لأَحَدهم أَهْدَى أي: أعرف بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّة، من منزله الَّذِي كَانَ فِي الدُّنَّيَا» وعن ابن مسعود، أنه قال: ما أشبههم إلاَّ أهل الجمعة، حين انصرفوا من جمعتهم. يعني: إن كل واحد منهم، يهتدي إلى منزله. وقال الزجاج في قوله: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} أي: يصلح لهم أمر معايشهم في الدنيا، مع ما يجازيهم في الآخرة. وهذا كما قال تعالى: {فَقُلْتُ استغفروا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السمآء عَلَيْكُمْ مُدْرَاراً} [نوح: 10، 11] الآية. ويقال: {عَرَّفَهَا لَهُمْ} أي طيبها لهم. يقال: طعام معرف أي: مطيب.

ثم حث المؤمنين على الجهاد.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 12]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (10) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)}

فقال {لَهُمْ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِن تَنصُرُواْ الله يَنصُرْكُمْ} يعني: إن تنصروا دين الله بقتال الكفار، {يَنصُرْكُمُ} بالغلبة على أعدائكم {وَيُثَبّتْ أَقْدَامَكُمْ} فلا تزول في الحرب.

ثم قال تعالى: {والذين كَفَرُواْ عَرَّفَهَا لَهُمْ} يعني: بعداً، ونكساً، وخيبة لهم. وهو من قولك: تعست أي: عثرت، وسقطت، {وَأَضَلَّ أعمالهم} يعني: أبطل ثواب حسناتهم، فلم يقبلها منهم.

ثم بيّن المعنى الذي أبطل به حسناتهم، فقال: {ذلك} يعني: ذلك الإبطال {بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَا أَنزَلَ الله} يعني: أنكروا، وكرهوا الإيمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم. {فَأَحْبَطَ أعمالهم} يعني: ثواب أعمالهم.

ثم خوّفهم ليعتبروا فقال عز وجل: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الارض} يعني: أفلم يسافروا في الأرض {فَيَنظُرُواْ} يعني: فيعتبروا {كَيْفَ كَانَ عاقبة الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: كيف كان آخر أمرهم. {دَمَّرَ الله عَلَيْهِمْ} يعني: أهلكهم الله تعالى بالعذاب {وللكافرين أمثالها} يعني: للكافرين من هذه الأمة أمثالها من العذاب، وهذا وعيد لكفار قريش.

ثم قال: {ذلك} يعني: النصرة التي ذكر في قوله: {ياأيها الذين ءامنوا إِن تَنصُرُواْ الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: 7] {ذَلِكَ بِأَنَّ الله مَوْلَى الذين} يعني: إن الله تبارك وتعالى ناصر أولياءه بالغلبة على أعدائهم، {وَأَنَّ الكافرين لاَ مولى لَهُمْ} يعني: لا ناصر، ولا ولي لهم، لا تنصرهم آلهتهم، ولا تمنعهم مما نزل بهم من العذاب.

ثم ذكر مستقر المؤمنين، ومستقر الكافرين، فقال: {إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} وقد ذكرناه، {والذين كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ} يعني: يعيشون بما أعطوا في الدنيا، {وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الانعام} ليس لهم هَمٌّ إلاَّ الأكل، والشرب، والجماع، {والنار مَثْوًى لَّهُمْ} أي: منزلاً، ومستقراً لهم.

▲ تفسير الآيات رقم [13- 18]

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (13) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (14) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (18)}

قوله تعالى: {وَكَأَيّن مّن قَرْيَةٍ} يعني: وكم من قرية فيما مضى. يعني: أهل قرية {هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً} يعني: أشد منعة، وأكثر عدداً، وأكثر أموالاً، {مّن قَرْيَتِكَ التى أَخْرَجَتْكَ} يعني: أهل مكة الذين أخرجوك من مكة إلى المدينة، {أهلكناهم{ يعني: عذبناهم عند التكذيب {فَلاَ ناصر لَهُمْ} يعني: لم يكن لهم مانع مما نزل بهم من العذاب، وهذا تخويف لأهل مكة.

قوله تعالى: {أَفَمَن كَانَ على بَيّنَةٍ مّن رَّبّهِ كَمَن زُيّنَ لَهُ سُوء عَمَلِهِ} قال مقاتل والكلبي: يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم وأبا جهل بن هشام يعني: لا يكون حال من كان على بيان من الله تعالى، كمن حسن له قبح عمله. {واتبعوا أَهْوَاءهُمْ} بعبادة الأوثان. ويقال: هذا في جميع المسلمين، وجميع الكافرين. لا يكون حال الكفار، مثل حال المؤمنين في الثواب.

قوله تعالى: {مَّثَلُ الجنة} يعني: صفة الجنة {التى وُعِدَ المتقون} الذين يتقون الشرك، والفواحش، {فِيهَا أَنْهَارٌ مّن مَّاء غَيْرِ ءاسِنٍ} قرأ ابن كثير: {مّن مَّاء غَيْرِ ءاسِنٍ} بغير مد. والباقون: بالمد، ومعناهما واحد. يعني: ماء غير منتن، ولا متغير الطعم والريح. {وَأَنْهَارٌ مّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} إلى الحموضة كما يتغير لبن أهل الدنيا من الحالة الأولى. {وأنهار مّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ للشاربين} يعني: لذيذة. ويقال: {لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ} [الواقعة: 19]. {وأنهار مّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} ليس فيها العكر، ولا الكدرة، ولا الدردي، كعسل أهل الدنيا. قال مقاتل: هذه الأنهار الأربعة تتفجر من الكوثر، إلى أهل الجنة. ويقال: من تحت شجرة طوبى إلى أهل الجنة.

{وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلّ الثمرات} يعني: من ألوان الثمرات {وَمَغْفِرَةٌ مّن رَّبّهِمْ} لذنوبهم في الآخرة. ويقال: في الدنيا. {كَمَنْ هُوَ خالد فِى النار} يعني: هل يكون حال من هو في هذه النعم، كمن هو في النار أبداً. {وَسُقُواْ مَاء حَمِيماً} أي: حاراً قد انتهى حره {فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ} من شدة الحر، فذابت أمعاؤهم، كقوله تعالى: {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ والجلود} [الحج: 20].

ثم قال: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} يعني: من المنافقين من يستمع إليك {حتى إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ العلم مَاذَا قَالَ ءانِفاً} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة، وعاب في خطبته المنافقين، فلما خرجوا من عنده، قال بعض المنافقين لعبد الله بن مسعود، وهو الذي أوتي العلم. ماذا قال آنفاً؟ يعني: الساعة، على جهة الاستهزاء.

قال الله تعالى: {أُولَئِكَ الذين طَبَعَ الله على قُلُوبِهِمْ} مجازاة لهم {واتبعوا أَهْوَاءهُمْ} يعني: عملوا بهوى أنفسهم.
ثم ذكر المؤمنين، المصدقين، فقال: {والذين اهتدوا زَادَهُمْ هُدًى} يعني: آمنوا بالله تعالى، وأحسنوا الاستماع إلى ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: {زَادَهُمْ هُدًى} يعني: زادهم الله بصيرة في دينهم، وتصديقاً لنبيهم. ويقال: زادهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى. ويقال: زادهم قول المنافقين واستهزاؤهم. {هُدًى} يعني: تصديقاً، وثباتاً على الإسلام، وشكر الله تعالى. {والذين اهتدوا} حين بيّن لهم التقوى. ويقال: ألهمهم قبول الناسخ، وترك المنسوخ.
قوله تعالى: {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ الساعة} أي: ما ينتظر قومك إلا قيام الساعة. يعني: فما ينتظر قومك إن لم يؤمنوا إلا الساعة {أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} يعني: فجأة {فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا} يعني: علاماتها، وهو انشقاق القمر، والدخان، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم. وروى مكحول عن حذيفة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ لَهَا أَشْرَاطٌ: تَقَارُبُ الأَسْوَاقِ يعني: كَسَادَهَا وَمَطَرٌ وَلاَ نَبَاتَ يعني: مطر في غَيْرِ حِينِهِ، وَتَفْشُو الْفِتْنَةُ، وَتَظْهَرُ أَوْلادُ البَغْيَةِ، وَيَعْظُمُ رَبُّ المَالِ، وَتَعْلُو أَصْوَاتُ الفَسَقَةِ فِي الْمَسِاجِدِ، وَيَظْهَرُ أَهْلُ الْمُنْكَرِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ».
ثم قال: {فأنى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} يعني: من أين لهم التوبة، إذا جاءتهم الساعة. وقال قتادة: فأنى لهم أن يتذكروا أو يتذاكروا إذا جاءتهم الساعة. وقال مقاتل: فيه تقديم. يعني: أنى لهم التذكرة، والتوبة عند الساعة إذا جاءتهم، وقد فرطوا فيها.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 23]

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19) وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (20) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (21) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)}

قوله عز وجل: {فاعلم أَنَّهُ لاَ إله إلا الله} قال الزجاج: هذه الفاء جواب الجزاء. ومعناه قد بينا ما يدل على توحيد الله، فاعلم أنه لا إله إلا الله، والنبي صلى الله عليه وسلم قد علم أن الله تعالى واحد. إنما خاطبه والمراد به أمته. وقال: هذا الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة. ومعناه. فاثبت على إظهار قول لا إله إلا الله. يعني: ادع الناس إلى ذلك. ويقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَيْتَنِي أَعْلَمُ أَيُّ الكَلامِ أَفْضَلُ وَأَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ. فَأَعْلَمَهُ الله تَعَالَى، أنَّ أَفْضَلَ الكَلاَمِ التَّوْحِيدُ، وَأَفْضَلَ الدُّعَاءِ الاسْتِغْفارُ».

ثم قال: {واستغفر لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات} روى الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله، وَأَتُوبُ إلَيْهِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ». وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنِّي أَسْتَغْفِرُ الله تَعَالَى، وَأَتُوبُ إلَيْهِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ». وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن جريج قال: قيل لعطاء: استغفر للمؤمنين في المكتوبة؟ قال: نعم. قلت: فمن ابتدئ؟ قال: فبنفسك، كما قال الله تعالى: {واستغفر لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات}.

{والله يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} يعني: منتشركم بالنهار، ومأواكم بالليل. ويقال: ذهابكم، ومجيئكم.

قوله عز وجل: {وَيَقُولُ الذين ءامَنُواْ لَوْلاَ نُزّلَتْ سُورَةٌ} وذلك أنهم كانوا يأنسون بالوحي، ويستوحشون إذا أبطأ، فاشتاقوا إلى الوحي، فقالوا: لولا نزلت. هلاّ نزلت سورة.

قال الله تعالى: {فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ} يعني: مبينة الحلال، والحرام {وَذُكِرَ فِيهَا القتال} يعني: أمروا فيها بالقتال. وقال قتادة: كل سورة ذكر فيها ذكر القتال فهي محكمة. وقال القتبي في قراءة ابن مسعود: سورة محدثة، وتسمى المحدثة محكمة، لأنها إذا نزلت تكون محكمة ما لم ينسخ منها شيء. ويقال: {فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ} فِيها ذكر القتال، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم فرح بها المؤمنون، وكره المنافقون، فذلك قوله: {رَأَيْتَ الذين فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} يعني: الشك، والنفاق. {يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المغشى عَلَيْهِ مِنَ الموت} كراهية لنزول القرآن. يعني: إنهم يشخصون نحوك بأبصارهم، وينظرون نظراً شديداً من شدة العداوة، كما ينظر المريض عند الموت. {فأولى لَهُمْ} فهذا تهديد، ووعيد. يعني: وليهم المكروه. يعني: قل لهم احذروا العذاب، وقد تم الكلام.

ثم قال: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} قال القتبي: هذا مخصوص. يعني: قولهم قبل نزول الفرض، سمعاً لك وطاعة. فإذا أمروا به كرهوا. ذلك. ويقال: معناه {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} أمثل لهم.
ويقال: معناه فإذا أنزلت سورة ذات طاعة، يؤمر فيها بالطاعة، وقول معروف {فَإِذَا عَزَمَ الامر} أي: جاء الجد، ووقت القتال، فلم يذكر في الآية جوابه. والجواب فيه مضمر. معناه: {فَإِذَا عَزَمَ الامر} يعني: وجب الأمر، وجد الأمر، كرهوا ذلك.
ثم ابتدأ فقال: {فَلَوْ صَدَقُواْ الله لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} يعني: لو صدقوا الله في النبي، وما جاء به، لكان خيراً لهم من الشرك والنفاق.
قوله: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ} يعني: لعلكم وَإِن وليتم أمر هذه الأمة {أَن تُفْسِدُواْ فِى الارض} بالمعاصي. يعني: أن تعصوا الله في الأرض {وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ}. قال السدي: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى الارض} بالمعاصي {وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ} فإن المؤمنين إخوة. فإذا قتلوهم، فقد قطعوا أرحامهم. وروى جبير عن الضحاك قال: نزلت في الأمراء: {إِن تَوَلَّيْتُمْ} أمر الناس {أَن تُفْسِدُواْ فِى الارض}. ويقال: معناه إن أعرضتم عن دين الإسلام، وعما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء، ودفن البنات، وقطع الأرحام، {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ} يعني: هل تريدون إذا أنتم تركتم النبي صلى الله عليه وسلم، وما أمركم به، إلاَّ أن تعودوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر، والمعاصي، وقطع الأرحام. قرأ نافع: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ} بكسر السين. والباقون: بالنصب. وهما لغتان، إلا أن النصب أظهر عند أهل اللغة.
قوله عز وجل: {أَوْلَئِكَ الذين لَعَنَهُمُ الله} يعني: أهل هذه الصفة خذلهم الله، وطردهم من رحمته.
قوله: {فَأَصَمَّهُمْ} عن الهدى، فلا يعقلونه {وأعمى أبصارهم} عن الهدى: فلا يبصرونه عقوبة لهم.

تفسير الآيات رقم [24- 32]

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (25) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا

مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (28) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (29) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (30) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (31) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (32)}

قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان} يعني: أفلا يسمعون القرآن، ويعتبرون به، ويتفكرون فيما أنزل الله تعالى فيه، من وعد ووعيد، وكثرة عجائبه، حتى يعلموا أنه من الله تعالى، وتقدس. {أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} يعني: بل على قلوب أقفالها. يعني: أقفل على قلوبهم ومعناه: أن أعمالهم لغير الله ختم على قلوبهم.

قوله تعالى: {إِنَّ الذين ارتدوا على أدبارهم} يعني: رجعوا إلى الشرك {مّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهدى} يعني: من بعد ما ظهر لهم الإسلام. قال قتادة: {إِنَّ الذين ارتدوا على أدبارهم} وهم أهل الكتاب عرفوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم، وكفروا به. ويقال: نزلت في المرتدين.

ثم قال عز وجل: {الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ} يعني: زين لهم ترك الهدى، وزين لهم الضلالة. {وأملى لَهُمْ ذلك} قرأ أبو عمرو: {وَأُمْلِىَ} بضم الألف، وكسر اللام، وفتح الياء على معنى فعل ما لم يسم فاعله. والباقون {وأملى} بنصب اللام، والألف. يعني: أمهل الله لهم، فلم يعاقبهم حين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم. ويقال: زين لهم الشيطان، وأملى لهم الشيطان. يعني: خيل لهم تطويل المدة، والبقاء. وقرأ يعقوب الحضرمي: {وَأُمْلِى} بضم الألف، وكسر اللام، وسكون الياء. ومعناه: أنا أملي يعني: أطول لهم المدة كما قال: {إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً} ثم قال ذلك: يعني: اللعن، والصمم، والعمى، والتزين، والإملاء. {بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ الله} وهم المنافقون، قالوا ليهود بني قريظة والنضير وهم الذين كرهوا ما نزل الله. يعني: تركوا الإيمان بما أنزل الله من القرآن، {سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الامر} يعني: سنغنيكم في بعض الأمر، {والله يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} فيما قالوا فيما بينهم. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية حفص: {إِسْرَارَهُمْ} بكسر الألف. والباقون: بالنصب. فمن قرأ: بالنصب. فهو جمع السر. ومن قرأ: بالكسر، فهو مصدر أسررت إسراراً. ويقال: سر وأسرار.

ثم خوفهم فقال الله تعالى: {فَكَيْفَ} يعني: كيف يصنعون {إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الملائكة} يعني: تقبض أرواحهم الملائكة، ملك الموت، وأعوانه، {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدبارهم} يعني: عند قبض الأرواح. ويقال: يعني: يوم القيامة في النار. {ذلك} أي: ذلك الضرب الذي نزل بهم عند الموت، وفي النار. {بِأَنَّهُمُ اتبعوا مَا أَسْخَطَ الله} يعني: اتبعوا الكفر، وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم. {وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ} يعني: عملوا بما لم يرض الله به، وتركوا العمل بما يرضي الله تعالى. {فَأَحْبَطَ أعمالهم} يعني: أبطل ثواب أعمالهم.

قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الذين فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} يعني: أيظن أهل النفاق، والشك، {أَن لَّن يُخْرِجَ الله أضغانهم} يعني: لم يظهر الله نفاقهم.

ويقال: يعني: الغش الذي في قلوبهم للمؤمنين، وعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم. {وَلَوْ نَشَاء لاريناكهم} يعني: لعرفتك المنافقين، وأعلمتك، {فَلَعَرَفْتَهُم بسيماهم} يعني: بعلاماتهم الخبيثة. ويقال: {فَلَعَرَفْتَهُم بسيماهم} إذا رأيتهم. ويقال: لو نشاء، لجعلنا على المنافقين علامة، فلعرفتهم بسيماهم. يعني: حتى عرفتهم. {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ القول} يعني: ستعرفهم يا محمد بعد هذا اليوم {فِى لَحْنِ القول} يعني: في محاورة الكلام. ويقال: {فِى لَحْنِ القول} يعني: كذبهم إذا تكلموا، فلم يخفَ على النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية، منافق عنده إلا عرفه بكلامه.

ثم قال: {والله يَعْلَمُ أعمالكم} يعني: لم يخف عليه أعمالكم قبل أن تعملوها، فكيف يخفى عليه إذا عملتموها. {وَلَنَبْلُوَنَّكُم} يعني: لنختبرنكم عند القتال {حتى نَعْلَمَ} أي: نميز {المجاهدين مِنكُمْ والصابرين} يعني: صبر الصابرين عند القتال {وَنَبْلُوَ أخباركم} يعني: نختبر أعمالكم. ويقال: أسراركم. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {وَلَيَبْلُونَّكُم حَتَّى يَعْلَمَ وَيَبْلُوَا} الثلاثة كلها بالياء. يعني: يختبركم الله. والباقون الثلاثة كلها بالنون على معنى الإضافة إلى نفسه.

قوله عز وجل: {عَنْهُ وكفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً إِنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا {وَصُدُّواْ} يعني: صرفوا الناس عن دين الإسلام {عَن سَبِيلِ الله} قال مقاتل: يعني: اليهود. وقال الكلبي: يعني: رؤساء قريش حيث شاقوا أهل التوحيد {وَشَاقُّواْ الرسول} يعني: عادوا الله تعالى، ورسوله، وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين {مّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهدى} يعني: الإسلام، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه الحق {لَن يَضُرُّواْ الله شَيْئاً} يعني: لن

ينقصوا الله من ملكه شيئاً بكفرهم، بل يضروا بأنفسهم {وَسَيُحْبِطُ أعمالهم} يعني: يبطل ثواب أعمالهم التي عملوا في الدنيا، فلا يقبلها منهم.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 38]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (34) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (35) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (36) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (37) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)}

قوله تعالى: {بَصِيراً ياأيها الذين ءامَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرسول} يعني: أطيعوه في السر، كما في العلانية. ويقال: {أَطِيعُواْ الله} في الفرائض {وَأَطِيعُواْ الرسول} في السنن، وفيما يأمركم من الجهاد {وَلاَ تُبْطِلُواْ أعمالكم} يعني: حسناتكم بالرياء. وقال أبو العالية: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع قول لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، حتى نزل {أعمالهم ياأيها الذين ءامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرسول وَلاَ تُبْطِلُواْ أعمالكم} فخافوا أن تبطل الذنوب الأعمال. وقال مقاتل: نزلت في الذين يمنون عليك أن أسلموا {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} قال مقاتل: وذلك أن رجلاً سأله عن والده أنه كان محسناً في كفره، قال: هو في النار. فولى الرجل يبكي، فدعاه، فقال له: «والدك ووالدي ووالد إبراهيم في النار». فنزل: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} {ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ الله لَهُمْ} قال الكلبي: نزلت الآية في رؤساء أهل بدر.

قوله تعالى: {فَلاَ تَهِنُواْ} يعني: لا تضعفوا عن عدوكم {وَتَدْعُواْ إِلَى السلم} يعني: إلى الصلح. أي: لا تهنوا، ولا تدعوا إلى الصلح نظير.

قوله تعالى: {وَلاَ تَلْبِسُواْ الحق بالباطل وَتَكْتُمُواْ الحق وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 42] يعني: ولا تكتموا الحق وفي هذه الآية دليل على أن أيدي المسلمين، إذا كانت عالية على المشركين، لا ينبغي لهم أن يجيبوهم إلى الصلح، لأن فيه

ترك الجهاد. وإن لم تكن يدهم عالية عليهم، فلا بأس بالصلح لقوله تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فاجنح لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّهُ هُوَ السميع العليم} [الأنفال: 61] يعني: إن مالوا للصلح فمل إليه. قرأ حمزة في رواية أبي بكر: إلى السلم بكسر السين. والباقون: بالنصب. قال بعضهم: وهما لغتان. وقال بعضهم: أحدهما صلح، والآخر استسلام.

ثم قال: {وَأَنتُمُ الأعْلَوْنَ} يعني: العالين يكون آخر الأمر لكم {والله مَعَكُمْ} يعني: معينكم، وناصركم، {وَلَن يَتِرَكُمْ أعمالكم} يعني: لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً. يقال: وترتني حقي يعني: بخستني فيه. وقال مجاهد: لن ينقصكم. وقال قتادة: لن يظلمكم. {إِنَّمَا الحياة الدنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} يعني: باطل، وفرح. {وَإِن تُؤْمِنُواْ} أي: تستقيموا على التوحيد {وَتَتَّقُواْ} النفاق {يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ} يعني: يعطكم ثواب أعمالكم {وَلاَ يَسْئَلْكُمْ أموالكم} يعني: لا يسألكم جميع أموالكم، ولكن ما فضل منها {وَإِن يَسْئَلْكُمُوهَا} يعني: جميع الأموال {فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ} يعني: إن يلح عليكم بما يوجبه في أموالكم. ويقال: {فَيُحْفِكُمْ} يعني: يجهدكم كثرة المسألة {تَبْخَلُواْ} بالدفع {وَيُخْرِجْ أضغانكم} يعني: يظهر بغضكم، وعدواتكم لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين.

ويقال: ويخرج ما في قلوبكم من حب المال. يقول: هذا للمسلمين. ويقال: هذا للمنافقين. يعني: يظهر نفاقكم. وقال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان.

قوله عز وجل: {ثُمَّ أَنتُمْ هؤلاء} قرأ نافع، وأبو عمرو {وَإِذْ أَنتُمْ} بمدة طويلة، بغير همز. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي. بالمد، والهمز، فَهَا تنبيه، وأنتم كلمة على حدة، وإنما مد ليفصل ألف هاء من ألف أنتم. وقرأ ابن كثير: بالهمز بغير مد ومعناه: أَأَنتم. ثم قلبت إحدى الهمزتين هاء. ومعنى هذه القراءات كلها أنتم يا معشر المؤمنين {تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ الله} يعني: لتتصدقوا في سبيل الله، وتعينوا الضعفاء. {فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ} بالنفقة في سبيل الله {وَمَن يَبْخَلْ} بالنفقة {فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ} يعني: لا يكون له ثواب النفقة {والله الغنى} عما عندكم من الأموال، وعن أعمالكم. {وَأَنتُمُ الفقراء} إلى ما عند الله من الثواب، والرحمة، والمغفرة. {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ} يعني: تعرضوا عما أمركم الله به من الصدقة، وغير ذلك مما افترض الله عليكم من حق. {يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أمثالكم} يعني: يهلككم، ويأت بخير منكم، وأطوع لله

تعالى منكم {ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أمثالكم} يعني: أشباهكم في معصية الله تعالى. قال بعضهم: لم يتولوا، ولم يستبدل بهم. وقال بعضهم: استبدل بهم أناس من كندا وغيرها. وروى أبو هريرة قال: لما نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الذين، إنْ تولينا استبدلوا بِنَا؟ قال: وَعنده سلمان. فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده عليه، ثم قال: «هذا وَقَوْمُهُ» ثم قال: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ مُعَلَّقاً بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِس» وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

سورة الفتح

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3)}
قوله تبارك وتعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} يعني: قضينا لك قضاء بيناً. أكرمناك بالإسلام، والنبوة، وأمرناك بأن تدعو الخلق إليه. قال مقاتل: وذلك أنه لما نزل بمكة {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ} وكان المشركون يقولون: لم تتبعون رجلاً لا يدري ما يفعل به، ولا بمن تابعه. فلما قدم المدينة، عيّرهم بذلك المنافقون أيضاً. فعلم الله تعالى ما في قلوب المؤمنين من الحزم، وما في قلوب الكافرين من الفرح. فنزل {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} يعني:: قضينا لك قضاء بيناً {لّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} فقال المؤمنون: هذا لك فما لنا؟ فنزل {لِّيُدْخِلَ المؤمنين والمؤمنات جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ الله فَوْزاً عَظِيماً} [الفتح: 5] الآية. فقال المنافقون فما لنا؟ فنزل {وَيُعَذِّبَ المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظآنين بالله ظَنَّ السوء عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السوء وَغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً} [الفتح: 6] الآية. وقال الزجاج: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ} يعني: فتح الحديبية، والحديبية بئر سمي المكان بها. والفتح هو الظفر بالمكان، كان بحرب أو بغير حرب. قال: ومعنى الفتح الهداية إلى الإسلام. وكان في فتح الحديبية، معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنها بئر فاستسقى جميع ما فيها من الماء، ولم يبق فيها شيء، فمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها، فدرّت البئر بالماء. ثم قال: {لّيَغْفِرَ لَكَ} قال بعضهم: هذه لام كي. فكأنه قال: لكي يغفر لك {الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ} يعني: ذنب آدم {وَمَا تَأَخَّرَ} يعني: ذنب أمتك. وقال القتبي:

هذه لام القسم فكأنه قال: {لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} ويقال: ما كان قبل نزول الوحي، وما كان بعده.
قوله تعالى: {وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} بالنبوة، وبإظهار الدين {وَيَهْدِيَكَ صراطا مُّسْتَقِيماً} يعني: يثبتك على الهدى، وهو طريق الأنبياء {وَيَنصُرَكَ اللهُ} يعني: لكي ينصرك الله على عدوك {نَصْراً عَزِيزاً} بإظهار الإسلام.

▲ تفسير الآية رقم [4]

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4)}
قوله تعالى: {هُوَ الذى أَنزَلَ السكينة فِى قُلُوبِ المؤمنين} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم تجهز في سنة ست في ذي القعدة، فخرج إلى العمرة معه ألف وستمائة رجل، ويقال: ألف وأربعمائة، وساق سبعين بدنة. فبلغ قريشاً خبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فبعثوا خالد بن الوليد في عصابة منهم ليصدوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت؟ فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان قال: «إِنَّ قُرَيْشاً جَعَلَتْ لِي عُيُوناً، فَمَنْ يَدُلُّنِي عَلَى طَرِيقِ الثَّنِيَّةِ». فقال رجل من المسلمين: أنا يا رسول الله فخرج بهم، وانتهوا إلى الثنية، وصعدوا فيها. فلما هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية، بركت ناقته القصواء، فلم تنبعث، فزجرَها، وزجرها الناس، وضربوها، فلم تنبعث. فقال الناس: خلأت القصواء أي: صارت حروناً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا كَانَ ذلك لَهَا بِخُلُقٍ، ولكن حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ» ثم قال: «لا يَسْأَلُونَنِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَيْئاً يُعَظِّمُونَ بِهِ حُرُمَاتِهِمْ، إلاَّ قَبِلْتُهُ مِنْهُمْ» ثَم زجرها، فانبعثت.
فلما نزلوا على القليب بالحديبية، لم يكن في البئر إلا ماء وشيك. يعني: قليل متغير، فاستسقوا فلم يبق في البئر ماء. فقال: مَن رجل يهيج لنا الماء؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله. فقال: «ما اسمك» قال: مرة. فقال: «تأخر» فقال رجل آخر أنا يا رسول الله، فقال: «مَا اسْمُكَ؟». قال: ناجيه. فقال: «أَنْزِلْ». فنزل، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشقصاً، فبحث به البئر، فنبع الماء. وقال في رواية عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: كان ماء الحديبية قد قل. فأتى بدلو من ماء، فتوضأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل منه في فيه، ثم مجه في الدلو، ثم أمرهم بأن يجعلوه في البئر، ففعلوا، فامتلأت البئر حتى كادوا يغرقون منها وهم جلوس. ففزع المشركون لنزول النبي صلى الله

عليه وسلم وأصحابه في الحديبية، فجاؤوه، واستعدوا ليصدوه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «يا عُمَرُ اذْهَبْ فَاسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَيْهِمْ حَتَّى نَعْتَمِرَ، وَيُخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ البَيْتِ، لا أُرِيدُ مِنْهُمْ غَيْرَهُ». فقال عمر: يا رسول الله ليس ثم أحد من قومي يمنعني. فأرسل عثمان، فإن هناك ناساً من بني عمه، يمنعونه، فذهب عثمان، فتلقاه أبان بن سعيد بن العاص، فقال له: أجرني من قومك حتى أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجاره، وحمله على فرسه ورائه، ودخل به مكة فاستأذن عثمان قريشاً، فأبوا أن يأذنوا له.
فقال: أبان لعثمان طف أنت إن شئت. فقال: لما كنت لأتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقي هناك ثلاثة أيام، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل. فقال لأصحابه: بايعوني على الموت. فجلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، فبايعه أصحابه على الموت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أَخَافُ أَلاَّ يُدْرِكَ عُثْمَانَ هَذِهِ البَيْعَةَ، فَأَنَا أُبَايِعُ لَهُ يَمِينِي بِشِمَالِي». ثم رجع عثمان، فأخبر أنهم قد أبوا ذلك، وبلغت قريشاً البيعة، فكبرت تلك البيعة عندهم، وقالوا ليزيد بن الحارث الكناني: أردده عنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ابْعَثُوا الهَدْيَ فِي وَجْهِهِ يَرَاهَا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ يُعَظِّمُونَ الهَدْيَ». فبعثوا الهدي في وجهه، فلما رأى يزيد بن الحارث الهدي قال: ما أرى أحداً يفلح بردّ هذا الهدي، ورجع إلى قريش. فقال لهم: لا تردوا هذا الهدي فإني أخشى أن يصيبكم عذاب من السماء. فأرسلوا عروة بن مسعود الثقفي، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس إليه، فقال: يا محمد ارجع عن قومك هذه المرة، فجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويومئ بيديه إلى لحيته، وكان المغيرة قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربه بالسوط على يده، وقال: اكفف يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليك ما تكره. فقال عروة: من هذا يا محمد؟ فقال: ابن أخيك المغيرة بن شعبة. فقال: يا غدر ما غسلت سلحتك عني بعد. أفتضرب يدي؟ قال: اكففها قبل أن لا تصل إليك. فرجع عروة إلى قريش، فقالوا له: ما ورائك يا أبا يعقوب؟ فقال: خلوا سبيل الرجل يعتمر، فإني حضرت كسرى، وقيصر، والنجاشي، فما رأيت ملكاً قط أصحابه أطوع من هذا الملك. والله إنه ليتنخم فيبتدرون نخامته، والله إنه ليجلس فيبتدرون التراب الذي يجلس عليه، وإنه ليتوضأ فيبتدرون وضوءه. فقالوا: جبنت، وانتفح سحرك. ثم قالوا لسهيل بن عمرو: اذهب واردده عنا، وصالحه. فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: «قَدْ سَهُلَ أَمْرُهُمْ» فجاءه سهيل في نفر من قريش فقال: يا محمد ارجع عن قومك هذه المرة، على أن لك أن تأتيهم من العام المقبل، فتعتمر أنت، وأصحابك، ويدخل كل إنسان منكم بسلاحه راكباً، فتصالحنا على أن لا تقاتلنا، ولا نقاتلك سنتين. فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. فقال: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فأمر علياً رضي الله عنه أن يكتب، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف الرحمن. قال: فكيف أكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم؛ فكتب باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله، لاتبعتك. أفترغب عن اسم أبيك؟ فقال علي رضي الله عنه: فوالله إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على رغم أنفك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا مَحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله» لأنه كان عهد أن لا يسألوه عن شيئاً يعظمون به حرماتهم إلا قبله. فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، ألاّ تقاتلنا، ولا نقاتلك سنتين، وندخل في حلفنا من نشاء، وتدخلوا في حلفكم من شئتم، وعلى أنكم تأتون من العام المقبل، وتقيمون ثلاثة أيام، ثم ترجعون، وعلى أن ما جاء منا إليكم لا تقبلوه، وتردوه إلينا، ومن جاء منكم إلينا فهو منا، فلا نرده إليكم، فشق ذلك الشرط على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله من لحق بنا منهم لم نقبله، ومن لحق بهم منا فهو لهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فأَمَّا مَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنَّا فَأَبْعَدَهُ الله وَأَوْلَى بِمَنْ كَفر. وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْحَقَ بِنَا مِنْهُمْ فَسَيَجْعَلُ الله لَهُ مَخْرِجَاً». فجاء أبو جندل بن سهيل يوسف في الحديد، يعني: يمشي مشي الأعرج قد أسلم، فأوثقه أبوه حين خشي أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع في ظهراني المسلمين، قال: إني مسلم. فجاء أبوه فقال: إنما كتبنا الكتاب الساعة. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أليس الله حق وأنت نبيه؟ قال: «بَلَى». قال: ونحن قوم مؤمنون؟ وهم كفار؟ قال: «بَلَى». قال: فلم نُعْطِي الدنية في ديننا؟ قال: «إِنَّمَا كَتَبْنَا الكِتَابَ السَّاعَةَ». فتحول عمر إلى أبي جندل فقال: يا أبا جندل إن الرجل يقتل أباه في الله، وإن دم الكافر لا يساوي دم كلب، وجعل عمر يقرب إليه سيفه كيما يأخذه، ويضرب به أباه. فقال أبو جندل: ما لك لا تقتله أنت؟ فقال عمر: نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: ما أنت بأحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني، لا أقتل أبي، فأخذ سهيل

بن عمرو غصناً من أغصان تلك الشجرة، فضرب به وجه أبي جندل، والمسلمون يبكون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ، فَإِنْ يَعْلَمِ الله مِنْ أَبِي جَنْدَلٍ الصِّدْقَ يُنْجِهِ مِنْهُمّ». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسهيل: «هَبْهُ لِي» فقال سهيل: لا. فقال: مكرز بن حفص: قد أجرته.
يعني: أمنته فآمنه حتى رده إلى مكة، فأنجى الله تعالى أبا جندل من أيديهم بعد ما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فخرج إلى شط البحر، واجتمع إليه قريباً من سبعين رجلاً، كرهوا أن يقيموا مع المشركين، وعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يقبلهم حتى تنقضي المدة، فعمدوا إلى عير لقريش مقبلة إلى الشام، أو مدبرة فأخذوها، وجعلوا يقطعون الطريق على المشركين، فأرسل المشركون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه إلا قبضهم إليه، وقالوا له: أنت في حلَ منهم. فالتحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلم الذين كرهوا الصلح، أن الخير فيما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن ينحروا البدن، ويحلقوا الرؤوس، فلم يفعل ذلك منهم أحد. فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم سلمة فقال: ألا تعجبين؟ أمرت الناس أن ينحروا البدن، ويحلقوا. فلم يفعل أحد منهم. فقالت أم سلمة: قم أنت يا رسول الله وانحر بدنك، واحلق رأسك، فإنهم سيقتدون بك. فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن، وحلق رأسه، ففعل القوم كلهم، فحلق بعضهم، وقصر بعضهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »يَرْحَمُ الله المُحَلِّقِينَ». فقالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ فقال: «يَرْحَمُ الله المُحَلِّقِينَ، وَالمُقَصِّرِينَ». فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فنزل {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} إلى قوله: {هُوَ الذى أَنزَلَ السكينة فِى قُلُوبِ المؤمنين} يعني: السكون، والطمأنينة في البيعة، في قلوب المؤمنين. {لِيَزْدَادُواْ إيمانا مَّعَ إيمانهم} يعني: تصديقاً مع تصديقهم الذي هم عليه. ويقال: تصديقاً بما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعة. ويقال: يعني: إقراراً بالفرائض، مع إقرارهم بالله تعالى. وروي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: {هُوَ الذى أَنزَلَ السكينة} قال: يعني: الرحمة {فِى قُلُوبِ المؤمنين لِيَزْدَادُواْ إيمانا}. قال: إن الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، كما قال: {قُلْ هُوَ الله أَحَد الله الصمد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} [الاخلاص: 1، 4] فلما صدقوا بها، زادهم الصلاة. فلما صدقوا بها زادهم الزكاة. فلما صدقوا بها زادهم الصوم. فلما

صدقوا بها زادهم الحج. فلما صدقوا به زادهم الجهاد. يعني: إن في كل ذلك يزيد تصديقاً مع تصديقهم.

{وَلِلَّهِ جُنُود السموات والارض} فجنود السموات الملائكة، وجنود الأرض المؤمنون من الجن والإنس {وَكَانَ الله عَلِيماً} بخلقه {حَكِيماً} في أمره حيث حكم بالنصر للمؤمنين يوم بدر.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 9]

{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (5) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (6) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (7) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9)}

قوله عز وجل: {لِّيُدْخِلَ المؤمنين والمؤمنات} يعني: المصدقين والمصدقات {جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} يعني: من تحت غرفها، وأشجارها {خالدين فِيهَا} يعني: دائمين مقيمين، لا يموتون، ولا يخرجون منها {وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم} يعني: يمحو، ويتجاوز عن سيئاتهم. يعني: عن ذنوبهم {وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ الله فَوْزاً عَظِيماً} في الآخرة. أي: نجاة وافرة من العذاب.

ثم قال: {وَيُعَذِّبَ المنافقين والمنافقات} يعني: ولكن يعذب المنافقين، والمنافقات، من أهل المدينة {والمشركين} من أهل مكة {والمشركات} الذين أقاموا على عبادة الأصنام.

قوله: {الظانين بالله ظَنَّ السوء} وظنهم ترك التصديق بالله تعالى ورسوله، مخافة ألا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرسول والمؤمنون إلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السوء وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً} [الفتح: 12].

ثم قال: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السوء} يعني: عاقبة العذاب والهزيمة {وَغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ} في الدنيا {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ} في الآخرة {وَسَاءتْ مَصِيراً} يعني: بئس المصير الذي صاروا إليه.

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ السموات والارض وَكَانَ الله عَزِيزاً} بالنقمة لمن مات على كفره، ونفاقه. {حَكِيماً} في أمره، وقضائه، حكم بالنصرة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: {إِنَّا أرسلناك شَاهِداً} يعني: بعثناك شاهداً بالبلاغ إلى أمتك {وَمُبَشّراً} لمن أجابك بالجنة {وَنَذِيرًا} يعني: مخوفاً للكفار بالنار {لِّتُؤْمِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ} يعني: لتصدقوا بالله فيما يأمركم، وتصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم {وَتُعَزِّرُوهُ} يعني: لكي تعينوه، وتنصروه على عدوه بالسيف، {وَتُوَقِّرُوهُ} أي: تعظموا النبي صلى الله عليه وسلم {وَتُسَبِّحُوهُ} يعني: تصلوا لله تبارك وتعالى {بُكْرَةً وَأَصِيلاً} يعني: غدوة وعشياً. فكأنه قال: لتؤمنوا بالله وتسبحوه، وتؤمنوا برسوله، وتعزروه، وتوقروه. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: {لِيُؤْمِنُواْ * بالله وَرَسُولِهِ} كلها بالياء على معنى الخبر عنهم، وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: {بِكُمُ الدوائر عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السوء} بضم السين. وقرأ الباقون: بالنصب، كقولك رجل سوء، وعمل سوء، وقد روي عن ابن كثير، وأبي عمرو: بالنصب أيضاً.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 14]

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (12) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (13) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (14)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ} يعني: يوم الحديبية تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان، قال الكلبي: بايعوا تحت الشجرة، وهي شجرة السَّمرة، وهم يومئذٍ ألف وخمسمائة وأربعون رجلاً. وروى هشام عن محمد بن الحسن قال: كانت الشجرة أم غيلان. {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله} يعني: كأنهم يبايعون الله، لأن

النبي صلى الله عليه وسلم إنما بايعهم بأمر الله تعالى. ويقال: {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله} أي: لأجله، وطلب رضاه.

ثم قال: {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يعني: يد الله بالنصرة، والغلبة، والمغفرة، {فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} بالطاعة. وقال الزجاج: {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يحتمل ثلاثة أوجه. أحدها {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} بالوفاء، ويحتمل {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} بالثواب، فهذان وجهان جاءا في التفسير، ويحتمل أيضاً {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} في المِنَّة عليهم، وفي الهداية فوق أيديهم في الطاعة.

{فَمَن نَّكَثَ} يعني: نقض العهد، والبيعة {فَإِنَّمَا يَنكُثُ على نَفْسِهِ} يعني: عقوبته على نفسه. {وَمَنْ أوفى بِمَا عاهد عَلَيْهِ الله} قرأ حفص: برفع الهاء. أي: وفى بما عاهد عليه من البيعة، فيتم ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: أوفى بما عاهد الله عليه من البيعة، والتمام في ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

{فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} في الجنة. قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر: {فَسَنُؤْتِيهِ} بالنون. والباقون: بالياء. وكلاهما يرجع إلى معنى واحد. يعني: سيؤتيه الله ثواباً عظيماً.

قوله تعالى: {عَظِيماً سَيَقُولُ لَكَ المخلفون مِنَ الاعراب} وهم أسلم، وأشجع، وغفار، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى مكة عام الحديبية، فاستتبعهم، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة. فقالوا فيما بينهم: نذهب معه إلى قوم جاؤوه فقتلوا أصحابه، فقاتلهم، فاعتلوا عليه بالشغل، حتى رجع، فأخبر الله تعالى رسوله قبل ذلك، أنه إذا رجع إليهم استقبلوه بالعذر، وهم كاذبون. فقال: {سَيَقُولُ لَكَ المخلفون مِنَ الاعراب} يعني: الذين تخلفوا عن بيعة الحديبية {شَغَلَتْنَا أموالنا وَأَهْلُونَا} يعني: خفنا عليهم الضيعة، ولولا ذلك لخرجنا معك. {فاستغفر لَنَا} في التخلف. {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ} يعني: من طلب الاستغفار وهم لا يبالون، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم.

{قُلْ} يا محمد {فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مّنَ الله شَيْئاً} يعني: من يقدر أن يمنع عنكم من عذاب الله شيئاً {إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً} يعني: قتلاً، أو هزيمة، {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً} يعني: النصرة. قرأ حمزة والكسائي {ضَرّا} بضم الضاد، وهو سوء الحال والمرض، وما أشبه ذلك. والباقون: بالنصب.

وهو ضد النفع. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقرير. يعني: لا يقدر أحد على دفع الضر، ومنع النفع غير الله.
ثم استأنف الكلام فقال: {بَلْ كَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} يعني: عالماً بتخلفكم، ومرادكم.
قوله عز وجل: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرسول} يعني: بل منعكم من السير معه، لأنكم ظننتم أن لن ينقلب الرسول {والمؤمنون} من الحديبية {إلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيّنَ ذَلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ} يعني: حُسِّن التخلف في قلوبكم {وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السوء} يعني: حسبتم الظن القبيح {وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً} يعني: هلكى. وروي عن ابن عباس أنه قال: البور في لغة أزد عمان: الشيء الفاسد. والبور في كلام العرب: لا شيء. يعني: أعمالهم بور أي: مبطلة.
قوله عز وجل: {وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بالله وَرَسُولِهِ} يعني: من لم يصدق بالله في السر، كما صدقه في العلانية {فَإِنَّا أَعْتَدْنَا للكافرين سَعِيراً} يعني: هيأنا لهم عذاب السعير.
قوله تعالى: {وَللَّهِ مُلْكُ *** السموات والارض} يعني: خزائن السموات والأرض. ويقال: ونفاذ الأمر في السموات والأرض. {يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذّبُ مَن يَشَاء} وهو فضل، منه المغفرة، ويعذب من يشاء على الذنب الصغير، وهو عدل منه {وَكَانَ الله غَفُوراً} لذنوبهم {رَّحِيماً} بهم.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 20]

{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (15) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (16) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (17) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20)}

ثم قال عز وجل: {سَيَقُولُ المخلفون} يعني: الذين تخلفوا عن الحديبية {إِذَا انطلقتم إلى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا} يعني: إلى غنائم خيبر {ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ} يعني: اتركونا نتّبعكم في ذلك الغزو {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كلام الله} يعني: يغيروا كلام الله. يعني: ما قاله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: لا تأذن لهم في غزاة أخرى. قرأ حمزة والكسائي: وهو جمع كلمة. والباقون {كَلاَمَ الله} والكلام اسم لكل ما يتكلم به. {قُل لَّن تَتَّبِعُونَا} في المسير إلى خيبر إلاَّ متطوعين، من غير أن يكون لكم شرك في الغنيمة. {كَذَلِكُمْ قَالَ الله مِن قَبْلُ} يعني: من قبل الحديبية. {فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا} يعني: يقولون للمؤمنين: إن الله لم ينهكم عن ذلك، بل تحسدوننا على ما نصيب معكم من الغنائم.

قال الله تعالى: {بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} أي: لا يعقلون، ولا يرغبون في ترك النفاق، لا قليلاً، ولا كثيراً. ويقال: بل كانوا لا يفقهون النهي من الله تعالى إلا قليلاً منهم.

قوله عز وجل: {قُل لّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الاعراب} يعني: الذين تخلفوا عن الحديبية، مخافة القتال {سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ} يعني: قتال شديد. قال بعضهم: يعني: قتال أهل اليمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقال مجاهد: {إلى قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ} يعني: أهل الأوثان. وقال أيضاً: هم أهل فارس، وكذا قال عطاء، وقال سعيد بن جبير: هوازن، وثقيف. وقال الحسن: فارس، والروم.

{تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ} قرأ بعضهم (أَوْ يُسْلِمُوا) بألف من غير نون، وقراءة العامة بالنون. فمن قرأ: {أَوْ} يعني: حتى يسلموا، أو إلى أن يسلموا. ومن قرأ: بالنون. فمعناه: تقاتلونهم أو هم يسلمون {يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ} يعني: تجيبوا، وتوقعوا القتال، وتخلصوا لله تعالى. {يُؤْتِكُمُ الله أَجْراً حَسَناً} يعني: ثواباً حسناً في الآخرة. {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مّن قَبْلُ} يعني: تعرضوا عن الإجابة كما أعرضتم يوم الحديبية. {يُعَذّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} يعني: شديداً دائماً، فلما نزلت هذه الآية، قال أهل الزمانة والضعفاء: فكيف بنا إذا دعينا إلى قتالتهم، ولا نستطيع الخروج، فيعذبنا الله؟ فنزل قوله: {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: نزل العذر في الذين تخلفوا عن الحديبية. {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} يعني: ليس عليهم إثم في التخلف {وَلاَ عَلَى الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المريض حَرَجٌ} يعني: إثم.

{وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} في الغزو ويقال: ومن يطع الله ورسوله في الغزو، في السر، والعلانية {يُدْخِلْهُ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهر} وقد ذكرناه.
{وَمَن يَتَوَلَّ} يعني: يعرض عن ذلك. يعني: عن طاعة الله، ورسوله، بالتخلف {يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً} يعني: شديداً دائماً. قرأ نافع: وابن عامر {نُدْخِلْهُ وَنُعَذِّبْهُ} كلاهما بالنون. والباقون: كلاهما بالياء. وكلاهما يرجع إلى معنى واحد.
قوله تعالى: {عَذَاباً أَلِيماً لَّقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المؤمنين إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشجرة} يعني: شجرة السمرة. ويقال: أم غيلان. قال قتادة: بايعوهُ يومئذٍ وهم ألف وأربعمائة رجل. وكان عثمان يومئذٍ بمكة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ الله وَحَاجَةِ رَسُولِهِ، وَحَاجَةِ المُؤْمِنِينَ. ثُمَّ وضع إحدى يديه على الأخرى، وقال: هذه بَيْعَةُ عُثْمَان».
{فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ} أي: ما في قلوبهم من الصدق والوفاء. وهذا قول ابن عباس. وقال مقاتل: {فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ} من الكراهية للبيعة على أن يقتلوا، ولا يفروا. {فَأَنزَلَ} الله {السكينة عَلَيْهِمْ} يعني: أنزل الله تعالى الطمأنينة، والرضى عليهم. {وأثابهم} يعني: أعطاهم. {فَتْحاً قَرِيباً} يعني: فتح خيبر. {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا} يعني: يغنمونها {وَكَانَ الله عَزِيزاً حَكِيماً} حكم عليهم بالقتل، والسبي. ويقال: حكم الغنيمة للمؤمنين، والهزيمة للكافرين.
ثم قال: {وَعَدَكُمُ الله مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} يعني: تغنمونها، وهو ما أصابوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة. وقال ابن عباس: هي هذه الفتوح التي تفتح لكم {فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه} يعني: فتح خيبر، قرأ بعضهم {وأتاهم} أي: أعطاهم وقراءة العامة {وأثابهم} يعني: كافأهم.
قوله تعالى: {وَكَفَّ أَيْدِىَ الناس عَنْكُمْ} يعني: أيدي أهل مكة. ويقال: أسد وغطفان أرادوا أن يعينوا أهل خيبر، فدفعهم الله عن المؤمنين، فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا له، ولا عليه.
ثم قال: {وَلِتَكُونَ ءايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} وهو فتح خيبر، لأن المسلمين كانوا ثمانية آلاف، وأهل خيبر كانوا سبعين ألفاً.
ثم قال: {وَيَهْدِيَكُمْ صراطا مُّسْتَقِيماً} يعني: يرشدكم ديناً قيماً، وهو دين الإسلام.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 26]

{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (22) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (23) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (25) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26)}

ثم قال: {وأخرى لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا} يعني: وعدكم الله غنيمة أخرى لم تقدروا عليها. يعني: لم تملكوها بعد، وهو فتح مكة. ويقال: هو فتح قرى فارس، والروم. {قَدْ أَحَاطَ الله بِهَا} يعني: علم الله أنكم ستفتحونها، وستغنمونها، فجمعها، وأحرزها لكم. {وَكَانَ الله على كُلّ شَئ قَدِيراً} من الفتح وغيره {وَلَوْ قاتلكم الذين كفَرُواْ} يعني: كفار مكة يوم الحديبية. ويقال: أسد وغطفان يوم خيبر. {لَوَلَّوُاْ الادبار} منهزمين {ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} يعني: قريباً ينفعهم، ولا مانعاً يمنعهم من الهزيمة.

قوله عز وجل: {سُنَّةَ الله التى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ} يعني: هكذا سنة الله بالغلبة، والنصرة لأوليائه، والقهر لأعدائه. {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً} يعني: تغييراً، وتحويلاً.

{وَهُوَ الذى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ} يعني: أيدي أهل مكة، {وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم} يعني: أيديكم عن أهل مكة من بعد أن أظفركم عليهم. وذلك أن جماعة من أهل مكة، خرجوا يوم الحديبية يرمون المسلمين، فرماهم المسلمون بالحجارة حتى أدخلوهم بيوت مكة. وروى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: طلع قوم وهم ثمانون رجلاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل التنعيم عند صلاة الصبح ليأخذوه، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلى سبيلهم. فأنزل الله تعالى: {وَهُوَ الذى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم} {بِبَطْنِ مَكَّةَ} يعني: بوسط مكة {مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} يعني: سلطكم عليهم {وَكَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} بحرب بعضكم بعضاً.

قوله تعالى: {هُمُ الذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا بوحدانية الله تعالى {وَصَدُّوكُمْ عَنِ المسجد الحرام} أن تطوفوا به {والهدى مَعْكُوفاً} يعني: محبوساً. يقال: عكفته عن كذا إذا حبسته. ومنه العاكف في المسجد لأنه حبس نفسه. يعني: صيروا الهدي محبوساً عن دخول مكة، وهي سبعون بدنة. ويقال: مائة بدنة. {أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ} يعني: منحره، ومنحرة منى للحاج، وعند الصفا للمعتمر.

ثم قال: {وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مؤمنات} بمكة {لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ} أنهم مؤمنون. يعني: لم تعرفوا المؤمنين من المشركين {ءانٍ} يعني: تحت أقدامكم. ويقال: فتضربوهم بالسيف {تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ} يعني: تلزمكم الدية {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغير علم منكم لهم، ولا ذنب لكم. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا مختلطين بالمشركين، غير متميزين، ولا معروفي الأماكن.

ثم قال: {وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مؤمنات لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن} لو دخلتموها أن تقتلوهم {عِلْمٍ لّيُدْخِلَ الله فِى رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء} لو فعلتم فيصيبكم من قتلهم معرة. يعني: يعيركم المشركون بذلك، ويقولون: قتلوا أهل دينهم كما قتلونا، فتلزمكم الديات.

ثم قال: {لَوْ تَزَيَّلُواْ} أي: تميزوا من المشركين {لَعَذَّبْنَا الذين كَفَرُواْ} يعني: لو تميزوا بالسيف. وقال القتبي: صار قوله: {لَعَذَّبْنَا} جواباً لكلامين أحدهما، لولا رجال مؤمنون، والآخر {لَوْ تَزَيَّلُواْ} يعني: لو تفرقوا، واعتزلوا. يعني: المؤمنين من الكافرين {لَعَذَّبْنَا الذين كَفَرُواْ} {مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} يعني: شديداً وهو القتل.

قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الذين كَفَرُواْ} يعني: أهل مكة {فِى قُلُوبِهِمُ الحمية حَمِيَّةَ الجاهلية} وذلك أنهم قالوا: قتل آباءنا، وإخواننا. ثم أتانا يدخل علينا في منازلنا. والله لا يدخل علينا، فهذه الحمية التي في قلوبهم. {فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ} يعني: طمأنينته {على رَسُولِهِ وَعَلَى المؤمنين} فأذهب عنهم الحمية، حتى اطمأنوا، وسكتوا. {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التقوى} يعني: ألهمهم كلمة لا إله إلا الله حتى قالوا: {وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا} يعني: كانوا في علم الله تعالى أحق بهذه الكلمة من كفار مكة {وَأَهْلَهَا} يعني: وكانوا أهل هذه الكلمة عند الله تعالى {وَكَانَ الله بِكُلّ شَئ عَلِيماً} يعني: عليماً بمن كان أهلاً لذلك وغيره.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 29]

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)}

قوله عز وجل: {لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق} يعني: حقق الله تعالى رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوفاء، والصدق، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام قبل الخروج إلى الحديبية، أنهم يدخلون المسجد الحرام. فأخبر الناس بذلك، فاستبشروا. فلما صدهم المشركون، قالت المنافقون في ذلك ما قالت. فنزل {لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق} يعني: يصدق رؤياه بالحق {لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام} يعني: ما أخبر أصحابه أنهم يدخلون المسجد الحرام في العام الثاني. ويقال: نزلت الآية بعد ما دخلوا في العام الثاني {لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام} يعني: ما أخبر أصحابه أنهم يدخلون المسجد الحرام {فَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ} يعني: لتدخلن {فَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ} يعني: بإذن الله، وأمره. ويقال: هذا اللفظ حكاية الرؤيا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى في المنام، رأى كأن ملكاً ينادي وهو يقول: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله، فأنزل الله تعالى {لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق} وهو قول الملك {لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إِن شَاء الله ءامِنِينَ} من العدو {مُحَلّقِينَ * رُءوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ} يعني: منهم من يحلق، ومنهم من يقصر {لاَ تخافون} العدو {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ} قال مقاتل: فعلم أن يفتح عليهم خيبر قبل ذلك، فوعد لهم الفتح، ثم دخول مكة، ففتحوا خيبر، ثم رجعوا، ثم دخلوا مكة، وأتوا عمرة القضاء. وقال الكلبي في قوله: {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ} يعني: علم الله أنه سيكون في السنة الثانية، ولم تعلموا أنتم، فلذلك وقع في أنفسكم ما وقع {فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً} يعني: فتح خيبر.

ثم قال عز وجل: {هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى} يعني: بالتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله {وَدِينِ الحق} وهو الإسلام {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ} يعني: على الأديان كلها قبل أن تقوم الساعة. فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام {وكفى بالله شَهِيداً} بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يشهد كفار مكة، وذلك حين أراد أن يكتب محمد رسول الله، فقال سهيل بن عمرو: إنا لا نعرف بأنك رسول الله ولا نشهد.

قال الله عز وجل: {وكفى بالله شَهِيداً} وإن لم يشهد سهيل، وأهل مكة. قال عز وجل: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والذين مَعَهُ} من المؤمنين {أَشِدَّاء عَلَى الكفار} بالغلظة {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} يعني: متوادّين فيما بينهم {تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً} يعني: يكثرون الصلاة {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ الله وَرِضْوَاناً} يعني: يلتمسون من الحلال.

وقال بعضهم: {والذين مَعَهُ} يعني: أبا بكر {أَشِدَّاء عَلَى الكفار} يعني: عمر {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} يعني: عثمان {تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً} يعني: علياً رضوان الله عليهم أجمعين {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ الله وَرِضْوَاناً} يعني: الزبير، وعبد الرحمن بن عوف {سيماهم فِى وُجُوهِهِمْ} يعني: علاماتهم، وهي الصفرة في وجوههم {مّنْ أَثَرِ السجود} يعني: من السهر بالليل. ويقال: يعرفون غُرّاً محجلين يوم القيامة، من أثر الوضوء. وقال مجاهد: {سيماهم فِى وُجُوهِهِمْ} قال: الخشوع، والوقار. وقال منصور: قلت لمجاهد: أهذا الذي يكون بين عيني الرجل؟ قال: إن ذلك قد يكون للرجل، وهو أقسى قلباً من فرعون.

ثم قال: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التوراة} يعني: هذا الذي ذكره من نعتهم، وصفتهم في التوراة.

ثم ذكر نعتهم في الإنجيل فقال: {وَمَثَلُهُمْ فِى الإنجيل} يعني: مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: مثلهم في التوراة، والإنجيل واحد. قال: {مَثَلُهُمْ فِى التوراة وَمَثَلُهُمْ فِى الإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} قرأ ابن كثير، وابن عامر: {شَطْأَهُ} بنصب الشين، والطاء. والباقون: بنصب الشين، وجزم الطاء. ومعناهما واحد. وهو فراخ الزرع. وقال مجاهد: {شَطْأَهُ} يعني: قوائمه. قرأ ابن عامر: {فَازَرَهُ} بغير مد. والباقون بالمد ومعناهما واحد. يعني: قواه. ومنه قوله عز وجل: {اشدد بِهِ أَزْرِى} [طه: 31] يعني: أقوي به ظهري. ويقال: {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} يعني: سنبله {فَازَرَهُ} يعني: أعانه وقواه. {فاستغلظ} يعني:

غلظ الزرع، واستوى. {فاستوى على سُوقِهِ} وهو جماعة الساق {يُعْجِبُ الزراع} يعني: الزارع إذا نظر في زرعه بعدما استغلظ، واستوى، يعجبه ذلك. فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم، تبعه أبو بكر، ثم تبعه عمر، ثم تبعه واحد بعد واحد من أصحابه، حتى كثروا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لكثرتهم.

{لِيَغِيظَ بِهِمُ الكفار} يعني: أهل مكة يكرهون ذلك لما رأوا من كثرة المسلمين، وقوتهم. وروى خيثمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرئهم القرآن في المسجد، فأتى على هذه الآية: {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} فقال: أنتم الزرع، وقد دنا حصادكم. ويقال: {كَزَرْعٍ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم. {أَخْرَجَ شَطْأَهُ} يعني: أبا بكر {فَازَرَهُ} يعني: أعانه عمر على كفار مكة {فاستغلظ} يعني: تقوى بنفقة عثمان {فاستوى على سُوقِهِ} يعني: قام على أمره علي بن أبي طالب يعينه، وينصره على أعدائه. {يُعْجِبُ الزراع لِيَغِيظَ بِهِمُ الكفار} يعني طلحة، والزبير. وكان الكفار يكرهون إيمان طلحة والزبير لشدة قوتهما، وكثرة أموالهما.

{وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات مِنْهُم} يعني: لهم. ويقال: فيما بينهم، وبين ربهم. ويقال: مِنْ هاهنا لإبانة الجنس. يعني: {وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات مِنْهُم} أي: من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم {مَغْفِرَةً} لذنوبهم {وَأَجْراً عَظِيماً} يعني: ثواباً وافراً في الجنة. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الفَتْحِ فَكَأَنَّمَا شَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم». والله سبحانه أعلم.

▲ سورة الحجرات

▲ تفسير الآية رقم [1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1)}

قوله تبارك وتعالى: {عَظِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ} يقال: يا نداء، وها تنبيه، والَّذِينَ إشارة. وآمَنُوا مدحه. روي عن الضحاك أنه كان يقرأ: {لاَ تُقَدّمُواْ} بنصب التاء والدال. وقراءة العامة {لاَ تُقَدّمُواْ} برفع التاء، وكسر الدال. فمن قرأ بالنصب، فهو في الأصل لا تتقدموا، فحذفت إحدى التاءين لتكون أخف. ومن قرأ بالضم فهو من قدم تقدم. يقال: فلان تقدم بين يدي أبيه، وبين يدي الإمام. يعني: تعجل بالأمر، وانتهى بدونه. يعني:: لا تقدموا الكلام بين يدي الله، ورسوله. ومعناه: لا تقولوا قبل أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم. ويقال: معناه إذا أمرتم بأمر فلا تفعلوه قبل الوقت الذي أمرتم به. وقال الحسن: إن قوماً ذبحوا قبل أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبحوا آخر، فنزل {عَظِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ} وقال مسروق: كنا عند عائشة يوم الشك فأُتي بلبن، فناولتني، فقلت: إني صائم. فقالت عائشة رضي الله عنها: وقد نهي عن هذا. وقرأت هذه الآية وقالت هذه الآية نزلت في الصوم وغيره. وقال مقاتل: نزلت الآية في ثلاثة نفر، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية، وأمر عليهم المنذر بن عمرو. فخرج بنو عامر بن صعصعة عند بئر معونة، فرصدوهم على الطريق، وقتلوهم. فرجع ثلاثة منهم، فلما دنوا إلى المدينة، خرج رجلان من بني سليم صلحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان أهداهما، وكساهما، فقالا: نحن من بني عامر، لأن بني عامر كانوا أقرب إلى المدينة، فقتلوهما، وأخذوا من ثيابهما، وجاؤوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل {عَظِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ} يعني: لا تعجلوا بقتل، ولا بأمر، حتى

تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروي عن الحسن في رواية أخرى أنه قال: لا تعملوا بخلاف الكتاب والسنة.

ثم قال: {واتقوا الله} يعني: اخشوا الله عز وجل فيما يأمركم، وينهاكم، ولا تخالفوا أمر الله ورسوله.

وقوله: {إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يعني: سميع الدعاء، عليم بخلقه. ويقال: سميع لقول المستأمنين، عليم بنيات الذين قتلوهما. وفي الآية بيان رأفة الله عز وجل على عباده، حيث سماهم مؤمنين مع معصيتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [2- 3]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)}

فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} ولم يقل: يا أيها الذين عصوا وقد ذكرنا من قبل أن النداء على ست مراتب، وهذا نداء مدح.

قوله عز وجل: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أصواتكم فَوْقَ صَوْتِ النبى} نزلت في وفد بني تميم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، وهم سبعون أو ثمانون، منهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعطارد بن الحجاب، وذلك حين قالوا: ائذن لشاعرنا، وخطيبنا في الكلام، فعلت الأصوات، واللغط، فنزلت الآية {لاَ تَرْفَعُواْ أصواتكم فَوْقَ صَوْتِ النبى} ويقال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، فكان إذا تكلم، رفع صوته.

ثم قال: {تَجْهَرُواْ لَهُ بالقول كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} يعني: لا تدعوه باسمه، كما يدعو الرجل الرجل منكم باسمه، ولكن عظموه، ووقروه، وقولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله.

ثم قال: {أَن تَحْبَطَ أعمالكم وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ} أن ذلك يحبطها. يعني: إن فعلتم ذلك، فتحبط حسناتكم. وقال بعضهم: من عمل كبيرة من الكبائر حبط جميع ما عمل من الحسنات واحتج بهذه الآية: {أَن تَحْبَطَ أعمالكم} ولكن نحن نقول: الكبيرة لا تبطل العمل ما لم يكفر، وإنما ذكر هاهنا إبطال العمل، لأن في ذلك استخفافاً بالنبي صلى الله عليه وسلم. ومن قصد الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم كفر. فلما نزلت هذه الآية، دخل ثابت بن قيس بيته، وجعل يبكي، ويقول: أنا من أهل النار. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه،

وقال: «إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ بَلْ غَيْرُكَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فقال: يا رسول الله لا أتكلم بعد ذلك إلا سراً، أو ما كان يشبه السر فنزل: {إِنَّ الذين يَغُضُّونَ أصواتهم عِندَ رَسُولِ الله} صلى الله عليه وسلم روى ثابت عن أنس قال: لما نزل {لاَ تَرْفَعُواْ أصواتكم} وكان ثابت بن قيس رفيع الصوت. فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي، وحبط عملي. أنا من أهل النارِ. وجلس في بيته يبكي، ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبروه بما قال، فقال صلى الله عليه وسلم: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». فقال أنس: لكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليمامة، فكان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس وقد تحنط، ولبس كفنه، فقال: بئس ما تعودون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل. ثم قال: {إِنَّ الذين يَغُضُّونَ أصواتهم عِندَ رَسُولِ الله} {أُوْلَئِكَ الذين امتحن الله قُلُوبَهُمْ للتقوى} يعني: أخلص الله قلوبهم. ويقال: أصفى الله عز وجل قلوبهم للتقوى من المعصية. يعني: يجعل قلوبهم موضعاً للتقوى {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} أي: ثواب وافر في الجنة. يعني: يجعل ثوابهم في الدنيا أن يخلص قلوبهم للتقوى، وفي الآخرة أجر عظيم.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 8]

{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8)}

وقوله عز وجل: {إِنَّ الذين يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الحجرات} فالحجرات جمع الحجرة. يقال: حجرة وحجرات، مثل ظلمة وظلمات. وقرئ في الشاذ: الحجَرات بنصب الجيم. وقرأه العامة بالضم. ومعناهما: واحد. نزلت الآية في شأن نفر من بني تميم، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أسامة بن زيد، فانتهى إلى قبيلة، وكانت تسمى بني العنبر، فأغار عليهم، وسبى زراريهم، فجاء جماعة منهم ليشتروا أسراهم، أو يفدوهم، فنادوه وكان وقت الظهيرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في الحجرة. فنادوه من وراء الحجرة، وكان لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم حجرات. فلما خرج النبي كلموه في أمر الزراري، فقال لواحد منهم: احكم. فقال: حكمت أن تخلي نصف

الأسارى، وتبيع النصف منا. ففعل النبي صلى الله عليه وسلم. فنزلت الآية {إِنَّ الذين يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الحجرات} {أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حتى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} لأنهم لو لم ينادوه، لكان يعتقهم كلهم. وروى معمر عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فناداه من وراء الحجرات، فقال: يا محمد إِنَّ مَدْحِي زَيْن، وإِن شَتْمِي شَيْن. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «وَيْلَكَ ذَلَّكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». فَنَزل {إِنَّ الذين يُنَادُونَكَ} الآية.

ثم قال عز وجل: {والله غَفُورٌ} لمن تاب {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة.

قوله عز وجل: {رَّحِيمٌ ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن جَاءكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ} الآية. نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ليقبض الصدقات، فخرجوا إليه ليبجلوه، ويعظموه، فخشي منهم، لأنه كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية. فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: خرجوا إِليَّ بأسلحتهم، ومنعوا مني الصدقات وأطرحوني وأرادوا قتلي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث لقتالهم، فجاؤوا إلى المدينة، وقالوا: يا رسول الله لما بلغنا قدوم رسولك، خرجنا نبجله، ونعظمه، فانصرف عنا، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعل الوليد بن عقبة، فنزل {رَّحِيمٌ ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن جَاءكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ} يعني: بحديث كذب وبخبر كذب {فَتَبَيَّنُواْ} يعني: وتعرفوا ولا تعجلوا {ءانٍ} يعني: كيلا تصيبوا {تُصِيببُواْ قَوْمَا بِجَهَالَةٍ} وأنتم لا تعلمون بأمرهم {فَتُصْبِحُواْ} يعني: فتصيروا {على مَا فَعَلْتُمْ نادمين}. قرأ حمزة، والكسائي: فَتَثَبَّتُوا بالثاء. وقرأ الباقون: {فَتَبَيَّنُواْ} مثل ما في سورة النساء.

ثم قال للمؤمنين رضي الله عنهم: {واعلموا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ الله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مّنَ الامر} يعني: ما أمرتم به، لأن الناس كانوا قد حرضوه على إرسالهم لقتال بني المصطلق، {لَعَنِتُّمْ} يعني: لأثمتم.

وروى أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ. هذه الآية: {لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مّنَ الامر لَعَنِتُّمْ} يعني: هذا نبيكم، وخياركم {لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مّنَ الامر لَعَنِتُّمْ} فكيف بكم اليوم. ويقال: {لَعَنِتُّمْ} أي: لهلكتم. وأصله من عنت البعير إذا انكسرت رجله.

ثم ذكر لهم النعم فقال: {ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الايمان} يعني: جعل حب الإيمان في قلوبكم {وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ} يعني: حسنه للثواب الذي وعدكم. ويقال: دلكم

عليه بالحجج القاطعة. ويقال: زينه في قلوبكم بتوفيقه إياكم لقبوله {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكفر والفسوق والعصيان} يعني: بغض إليكم المعاصي، والكفر لما بينه من العقوبة.

ثم قال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الرشدون} يعني: المهتدون. فذكر أول الآية على وجه المخاطبة، وآخر الآية بالمغايبة. ثم قال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الرشدون} ليعلم أن جميع من كان حاله هكذا، فقد دخل في هذا المدح. وفي الآية دليل أن من كان مؤمناً، فإنه لا يحب الفسوق والمعصية، لأن الله تعالى قال: {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكفر والفسوق والعصيان} والمؤمن إذا ابتلي بالمعصية، فإن شهوته وغفلته تحمله على ذلك، لا لحبه للمعصية. ثم قال: أي ذلك التحبيب والتبغيض {فَضْلاً مّنَ الله وَنِعْمَةً} يعني: كان الإيمان الذي حببه إليكم، والكفر الذي بغضه إليكم، كان {فَضْلاً مّنَ الله وَنِعْمَةً} يعني: رحمة {والله عَلِيمٌ} بخلقه {حَكِيمٌ} في أمره وقضائه.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)}

قوله عز وجل: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الأنصار ليكلمهم في أمر من الأمور وهو على حماره، فبال الحمار وهو راكب عليه يكلم الأنصار. فقال عبد الله بن أُبيّ المنافق: خل للناس سبيل الريح من نتن هذا الحمار، ثم قال: أف. وأمسك على أنفه فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قوله، فانصرف عبد الله بن رواحة. فقال: اتقوا هذا لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لبوله أطيب ريحاً منك. فاقتتلا فاجتمع قوم ابن رواحة وهم الأوس، وقوم عبد الله بن أبي وهم الخزرج، فكان بينهم ضرب النعال، والأيدي، والسعف، ورجع النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم. فأنزل الله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا} بالعدل فكره بعضهم الصلح، فأنزل قوله: {فَإِن بَغَتْ

إِحْدَاهُمَا على الاخرى} يعني: استطالت فلم ترجع إلى الصُّلح {فقاتلوا التى تَبْغِى} يعني: تظلم {حتى تَفِىءَ إلى أَمْرِ الله} يعني: ترجع إلى ما أمر الله عز وجل. وروى أسباط عن السدي قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد، فأبغضت زوجها، وأرادت أن تلحق بأهلها، وكان قد جعلها في غرفة له، وأمر أهله أن يحفظوها، وخرج إلى حاجة له، فأرسلت إلى أهلها، فجاء ناس من أهلها، وأرادوا أن يذهبوا بها، فاقتتلوا بالنعال، والتلاطم. فنزل قوله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا} الآية. ثم صارت الآية عامة في جميع المسلمين. إذا اقتتل فريقان من المسلمين، وجب على المؤمنين الإصلاح بين الفريقين. فإن ظهر أن أحد الفريقين ظالم، فإنه يقاتل ذلك الفريق حتى يرجع إلى حكم الله.

ثم قال: {فَإِن فَاءتْ} يعني: رجعت إلى الصلح {فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بالعدل} يعني: بالحق {وَأَقْسِطُواْ} يعني: اعدلوا بين الفريقين، ولا تميلوا {إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين} يعني: العادلين.

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا المؤمنون إِخْوَةٌ} يعني: كالأخوة في التعاون لأنهم على دين واحد. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المُؤْمِنَ للمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعْضاً» وَرُوِي عنه أنه قال: «المُؤْمِنُونَ كَعُضْوٍ وَاحِدٍ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرِ الأَعْضَاءِ إِلَى الحُمَّى وَالسَّهَرِ».

ثم قال: {فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} يعني: الفريقين من المؤمنين مثل الأوس والخزرج. {فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} قرأ ابن سيرين: إِخْوَانِكُم بالنون. وقرأ يعقوب الحضرمي: بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ بالتاء. يعني: جمع الأخ. وقراءة العامة {أَخَوَيْكُمْ} بالياء على تثنية الأخ. يعني: بين كل أخوين.

ثم قال: {واتقوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يعني: اخشوا الله عز وجل، ولا تعصوه، لكي ترحموا، فلا تعذبوا.

قوله عز وجل: {تُرْحَمُونَ ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مّن قَوْمٍ} يعني: لا يستهزئ الرجل من أخيه. وقال بعضهم: الآية نزلت في ثابت بن قيس، حيث عيّر الذي لم يوسع له في المكان، وقال بعضهم: الآية نزلت في الذين ينادونه من وراء الحجرات. استهزؤوا من ضعفاء المسلمين، {عسى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مّنْهُمْ} يعني: أفضل منهم، وأكرم على الله تعالى {وَلاَ نِسَاء مّن نّسَاء} يعني: لا تستهزئ امرأة من امرأة، وذلك أن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أم سلمة جميلة لولا أنها قصيرة {عسى أَن يَكُنَّ خَيْراً مّنْهُنَّ} يعني: أفضل. ثم صارت

الآية عامة في الرجال والنساء، فلا يجوز أحد أن يسخر من صاحبه، أو من أحد من خلق الله تعالى. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أكون مثله.

ثم قال: {وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: لا يطعن بعضكم بعضاً. وقال القتبي: ولا تغتابوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم كما قال: {لولا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هاذآ إِفْكٌ مُّبِينٌ} [النور: 12]. يعني: بأمثالهم.

ثم قال: {وَلاَ تَنَابَزُواْ بالالقاب} يعني: لا تسموا باللقب. وقال محمد بن كعب القرظي: هو الرجل يكون على دين من الأديان، فيسلم، فيدعونه بدينه الأول: يا يهودي، ويا نصراني. ويقال: لا تعيروا المسلم بالملة التي كان عليها، ولا تسموه بغير دين الإسلام. وقال أهل اللغة: الألقاب والأنباز واحد. ومنه قيل في الحديث: «قومٌ نَبْزُهُمُ الرَّافِضَةُ» أي: لقبهم {وَلاَ تَنَابَزُواْ بالالقاب} أي: لا تداعوا بها. ويقال: هو اللقب الذي يكرهه الرجل. يعني: أنه ينبغي للمؤمن أن يخاطب أخاه بأحب الأسماء إليه. وقرأ بعضهم {وَلاَ تَلْمِزُواْ} بضم الميم. وقراءة العامة: بالكسر، وهما لغتان. يقال: لمز فلان فلاناً، يلمز ويلمزه إذا عابه. وذكر في التفسير أن الآية نزلت في مالك بن أبي مالك، وعبد الله بن أبي حدرد، وذلك أن أبا مالك كان على المقاسم. فقال لعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي: يا أعرابي. فقال له عبد الله: يا يهودي. فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخلا عليه، حتى تظهر توبتهما، فنزل {بِئْسَ الاسم الفسوق بَعْدَ الايمان} يعني: بئس التسمية لإخوانكم بالكفر وهم مؤمنون {وَمَن لَّمْ يَتُبْ} من قوله {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} فأوثقا أنفسهما حتى قبلت توبتهما.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 14]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)}

قوله عز وجل: {الظالمون ياأيها الذين ءامَنُواْ اجتنبوا كَثِيراً مّنَ الظن} يعني: لا تحققوا الظن {إِنَّ بَعْضَ الظن إِثْمٌ} يعني: معصية أي: إنَّ ظن السوء بالمسلم

معصية. وقال سفيان الثوري: الظن ظنان. ظن فيه إثم، وظن لا إثم فيه. فالظن الذي فيه إثم، أن يظن ويتكلم به. وأما الظن الذي لا إثم فيه، فهو أن يظن، ولا يتكلم به، لأنه قال: {إِنَّ بَعْضَ الظن إِثْمٌ} ولم يقل: جميع الظن إثم.

ثم قال: {وَلاَ تَجَسَّسُواْ} يعني: لا تطلبوا، ولا تبحثوا عن عيب أخيكم {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً} روى أسباط عن السدي قال: كان سلمان الفارسي في سفر مع ناس فيهم عمر، فنزلوا منزلاً، فضربوا خيامهم، وصنعوا طعامهم، ونام سلمان، فقال بعض القوم لبعض: ما يريد هذا العبد إلا أن يجد خياماً مضروبة، وطعاماً مصنوعاً، فلما استيقظ سلمان، قالوا له: انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتمس لنا إداماً نأتدم به. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام: «أَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ قَدِ ائْتَدَمُوا». فأخبرهم. فقالوا: ما طعمنا بعد، وما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتوه، فقال: «ائْتَدَمْتُمْ مِنْ صَاحِبِكُمْ، حِينَ قُلْتُمْ مَا قُلْتُمْ وَهُوَ نَائِمٌ» ثم قرأ: {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً} {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ} يعني: فكما تكرهون أكل لحمه ميتاً، فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء وهو غائب. ويقال: كان سلمان في سفر مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان يطبخ لهما، فنزلوا منزلاً، فلم يجد ما يصلح لهم أمر الطعام، فبعثاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لينظر عنده شيئاً من الطعام، فقال أسامة: لم يبق عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الطعام، فرجع إليهما، فقالا: إنه لو ذهب إلى بئر كذا، ليبس ماؤها، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في شأن زيد بن ثابت، وذلك أن نفراً ذكروا فيه شيئاً، فنزل: {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً} قرأ نافع: مَيِّتاً بتشديد الياء، والخفض. والباقون بالجزم. وقال أهل اللغة: الميت. والميت واحد مثل ضيق وضيّق، وهين وهيّن، ولين وليّن.

ثم قال: {واتقوا الله} في الغيبة، وتوبوا إليه {إِنَّ الله تَوَّابٌ} يعني: قابل التوبة {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة.

قوله تعالى: {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} قال مقاتل: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، أمر بلالاً ليؤذن. فقال الحارث بن هشام. أما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير هذا الغراب. يعني: بلال. فنزل {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} {إِنَّا خلقناكم مّن ذَكَرٍ وأنثى} يعني: آدم وحواء {وجعلناكم شُعُوباً وَقَبَائِلَ} يعني: رؤوس القبائل، مثل مضر، وربيعة {وَقَبَائِلَ} يعني: الأفخاذ مثل بني سعد، وبني عامر.

{لتعارفوا} في النسب {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكم} يعني: وإن كان عبداً حبشياً أسود مثل بلال. وقال في رواية الكلبي: نزلت في ثابت بن قيس، كان في أذنيه ثقل، وكان يدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع كلامه فأبطأ يوماً واحداً وقد أخذ الناس مجالسهم فجاء فتخطى رقابهم حتى جلس قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم. فقال رجل من القوم: هذا يتخطى رقابنا، فلم لا يجلس حيث وجد المكان؟ فقال ثابت: من هذا؟ فقالوا: فلان. فقال ثابت: يا ابن فلانة، وكان يعيّر بأمه، فخجل. فنزلت هذه الآية. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَيَّرَ فُلاناً بِأُمِّهِ» فقال ثابت بن قيس: أنا قد ذكرت شيئاً. فقرأ هذه الآية عليه، فاستغفر ثابت. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: القبائل، والأفخاذ: الصغار، والشعوب: الجمهور مثل مضر. وقال الضحاك: الشعوب: الأفخاذ الصغار، والقبائل مثل بني تميم، وبني أسد. وقال القتبي: الشعوب أكثر من القبيلة. وقال الزجاج: الشعب أعظم من القبيلة، ومعناه: إني لم أخلقكم شعوباً وقبائل لتتفاخروا، وإنما خلقناكم كذلك لتعارفوا. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: إنَّكُمْ جَعَلْتُمْ لأنْفُسِكُمْ نَسَباً، وَجَعَلْتُ لِنَفْسِي نَسَباً، فَرفَعْتُم نَسَبَكُم، وَوَضَعْتُمْ نَسَبي، فَالْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُم. يعني: قلت: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكم} وقلتم: أنتم فلان وفلان».

ثم قال: {إِنَّ الله عَلِيمٌ} بأتقيائكم {خَبِيرٌ} بافتخاركم {قَالَتِ الاعراب ءامَنَّا} قال ابن عباس: نزلت في بني أسد، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قحط أصابهم، فجاؤوا بأهاليهم، وذراريهم، يطلبون الصدقة، وأظهروا الإسلام، وقالوا: يا رسول الله نحن أسلمنا طوعاً، وقدمنا بأهالينا، فأعطنا من الغنيمة أكثر مما تعطي غيرنا. ويقال: كانت قبيلتان جهينة، ومزينة، قدموا بأهاليهم. فنزلت الآية {قَالَتِ الاعراب ءامَنَّا} يعني: صدقنا {قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ} يعني: لم تصدقوا في السر، كما صدقتم في العلانية {ولكن قُولُواْ أَسْلَمْنَا} يعني: دخلنا في الانقياد، والخضوع. ويقال: استسلمنا مخافة القتل والسبي {وَلَمَّا يَدْخُلِ الايمان فِى قُلُوبِكُمْ} يعني: التصديق. ويقال: لم يدخل حب الإيمان في قلوبكم {وَإِن تُطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ} في السر، كما تطيعونه في العلانية {لاَ يَلِتْكُمْ مّنْ أعمالكم شَيْئاً} يعني: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً. قرأ أبو عمرو: {لا} بالألف والهمز. والباقون: {وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ} بغير ألف

ولا همز. ومعناهما واحد يقال: لاته يلته وألته يألته إذا نقص حقه {إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لو صدقوا بقلوبهم، ثم بيّن الله عز وجل لهم من المصدق.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 18]

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (16) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)}

فقال عز وجل: {إِنَّمَا المؤمنون} يعني: المصدقون في إيمانهم {الذين ءامَنُواْ بالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ} يعني: لم يشكوا في إيمانهم {وجاهدوا} الأعداء {بأموالهم وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ الله} أي: في طاعة الله {أُوْلَئِكَ هُمُ الصادقون} في إيمانهم. فلما نزلت هذه الآية، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلفوا بالله أنهم لمصدقوه في السر، فنزل: {قُلْ أَتُعَلّمُونَ الله بِدِينِكُمْ} الذي أنتم عليه {والله يَعْلَمُ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} يعني: سر أهل السموات، وسر أهل الأرض {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} أي: يعلم ما في قلوبكم من التصديق وغيره.

قوله عز وجل: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ} يعني: بقولهم جئناك بأهالينا، وأولادنا {قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إسلامكم بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ للايمان} يعني: وفقكم للإيمان {إِن كُنتُمْ} بأنكم مخلصون في السر، والعلانية.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السموات والارض} يعني: سر أهل السموات، وسر أهل الأرض. {والله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} قرأ ابن كثير، وعاصم، في رواية إبان {يَعْمَلُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة. أي: بصير بما يعملون من التصديق وغيره، والخير، والشر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة ق

▲ تفسير الآية رقم [1]

{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)}

قوله تبارك وتعالى: {ق} قال قتادة: هو اسم من أسماء الله تعالى، كقوله: قادر، وقاهر. ويقال: هو اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: هو افتتاح السورة. وقال بعضهم: {ق} يعني: قضي الأمر كما قال في {حم} حم الأمر، والدليل عليه قول الشاعر

فقلت لها قفي قالت قاف *** يعني: وقفت فذكر القاف، وأراد به تمام الكلام.

وقال ابن عباس: هو جبل من زمردة خضراء، محيط بالعالم، فخضرة السماء منها، وهي من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من وراءه، والحجاب دون {ق} بمسيرة سنة، وما بينهما ظلمة، وأطراف السماء ملتصقة بها. ويقال: خضرة السماء من ذلك الجبل. ويقال: {ق} يعني: إن الله عز وجل قائم بالقسط.

ثم قال: {ق والقرءان} يعني: الشريف. وقال الضحاك: هو جبل محدق بالدنيا، من زبرجدة خضراء، وخضرة السماء منها، ليس في الأرض بلدة من البلدان، ولا مدينة من المدائن، ولا قرية من القرى، إلا وفيها عرق من عروقها، وملك موكل عليها، واضع كفه بها. فإذا أراد الله عز وجل بقوم هلاكهم، أوحى الله عز وجل إلى ذلك الملك، فحرك منها عرقاً، فخسف بهم، فأقسم الله عز وجل بقاف {ق والقرءان} يعني: الشريف، إنكم لمبعوثون يوم القيامة، لأن أهل مكة أنكروا البعث، فصار جواب القسم مضمراً فيه، وهو ما ذكرناه إنكم مبعوثون. ويجوز أن يكون جواب القسم {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الارض مِنْهُمْ وَعِندَنَا كتاب حَفِيظٌ} [ق: 4] فيكون معناه: {ق والقرءان المجيد} لقد علمنا ما تنقص الأرض، فحذف اللام، لأن ما قبلها عوض عنها كما قال {قَدْ أَفْلَحَ مَن زكاها} [الشمس: 9] يعني: لقد أفلح. وقال القتبي: هذا من الاختصار، فكأنه قال: {ق والقرءان المجيد} لتبعثن.

▲ تفسير الآيات رقم [2- 11]

{بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (4) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (5) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (11)}

قوله عز وجل: {بَلْ عَجِبُواْ أَن جَاءهُمْ مُّنذِرٌ مّنْهُمْ} يعني: من أهل مكة {فَقَالَ الكافرون هذا شَىْءٌ عَجِيبٌ} يعني: أمر عجيب أن يكون محمد رسولاً، وهو من نسبهم.

قوله تعالى: {أَءذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً} بعد الموت، نجدد بعدما متنا، نصير خلقاً جديداً، {ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ} يعني: رد طويل لا يكون أبداً. ويقال: رجع يرجع رجعاً إذا رجعه غيره، ورجع يرجع رجوعاً إذا رجع بنفسه، كقوله: صد يصد صدوداً، وصد يصد صداً، {ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ} أي: ذلك صرف بعيد.

قوله تعالى: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الارض مِنْهُمْ} يعني: ما تأكل الأرض من لحومهم، وعروقهم، وما بقي منهم، ويقال: تأكل الأرض جميع البدن إلا العصعص، وهو عجب الذنب، وذلك العظم آخر ما يبقى من البدن. فأول ما يعود، ذلك العظم ويركب عليه سائر البدن {وَعِندَنَا كتاب حَفِيظٌ} يعني: اللوح المحفوظ.

قوله عز وجل: {بَلْ كَذَّبُواْ بالحق} يعني: كذبوا بالقرآن، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، والبعث. {لَمَّا جَاءهُمْ} أي: حين جاءهم {فَهُمْ} يعني: قريش {فِى أَمْرٍ مَّرِيجٍ} يعني: في قول مختلف، ملتبس. المريج أن يقلق الشيء فلا يستقر. ويقال: مرج الخاتم في يدي مرجاً إذا قلق للهزال. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قال: {فَهُمْ فِى أَمْرٍ مَّرِيجٍ} أي: من ترك الحق. يقال: من ترك الحق أمرج عليه رأيه، والتبس عليه دينه.

ثم دلهم على قدرته على بعثهم بعد الموت بعظيم خلقه، الذي يدل على وحدانيته فقال: {أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السماء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بنيناها} بغير عمد {وزيناها} بالكواكب {وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} يعني: شقوق، وصدوع، وخلل.
قوله تعالى: {والارض مددناها} يعني: بسطناها مسير خمسمائة عام من تحت الكعبة، {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رواسي} يعني: الجبال الثوابت.
قوله: {وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} يعني: حسن طيب من الثمار، والنبات.
قوله تعالى: {تَبْصِرَةً} يعني: في هذا الذي ذكره من خلقه، {تَبْصِرَةً} لتبصروا به. ويقال: عبرة. {وذكرى} يعني: تفكراً، وعظة. {لّكُلّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} يعني: مخلص بالتوحيد. ويقال: راجع إلى ربه.
قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السماء مَاء مباركا} يعني: المطر فيه البركة حياة لكل شيء، {فَأَنبَتْنَا بِهِ جنات} يعني: البساتين {وَحَبَّ الحصيد} يعني: حين ما يخرج من سنبله. ويقال: ما يحصد، وما لا يحصد، كل ما كان له حب. ويقال: هي الحبوب التي تحصد.
قوله عز وجل: {والنخل باسقات} يعني: أطوال {لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ} يعني: الكفري نضيد. يعني: مجتمع. يقال: نضد بعضه على بعض.
ويقال: ثمر منضود إذا كان متراكباً بعضه على بعض. ويقال: إنما يسمى نضيداً ما كان في الغلاف {رّزْقاً لّلْعِبَادِ} يعني: جعلناه طعاماً للخلق. يعني: الحبوب، والثمر. {وَأَحْيَيْنَا بِهِ} يعني: بالماء {بَلْدَةً مَّيْتاً} إذا لم يكن فيها نبات، فهذا كله صفات بركة المطر.
ثم قال: {كذلك الخروج} يعني: هكذا الخروج من القبر. كما أحييت الأرض الميتة بالنبات، فكذلك لما ماتوا، وبقيت الأرض خالية، أمطرت السماء أربعين ليلة كمني الرجل، فدخل في الأرض، فتنبت لحومهم، وعروقهم، وعظامهم من ذلك، ثم يحييهم. فذلك قوله: {كذلك الخروج}. ثم عزى النبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على إيذاء الكفار. يعني: لا تحزن بتكذيب الكفار إياك، لأنك لست بأول نبي، وكل أمة كذبت رسلها، مثل نوح، وهود عليهم السلام وغيرهم فقال عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [12- 22]

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ(13) وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا

تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)}

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْم نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ} والرسّ: بئر دون اليمامة، وإن عليها قوماً كذبوا رسلهم، فأهلكهم الله تعالى {وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وإخوان لُوطٍ} يعني: قومه {وَثَمُودُ وَقَوْمُ} يعني: قوم شعيب {وَقَوْمُ تُّبَّعٍ} يعني: قوم حمير. ويقال: تبع كان اسم ملك. وروى وكيع عن عمران بن جرير، عن أبي مجلز قال: جاء عبد الله بن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن تبع، فقال: كان تبع رجلاً من العرب، ظهر على الناس، وسبا على فتية من الأحبار. فكان يحدثهم، ويحدثونه. فقال قومه: إن تبعاً ترك دينكم، وتابع الفتية. فقال: تبع للفتية: ألا ترون إلى ما قال هؤلاء. فقالوا: بيننا وبينهم النار التي تحرق الكاذب، وينجو منها الصادق. قال: نعم. فقال تبع للفتية: ادخلوه، فتقلدوا مصاحفهم. ثم دخلوها، فانفرجت لهم حتى قطعوها. ثم قال لقومه: ادخلوها. فلما دخلوا، وجدوا حر النار كفوا. فقال لهم: لتدخلنها، فدخلوها. فلما توسطوا، أحاطت بهم النار، فأحرقتهم، وأسلم تبع وكان رجلاً صالحاً. ويقال: كان اسمه سعد بن ملكي كرب، وكنيته: أبو كرب.

{كُلٌّ كَذَّبَ الرسل} يعني: جميع هؤلاء كذبوا رسلهم {فَحَقَّ وَعِيدِ} يعني: وجب عليهم عذابي. معناه: فاحذروا يا أهل مكة مثل عذاب الأمم الخالية، فلا تكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال عز وجل: {أَفَعَيِينَا بالخلق الاول} قال مقاتل: يعني: أعجزنا عن الخلق الأول حين خلقناهم، ولم يكونوا شيئاً. فكذلك نخلقهم، ونبعثهم. أي: ما عيينا عن ذلك، فكيف نعيي عن بعثهم. ويقال: معناه أعيينا خلقهم الأول، ولم يكونوا شيئاً، لأن الذي قد كان، فإعادته أيسر في رأي العين من الابتداء. يقال: عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه. وقال الزجاج: هذا تقرير تقرر، لأنهم اعترفوا في الابتداء، أن الله عز وجل خلقهم، ولم يكونوا شيئاً.

ثم قال: {بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} يعني: في شك من البعث بعد الموت. ويقال: بل أقاموا على شكهم.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان} يعني: جنس الإنسان، وأراد به جميع الخلق {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} يعني: ما يحدث به قلبه، ويتفكر في قلبه {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوريد} يعني: في القدرة عليه، وحبل الوريد عرق يخالط القلب. ويقال: هو العرق الذي داخل العنق الذي هو عرق الروح، فأعلمه الله تعالى أنه أقرب إليه من ذلك العرق. ويقال: الوريدان عرقان بين الحلقوم، والعلباوين. والحبل هو الوريد. وأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظي اسميه.

قوله عز وجل: {إِذْ يَتَلَقَّى المتلقيان} يعني: يكتب الملكان عمله، ومنطقه. يعني: يتلقيان منه ويكتبان.

وقال أهل اللغة تلقى، وتلقف، بمعنى واحد. {عَنِ اليمين وَعَنِ الشمال قَعِيدٌ} يعني: عن يمين ابن آدم، وعن شماله قاعدان. أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وصاحب اليمين موكل على صاحب الشمال، اثنان بالليل، واثنان بالنهار، وكان في الأصل قعيدان، ولكن اكتفى بذكر أحدهما فقال: قعيد.

ثم قال عز وجل: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ} يعني: ما يتكلم ابن آدم بقول {إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} يعني: عنده حافظ حاضر. وقال الزجاج: {عَتِيدٌ} أي: ثابت، لازم.

قوله تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ} يعني: جاءت غمرته بالحق أنه كائن. ويقال: جاءت نزعات الموت بالحق. يعني: بالسعادة، والشقاوة. يعني: يتبين له عند الموت. ويقال: فيه تقديم، ومعناه: جاءت سكرة الحق بالموت. روي عن أبي بكر الصديق، أنه كان يقرأ {وَجَاءتْ سَكْرَةُ * الحق} {بِالْحَقّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} يعني: يقال له: هذا الذي كنت تخاف منه، وتكره. ويقال: ذلك اليوم الذي كنت تفر منه.

{وَنُفِخَ فِى الصور} يعني: النفخة الأخيرة وهي نفخة البعث {ذَلِكَ يَوْمَ الوعيد} يعني: العذاب في الآخرة {وَجَاءتْ} أي: جاءت يوم القيامة {كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} سائق يسوقها إلى المحشر، ويسوقها إلى الجنة، أو إلى النار. {وَشَهِيدٌ} يعني: الملك يشهد عليها. وقال القتبي: السائق هاهنا، قرينها من الشياطين، يسوقها. سمي سائقاً، لأنه يتبعها، والشهيد: الملك. ويقال: الشاهد أعضاؤه. ويقال: الليل، والنهار، والبقعة، تشهد عليه.

ويقال له: {لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مّنْ هذا} يعني: من هذا اليوم، فلم تؤمن به، وقد ظهر عندك بالمعاينة {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ} يعني: غطاء الآخرة. ويقال:

أريناك ما كان مستوراً عنك في الدنيا. ويقال: أريناك الغطاء الذي على أبصارهم، كما قال: {غَفْلَةٍ مِّنْ هذا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ} أي: نافذ. ويقال: شاخص بصره لا يطرف، يديم النظر حين يعاين في الآخرة، ما كان مكذباً به. ويقال: {حَدِيدٍ} أي: حاد كما يقال: {حَفِيظٌ} يعني: حافظ، وقعيد بمعنى قاعد. وقال الزجاج: هذا مثل. ومعناه: إنك كنت بمنزلة من عليه غطاء {فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ} يعني: علمك بما أنت فيه نافذ.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 30]

{وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (30)}

قوله عز وجل: {وَقَالَ قَرِينُهُ} يعني: ملكه الذي كان يكتب عمله {هذا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ} يعني: هذا الذي وكلتني به قد أتيتك به، وهو حاضر يقول الله عز وجل {أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ} يعني: يقول للملكين ألقيا في جهنم {كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} وقال بعضهم هذا أمر للملك الواحد بلفظ الاثنين، وقال الفراء: يرى أصل هذا أن الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة نفر، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى أن الشعراء أكثر شيء: قيلاً يا صاحبي، ويا خليلي، قال الشاعر: فقلت لصاحبي لا تحبساني، وأدنى ما يكون الأمر والنهي في الإعراب اثنان، فجرى كلامهم على ذلك ومثل هذا قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ويقال: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ، على معنى تكرير الأمر، يعني: ألق ألق، وهو على معنى التأكيد، وكذلك في قوله: قفا، معناه قف قف.

وقال الزجاج: عندي أن قوله أَلْقِيَا أمر للملكين، وقال بعضهم: الأمر للواحد بلفظ الاثنين واقع في إطلاق العرب، وكان الحجاج يقول: يا حرسي اضربا عنقه {كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}، يعني: كل جاحد بتوحيد الله تعالى معرض عن الإيمان، وقال مقاتل: يعني الوليد بن المغيرة. ويقال هذا في جميع الكفار الذين ذكر صفتهم في هذه الآية، وهي قوله: {مَّنَّاعٍ لّلْخَيْرِ} يعني بخيلاً لا يخرج حق الله من ماله، ويقال: «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ» يعني يمتنع عن الإسلام {مُّعْتَدٍ مُّرِيبٍ} المعتدي هو الظلوم الغشوم، والمريب الشاك في توحيد الله تعالى قوله

تعالى: {الذى جَعَلَ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} يعني: أشرك بالله عز وجل {فألقياه فِى العذاب الشديد} يعني: في النار {قَالَ قرِينُهُ} يعني: شيطانه {رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} يعني: لم يكن لي قوة أن أضله {ولكن كَانَ فِى ضلال بَعِيدٍ} يعني: في خطأ طويل بعيد عن الحق، يقول الله تعالى لابن آدم وشيطانه {قَالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} أي لا تختصموا عندي {وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بالوعيد} يعني: أخذت عليكم الحجة، وأخبرتكم بالكتاب والرسول {مَا يُبَدَّلُ القول لَدَىَّ} يعني: لا يغير قضائي وحكمي الذي حكمت، ويقال: لا يكذب وعيدي {وَمَا أَنَاْ بظلام لّلْعَبِيدِ} يعني: لا أعذب أحداً بغير ذنب، ويقال: مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، يعني: لا يغير عن جهته، ولا يحذف منه، ولا يزاد فيه، لأني أعلم كيف ضلوا، وكيف أضللتموهم، وروى سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُه مِنَ الجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ المَلائِكَةِ " قالوا: وإياك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم»؟ قال:

»وَإِيَّايْ وَلَكِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأمُرُنِي إلاَّ بِخَيرٍ» وعن الربيع، عن أنس، قال: سألت أبا العالية عن قوله عز وجل: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: 31] وهاهنا يقول: {لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} فقال: لا تختصموا لدي في أهل النار، والأخرى في المؤمنين في المظالم، فيما بينهم، وقال مجاهد: {مَا يُبَدَّلُ القول لَدَىَّ وَمَآ أَنَاْ بظلام لّلْعَبِيدِ} [ق: 29] يعني: لقد قضيت ما أنا قاض قوله عز وجل: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ} قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر {يقُولُ} باليَاء يعني: يقول الله تعالى، قرأ الباقون بالنون، ومعناه كذلك يوم صار نصباً على معنى مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ في ذلك اليوم، ويقال على معنى أنذرهم يوم، كقوله: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسرة إِذْ قُضِىَ الامر وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [مريم: 39] ثم قال {هَلِ امتلات} يعني: هل أوفيتك ما وعدتك، وهو قوله لأملأن جَهَنَّمَ {فَتَقُولُ} النار {هَلْ مِن مَّزِيدٍ} يعني: هل من زيادة وقال عطية: هل من موضع، ويقال معناه هل امتلأت، أي قد امتلأت، فليس من مزيد، ويقال: أنا طلبت الزيادة تغيظاً لمن فيها، وروى وكيع بإسناده عن أبي هريرة قال: «لا تَزَالُ جَهَنَّمَ تَسَأَل الزِّيَادَة حتى يضع الله فيها قدمه فَتَقُولُ جَهَنَّمَ يَا رَبَّ قط قط» أي حسبي حسبي، وقال في رواية الكلبي نحو هذا، ويقال تضيق بأهلها حتى لا يكون فيها مدخل لرجل واحد. قال أبو الليث: قد تكلم الناس في مثل هذا الخبر قال بعضهم: نؤمن به

ولا نفسره، وقال بعضهم: نفسره على ما جاء بظاهر لفظه، وتأوله بعضهم وقال: معنى الخبر بكسر القاف يضع قدمه وهم أقوام سالفة فتمتلئ بذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [31- 36]

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (36)}

قوله عز وجل: {وَأُزْلِفَتِ الجنة} يعني: قربت وأدنيت الجنة {لّلْمُتَّقِينَ} الذين يتقون الشرك والكبائر، ويقال زينت الجنة.

ثم قال عز وجل: {غَيْرَ بَعِيدٍ} يعني: ينظرون إليها قبل دخولها، ويقال غَيْرَ بَعِيدٍ، يعني: دخولهم غير بعيد، فيقال لهم {هذا مَا تُوعَدُونَ} في الدنيا {لِكُلّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ} أي مقبل إلى طاعة الله، حفيظ لأمر الله تعالى في الخلوات وغيرها، ويقال: الأواب الحفيظ الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها، وروى مجاهد عن عبيد بن عمير مثل هذا قوله عز وجل: {مَّنْ خَشِيَ الرحمن بالغيب} يعني: يخاف الله عز وجل، فيعمل بما أمره الله، وانتهى عما نهاه، وهو في غيب منه {وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} يعني: مقبلاً إلى طاعة الله مخلصاً ويقال لهم: {ادخلوها بِسَلامٍ} ذكر في أول الآية بلفظ الواحدان، وهو قوله وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ، ثم ذكر بلفظ الجماعة وهو قوله: {ادخلوها} لأن لفظه من اسم جنس، يقع على الواحد، وعلى الجماعة، مرة تكون عبارة عن الجماعة، ومرة تكون عن الواحدان {ادخلوها بِسَلامٍ} يعني: بسلامة من العذاب والموت والأمراض والآفات {ذَلِكَ يَوْمُ الخلود} أي لا خروج منه قوله عز وجل: {لَهُمْ مَّا يَشَآءونَ فِيهَا} يعني: يتمنون فيها {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} يعني: زيادة على ما يتمنون من التحف والكرامات، ويقال هو الرؤية وكقوله: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الحسنى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أولئك أصحاب الجنة هُمْ فِيهَا خالدون} [يونس: 26] ثم قال عز وجل: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ} يعني: قبل أهل مكة {هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً} يعني: أشد من أهل مكة {فَنَقَّبُواْ فِى البلاد} يعني: طافوا وتقلبوا في أسفارهم وتجاراتهم، ويقال: تغربوا في البلاد {هَلْ مِن مَّحِيصٍ} يعني: هل من فرار، وهل من ملجأ من عذاب الله.

▲ تفسير الآيات رقم [37- 45]

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (45)}

قوله عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لذكرى} يعني: فيما صنع لقومك {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} يعني: عقل لأنه يعقل بالقلب فكني عنه {أَوْ أَلْقَى السمع} يعني: استمع إلى القرآن {وَهُوَ شَهِيدٌ} يعني: قلبه حاضر غير غائب عنه، وقال القتبي: وهو شهيد، يعني: استمع كتاب الله، وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل، ولا ساه، وروى معمر عن قتادة قال: لمن كان له قلب من هذه الأمة، أو ألقى السمع. قال رجل من أهل الكتاب: استمع إلى القرآن، وهو شهيد على ما في يديه من كتاب الله تعالى، وروي عن عمر أنه قرأ: {فَنَقَبُواْ} بالتخفيف، يعني: فتبينوا ونظروا وذكروا، ومنه قيل للعريف نقيب القوم، لأنه يتعرف أمرهم، ويبحث عنهم.

وقرأ يحيى بن يعمر {فَنَقَّبُواْ} بضم النون، وكسر القاف، يعني: تبينوا، وقرأ الباقون بالتشديد يعني: طوفوا، وقوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقَّبُواْ فِى البلاد هَلْ مِن مَّحِيصٍ} [ق: 36] يعني: هل من ملجأ من الموت، قوله عز وجل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السموات والارض} وذلك أن اليهود قالوا: لما خلق الله السموات والأرض وفرغ منهما، استراح في يوم السبت فنزل قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} يعني: ما أصابنا من إعياء، وإنما يستريح من يعيى.

قوله عز وجل: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ} من المنكر، وهو قولهم: استراح، ويقال: فاصبر على ما يقولون من التكذيب، وقال في رواية الكلبي: نزلت في المستهزئين من قريش، وفي أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم {وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ الغروب} يعني: صل لربك صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر {وَمِنَ اليل} يعني: المغرب والعشاء {فَسَبّحْهُ} يعني: صل له وهو المغرب والعشاء {وأدبار السجود}

يعني: ركعتي المغرب، قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة {وأدبار} بكسر الألف، والباقون بالنصب، فهو جمع الدبر، ومن قرأ بالكسر فعلى مصدر أدبر يدبر إدباراً، قال أبو عبيدة: هكذا نقرأ يعني: بالنصب، لأنه جمع الدبر، وإنما الإدبار، هو المصدر كقولك: أدبر، يدبر، إدباراً، ولا إدبار للسجود، وإنما ذلك للنجوم.

قوله عز وجل: {واستمع يَوْمَ يُنَادِ المناد} قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن كثير: الْمُنَادِي بالياء في الوصل، وهو الأصل في اللغة، والباقون بغير ياء، لأن الكسر يدل عليه فاكتفى به، ومعنى الآية اعمل واجتهد، واستعد ليوم القيامة، يعني: استمع صوت إسرافيل {مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} يعني: من صخرة بيت المقدس {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصيحة بالحق} يعني: نفخة إسرافيل بالحق أنها كائنة، وقال مقاتل: في قوله: {مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} قال صخرة: بيت المقدس، وهي أقرب الأرض من السماء، بثمانية عشر ميلاً، وقال الكلبي: باثني عشر ميلاً {ذَلِكَ يَوْمُ الخروج} من قبورهم إلى المحاسبة، ثم إلى إحدى الدارين، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، وقال أبو عبيدة: يوم الخروج اسم من أسماء يوم القيامة، واستشهد بقول العجاج أليس يوم سميت خروجاً أعظم يوماً سميت عروجاً، قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ} يعني: نحيي في الآخرة، ونميت في الدنيا الأحياء، ويقال: إنا نحن نحيي الموتى ونميت الأحياء {وَإِلَيْنَا المصير} يعني: المرجع في الآخرة، يعني: مصير الخلائق كلهم.

قوله عز وجل: {يَوْمَ تَشَقَّقُ الارض عَنْهُمْ سِرَاعاً} يعني: تصدع الأرض عنهم، قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر {تَشَقَّقُ} بتشديد الشين، والباقون بالتخفيف، لأنه لما حذف إحدى التاءين ترك الشين على حالها، ثم قال: {سِرَاعاً} يعني: خروجهم من القبور سراعاً {ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} يعني: جمع الخلائق علينا هين {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} في البعث من التكذيب {وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} يعني: بمسلط، يعني: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام، وإنما بعثت بشيراً ونذيراً، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

ثم قال: {فَذَكِّرْ بالقرءان} يعني: فعظ بالقرآن بما وعد الله فيه {مَن يَخَافُ وَعِيدِ} يعني: من يخاف عقوبتي وعذابي والله أعلم.

سورة الذاريات

▲ تفسير الآيات رقم [1- 9]

{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9)}

قوله تعالى: {والذريات ذَرْواً} أقسم الله عز وجل، بالرياح إذا أذرت ذرواً، وروى يعلى بن عطاء، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الرياح ثمانية: أربعة منها رحمة، وأربعة منها عذاب، فالرحمة منها: الناشرات، والمبشرات، والذاريات، والمرسلات، وأما العذاب: العاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وعن أبي الطفيل قال: شهدت عليّاً رضي الله عنه وهو يخطب ويقول: سلوني عن كتاب الله عز وجل، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بالليل، أم بالنهار فسأله ابن الكواء فقال له: ما {والذريات ذَرْواً} قال: الرياح. قال {فالحاملات وِقْراً}؟ قال: السحاب قال: فما {فالجاريات يُسْراً} قال: السفن جرت بالتسيير على الماء. {فالمقسمات أَمْراً}؟ قال: الملائكة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: والذاريات الرياح، قال: ما ذرت الريح، فالحاملات وقراً يعني: السحاب الثقال، الموقرة من الماء، فالجاريات يسراً، يعني: السفن جرت بالتسيير على الماء، فالمقسمات أمراً، يعني: أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، لكل واحد منهم أمر مقسوم، وهم المدبرات أمراً، أقسم الله تعالى بهذه الآية: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ} يعني: الذي توعدون من قيام الساعة {لصادق} يعني: لكائن ويقال: في الآية مضمر، فأقسم الله تعالى برب الذاريات، يعني: ورب الرياح الذاريات، ورب السحاب الحاملات، ورب السفن الجاريات، ورب الملائكة المقسمات، إنما توعدون لصادق. {وَإِنَّ الدين لَوَاقِعٌ} يعني: المجازات على أعمالهم لواقع، ثم بين في آخر الآية ما لكل فريق من الجزاء، فبين جزاء أهل النار أنهم يفتنون، وبين جزاء المتقين أنهم في جنات وعيون.

ثم قال عز وجل: {والسماء ذَاتِ الحبك} أقسم بالسماء ذات الحسن والجمال، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعني: ذات الخلق الحسن. وقال مجاهد: المتقن من البنيان، يعني: البناء المحكم. ويقال: الحبك يعني: ذات الطرائق ويقال للماء القائم إذا ضربته الريح، فصارت فيه الطرائق له حبك، وكذلك الرمل إذا هبت عليه الريح، فرأيت فيه كالطرائق فبذلك حبك.

قوله تعالى: {إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} يعني: متناقض مرة قالوا ساحراً، ومرة قالوا مجنون، والساحر عندهم من كان عالماً غاية في العلم، والمجنون من كان جاحداً غاية في الجهل، فتحيروا، فقالوا: مرة مجنون، ومرة ساحر، ويقال: إنكم لفي قول مختلف، يعني: مصدقاً ومكذباً، يعني: يؤمن به بعضهم. ويكفر به بعضهم.

ثم قال عز وجل: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} يعني: يصرف عنه من صرف، وذلك إن أهل مكة أقاموا رجالاً على عقاب مكة، يصرفون الناس، فمنهم من يأخذ بقولهم ويرجع، ومنهم من لا يرجع، فقال: يصرف عنه من قد صرفه الله عن الإيمان وخذله، ويقال: يصرف عنه من قد صرفه يوم الميثاق، ويقال يصرف عنه من كان مخذولاً لم يكن من أهل الإيمان.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 22]

{الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (12) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (13) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (14) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)}

ثم قال عز وجل: {قُتِلَ الخرصون} يعني: لعن الكاذبون {الذين هُمْ فِى غَمْرَةٍ ساهون} يعني: في جهالة وعمي وغفلة عن أمر الآخرة، ساهون يعني: لاهين عن الإيمان، وعن أمر الله تعالى {يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدين} يعني: أي أوان يوم الحساب استهزاء منهم به، فأخبر الله تعالى عن ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النار يُفْتَنُونَ} يعني: بالنار يحرقون، ويعذبون. ويقول لهم الخزنة: {ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هذا الذى كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} يعني: هذا العذاب الذي كنتم به تستهزئون. يعني: تستعجلون على وجه الاستهزاء.

ثم بيّن ثواب المتقين فقال عز وجل: {إِنَّ المتقين فِى جنات وَعُيُونٍ} يعني: في بساتين، وأنهار.
قوله تعالى: {ءاخِذِينَ مَا ءاتاهم رَبُّهُمْ} يعني: قابضين ما أعطاهم ربهم من الثواب {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ} في الدنيا {مُحْسِنِينَ} بأعمالهم. قرأ عاصم: {ءاخِذِينَ} نصب على الحال، ومعنى {فِى جنات وَعُيُونٍ} في حال آخذين ما آتاهم ربهم.
ثم قال: {كَانُواْ قَلِيلاً مّن اليل مَا يَهْجَعُونَ} يعني: قليل من الليل ما ينامون. وقال بعضهم: كانوا قليلاً. ثم الكلام يعني: مثل هؤلاء المتقين {كَانُواْ قَلِيلاً}. ثم أخبر عن أعمالهم، فقال: {مّن اليل مَا يَهْجَعُونَ} يعني: لا ينامون بالليل، كقوله: {وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقياما} [الفرقان: 64]. وقال الضحاك: كانوا من النائمين. وقال الحسن: لا ينامون إلا قليلاً. وقال الربيع بن أنس: لا ينامون بالليل إلا قليلاً {وبالاسحار هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} يعني: يصلون عند السحر. ويقال: يصلون بالليل، ويستغفرون عند السحر عن ذنوبهم {وَفِى أموالهم حَقٌّ} يعني: نصيب للفقراء {لَّلسَّائِلِ والمحروم} السائل: المسكين الذي يسأل الناس. والمحروم المتعفف الذي لا يسأل الناس. ويقال: المحروم المحترف الذي لا يبلغ عيشه. وقال الشعبي: أعياني أن أعلم من المحروم. روى سفيان عن ابن إسحاق، عن قيس، قال: سألت ابن عباس: من السائل والمحروم؟ فقال: السائل: الذي يسأل. والمحروم: المحارب الذي ليس له سهم في الغنيمة، وهكذا قال إبراهيم النخعي، ومجاهد، والربيع بن أنس. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: المحروم: الفقير الذي إذا خرج إلى الناس استعف، ولم يعرف مكانه، ولا يسأل الناس فيعطونه. وقال الزجاج: المحروم الذي لا ينمو له مال. ويقال: هي بالفارسية بي دولة يعني: لا إقبال له.
قوله: {وَفِى الارض ءايات لّلْمُوقِنِينَ} يعني: فيمن أهلك قبلهم، لهم عبرة. ويقال: فيها علامة وحدانية الله تعالى، كأنه قال جعلت جميع الأشياء مرآتك، لتنظر إليها، وترى ما فيها، ومراد النظر في المرآة، رؤية من لم يَرَ فكأنه قال: وانظر في آيات صنعي، لتعلم أفي صانع كمل الأشياء؟ فإذا نظرت إلى النقش، والنقش يدل إلى نقاشه وإذا نظرت إلى النفس وعجائب تركيبها يدل على خالقها، وإذا نظرت في الأرض فمختلف الأشياء عليها يدل إلى ربها، وهي البحار، والجبال، والأنهار، والأثمار. {وَفِى أَنفُسِكُمْ} يعني: وعلامة

وحدانيته في أنفسكم {أَفلاَ تُبْصِرُونَ} يعني: تتفكرون في خلق أنفسكم، كيف خلقكم وهو قادر على أن يبعثكم.
قوله عز وجل: {وَفِى السماء رِزْقُكُمْ} يعني: من السماء يأتي سبب رزقكم، وهو المطر. ويقال: وعلى خالق السماء رزقكم {وَمَا تُوعَدُونَ} يعني: ما توعدون من الثواب، والعقاب، والخير، والشر. قال مجاهد: {وَمَا تُوعَدُونَ} يعني: الجنة، والنار. وهكذا قال الضحاك.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 37]

{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37)}

ثم قال عز وجل: {فَوَرَبِّ السماء والارض} أقسم الرب بنفسه {إِنَّهُ لَحَقٌّ} يعني: ما قسمت من الرزق لكائن {مّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} يعني: كما تقولون لا إله إلا الله، أو يعني: كما أن قولكم لا إله إلا الله حق، كذلك قولي سأرزقكم حق. ويقال: معناه كما أن الشهادة واجبة عليكم، فكذلك رزقكم واجب علي. ويقال: معناه هو الذي ذكر في أمر الآيات، والرزق حق. يعين: صدق مثل ما أنكم تنطقون. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَبَى ابْنُ آدَمَ أَنْ يُصَدِّقَ رَبَّهُ حَتَّى أَقْسَمَ لَهُ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ». قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية أبي بكر {مّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} بضم اللام. والباقون: بالنصب. فمن قرأ بالضم، فهو نعت بالحق، وصفه له. ومن قرأ بالنصب، فهو على التوكيد على معنى أنه لحق حقاً مثل نطقكم.
قوله عز وجل: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبراهيم المكرمين} يعني: جاء جبريل مع أحد عشر ملكاً عليهم السلام المكرمين، أكرمهم الله تعالى، وقال: أكرمهم إبراهيم، وأحسن عليهم القيام، {إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا} فسلموا عليه،

فرد عليهم السلام {قَالَ سلام} قرأ حمزة، والكسائي، قال: سلم أي: أمري سلم. والباقون {سلام} أي: أمري {سلام} أي: صلح.
ثم قال: {قَوْمٌ مُّنكَرُونَ} يعني: أنكرهم، ولم يعرفهم. وقال كانوا لا يسلمون في ذلك الوقت، فلما سمع منهم السلام أَنْكَرَهُمْ. {فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ} يعني: عهد إلى أهله. ويقال: عدل، ومال إلى أهله. ويقال: عدل من حيث لا يعلمون لأي شيء عدل. يقال: راغ فلان عنا، إذا عدل عنهم من حيث لا يعلمون.
{فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ} قال بعضهم: كان لبن البقرة كله سمناً، فلهذا كان العجل سميناً {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ} فلم يأكلوا {فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} فقالوا: نحن لا نأكل بغير ثمن. فقال إبراهيم: كلوا، فاعطوا الثمن. قالوا: وما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم، فقولوا بسم الله. وإذا فرغتم، فقولوا: الحمد لله، فتعجبت الملائكة عليهم السلام لقوله، فلما رآهم لا يأكلون {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} يعني: أظهر في نفسه خيفة. ويقال: ملأ عنهم خيفة، فلما رأوه يخاف {قَالُواْ لاَ تَخَفْ} منا يعني: لا تخشى منا {وَبَشَّرُوهُ بغلام عَلَيمٍ} يعني: إسحاق {فَأَقْبَلَتِ امرأته فِى صَرَّةٍ} يعني: أخذت امرأته في صيحة {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} يعني: ضربت بيديها، خديها تعجباً {وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} يعني: عجوزاً عاقراً لم تلد قط، كيف يكون لها ولد؟ فقال لها جبريل: {قَالُواْ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ} يكون لك ولد {هُوَ الحكيم} في أمره.
حكم بالولد بعد الكبر {العليم} عليم بخلقه. ويقال: عليم بوقت الولادة. فلما رآهم أنهم الملائكة {قَالَ} لهم {فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا المرسلون} يعني: ما أمركم، وما شأنكم، ولماذا جئتم أيها المرسلون؟ {قَالُواْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ} يعني: قال جبريل أرسلنا الله تعالى {إلى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ} يعني: قوم كفار مشركين {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ} يعني: لكي نرسل عليهم {حِجَارَةً مِّن طِينٍ} مطبوخ، كما يطبخ الآجر {مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} يعني: معلمة. وقال: مخططة بسواد، وحمرة. ويقال: مكتوب على كل واحد اسم صاحب الذي يصيبه.
ثم قال: {عِندَ رَبّكَ} يعني: جاءت الحجارة من عند ربك للمشركين، فاغتم إبراهيم لأجل لوط.
قال الله تعالى: {فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا} أي: في قريات لوط {مِنَ المؤمنين} يعني: من المصدقين {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مّنَ المسلمين} يعني: غير بيت لوط.

قوله عز وجل: {وَتَرَكْنَا فِيهَا ءايَةً} يعني: أبقينا في قريات لوط آية. يعني: عبرة في هلاكهم من بعدهم.

ثم قال: {لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ العذاب الاليم} يعني: العذاب الشديد.

▲ تفسير الآيات رقم [38- 53]

{وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (44) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (46) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53)}

ثم قال: {وَفِى موسى} عطف على قوله {وفى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21] {وَفِى موسى} {إِذْ أرسلناه إلى فِرْعَوْنَ بسلطان مُّبِينٍ} يعني: حجة بينة، وهي اليد، والعصا {فتولى بِرُكْنِهِ} يعني: أعرض عنه فرعون بجموعه. يعني: مع جموعه وجنوده. ويقال: {فتولى بِرُكْنِهِ} يعني: أعرض بجانبه {وَقَالَ ساحر أَوْ مَجْنُونٌ فأخذناه وَجُنُودَهُ} يعني: عاقبناه، وجموعه {فنبذناهم فِى اليم} قال الكلبي يعني: أغرقناهم في البحر وقال مقاتل يعني: في النيل {وَهُوَ مُلِيمٌ} يعني: يلوم نفسه، ويلومه الناس. وقال: {مُلِيمٌ} أي: مذنب. وقال أهل اللغة: ألام الرجل، إذا أتى بذنب يلام عليه.

ثم قال: {وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الريح العقيم} يعني: سلطنا عليهم الريح الشديد، وإنما سميت عقيماً، لأنها لا تأتي على شيء إلا جعلته كالرميم لا خير فيه. ويقال: سميت عقيماً لأنها لا تلقح الأشجار، ولا تثير السحاب، وهي الدبور. وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما أنزل الله قطرة من ماء إلا بمثقال، ولا أنزل سفرة من ريح إلا بمكيال، إلا قوم نوح طغى على خزانة الماء، فلم يكن لهم عليه سبيل، وعتت الريح يوم عاد على

خزانها، فلم يكن لهم عليها سبيل وروى عكرمة عن ابن عباس قال: العقيم الذي لا منفعة لها.
ثم قال: {مَا تَذَرُ مِن شَئ} يعني: ما تترك من شيء هو لهم، ولا منهم، {أَتتَ عَلَيْهِم إِلاَّ جَعَلَتْهُ كالرميم} يعني: مرت عليه إلا جعلته كالرماد. ويقال: الرميم: الورق الجاف، المتحطم، مثل الهشيم المحتظر، كما قال كهشيم المحتظر، بعد ما كانوا كنخل متقصر. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أرسل على عاد من الريح، إلا مثل خاتمي هذا. يعني: إن الريح العقيم تحت الأرض، فأخرج منها مثل ما يخرج من ثقب الخاتم، فأهلكهم.
ثم قال: {وَفِى ثَمُودَ} يعني: قوم صالح {إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حتى حِينٍ} يعني: قال لهم نبيهم صالح عليه السلام عيشوا إلى منتهى آجالكم، ولا تعصوا أمر الله {فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبّهِمْ} يعني: تركوا طاعة ربهم {فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة} يعني: العذاب. قرأ الكسائي: {فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة} بغير ألف، وجزم العين. والباقون: بألف. وهي الصيحة التي أهلكتهم بالصعقة، قوله من قولك: صعقتهم الصاعقة. يعني: أهلكتهم. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ صعقة مثل الكسائي. {وَهُمْ يَنظُرُونَ} يعني: ظهرت النار من تحت أرجلهم، وهم يرونها بأعينهم. ويقال: سمعوا الصيحة، وهم ينظرون متحيرون. {فَمَا استطاعوا مِن قِيَامٍ} يعني: ما استطاعوا أن يقوموا لعذاب الله تعالى، حتى أهلكوا.
{وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ} يعني: ممتنعين من العذاب.
ثم قال: {وَقَوْمَ نُوحٍ} وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وقوم نوح: بكسر الميم. يعني: في قوم نوح كما قال: وفي ثمود. والباقون: بالنصب. يعني: وأهلكنا قوم نوح. ويقال: معناه فأخذناه، وأخذنا {مِن قَبْلُ} هؤلاء الذين سميناهم {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: قوم نوح من قَبْل. يعني: عاصين.
قوله عز وجل: {والسماء بنيناها بِأَيْدٍ} يعني: خلقناها بقوة، وقدرة {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} يعني: نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد. ويقال: {والسماء} صار نصباً لنزع الخافض. ومعناه و{وَهُوَ الذى فِى السمآء إله وَفِى الارض إله وَهُوَ الحكيم العليم} [الزخرف: 84] آية.
ثم قال: {والارض فرشناها} يعني: وفي الأرض آية، بسطناها مسيرة خمسمائة عام من تحت الكعبة {فَنِعْمَ الماهدون} يعني: نعم الماهدون نحن.

ويقال: في قوله: {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} يعني: نحن جعلنا بينهما، وبين الأرض سعة.
ثم قال عز وجل: {وَمِن كُلِّ شَىءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} يعني: صنفين، الذكر والأنثى، والأحمر والأبيض، والليل والنهار، والدنيا والآخرة، والشمس والقمر، والشتاء والصيف. {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} يعني: تتعظون فيما خلق الله، فتوحدوه.
قوله عز وجل: {فَفِرُّواْ إِلَى اللهِ} يعني: توبوا إلى الله من ذنوبكم. ويقال: معناه {فَفِرُّواْ} من الله {إِلَى اللهِ} أو {فَفِرُّواْ} من عذاب الله، إلى رحمة الله، أو {فَفِرُّواْ} من معصيته، إلى طاعته. ومن الذنوب إلى التوبة. {إِنّى لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: مخوفاً من عذاب الله تعالى بالنار {وَلاَ تَجْعَلُواْ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} يعني: لا تقولوا له شريكاً، وولداً {إِنَّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: فإن فعلتم، فإني لكم مخوف من عذابه، فلم يقبلوا قوله، وقالوا: هذا {ساحر أَوْ مَجْنُونٌ}.
يقول الله تعالى تعزية لنبيه صلى الله عليه وسلم: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الذين مِن قَبْلِهِمْ مّن رَّسُولٍ} يعني: هكذا ما أتى في الأمم الخالية من رسول، {إِلاَّ قَالُواْ ساحر أَوْ مَجْنُونٌ} كقول كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم {أَتَوَاصَوْاْ بِهِ} يعني: توافقوا، وتواطؤوا فيما بينهم. وأوصى الأول الآخر أن يقولوا ذلك. ويقال: توافقوا، وتواطؤوا به كل قوم، وجعلوا كلمتهم واحدة أن يقولوا {ساحر أَوْ مَجْنُونٌ}.
قال الله عز وجل: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغون} يعني: عاتين في معصية الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [54- 60]

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (54) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (60)}
ثم قال: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: فأعرض عنهم يا محمد، بعد ما بلغت الرسالة، وأعذرت، {فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ} يعني: لا تلام على ذلك، لأنك قد فعلت ما عليك {وَذَكِّرَ} يعني: عظ أصحابك بالقرآن {فَإِنَّ الذكرى تَنفَعُ المؤمنين} يعني: المصدقين تنفعهم العظة. ويقال: فعظ أهل مكة، فإن الذكرى تنفع المؤمنين. يعني: من قدر لهم الإيمان.

ثم قال عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} يعني: ما خلقتهم، إلا أمرتهم بالعبادة، فلو أنهم خلقوا للعبادة لما عصوا طرفة عين. وقال مجاهد: يعني ما خلقتهم إلا لآمرهم، وأنهاهم. ويقال: {إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} يعني: إلا ليوحدون، وهم المؤمنون، وهم خلقوا للتوحيد والعبادة، وخلق بعضهم لجهنم، كما قال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجن والإنس لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أولئك كالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أولئك هُمُ الغافلون} [الأعراف: 179] فقد خلق كل صنف للأمر، والنهي الذي يصلح له.

ثم قال: {مَا أُرِيدُ مِنْهُم مّن رّزْقٍ} يعني: ما خلقتهم، لأن يرزقوا أنفسهم {وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ} يعني: لا أكلفهم أن يطعموا أحداً من خلقي. وأصل هذا أن الخلق عباد الله، وعياله. فمن أطعم عيال رجل ورزقهم، فقد رزقه إذا كان رزقهم عليه.

ثم قال: {إِنَّ الله هُوَ الرزاق} يعني: {الرزاق} لجميع خلقه {ذُو القوة المتين} يعني: {ذُو القوة} على أعدائه، الشديد العقوبة لهم، والمتين في اللغة: الشديد القوي قرأ الأعمش: {ذُو القوة المتين} بكسر النون، جعله من نعت القوة. وقراءة العامة بالضم، ومعناه: {إِنَّ الله هُوَ الرزاق} وهو {ذُو القوة المتين}. قوله عز وجل: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ} يعني: أشركوا وهم مشركو مكة {ذَنُوباً} يعني: نصيباً من العذاب {مّثْلَ ذَنُوبِ أصحابهم} يعني: مثل نصيب أصحاب من عذاب الذين مضوا، وأصل الذنوب في اللغة هو الدلو الكبير، فكيف عنه، لأنه تتابع. يعني: مثل عذاب الذين أهلكوا نحو قوم عاد، وثمود، وغيرهم. {فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ} يعني: بالعذاب، لأن النضر بن الحارث كان يستعجل بالعذاب، فأمهله إلى يوم بدر، ثم قتل في ذلك اليوم، وصار إلى النار.

قوله عز وجل: {فَوَيْلٌ لّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ الذى يُوعَدُونَ} يعني: من عذاب يوم القيامة. والويل: الشدة من العذاب. يقال: الويل وادٍ في جهنم.

▲ سورة الطور

▲ تفسير الآيات رقم [1- 16]

{وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (8) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (14) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (15) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16)}

قوله تعالى: {والطور} أقسم الله تعالى بالجبل وكل جبل فهو طور بلغة النبط. ويقال: بلغة السريانية. ولكن عني به الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بمدين.

ثم قال: {وكتاب مُّسْطُورٍ} يعني: في اللوح المحفوظ. ويقال: أعمال بني آدم {فِى رَقّ مَّنْشُورٍ} يعني: في صحيفة منشورة، كما قال: {وَكُلَّ إنسان ألزمناه طائره فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القيامة كِتَابًا يلقاه مَنْشُوراً} [الإسراء: 13] يعني: مفتوحاً يقرؤونه. ويقال: {كِتَابٌ *** مُّسْطُورٍ} يعني: القرآن. {فِى رَقّ مَّنْشُورٍ} يعني: المصاحف. ويقال: في اللوح المحفوظ.

ثم قال: {والبيت المعمور} وهو في السماء السابعة. ويقال: في السماء السادسة ويقال: في السماء الرابعة. وروى وكيع بإسناده عن علي، وابن عباس في قوله: {والبيت المعمور} قالا: هو بيت في السماء حيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة. قال بعضهم: بناه الملائكة قبل أن يخلق آدم عليه السلام وقال بعضهم: هو البيت الذي بناه آدم بمكة، فرفعه الله تعالى في أيام الطوفان إلى السماء بحيال الكعبة. وقال بعضهم: أنزل الله بيتاً من ياقوتة في زمان آدم عليه السلام ووضع بمكة، فكان آدم يطوف به وذريته من بعده إلى زمن الطوفان، فرفع إلى السماء، وهو {البيت * المعمور} طوله كما بين السماء والأرض.

ثم قال: {والسقف المرفوع} يعني: السماء المرتفعة من الأرض مقدار خمسمائة عام {والبحر المسجور} يعني: البحر الممتلئ تحت العرش، وهو بحر مكفوف. يقال له: الحيوان يحمي الله به الموتى يوم القيامة، فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء. ويقال: أقسم بخالق هذه الأشياء {إِنَّ عَذَابَ رَبّكَ لَوَاقِعٌ} يعني: العذاب الذي أوقع الكفار فهو كائن {مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ} يعني: لا يقدر أحد أن يرفع عنهم العذاب.

ثم بيّن أن ذلك العذاب في أي يوم يكون فقال: {يَوْمَ تَمُورُ السماء مَوْراً} يعني: تدور السماء بأهلها دوراً، وتموج بعضهم في بعض من الخوف. صار اليوم نصباً لنزع الخافض. ومعناه: أن عذاب ربك لواقع في {يَوْمَ تَمُورُ السماء مَوْراً} يعني: في يوم القيامة {وَتَسِيرُ الجبال سَيْراً} يعني: {***تسير} على وجه الأرض {الجبال سَيْراً} مثل السحاب حتى تستوي بالأرض {فَوَيْلٌ} الشدة من العذاب {يَوْمَئِذٍ} يعني: يوم القيامة {لّلْمُكَذّبِينَ} بيوم القيامة.

ثم نعتهم فقال: {الذين هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ} يعني: في باطل يلهون، ويستهزئون.

قوله عز وجل: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} يعني: تدفعهم خزنة جهنم. ويقال: {يَدَّعُونَ} يعني: يزعجون إليها إزعاجاً شديداً، ويدفعون دفعاً عنيفاً. ومنه قوله تعالى: {فَذَلِكَ الذى يَدُعُّ اليتيم} [الماعون: 2] أي: يدفع عما يجب. ويقال: دعاً يعني: دفعاً على وجوههم يجرون، فإذا دنوا منها، قالت لهم الخزنة: {هذه النار التى كُنتُم بِهَا تُكَذّبُونَ} يعني: لم تصدقوا بها، ولم تأمنوا بها في الدنيا. {أَفَسِحْرٌ هذا} العذاب الذي ترون لأنفسكم، لأنكم قلتم في الدنيا للرسول ساحراً، ومجنون. {أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ} النار. ويقال: بل أنتم لا تعقلون.

ثم قال لهم: {اصلوها} يعني: ادخلوا فيها {فاصبروا أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ} يعني: فإن صبرتم، أو لم تصبروا، فهو {سَوَاء عَلَيْكُمْ} اللفظ لفظ الأمر، المراد به الخبر. يعني: إن صبرتم أو لم تصبروا، فلا تنجون منها أبداً {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} في الدنيا من الكفر والتكذيب.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 28]

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)}

ثم بيّن حال المتقين فقال: {إِنَّ المتقين فِى جنات} يعني: الذين يتقون الشرك، والفواحش في بساتين {وَنَعِيمٍ فاكهين} يعني: معجبين. ويقال: ناعمين. ويقال: فرحين. {بِمَا ءاتاهم رَبُّهُمْ} في الجنة من الكرامة {ووقاهم رَبُّهُمْ عَذَابَ الجحيم} يعني: دفع عنهم عذاب النار. ويقول لهم الخزنة: {كُلُواْ واشربوا} يعني: كلوا من ألوان الطعام، والثمار، واشربوا من ألوان الشراب، {هَنِيئَاً} يعني: لا داء، ولا غائلة فيه، ولا يخاف في الأكل، والشرب، من الآفات ما يكون في الدنيا، {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: هذا الثواب لأعمالكم التي عملتم في الدنيا.

ثم قال: {مُتَّكِئِينَ على سُرُرٍ} يعني: نائمين على سرر {مَصْفُوفَةٌ} قد صف بعضها إلى بعض، فكانوا على سرر، وكل من كان، اشتاق إلى صديقه يلتقيان.

قوله تعالى: {وزوجناهم بِحُورٍ عِينٍ} يعني: بيض الوجوه. العين: حسان الأعين.

قوله تعالى: {والذين ءامَنُواْ} يعني: صدقوا بالله، ورسوله، وصدقوا بالبعث {واتبعتهم ذُرّيَّتُهُم بإيمان أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرّيَّتَهُمْ} يعني: ألحقناهم ذرياتهم. قرأ أبو عمرو: {وأتبعناهم} {أَلْحَقْنَا بِهِمْ} الثلاثة كلها بالألف. وقرأ نافع: اثنان بغير ألف، والآخر: بالألف. وقرأ ابن عامر الأول: بغير ألف. والآخران: بالألف. والباقون: كلها ألف. فمن قرأ: {اتبعناهم} معناه: ألحقناهم. يعني: الذين آمنوا، وجعلنا ذريتهم مؤمنين، ألحقنا بهم ذريتهم في الجنة في درجتهم. ومن قرأ: {ءامَنُواْ واتبعتهم} بغير ألف، يعني: ذريتهم معهم. ومن قرأ {ذرياتهم} بالألف، فهو جمع الذرية. ومن قرأ: بغير ألف، فهو عبارة عن الجنس، ويقع على الجماعة أيضاً. وقال مقاتل: معناه الذين أدركوا مع آبائهم، وعملوا خيراً في الجنة، ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل، فهم معهم في الجنة. ويقال: إن أحدهم إذا كان أسفل منه، يلحق بهم، لكي تقر عينه.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يرفع الله المسلم ذريته وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه.
ثم قال: {ذُرّيَّتَهُمْ وَمَا أَلتناهم مّنْ عَمَلِهِم مّن شَئ} يعني: ما نقصناهم من عمل الآباء إذا كانوا مع الأبناء، حتى يبلغ بهم ذريتهم، من غير أن ينقص من أجر أولئك شيئاً، ولا من ذريتهم. {كُلُّ امرئ بِمَا كَسَبَ رَهَينٌ} يعني: كل نفس مرتهنة بعملها يوم القيامة.
ثم رجع إلى صفة المتقين في التقديم، وكرامتهم، قوله تعالى: {وأمددناهم بفاكهة} يعني: أعطيناهم من ألوان الفاكهة {وَلَحْمٍ مّمَّا يَشْتَهُونَ} يعني: يتمنون. قرأ ابن كثير: {أَلتناهم} بكسر اللام، وهي لغة لبعض العرب. واللغة الظاهرة: بالفتح، وهي من آلت يألت وهو النقصان.
قوله عز وجل: {يتنازعون فِيهَا كَأْساً} يعني: يتعاطون في الجنة.
تعطيهم الخدم قدح الشراب، ولا يكون كأساً إلا مع الشراب، {لاَّ لَغْوٌ فِيهَا} يعني: لا باطل في الجنة {وَلاَ تَأْثِيمٌ} يعني: لا إثم في شرب الخمر. ويقال: {لا تَأْثِيمٌ} يعني: لا تكذيب فيما بينهم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: {لا لَغْواً فِيهَا} بنصب الواو، {وَلاَ تَأْثِيماً} بنصب الميم. والباقون: بالضم مع التنوين. فمن قرأ: بالنصب، فهو على التبرئة. ومن قرأ: بالضم، فهو على معنى الخبر. يعني: ليس فيها لغو ولا تأثيم، كما قال: {لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ} [الصافات: 47].
ثم قال عز وجل: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ} يعني: في الحسن، والبياض، مثل اللؤلؤ في الصدف لم تمسه الأيدي، ولم تره الأعين.
وروى سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله هذا الخادم، فكيف المخدوم؟ فقال: والذي نفسي بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر، على سائر الكواكب.
ثم قال: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ} يعني: يتحدثون، ويتساءلون في الجنة عن أحوالهم التي كانت في الدنيا. ثم يقول: صرت إلى هذه المنزلة الرفيعة.
قوله تعالى: {قَالُواْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ} يعني: في الدنيا {فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} يعني: خائفين من العذاب.
ثم قال: {فَمَنَّ الله عَلَيْنَا} يعني: من علينا بالمغفرة، والرحمة. {ووقانا عَذَابَ السموم} يعني: دفع عنا عذاب النار.

قوله عز وجل: {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ} يعني: في الدنيا ندعو الرب {إِنَّهُ هُوَ البر} الصادق في قوله، وفيما وعد لأوليائه. ويقال: {البر} بمعنى النار {الرحيم} قرأ نافع، والكسائي: أنه بالنصب. ومعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر. وقرأ الباقون: بالكسر على معنى الاستئناف.
ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعظ الناس ولا يبالي في قولهم.

▲ تفسير الآيات رقم [29- 38]

{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38)}
فقال عز وجل: {فَذَكِّرْ} يعني: فعظ بالقرآن {فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ} يعني: برحمة ربك. ويقال: هو كقوله: ما أنت بحمد الله مجنون. وقال أبو سهل: متعظ بالقرآن، ولست أنت والحمد لله {بكاهن وَلاَ مَجْنُونٍ} ويقال: فذكر. يعني: ذكرهم بما أعتدنا للمؤمنين المتقين، وبما أعتدنا للضالين الكافرين {فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بكاهن وَلاَ مَجْنُونٍ} يعني: لست تقول بقول الكهنة، ولا تنطق إلا بالوحي.
ثم قال: {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ} يعني: أيقولون هو شاعر يأتي من قبل نفسه، وهو قول الوليد بن المغيرة، وأبي جهل، وأصحابهما. {نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون} يعني: أوجاع الموت، وحوادثه. قال قتادة: {رَيْبَ المنون} الموت. وقال مجاهد: {رَيْبَ المنون} حوادث الدهر. وقال القتبي: حوادث الدهر، وأوجاعه، ومصايبه. ويقال: إنهم كانوا يقولون: قد مات أبوه شاباً، وهم ينتظرون موته {قُلْ تَرَبَّصُواْ} يعني: انتظروا هلاكي {فَإِنّى مَعَكُمْ مّنَ المتربصين} وذكر في التفسير، أن الذين قالوا هكذا ماتوا كلهم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أحلامهم بهذا} يعني: أتأمرهم عقولهم، وتدلهم على التكذيب، والإيذاء بمحمد صلى الله عليه وسلم. {أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} يعني:

بل هم قوم عاتون في معصية الله تعالى. {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ} يعني: أيقولون أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول من ذات نفسه. واللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر والوعيد.

ثم قال: {بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ} يعني: لا يصدقون بالرَّسول، والكتاب، عناداً وحسداً منهم.

قوله عز وجل: {فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ} يعني: إن قلتم إن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول: من ذات نفسه، فأتوا بمثل هذا القرآن كما جاء به {إِن كَانُواْ صادقين} في قولهم.

ثم قال: {أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَئ} يعني: من غير رب. كانوا هكذا خلقاً من غير شيء. ومعناه: كيف لا يعتبرون بأن الله تعالى خلقهم، فيوحدونه، ويعبدونه. ويقال: {أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَئ} يعني: لغير شيء. ومعناه: أخلقوا باطلاً لا يحاسبون، ولا يؤمرون، ولا ينهون.

ثم قال: {أَمْ هُمُ الخالقون} يعني: أهم خلقوا الخلق؟ أم الله تعالى؟ ومعناه: أن الله تعالى خلق الخلق، وهو الذي يبعثهم يوم القيامة.

ثم قال: {أَمْ خَلَقُواْ السموات والارض} يعني: بل الله تعالى خلقهم {بَل لاَّ يُوقِنُونَ} بتوحيد الله الذي خلقهما، أنه واحد لا شريك له.

ثم قال {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبّكَ} يعني: مفاتيح رزق ربك. ويقال: مفاتيح ربك الرسالة، فيضعونها حيث شاؤوا، ولكن الله يختار من يشاء، كقولهم: {أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} [القمر: 25].

ثم قال: {أَمْ هُمُ المسيطرون} يعني: أهم المسلطون عليهم، يحملونهم حيث شاؤوا على الناس، فيجبرونهم بما شاؤوا. قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، في إحدى الروايتين: {المسيطرون} بالسين. والباقون: بالصاد. وقرأ حمزة: {المزيطرون} بإشمام الزاء. وقال الزجاج: تسيطر علينا، وتصيطر. وأصله السين، وكل سين بعدها طاء، يجوز أن تقلب صاداً، مثل مسيطر، ويبسط.

ثم قالوا: {المسيطرون أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ} يعني: سبباً إلى السماء {يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} يعني: يرتقون عليه، فيستمعون القول من رب العالمين {فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بسلطان مُّبِينٍ} أي: بحجة بينة.

▲ تفسير الآيات رقم [39- 49]

{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (39) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (44) فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (46) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)}

ثم قال عز وجل: {أَمْ لَهُ البنات وَلَكُمُ البنون}.

ثم بيّن جهلهم، وقلة أحلامهم، أنهم يجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم.

قال عز وجل: {أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً} ومعناه: أن الحجة واجبة عليهم من كل وجه، لأنك قد أتيتهم بالبيان والبرهان، ولم تسألهم على ذلك أجراً. فقال: {أَمْ تَسْئَلُهُمْ} يعني: أتطلب منهم {أَجْراً} بما تعلمهم من الأحكام، والشرائع. {فَهُم مّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ} يعني: من أجل المغرم، يمتنعون عن الإيمان. يعني: لا حجة لهم في الامتناع، لأنك لا تسأل منهم أجراً، فيثقل عليهم لأجل الأجر.

قوله عز وجل: {أَمْ عِندَهُمُ الغيب} يعني: عندهم الغيب بأن الله لا يبعثهم {فَهُمْ يَكْتُبُونَ} يعني: أمعهم كتاب يكتبون بما شاؤوا؟ يعني: ما في اللوح المحفوظ، فهذا كله لفظ الاستفهام، والمراد به: الزجر.

ثم قال عز وجل: {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً} بل يريدون وعيداً بالنبي صلى الله عليه وسلم {فالذين كَفَرُواْ هُمُ المكيدون} يعني: بل هم المعذبون، الهالكون.

قوله عز وجل: {أَمْ لَهُمْ إله غَيْرُ الله} يعني: ألهم خالق غير الله يخلق، ويرزق، ويمنعهم من عذابنا {سبحان الله عَمَّا يُشْرِكُونَ} يعني: تنزيهاً لله تعالى عما يصفون من الشريك، والولد.

ثم ذكر قسوة قلوبهم فقال: {وَإِن يَرَوْاْ كِسْفاً مّنَ السماء ساقطا} يعني: جانباً من السماء ساقطاً عليهم {يَقُولُواْ} يعني: لقالوا من تكذيبهم {سحاب مَّرْكُومٌ} يعني: متراكماً بعضه على بعض، لأنهم كانوا يقولون: لا نؤمن بك حتى تسقط علينا كسفاً.

ثم قال الله تعالى: لو فعلنا ذلك، لم يؤمنوا، ولا ينفعهم من قسوة قلوبهم.

ثم قال: {فَذَرْهُمْ} يعني: فتخل عنهم يا محمد {حتى يلاقوا يَوْمَهُمُ} يعني: يعاينوا يومهم {الذى فِيهِ يُصْعَقُونَ} يعني: يموتون. ويقال: يعذبون. قرأ عاصم، وابن عامر، {يُصْعَقُونَ} بضم الياء والباقون. {يُصْعَقُونَ} بنصب الياء، وكلاهما واحد، وهما لغتان.
ثم وصف حالهم في ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ لاَ يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} يعني: لا ينفعهم صنيعهم شيئاً {وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعون مما نزل بهم من العذاب.
ثم قال عز وجل: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} يعني: من قبل عذاب النار قد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: عذاب القبر وقال معمر عن قتادة: قال: عذاب القبر في القرآن.
ثم قرأ {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} ويقال {عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} يعني: القتل. ويقال: الشدائد، والعقوبات في الدنيا. {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون بالعذاب.
ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذاهم فقال: {واصبر لِحُكْمِ رَبّكَ} يعني: لما أمرك ربك، ونهاك عنه.
ويقال: واصبر على تكذيبهم، وأذاهم. {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} يعني: فإنك بمنظر منا، والله تعالى يرى أحوالك، ولا يخفى عليه شيء. وقال الزجاج: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} بمعنى فإنك بحيث نراك، ونحفظك، ولا يصلون إلى مكرك. ويقال: نرى ما يصنع بك. {وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ حِينَ تَقُومُ} يعني: صل بأمر ربك قبل طلوع الشمس. يعني: صلاة الفجر وقبل الغروب. يعني: صلاة العصر. {وَمِنَ اليل فَسَبّحْهُ} يعني: صل صلاة المغرب والعشاء ويقال: حين تقوم صلاة الفجر، والظهر، والعصر. ومعناه: صل صلاة النهار، وصلاة الليل. ويقال: {سَبِّحِ بِحَمْدِ رَبّكَ حِينَ تَقُومُ} يعني: قل سبحانك اللهم وبحمدك إذا قمت إلى الصلاة وهذا قول ربيع بن أنس.
{وإدبار النجوم} يعني: ركعتي الفجر. وروى سعيد بن جبير، عن زاذان، عن عمر رضي الله عنه: لا صلاة بعد طلوع الفجر، إلا ركعتي الفجر، وهما إدبار النجوم. وروى أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه قال: {والركع السجود} الركعتان بعد المغرب، {وإدبار النجوم} الركعتان قبل الفجر. وروى وكيع عن ابن عباس أنه قال: بت ذات ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى ركعتي الفجر، ثم خرج إلى الصلاة. فقال ابن

عباس: الركعتان اللتان قبل الفجر، {فِى النجوم} واللاتي بعد المغرب {والركع السجود} وفي الآية، دليل على أن تأخير صلاة الفجر أفضل، لأنه أمر بركعتي الفجر بعد ما أدبرت النجوم، وإنما أدبرت النجوم بعد ما أسفر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

53

سورة النجم

▲ تفسير الآيات رقم [1- 9]

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9)}

قوله تعالى: {والنجم إِذَا هوى} قال ابن عباس رضي الله عنه: أقسم الله تعالى بالقرآن، إذا نزل نجوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاً بعد وقت. الآية، والآيتان، والسورة، والسورتان، وكان بين أوله وآخره إحدى وعشرون سنة. قال مجاهد: أقسم الله بالثريا إذا غابت، وسقطت. والعرب تسمي الثريا: نجماً. ويقال: أقسم بالكواكب المضيئة. ويقال: أقسم بجميع الكواكب. {مَا ضَلَّ صاحبكم} وذلك أن قريشاً قالوا له: قد تركت دين آبائك، وخرجت من الطريق؛ وتقول شيئاً من ذات نفسك فنزل: {والنجم إِذَا هوى} {مَا ضَلَّ صاحبكم} يعني: ما ترك دين أبيه إبراهيم {وَمَا غوى} يعني: لم يضل قوماً. والغاوي والضال واحد. يقال: الضلال: قبل البيان. والفساد؛ بعد البيان. قرأ حمزة والكسائي: {إِذَا هوى} {وَمَا غوى} كله بالإمالة في جميع السورة. وقرأ نافع وأبو عمرو: بين الإمالة، والفتح في جميع السورة. والباقون: بالتخفيف. وكل ذلك جائز في اللغة.

ثم قال: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى} يعني: ما ينطق بهذا القرآن بهوى نفسه، والعرب تجعل عن مكان الباء. تقول: رميت عن القوس، أي: بالقوس {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى} أي: بالهوى {إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يوحى} يعني: ما هذا القرآن إلا وحي يوحى إليه {عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى} يعني: أتاه جبريل عليه السلام، وعلمه، وهو {شَدِيدُ القوى} وأصله في اللغة، من قوى الجبل، وهو طاقاته، والواحد قوة. ويقال: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى} يعني: الله تعالى يعلمه بالوحي وهو ذو القوة المتين.

قوله عز وجل: {ذُو مِرَّةٍ} يعني: ذي قوة. وأصل المرة: القتل، فيعبر به عن القوة. ومنه الحديث: «لاتَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيَ وَلا لِذِي مَرَّةٍ سَوِيٍ».

ثم قال عز وجل: {فاستوى} يعني: جبريل عليه السلام. ويقال: {فاستوى} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {وَهُوَ بالافق الاعلى} يعني: من قبل مطلع الشمس جبريل، فرآه على صورته، وله جناحان، أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب.

{ثُمَّ دَنَا فتدلى} إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكل ما دنا منه، انتقص حتى إذا قرب منه مقدار قوسين، رآه كما في سائر الأوقات، حتى لا يشك جبريل {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ} يعني: في القرب مقدار قوسين. وقال بعضهم: ليلة المعراج، دنا من العرش مقدار قوسين، وإنما ذكر القوسين لأن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس. ويقال: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ} يعني: قدر ذراعين، وإنما سمي الذراع قوساً، لأنه تقاس به الأشياء. {أَوْ أدنى} يعني: بل أدنى. ويقال: أو بمعنى واو العطف. يعني: مقدار قوسين أو أقرب من ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 18]

{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)}

قوله تعالى: {فأوحى إلى عَبْدِهِ مَا أوحى} يعني: أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه جبريل ما قرأ. ويقال: تكلم مع عبده ليلة المعراج ما تكلم. ويقال: أمر عبده بما أمر.

ثم قال: {مَا كَذَبَ الفؤاد مَا رأى} يعني: ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى بصره من أمر ربه في رؤية جبريل عليه السلام. ويقال: في رؤية الله تعالى بقلبه. قال محمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل رأيت ربك: فقال: رأيته بفؤادي. ولم أره بعيني، قرأ الحسن ما كذَّب بتشديد الذال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ومعناه لم يجعل الفؤاد رؤية العين كذباً. والباقون: بالتخفيف. يعني: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم فيما رأى.

ثم قال عز وجل: {أفتمارونه على مَا يرى} قرأ حمزة: {أفتمارونه} بنصب التاء، وجزم الميم بغير ألف. وهكذا روي عن ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما، ومعناه: أفتجحدونه فيما رأى. والباقون: {أفتمارونه} يعني: أفتجادلونه لأنه رأى من آيات ربه الكبرى.
ثم قال: {وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أخرى} يعني: لقد رأى جبريل مرة أخرى. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: رأى ربه مرة، فقال: إن الله كلم موسى مرتين، ورأى محمداً مرتين، فبلغ ذلك إلى عائشة رضي الله عنها، وعن أبيها، فقالت: قد اقشعر جلدي من هيبة هذا الكلام؛ فقيل لها: يا أم المؤمنين أليس يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أخرى} فقالت: أنا سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: رأيت جبريل نازلاً في الأفق على خلقته، وصورته. ويقال: {وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أخرى} يعني: رآه بفؤاده وأكثر المفسرين يقولون: إن المراد به جبريل. يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم لما رجع من عند ربه ليلة أسري به، رأى جبريل. {عِندَ سِدْرَةِ المنتهى} فقال مقاتل: السدرة هي شجرة طوبى، ولو أن رجلاً ركب نجيبه، وطاف على ساقها حتى أدركه الهرم، لما وصل إلى المكان الذي ركب منه، تحمل لأهل الجنة الحلي والحلل، وجميع ألوان الثمار. ويقال: هي شجرة غير شجرة طوبى، وهي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة، تخرج أنهار الجنة من أصل تلك الشجرة. وإنما سميت {سِدْرَةِ المنتهى} لأن أرواح المؤمنين تنتهي إليها. ويقال: أرواح الشهداء تنتهي إليها. ويقال: الملائكة ينتهون إليها، ولا يجاوزنها. ويقال: لأن علم كل واحد ينتهي إليها، ولا يتجاوزنها، ولا يدري ما فوق ذلك. وروي عن طلحة بن مطرف، عن مرة، عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى، وإليها ينتهي ما عرف من تحتها، وإليها ينتهي ما هبط من فوقها، وهي النهاية التي ينتهي إليها من فوق، ومن تحت، ولا يتجاوز عن ذلك.
ثم قال عز وجل: {عِندَهَا جَنَّةُ المأوى} وإنما سميت المأوى لأنه يأوي إليها أرواح الشهداء. قرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة رضي الله عنهما: {جَنَّةُ المأوى} بالتاء. وقيل لسعد: إن فلاناً يقرأ عندها {جَنَّةُ المأوى} بالهاء. قال سعد: ما له أجنه الله. وعن أبي العالية قال: سألني ابن عباس: كيف تقرأها يا أبي العالية؟ قال: قلت له جنة. قال: صدقت هي مثل قوله: {جنات المأوى}. وقراءة العامة {جَنَّةُ} وهي من جنات.

ثم قال: {إِذْ يغشى السدرة مَا يغشى} يعني: يغشاها من الملائكة ما يغشى. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل ماذا يغشى؟ قال: جراد من ذهب. ويقال: فراش من ذهب. وقال الحسن: يغشاها نور مثل الجراد من ذهب.

ثم قال: {مَا زَاغَ البصر} يعني: ما مال، وما عدل بصر محمد صلى الله عليه وسلم عما رأى {وَمَا طغى} وما تعدى، وما جاوز إلى غيره. ويقال: {وَمَا طغى} يعني: وما ظلم صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما رأى تلك الليلة التي عرج به إلى السماء {لَقَدْ رأى مِنْ ءايات رَبّهِ الكبرى} وهو الرفرف الأخضر، قد غطى الأفق، فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وجاوز سدرة المنتهى. وقال ابن مسعود: رأى جبريل وله ستمائة جناح، وهم {مِنْ ءايات رَبّهِ الكبرى} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر برؤية جبريل، تعجبوا منه، وأنكروا، فأخبر الله تعالى أنه قد رآه مرة أخرى، وأنه قد {لَقَدْ رأى مِنْ ءايات رَبّهِ}.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 27]

{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27)}

ثم قال عز وجل: {أَفَرَءيْتُمُ اللات والعزى} قرأ مجاهد: {اللات} بتشديد التاء. يقال: كان رجلاً يلت السويق بالزيت، ويطعم الناس. وقال السدي: كان رجلاً يقوم على آلهتهم، ويلت السويق لهم. ويقال: كانت حجارة يعبدونها، وينزل عندها رجل يبيع السويق، ويلته، فسميت تلك الحجارة باللات. وقرأه العامة بغير تشديد. قال مقاتل: وإنما سمي {اللات والعزى} لأنهم قالوا: هكذا أسماء الملائكة، وهم بناته فنزل {أَلَكُمُ الذكر وَلَهُ والانثى} وقال قتادة: {اللات} كان لأهل الطائف، {والعزى} لقريش، ومناة للأنصار. ويقال: إن المشركين أرادوا أن يجعلوا من آلهتهم من أسماء الحسنى، فأرادوا أن يسموا الواحد منها الله، فجرى على لسانهم {اللات} وأرادوا أن يسموا الواحد منها العزيز،

فجرى على لسانهم العزى، وأرادون أن يسموا الواحد منها المنان فجرى على لسانهم مناة. ويقال: إن العزى كانت نخلة بالطائف يعبدونها، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حتى قطع تلك النخلة، فخرجت منها امرأة تجر شعرها على الأرض، فأتبعها بفأس، فقتلها، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «تِلْكَ العُزَّى قَتَلَهَا فَلاَ تُعْبَدُ العُزَّى أَبَداً». ويقال: أول الأصنام كانت اللات، ثم العزَّى ثم مناة. وهو قوله: {أَفَرَءيْتُمُ اللات والعزى} {ومناة الثالثة الاخرى} يعني: أفرأيتم عبادتها تنفعهم في الآخرة.

ثم قال: {أَلَكُمُ الذكر وَلَهُ الانثى} يعني بني مدلج، ويعبدون الملائكة، ويقولون: هم بناته فيشفعوا لنا {تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضيزى} أي: جائرة معوجة. قرأ ابن كثير: بهمز الألف، والمد. والباقون: بغير همز، ومعناهما واحد، وهو اسم الصنم. وقرأ ابن كثير: {ضئزى} بالهمزة. والباقون: بغير همزة، ومعناهما واحد. يقال: ضازه، يضيزه، إذا نقصه حقه. يقال: ضزت في الحكم أي جرت.

ثم قال: {ضيزى إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا} يعني: الأصنام، {أَنتُمْ وَءابَاؤُكُمُ} بالتقليد {مَّا أَنزَلَ الله بِهَا مِن سلطان} يعني: من عذر، وحجة لكم بما تقولون {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن} يعني: ما يعبدون، وما يتبعون إلا الظن، ولا تعرفونها أنها يقيناً آلهة، {وَمَا تَهْوَى الانفس} يعني: يتبعون ما تشتهي أنفسهم، وعبدوه، وتركوا دين الله، {وَلَقَدْ جَاءهُم مّن رَّبّهِمُ الهدى} يعني: أتاهم الكتاب، والرسول، وبين لهم طريق الهدى.

ثم قال عز وجل: {أَمْ للإنسان مَا تمنى} يعني: ما يتمنى بأن الملائكة تشفع له، فيكون الأمر بتمنيه، {فَلِلَّهِ الاخرة والاولى} يعني: ثواب الآخرة والأولى. ويقال: أهل السموات، وأهل الأرض كلهم عبيده ويقال: له نفاذ الأمر في الآخرة، والأولى. ويقال: جميع ما فيها يدل على وحدانيته.

ثم قال: {وَكَمْ مّن مَّلَكٍ فِى السموات اَ تُغْنِى شفاعتهم شَيْئاً} يعني: لا تنقطع شفاعتهم، رداً لقولهم: إنهم يشفعون لنا.

ثم استثنى فقال: {إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ الله لِمَن يَشَاء ويرضى} يعني: من كان معه التوحيد، فيشفع له بإذن الله تعالى.

ثم قال: {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} يعني: لا يصدقون بالبعث {لَيُسَمُّونَ الملائكة تَسْمِيَةَ الانثى} باسم البنات، وفيه تنبيه للمؤمنين، لكي لا تقولوا مثل مقالتهم، وزجراً للكافرين عن تلك المقالة.

▲ تفسير الآيات رقم [28- 32]

{وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)}

قال عز وجل: {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ} يعني: ليس لهم حجة على مقالتهم {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن} يعني: ما يتبعون إلا الظن يعني: على غير يقين {وَإِنَّ الظن لاَ يُغْنِى مِنَ الحق شَيْئاً} يعني: لا يمنعهم من عذاب الله شيئاً {فَأَعْرِضْ عَن مَّن تولى عَن ذِكْرِنَا} يعني: اترك من أعرض عن القرآن، ولا يؤمن به. {وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحياة الدنيا} يعني: لم يرد بعلمه الدار الآخرة، إنما يريد به منفعة الدنيا {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مّنَ العلم} يعني: غاية علمهم الحياة الدنيا. ويقال: ذلك منتهى علمهم، لا يعلمون من أمر الآخرة شيئاً، وهذا كقوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مّنَ الحياة الدنيا وَهُمْ عَنِ الاخرة غافلون}.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ} يعني: هو أعلم بمن ترك طريق الهدى {وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهتدى} يعني: من تمسك بدين الإسلام، ومعناه: فأعرض عنهم، ولا تعاقبهم، فإن الله عليم بعقوبة المشركين، وبثواب المؤمنين، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

ثم عظم نفسه بأنه غني عن عبادتهم فقال: {وَللَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} من الخلق {لِيَجْزِىَ الذين فَيُنَبّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ} يعني: ليعاقب في الآخرة الذين أشركوا، وعملوا المعاصي {وَيِجْزِى الذين أَحْسَنُواْ بالحسنى} يعني: ويثيب الذين آمنوا، وأدوا الفرائض الخمسة بإحسانهم.

ثم نعت المحسنين فقال: {الذين يَجْتَنِبُونَ كبائر الإثم والفواحش} قرأ حمزة والكسائي: {كَبِير الإثم} بلفظ الوحدان، والمراد به: الجنس. والباقون: {يَجْتَنِبُونَ كبائر الإثم} بلفظ الجماعة. قال بعضهم: {كبائر الإثم} يعني: الشرك بالله، {والفواحش} يعني: المعاصي. وقال بعضهم: {كبائر الإثم والفواحش} بمعنى واحد، لأن كل فاحشة كبيرة، وكل كبيرة فاحشة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «الْكَبَائِرُ أَرْبَعَةٌ: الشِّرْكُ بِالله، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله». وروي عن ابن

مسعود رضي الله عنه أنه قال: الكبائر سبعة. فبلغ ذلك إلى عبد الله بن عباس، فقال: هي إلى السبعين أقرب. ويقال: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة. وقيل: كل ما أصر العبد عليه فهو كبيرة، كما روي عن بعضهم أنه قال: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

قال: {إِلاَّ اللمم} وقال بعضهم: {اللمم} هو الصغائر من الذنوب. يعني: إذا اجتنبت الكبائر، يغفر الله صغار الذنوب من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة، وهو كقوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سيئاتكم وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً} [النساء: 31] قال مقاتل: نزلت في شأن نبهان التمار، وذلك أن امرأة أتت لتشتري التمر، فقال لها: ادخلي الحانوت، فعانقها، وقبلها، فقالت المرأة: خنت أخاك ولم تصب حاجتك، فندم، وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى مسروق عن ابن مسعود: قال زنى العينين النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق ذلك الفرج، أو يكذبه. فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لمماً. وقال عكرمة: {اللمم} النظر، وحديث النفس، ونحو ذلك. وروى طاوس، عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الله كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَى. فَزِنَى الْعَيْنَيْنِ نَظَرُ النَّاظِرِ، وَزِنَى اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى، وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ». وقال عبد الله بن الزبير: {اللمم} القبلة، واللمس باليد. وقال بعضهم: {اللمم} كل ذنب يتوب عنه ولا يصر عليه. وروى منصور، عن مجاهد قال: في قوله: {إِلاَّ اللمم} هو الرجل يذنب الذنب، ثم ينزع عنه. وروي عن أبي هريرة: قال: {اللمم} النكاح. وذكر ذلك لزيد بن أسلم فقال: صدق إنما اللمم لمم أهل الجاهلية. يقول الله تعالى في كتابه {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم الْلاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مِّنَ الرضاعة وأمهات نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتى فِى حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وحلائل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء: 23]. وروي عن الحسن أنه قال: {اللمم} هو أن يصيب النظرة من المرأة، والشربة من الخمر. ثم ينزع عنه. وروي عن مجاهد أنه قال: الذي يلم بالذنب، ثم يدعه. وقد قال الشاعر

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا *** وَأيّ عَبْدِ لله لا أَلَمَّا
وقال بعضهم: {إلاَّ اللمم} ومعناه: ولا اللمم. ومعناه: أن تجتنبوا صغائر الذنوب، وكبائرها، كما قال القائل: وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير، والعيش. يعني: ولا اليعافير، ولا العيس. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إيَّاكُمْ وَالمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ». وسئل زيد بن ثابت عن قوله: {إلاَّ اللمم} قال: حرم الله الفواحش ما ظهر منها، وما بطن.
ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ واسع المغفرة} يعني: واسع الفضل، غافر الذنوب للذين يتوبون. ويقال: معناه رحمته واسعة على الذين يجتنبون الكبائر.
ثم قال: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ} يعني: هو أعلم بحالكم منكم {إِذْ أَنشَأَكُمْ مّنَ الارض} يعني: إذ هو خلقكم من الأرض. يعني: خلق آدم من تراب، وأنتم من ذريته. {وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ} يعني: كنتم صغاراً {فِى بُطُونِ أمهاتكم} كان هو أعلم بحالكم منكم في ذلك كله، {فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ} يعني: لا تبرؤوا أنفسكم من الذنوب، ولا تمدحوها.
ويقال: {وَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: لا يمدح بعضكم بعضاً. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرابَ». والمدح على ثلاثة أوجه: أوله أن يمدحه في وجهه، فهو الذي نهي عنه. والثاني: أن يمدحه بغير حضرته، ويعلم أنه يبلغه، فهو أيضاً منهي عنه. والثالث: أن يمدحه في حال غيبته، وهو لا يبالي بلغه أو لم يبلغه، ويمدحه بما هو فيه، فلا بأس بهذا. ويقال: {فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: لا تطهروا أنفسكم من العيوب. وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا رَاحِلَةً». {بِمَنِ اتقى} يعني: من يستحق المدح، ومن لا يستحق المدح.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 42]

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42)}
ثم قال: {أَفَرَأَيْتَ الذى تولى} يعني: أعرض عن الحق، وهو الوليد بن المغيرة، ومن كان في مثل حاله {وأعطى قَلِيلاً} يعني: وأنفق قليلاً من

ماله {وأكدى} يعني: هو أمسك عن النفقة. قال مقاتل: أنفق الوليد بن المغيرة على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نفقة قليلة، ثم انتهى عن ذلك. وقال القتبي: {وأكدى} أصله من كديه الدكية وهي الصلابة فيها. فإذا بلغها الحافر، يبس حفرها، فقطع الحفرة. يعني: تركها. فقيل: لمن طلب شيئاً، ولم يدرك أخره، وأعطى شيئاً، ولم يتم وأكدى.

ثم قال عز وجل: {عِلْمُ الغيب فَهُوَ يرى أَمْ} يعني: أعنده علم الآخرة {فَهُوَ يرى} صنيعه. وقيل: يعلم ما في اللوح المحفوظ، فيرى صنيعه. {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ موسى} يعني: ألم يخبر بما بيّن الله تعالى في صحف موسى. قال بعضهم: {صُحُفِ موسى} يعني: التوراة. وقال بعضهم: هو كتاب أنزل عليه قبل التوراة {وإبراهيم الذى وفى} يعني: في كتاب إبراهيم {الذى وفى} يعني: بلغ الرسالة. ويقال: {وفى} بمعنى عمل ما أمر به. وذلك أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال لعثمان: إنك تنفق مالك، فعن قريب تفتقر. فقال عثمان: إن لي ذنوباً. فقال الوليد: ادفع إلي بعض المال حتى أدفع ذنوبك، فدفع إليه، فأنزل الله تعالى {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ موسى} يعني: ألم يبين الله تعالى في كتاب موسى، وكتاب إبراهيم، {أَلاَّ تَزِرُ وازرة وِزْرَ أخرى} يعني: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى. ويقال: {وإبراهيم الذى وفى} يعني: بما ابتلاه الله تعالى بعشر كلمات. ويقال: بذبح الولد. ويقال: كان يصلي كل غداة أربع ركعات، صلاة الضحى فسماه وفياً.

ثم قال عز وجل: {وَأَن لَّيْسَ للإنسان إِلاَّ مَا سعى} يعني: ليس للإنسان في الآخرة إلا ما عمل في الدنيا من خير أو شر {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يرى} يعني: يرى ثواب عمله في الآخرة.

قوله عز وجل {ثُمَّ يُجْزَاهُ الجزاء الاوفى} يعني: يعطى ثوابه كاملاً {وَأَنَّ إلى رَبّكَ المنتهى} يعني: إليه ينتهي أعمال العباد، وإليه يرجع الخلق كلهم، فهذا كله في مصحف موسى، وإبراهيم.

▲ تفسير الآيات رقم [43- 58]

{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (52) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (53) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ

تَتَمَارَى (55) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (56) أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58)}

ثم قال: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأبكى} يعني: {أَضْحَكَ} أهل الجنة في الجنة. قال: {وأبكى} أهل النار في النار. ويقال: {أَضْحَكَ} في الدنيا أهل النعمة، {وأبكى} أهل الشدة، والمعصية. {وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} يعني: يميت في الدنيا، ويحيي في الآخرة للبعث {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزوجين} يعني: اللونين، والصنفين، {الذكر والانثى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تمنى} يعني: تهراق في رحم الأنثى. وقال القتبي: {مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تمنى} يعني: تقدر، وتخلق. ويقال: ما تدري ما يمني لك الماني. يعني: ما يقدر لك المقدر.

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النشأة الاخرى} يعني: البعث بعد الموت. يعني: ذلك إليه، وبيده، وهو قادر على ذلك، فاستدل عليهم بالفعل الآخر بالفعل الأول، أنه خلقهم في الابتداء من النطفة، وهو الذي يحييهم بعد الموت {وَأَنَّهُ هُوَ أغنى وأقنى} يعني: حول وأعطى المال. {وأقنى} يعني: أفقر. ويقال: {أغنى} يعني: يعطي {وأقنى} يعني: يُرضي بما يُعطي. ويقال: {أغنى} نفسه عن الخلق {وأقنى} يعني: أفقر الخلق إلى نفسه. وروى السدي عن أبي صالح: {أغنى} بالمال، {وأقنى} يعني: بالقنية. وقال الضحاك: {أغنى} بالذهب، وبالفضة، والثياب، والمسكن، {وأقنى} بالإبل، والبقر، والغنم، والدواب. وقال عكرمة: {أغنى} يعني: أرضى {وأقنى} يعني: وأقنع.

ثم قال: {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشعرى} يعني: وأن الله هو خالق الشعرى. قال ابن عباس: هو كوكب تعبده خزاعة يطلع بعد الجوزاء، يقول الله تعالى وأنا ربها، وأنا خلقتها، فاعبدوني.

ثم خوفهم فقال عز وجل: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الاولى} بالعذاب، وهم قوم هود عليه السلام، وكان بعدهم عاد آخر سواهم، فلهذا سماهم عاد الأُولى {وَثَمُودَ فَمَا أبقى} يعني: قوم صالح عليه السلام، فأهلكهم الله، وما بقي منهم أحد. قرأ نافع، وأبو عمرو {عَادِ الاولى} بحذف الهمزة، وإدغام التنوين. والباقون: {عَاداً} بالتنوين الأولى، بالهمزة. وكلاهما جائز عند العرب. وقرأ حمزة، وعاصم، رواية حفص: {وَثَمُودُ} بغير تنوين. والباقون: {ثموداً} بالتنوين. قال أبو عبيد نقرأ بالتنوين مكان الألف الثانية في المصحف.

ثم قال: {مُنتَصِرِينَ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ} يعني: أهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود {إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وأطغى} يعني: أشد في كفرهم، وطغيانهم، لأنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فدعاهم، فلم يجيبوا، وكان الآباء يوصون الأبناء بتكذيبه.

ثم قال عز وجل: {والمؤتفكة أهوى} يعني: مدينة قوم لوط. وسماها مؤتفكة لأنها ائتفكت. أي: انقلبت {أهوى} أي: أسقط. ويقال: {المؤتفكة} يعني: المكذبة {والمؤتفكة أهوى} يعني: أهوى من السماء إلى الأرض، وذلك أن جبريل عليه السلام حيث قلع تلك المدائن، فرفعها إلى قريب من السماء، ثم قلبها، وأهواها إلى الأرض.

{فغشاها مَا غشى} يعني: فغشاها من الحجارة {مَا غشى} كقوله: {فَجَعَلْنَا عاليها سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} [الحجر: 74].

ثم قال: {فَبِأَىِّ الاء رَبّكَ تتمارى} يعني: بأي نعمة من نعماء ربك تتجاحد أيها الإنسان، بأنها ليست من الله تعالى.

قوله عز وجل: {هذا نَذِيرٌ مّنَ النذر الاولى} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {نَّذِيرٍ} مثل {النذر الاولى} يعني: رسولاً مثل الرسل الأولى، ثم نوح، وهود، وصالح صلوات الله عليهم، وقد خوفهم الله ليحذروا معصيته، ويتبعوا ما أمرهم الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: {أَزِفَتِ الازفة} يعني: دنت القيامة {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ الله كَاشِفَةٌ} يعني: ليس للساعة من دون الله {كَاشِفَةٌ} عن علم قيامها، وهذا كقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ مرساها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السماوات والارض لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ الله ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187].

▲ تفسير الآيات رقم [59- 62]

{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)}

ثم قال عز وجل: {أَفَمِنْ هذا الحديث تَعْجَبُونَ} يعني: من القرآن تعجبون تكذيباً {وَتَضْحَكُونَ} استهزاءً. {وَلاَ تَبْكُونَ} مما فيه من الوعد {وَأَنْتُمْ سامدون} يعني: لاهين عن القرآن. روي عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال:

هو الغناء. كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، ولعبوا، وهي بلغة أهل اليمن. وقال قتادة {سامدون} يعني: غافلون.
ثم قال عز وجل: {فاسجدوا لِلَّهِ} يعني: صلوا لله. ويقال: اخضعوا لله {واعبدوا} يعني: أطيعوا. ويقال: {فاسجدوا لِلَّهِ} في الصلاة {واعبدوا} يعني: وحدوه. ويقال: هو سجدة التلاوة بعينها. وروي عن الشعبي أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في النجم، وسجد معه المؤمنون، والمشركون، والجن، والإنس.

سورة القمر

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4)}

قوله تعالى: {اقتربت الساعة} يعني: دنا قيام الساعة، لأن خروج النبي صلى الله عليه وسلم كان من علامات الساعة {وانشق القمر} وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة لنبوته، فانشق القمر نصفين. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانشق القمر نصفين، فرأيت حراء بين فلقتي القمر، أي: شقتي القمر. وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة. وروى قتادة، عن أنس قال: سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة. وقال بعضهم: {اقتربت الساعة وانشق القمر} يعني: تقوم الساعة، وينشق القمر يوم القيامة. وأكثر المفسرين قالوا: إن هذا قد مضى. وقال عبد الله بن مسعود: ما وعد الله ورسوله من أشراط الساعة كلها قد مضى، إلا أربعة طلوع الشمس من مغربها، ودابة الأرض، وخروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج.

ثم قال: {وَإِن يَرَوْاْ ءايَةً يُعْرِضُواْ} يعني: إذا رأوا آية من آيات الله مثل انشقاق القمر، يعرضوا عنها، ولا يتفكروا فيها. {وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} يعني: مصنوعاً. سيذهب. ويقال: معناه ذاهباً يذهب، ثم التئام القمر. وقال القتبي: {سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} يعني: شديد القوى، وهو من المرة، وهو القتل. وقال الزجاج: في مستمر قولان: قول ذاهب، وقول دائم. وقال الضحاك: لما رأى أهل مكة انشقاق القمر. وقال أبو جهل: هذا سحر مستمر فابعثوا إلى أهل الآفاق، حتى ينظروا إذا رأوا القمر منشقاً أم لا. فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، قالوا: هذا سحر مستمر يعني: استمر سحره في الآفاق.

قوله عز وجل: {وَكَذَّبُواْ} يعني: كذبوا بالآية، وبقيام الساعة. {واتبعوا أَهْوَاءهُمْ} في عبادة الأصنام {وَكُلُّ أَمْرٍ مٌّسْتَقِرٌّ} يعني: كل قول من الله له حقيقة منه في الدنيا سيظهر، وما كان منه في الآخرة سيعرف. يعني: ما وعد لهم من العقوبة. ويقال: معناه مستقر لأهل النار عملهم، ولأهل الجنة عملهم. يعني: يعطي لكل فريق جزاء أعمالهم.

ثم قال: {وَلَقَدْ جَاءهُم مّنَ الانباء} يعني: جَاء لأهل مكة من الأخبار عن الأمم الخالية {مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ} يعني: ما فيه موعظة لهم، وزجر عن الشرك، والمعاصي.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 14]

{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)}

قوله تعالى: {حِكْمَةٌ بالغة} يعني: جاءهم كلمة بالغة، وهو القرآن يعني: حكمة وثيقة {فَمَا تُغْنِى النذر} يعني: لا تنفعهم النذر إن لم يؤمنوا، كقوله: {قُلِ انظروا مَاذَا فِى السماوات والارض وَمَا تُغْنِى الآيات والنذر عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ} [يونس: 101] ويقال: {فَمَا تُغْنِى النذر} لم تنفعهم الرسل إذا نزل بهم العذاب إن لم يؤمنوا.

قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: اتركهم، وأعرض عنهم، بعدما أقمت عليهم الحجة. {يَوْمَ يَدْعُو الداع} يعني: يدعو إسرافيل على صخرة بيت المقدس {إِلَى شَئ نُّكُرٍ} يعني: إلى أمر فظيع، شديد، منكر {خُشَّعاً} يعني: ذليلة {أبصارهم} خاشعاً، نصب على الحال يعني: يخرجون، خاشعاً. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو {خاشعا} بالألف مع النصب. والباقون: خُشعاً بضم الخاء، بغير ألف، وتشديد الشين بلفظ الجمع، لأنه نعت للجماعة. ومن قرأ: بلفظ الواحد، فلأجل تقديم النعت. وقرأ ابن مسعود: {خاشعة} بلفظ التأنيث. وقرأ ابن كثير: {إِلَى شَئ نُّكُرٍ} بجزم الكاف. والباقون: بالضم، وهما لغتان.

ثم قال عز وجل: {يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث} يعني: من القبور، {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} يعني: انتشروا عن معدنهم، ويجول بعضهم في بعض.
قوله تعالى: {مُّهْطِعِينَ إِلَى الداع} يعني: مقبلين إلى صوت إسرافيل {يَقُولُ الكافرون هذا يَوْمٌ عَسِرٌ} يعني: شديد عَسِر عليه. وروي في الخبر: «أَنَّهُمْ إذا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، يَمْكثُونَ وَاقِفِينَ أَرْبَعِينَ سَنَّةً» ويقال: مائة سنة، حتى يقولوا أرحنا من هذا، ولو إلى النار، ثم يؤمرون بالحساب.
ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى قومه كما لقي الرسل من قومهم فقال: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ} يعني: قبل قومك يا محمد {قَوْمُ نُوحٍ} حين أتاهم بالرسالة {فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا} نوحاً {وَقَالُواْ مَجْنُونٌ} يعني: قالوا لنوح: إنك مجنون {وازدجر} يعني: أوعد بالوعيد. ويقال: صاحوا به حتى غشي عليه. وقال القتبي: {وازدجر} أي: زجر. وهو افتعل من ذلك، فلما ضاق صدره {فَدَعَا رَبَّهُ أَنّى مَغْلُوبٌ} يعني: مقهور فيما بينهم {فانتصر} يعني: أعني عليهم بالعذاب، فأجابه الله كما في سورة الصافات: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المجيبون} [الصافات: 75].
قوله عز وجل: {فَفَتَحْنَا أبواب السماء} يعني: طرق السماء {بِمَاء مُّنْهَمِرٍ} يعني: منصباً كثيراً. وقال القتبي: {بِمَاء مُّنْهَمِرٍ} أي: كثير، سريع الانصباب. ومنه يقال: همر للرجل إذا كثر من الكلام، وأسرع فيه. قرأ ابن عامر: {فَفَتَحْنَا} بتشديد التاء على تكثير الفعل. وقرأ الباقون: بالتخفيف، لأنها فتحت فتحاً واحداً.
قوله عز وجل: {وَفَجَّرْنَا الارض عُيُوناً} يعني: أخرجنا من الأرض عيوناً مثل الأنهار الجارية {فَالْتَقَى الماء} يعني: ماء السماء، وماء الأرض، {على أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} يعني: على وقت قد قضى {وَحَمَلْنَاهُ} يعني: حملنا نوحاً {على ذَاتِ ألواح} يعني: على سفينة قد اتخذت بألواح {وَدُسُرٍ} يعني: سفينة قد شدت بالمسامير.
وقال بعضهم: كانت سفينة نوح من صاج. وقال بعضهم: من خشب شمشار. ويقال: من الجوز. وقال القتبي: الدسر المسامير، واحدها دسار، وهي أيضاً الشريط الذي يشد بها السفينة.
ثم قال: {تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا} يعني: تسير السفينة بمنظر منا، وأمرنا. ويقال: بمراد وحفظ منا. وقال الزجاج في قوله: {فَالْتَقَى الماء} ولم يقل الماءان، لأن الماء

اسم لجميع ماء السماء، وماء الأرض. فلو قال: ماءان لكان جائزاً، لكنه لم يقل.
ثم قال: {جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} يعني: الحمل على السفينة، ثواب لنوح الذي كفر به قومه. وقرأ بعضهم: {جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} بالنصب يعني: الفرق عقوبة لمن كذب بالله تعالى، وبنوح.

تفسير الآيات رقم [15- 20]

{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)}
قوله تعالى: {وَلَقَدْ تركناها ءايَةً} أي: سفينة نوح أبقيناها عبرة للخلق. وقال بعضهم: يعني: تلك السفينة بعينها كانت باقية على الجبل إلى قريب من خروج النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: يعني: جنس السفينة صارت عبرة، لأن الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة، فاتخذت الناس السفن بعد ذلك في البحر، فلذلك كانت آية للناس.
ثم قال: {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: هل من معتبر يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح، فيترك المعصية. ويقال: فهل من مذكر يتعظ بأنه حق، ويؤمن به. وقال أهل اللغة: أصل مدكر، مفتعل من الذكر، مذتكر، فأدغمت الذال في التاء، ثم قلبت دالاً مشددة.
ثم قال: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ} يعني: كيف رأيت عذابي، وإنذاري لمن أنذرهم الرسل، فلم يؤمنوا، والنذر بمعنى الإنذار.
قوله عز وجل: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان} يعني: هوّنا القرآن {لِلذّكْرِ} يعني: للحفظ. ويقال: هونا قراءاته. وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لَوْلا قَوْلُ الله تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} {مَا أَلقى مَعَاذِيرَهُ} {لاَ تُحَرّكْ بِهِ} ويقال: هوناه لكي يذكروا به ثم قال: {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: متعظ، يتعظ بما هون من قراءة القرآن. وروى الأسود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} بالدال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَهَلْ مِنْ مُذَّكِرٍ " يعني: بالذال.

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ عَادٌ} يعني: كذبوا رسولهم هود {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ} يعني: أليس وجوده حقاً، ونذر جمع نذير قال القتبي: النذر جمع النذير، والنذير بمعنى الإنذار، مثل التنكير بمعنى الإنكار. يعني: كيف كان عذابي، وإنكاري.
ثم بيّن عذابه فقال عز وجل: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً} يعني: سلطنا عليهم ريحاً باردة {فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرّ} يعني: شديدة استمرت عليهم، لا تفتر عنهم سبع ليال، وثمانية أيام، حسوماً دائمة {تَنزِعُ الناس} يعني: تنزع أرواحهم من أجسادهم، وهذا قول مقاتل. ويقال: {فِى يَوْمِ نَحْسٍ} يعني: يوم مشؤوم عليهم: {مُّسْتَمِرٌّ} يعني: استمر عليهم بالنحوسة. وقال القتبي: الصرصر ريح شديدة ذات صوت تنزع الناس. يعني: تقلعهم من مواضعهم. {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ} يعني: صرعهم، فكبهم على وجوههم كأنهم أصول نخل منقلعة من الأرض، فشبههم لطولهم بالنخيل الساقطة. وقال مقاتل: كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً. وقال في رواية الكلبي: كان طول كل واحد منهم سبعين ذراعاً، فاستهزؤوا حين ذكر لهم الريح، فخرجوا إلى الفضاء، فضربوا بأرجلهم، وغيبوها في الأرض إلى قريب من ركبهم، فقالوا: قل للريح حتى ترفعنا، فجاءت الريح فدخلت تحت الأرض، وجعلت ترفع كل اثنين، وتضرب أحدهما على الآخر بعدما ترفعهما في الهواء، ثم تلقيه في الأرض، والباقون ينظرون إليهم حتى رفعتهم كلهم، ثم رمت بالرمل والتراب عليهم، وكان يسمع أنينهم من تحت التراب كذا وكذا يوماً.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 31]

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (26) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (30) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31)}
قال الله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} وقد ذكرناه {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنذر} يعني: صالحاً حين أتاهم {فَقَالُواْ

أَبَشَراً مّنَّا واحدا} يعني: خلقاً مثلنا {نَّتَّبِعُهُ} في أمره {إِنَّا إِذاً لَّفِى ضلال وَسُعُرٍ} يعني: إنا إذا فعلنا ذلك {لَفِى} خطأ وعناء. وقال الزجاج: يعني: إنا إذا فعلنا ذلك {لَفِى ضلال} وجنون. وهذا كما يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها جنون. ويجوز أن يكون {وَسُعُرٍ} جمع في معنى العذاب.

ثم قال عز وجل: {الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ} يعني: اختص بالنبوة، والرسالة من بيننا، {بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} يعني: كاذباً على الله {أَشِرٌ} يعني: بطراً متكبراً.

قوله عز وجل: حدّثنا {سَيَعْلَمُونَ غَداً} قرأ ابن عامر، وحمزة {ستعلمون} بالتاء على معنى المخاطبة. يعني: أن صالحاً قال لهم {ذلك غَداً} والباقون: بالياء على معنى الخبر عنهم من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم أنهم يعلمون غداً يعني: يوم القيامة {مَّنِ الكذاب الاشر} أهم، أم صالح؟ ومعناه: أنه يتبين لهم أنهم هم الكاذبون، وكان صالحاً صادقاً في مقالته.

ثم قال: {إِنَّا مُرْسِلُواْ} يعني: نخرج لهم {الناقة} وذلك حين سألوا صالحاً بأن يخرج لهم ناقة من الحجر، فدعا صالح ربه، فأوحى الله تعالى إليه أني مخرج الناقة {فِتْنَةً} يعني: بلية {لَّهُمْ فارتقبهم} يعني: انتظر هلاكهم {واصطبر} على الإيذاء.

قوله تعالى: {وَنَبّئْهُمْ} يعني: وأخبرهم {أَنَّ الماء قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ} يوم للناقة، ويوم لأهل القرية {كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ} يعني: إذا كان يوم الناقة تحضر الناقة، ولا يحضرون، وإذا كان يومهم لا تحضر الناقة، وكل فريق يحضر في نوبته {فَنَادَوْاْ صاحبهم} يعني: مصدع أو قذار {فتعاطى فَعَقَرَ} يتناول الناقة بالسهم يعقرها {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحدة} يعني: صيحة جبريل عليه السلام {فَكَانُواْ كَهَشِيمِ المحتظر} قال قتادة: يعني: كرماد محترق. وقال الزجاج: الهشيم ما يبس من الورق، وتحطم، وتكسر قرأ بعضهم: {كَهَشِيمِ المحتظر} بنصب الظاء. وقراءة العامة: بالكسر: فمن قرأ بالنصب فهو اسم الحظيرة، ومعناه: كهشيم المكان الذي يحضر فيه الهشيم. ومن قرأ بالكسر: فهو صاحب الحظيرة، يعني: يجمع الحشيش في الحظيرة، لغنمه فداسته الغنم.

▲ تفسير الآيات رقم [32- 40]

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (32) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ

نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (36) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (37) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (39) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (40)}

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان لِلذِّكْرِ} يعني: سهلناه للحفظ، لأن كُتب الأولين يقرؤها أهلها نظراً، ولا يكادون يحفظون من أولها إلى آخرها، كما يحفظ القرآن {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: متعظ به.

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بالنذر} يعني: بالرسل، لأن لوطاً عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بجميع الرسل، فكذبوهم، ولم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعالى.

وهو قوله: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حاصبا} يعني: حجارة من فوقهم {إِلاَّ الَ لُوطٍ نجيناهم بِسَحَرٍ} يعني: وقت السحر.

قوله تعالى: {نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا} يعني: رحمة من عندنا على آل لوط. صار نعمة نصباً لأنه مفعول. ومعناه: ونجيناهم بالإنعام عليهم {كَذَلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ} يعني: هكذا يجزي الله تعالى من شكر نعمته، ولم يكفرها. ويقال: {مَن شَكَرَ} يعني: من وحد الله تعالى، لم يعذبه في الآخرة مع المشركين، فكما أنجاهم في الدنيا ينجيهم في الآخرة، ولا يجعلهم مع المشركين.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا} يعني: خوفهم لوط عقوبتنا {فَتَمَارَوْاْ بالنذر} يعني: شكوا بالرسل، فكذبوا، يعني: لوط. ويقال: معناه شكوا بالعذاب الذي أخبرهم به الرسل أنه نازل بهم.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ} يعني: طلبوا منه الضيافة، وكانت أضيافه جبريل مع الملائكة، فمسح جبريل بجناحه على أعينهم، فذهب أبصارهم، وذلك قوله: {فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} يعني: أذهبنا أعينهم، وأبصارهم، {فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الخبر. يعني: فذوقوا عذاب الله تعالى، أي: عقوبة الله ما أخبر الله تعالى.

ثم قال: {وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ} يعني: أخذهم وقت الصبح عذاب دائم. يعني: عذاب الدنيا موصولة بعذاب الآخرة {فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ} يقال لهم: ذوقوا عذاب الله تعالى، وإنذاره.

ثم قال: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} وقد ذكرناها.

▲ تفسير الآيات رقم [41- 48]

{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاء ءالَ فِرْعَوْنَ النذر} يعني: الرسل وهو موسى، وهارون، {كَذَّبُواْ بئاياتنا كُلَّهَا} يعني: بالآيات التسع {فأخذناهم} يعني: عاقبناهم عند التكذيب، {أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ} يعني: عقوبة منيع بالنقمة على عقوبة الكفار، مقتدراً يعني: قادراً على عقوبتهم، وهلاكهم.

ثم خوف كفار مكة فقال: {أكفاركم خَيْرٌ مّنْ أُوْلَئِكُمْ} يعني: أكفاركم أقوى في النذر من الذين ذكرناهم، فأهلكهم الله تعالى، وهو قادر على إهلاكهم {أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِى الزبر} يعني: براءة في الكتب من العذاب. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر. يعني: ليس لكم براءة، ونجاة من العذاب.

ثم قال عز وجل: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ} يعني: ممتنع من العذاب يقول الله تعالى: {سَيُهْزَمُ الجمع} يعني: سيهزم جمع أهل مكة في الحرب {وَيُوَلُّونَ الدبر} يعني: ينصرفون من الحرب، منهزمين. يعني: به: يوم بدر، وفي هذا علامة من علامات النبوة، لأن هذه الآية نزلت بمكة، وأخبرهم أنهم سيهزمون في الحرب، فكان كما قال. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، أن عمر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: {سَيُهْزَمُ الجمع وَيُوَلُّونَ الدبر} فكنت لم أعلم ما هي، وكنت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثبت في الدرع، ويقول: «سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلَّوْنَ الدُّبَر» وقال الزجاج: «ويولون الدبر» يعني: الإدبار، كقوله تعالى: {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يقاتلوكم يُوَلُّوكُمُ الادبار ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} [آل عمران: 111] لأن اسم الواحد يدل على الجمع، وكذلك قوله تعالى: {إِنَّ المتقين فِى جنات وَنَهَرٍ} [القمر: 54] أي: أنهار. وذكر عن الفراء أنه قال: إنما وحّد لأنه رأس آية تقابل بالتوحيد رؤوس الآي. وكذلك في الدبر، لموافقته رؤوس الآي.

ثم قال: {بَلِ الساعة مَوْعِدُهُمْ} يعني: مجمعهم {والساعة أدهى وَأَمَرُّ} يعني: عذاب الساعة أعظم وأشد من عذاب الدنيا.

ثم وصف عذاب الآخرة فقال: {إِنَّ المجرمين فِى ضلال وَسُعُرٍ} يعني: المشركين في الدنيا في ضلالة، وخطأ، وخلاف، وفي سعير في الآخرة. والسعر جماعة السعير. ويقال: {السعر} يعني: في عناء.

ثم أخبرهم بمستقرهم فقال عز وجل: {وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النار على وُجُوهِهِمْ} يعني: يجرون في النار على وجوههم، ويقول لهم الخزنة: {ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ} يعني: عذاب النار.

▲ تفسير الآيات رقم [49- 55]

{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (53) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55)}

ثم قال: {إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خلقناه بِقَدَرٍ} يعني: خلقنا لكل شيء شكله مما يوافقه. وروي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: هذه الآية نزلت في أهل القدر {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النار على وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خلقناه بِقَدَرٍ} وقال محمد بن كعب القرظي: {إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خلقناه بِقَدَرٍ} نزلت تعبيراً لأهل القدر. قال أبو الليث: حدّثنا أبو جعفر. قال: حدّثنا أبو القاسم، حدّثنا محمد بن الحسن، حدّثنا سفيان عن وكيع، عن زياد بن إسماعيل، عن محمد بن عبادة، عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر، فنزلت الآية {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النار على وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خلقناه بِقَدَرٍ} وروى الضحاك، عن ابن عباس في قوله: {إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خلقناه بِقَدَرٍ} قال: خلق لكل شيء من خلقه ما يصلحهم من رزق، ومن الدواب، وخلق لدواب البر، ولغيرها من الرزق ما يصلحها، وكذلك لسائر خلقه.

قوله عز وجل: {وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ واحدة} يعني: وَمَا أمرنا بقيام الساعة إلا مرة واحدة {كَلَمْحٍ بالبصر} يعني: كرجع البصر. ومعناه: إذا أمرنا بقيام الساعة واحدة، فنقول: كن فيكون أقرب من طرف البصر.

ثم قال: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أشياعكم} يعني: عَذَّبنا أشباهكم، وأهل ملتكم. ويقال: إخوانكم حين كذبوا رسلهم {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: معتبر يعتبر فيكم، فيعلم أن ذلك حق، ويخاف عقوبة الله.

ثم قال عز وجل: {وَكُلُّ شَئٍ فَعَلُوهُ فِى الزبر} يعني: وكل شيء عملوه في الكتاب يحصى عليهم {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ} يعني: مكتوباً في اللوح المحفوظ.

ثم قال: {إِنَّ المتقين} يعني: الذين يتقون الشرك، والفواحش، {فِى جنات وَنَهَرٍ} يعني: في بساتين، وأنهار جارية، {فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ} يعني: في أرض كريمة. ويقال في مجلس حسن، وهي أرض (الجنة) {عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} يعني: في جوار مليك، قادر على الثواب، قادر على خلقه، مثيب، ومعاقب. وقال القتبي: النهر الضياء، والسعة، من قولك انهرت الطعنة إذا وسعتها. [قال أبي بن كعب رضي الله عنه: من قرأ سورة اقتربت الساعة في كل غب بعثه الله تعالى ووجهه مثل القمر ليلة البدر، وإن قرأ بها في كل ليلة كان أفضل]. والله أعلم بالصواب.

▲ سورة الرحمن

▲ تفسير الآيات رقم [1- 11]

{الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11)}

قوله تبارك وتعالى: {الرحمن عَلَّمَ القرءان} وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: {اسجدوا للرحمن} قال كفار مكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب. فأنزل الله تعالى: {الرحمن} فأخبر عن نفسه، وذكر صفة توحيده، فقال: {الرحمن} يعني: الرحمن الذي أنكروه {عَلَّمَ القرءان} يعني: أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليقرأ عليه جبريل عليه السلام، ويعلمه، {خَلَقَ الإنسان} يعني: الذي خلق آدم من أديم الأرض. ويقال: خلق محمداً. ويقال: {خَلَقَ الإنسان} أراد به جنس الإنسان. يعني: جعله مخبراً، مميزاً، حتى يميز الإنسان من جميع الحيوان {عَلَّمَهُ البيان} يعني: الكلام. ويقال: يعني: الفصاحة. ويقال: الفهم. ثم قال: {الشمس والقمر بِحُسْبَانٍ} يعني: بحساب، ومنازل، ولا يتعدانها. ويقال: {بِحُسْبَانٍ} يعني: يدلان على عدد الشهور، والأوقات، ويعرف منها الحساب {والنجم والشجر يَسْجُدَانِ} {والنجم} كل نبات ينبسط على وجه الأرض ليس له ساق، مثل الكرم، والقرع، ونحو ذلك، {أَوْ الشجر} كل نبات له ساق {يَسْجُدَانِ} يعني: ظلهما يسجدان لله تعالى في أول النهار، وآخره ويقال: {يَسْجُدَانِ} يعني: يسبحان الله تعالى كما قال: {وَإِن مّن شَىْء إِلاَّ يُسَبّحُ بِحَمْدَهِ} ويقال: خلقهما على خلقه، فيها دليل لربوبيته، ويدل الخلق على سجوده. وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: {والنجم والشجر يَسْجُدَانِ} قال: نجوم السماء، وأشجار الأرض، يسجدان بكرة وعشياً.

ثم قال عز وجل: {والسماء رَفَعَهَا} يعني: من الأرض مسيرة خمسمائة عام {وَوَضَعَ الميزان} يعني: أنزل الميزان للخلق، يوزن به، وإنما أنزل في زمان نوح عليه السلام، ولم يكن قبل ذلك ميزان {أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِى الميزان} يعني: لكي لا تظلموا في الميزان. ويقال: ووضع الميزان. يعني: أنزل العدل في الأرض ألا تطغوا في الميزان. يعني: لكي لا تميلوا عن العدل {وَأَقِيمُواْ الوزن بالقسط} يعني: اعدلوا في الوزن {وَلاَ تُخْسِرُواْ الميزان} يعني: لا تنقصوا حقوق الناس في الوزن. ويقال: {وَأَقِيمُواْ الوزن} يعني: أقيموا اللسان بالقول، {وَلاَ تُخْسِرُواْ الميزان} يعني: لا تقولوا بغير حق. {والارض وَضَعَهَا لِلأْنَامِ} يعني: بسط الأرض للخلق {فِيهَا فاكهة} يعني: وخلق من الأرض، من ألوان الفاكهة، {والنخل ذَاتُ الاكمام} يعني: ذات النخيل الطويل، الموقرة بالطلع، ذات الخلق، وإنما العجائب في خلقه، وما يتولد منه لأنه يتولد من النخيل، من المنافع ما لا يحصى. وقال القتبي: {ذَاتُ الاكمام} يعني: ذات الكوى قبل أن تتفتق، وغلاف كل شيء أكمه {ذَاتُ الاكمام} يعني: ذات الغلاف.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 18]

{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18)}

ثم قال: {والحب ذُو العصف} يعني: ذو الورق {والريحان} يعني: ثمره. وقال مجاهد: {العصف} يعني: ورق الحنطة {والريحان} الرزق. وقال الضحاك: الحب، الحنطة، والشعير، {والعصف}: التبن وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: {ذُو العصف} الزرع {والريحان} الورق بلسان حمير. ويقال: {العصف} السنبل {والريحان} ثمرته، وما ينتفع به. ويقال: {***الريحان} يعني: الرياحين، جمع الريحان وهو نبت لا ساق له. قرأ ابن عامر: {الاكمام والحب ذُو العصف} بنصب الباء، وإنما نصبه لأنه عطف على قوله: {الارض وَضَعَهَا لِلأْنَامِ} {والحب} يعني: وخلق الحب ذا العصف {والريحان}. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: {والحب ذُو العصف والريحان} بضم النون والباء، لأنه عطف على قوله: {فِيهَا

فاكهة} وقرأ حمزة، والكسائي، هكذا إلا أنَّهما كسرا النون في قوله: {والريحان} عطفاً على {العصف} على وجه المجاورة.
وقد ذكر الله تعالى من أول السورة نعماءه، ثم خاطب الإنس والجن فقال: {فَبِأَىِّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} وإن لم يسبق ذكرهما، لأن في الكلام دليلاً، وقد ذكرهما من بعده، وهو قوله: {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس} وقال: {فَبِأَىِّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فبأي نعمة من نعماء ربكما أيها الجن والإنس {تُكَذّبَانِ} يعني: تتجاحدان بأنها ليست من الله تعالى. قال بعضهم: {الله لَعَلَّكُمْ} ونعماء الله واحد. إلا أن الآلاء أعم، والنعماء أخص. ويقال: الآلاء النعمة الظاهرة وهو التوحيد، والنعماء: النعمة الباطنة وهو المعرفة بالقلب، كقوله: {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السماوات وَمَا فِى الارض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهرة وَبَاطِنَةً وَمِنَ الناس مَن يجادل فِى الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كتاب مُّنِيرٍ} [لقمان: 20] وقال بعضهم: {***الآلاء} إيصال النعم، والنعماء رفع البلايا. مثاله أن رجلاً لو كانت له يد شلاء فله الآلاء وليست النعماء. وكذلك لسان الأخرس، ورجل مقعد، فله الآلاء، وليست له النعماء. وأكثر المفسرين لم يفصلوا بينهما، وقد ذكر في هذه السورة دفع البلية، وإيصال النعمة. فكل ذلك سماه الآلاء. وروى محمد بن المنذر، عن جابر، بن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على أصحابه سورة الرحمن، فسكت القوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الجنُّ كَانُوا أَحْسَنَ رَدّاً مِنْكُمْ، مَا قَرَأْتَ عَلَيْهِمْ {والريحان فَبِأَىِّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} إلاَّ قَالُوا: ولا بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَلَكَ الحَمْدُ». وفي رواية أخرى: أنه قال: «مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ إلاَّ قَالُوا وَلا بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَلَكَ الْحَمْدُ».
ثم قال: {خَلَقَ الإنسان} يعني: آدم {مِن صلصال} يعني: الطين اليابس الذي يتصلصل أي: يصوت، كما يصوت الفخار.
ويقال: الصلصال الطين الجيد الذي ذهب عنه الماء، وتشقق. {كالفخار} يعني: الطين الذي يصنع به الفخار. وقال في موضع آخر: {ياأيها الناس إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ البعث فَإِنَّا خلقناكم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لّنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الارحام مَا نَشَآءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لتبلغوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يتوفى وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العمر لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الارض هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المآء اهتزت وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: 5] وقال في موضع

آخر: {الذى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ} [السجدة: 7]
وقال في موضع آخر: {مِن صلصال} فهذا كله قد كان حالاً بعد حال.
{وَخَلَقَ الجان} يعني: أبا الجن. ثم قال هو إبليس: {مِن مَّارِجٍ مّن نَّارٍ} يعني: من لهب من نار، وليس لها دخان. وقال بعضهم: خلق من نار جهنم. وقال بعضهم: من النار التي بين الكلة الرقيقة بين السماء، ومنها يكون البرق، ولا يرى السماء إلا من وراء تلك الكلة.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فبأي نعمة أنتم. يعني: خلقكم أيها الإنس من نفس واحدة، وخلقكم أيها الجن من نفس واحدة. فكيف تنكرون هذه النعمة أنها ليست من الله تعالى؟.
ثم قال: {رَبُّ المشرقين وَرَبُّ المغربين} يعني: هو {رَبُّ المشرقين} مشرق الشمس، ومشرق القمر. وقيل: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف {وَرَبُّ المغربين} يعني: مغرب الشتاء، والصيف.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: نعمة أنتم من نعمائه أيها الجن والإنس تتجاحدان؟ ومعناه: أنتم حيث ما كنتم من مشارق الأرض ومغاربها في ملك الله تعالى، وتأكلون رزقه، وهو عالم حيث ما كنتم، وهو حافظكم، وناصركم، فكيف تنكرون هذه النعم.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 32]

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32)}
قوله عز وجل: {مَرَجَ البحرين يَلْتَقِيَانِ} يعني: أرسل البحرين. ويقال: خلَّى البحرين. ويقال: خلق البحرين {يَلْتَقِيَانِ} يعني: مالح، وعذب، {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ} يعني: حاجز {لاَّ يَبْغِيَانِ} يعني: لا يختلطان فيغير طعمه. وأصل البغي: التطاول، والجَوْرُ، والظلم. وقال بعضهم: بينهما حاجز لطيف لا يراه الخلق، وإنما العبرة في ذلك أنه لا يرى. ويقال: بعضهم ليس هناك شيء،

وإنما تمنعهما من الاختلاط قدرة الله تعالى. ويقال: {يَلْتَقِيَانِ} أي: يتقابلان أحدهما بحر الروم، والآخر بحر فارس. وقيل: بحر الهند {وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ} أي: لا يختلطان {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ}. بلطف الله تعالى أي: باللطف تمنع عن الامتزاج، وهما بحر واحد، لن يمس أحدهما بالآخر. وقال الزجاج: البرزخ الحاجز، فهما من دموع العين مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان.
وقيل: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ} أي: جزيرة العرب. وقيل: بحر السماء، والأرض، كقوله تعالى: {فَفَتَحْنَآ أبواب السمآء بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الارض عُيُوناً فَالْتَقَى المآء على أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} [القمر: 11، 12] وبينهما برزخ الهواء، والأرض، وسكان الأرض.
ثم قال: {فَبِأَيِّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: خلق البحرين لمنفعة الخلق، وبين لكم العبرة، وقدرته، ولطفه، لتعتبروا به، وتوحدوه، فكيف تنكرون هذه النعمة بأنها ليست من الله تعالى؟.
ثم قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا الُّلؤْلُؤُ} يعني: من بحر مالح اللؤلؤ {وَالمَرْجَانُ} ما صغر منه. ويقال: اللؤلؤ يعني: الصغار {وَالمَرْجَانُ} يعني: العظام.
وقرأ نافع وأبو عمرو {يَخْرُجُ} بضم الياء ونصب الراء على فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: بنصب الياء، وضم الراء. وقرأ بعضهم: بكسر الراء. يعني: يخرج الله تعالى، ونصب اللؤلؤ، والمرجان لأنه مفعول به.
ثم قال: {فَبِأَيِّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: خلق في البحر اللؤلؤ لمنفعة الخلق، ولصلاحهم، ولكي تعتبروا به، فكيف تنكرون هذه النعمة.
ثم قال عز وجل: {وَلَهُ الجوار * لِتَجْرِىَ فِى البحر} يعني: السفن التي تجري في الماء {كالاعلام} يعني: كالجبال فشبّه السفن في البحر بالجبال في البر.
وقرأ حمزة {المنشآت} بكسر الشين. والباقون: بالنصب. فمن قرأ: بالكسر يعني: المبتدئات في السير.
ثم قال: {والريحان فَبِأَيِّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} أنه جعل السفن في البحر لمنفعة الخلق، فكيف تنكرون هذه النعمة بأنها ليست من الله تعالى.
ثم قال عز وجل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} يعني: كل شيء على وجه الأرض يفنى {ويبقى وَجْهُ رَبّكَ} يعني: ذو الملك، والعظمة، والإكرام، {ذُو الجلال والإكرام} يعني: ذو الملك، والعظمة، والإكرام، يعني: ذو الكرم، والتجاوز، فلما نزلت هذه الآية، قالت الملائكة: هلكت بنو آدم، فلما نزل {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الموت} أيقنوا بهلاك أنفسهم، وهذا من النعم، لأنه يحذرهم، وبين لهم ليتهيؤوا لذلك.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} ومعناه إن الله تعالى يعينكم، فتوكلوا عليه، ولا تعتمدوا على الناس، لأنهم لا يقدرون على دفع الهلاك عن أنفسهم، والله هو الباقي بعد فناء الخلق، وهو الذي يتجاوز عنكم، ويعينكم، فكيف تنكرون ربكم الذي خلقكم، وأحسن إليكم؟.
قوله تعالى: {يَسْأَلُهُ مَن فِى * السموات والارض} يعني: الملائكة يسألون لأهل الأرض المغفرة، ويسأل أهل الأرض جميع حوائجهم من الله تعالى.
ثم قال: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ} يعني: في كل يوم يُعز، ويذل، ويحيي، ويميت، ويعطي، ويمنع. وذلك أن اليهود قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً فنزل {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ} فأخبر الله تعالى أنه يقضي في جميع الأيام، وكان هذا من النعم. وذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي أرسل إلى محمد بن الحنفية يتوعده قال: لأفعلن بك كذا وكذا. فأرسل إليه محمد بن الحنفية وقال: إن الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة إلى اللوح المحفوظ، وكل يوم يعز، ويذل، ويعطي، ويمنع، فأرجو أن يرزقني الله تعالى ببعض نظراته، أن لا يجعل لك علي سلطان. فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك بهذه الكلمات التي قالها محمد بن الحنفية، ووضعها في خزانته، فكتب إليه ملك الروم يتوعده في شيء، فكتب إليه عبد الملك بتلك الكلمات التي قالها محمد بن الحنفية، فكتب إليه صاحب الروم: والله ما هذا من كنزك، ولا من كنز أهل بيتك، ولكنها من كنز أهل بيت النبوة.
ثم قال عز وجل: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: تجحدون نعمته، وأنتم تسألون حوائجكم منه.
قوله عز وجل: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثقلان} أي: سنحفظ عليكم أعمالكم أيها الجن والإنس. فنجازيكم بذلك. وروى جبير عن الضحاك في قوله: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثقلان} قال: هذا وعيد من غير شغل. إن الله تعالى لا يشغل بشيء. وقال الزجاج: الفارغ في اللغة على ضربين. أحدهما: الفراغ من الشغل، والآخر القصد للشيء، كما تقول سأفرغ لفلان أي: سأجعل قصدي له. قرأ حمزة، والكسائي، {الله لَكُمْ} بالياء. والباقون: بالنون. وكلاهما يرجع إلى معنى واحد. يعني: سيحفظ الله عليكم أعمالكم، ويحاسبكم بما تعملون.

ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: ما عملتم فإنه لا ينسى، ولا يمنح ثوابه، وينصفكم من ظلمكم، فكيف تنكرون هذه النعم بأنها ليست من الله تعالى؟ واعلموا أن هذه النعم كلها من الله، فاشكروه. فكيف تنكرون من هو يجازيكم بأعمالكم، ولا يمنع ثواب حسناتكم، وينصركم على أعدائكم؟ فهذه النعم كلها من الله، فاشكروه، ووحدوه.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 44]

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ (44)}

ثم قال: {يامعشر الجن والإنس إِنِ استطعتم} يعني: إن قدرتم {أَن تَنفُذُواْ مِنْ أقطار السموات والارض} يعني: أن تخرجوا من أطراف السَّمَوَاتِ، والأرض، ونواحيها، {فانفذوا} يعني: فاخرجوا إن استطعتم. قال مقاتل: هذا الخطاب للجن، والإنس في الدنيا. يعني: إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السماوات والأرض هروباً من الموت، فانفذوا {لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بسلطان} يعني: أينما أدرككم الموت. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذا الخطاب في يوم القيامة، وذلك أن السماء تتشقق بالغمام، وتنزل ملائكة السموات، ويقومون حول الدنيا محيطين بها، وجاء الروح وهو ملك يقوم صفّاً وهو أكبر من جميع الخلق، فحينئذ يقال لهم: {إِنِ استطعتم أَن تَنفُذُواْ مِنْ أقطار السموات والارض فانفذوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بسلطان} يعني: لا تنجون إلا بحجة، وبرهان.

ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فبأي نعمة من نعمائه تجحدون حيث بيّن لكم أحوال يوم القيامة حتى تتوبوا، وترجعوا. ويقال: معناه ذلك اليوم لا يفوته أحد ولا يعينكم أحد غيره، فكيف تجحدون هذه النعم.

ثم قال: {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مّن نَّارٍ} يعني: يرسل على كفار الجن، وكفار الإنس، لهب من النار {وَنُحَاسٌ} يعني: الصُّفْر المذاب يعذبون بهما. ويقال: دخان لهب فيه. ويقال: النحاس هو لباس أهل النار {فَلاَ تَنتَصِرَانِ} يعني: لا

تُمْنعان من ذلك. قرأ ابن كثير: {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ} بكسر الشين. والباقون: بالضم. فهما لغتان، ومعناهما واحد. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: {وَنُحَاسٌ} بكسر السين. والباقون: بالضم. فمن قرأ بالكسر عطف على قوله من نار، ومن قرأ بالضم عطف على قوله شواظ.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: لا يعينكم أحد غير الله، ولا يحفظكم حين يرسل عليكم العذاب إلا الله فكيف تنكرون قدرته وتوحيده؟.
ثم قال عز وجل: {فَإِذَا انشقت السماء} يعني: انفرجت السماء لنزول الملائكة، كقوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السمآء بالغمام وَنُزِّلَ الملئكة تَنزِيلاً} [الفرقان: 25].
ثم قال: {فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدهان} يعني: صارت كدهن الورد الصافي، وهذا قول مقاتل. وقال القتبي: صارت حمراء في لون الفرس. يعني: بمنزلة الدابة الجُلْجُون الذي تغير لونه في كل وقت، يرى لونه على خلاف اللون الأول، ويقال له: المورد ويقال: الدهن الأديم الأحمر بلغة الفارسي. يعني: الفرس الذي يكون لونه لون الورد الأحمر، يعنون أخضر يضرب إلى سواد، يتغير لونه بياض. ويقال: من هيبة ذلك زاغ فيرى أنه كالدهن.
ثم قال عز وجل: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: إذا كان يوم القيامة، تغيرت السموات من هيبته، ويأمر الخلق بالحساب، فهو الذي ينجيكم من هول ذلك اليوم، فكيف تنكرون هذه النعمة.
ثم قال عز وجل: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْئَلُ عَن ذَنبِهِ} يعني: عن علمه {إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ} يعني: إنسياً، ولا جنياً لأن الله تعالى قد أحصى عليه: ويقال: لا يسأل سؤال استفهام، ولكن يسأل سؤال التوبيخ والزجر كقوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: 92] ويقال لا يسأل الكافر لأنه عرف بعلامته.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: إذا كان يوم القيامة، أعطاكم الثواب، وأدخلكم في جنته، فكيف تنكرون وحدانيته؟ ويقال: معناه إن الله قد بين لكم أنه يعلم أعمالكم، ونهاكم عن الذنوب، وتجاوز عنكم، فكيف تنكرون، وحدانيته.
قوله عز وجل: {يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم} يعني: يُعرف الكافر بسواد الوجوه، وزرقة الأعين، {فَيُؤْخَذُ بالنواصى والاقدام} وذلك أن خزنة جهنم بعد الحساب، يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون بين نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم على وجوههم، فيطرحونهم في النار.

ثم قال: {فَبِأَيّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: هو الذي يدفع عنكم ذلك العذاب إن آمنتم به، وأطعتموه ووحدتموه، فكيف تنكرون هذه النعمة؟.

ثم قال عز وجل: {هذه جَهَنَّمُ} وذلك أن الكفار إذا دنوا من النار، تقول لهم الخزنة: هذه جهنم {التى يُكَذّبُ بِهَا المجرمون} يعني: جهنم التي كنتم بها تكذبون في الدنيا.

ثم أخبر عن حالهم فيها فقال: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءانٍ} يعني: الشراب الحار الذي قد انتهى حره، وذلك أنه يسلط عليهم الجوع، فيؤتى بهم إلى الزقوم الذي طلعه كرؤوس الشياطين، فأكلوا منه، فأخذ في حلقهم، فاستغاثوا بالماء، فأتوا من الحميم. فإذا قربوا إلى وجوههم، تناثر لحم وجوههم، فيشربون، فيغلي في أجوافهم، ويخرج جميع ما فيها، ثم يلقى عليهم الجوع، فمرة يذهب بهم إلى الحميم، ومرة إلى الزقوم، فذلك قوله تعالى: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءانٍ}.

▲ تفسير الآيات رقم [45- 61]

{فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61)}

ثم قال: {فَبِأَيّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: هو الذي ينجيكم من عذاب الآخرة، إن أطعتم أمره، وآمنتم برسله، فكيف تنكرون وحدانية الله تعالى؟ ويقال: معناه إن إخباري إياكم بهذه العقوبة نعمة لكم، لكي تنتهوا عن الكفر والمعاصي، فلا تنكروا نعمتي عليكم.

فقد ذكر الله في هذه الآيات دفع البلاء، ثم ذكر إيصال النعم لمن اتقاه وأطاع أمره، فقال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ جَنَّتَانِ} يعني: من خاف عند المعصية مقام يوم القيامة بين يدي ربه، فانتهى عن المعصية، فله في الآخرة {جَنَّتَانِ} يعني: بستانان. وقال مجاهد: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله عندها، فيدعها، فله أجران. وذكر عن الفراء أنه قال: {جَنَّتَانِ} أراد به جنة واحدة، وإنما

ذكر {جَنَّتَانِ} للقوافي، والقوافي تحتمل الزيادة والنقصان ما لا يحتمل الكلام. وقال القتبي: هذا لا يجوز، لأن الله قد وعد ببستانين، فلا يجوز أن يريد بهما واحداً، فلو جاز هذا لجاز أن يقال في قوله: تسعة عشر إنما هم عشرون، ولكن ذكر للقوافي.

ثم قال: {فَبِأَىِّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يعني: بأي نعمة من نعماء الله تعالى تتجاحدان؟ إذ جعل الجنة ثواب أعمالكم، فكيف تنكرون وحدانية الله تعالى ونعمته؟ قوله تعالى: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} يعني: ذواتاً ألوان. يعني: البساتين فيها ألوان من الثمرات. ويقال: {ذَوَاتَا} أغصان. وقال الزجاج: الأفنان ألوان، وهي الأغصان أيضاً واحدها فَنَنٌ.

ثم قال: {فَبِأَىِّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يعني: قد وُعِدْتُّمُ الجنة، والراحة، فكيف تنكرون وحدانيته ونعمته؟.

ثم قال عز وجل: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} يعني: في البساتين نهران من ماء غير آسن أي: غير متغير.

ثم قال: {فَبِأَىِّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يعني: جعل الأنهار نزاهة لكم زيادة في النعمة، فكيف تنكرون قدرة الله تعالى ونعمته؟.

ثم قال: {فِيهِمَا مِن كُلّ فاكهة زَوْجَانِ} يعني: في هذين البساتين، من كل لون من الفاكهة صنفان، الحلو، والحامض. ويقال: لونان {فَبِأَىِّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يعني: جعل فيهما من الراحة والنزاهة من كل نوع من الفاكهة؟ فكيف تنكرون نعمته وقدرته.

قوله عز وجل: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ} يعني: ناعمين على فرش {بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} هو الديباج الغليظ الأخضر بلغة فارس. وقال مقاتل: {بَطَائِنُهَا} يعني: ظواهرها. وذكر عن الفراء أنه قال: {بَطَائِنُهَا} يعني: الظهارة، وقد تكون الظهارة بطانة، والبطانة ظهارة، لأن كل واحد منهما يكون وجهاً واحداً. وقال القتبي: هذا لا يصح، ولكن ذكر البطانة تعليماً، أن البطانة إذا كانت من استبرق، فالظهارة تكون أجود. وروي عن ابن عباس أنه سئل: أن بطائنها من استبرق فما الظواهر؟ قال هو مما قال الله تعالى: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}.

ثم قال: {وَجَنَى الجنتين دَانٍ} يعني: اجتناؤهما قريب إن شاء تناولهما قائماً، وإن شاء تناولهما قاعداً، وإن شاء متكئاً.

ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: جعل لكم مجالس الملوك مع الفراش المرتفعة، فكيف تنكرون وحدانية الله ونعمته؟.

ثم قال عز وجل: {فِيهِنَّ قاصرات الطرف} يعني: في الجنان من الزوجات غاضات البصر، قانعات بأزواجهن، لا يشتهين غيرهم، ولا ينظرون إلى غيرهم.

قوله تعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ} يعني: لم يمسسهن إنس، {قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ} يعني: لا إنساً، ولا جنياً {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: جعل لكم أزواجاً موافقة لطبعكم، وهن لا يرون غيركم، فكيف تنكرون الله تعالى؟.

ثم وصف الزوجات فقال: {كَأَنَّهُنَّ الياقوت والمرجان} يعني: في الصفاء كالياقوت، وفي البياض كالمرجان، {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: جعلهن بحال تتلذذ أعينكم بالنظر إليهن، فكيف تنكرون وحدانية الله تعالى ونعمته؟.

ثم قال عز وجل: {هَلْ جَزَاء الإحسان إِلاَّ الإحسان} يعني: هل جزاء التوحيد وهو قول لا إله إلا الله إلا الجنة. ويقال: هل جزاء من خاف مقام ربه إلا هاتان الجنتان التي ذكرناها في الآية.

ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فكيف تنكرون نعمة ربكم، حيث جعل ثواب إحسانكم الجنة، وبين لكم لكي تحسنوا، وتنالوا ثواب الله، وإحسانه.

▲ تفسير الآيات رقم [62- 78]

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَامَّتَانِ (64) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)}

ثم قال عز وجل: {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} يعني: من دون الجنتين اللتين ذكرهما، جنتان أخروان. فالأوليان جنة النعيم وجنة عدن، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: قد ذكر للمتقين جنتين، وجنتان أخريان، زيادة على الكرامة. فكيف تنكرون فضل ربكم. وكرامته.

ثم وصف الجنتين الأخريين فقال: {مُدْهَامَّتَانِ} يعني: خضراوان. ويقال: التي تضرب خضرها إلى السواد {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} بعني جعل لكم الجنان المخضرة، لأن النظر في الخضرة يُجلي البصر، فكيف تنكرون وحدانيته.
ثم قال: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} يعني: ممتلئتان فوارتان. وقال القتبي: يعني: تفوران بالماء، والنضخ أكثر من النضح. وقال مجاهد: {نَضَّاخَتَانِ} يعني: مملوءتان من الخير لا ينقطعان {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: كيف تنكرون من جعل لكم فيهما عينان تفوران على الدوام، ولا انقطاع لهما.
ثم قال عز وجل: {فِيهِمَا فاكهة وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} يعني: في الجنتين الأخريين من ألوان الفاكهة. {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} معناه: في الجنتين الأخريين من ألوان الفاكهة، كمثل ما في الأوليين، فأنتم تجدون فيها ألواناً من الثمار، والفواكه. فكيف تنكرون هذه النعمة.
ثم قال عز وجل: {فِيهِنَّ خيرات حِسَانٌ} يعني: في الجنان كلها زوجات حسان. وقال الزجاج: أصله في اللغة خيرات. وقد قرئ بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف. وقال مقاتل: خَيِّرات الأخلاق، حسان الوجوه، {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: في هذه الجنان الأربعة، في كل واحدة منها تجدون خيرة زوجة هي أحسن بما في الأخرى، فكيف تنكرون عزة ربكم ولا تشكرونه.
ثم وصف الخيرات فقال: {حُورٌ مقصورات} يعني: محبوسات {فِى الخيام} على أزواجهن. وقال ابن عباس: الخيمة الواحدة من لؤلؤة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فكيف تنكرون هذه النعمة حين حَبَسَ الأزواج الطيبات لكم إن أطعتم الله؟.
ثم قال عز وجل: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ} يعني: لم يمسسهن إنس قبلهم، ولا جان. قرأ الكسائي: {لَمْ يَطْمُثْهُنَّ} بضم الميم. والباقون: بالكسر. وهما لغتان، ومعناهما واحد. {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ}.
ثم قال: {مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ} يعني: نائمين على المجالس الخضر، على السرر الحسان. ويقال: على رياض {خُضْرٍ وَعَبْقَرِىّ حِسَانٍ} يعني: الزرابيّ الكثيرة الألوان، وهي الطنافس الحسان. وقال مجاهد: {وَعَبْقَرِىّ حِسَانٍ} يعني: الديباج. وقال الزجاج: وإنما قال: {خيرات حِسَانٌ} ولم يقل حسن، لأن العبقري جماعة. يقال: للواحدة عبقرية، كما تقول: ثمرة وثمر لوزة، ولوز،

وأيضاً يكون العبقري اسم جنس، والعبقري كل شيء بولغ في وصفه، والعبقري البُسُط.

ويقال: الطنافس المبسوطة.

ثم قال عز وجل: {فَبِأَيِّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يعني: فبأي نعمة من نعماء ربكما أيها الجن والإنس تتجاحدان مع هذه الكرامات التي بين الله تعالى لكم؟ لتعلموا، فتناولوا تلك الكرامات ما شاء الله.

ثم قال عز وجل: {تبارك اسم رَبِّكَ ذِى الجلال} يعني: ذي الارتفاع. يعني: ارتفاع المنزلة، والقدرة {والإكرام} يعني: الكريم، المتجاوز عن المذنبين. ويقال: الاسم زيادة في الكلام، ومعناه: تبارك ربك. قرأ ابن عامر: {ذُو الجلال} بالواو. والباقون: {ذِى الجلال} بالياء. فمن قرأ: {ذُو} جعله نعتاً للاسم، والاسم رفع. ومن قرأ: بالكسر، جعله نعتاً للرب عز وجل والله أعلم.

سورة الواقعة

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3)}

قوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الواقعة} يعني: قامت القيامة، وإنما سميت القيامة {الواقعة} لثبوتها، وهي النفخة الآخرة. وقال قتادة: هي الصيحة أسمعت القريب، والبعيد، {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} يعني: ليس لها مثوبة، ولا ارتداد. ويقال: ليس لقيامها تكذيب.

ثم وصف القيامة فقال: {خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ} يعني: خفضت أقواماً بأعمالهم، فأدخلتهم النار، ورفعت أقواماً بأعمالهم، فأدخلتهم الجنة. وقال قتادة في قوله: {خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ} يعني: خفضت أقواماً في عذاب الله، ورفعت أقواماً في كرامات الله.

تفسير الآيات رقم [4- 9]

{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9)}

ثم قال عز وجل: {إِذَا رُجَّتِ الارض رَجّاً} يعني: زلزلت الأرض زلزلة، وحركت تحريكاً شديداً، لا تسكن حتى تلقي جميع ما في بطنها على ظهرها. ثم قال: {وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً} يعني: فتتت الجبال فتاً. ويقال: قُلِعت الجبال قَلْعاً. ويقال: كُسِرت الجبال كسراً. {فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً} يعني: تراباً وهو ما يسطع من سنابك الخيل. ويقال: الغبار الذي في شعاع الكوة. وقال القتبي: {وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً} يعني: فتتت حتى صارت كالدقيق، والسويق المبثوث. ثم وصف حال الخلق في يوم القيامة وأخبر أنهم ثلاثة أصناف. اثنان في الجنة، وواحدة في النار.

ثم نعت كل صنف من الثلاثة على حدة، فقال: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثلاثة} يعني: تكونون يوم القيامة ثلاثة أصناف {فأصحاب الميمنة} يعني: الذين يعطون

كتابهم بأيمانهم {مَا أصحاب الميمنة} يعني: ما تدري ما لأصْحاب الميمنة من الخير، والكرامات: {وأصحاب المشئمة} يعني: الذين يعطون كتابهم بشمالهم {مَا أصحاب المشئمة} يعني: ما تدري ما لأصحاب المشئمة من الشرب، والعذاب. ويقال: {الميمنة مَا} يعني: الذين كانوا يوم الميثاق على يمين آدم عليه السلام، ويقال: على يمين العرش {وأصحاب المشئمة} الذين كانوا على شمال آدم عليه السلام. ويقال: على شمال العرش. ويقال: {الميمنة مَا} الذين يكونون يوم القيامة على يمين العرش، ويأخذون طريق الجنة {وأصحاب المشئمة} الذين يأخذون طريق الشمال، فيفضي بهم إلى النار.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 36]

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36)}

ثم قال عز وجل: {والسابقون السابقون} يعني: السابقين إلى الإيمان، والجهاد، والطاعات {السابقون} يعني: هم السَّابِقُونَ إلى الجنة. فذكر الأصناف الثلاثة. أحدها أصحاب اليمين، الثاني أصحاب الشمال، والثالث السابقون.

ثم وصف كل صنف منهم بصفة، فبدأ بصفة السابقين فقال: {أُوْلَئِكَ المقربون} يعني: المقربين عند الله في الدرجات {فِي جنات النعيم} يعني: في جنات عدن {ثُلَّةٌ مّنَ الاولين * وَقَلِيلٌ مّنَ الاخرين} يعني: إن السابقين تكون جماعة من الأولين. يعني: من أول هذه الأمة مثل الصحابة، والتابعين {وَقَلِيلٌ مّنَ الاخرين} يعني: إن السابقين في آخر هذه الأمة يكون قليلاً. وقال بعضهم: {ثُلَّةٌ مّنَ الاولين} يعني جميعاً من الأمم الخالية، {وَقَلِيلٌ مّنَ

الاخرين} يعني: من هذه الأمة. فحزن المسلمون بذلك حتى نزلت {ثُلَّةٌ مِّنَ الاولين وَثُلَّةٌ مِّنَ الاخرين} فطابت أنفسهم. والطريق الأول أصح. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كِلْتَا الثُّلَّتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي». وروي عن عبد الله بن يزيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَهْلَ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةَ صِنْفٍ هذه الأُمّةِ مِنْهَا ثَمَانُونَ صِنْفاً».

ثم قال: {عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ} يعني: إن السابقين في الجنة على سرر منسوجة بالدر والياقوت. وقال مجاهد: {مَّوْضُونَةٍ} بالذهب. وقال القتبي: {مَّوْضُونَةٍ} أي: منسوجة. كأن بعضها أدخل في بعض، أو نضد بعضها على بعض، ومنه قيل للدرع {مَّوْضُونَةٍ}.

ثم قال: {مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا متقابلين} يعني: ناعمين على سرر متقابلين في الزيادة. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: {مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا} ناعمين. وقال مجاهد: {متقابلين} يعني: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

ثم قال عز وجل: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ} يعني: في الخدمة {ولدان مُّخَلَّدُونَ} يعني: غلماناً خلدوا في الجنة. ويقال: على سن واحد لا يتغيرون، لأنهم خلقوا للبقاء ومن خلق للبقاء، لا يتغير. ويقال: {مُّخَلَّدُونَ} يعني: لا يكبرون. ويقال: هم أولاد الكفار لم يكن لهم ذنب يعذبون، ولا طاعة يثابون، فيكونون خداماً لأهل الجنة.

قوله تعالى: {بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} هي التي لها عرى.

ثم قال: {وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ} يعني: خمراً بيضاء من نهر جار {لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا} يعني: لا يصدع رؤوسهم بشرب الخمر في الآخرة {وَلاَ يُنزِفُونَ} يعني: لا تذهب عقولهم، ولا ينفد شرابهم.

ثم قال: {وفاكهة مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} يعني: ما يتمنون، ويختارون من ألوان الفاكهة {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} يعني: إن شاء مشوياً، وإن شاء مطبوخاً.

ثم قال عز وجل: {وَحُورٌ عِينٌ} قرأ حمزة، والكسائي {وَحُورٌ عِينٌ} بالكسر عطفاً على قوله: {بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} والباقون {وَحُورٌ عِينٌ} بالضم.

ومعناها: ولهم حور عين، والحور: البيض، والعين: الحسان الأعين {كأمثال اللؤلؤ المكنون} يعني: اللؤلؤ الذي في الصدف، لم تمسه الأيدي، ولم تره الأعين، {جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: هذه الجنة مع هذه الكرامات، ثواباً لأعمالهم.

ثم قال: {لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً} يعني: في الجنة حلفاً، وكذباً، {وَلاَ تَأْثِيماً} يعني: كلاماً فيها عند الشرب كما يكون في الدنيا ويقال ولا تأثيماً يعني: ولا إثم عليهم فيما شربوا {إِلاَّ قِيلاً سلاما سلاما} يعني: إلا قولاً وكلاماً يسلم بعضهم على بعض، ويبعث الله تعالى إليهم الملائكة بالسلام، فهذا كله نعت السابقين.

ثم ذكر الصنف الثاني فقال: {وأصحاب اليمين مَا أصحاب اليمين} يعني: ما لأصحاب اليمين من الخير، والكرامة، على وجه التعجب.

ثم وصف حالهم فقال: {فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ} يعني: لا شوك له كالدر الذي يكون في الدنيا. وقال قتادة: {فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ} يعني: كثير الحمل. أي: ليس له شوك. وقال القتبي: كأنه نضد شوكه. يعني: قطع. وروي في الخبر: أنه لما نزل ذكر السدر، قال أهل الطائف: إنها سِدْرنا هذا. فنزل {مَّخْضُودٍ} يعني: موقر بلا شوك.

ثم قال: {وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ} وقال مقاتل: يعني: الموز المتراكم بعضه على بعض. وقال قتادة: هو الموز، وهذا روي عن ابن عباس. والمنضود الذي نضد بالحمل من أوله إلى آخره. ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ: {سِجّيلٍ مَّنْضُودٍ} كقوله تعالى: {طَلْعٌ نَّضِيدٌ} كقوله تعالى: {وَظِلّ مَّمْدُودٍ} يعني: دائماً لا يزول. وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: في الجنة شجرة يسير الراكب، في ظلها مائة عام، ما يقطعها اقرؤوا إن شئتم {وَظِلّ مَّمْدُودٍ}.

ثم قال: {وَمَاء مَّسْكُوبٍ} يعني: منصباً كثيراً. ويقال: يعني منصباً من ساق العرش {وفاكهة كَثِيرَةٍ} يعني: الفاكهة كثيرة {لاَّ مَقْطُوعَةٍ} يعني: {لاَّ مَقْطُوعَةٍ} يعني: لا تنقطع عنهم في حين كما يكون في فواكه الدنيا، بل توجد في جميع الأوقات {وَلاَ مَمْنُوعَةٍ} يعني: لا تمنع منهم، والممنوعة أن ينظر إليها، ولا يقدر أن يأكلها كأشجار الدنيا. {وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ} بعضها فوق بعض مرتفعة.

ثم قال عز وجل: {إِنَّا أنشأناهن إِنشَاء} يعني: الجواري، والزوجات. يقال: نساء الدنيا خلقناهن خلقاً بعد خلق الدنيا. ويقال: إنهن أفضل، وأحسن من حور الجنة، لأنهن عملن في الدنيا، والحور لم يعملن. وعن أنس بن مالك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: {إِنَّا أنشأناهن إِنشَاء} قال: «إنَّ مِنَ المُنْشِآتِ الَّتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا عَجائِزَ عُمْشاً رُمْصاً زُمْناً».

ثم قال: {فجعلناهن أبكارا} يعني: خلقناهن أبكاراً عذارى.

▲ تفسير الآيات رقم [37- 56]

{عُرُبًا أَتْرَابًا (37) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56)}

{عُرُباً} يعني: محبات، عاشقات، لأزواجهن، لا يردن غيرهم قرأ حمزة، وعاصم، في إحدى الروايتين {عُرْباً} بجزم الراء. والباقون بالضم. ومعناهما واحد. وقال أبو عبيد: نقرأ بالضم لأنها أقيس في العربية، لأن واحدتها عَرُوب، وجمعها عرب، مثل صَبُور وصُبُر، وشكور وشكر. ثم قال:

{أَتْرَاباً} يعني: مستويات في السن، كأنهن على ميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين. وروي عن عكرمة أنه قال: أهل الجنة ميلاد ثلاثين سنة، رجالهم ونساؤهم، قامة أحدهم ستون ذراعاً على قامة أبيهم آدم عليه السلام، شباب جرد مكمولون، أحسنهم يرى كالقمر ليلة البدر، وآخرهم كالكوكب الدري في السماء، يبصر وجهه في وجهها، وكبده في كبدها، وفي مخ ساقها، وتبصر هي وجهها في وجهه، وفي كبده وفي مخ ساقه، ولا يبزقون، ولا يتمخطون، وما كان فوق ذلك من الأذى فهو أبعد، {لاصحاب اليمين} يعني: هذا الذي ذكر كرامة لأصحاب اليمين.

ثم قال عز وجل: {ثُلَّةٌ مّنَ الاولين وَثُلَّةٌ مّنَ الاخرين} يعني: جماعة من أول هذه الأمة، وجماعة من الآخرين. فذكر في السابقين أنهم جماعة من الأولين، وقليل من الآخرين، لأن السابق في أخر الأمة قليل، وأما أصحاب اليمين يكون جماعة من أول الأمة، وجماعة من آخر الأمة.

ثم ذكر الصنف الثالث فقال: {وأصحاب الشمال مَا أصحاب الشمال} يعني: ما لأصحاب الشمال من شدة، وشر، وهوان.

ثم وصف حالهم فقال: {فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ} والسموم: الزمهرير يقطع الوجوه وسائر الجسوم. ويقال: السموم: النار الموقدة. والحميم: الماء الحار الشديد، {وَظِلّ مّن يَحْمُومٍ} واليحموم الدخان يعني: دخان جهنم أسود {لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ} يعني: {لاَّ بَارِدٍ} شرابهم {وَلاَ كَرِيمٍ} منقلبهم.

ثم بين أعمالهم التي استحقوا بها العقوبة بأعمالهم الباطلة فقال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ} يعني: كانوا في الدنيا متكبرين في ترك أمر الله تعالى. ويقال: كانوا مشركين {وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى الحنث العظيم} يعني: يثبتون على الذنب العظيم، وهو الشرك. وإنما سمِّي الشرك حنثاً، لأنهم كانوا يحلفون بالله، لا يبعث الله من يموت، وكانوا يصرون على ذلك. وقال القتبي: {الحنث العظيم} اليمين الغموس. وقال مجاهد: الذنب العظيم. وقال ابن عباس: {الحنث العظيم} هو الشرك {وَكَانُواْ يِقُولُونَ} مع شركهم {أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وعظاما أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} يعني: بعدما صرنا تراباً، وعظاماً باليةً، صرنا أحياء بعد الموت {وَءابَاؤُنَا الاولون} الذين: مضوا قبلنا، وصاروا تراباً.

قال الله تعالى: قل يا محمد {قُلْ إِنَّ الاولين والاخرين} يعني: الأمم الخالية {لَمَجْمُوعُونَ} وهذه الأمة لمجموعة {إِلى ميقات يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} في يوم القيامة يجتمعون فيه {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضالون المكذبون} بالبعث {لأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مّن زَقُّوم فَمَالِئُونَ مِنْهَا البطون} يعني: يملؤون من طلعها البطون، {فشاربون عَلَيْهِ مِنَ الحميم} يعني: على إثره يشربون من الحميم {فشاربون شُرْبَ الهيم} يعني: كشرب الهيم، وهي الإبل التي يصيبها داء، فلا تروى من الشراب.

ويقال: الأرض التي أصابتها الشمس وهي أرض سهلة من الرملة. قرأ نافع، وعاصم، وحمزة {شُرْبَ الهيم} بضم الشين. والباقون: بالنصب. فمن قرأ بالضم، فهو اسم. ومن قرأ: بالنصب، فهو المصدر. ويقال: كلاهما مصدر شربت.

ثم قال: {هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدين} يعني: جزاءهم يوم الجزاء. ويقال: معناه هو الذي ذكرناه من الزقوم والشراب طعامهم وشربهم يوم الحساب.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 73]

{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73)}

ثم قال: {نَحْنُ خلقناكم} يعني: خلقناكم، ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تعلمون {فَلَوْلاَ تُصَدّقُونَ} يعني: أفلا تصدقون بالبعث وبالرسل.

ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا فقال: {أَفَرَءيْتُمْ مَّا تُمْنُونَ} يعني: ما خرج منكم من النطفة، ويقع في الأرحام {تَخْلُقُونَهُ أَم} يعني: منه بشراً في بطون النساء ذكراً أو أنثى {أَم نَحْنُ الخالقون} يعني: بل نحن نخلقه {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الموت} يعني: نحن قسمنا بينكم الآجال، فمنكم من يموت صغيراً، ومنكم من يموت شاباً، ومنكم من يموت شيخاً. قرأ ابن كثير: {نَحْنُ قَدَّرْنَا} بالتخفيف وقرأ الباقون: {قَدَّرْنَآ} بالتشديد، ومعناهما واحد لأن التشديد للتكثير.

ثم قال: {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * على أَن نُّبَدّلَ أمثالكم} يعني: وما نحن بعاجزين إن أردنا أن نأتي بخلق مثلكم، وأمثل منكم، وأطوع لله تعالى: {وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لاَ تَعْلَمُونَ} يعني: ونخلقكم سوى خلقكم من الصور فيما لا تعلمون من الصور، مثل القردة، والخنازير. ويقال: وما نحن بعاجزين على أن نرد أرواحكم إلى أجسامكم بعد الموت.

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النشأة الاولى} يعني: علمتم ابتداء خلقكم إذ خلقناكم في بطون أمهاتكم، ثم أنكرتم البعث {فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ} يعني: فهل لا تتعظون، وتعتبرون بالخلق الأول، أنه قادر على أن يبعثكم كما خلقكم أول مرة، ولم تكونوا شيئاً.

ثم قال: {أَفَرَءيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ} يعني: فهل لا تعتبرون بالزرع الذي تزرعونه في الأرض {ءأَنتُم تَزْرَعُونَهُ} يعني: تنبتونه {أَمْ نَحْنُ الزرعون} يعني: أم نحن المنبتون. يعني: بل الله تعالى أنبته {لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حطاما} يعني:

يابساً، هالكاً، بعدما بلغ {فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} يعني: فصرتم تندمون. ويقال: يعني: تتعجبون من يبسه بعد خضرته {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} يعني: معذبون {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} يعني: حرمنا منفعة زرعنا. قرأ عاصم في رواية أبي بكر: {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} بهمزتين على الاستفهام وقرأ الباقون: بهمزة واحدة على معنى الخبر.

ثم قال: {أَفَرَءيْتُمُ الماء الذى تَشْرَبُونَ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المزن أَمْ} يعني: من السماء {أَمْ نَحْنُ المنزلون} يعني: بل نحن المنزلون عليكم {لَوْ نَشَاء جعلناه أُجَاجاً} يعني: مرّاً، مالحاً، لا تقدرون على شربه {فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ} يعني: هلا تشكرون رب هذه النعمة، وتوحدونه حين سقاكم ماء عذباً.

ثم قال عز وجل: {أَفَرَءيْتُمُ النار التى تُورُونَ} يعني: تقدحون، والعرب تقدح بالزند والزند خشبة يحك بعضه على بعض، فيخرج منه النار {ءأَنتُم أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا} يعني: خلقتم شجرها {أَمْ نَحْنُ المنشئون} يعني: الخالقون. يعني: الله أنشأها، وخلقها لمنفعة الخلق، {نَحْنُ جعلناها تَذْكِرَةً} يعني: النار موعظة وعبرة في الدنيا من نار جهنم. وقال مجاهد: {نَحْنُ جعلناها تَذْكِرَةً} يعني: النار الصغرى للنار الكبرى {ومتاعا لّلْمُقْوِينَ} يعني: منفعة لمن كان ساخراً. وقال قتادة: المقوي الذي قد فني زاده. وقال الزجاج: المقوي الذي قد نزل بالقوى، وهي الأرض الخالية.

▲ تفسير الآيات رقم [74- 96]

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)}

ثم قال عز وجل: {فَسَبِّحْ باسم رَبِّكَ العظيم} يعني: اذكر التوحيد باسم ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم الرب العظيم. ويقال: صل بأمر ربك. ويقال: سبح لله، واذكره.
قوله عز وجل: {فَلاَ أُقْسِمُ} قال بعضهم: يعني: أقسم و(لا) زيادة في الكلام. وقال بعضهم: {لا} رد لقول الكفار.
ثم قال: {بمواقع النجوم} يعني: بنزول القرآن، نزل نجوماً آية بعد آية، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: {بمواقع النجوم} يعني: بحكم القرآن {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} يعني: القسم بالقرآن عظيم {لَّوْ تَعْلَمُونَ} ذلك. ويقال: {لَّوْ تَعْلَمُونَ} يعني: لو تصدقون ذلك. قرأ حمزة، والكسائي: {بمواقع النجوم} بغير ألف. وقرأ الباقون: {بمواقع النجوم} بلفظ الجماعة. فمن قرأ: {بمواقع} فهو واحد دل على الجماعة. ويقال: {بمواقع النجوم} يعني: بمساقط النجوم. يعني: الكواكب.
ثم قال عز وجل: {إِنَّهُ لَقُرْءانٌ كَرِيمٌ} يعني: الذي يقرأ عليك يا محمد، لقرآن شريف، كريم على ربه، {فِى كتاب مَّكْنُونٍ} يعني: مستور من خلق الله، وهو اللوح المحفوظ {لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ المطهرون} يعني: اللوح المحفوظ. ويقال: لا تمسه إلا الملائكة المطهرون من الذنب، ولا يقرؤه إلا الطاهرون. ويقال: لا يمس المصحف إلا الطاهر. وروى معمر، عن محمد بن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً فيه " لا يُمَسُّ القُرْآنُ إلاَّ عَلَى طُهُورٍ ". وروى إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد قال: «كنا مع سلمان فخرج، يقضي حاجته، ثم جاء، فقلنا: يا عبد الله لو توضأت، لعلنا نسألك عن آيات الله؟ فقال: إني لست أمسه، لأنه لا يمسه إلا المطهرون. فقرأ علينا ما نسينا. يعني: يجوز للمحدث أن يقرأ، ولا يجوز أن يمس المصحف. وأما الجنب لا يجوز له أن يمس المصحف، ولا يقرأ آية تامة.
ثم قال: {تَنزِيلٌ مّن رَّبّ العالمين} يعني: أنزل الله تعالى جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن يقرؤه عليه من رب العالمين.
ثم قال عز وجل: {أفبهذا الحديث أَنتُمْ مُّدْهِنُونَ} يعني: تكفرون. وقال الزجاج: المدهن والمداهن: الكذاب المنافق. وقال بعض أهل اللغة: أصله من الدهن، لأنه يلين في دينه. يعني: ينافق، ويرى كل واحد أنه على دينه. ويقال: {أَنتُمْ مُّدْهِنُونَ} يعني: مكذبون {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ} يعني: شكر رِزْقكُمْ {أَنَّكُمْ

تُكَذِّبُونَ} يعني: تقولون للمطر إذا مطرتم مُطِرْنا بنوء كذا. وروي عن عاصم في بعض الروايات: {أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} بالتخفيف.
يعني: تجعلون شكر رزقكم الكذب، وهو أن يقولوا: مُطِرنا بنوء كذا. وقرأ الباقون: {تُكَذِّبُونَ} بالتشديد. يعني: تجعلون شكر رزقكم التكذيب، ولا تنسبون السقيا إلى الله تعالى الذي رزقكم.
ثم قال: {فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحلقوم} يعني: بلغ الروح الحلقوم {وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ} إلى الميت {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ} يعني: أمر الله تعالى وهو ملك الموت أقرب إليه منكم، حين أتاه لقبض روحه {ولكن لاَّ تُبْصِرُونَ} ما حضر الميت {فَلَوْلاَ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} يعني: غير محاسبين. ويقال: غير مملوكين، أذلاء عن قولك: دِنْتُ له بالطاعة، وإنما سمي {يَوْمِ الدين} لأنه يوم الإذلال، والهوان. ويقال: {غَيْرَ مَدِينِينَ} يعني: غير مجزيين {تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صادقين} يعني: إنكم غير محاسبين، فهلا رددتم عنه الموت؟
ثم ذكر الأصناف الثلاثة الذين ذكرهم في أول السورة فقال: {فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المقربين} يعني: إذا كان هذا الميت من المقربين عند الله من السابقين {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} قرأ الحسن: {فَرَوْحٌ} بضم الراء المهملة، وقراءة العامة: بالنصب. وقال أبو عبيد: لولا خلاف الأمة لقرأته بالضم. وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قرأ: بالضم. وقال القتبي: {الروح} يعبر عن معان. فالروح روح الأجسام الذي يقبض عند الممات وفيه حياة النفس، والروح جبريل، وكلام الله روح، لأنه حياة من الجهل، وموت الكفر، ورحمة الله روح كقوله {لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الاخر يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانوا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إخوانهم أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أولئك كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا رَضِىَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أولئك حِزْبُ الله أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ المفلحون} [المجادلة: 22] أي: برحمة. والروح: الرحمة، والرزق. ويقال: {الروح} حياة دائمة لا موت فيها {والريحان} الرزق. ويقال: هي النبات بعينها. ومن قرأ: بالنصب. فهو الفرح. ويقال: الراحة. ويقال: هي الرحمة.
ثم قال: {وَجَنَّةِ نَعِيمٍ} يعني: لا انقطاع {وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أصحاب اليمين} يعني: إن كان الميت من أصحاب اليمين {فسلام لَّكَ مِنْ أصحاب اليمين} يعني: سلام الله لهم. ويقال: يسلمون عليك من الجنة. ويقال: سلام عليك منهم.

ويقال: ترى منهم ما تحب من السلام. ويقال: {فسلام لَّكَ} يعني: يقال له ثوابه عند الموت، وفي القبر، وعلى الصراط، وعند الميزان، بشارة لك إنك من أهل الجنة.

ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المكذبين} يعني: إن كان الميت {مِنَ المكذبين} بالبعث {الضالين} عن الهدى {فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ} يعني: جزاؤهم، وثوابهم، من حميم {وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} يعني: يدخلون الجحيم وهي ما عظم من النار {إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اليقين} يعني: إن هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الأقاصيص، وما أعد الله لأوليائه وأعدائه، وما ذكر مما يدل على وحدانيته، {لَهُوَ حَقُّ اليقين} {فَسَبِّحْ باسم رَبِّكَ العظيم} يعني: اذكر اسم ربك بالتوحيد.

ويقال: نزه الله تعالى عن السوء. يعني: قل سبحان الله. ويقال: أثن على الله تعالى. ويقال: صل لله تعالى. وروي عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ». والله أعلم بالصواب.

سورة الحديد

▲ تفسير الآية رقم [1]

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)}

قوله تعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السموات} يعني: صلى لله ما في السموات من الملائكة {والارض} من المؤمنين، فسمى الصلاة تسبيحاً، لأنه يجري فيها التسبيح. ويقال: {سَبَّحَ لِلَّهِ}، يعني: ذكر الله ما في السموات. يعني: جميع ما في السَّموات من الشمس، والقمر والنجوم والأرض، يعني: جميع ما في الأرض من الإنس، والأشجار، والأنهار، والجبال، وغير ذلك. ويقال: {سَبَّحَ لِلَّهِ} يعني: خضع لله جميع ما في السَّموات، والأرض، وقال بعضهم: التسبيح آثار صنعه، يعني: في كل شيء دليل لربوبيته، ووحدانيته. ويقال: هو التسبيح بعينه. يعني: يسبح جميع الأشياء كقوله: {تُسَبِّحُ لَهُ السماوات السبع والارض وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ ولكن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: 44] وقال الحسن البصري (لولا ما يخفى عليكم من تسبيح من معكم في البيوت ما تقادرتم). وروى سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَفْضَلُ الكَلامِ أرْبَعَةٌ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلاَ إله إلاَّ الله، وَالله أَكْبَرُ» وَلا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ. {وَهُوَ العزيز الحكيم} يعني: العزيز بالنقمة لمن لا يوحّده، {والعزيز} في اللغة: الذي لا يعجزه عما أراد. ويقال: {القوى العزيز} الذي لا يوجد مثله {الحكيم} في أمره، وقضائه.

▲ تفسير الآيات رقم [2- 6]

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

الْأُمُورُ (5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)}
ثم قال عز وجل: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} يعني: له خزائن السَّموات والأرض. يعني: خزائن السَّموات المطر، وخزائن الأرض النبات. ويقال: معناه له نفاذ الأمر في السَّموات والأرض.
ثم قال: {لاَ إله} يعني: يحيي للبعث، ويميت في الدنيا {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} من الإحياء والإماتة.
ثم قال عز وجل: {هُوَ الاول} يعني: الأول قبل كل أحد {والاخر} بعد كل أحد {والظاهر} يعني: الغالب على كل شيء {والباطن} يعني: العالم بكل شيء. ويقال: {هُوَ الاول} يعني: مؤول كل شيء {والاخر} يعني: مؤخر كل شيء {والظاهر} يعني: المظهر {والباطن} يعني: المبطن. ويقال: هو {الاول} يعني: خالق الأولين {والاخر} يعني: خالق الآخرين {والظاهر} يعني: خالق الآدميين، وهم ظاهرون. {والباطن} يعني: خالق الجن، والشياطين الذين لا يظهرون. ويقال: {هُوَ الاول} يعني: خالق الدنيا {والاخر} يعني: خالق الآخرة. {والظاهر والباطن} يعني: عالم بالظاهر والباطن. ويقال: {هُوَ الاول} بلا ابتداء {والاخر} بلا انتهاء. {والظاهر والباطن} يعني: منه نعمة ظاهرة. ويقال: هو {الاول والاخر والظاهر والباطن} يعني: هو الرب الواحد.
ثم قال: {وَهُوَ بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} يعني: من أمر الدنيا والآخرة.
ثم قال عز وجل: {هُوَ الذى خَلَقَ السموات والارض فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الارض} يعني: ما يدخل في الأرض من الماء، والكنوز، والأموات، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من النبات، والكنوز، والأموات، {وَمَا يَنزِلُ مِنَ السماء} وهو المطر، والثلج، والرزق، والملائكة، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} يعني: ما يصعد فيها من الملائكة، وأعمال العباد، والأرواح، {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ} يعني: عالم بكم، وبأعمالكم، أينما كنتم في الأرض {والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فيجازيكم بالخير خيراً، وبالشر شراً.
ثم قال عز وجل: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض وَإِلَى الله تُرْجَعُ الامور}.
ثم قال عز وجل: {يُولِجُ اليل فِى النهار} يعني: يُدخل الليل في النهار، إذا جاء الليل ذهب النهار. {وَيُولِجُ النهار فِى اليل} يعني: يُدخل النهار في الليل، إذا

جاء النهار ذهب الليل. ومعنى آخر: يعني: يدخل زيادة الليل في النهار. يعني: يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة، والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات. والليل والنهار أربع عشرون ساعة.

ثم قال عز وجل: {وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: بما في القلوب من الخير والشر.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 11]

{آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)}

ثم قال: {باللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، وصدقوا برسوله، {وَأَنْفِقُواْ} يعني: تصدقوا في طاعة الله تعالى {مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} يعني: مما جعلكم مالكين من المال. ويقال: معناه إن الأموال والدنيا كلها لله تعالى، فيجعل العباد مستخلفين على أمواله، وأمرهم بالنفقة، مما جعلهم خليفة فيها.

ثم بيّن ثواب الذين آمنوا فقال: {فالذين ءامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، وتصدقوا، {لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} يعني: عظيم وهو الثواب الحسن في الجنة. ويقال: إن هذه الآية نسخت بآية الزكاة. ويقال: إنها ليست بمنسوخة، ولكنها حث على الصدقة، والنفقة في طاعة الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بالله} يعني: ما لكم لا تصدقون بوحدانية الله تعالى {والرسول يَدْعُوكُمْ} قرأ بعضهم: {والرسول} بضم اللام. يعني: ما لكم لا تؤمنون بالله، وتم الكلام.

ثم قال: {والرسول يَدْعُوكُمْ} إلى توحيد الله تعالى. وقراءة العامة {والرسول} بكسر اللام. يعني: ما لكم لا تصدقون بالله، وبرسوله حين يدعوكم، {لِتُؤْمِنُواْ بِرَبّكُمْ} يعني: لتصدقوا بوحدانية الله تعالى {وَقَدْ أَخَذَ ميثاقكم} يعني: أخذ الله تعالى إقراركم، والميثاق حين أخرجكم من صلب آدم {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}

يعني: مصدقين قرأ أبو عمرو: {وَقَدْ أَخَذَ ميثاقكم} بضم القاف، وكسر الخاء، على معنى فعل ما لم يسم فاعله، والباقون: يعني: أخذ الله ميثاقكم.
ثم قال: {هُوَ الذى يُنَزّلُ على عَبْدِهِ} هو الذي ينزل جبريل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم، يقرأ عليه {بَيّنَاتٍ فاسأل} يعني: آيات القرآن، واضحات بيّن فيها الحلال، والحرام، والأمر، والنهي. {لِيُخْرِجَكُمْ مّنَ الظلمات إِلَى النور} يعني: يدعوكم من الشرك إلى الإيمان. ويقال: {بَيّنَاتٍ فاسأل} يعني: واضحات. ويقال: {ءايات} يعني: علامات النبوة {لِيُخْرِجَكُمْ مّنَ الظلمات إِلَى النور} يعني: ليوفقكم الله تعالى للهدى، ويخرجكم من الكفر. {وَإِنَّ الله بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} يعني: هداكم لدينه، وأنزل عليكم.
ثم قال عز وجل: {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ الله} يعني: ما لكم ألا تصدقوا، أو ألا تنفقوا أموالكم في طاعة الله.
{وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السموات والارض} يعني: إلى الله يرجع ميراث السموات والأرض، أي: شيء ينفعكم ترك الإنفاق، ميتون، تاركون أموالكم. ويقال: معناه: {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُواْ} والأموال كلها لله تعالى وهو يأمركم بالنفقة. ويقال: أنفقوا ما دمتم في الحياة، فإنكم إن بخلتم، فإن الله هو يرثكم، ويرث أهل السموات. يعني: أنفقوا قبل أن تفنوا، وتصير كلها ميراثاً لله تعالى بعد فنائكم، وإنما ذكر لفظ الميراث، لأن العرب تعرف ما ترك الإنسان ميراثاً، فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم.
ثم قال: {لاَ يَسْتَوِى مِنكُم} يعني: لا يستوي منكم في الفضل، والثواب عند الله تعالى {مَّنْ أَنفَقَ} مَاله في طاعة الله {مِن قَبْلِ الفتح} يعني: قاتل العدو. وفي الآية: تقديم يعني: من أنفق وقاتل {مِن قَبْلِ الفتح} يعني: فتح مكة. ونزلت الآية في شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار. يعني: الذين أنفقوا أموالهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا الكفار، لا يستوي حالهم وحال غيرهم. ويقال: نزلت الآية في شأن أبي بكر رضي الله عنه كان جالساً مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقعت بينهم منازعة في شيء، فنزل في تفضيل أبي بكر رضي الله عنه {لاَ يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ} ماله {مِن قَبْلِ الفتح} يعني: من قبل ظهور الإسلام {وقاتل} يعني: وجاهد {أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً} يعني: أبا بكر رضي الله عنه {مّنَ الذين أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وقاتلوا} العدو مع النبي صلى الله عليه وسلم. ويقال: هذا التفضيل لجميع أصحابه رضي الله عنهم أجمعين. وروى سفيان

عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَيَأْتِي قَوْمٌ بَعْدَكُمْ يَحْقِرُونَ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ». قالوا: يا رسول الله نحن أفضل أم هم؟ فقال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ فَضْلَ أَحَدِكُمْ ولا نِصْفَهُ». {أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً} قال الفقيه: حدثني الخليل بن أحمد. ثنا الدبيلي. ثنا عبيد الله عن سفيان، عن زيد بن أسلم {مّنَ الذين أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وقاتلوا} {وَكُلاًّ وَعَدَ الله الحسنى} قرأ ابن عامر: {وَكُلٌّ وَعَدَ الله الحسنى} بضم اللام. والباقون: بالنصب. فمن قرأ بالضم، صار ضمّاً لمضمر فيه، فكأنه قال: أولئك وعد الله الحسنى. ومن نصب: معناه وعد الله كلاًّ الحسنى يعني: الجنة.

ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} يعني: ما أنفقتم.

ثم قال: {مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا} يعني: من ذا الذي يعطي من أموال الله قرضاً حسناً. يعني: وفقاً بالإخلاص، وطلب ثواب الله تعالى: {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} في الحسنات، ويعطي من الثواب ما لا يحصى {وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} يعني: ثواباً حسناً في الآخرة. ويقال: نزلت الآية في شأن أبي الدحداح. ويقال: هو حث لجميع المسلمين.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 15]

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)}

ثم قال عز وجل: {يَوْمَ تَرَى المؤمنين والمؤمنات} يعني: في يوم القيامة على الصراط {يسعى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبأيمانهم} يعني: بتصديقهم في الدنيا، وبأعمالهم الصالحة، فيعطى لهم النور، يمضون به على الصراط، فيكون النور بين أيديهم، وأيمانهم، وعن شمائلهم، إلا أن ذكر الشمائل مضمر. وتقول لهم الملائكة: {بُشْرَاكُمُ اليوم} يعني: أبشروا هذا اليوم بكرامة الله تعالى. {جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا} يعني: مقيمين في الجنة، ونجوا من العذاب {ذلك هُوَ الفوز العظيم}.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ المنافقون والمنافقات لِلَّذِينَ ءامَنُواْ انظرونا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} يعني: نُصِبْ من نوركم، فتضيء معكم. وروي عن أبي أمامة الباهلي أنه قال: «بينما العباد يوم القيامة عند الصراط، إذ غشيتهم ظلمة. ثم يقسم الله تعالى النور بين عباده، فيعطي الله المؤمن نوراً، ويبقى الكافر والمنافق لا يعطيان نوراً، فكما لا يستضيء الأعمى بنور البصر، كذلك لا يستضيء الكافر والمنافق بنور الإيمان، فيقولان: انظرونا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: {قِيلَ ارجعوا} حيث قسم النور فيرجعون، فلا يجدون شيئاً، فيرجعون، وقد ضرب بينهم بسور. وعن الحسن البصري قال: إن المنافقين يخادعون الله، وهو خادعهم، لأنه يعطي المؤمن والمنافق نوراً، فإذا بلغوا الصِّراط، اطفئ نور المنافق، فيقول: المنافقون {انظرونا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} قال: فيشفق المؤمنون حين طفئ نور المنافقين، فيقولون: عند ذلك {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}. قرأ حمزة {انظرونا} بنصب الألف، وكسر الظاء المعجمة. والباقون: بالضم. فمن قرأ: بالنصب، فمعناه: أمهلونا. ومن قرأ بالضم، فمعناه: انتظرونا. فقال لهم المؤمنون: ارجعوا {وَرَاءكُمْ فالتمسوا نُوراً} يعني: ارجعوا إلى الدنيا، فإنا جعلنا النور في الدنيا. ويقال: ارجعوا إلى المحشر حيث أعطينا النور، واطلبوا نوراً، فيرجعون في طلب النور، فلم يجدوا شيئاً، {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ} يعني: ظهر لهم. ويقال: بين أيديهم بسور. يعني: بحائط بين أهل الجنة، وأهل النار، {لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ} يعني: باطن السور {فِيهِ الرحمة} يعني: الجنة {وظاهره مِن قِبَلِهِ العذاب} يعني: النار. ويقال: هو السور الذي عليه أصحاب الأعراف، فيظهر بين الجنة، والنار. باب يعني: عليه: باب فيجاوز فيه المؤمنون، ويبقى المنافقون على الصراط في الظلمة {ينادونهم} من وراء السور {أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} يعني: ألم نكن معكم في الدنيا على دينكم، وكنا معكم في الجماعات، والصلوات، فيجيبهم المؤمنون. {قَالُواْ بلى} يعني: قد كنتم معنا في الدنيا، أو في الظاهر. {ولكنكم فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ} يعني: قد أصبتم أنفسكم حيث كفرتم في السر. ويقال: {فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ} يعني: ثبتم على الكفر الأول في السر {وَتَرَبَّصْتُمْ} يعني: انتظرتم موت نبيكم.

ويقال: {تربصتم} يعني: أخرتم التوبة، وسوّفْتُمْ فيها. {وَتَرَبَّصْتُمْ وارتبتم} يعني: شككتم في الدين، وشككتم في البعث {وَغرَّتْكُمُ الامانى} يعني: أباطيل الدنيا {حتى جَاء أَمْرُ الله} يعني: القيامة {وَغَرَّكُم بالله الغرور} يعني:

الشياطين. وقال الزجاج: {الغرور} على ميزان فعول، وهو من أسماء المبالغة، وكذلك الشياطين {الغرور} لأنه يغري ابن آدم كثيراً.
ثم قال: {فاليوم لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ} يعني: في هذا اليوم وهو يوم القيامة. وقرأ ابن عامر: {فاليوم لاَ} بالتاء لأن الفدية مؤنثة. وقرأ الباقون: بالياء. وجمع على المعنى، لأن معنى الفدية فداء، ومعناه: {فاليوم لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ} الفداء يعني: المنافقين {وَلاَ مِنَ الذين كَفَرُواْ} يعني: الذين جحدوا بتوحيد الله تعالى، {مَأْوَاكُمُ النار} يعني: مصيركم إلى النار يعني: المنافقين، والكافرين {هِىَ مولاكم} يعني: هي أولى بكم بما أسلفتم من الذنوب {وَبِئْسَ المصير} يعني: بئس المرجع النار للكافرين، والمنافقين.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 19]

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (19)}

قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} يعني: ألم يجئ وقت تخاف قلوبهم، فترق قلوبهم. يقال: إناءً يأني إناءً إذا حان وجاء وقته وأوانه. قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد. ثنا: أبو جعفر محمد بن إبراهيم الدبيلي. قال: حدّثنا أبو عبيد الله. قال: ثنا سفيان، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن القاسم قال: ملَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة، فقالوا: حدّثنا يا رسول الله، فأنزل الله تعالى: {الذى نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث كتابا متشابها} ثم ملوا ملَّة أخرى فقالوا: حدّثنا يا رسول الله. فأنزل الله تعالى {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} ويقال: إن المسلمين قالوا لسلمان الفارسي: حدّثنا عن التوراة، فإن فيها عجائب. فنزل {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص} فكفوا عن السؤال، ثم سألوه عن ذلك، فنزلت هذه الآية {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} يعني: ترق قلوبهم لذكر الله {وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق} يعني: القرآن بذكر الحلال والحرام. قرأ نافع، وعاصم، في رواية حفص {وَمَا نَزَلَ} بالتخفيف. والباقون: بالتشديد على معنى التكثير، والمبالغة.

ثم وعظهم فقال: {وَلاَ يَكُونُواْ كالذين أُوتُواْ الكتاب مِن قَبْلُ} يعني: ولا تكونوا في القسوة كاليهود، والنصارى، من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم {فَطَالَ عَلَيْهِمُ الامد} يعني: الأجل. ويقال: خروج النبي صلى الله عليه وسلم {فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} يعني: جفّت، وييبست قلوبهم عن الإيمان، فلم يؤمنوا بالقرآن إلا قليل منهم {وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فاسقون} يعني: عاصون. ويقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ} يعني: المنافقين الذين آمنوا بلسانهم دون قلوبهم. وقال أبو الدرداء: استعيذوا بالله من خشوع النفاق. قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع.

قوله تعالى: {اعلموا أَنَّ الله يُحْيِ الارض} يعني: يصلح الأرض، فاعتبروا بذلك {بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني: بعد يبسها، وقحطها، فكذلك يحيي القلوب بالقرآن، ويصلح بعد قساوتها حتى تلين، كما أحيا الأرض كذلك بعد موتها بالمطر.

{قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الايات} يعني: العلامات في القرآن {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يعني: لكي تعقلوا أمر البعث كذلك إنكم أيضاً تبعثون.

قوله تعالى: {إِنَّ المصدقين والمصدقات} قرأ ابن كثير، وعاصم، في رواية أبي بكر {إِنَّ المصدقين والمصدقات} كليهما بالتخفيف، والباقون: بالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه: إن المؤمنين من الرجال، والمؤمنات من النساء، فمن صدق الله ورسوله ورضي بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. ومن قرأ: بالتشديد. يعني: المتصدقين من الرجال، والمتصدقات من النساء، فأدغمت التاء في الصاد، وشددت.

{وَأَقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَناً} يعني: يتصدقون، محتسبين بطبيعة أنفسهم، صادقين من قلوبهم {يُضَاعَفُ لَهُمْ} الحسنات، والثواب بكل واحد عشرة إلى سبعمائة، إلى ما لا يحصى، {وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} يعني: ثواباً حسناً في الجنة.

ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ بالله وَرُسُلِهِ} يعني: صدّقوا بتوحيد الله، وصدقوا بجميع الرسل، {أُوْلَئِكَ هُمُ الصديقون} والصدِّيق: اسم المبالغة في الفعل. يقال: رجل صدِّيق، كثير الصدق. وقال ابن عباس رضي الله عنه: فمن آمن بالله ورسله فهو من الصدِّيقين.

ثم قال: {والشهداء عِندَ رَبّهِمْ} قال مقاتل: هذا استئناف فقال: {الشهداء} يعني: من استشهد عند ربهم. يعني: يطلب شهادة على الأمم {لَهُمْ أَجْرُهُمْ} يعني: ثوابهم {وَنُورُهُمْ} ويقال: هذا بناء على الأول. يعني: {أُوْلَئِكَ هُمُ الصديقون والشهداء عِندَ رَبّهِمْ} يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة. ويقال: معناه {أُوْلَئِكَ هُمُ

الصديقون} {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الشهداء} عند ربهم، ويكون لهم أجرهم، ونورهم.
قال مجاهد: كل مؤمن صديق، شهيد.
ثم وصف حال الكفار فقال عز وجل: {والذين كَفَرُواْ} يعني: بوحدانية الله تعالى {وَكَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: جحدوا بالقرآن {أولئك أصحاب الجحيم}.

▲ تفسير الآيات رقم [20- 23]

{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23)}

ثم قال عز وجل: {اعلموا أَنَّمَا الحياة الدنيا لَعِبٌ وَلَّهْوٌ} يعني: باطلاً، ولهواً. يعني: فرحاً يلهون فيها {وَزِينَةٌ} يعني: زينة الدنيا {وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ} عن الحسب {وَتَكَاثُرٌ فِى الاموال والاولاد} تفتخرون بذلك. وروى إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَامَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

ثم ضرب للدنيا مثلاً آخر فقال: {كَمَثَلِ غَيْثٍ} يعني: كمثل مطر نزل من السماء فينبت به الزرع، والنبات، {أَعْجَبَ الكفار نَبَاتُهُ} يعني: فرح الزارع بنباته، ويقال: {أَعْجَبَ الكفار} يعني: الكفار بالله، لأنهم أشد إعْجاباً بزينة الدنيا من المؤمنين. ويقال: {الكفار} كناية عن الزراع، لأن الكَفْر في اللغة هو التغطية، ولهذا سمي الكافر كافراً لأنه يغطي الحق بالباطل. فسمي الزراع كفاراً لأنهم يغطون الحب تحت الأرض، وليس ذلك الكفر الذي هو ضد الإيمان، والطريقة الأولى أحسن إن أراد به الكفار، لأن ميلهم إلى الدنيا أشد {ثُمَّ يَهِيجُ} يعني: ييبس فيتغير {فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً} بعد خضرته {ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً} يعني: يابساً. ويقال: {حطاما} يعني: هالكاً، فشبّه الدنيا بذلك، لأنه لا يبقى ما فيها، كما لا يبقى هذا النبت {فِى الاخرة عَذَابٌ شَدِيدٍ} لمن افتخر

بالدنيا، واختارها {وَمَغْفِرَةٌ مّنَ الله ورضوان} لمن ترك الدنيا، واختار الآخرة على الدنيا. ويقال: عذاب شديد لأعدائه، ومغفرة من الله لأوليائه.
ثم قال: {وَما الحياة الدنيا إِلاَّ متاع الغرور} يعني: كمتاع الغرور، يعني: كالمتاع الذي يتخذ من الزجاج، والخزف، يسرع إلى الفناء ولا يبقى.
ثم قال عز وجل: {سَابِقُواْ إلى مَغْفِرَةٍ مّن رَّبّكُمْ} يعني: سارعوا بالأعمال الصالحة. ويقال: بادروا بالتوبة. وقال مكحول: سابقوا إلى تكبيرة الافتتاح {وَجَنَّةٍ} يعني: إلى جنة {عَرْضُهَا كَعَرْضِ السماء والارض} يعني: لو ألصقت بعضها على بعض. يعني: سبع سموات، وسبع أرضين، ومدت مد الأديم، لكان عرض الجنة أوسع من ذلك؛ وإنما بين عرضها، ولم يبين طولها.
ويقال: لو جعلت السموات والأرض لكانت الجنة بعد ذلك. هذا مثل يعني: إنها أوسع شيء رأيتموه {سَابِقُواْ إلى مَغْفِرَةٍ مّن رَّبّكُمْ} يعني: خلقت، وهيئت للذين صدقوا بوحدانية الله تعالى، وصدقوا برسله، {ذلك فَضْلُ الله} يعني: ذلك الثواب فضل الله على العباد {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} يعني: يعطيه من يشاء من عباده، وهم المؤمنون، {والله ذُو الفضل العظيم} يعني: ذو العطاء العظيم، وذو المَنّ الجسيم.
قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الارض وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ} يعني: من قحط المطر، وغلاء السعر، وقلة النبات، ونقص الثمار، {وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ} من البلايا، والأمراض، والأوجاع.
{إِلاَّ فِى كتاب} يعني: إلا في اللوح المحفوظ {مّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} يعني: من قبل أن نخلق تلك النسمة. وذكر الربيع بن أبي صالح الأسلمي قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحَجَّاج أراد قتله، فبكى رجل من قومه فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك من مصيبة. قال: فلا تبك، قد كان في علم الله تعالى أن يكون هذا. ألم تسمع قول الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الارض وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كتاب مّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} يعني: من قبل أن نخلقها. ويقال: قبل أن نخلق تلك النفس {إِنَّ ذلك عَلَى الله يَسِيرٌ} يعني: هيناً، {لّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ على مَا فَاتَكُمْ} يعني: لكيلا تحزنوا {على مَا فَاتَكُمْ} من الرزق والعافية، إذا علمتم أنها مكتوبة عليكم قبل خلقكم، {وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَا ءاتاكم} يعني: بما أعطاكم في الدنيا، ولا تفتخروا بذلك {والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} يعني: متكبراً، فخوراً، بنعم الله تعالى، ولا يشكروه. قرأ أبو عمرو {بِمَا ءاتاكم} بغير مدّ. والباقون: بالمد. فمن قرأ: بغير مد، فمعناه: لكيلا

تفرحوا بما جاءكم من حطام الدنيا، فإنه إلى نفاد. ومن قرأ: بالمد بما أعطاكم. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ليس أحد إلا وهو يحزن، ويفرح. ولكن المؤمن من جعل الفرح والمصيبة صَبْراً.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 27]

{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (24) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27)}

ثم قال عز وجل: {الذين يَبْخَلُونَ} يعني: لا يحب الذين يبخلون. يعني: يمسكون أموالهم، ولا يخرجون منها حق الله تعالى {وَيَأْمُرُونَ الناس بالبخل} ويقال: الذين يبخلون. يعني: يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم، ويأمرون الناس بالبخل. يعني: يكتمون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته. {وَمَن يَتَوَلَّ} يعني: يعرض عن النفقة. ويقال: يعرض عن الإيمان {فَإِنَّ الله هُوَ الغنى الحميد} يعني: غنيٌّ عن نفقتهم، وعن إيمانهم، {الحميد} في فعاله. قرأ حمزة، والكسائي، {وَيَأْمُرُونَ الناس بالبخل} بنصب الخاء، والباء. وقرأ الباقون: بضم الباء، وإسكان الخاء، ومعناهما واحد. قرأ نافع، وابن عامر: {فَإِنَّ الله * الغنى الحميد} الذي لا غني مثله. والباقون: {فَإِنَّ الله هُوَ الغنى الحميد} بإثبات هو.

ثم قال: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبينات} يعني: بالأمر، والنهي، والحلال، والحرام، {وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكتاب} يعني: أنزلنا عليهم الكتاب ليعلموا أمتهم {والميزان} يعني: العدل. ويقال: هو الميزان بعينه، أنزل على عهد نوح عليه السلام {لِيَقُومَ الناس بالقسط} يعني: لكي يقوم الناس {بالقسط} يعني: بالعدل {وَأَنْزَلْنَا الحديد} يعني: وجعلنا الحديد {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} يعني: فيه قوة شديدة في الحرب. وعن عكرمة أنه قال: {وَأَنزَلْنَا الحديد} يعني: أنزل الله تعالى الحديد لآدم عليه السلام، العلاة، والمطرقة، والكلبتين فيه بأس شديد.

ثم قال عز وجل: {ومنافع لِلنَّاسِ} يعني: في الحديد {منافع * لِلنَّاسِ} مثل السكين، والفأس، والإبرة. يعني: من معايشهم. {وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ} يعني: ولكن يعلم الله من ينصره على عدوه {وَرُسُلَهُ بالغيب} بقتل أعدائه كقوله: {إِن تَنصُرُواْ الله يَنصُرْكُمْ} ويقال: لكي يرى الله من استعمل هذا السلام في طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بالغيب. يعني: يصدق بالقلب {إِنَّ الله قَوِىٌّ} في أمره {عَزِيزٌ} في ملكه.

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وإبراهيم} يعني: بعثناهما إلى قومهما، {وَجَعَلْنَا فِى ذُرّيَّتِهِمَا} يعني: في نسليهما {النبوة والكتاب} وكان فيهم الأنبياء مثل موسى، وهارون، وداود، ويونس، وسليمان، وصالح، ونوح، وإبراهيم عليهم السلام {فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مّنْهُمْ فاسقون} يعني: كثير من ذريتهم تاركون للكتاب.

قوله عز وجل: {ثُمَّ قَفَّيْنَا على ءاثارهم} يعني: وصلنا، وأَتْبَعْنَا على آثارهم {بِرُسُلِنَا} واحداً بعد واحد {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابن مَرْيَمَ} يعني: وأرسلنا على آثارهم بعيسى ابن مريم {وَقَفَّيْنَا على} يعني: أعطيناه الإنجيل {وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الذين اتبعوه} يعني: الذين آمنوا به، وصدقوه، واتبعوا دينه، {رَأْفَةً وَرَحْمَةً} يعني: المودة. والمتوادين الذين يود بعضهم بعضاً.

ويقال: الرأفة على أهل دينهم، يرحم بعضهم بعضاً، وهم الذين كانوا على دين عيسى، لم يتهوَّدوا، ولم يتنصروا.

ثم استأنف الكلام فقال: {وَرَهْبَانِيَّةً ابتدعوها} يعني: ابتدعوا رهبانية {مَا كتبناها عَلَيْهِمْ} يعني: لم تكتب عليهم الرهبانية {إِلاَّ ابتغاء رضوان الله} وذلك أنه لما كثر المشركون، خرج المسلمون منهم، فهربوا، واعتزلوا في الغيران، واتبعوا الصوامع، فطال عليهم الأمد، ورجع بعضهم عن دين عيسى ابن مريم، وابتدعوا النصرانية. قال الله تعالى: {ابتدعوها} يعني: الرهبانية، والخروج إلى الصوامع، والتبتل للعبادة {مَا كتبناها عَلَيْهِمْ} يعني: ما أوجبنا عليهم، ولم نأمرهم إلا ابتغاء رضوان الله. يعني: أمرناهم بما يرضي الله تعالى لا غير ذلك. ويقال: {ابتدعوها} لطلب رضى الله تعالى {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} يعني: لم يحافظوا على ما أوجبوا على أنفسهم. ويقال: فما أطاعوا الله حين تهودوا، وتنصَّروا.

قال الله تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا على ءاثارهم بِرُسُلِنَا} في الآخرة {وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فاسقون} يعني: عاصين. وهم الذين تهودوا. وفي هذه الآية دليل وتنبيه

للمؤمنين أن من أوجب على نفسه شيئاً، لم يكن واجباً عليه أن يتبعه، ولا يتركه، فيستحق اسم الفسق. وروي عن بعض الصحابة أنه قال: عليكم بإتمام هذه التراويح، لأنها لم تكن واجبة عليكم. فقد أوجبتموها على أنفسكم فإنكم إن تركتموها صرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية {وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فاسقون}.

▲ تفسير الآيات رقم [28- 29]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)}

ثم قال عز وجل: {مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا الله} يعني: أطيعوه فيما يأمركم به، وفيما ينهاكم عنه، {ياأيها الذين} محمد صلى الله عليه وسلم، يعني: اثبتوا على الإسلام بعد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ويقال يا أيها الذين آمنوا بعيسى ابن مريم: آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ} يعني: أجرين من فضله، ويقال: لما نزلت في أهل مكة {أولئك يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَؤُنَ بالحسنة السيئة وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} [القصص: 54]، حزن المسلمون، فنزل فيهم {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ} وأصل الكِفْل النصيب، يعني: نصيبين من رحمته، أحدهما: بإيمانه بنبيه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

ثم قال عز وجل: {وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ} يعني: يجعل لكم سبيلاً واضحاً تهتدون به، {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} يعني: يغفر لكم ذنوبكم، {والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} يعني: يغفر الذنوب للمؤمنين {رَّحِيمٌ} بهم، {لّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكتاب أَلاَّ يَقْدِرُونَ على شَئ مّن فَضْلِ الله} ولا مؤكدة في الكلام، ومعناه لأن يعلموا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله ورحمته، يعني: مؤمني أهل الكتاب، يعلمون أنهم لا يقدرون من فضل الله إلا برحمته لا برحمته، {وَأَنَّ الفضل بِيَدِ الله} يعني: الثواب من الله تعالى {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} من كان أهلاً لذلك من العبادة {والله ذُو الفضل العظيم} يعني: هو المعطي وهو المانع والله أعلم بالصواب.

سورة المجادلة

تفسير الآية رقم [1]

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)}

قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ} يعني: تخاصمك، {فِى زَوْجِهَا} يعني: من قبل زوجها. وروى أبو العالية الرياحي: أن الآية نزلت في شأن أوس بن الصامت وفي امرأته خويلة بنت دعلج، وعن عكرمة أنه قال: نزلت في امرأة اسمها خويلة بنت ثعلبة وفي زوجها أوس بن الصامت، جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن زوجها جعلها عليه كظهر أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا أرَاكِ إلاَّ وَقَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ». قالت: انظر يا نبي الله، جعلني الله فداك يا نبي الله في شأني، وجعلت تجادله، وعائشة رضي الله عنها تغسل رأس النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة رضي الله عنها: اقصري حديثك ومجادلتك يا خويلة، أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تربّد ليوحى إليه، فأنزل الله تعالى {قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ}.

وروى سفيان، عن خالد، عن أبي قلابة، قال: كان طلاقهم في الجاهلية الظهار والإيلاء، فلما جاء الإسلام جعل الله تعالى في الظهار ما جعل، وجعل في الإيلاء ما جعل.

ثم قال: {وَتَشْتَكِى إِلَى الله} يعني: تتضرع المرأة إلى الله مخافة الفرقة {والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما} يعني: محاورتكما ومراجعتكما {إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ} يعني: سميعاً لمقالة خويلة بصير بأمرها، وقال مقاتل فهي خويلة بنت ثعلبة.

تفسير الآيات رقم [2- 4]

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)}

قوله تعالى: {الذين يظاهرون مِنكُمْ مّن نّسَائِهِمْ} قرأ عاصم {يظاهرون} بضم الياء وكسر الهاء، والتخفيف من ظاهر يظاهر، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، {يَظْهَرُونَ} بنصب الياء، مع التشديد، وهو في الأصل يتظهرون، فأدغمت التاء في الظاء، والمعنى في هذا كله واحد، يقال: ظاهر من امرأته، وتظهَّر منها، وأظهر منها،، إذا قال لها: أنت عليّ كظهر أمي.

ثم قال: {مَّا هُنَّ أمهاتهم} وروى الفضل عن عاصم، أمهاتُهم بضم التاء، لأنه خبر ما، كقولك ما زيد عالم، وقرأ الباقون بالكسر، لأن التاء في موضع النصب، فصار خفضاً لأنها تاء الجماعة، وهي لغة أهل الحجاز، فينصبون خبر «ما»، كقوله ما هذا بشراً، ما هن كأمهاتهم في الحرمة {أمهاتهم إِنْ} يعني: ما أمهاتهم {إِلاَّ اللائى وَلَدْنَهُمْ} يعني: الأم التي ولدته، والأم التي أرضعته، لأنه قال في موضع آخر {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم الْلاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مّنَ الرضاعة وأمهات نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتى فِى حُجُورِكُمْ مّن نّسَآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وحلائل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء: 23].

ثم قال: {وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مّنَ القول وَزُوراً} يعني: قولاً منكراً وكذباً {وَإِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} يعني: ذو تجاوز {غَفُورٌ}، حيث جعل الكفارة لرفع الحرمة، ولم يجعل فرقة بينهما.

ثم قال: {والذين يظاهرون مِن نّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ} يعني: يعودون لنقض ما قالوا، ولرفع ما قالوا في الجاهلية {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} يعني: فعليه تحرير رقبة، ويقال {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ} فيه تقديم وتأخير، يعني: ثم يعودون فتحرير رقبة لما قالوا ويقال: معناه ثم يعودون لما قالوا في الجاهلية، وذلك أنهم كانوا يتكلمون بهذا القول فيرجعون إلى ذلك القول بعد الإسلام، وقال بعضهم: لا تجب الكفارة حتى يقول مرتين، لأنه قال: ثم يعودون لما قالوا، يعني: يعودون مرة أخرى {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} هذا القول خلاف جميع أهل العلم، وإنما تجب الكفارة إذا قال مرة واحدة. والكفارة ما قال الله تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ

وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ الله وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 92] يعني: عتق رقبة {مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} يعني: من قبل أن يجامعها.

ويقال من قبل أن يمس كل واحد منهما صاحبه {ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ} يعني: هذا الحكم الذي تؤمرون به {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} من الوفاء وغيره. وقوله تعالى {فَمَن لَّمْ يَجِدْ} يعني: من لم يجد الرقبة {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} يعني: فعليه صيام شهرين متتابعين، لا يفصل بينهما {مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} يعني: من قبل أن يمس كل واحد منهما صاحبه. وفي الآية دليل أن المرأة لا يسعها أن تدع الزوج يقربها قبل الكفارة، لأنه نهاهما جميعاً عن المسيس قبل الكفارة، واتفقوا على أنه إذا أفطر في شهرين يوماً بغير عذر عليه أن يستقبل، واختلفوا فيمن أفطر لمرض، أو عذر، أو غيره.

قال عطاء إذا أفطر من مرض، فالله أعذره بالعذر يبدله، ولا يستأنف، وقال طاوس: يقضي ولا يستأنف، وهكذا قال سعيد بن المسيب: فهؤلاء كلهم قالوا: لا يستقبل، وقال إبراهيم النخعي والزهري والشعبي: يستقبل، وهكذا قال عطاء الخراساني، والحكم بن كيسان، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم.

ثم قال: {فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ} الصيام {فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً} يعني: فعليه في قول أهل المدينة لكل مسكين صاع من الحنطة. أو التمر.

وفي قول أهل العراق منوان من حنطة، أو صاع من تمر، بدليل ما روى سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر البياض، قال: كنت أصيب من النساء ما لا يصيب غيري، فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من أهلي، فتظاهرت من أهلي حتى ينسلخ الشهر، فبينما هي تخدمني ذات ليلة، إذ انكشف لي منها شيء، فواقعتها، فلما أصبحت أخبرت قومي، فقلت: اذهبوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما نذهب وما نأمن أن ينزل فيك قرآن، فأتيته فأخبرته، فقال: «حَرِّرْ رَقَبَةً» فقلت ما أملك إلا رقبتي، قال: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ» قلت: وهل أصابني إلا من قبل الصيام، قال: «فأَطْعِمْ وَسْقاً مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْكِيناً» قلت: والذي بعثك بالحق نبياً لقريش ما لنا طعام. ثم قال: «انْطَلِقْ إِلى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ، فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ» فرجعت إلى قومي

فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي، وقد أمر لي بصدقتكم، فقد بين في هذا الخبر أنه يجب وسقاً من تمر، والوسق ستون صاعاً، بالاتفاق.

ثم قال: {ذَلِكَ لِتُؤْمِنُواْ باللهِ} يعني: لتصدقوا بوحدانية الله تعالى {وَرَسُولُهُ} يعني: وتصدقوا برسوله {وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ} يعني: هذه فرائض الله، وأحكامه {وللكافرين عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: الذين لا يؤمنون بالله وبرسوله، وروي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتناجي النبي صلى الله عليه وسلم يسمع بعض كلامها، ويخفى عليه بعضه، إذ أنزل الله تعالى {قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا} وهكذا قال الأعمش.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 10]

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (5) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (9) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10)}

قوله تعالى: {إِنَّ الذين يُحَادُّونَ الله وَرَسُولَهُ} يعني: يعادون، ويشاقون الله ورسوله، ويقال يشاقون أولياء الله ورسوله، يعني: الذين يشاقون أولياء الله، لأن أحداً لا يعادي الله، ولكن من عادى أولياء الله فقد عادى الله تعالى.

ثم قال: {كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ الذين مِن قَبْلِهِمْ} قال مقاتل: أخذوا كما أخذ الذين من قبلهم من الأمر ويقال: عذبوا كما عذب الذين من قبلهم، وقال أبو عبيد: أهلكوا ويقال: غيظوا كما غيظ الذين من قبلهم والكبت هو الغيظ، ويقال: أحزنوا، وقال الزجاج: أذلوا وغلبوا {وَقَدْ أَنزَلْنَا ءايات بينات} يعني: القرآن فيه بيان

أمره ونهيه ويقال: آيات واضحات {وللكافرين عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهانون فيه، ثم قال: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعاً} الأولين والآخرين يبعثهم الله من قبورهم {فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ} من خير أو شر ليعلموا وجوب الحجة عليهم {أحصاه الله وَنَسُوهُ} يعني: حفظ الله عليهم أعمالهم وهم نسوا أعمالهم ويقال: {وَنَسُوهُ} يعني: وتركوا العمل في الدنيا {والله على كُلِّ شَئ شَهِيدٌ} يعني: شاهداً بأعمالهم ثم قال: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَعْلَمُ} يعني: ألم تعلم، اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يعني: أنك تعلم، ويقال: معناه إني أعلمتك أن الله يعلم. {مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض}. يعني: سر أهل السَّموات وسر أهل الأرض {مَا يَكُونُ مِن نجوى ثلاثة إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ} يعني: لا يتناجى ثلاثة فيما بينهم، ولا يتكلمون فيما بينهم بكلام الشر إلا هو رابعهم، لأنه يعلم ما يقولون فيما بينهم. {وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ} يعني: كان هو سادسهم، لأنه يعلم ما يقولون فيما بينهم. {وَلاَ أدنى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ} يعني: عالم بهم وبأحوالهم {أَيْنَمَا *** كَانُواْ} في الأرض. {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ} يعني: يخبرهم بما عملوا يوم القيامة من خير أو شر. وذلك أن نفراً كانوا يتناجون عند الكعبة قال بعضهم لبعض: لا ترفعوا أصواتكم حتى لا يسمع رب محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، فامتنعوا من ذلك ثم عادوا إلى النجوى.

{يَوْمَ القيامة إِنَّ الله بِكُلِّ شَئ عَلِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين نُهُواْ عَنِ النجوى} يعني: عن قول السر فيما بينهم، {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ويتناجون بالإثم} يعني: بالكذب {والعدوان} يعني: بالجَوْرِ والظلم، {أَلَمْ تَرَ} يعني: خلاف أمر الله وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. قرأ حمزة {***وينتجون}، والباقون {عَنْهُ ويتناجون} وهما لغتان، يقال: تناجى القوم وانتجوا.

ثم قال: {وَإِذَا *** جَاءوكَ حَيَّوْكَ} يعني: إذا جاءك اليهود حيوك {بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ الله}، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم: السام عليكم.

فيقول: وعليكم. فقالت عائشة رضي الله عنها وعليكم السام، لَعَنَكُم الله وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَهْلاً يا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بالرِّفْقِ. وَإيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ». قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أَوَ لَمْ تَسْمَعِي ما رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ؟ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ». فقالت اليهود فيما بينهم: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول، لاستجيب دعاؤه علينا حيث

قال: عليكم، فنزل {وَإِذَا *** جَاءوكَ حَيَّوْكَ} يعني: سلموا عليك بما لم يُحَيِّكَ به الله يعني: بما لم يأمرك به الله أن تحيي به، ويقال: بما لم يسلم عليك به الله. {وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ} يعني: فيما بينهم. {لَوْلاَ يُعَذّبُنَا الله} يعني: هلا يعذبنا الله {بِمَا نَقُولُ} لنبيه، يقول الله تعالى: {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ} يعني: مصيرهم إلى جهنم، {يَصْلَوْنَهَا} يعني: يدخلونها، {فَبِئْسَ المصير} ما صاروا إليه.

قوله تعالى: {المصير ياأيها الذين ءامَنُواْ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ} قال مقاتل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} باللسان دون القلب {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ} فيما بينكم، {فَلاَ تتناجوا بالإثم والعدوان}؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية، كان المنافقون يتناجون فيما بينهم ليحزنوا المؤمنين. وهذا الخطاب للمخلصين في قول بعضهم، لأن الله تعالى أمرهم أن لا يتناجوا بالإثم والعدوان، كفعل المنافقين يعني: بالعداوة والظلم {أَلَمْ تَرَ} يعني: خلاف أمر الرسول أي: لا تخالفوا أمره {وتناجوا بالبر والتقوى} يعني: بالذي أمركم الله تعالى به، بالطاعة والتقى يعني: ترك المعصية.

ثم خوفهم فقال: {واتقوا الله} يعني: اخشوا الله، فلا تتناجوا بمثل ما تتناجى اليهود والمنافقون. {الذى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم. ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا النجوى مِنَ الشيطان} يعني: نجوى المنافقين من تزيين الشيطان. قال قتادة: إذا رأى المسلمون المنافقين جاؤوا متناجين، فشق عليهم، فنزل {إِنَّمَا النجوى مِنَ الشيطان} يعني: نجوى المنافقين في المعصية من الشيطان. {لِيَحْزُنَ الذين ءامَنُواْ}؛ قرأ نافع {لِيَحْزُنَ الذين ءامَنُواْ} بضم الياء، والباقون بالنصب، ومعناهما واحد. ثم قال: {وَلَيْسَ بِضَارّهِمْ شَيْئاً} يعني: ليس نجوى المنافقين يضر شيئاً للمؤمنين، أي: لا يضرهم {إِلاَّ بِإِذْنِ الله}، إلا أن يشاء. الله ثم أمر المؤمنين بأن يتوكلوا على الله، وهو قوله تعالى: {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون}.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 13]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13)}

ثم قال عز وجل: {المؤمنون ياأيها الذين ءامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى المجالس}. قرأ عاصم {فِى المجالس} بلفظ الجمع، والباقون {فِى المجالس} يعني: في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم. نزلت في ثابت بن قيس، وكان في أذنيه شيء من الثقل، فحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذوا مجالسهم، فبقي قائماً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ الله مَنْ وَسَّعَ لأَخِيهِ» فنزلت الآية. وروى معمر، عن قتادة أنه قال: كان الناس يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لهم: إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس، {فافسحوا} يعني: وسعوا المجلس. {يَفْسَحِ الله لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشزوا فَانشُزُواْ} يعني: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا.

وروى معمر، عن الحسن قال: هذا في الغزاة؛ وقال مجاهد: {تَفَسَّحُواْ فِى المجالس} يعني: مجلس النبي صلى الله عليه وسلم خاصة {وَإِذَا قِيلَ انشزوا} إلى كل خير وقتال عدو وأمر بالمعروف. وروي عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، ولكن تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا». قرأ نافع وابن عامر وعاصم في إحدى الروايتين {انشزوا} بالضم للشين، والباقون بالكسر وهما لغتان. يقال: نشز ينشز يعني: إذ قيل لكم انهضوا يعني: قوموا لا تتثاقلوا، ويقال: {انشزوا} يعني: قوموا للصلاة وقضاء حق أو شهادة فانشزوا يعني: انهضوا.

ثم قال: {يَرْفَعِ الله الذين ءامَنُواْ مِنكُمْ والذين أُوتُواْ العلم درجات} يعني: من كان له إيمان وعلم، وكان له فضائل على الذين يقومون وليس بعالم. قال الضحاك: {يَرْفَعِ الله الذين ءامَنُواْ مِنكُمْ} وقد تم الكلام. ثم قال: {والذين أُوتُواْ العلم درجات} يعني: لأهل العلم درجات، أي: الذين أوتوا العلم في الدنيا ولهم درجات في العقبى. قال: وللعلماء مثل درجة الشهداء، وقال مقاتل: إذا انتهى المؤمن إلى باب الجنة، يقال للمؤمن الذي ليس بعالم: ادخل الجنة بعملك، ويقال للعالم: أقم على باب الجنة واشفع للناس. وقال ابن مسعود: {يَرْفَعِ الله الذين ءامَنُواْ مِنكُمْ والذين أُوتُواْ العلم} على الذين آمنوا منكم ولم يؤتوا العلم درجات. ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} من التفسح في المجلس وغيره.

قوله تعالى: {خَبِيرٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِذَا ناجيتم الرسول} يعني: إذا كلمتم الرسول سراً، {فَقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نجواكم صَدَقَةً} يعني: تصدقوا قبل كلامكم

بصدقة. {ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ} يعني: التصدق خير لكم من إمساكه، {وَأَطْهَرُ} لقلوبكم وأزكى من المعصية. {فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ} ما تتصدقون، {فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لِمَنْ لم يجد الصدقة.

وذلك أن الأغنياء كانوا يكثرون مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يمكنوا الفقراء من سماع كلامه، وكان يكره طول مجالستهم وكثرة نجواهم، فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند المناجاة، فانتهوا عن ذلك، فقدرت الفقراء على سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته.

وقال مجاهد: نُهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلاَّ عَليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه قدم ديناراً تصدق به وكلم النبي صلى الله عليه وسلم في عشر كلمات، ثم أنزلت الرخصة بالآية التي بعدها وهو قوله: {ءَأَشْفَقْتُمْ} يعني: أبخلتم يا أهل الميسرة {أَءشْفَقْتُمْ أَن تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نجواكم صدقات}؟ فلو فعلتم كان خيراً لكم، {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ} وتكرهوا ذلك، فإن الله تعالى غني عن صدقاتكم. {وَتَابَ الله عَلَيْكُمْ} يعني: تجاوز عنكم. {أَءشْفَقْتُمْ أَن تُقَدّمُواْ بَيْنَ}، فَنَسَخَت الزكاةُ الصدقة التي عند المناجاة. {وَأَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ} فيما يأمركم به وينهاكم عنه. {والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الخير والشر والتصدق والنجوى.

▲ تفسير الآيات رقم [14- 19]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (15) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (16) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (17) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (18) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19)}

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِم} يعني: المنافقين اتخذوا اليهود أولياء وتولَّوهم وناصحوهم، وهم اليهود، وغضب الله عليهم ثم قال: {مَّا هُم مّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ} يعني: ليسوا منكم في الحقيقة ولا من اليهود في العلانية، وهذا كقوله: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. وكانوا إذا سألهم المسلمون: إنكم تتولون اليهود، كانوا يحلفون بالله إنهم من المؤمنين، كما قال الله تعالى في آية أخرى: {يَحْلِفُونَ بالله أَنَّهُمْ مِنكُمْ وَمَا هُم مّنكُمْ} فأخبر الله

تعالى إنهم لكاذبون في أيمانهم، فقال: {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكذب وَهُمْ يَعْلَمُونَ} يعني: يحلفون أنهم مصدقون في السر وهم يعلمون أنهم مكذبون.
{أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} في الآخرة. {إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بئس ما كانوا يعملون بولايتهم اليهود وكذبهم وحلفهم، ثم قال عز وجل: {اتخذوا أيمانهم جُنَّةً} يعني: جعلوا حلفهم بدلاً عن القتل، ليأمنوا بها عن القتل والسبي؛ {فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} يعني: صَدُّوا وصرفوا الناس عن دين الله تعالى في السر. {فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهانون فيه.
قوله تعالى: {لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أموالهم وَلاَ أولادهم مّنَ الله شَيْئًا} يعني: لم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً. {أُولَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون} يعني: دائمين. ثم قال عز وجل: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعاً} يعني: المنافقين واليهود، {فَيَحْلِفُونَ لَهُ} يعني: يحلفون لله تعالى في الآخرة، {كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ} في الدنيا؛ وحَلفهم في الآخرة ما قال الله تعالى في سورة الأنعام {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ والله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: 23]، وروى معمر، عن قتادة قال: المنافق يحلف لله تعالى يوم القيامة، كما كان حلف لأوليائه في الدنيا.
ثم قال: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ على شَئ} يعني: يحسبون أن يمينهم تنفعهم شيئاً، {أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكاذبون} في قولهم، ويقال: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ على شَئ} من الدين، ويقال: {وَيَحْسَبُونَ} يعني: يحسب المؤمنون أنهم على شيء، يعني: إن المنافقين على شيء من الدين، يعني: إذا سمعوا حلفهم. قال الله تعالى: من الدين يعني: إذا سمعوا حلفهم، قال الله تعالى: {أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكاذبون} في حلفهم وهم كافرون في السر. ثم قال: {استحوذ} يعني: غلب {عَلَيْهِمُ الشيطان}، ويقال: استولى عليهم الشيطان. {أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشيطان} يعني: جند الشيطان {أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشيطان هُمُ الخاسرون} يعني: خسروا أنفسهم وأموالهم في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [20- 22]

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)}
قوله عز وجل: {إِنَّ الذين يُحَادُّونَ الله وَرَسُولَهُ} يعني: يعادون الله ويخالفون الله ورسوله {أُوْلَئِكَ فِى الاذلين} يعني: في الأسفلين في الدرك الأسفل من النار، وهم المنافقون ويقال: {أُوْلَئِكَ فِى الاذلين} يعني: في الهالكين.
قوله تعالى: {كتاب الله} يعني: قضى الله {لاَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى} يعني: لأغلبن في الدنيا بالحجة والدلائل في الآخرة، ويقال: {لاَغْلِبَنَّ} يعني: لأقهرن أنا ورسلي، فتكون العاقبة للمؤمنين. {إِنَّ الله قَوِىٌّ عَزِيزٌ}، ويقال: {كتاب الله} يعني: قضى الله ذلك قضاء ثابتاً {لاَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى}، وغلبة الرسل تكون على نوعين: من بعث منهم في الحرب، فغلب في الحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة {إِنَّ الله قَوِىٌّ عَزِيزٌ} أي: مانع حزبه من أن يذل والعزيز الذي لا يغلب ولا يقهر.
ثم قال: {لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الاخر} يعني: البعث بعد الموت. {يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ} يعني: يتخذون خلة وصداقة مع الكافرين. نزلت في «حاطب بن أبي بلتعة» وفيه نزل {لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمودة} ثم قال عز وجل: {وَلَوْ كَانُواْ ءابَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إخوانهم أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} يعني: لا تتخذوا مع الكافرين صداقة، وإن كانوا من أقربائه.
ثم قال: {أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمان} يعني: الذين لا يتخذون مع الكافرين صداقة. هم الذين جعل في قلوبهم الإيمان يعني: التصديق {وَأَيَّدَهُمْ}، يعني: أعانهم {بِرُوحٍ مّنْهُ} أي: قَوَّاهم بنور الإيمان وبإحياء الإيمان، وذلك يوصلهم إلى الجنة، {وَيُدْخِلُهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار}، يعني: في الآخرة {خالدين فِيهَا}، يعني: في الجنة. {رَّضِىَ الله عَنْهُمْ} بإيمانهم وطاعتهم، {وَرَضُواْ عَنْهُ} بالثواب والجنة. {أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله} يعني: جند الله. {أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ المفلحون}، يعني: جند الله هم الناجون، الذين فازوا بالجنة وبنعمة الله تعالى وفضله؛ والله أعلم بالصواب.

سورة الحشر

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2)}

قوله تبارك وتعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السموات}، يعني: صلى لله، ويقال: خضع لله، ويقال: هو التسبيح بعينه {مَا فِي السموات} من الملائكة. {وَمَا فِي الارض} يعني: من الخلق. {وَهُوَ العزيز} في ملكه، {الحكيم} في أمره. ثم قال عز وجل: {هُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ}، يعني: يهود بني النضير. {مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن ديارهم}. وكان بدأ أمر بني النضير، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة بعوث، أحد البعوث مرشد بن أبي مرشد الغنوي، وأمره على سبعة نفر إلى بعض النواحي، فساروا حتى جاؤوا بطن الرجيع، فنزلوا عند شجرة، فأكلوا من تمر عجوة كانت معهم، فسقطت نوايات بالأرض، وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار، فكمنوا بالجبل.

فجاءت امرأة من هذيل ترعى الغنم، فرأت النوايات التي سقطت في الأرض، فأنكرت صفرهن فعرفت أنها تمر المدينة، فصاحت في قومها: أنتم أتيتم. فجاؤوا يطلبونها، فوجدوهم قد كمنوا في الجبل، فقالوا لهم: انزلوا ولكم الأمان. فقالوا: لا نعطي بأيدينا. فقاتلوهم، فقتلوا كلهم إلا عبد الله بن طارق، فجرحوه وحسبوا أنه قد مات، فتركوه فنجا من بينهم.

وبقي أخوهم عاصم بن ثابت بن الأفلح، ففرغ جعبته ثم جعل يرميهم ويرتجز، ويقاتلهم حتى فنيت سبله؛ ثم طاعن بالرمح حتى انكسر الرمح وبقي السيف. ثم قال: اللهم إني قد حميت دينك أول النهار، فاحم جسدي في آخره. وكانوا يجردون من قتل أصحابه، فلما قتلوا عاصماً، حمته الدبر وهي الذنابير، حتى جاء السيل من الليل، فذهب به الدبر.

وأسروا خبيب بن عدي ورجل آخر اسمه زيد بن الدثنة، فأما خبيب فذهبوا به إلى مكة، فاشترته امرأة ومعها أناس من قريش قتل لهم قتيل يوم بدر فلما جيء بخبيب أتي به في الشهر الحرام، فحبس حتى انسلخ الشهر الحرام ثم خرجوا به من الحرم ليصلبوه، فقال لهم: اتركوني أصلي ركعتين، فصلاهما. ثم قال: لولا خشيت أن يقولوا جزع من الموت، لازددت. فقال: اللهم ليس هاهنا أحد أن يبلغ عني رسولك السلام، فبلغ أنت عني السلام. ثم التفت إلى وجوههم، وقال: اللهم أحصهم عدداً وأهلكهم بدناً يعني: متفرقين، ولا تبقي منهم أحداً. ثم صلبوه. وأما صاحبه، الذي أسر معه، اشتراه صفوان بن أمية.
وأما البعث الثاني، فإنه بعث محمد بن سلمة مع أصحابه، فقتل أصحابه عن نحو طريق العراق، وارتث هو من وسط القتلى فنجا.
وأما البعث الثالث، فإن عمرو بن مالك كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ابعث إليَّ رجالاً يعلموننا القرآن، ويفقهوننا في الدين، فهم في ذمتي وجواري.
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي في أربعة عشر من المهاجرين والأنصار، فساروا نحو بئر معونة. فلما ساروا ليلة من المدينة، بلغهم أن عمرو بن مالك مات، فكتب المنذر بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فأمده صلى الله عليه وسلم بأربعة نفر منهم عمرو بن أمية الضمري، والحارث بن الصمة، وسعد بن أبي وقاص، ورجل آخر؛ فساروا حتى بلغوا بئر معونة، وكتبوا إلى ربيعة بن عامر بن مالك: نحن في ذمتك وذمة أبيك، أفنقدم إليك أم لا؟ فقال: أنتم في ذمتي وجواري فأقدموا.
فخرج إليهم عامر بن الطفيل، واستعان برعل وذكوان وعصية فخرجوا إلى المسلمين فقاتلوهم، فقتلوا كلهم إلا عمرو بن أمية الضمري، والحارث بن الصمة، وسعد بن أبي وقاص، كانوا تخلفوا. فنزلوا تحت شجرة إذ وقع على الشجرة طير، فرمى عليهم بعلقة دم، فعرفوا أن الطير قد شرب الدم، فقال بعضهم لبعض: قد قتل أصحابنا. فصعدوا أعلى الجبل، فنظروا فإذا القوم صرعى، وقد اعتكفت عليهم الطير، فقال الحارث بن الصمة: أنا لا أنتهي حتى أبلغ مصارع أصحابي.
فخرج إليهم فقاتل القوم، فقتل منهم رجلين. ثم أخذوه فقالوا له: ما تحب أن نصنع بك؟ فقال لهم: ابلغوا بي مصارع قومي. فلما بلغ مصارع أصحابه، أرسلوه فقاتلهم، فقتل منهم اثنين. ثم قتل فرجع عمرو بن أمية الضمري،

ورجع معه الرجلان الآخران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رجلان من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مستأمنين، قد كساهما وحملهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: من أنتما؟ قال: كلابيان. فقتلهما عمرو بن أمية الضمري، وأخذ سلبهما، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر، فقال: بئس ما صنعت حين قتلتهما.

فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره خبر هذه البعوث الثلاثة في ليلة واحدة، صلى الصبح في ذلك اليوم، وقال في الركعة الثانية: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، اللهم العن رعلان وذكوان وبني لحيان، اللهم غفار، غفر الله لها وسالم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله.

فجاء أناس من بني كلاب يلتمسون من رسول الله صلى الله عليه وسلم دية الكلابيين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، صالح بني النضير على أن لا يكونوا معه ولا عليه؛ فاستعان النبي صلى الله عليه وسلم في عقل الكلابيين قبائل الأنصار؛ فلما بلغ العالية استعان من بني النضير فقال: أعينوني في عقل أصابني، فقال: هؤلاء حلفائي. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر، وعمر، وعلي رضي الله عنهم إلى بني النضير، فقال حيي بن أخطب: اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا.

فجلس النبي صلى الله عليه وسلم في صفه، ومعه أبو بكر، وعمر، وعلي رضي الله عنهم فقال حيي بن أخطب لأصحابه: إنما هو في ثلاثة نفر لا ترونه أقرب من الآن، فاقتلوه لا تروا شراً أبداً.

فنزل جبريل عليه السلام وأخبره، فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يريد حاجة، حتى دخل المدينة فجاء إنسان، فسألوه عنه فقال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم دخل أول البيوت. فقاموا من هناك، فقال حيي بن أخطب: عجل أبو القاسم عليه، فقد أردنا أن نطعمه ونعطيه الذي سأله. فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، جمع الناس وجاء بالجيش، واختلفوا في قتل كعب بن الأشرف، فقال بعضهم لبعض: قد كان قتل قبل ذلك، وقال بعضهم: قتل في هذا الوقت. فبعث محمد بن سلمة، فخرج محمد بن سلمة، وأبو نائلة، ورجلان آخران، فأتوه بالليل، وقالوا: أتيناك نستقرض منك شيئاً من التمر. فخرج إليهم فقتلوه، ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم النبي

صلى الله عليه وسلم مع الجيش إلى بني النضير، فقال لهم: اخرجوا منها. فإذا جاء وقت الجذاذ، فجذوا ثماركم. فقالوا: لا نفعل.

فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم، نحن نعطيك الذي سألتنا. قال: «لاَ ولكن اخْرُجُوا مِنْهَا، وَلَكُمْ مَا حَمَلَتِ الإِبِلُ إلاّ الحَلَقَةُ» يعني: السلاح، قالوا: لا. فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة، وأمر بقطع نخيلهم، ونقب بيوتهم. فلما رأت اليهود ما يصنعون بهم، فكلما نقب المسلمون بيت فروا إلى بيت، آخر ينتظرون المنافقين. وقد قال المنافقون لهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، وإن قوتلتم لننصرنكم. فلما رأوا أنه لا يأتيهم أحد من المنافقين ولحقهم من الشر ما لحقهم، قال بعضهم لبعض: ليس لنا مقام بعد النخيل، فنحن نعطيك يا أبا القاسم على أن تعتق رقابنا إلا الحلقة ونخرج، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة، ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة.

فأخذ أموالهم، فقسمها بين المهاجرين، ولم يعطها أحداً من الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين مثل حاجة المهاجرين، وهما سهل بن حنيف وسماك بن خرشة أبو دجانة، فنزلت هذه الآية: {وَهُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن ديارهم} يعني: بني النضير {لِاوَّلِ الحشر}، يعني: أول الإجلاء من المدينة. وقال عكرمة: من شك بأن الحشر هو الشام، فليقرأ هذه الآية {هُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن ديارهم لِاوَّلِ الحشر}. فلما قال لهم: اخرجوا من المدينة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر.

فقال لهم: إنهم أول من يحشر، وأخرج من ديارهم.

ثم قال: {مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ}، يعني: ما ظننتم أيها المؤمنين أن يخرجوا من ديارهم. وذلك إن بني النضير كان لهم عز ومنعة، وظن الناس أنهم بعزهم ومنعتم لا يخرجون. {وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ}، يعني: وحسبوا بني النضير أنهم {مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مّنَ الله} يعني: أن حصونهم تمنعهم من عذاب الله. {فاتاهم الله}، يعني: أتاهم أمر الله، ويقال: {فاتاهم الله} بما وعد لهم. {مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ}، يعني: لم يظنوا أنه ينزل بهم، وهو قتل كعب بن الأشرف، ويقال: خروج النبي صلى الله عليه وسلم مع الجيش إليهم. {وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرعب}، يعني: جعل في قلوبهم الخوف.

{يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى المؤمنين}. وذلك أنهم حصنوا أزقتهم بالدروب، وكان المسلمون ينقبون بيوتهم، ويدخلونها، وكان اليهود ينقبون

بيوتهم من الجانب الآخر ويخرجون منها. ويقال: كان اليهود ينقبون بيوتهم، ليرموا بها على المسلمين؛ وكان المسلمون يخربون نواحي بيوتهم، ليتمكنوا من الحرب. ويقال: كان اليهود أنفقوا في بيوتهم، فلما علموا أنهم يخرجون منها، جعلوا يخربونها كيلا يسكنها المسلمون؛ وكان المؤمنون يخربونها، ليدخلوا عليهم. قرأ أبو عمرو {يُخْرِبُونَ} بالتشديد. والباقون بالتخفيف. قال بعضهم: هما لغتان: خرب وأخرب. وروي عن الفراء أنه قال: من قرأ بالتشديد، فمعناه يهدمون؛ ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه يعطلون. ثم قال {فاعتبروا ياأولى الابصار}، يعني: من له البصارة في أمر الله.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 5]

{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5)}

قوله عز وجل: {وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الجلاء}، يعني: لولا أن قضى الله عليهم الإخراج من جزيرة العرب إلى الشام، {لَعَذَّبَهُمْ فِى الدنيا}؛ يعني: لعذبهم بالقتل والسبي. {وَلَهُمْ فِى الاخرة عَذَابُ النار}، يعني: ذلك الذي أصابهم من الجلاء في الدنيا والعذاب في الآخرة. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ الله وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقّ الله}، يعني: خالفوا الله ورسوله في الدين، ويقال: عادوا الله ورسوله. {وَمَن يُشَاقّ الله} وأصله من يشاقق الله، إلا أن إحدى القافين أدغمت في الأخرى وشددت، يعني: من يخالف الله ورسوله في الدين، {فَإِنَّ الله شَدِيدُ العقاب}، يعني: إذا عاقب، فعقوبته شديدة.

قوله عز وجل: {مَا قَطَعْتُمْ مّن لّينَةٍ} يعني: من نخلة {أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً على أُصُولِهَا} فلم تقطعوها، {فَبِإِذْنِ الله} يعني: بأمر الله. وقال عكرمة: لما دخل المسلمون على بني النضير، أخذوا يقطعون النخل، فنهاهم بعضهم، وتأولوا قوله تعالى: {وَإِذَا تولى سعى فِى الارض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحرث والنسل والله لاَ يُحِبُّ الفساد} [البقرة: 205] وقال بعضهم: يقطع ويتأول قوله تعالى: {مَا كَانَ لأَهْلِ المدينة وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الاعراب أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ الله وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذلك بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ الله وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الكفار وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المحسنين} [التوبة: 120]،

فأنزل الله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً على أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ الله}. وقال الزهري في قوله: {مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ} اللينة: ألوان النخل كلها إلا العجوة، وقال الضحاك: اللينة: النخلة الكرمة والشجرة الطيبة المثمرة، وقال مجاهد: اللينة: الشجرة المثمرة.

وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين. فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعها، وبتحليل من قطعها، وإنما قطعها وتركها بإذن الله تعالى. وعن ابن عباس أنه قال: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع النخل، فشق ذلك على بني النضير مشقة شديدة، فقالوا للمؤمنين: تزعمون أنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون في الأرض، فدعوها قائمة؛ فإنما هي لمن غلب، فنزل: {مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ} واللينة هي النخلة كلها ما خلا العجوة {أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً على أُصُولِهَا} وهي العجوة {فَبِإِذْنِ الله} يعني: القطع والترك بإذن الله.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر عبد الله بن سلام، وأبا ليلى المازني بقطع النخل، فكان أبو ليلى يقطع العجوة، وكان عبد الله بن سلام يقطع اللون، فقيل لأبي ليلى: لِمَ تقطع العجوة؟ قال: لأن فيه كبت العدو. وقيل لابن سلام: لِمَ تقطع اللون، قال: لأني أريد أن تبقى العجوة للمسلمين. فأنزل الله تعالى رضاً بما فعل الفريقان، فقال الله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً على أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ الله}. ثم قال عز وجل: {وَلِيُخْزِىَ الفاسقين} يعني: وليذل العاصين الناقضين العهد.

ثم قال عز وجل {وما أفاء الله على رسوله} يعني ما أعطى الله رسوله من بني النضير وذلك أنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم أموالهم بين جميع المسلمين كما قسم أموال بدر فلم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم وقسم بين فقراء المهاجرين فنزل {وما أفاء الله على رسوله منهم} يعني ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير {فما أوجفتم} يعني ما أجريتم {عليه من خيل ولا ركاب} يعني لا على خيل ولا على إبل أتيتم بل إنكم} مشيتم مشيا حتى فتحتموها

ويقال أوجف الفرس والبعير إذا أسرعا يعني لم يكن عن غزوة أوجفتم خيلا ولا ركابا

{ولكن الله يسلط رسله} يعني محمدا صلى الله عليه وسلم {على من يشاء} من بني النضير

والله على كل شيء قدير من النصرة والغنيمة
ثم بين لمن يعطي تلك الغنائم فقال {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى} يعني من بني النضير وفدك ويقال بني قريظة والنضير وخيبر
{فلله وللرسول} يعني لله أن يأمركم فيه بما أحب
وروى عبد الرازق عن معمر عن الزهري قال كانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصا لم يفتحوها عنوة ولكن افتتحوها على صلح فقسمها بين المهاجرين
ثم قال {ولذي القربى} يعني قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم
{واليتامى والمساكين وابن السبيل}
وروى مالك بن أنس عن عمر قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا بني النضير وخيبر وفدك
فأما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه وأما فدك فكانت لابن السبيل وأما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء فقسم جزأين بين المسلمين وحبس جزءا للنفقة
فما فضل عن أهله رده إلى فقراء المسلمين
ثم قال {كي لا يكون} المال {دولة}
قرأ أبو جعفر المدني {دولة} بالضم وجعله اسم يكون وقراءة العامة بالنصب يعني لكي لا يكون دولة
وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي {دولة} بنصب الدال والباقون بالضم {دولة}
فمن قرأ بالضم فهو اسم المال الذي يتداول فيكون مرة لهذا ومرة لهذا
وأما النصب فهو النقل والانتقال من حال إلى حال {بين الأغنياء منكم} يعني لكيلا يغلب الأغنياء على الفقراء ليقسموه بينهم
ثم قال {وما آتاكم الرسول فخذوه} يعني ما أعطاكم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة فخذوه ويقال وما أمركم الرسول فاعملوا به {وما نهاكم عنه فانتهوا} يعني فامتنعوا عنه
{واتقوا الله إن الله شديد العقاب} لمن عصاه
ثم ذكر أن الفيء للمهاجرين يعني الغنائم {للفقراء المهاجرين} {الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم} يعني تركوا أموالهم وديارهم في بلادهم وهاجروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم

ويقال هذا ابتداء ومعناه عليكم بالفقراء المهاجرين يعني اعرفوا حقهم وصلوهم {الذين أخرجوا من ديارهم} يعني أخرجهم أهل مكة من ديارهم وأموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا {يعني يطلبون رزقا في الجنة ورضوان الله تعالى {وينصرون الله ورسوله} بالسيف يعني يطيعون الله فيما أمرهم بطاعته {أولئك هم الصادقون} يعني الصادقين في إيمانهم فطابت أنفس الأنصار في ذلك فقالوا هذا كله لهم وأموالنا أيضا لهم
فأثنى الله تعالى على الأنصار فقال عز وجل والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يعني استوطنوا الدار يعني دار المدينة من قبل هجرتهم يعني نزلوا دار الهجرة في المدينة {والإيمان} يعني تبوءوا الإيمان أي كانوا مؤمنين من قبل أن هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
قال الله تعالى {يحبون من هاجر إليهم}
يعني يحبون من يقدم إليهم من المؤمنين {ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا} يعني لا يكون في قلوبهم حسدا مما أعطوا يعني المهاجرين
ويقال حاجة يعني حزازة وهو الحزن ويقال {ولا يجدون في صدورهم} بخلا وكراهة بما أعطوا
{ويؤثرون على أنفسهم} في القسمة من الغنيمة يعني تركوها للمهاجرين {ولو كان بهم خصاصة} يعني حاجة
وروى وكيع عن فضيل بن عمران عن رجل عن أبي هريرة أن رجلا من الأنصار نزل به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي إلى الضيف ما عندك فنزل {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}
ويقال إن رجلا من الأنصار أهدي له برأس مشوي فقال لعل جاري أحوج مني فبعث إليه
ثم إن جاره بعثه إلى جار آخر فطاف سبعة أبيات ثم عاد إلى الأول فنزل {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}
قال الله تعالى {ومن يوق شح نفسه} يعني ومن يمنع بخل نفسه {فأولئك هم المفلحون} يعني الناجين
وروى وكيع بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال} بريء من الشح من أدى الزكاة وأقرى الضيف وأعطى في النائبة {

وقد أثنى الله تعالى على المهاجرين وعلى الأنصار ثم أثنى على الذين من بعدهم على طريقتهم فقال {والذين جاؤوا من بعدهم} يعني التابعين ويقال يعني الذين هاجروا من بعد الأولين
{يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} يعني أظهروا الإيمان قبلنا يعني المهاجرين والأنصار
{ولا تجعل في قلوبنا غلا} يعني غشا وحسدا وعداوة {للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} يعني رحيما بعبادك المؤمنين
وفي الآية دليل أن من ترحم على الصحابة واستغفر لهم ولم يكن في قلبه غل لهم فله حظ في المسلمين وله أجر مثل أجر الصحابة
ومن شتمهم أو لم يترحم عليهم أو كان في قلبه غل لهم ليس له حظ في المسلمين لأنه ذكر للمهاجرين فيه حظ ثم ذكر الأنصار ثم ذكر الذين جاؤوا من بعدهم وقد وصفهم الله بصفة الأولين إذ دعا لهم
وفي الآية دليل أن الواجب على المؤمنين أن يستغفروا لإخوانهم الماضين وفيه وينبغي للمؤمنين أن يستغفروا لآبائهم ولمعلميهم الذين علموهم أمور الدين
ثم نزل في شأن المنافقين فقال {ألم تر إلى الذين نافقوا} يعني منافقي المدينة {يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب} يعني بني النضير
{لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا} يعني ولا نطيع محمدا صلى الله عليه وسلم في خذلانكم
{وإن قوتلتم لننصرنكم} يعني لنعينكم
{والله يشهد إنهم لكاذبون} في مقالتهم وإنما قالوا ذلك بلسانهم في غير حقيقة في قلوبهم
فقال الله تعالى {لئن أخرجوا لا يخرجون معهم} يعني لئن أخرج بنو النضير لا يخرج المنافقون معهم
{ولئن قوتلوا لا ينصرونهم} يعني لا يمنعونهم على ذلك
{ولئن نصروهم ليولن الأدبار} يعني ولو أعانوهم لا يثبتون على ذلك ولن ينصروهم {ليولن الأدبار} يعني رجعوا منهزمين
{ثم لا ينصرون} يعني لا يمنعون من الهزيمة
ثم قال عز وجل {لأنتم أشد رهبة} يعني أنتم يا معشر المسلمين {أشد رهبة في صدورهم من الله} يعني خوفهم منكم أشد من عذاب الله في الآخرة

{ذلك بأنهم قوم لا يفقهون} يعني لا يعقلون أمر الله تعالى
ثم أخبر عن ضعف اليهود في الحرب فقال عز وجل {لا يقاتلونكم جميعا} يعني لا يخرجون إلى الصحراء لقتالكم
{إلا في قرى محصنة} يعني حصينة أو من رواء جدر يعني يقاتلونكم من وراء الجدار فحذف الألف وهو جمع الجدار
قرأ ابن كثير وأبو عمرو من وراء جدار بالألف والباقون جدر بحذف الألف وهو جماعة
فمن قرأ {جدار} فهو واحد يريد به الجمع
ثم قال {بأسهم بينهم شديد} يعني قتالهم فيما بينهم إذا اقتتلوا شديد وأما مع المؤمنين فلا
ثم قال {تحسبهم جميعا} يعني تظن أن المنافقين واليهود على أمر واحد وكلمتهم واحدة
{وقلوبهم شتى} يعني قلوب اليهود مختلفة ولم يكونوا على كلمة واحدة
{ذلك بأنهم} يعني ذلك الاختلاف بأنهم {قوم لا يعقلون} يعني لا يعقلون أمر الله تعالى
ثم ضرب لهم مثلا فقال عز وجل {كمثل الذين من قبلهم} يعني مثل بني النضير مثل الذين من قبلهم يعني أهل بدر
{قريبا} يعني كان قتال بدر قبل ذلك بقريب وهو مقدار سنتين أو نحو ذلك
{ذاقوا وبال أمرهم} يعني عقوبة ذنبهم {ولهم عذاب أليم} يعني عذابا شديدا في الآخرة
ثم ضرب لهم مثلا آخر وهو مثل المنافقين مع اليهود حين خذلوهم ولم يعينوهم
{كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر} يعني برصيصا الراهب
وروى عدي بن ثابت عن ابن عباس قال كان في بني إسرائيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين فيعودهم ويداويهم فيبرؤون على يديه
وأنه أتى بامرأة قد جنت وكان لها أخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له حتى وقع عليها فحملت
فلما استبان حملها لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له حتى قتلها ودفنها
ثم ذهب الشيطان إلى إخوتها في صورة رجل حتى لقي أحدا من أخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا

فبلغ ذلك إلى ملكهم فسار الملك مع الناس فأتوه فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب

فلما رفع على خشبة تمثل له الشيطان فقال أنا الذي زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل لك أن تطيعني فيما أقول لك وأخلصك مما أنت فيه فقال نعم

قال اسجد لي سجدة واحدة

فسجد له فذلك قوله كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر يعني اسجد {فلما كفر} يعني سجد

قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين قال ذلك على وجه الاستهزاء كذلك المنافقون خذلوا اليهود كما خذل الشطيان الراهب {فكان عاقبتهما} يعني عاقبة الشيطان والراهب {أنهما في النار خالدين فيها} يعني مقيمين فيها وكان ابن مسعود يقرأ خالدان فيها وقراءة العامة {خالدين فيها} بالنصب وإنما هو نصب على الحال

{وذلك جزاء الظالمين} يعني الخلود في النار جزاء المنافقين والكافرين

قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله} يعني اخشوا الله ويقال أطيعوا الله {ولتنظر نفس ما قدمت لغد} يعني ما عملت لغد وأسلفت لغد أي ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابه يوم القيامة

ثم قال {واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون} من الخير والشر

ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره ونهيه كاليهود

ويوحدوه في السر والعلانية ولا يكونوا في المعصية كالمنافقين فقال {ولا تكونوا كالذين نسوا الله} يعني تركوا أمر الله تعالى

{فأنساهم أنفسهم} يعني خذلهم الله تعالى حتى تركوا حظ أنفسهم أن يقدموا خيرا لها

{أولئك هم الفاسقون} يعني العاصين ويقال {ولا تكونوا كالذين نسوا الله} أي تركوا ذكر الله وما أمرهم به {فأنساهم أنفسهم} يعني فترك ذكرهم بالرحمة والتوفيق ويقال {ولا تكونوا كالذين نسوا الله} يعني تركوا عهد الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم {فأنساهم أنفسهم} يعني أنساهم حالهم حتى لم يعملوا لأنفسهم ولم يقدموا لها خيرا

{أولئك هم الفاسقون} يعني الناقضين للعهد

ثم ذكر مستقر الفريقين فقال {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة} يعني لا يستوي في الكرامة والهوان في الدنيا والآخرة لأن أصحاب الجنة في الدنيا موفقون منعمون معصومون وفي الآخرة لهم الثواب والكرامة
وأصحاب النار مخذولون في الدنيا معذبون في الآخرة
ويقال {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة} في الآخرة لان أصحاب الجنة يتقلبون في النعيم وأصحاب النار يتقلبون في النار والهوان
ثم قال {أصحاب الجنة هم الفائزون} يعني المستعدون الناجون وأصحاب النار الهالكون
ثم وعظهم ليعتبروا بالقرآن فقال عز وجل {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل} يعني القرآن الذي فيه وعده ووعيده لو أنزل على جبل {لرأيته خاشعا} يعني خاضعا {متصدعا من خشية الله} يعني خاضعا متصدعا ويقال ويرق من خوف عذاب الله فكيف لا يرق هذا الإنسان ويخشع ويقال هذا على وجه المثل يعني لو كان الجبل له تميز لتصدع من الخشية من خشية الله ثم قال {وتلك الأمثال نضربها للناس} أي نبينها للناس {لعلهم يتفكرون} أي لكي يتعظوا في أمثال الله يعني فيعتبرون ولا يعصون الله تعالى
ثم قال {هو الله الذي لا إله إلا هو} يعني لا خالق ولا رازق غيره
{عالم الغيب والشهادة} يعني عالم السر والعلانية ويقال الغيب ما غاب عن العباد
والشهادة ما شاهدوه وعاينوه ويقال {عالم} بما كان وبما يكون ويقال {عالم} بأمر الآخرة وبأمر الدنيا
ثم قال {هو الرحمن الرحيم} يعني العاطف على جميع الخلق بالرزق و{الرحيم} بالمؤمنين
ثم قال تعالى {هو الله الذي لا إله إلا هو الملك} يعني مالك كل شيء وهو الملك الدائم الذي لا يزول ملكه أبدا
ثم قال {القدوس} يعني الطاهر عما وصفه الكفار ولهذا سمي بيت المقدس يعني المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب
ثم قال {السلام} يعني يسلم عباده من ظلمه ويقال سمى نفسه سلاما لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء
ثم قال {المؤمن} يعني يؤمن أولياؤه من عذابه ويقال {المؤمن} أي يصدق في وعده ووعيده ويقال {المؤمن} يعني قابل إيمان المؤمنين

ثم قال {المهيمن} يعني الشهيد على عباده بأعمالهم ويقال {المهيمن} يعني المويمن فقلبت الواو هاء وهو بمعنى الأمين
ثم قال {العزيز} يعني الذي لا يعجزه شيء عما أراد ويقال {العزيز} الذي لا يوجد مثله
ثم قال {الجبار} يعني القاهر لخلقه على ما أراده ويقال الغالب على خلقه ومعناهما واحد
ثم قال {المتكبر} يعني المتعظم على كل شيء ويقال {المتكبر} الذي تكبر عن ظلم عباده
ثم قال {سبحان الله} يعني تنزيها لله تعالى {عما يشركون} يعني عما وصفه الكفار من الشريك والولد ويقال {سبحان الله} بمعنى التعجب يعني عجبا عما وصفه الكفار من الشريك
قوله تعالى} هو الله الخالق {يعني الخالق الخلق في أرحام النساء ويقال خالق النطف في أصلاب الآباء {المصور} للولد في أرحام الأمهات ويقال {الخالق} يعني المقدر
{البارئ} الذي يجعل الروح في الجسد ويقال {البارئ} يعني خالق الأشياء ابتداء
ثم قال {له الأسماء الحسنى} يعني الصفات العلى ويقال {له الأسماء الحسنى} وهي تسعة وتسعون اسما وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة
ثم قال {يسبح له ما في السماوات والأرض} يعني يخضع له ما في السموات والأرض يعني جميع الأشياء كقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده الإسراء 44
ثم قال {وهو العزيز} يعني العزيز في ملكه {الحكيم} في أمره
فإن قال قائل قد قال الله تعالى {فلا تزكوا أنفسكم} النجم 32 فما الحكمة في أنه نهى عباده عن مدح أنفسهم ومدح نفسه قيل له عن هذا السؤال جوابان أحدهما أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فهو ناقص وإن كان ناقصا لا يجوز له أن يمدح نفسه والله سبحانه وتعالى تام الملك والقدرة فيستوجب به المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه

وجواب آخر أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فتلك الخصال أفضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقدرة العبد فلهذا لا يجوز له أن يمدح نفسه
والله سبحانه وتعالى إنما قدرته وملكه له ليس لغيره فيستوجب فيه المدح
ومثال هذا أن الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على أحد بالمعروف وقد من الله تعالى على عباده للمعنى الذي ذكرناه في المدح والله أعلم وصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة الممتحنة

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)}

قوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدكم أولياء نزلت في حاطب بن أبي بلتعة العبسي ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهز الجيش للخروج إلى فتح مكة وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج إلى الغزو ورى بغيره يعني يظهر من نفسه أنه يريد الخروج إلى ناحية أخرى وكان الناس لا يعلمون إلى أي ناحية يريد الخروج

فأمر الناس بأن يتجهزوا إلى الخروج للغزو ولم يعلموا إلى أين يخرج إلا الخواص من أصحابه

فبينما الناس يتجهزون إذ قدمت امرأة من مكة يقال لها سارة مولاة بني عمر بن الصيف بن هشام بن عبد مناف وكانت امرأة مغنية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لماذا جئت فقالت جئت لتعطيني شيئا

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت بعطياتك من شبان قريش فقالت منذ قتلتهم ببدر لم يصل إلي شيء إلا القليل

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن تعطى شيئا لترجع

فلما أرادت الخروج أتاها حاطب بن أبي بلتعة فقال لها إني معطيك عشرة دنانير وكساء على أن تبلغي إلى أهل مكة كتابا

فأجابته إلى ذلك فخرجت إلى مكة فنزل جبريل عليه السلام في أثرها بالخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي والزبير والمقداد انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة معها كتاب فخذوه منها

فخرجوا حتى أتوا الروضة فإذا هي سارة هناك فقالوا لها أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب

فألحوا عليها فحلفت أنه ليس معها كتاب فلم يصدقوها حتى نزعت جميع ثيابها فرمت بها إليهم

فنظروا إلى ثيابها فلم يجدوا فيها الكتاب ونظروا في راحلتها وأمتعتها فلم يجدوا فيها الكتاب

فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نرجع

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فقول المرأة أصدق أم قول

جبريل فوالله لا أرجع حتى آخذ منها الكتاب ولأحملن رأسها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسل السيف ليضرب رأسها فأخرجت الكتاب من عقاصها

فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ الكتاب فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة وأخبرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد الخروج إليهم وإنه أراد بالكتاب إليهم مودتهم فقام إليه عمر وقال دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا حاطب فقال لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكل من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهاليهم فأردت أن أتخذ فيهم يدا يحمون قرابتي وما فعلت هذا كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام

وقد علمت أن الله تعالى منجز وعده ما وعد ألا لينصر نبيه صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه إنه شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم فنزل {يا أيها الذين آمنوا} فسماهم مؤمنين {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} يعني في العون والنصرة

{تلقون إليهم بالمودة} يعني تكتبون وتبعثون إليهم بالصحيفة والنصيحة ويقال معناه تخبرونهم كما يخبر الرجل أهل مودته حيث توجهون إليهم بالمودة والنصيحة والكتاب

{وقد كفروا بما جاءكم من الحق} يعني من القرآن والرسول

{يخرجون الرسول وإياكم} يعني أخرجوكم من مكة

{أن تؤمنوا بالله ربكم} يعني لأجل إيمانكم بربكم يعني بوحدانية ربكم

{إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة} يعني لا تلقون إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وطلب رضاي

{وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم} يعني ما أسررتم وما أظهرتم من المودة لأهل الكفر وأعلنتم الإقرار بالتوحيد

{ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل} يعني من يفعل بعد منكم فقد أخطأ قصد الطريق

ثم قال عز وجل {إن يثقفوكم} وهذا إخبار من الله تعالى للمؤمنين بعداوة كفار مكة إياهم لكيلا يميلوا إليهم فقال {إن يثقفوكم} يعني أن يظهروا عليكم ويقال إن يأخذوكم ويقال إن يقهروكم ويغلبوكم

{يكونوا لكم أعداء} يعني يتبين لكم أنهم أعداؤكم فيظهر لكم عداوتهم عند ذلك

{ويبسطوا إليكم أيديهم} بالقتل والتعذيب {وألسنتهم بالسوء} يعني بالشتم

{وودوا لو تكفرون} يعني تمنوا أن ترجعوا إلى دينهم فإن فعلتم ذلك بسبب قرابتكم

{لن تنفعكم أرحامكم} يعني قرابتكم {ولا أولادكم} الذين كانوا بمكة

{يوم القيامة يفصل بينكم} يعني يفرق بينكم وبينهم يوم القيامة

قرأ عاصم {يفصل بينكم} بنصب الياء وكسر الصاد مع التخفيف يعني يفصل الله بينكم وبينهم يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {يفصل بينكم} بضم الياء ونصب الصاد مع التخفيف على معنى فعل ما لم يسم فاعله والمعنى مثل الأول

وقرأ حمزة والكسائي {يفصل بينكم} بضم الياء وكسر الصاد مع التشديد يعني يفصل الله بينكم والتشديد للتكثير وقرأ ابن عامر {يفصل بينكم} بضم الياء ونصب الصاد مع التشديد على معنى فعل ما لم يسم فاعله والتشديد للتكثير ويقال الفصل هو القضاء يعني يقضي بينكم على هذا

{والله بما تعملون بصير} يعني عالم بأعمالكم

▲ تفسير الآيات رقم [4- 6]

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6)}

قوله عز وجل: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إبراهيم} يعني: هلا فعلتم كما فعل إبراهيم، تبرأ من أبيه لأجل كفره؟ ويقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} يعني: قدوة حسنة وسنة صالحة في إبراهيم فاقتدوا به. {والذين مَعَهُ} يعني: من كان مع إبراهيم من المؤمنين. {إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ} أي: لمن كفر من قومهم: {أَنَاْ بَرَاء مّنكُمْ} يعني: من دينكم، {وَمِمَّا تَعْبُدُونَ} يعني: برآء مما تعبدون {مِن دُونِ الله} من الآلهة. {كَفَرْنَا بِكُمْ} يعني: تبرأنا منكم. قرأ عاصم {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} بضم الألف، والباقون بالكسر، وهما لغتان إسوة وأُسوة وهما بمعنى الاقتداء.

ثم قال: {وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العداوة والبغضاء أَبَداً حتى تُؤْمِنُواْ بالله وَحْدَهُ} يعني: حتى تصدقوا بالله وحده، فأعلم الله تعالى أن أصحاب إبراهيم تبرؤوا من قومهم، وعادوهم، لأجل كفرهم، فأمر الله تعالى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتدوا بهم. ثم قال: {إِلاَّ قَوْلَ إبراهيم}، يعني: اقتدوا بهم إلا قول إبراهيم {لاِبِيهِ لاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} يعني: لأدعون لك أن يهديك الله ويكون على هذا التفسير إلا بمعنى لكن قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك يعني: لأدعون لك أن يهديك الله يعني: إبراهيم تبرأ من قومه، لكنه يدعو لأبيه بالهدى. ثم قال: {وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الله مِن شَئ} يعني: ما أقدر أن أمنعك من عذاب الله من شيء، إن لم تؤمن.

ثم علَّمهم ما يقولون، فقال: قولوا {رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا} يعني: فوَّضنا أمرنا إليك وأمر أهالينا، {وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا} يعني: أقبلنا إليك بالطاعة؛ {وَإِلَيْكَ المصير} يعني: المرجع في الآخرة. قوله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لّلَّذِينَ كَفَرُواْ}، فتقتر علينا الرزق وتبسط عليهم، فيظنوا أنهم على الحق ونحن على

الباطل؛ {واغفر لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ العزيز الحكيم} وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه {إِنَّكَ أَنتَ الغفور الرحيم}.
وقال بعضهم: هذا كله حكاية عن قول إبراهيم أنه دعا ربه بذلك، ويقال: هذا تعليم لحاطب بن أبي بلتعة هلاّ دعوت بهذا الدعاء، حتى ينجو أهلك ولا يسلط عليهم عدوك. قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} يعني: في إبراهيم وقومه في الاقتداء. {لّمَن كَانَ يَرْجُو الله واليوم الاخر} يعني: لمن يخاف الله ويخاف البعث؛ ويقال: {لّمَن كَانَ يَرْجُو} ثواب الله وثواب يوم القيامة. {وَمَن يَتَوَلَّ} يعني: يعرض عن الحق؛ ويقال: يأبى عن أمر الله تعالى. {فَإِنَّ الله هُوَ الغنى الحميد} يعني: الغني عن عباده الحميد في فعاله.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 10]

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآَتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)}

ثم قال عز وجل: {عَسَى الله أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ} يعني: لعل الله أن يجعل بينكم {وَبَيْنَ الذين عَادَيْتُم} ، كفار مكة. {مّنْهُم مَّوَدَّةً} ؛ وذلك أنه لما أخبرهم عن إبراهيم بعداوته مع أبيه، فأظهر المسلمون العداوة مع أرحامهم، فشق ذلك على بعضهم، فنزل {عَسَى الله أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذين عَادَيْتُم مّنْهُم مَّوَدَّةً} يعني: صلة. قال مقاتل: فلما أسلم أهل مكة، خالطوهم وناكحوهم، فتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأسلمت وأسلم أبوها. ويقال: يسلم منهم فيقع بينكم وبينهم مودة بالإسلام؛ وهذا القول أصح، لأنه كان قد تزوج بأم حبيبة قبل ذلك. {والله قَدِيرٌ} على المودة؛ ويقال: {قَدِيرٌ} بقضائه وهو ظهور النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة. {والله غَفُورٌ} لمن تاب منهم، {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة.

ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، وهم خزاعة وبنو مدلج، فقال عز وجل: {لاَّ ينهاكم الله عَنِ الذين لَمْ يقاتلوكم فِى الدين} يعني: عن صلة الذين لم يقاتلوكم في الدين، {وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دياركم أَن تَبَرُّوهُمْ} يعني: أن تصلوهم، {وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ} يعني: تعدلوا معهم بوفاء عهدهم. {إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين} يعني: العادلين بوفاء العهد، يقال: أقسط الرجل، فهو مقسط إذا عدل. وقسط يقسط، فهو قاسط إذا جار.

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا ينهاكم الله عَنِ الذين قاتلوكم فِى الدين} يعني: عن صلة الذين قاتلوكم في الدين، وهم أهل مكة، ومن كان في مثل حالهم من أهل الحرب. {وَأَخْرَجُوكُم مّن دياركم وظاهروا على إخراجكم} يعني: عاونوا على إخراجكم من دياركم. {أَن تَوَلَّوْهُمْ} يعني: أن تناصحوهم. {وَمَن يَتَوَلَّهُمْ} منكم يعني: يناصحهم ويحبهم منكم، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} يعني: الكافرون الظالمون لأنفسهم.

قوله عز وجل: {الظالمون ياأيها الذين ءامَنُواْ إِذَا جَاءكُمُ المؤمنات مهاجرات} ؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح أهل مكة يوم الحديبية، وكتب بينه وبينهم كتاباً: «إِنَّ مَنْ لَحِقَ مِنَ المُسْلِمِينَ بِأَهْلِ مَكَّةَ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَحِقَ مِنْهِمْ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَدَّهُ عَلَيْهِمْ». فجاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، اسمها سبيعة بنت الحارث الأسلمية، فجاء زوجها في طلبها، فقال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: (ارْدُدْهَا فَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ شَرْطاً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا كَانَ الشَّرْطُ فِي الرِّجَالِ وَلَمْ يَكُنْ فِي النَّسَاءِ». فأنزل الله تعالى: {إِذَا جَاءكُمُ المؤمنات مهاجرات} نصب على الحال {فامتحنوهن} يعني: اختبروهن، ما أخرجكن من بيوتكن؟ {فامتحنوهن} يعني: اسألوهن، ويقال: استخلفوهن ما خرجنا إلا حرصاً على الإسلام، ولم تكن لكراهية الزوج، ولا لغير ذلك {الله أَعْلَمُ بإيمانهن} يعني: أعلم بسرائرهن.

{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مؤمنات} يعني: إذا ظهر عندكم إنها خرجت لأجل الإسلام، ولم يكن خروجها لعداوة وقعت بينها وبين زوجها، {فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكفار} يعني: لا تردوهن إلى أزواجهن. {لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ} يعني: لا تحل مؤمنة لكافر، {وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} يعني: ولا نكاح كافر لمسلمة.

قوله تعالى: {ياأيها الذين ءامَنُواْ} يعني: أعطوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر. قال مقاتل: يعني: إن تزوجها أحد من المسلمين، يدفع المهر

إلى الزوج؛ فإن لم يتزوجها أحد من المسلمين، فليس لزوجها الكافر شيء. ثم قال: {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ} يعني: لا حرج على المسلمين أن يتزوجوهن. {اليوم أُحِلَّ لَكُمُ} يعني: مهورهن، فرد المهر على الزوج الكافر منسوخ. وفي الآية دليل أن المرأة إذا خرجت من دار الحرب، بانت من زوجها. وفي الآية تأييد لقول أبي حنيفة: أَنَّهُ لاَ عِدَّةَ عَلَيْهَا. وفي أقوال أبي يوسف ومحمد: عليها العدة.

ثم قال: {وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الكوافر}. قرأ أبو عمرو {وَلاَ تُمْسِكُواْ} بالتشديد، والباقون بالتخفيف. فمن قرأ بالتخفيف، فهو من أمسك يمسك، ومن قرأ بالتشديد فهو من مسك بالشيء يمسكه تمسيكاً، ومعناهما واحد، وهو أن المرأة إذا كفرت، ولحقت بدار الحرب، فقد زالت العصمة بينهما. فنهى أن يقبضها من بعد انقطاعها، وجاز له أن يتزوج أختها أو أربعاً سواها. وأصل العصمة الحبل، ومن أمسك بالشيء فقد عصمه. وقال: معناه لا ترغبوا فيهن ولا تعتدوا فيهن؛ ويقال: لا تعتد بامرأتك الكافرة، فإنها ليست لك بامرأة. وكان للمسلمين نساء في دار الحرب، فتزوجن هناك. ثم قال: {ياأيها الذين ءامَنُواْ} يعني: اسألوا من أزواجهن ما أنفقتم عليهن من المهر. {وَلْيَسْئَلُواْ} منكم {مَّا أَنفَقُواْ} يعني: ما أعطوا من مهر المرأة التي أسلمت. وهذه الآية نسخت، إلا قوله: {لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} ثم قال: {ذَلِكُمْ حُكْمُ الله} يعني: أمره ونهيه {يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} يعني: يقضي بينكم {والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 13]

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (11) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (13)}

قوله عز وجل: {وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مّنْ أزواجكم إِلَى الكفار} يعني: إذا ارتدت امرأة ولحقت بدار الحرب، فعاقبتم يعني: فغنم من المشركين شيئاً، {فَاتُواْ الذين ذَهَبَتْ أزواجهم} من الغنيمة {مّثْلَ مَا أَنفَقُواْ} من الغنيمة، مثل الذين أعطوا نساءهم من المهر. وهذه الآية منسوخة بالإجماع. قرأ إبراهيم

النخعي: {فعاقبتم} بغير ألف، وعن مجاهد أنه قرأ: {فعاقبتم}؛ وقراءة العامة {فعاقبتم} فذلك كله يرجع إلى معنى واحد يعني: إذا غلبتم العبد واعتصمتم، واصبتموهم في القتال. {واتقوا الله} يعني: اخشوا الله فلا تعصوه فيما أمركم. {الذى أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} يعني: مصدقين. ثم قال: {مُؤْمِنُونَ يأَيُّهَا النبى إِذَا جَاءكَ المؤمنات يُبَايِعْنَكَ} يعني: النساء إذا أسلمن، فبايعهن {على أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بالله شَيْئاً}، يعني: لا يعبدن غير الله. {وَلاَ يَسْرِقْنَ}، يعني: لا يأخذن مال أحد بغير حق. {وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أولادهن} يعني: ولا يقتلن بناتهن، كما قتلن في الجاهلية؛ ويقال: لا يشربن دواءً، فيسقطن حملهن.

ثم اختلفوا في مبايعة النساء، وقال بعضهم: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً وأخذ في الثوب، وقال بعضهم: كان يشيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصافحهن عمر، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، وفرغ من مبايعة الرجال، وهو على الصفا، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه، فبايع النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن. فقالت هند، امرأة أبي سفيان: إِنِّي قَدْ أَصَبْتُ مِنْ مَالِ أَبِي سُفْيَان، فَلاَ أَدْرِي أَحَلاَلٌ أَمْ لا؟ فقال أبو سفيان: نَعَمْ مَا أَصَبْتِ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا غَبَرَ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عَفَا الله عَمّا سَلَفَ.

وفي خبر آخر، أنها قالت: أَرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يُعْطِنِي مَا يَكْفِينِي وَلِوَلَدِي، هَلْ يَحِلُّ لِي أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خُذِي مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِيكِ وَلِوَلَدِكِ بِالمَعْرُوفِ». ثم قال: {وَلاَ يَزْنِينَ} فلما قال ذلك، قالت هند: أَوَتَزْنِي الحُرَّةُ؟ فضحك عمر عند ذلك، ثم قال: تَعَالَيْ {وَلاَ يَقْتُلْنَ أولادهن} يعني: لا يقتلن بناتهن الصغار، فقالت هند: ربيناهم صغاراً أفنقتلهم كباراً؟ فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: {وَلاَ يَأْتِينَ ببهتان يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} يعني: لا تجيء بصبي من غير زوجها، فتقول للزوج: هو منك. فقالت هند: إِنَّ البُهْتَانَ أَفْحَشُ وَمَا تَأْمُرُنَا إلاَّ بِالرُّشْدِ.

ثم قال عز وجل: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ} يعني: في طاعة مما أمر الله تعالى، ويقال: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ} يعني: فيما نهيتهن عن النوح وتمزيق الثياب، أو تخلو مع الأجنبي، أو نحو ذلك، فقالت هند: ما جَلَسْنَا هَذَا المَجْلِسَ وَفِي أَنْفُسِنَا أَنْ نَعْصِيكَ فِي شَيْءٍ ثم قال {فَبَايِعْهُنَّ واستغفر لَهُنَّ الله} يعني: إذا بايعن على ذلك، فاسأل الله لهن المغفرة لما كان في الشرك.

{إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} غفور لهن ما كان في الشرك رحيم فيما بقي.

قوله تعالى: {رَّحِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ}، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأمر المسلمين، يتواصلون إليهم بذلك، فيصيبون من ثمارهم وطعامهم وشرابهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: {رَّحِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ} يعني: لا تتخذوا الصداقة مع قوم غضب الله عليهم، ويقال: هَذَا أَيضاً في حاطب بن أبي بلتعة.

ثم قال عز وجل: {قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الاخرة كَمَا يَئِسَ الكفار مِنْ أصحاب القبور}؛ قال مقاتل: وذلك أن الكافر إذا وضع في قبره، أتاه ملك شديد الانتهار، فيجلسه، ثم يسأله: من ربك، وما دينك، ومن رسولك؟ فيقول: لا أدري. فيقول الملك: أبعدك الله، انظر يا عدو الله إلى منزلك. فينظر إليه من النار، فيدعو بالويل والثبور، فيقول: هذا لك يا عدو الله. فيفتح له باب إلى الجنة، فيقول: هذا لمن آمن بالله تعالى، فلو كنت آمنت بربك نزلت الجنة. فيكون حسرة عليه، وينقطع رجاؤه منها. وعلم أنه أبعد له فيها، ويئس من خير الجنة، فذلك قوله تعالى: للكفار أهل الدنيا الأحياء منهم {قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الاخرة} يعني: من خير الآخرة، لأنهم كذبوا بالثواب والعقاب، وهم آيسون من الجنة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، إذا عرف منازله؛ ويقال: إن الكفار إذا مات منهم أحد، يئسوا من رجوعه، فيقال: قد يئس هؤلاء من الآخرة، كما يئس الكفار من أصحاب القبور من رجوعهم؛ ويقال: {يَئِسُواْ مِنَ الاخرة} يعني: هؤلاء الكفار كما يئس الكفار الذين كانوا قبلهم من الآخرة؛ وهو اليوم من أصحاب القبور؛ والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

61

سورة الصف

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8)}

قوله تبارك وتعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض وَهُوَ العزيز الحكيم يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ} ؛ وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بعدما فروا يوم أحد: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى، وأفضل لفعلناه، فنزل: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ}. ويقال: قالوا ذلك قبل يوم أحد، فابتلوا بذلك وفروا، فنزل تيسيراً لهم بترك الوفاء، فقال: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ}. {كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله} ، يعني: عظم بغضاً عند الله {أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * إِنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتلون فِى سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بنيان مَّرْصُوصٌ} ، يعني: يصفون بمنزلة الصف في الصلاة وملتزمة بعضهم في بعض، لا يتأخر أحدهم عن صاحبه بمنزلة البنيان الذي بني بالرصاص؛ ويقال: {كَأَنَّهُم بنيان مَّرْصُوصٌ} أي: متفقي الكلمة بعضهم على بعض على عدوهم، فلا يخالف بعضهم بعضاً. وروي في الخبر: أنه كان يوم مؤتة وكان عبد الله بن رواحة أحد الأمراء الذين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم: يا أهل المجلس الذين وعدتم ربكم قولكم، ثم مشى فقاتل حتى قتل.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ موسى} وقد قال موسى {لِقَوْمِهِ ياقوم لِّم تُؤْذُونَنِى} بالتكذيب، وذلك أنهم كذبوه وقالوا: إنه آدر، ويقال: إنه حين مات هارون، ويقال: إنه قال لقومه الكفار: لم تؤذونني بالتكذيب والشتم؟ {وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنّى رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُواْ} يعني: مالوا عن الحق وعدلوا عنه. {أَزَاغَ الله قُلُوبَهُمْ} يعني: خذلهم عن الهدى فثبتوا على اليهودية. {والله لاَ يَهْدِى} يعني: لا يرشد إلى دينه {القوم الفاسقين}، يعني: العاصين المكذبين، الذين لا يرغبون في الحق.

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ} يعني: وقد قال عيسى ابن مريم {مَرْيَمَ يابنى إسراءيل إِنّى رَسُولُ الله إِلَيْكُم}، يعني: أرسلني الله تعالى إليكم، لأدعوكم إلى الإسلام. {مُّصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التوراة} يعني: أقرأ عليكم الإنجيل موافقاً للتوراة في التوحيد وفي بعض الشرائع، {وَمُبَشّراً بِرَسُولٍ} يعني: أبشركم برسول الله {يَأْتِى مِن بَعْدِى اسمه أَحْمَدُ}. وروى ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ. فقال: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ وَرَأَتْ أُمِّي رُؤْيَاهَا حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى فِي أَرْضِ الشَّامِ». {فَلَمَّا جَاءهُم بالبينات}، يعني: جاءهم عيسى بالبينات التي كان يريهم من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. {قَالُواْ هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ} يعني: بيناً ظاهراً. قرأ حمزة والكسائي {ساحر} بالألف، والباقون {ساحر} بغير ألف. فمن قرأ {ساحر} فهو فاعل، ومن قرأ {ساحر} فهو نعت الفعل.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 14]

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى

اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)}
ثم قال عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ} يعني: من أشد في كفره {مِمَّنِ افترى عَلَى الله} يعني: اختلق على الله {الكذب} وهم اليهود. {وَهُوَ يدعى إِلَى الإسلام} يعني: إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم {والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يعني: لا يرشدهم. ويقال: لا يرحمهم ما داموا على كفرهم. ثم قال عز وجل: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ الله بأفواههم} يعني: ليبطلوا دين الله بقولهم: {والله مُتِمُّ نُورِهِ} يعني: مظهر توحيده وكتابه، {وَلَوْ كَرِهَ الكافرون} يعني: وإن كره اليهود والنصارى. قرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص: {والله مُتِمُّ نُورِهِ} على معنى الإضافة، والباقون {مُّتُّمْ} بالتنوين {نُورِهِ} بالنصب. فمتم فاعل ونصب نوره، لأنه مفعول به.
ثم قال عز وجل: {هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى} يعني: بالتوحيد {وَدِينِ الحق} يعني: الشهادة لا إله إلا الله. {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ} يعني: على الأديان كلها. قال مقاتل: وقد فعل، ويقال: إنه يكون في آخر الزمان، لا يبقى أحد إلا مسلم أو ذمة للمسلم. {وَلَوْ كَرِهَ المشركون} يعني: وإن كرهوا ذلك.
ثم قال عز وجل: {المشركون يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ على تجارة تُنجِيكُم مّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}، يعني: من عذاب دائم. قرأ ابن عامر {تُنجِيكُم} بالتشديد، والباقون بالتخفيف، وهما لغتان. أنجاه ونجاه بمعنى واحد. ثم بيَّن لهم تلك التجارة، فقال عز وجل: {تُؤْمِنُونَ بالله} يعني: تصدقون بتوحيد الله {وَرَسُولُهُ} يعني: وتصدقون برسوله، وبماء جاء به من عنده. {وتجاهدون فِى سَبِيلِ الله بأموالكم وَأَنفُسِكُمْ}، فقدم ذكر المال، لأن الإنسان ربما يضر بماله ما لا يضر بنفسه، ولأنه إذا كان له مال، فإنه يؤخذ به النفس ليغزو. {ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ} يعني: التصديق والجهاد خير لكم من تركهما. {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني: تعلمون ثواب الله تعالى، ويقال: يعلمون يعني: يصدقون.
ثم بين ثواب ذلك العمل. فقال: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} يعني: إن فعلتم ذلك العمل، يغفر لكم ذنوبكم. {وَيُدْخِلْكُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار ومساكن طَيِّبَةً} يعني: يدخلكم منازل الجنة {فِى جنات عَدْنٍ ذَلِكَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة. ثم قال عز وجل: {وأخرى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مّن الله} يعني: تجارة

أخرى تحبونها {نَصْرٌ مّن الله} يعني: ولكم سوى الجنة أيضاً عدة أخرى في الدنيا تحبونها، ويقال: معناه ونجاة أخرى تحبونها {نَصْرٌ مّن الله} يعني: هي النصرة من الله تعالى على عدوكم، {وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} يعني: ظفراً سريعاً عاجلاً في الدنيا والجنة في الآخرة.
ثم قال: {وَبَشّرِ المؤمنين} يعني: بشرهم بالجنة. ثم قال عز وجل: {المؤمنين يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ أنصار الله}، قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو {أَنصَار اللَّهِ} بالتنوين، والباقون {أَنْصَارُ الله} بالإضافة، ومعناهما واحد يعني: كونوا أعوان الله بالسيف على أعدائه، ومعناه: انصروا الله، وانصروا دين الله، وانصروا محمداً صلى الله عليه وسلم، كما نصر الحواريون عيسى ابن مريم. وهو قوله تعالى: {كَمَا قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيّينَ مَنْ أنصارى إِلَى الله} يعني: من أعواني إلى الله، ويقال: إنما سموا الحواريون لبياض ثيابهم، ويقال: كانوا قصارين، ويقال: خلصاؤه وصفوته. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الزُّبَيْرُ ابنُ عِمَّتِي وَحَوَارِيَّ مِنْ أُمَّتِي». وتأويل الحواريين في اللغة، الذين أخلصوا وتبرؤوا من كل عيب؛ وكذلك الدقيق الحواري، لأنه ينتقى من لباب البرّ. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إنما سموا الحواريين لبياض ثيابهم، وكانوا صيادين. وروى عبد الرزاق، عن معمر قال: تلا قتادة {المؤمنين يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ أنصار الله} قال: وقد كان ذلك بحمد الله جاءه السبعون، فبايعوه عند العقبة فنصروه وآووه، حتى أظهر الله دينه.
{قَالَ الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ الله} يعني: نحن أعوانك مع الله، {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ أنصار} يعني: بعيسى عليه السلام ويقال: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بمحمد صلى الله عليه وسلم، {وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ} يعني: جماعة منهم. {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ أنصار} يعني: قوينا الذين آمنوا على عدوهم من الكفار، {فَأَصْبَحُواْ ظاهرين}، فصاروا غالبين بالنصرة، والحجة؛ والله أعلم بالصواب.

سورة الجمعة

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)}

قوله تعالى: {يُسَبّحُ لِلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض}، وقد ذكرناه. {الملك القدوس} يعني: الملك الذي يملك كل شيء، ولا يزال ملكه القدوس يعني: الطاهر عن الشريك والولد. قرئ في الشاذ: {الملك القدوس} بالضم ومعناه هو الملك القدوس؛ وقرأه العامة بالكسر، فيكون نعتاً لله تعالى: {العزيز} في ملكه، {الحكيم} في أمره.

ثم قال: {هُوَ الذى بَعَثَ فِى الاميين} يعني: في العرب. والأميون الذين لا يكتبون، وهو ما خلقت عليه الأمة قبل تعلم الكتابة. {رَسُولاً مّنْهُمْ} يعني من قومهم العرب. {يَتْلُو عَلَيْهِمْ} يعني: يقرأ عليهم {ءاياته} يعني: القرآن، {وَيُزَكّيهِمْ} يعني: يدعوهم إلى التوحيد، ويطهرهم به من عبادة الأوثان؛ ويقال: {يُزَكّيهِمْ} يعني: يصلحهم، ويقال: يأمرهم بالزكاة. {وَيُعَلّمُهُمُ الكتاب} يعني: القرآن {والحكمة} يعني: الحلال والحرام. {وَإِن كَانُواْ} يعني: وقد كانوا {مِن قَبْلُ} أن يبعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم، {لَفِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: لفي خطأ بيِّن يعني: الشرك.

{وَءاخَرِينَ مِنْهُمْ} يعني: التابعين من هذه الأمة ممن بقي، {لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ} يعني: لم يكونوا بعد فسيكونون. وروى جويبر، عن الضحاك في قوله: {ءاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ} قال: يعني: من أسلم من الناس، وعمل صالحاً إلى يوم القيامة من عربي وعجمي. ثم قال: {وَهُوَ العزيز الحكيم} يعني: العزيز في ملكه، الحكيم في أمره.

قوله تعالى: {ذلك فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ} يعني: الإسلام فضل الله يؤتيه {مَن يَشَآء} يعني: يعطيه من يشاء، ويكرم به من يشاء من كان أهلاً لذلك. {والله ذُو الفضل العظيم} يعني: ذو المنّ العظيم لمن اختصه بالإسلام. ثم قال: {مَثَلُ الذين حُمّلُواْ التوراة} يعني: صفة الذين علموا التوراة، وأمروا بأن يعملوا بما فيها. {ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا}، أي: لم يعملوا بما أمروا فيها من الأمر والنهي وبيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال: {مَثَلُ الذين حُمّلُواْ التوراة} وأمروا بأن يحملوا تفسيرها، ثم لم يحملوها يعني: لم يعلموا تفسيرها، فمثلهم {كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أَسْفَاراً} يعني: يحمل كتباً ولا يدري ما فيها، كما لا يدري اليهود ما حملوا من التوراة. ثم قال: {بِئْسَ مَثَلُ القوم الذين كَذَّبُواْ بئايات الله} يعني: بئس مثل القوم ضربنا لهم الأمثال، ويقال: بئس صفة القوم الذين كذبوا بآيات الله، يعني: جحدوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم. {والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يعني: إلى طريق الجنة اليهود الذين لا يرغبون في الحق.

وقوله تعالى: {قُلْ ياأيها الذين هَادُواْ} يعني: مالوا عن الإسلام والحق إلى اليهودية.

{إِن زَعمْتُمْ أَنَّكُمْ} يعني: إن ادعيتم وقلتم إنكم {أَوْلِيَاء لِلَّهِ} يعني: أحباباً لله. {مّن دُونِ الناس} يعني: من دون المؤمنين، {فَتَمَنَّوُاْ الموت} يعني: سلوا الموت، فقولوا: اللهم أمتنا. {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنكم أولياء الله من دون المؤمنين. {وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً} يعني: لا يسألون أبداً {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يعني: بما عملت وأسلفت أيديهم. {والله عَلِيمٌ بالظالمين} يعني: عليماً بحالهم بأنهم لا يتمنون الموت. {قُلْ إِنَّ الموت الذى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ ملاقيكم} أي: تكرهون الموت، يعني: نازل بكم لا محالة. {ثُمَّ تُرَدُّونَ} يعني: ترجعون في الآخرة. {إلى عالم الغيب والشهادة}، وقد ذكرناه {فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: يخبركم ويجازيكم بما كنتم تعملون في الدنيا.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)}

قوله عز وجل: {ياأيها الذين ءامَنُواْ إِذَا نُودِىَ للصلاة} يعني: إذا أذن للصلاة {مِن يَوْمِ الجمعة فاسعوا إلى ذِكْرِ الله} يعني: امضوا إلى الصلاة فصلوها. ويقال: {إلى ذِكْرِ الله} يعني: الخطبة فاستمعوها. وروى الأعمش، عن إبراهيم قال: كان ابن مسعود يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله) ويقول: لو قرأتها فاسعوا، لسعيت حتى يسقط ردائي. وقال: القتبي: السعي على وجه الإسراع في المشي كقوله تعالى: {وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى المدينة يسعى قَالَ ياموسى إِنَّ الملا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فاخرج إِنِّى لَكَ مِنَ الناصحين} [القصص: 20] والسعي: العمل كقوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الاخرة وسعى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فأولئك كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} [الإسراء: 19] وقال: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لشتى} [الليل: 4]، والسعي: المشي، كقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الموتى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بلى ولكن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطير فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجعل على كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادعهن يَأْتِينَكَ سَعْيًا واعلم أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقر: 260] وكقوله تعالى: {ياأيها الذين ءامنوا إِذَا نُودِىَ للصلاة مِن يَوْمِ الجمعة فاسعوا إلى ذِكْرِ الله وَذَرُواْ البيع ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: 9] وقال الحسن في قوله تعالى: {فاسعوا إلى ذِكْرِ الله} قال: ليس السعي بالأقدام، ولكن سعي بالنية، وسعي بالقلب، وسعي بالرغبة.

ثم قال: {وَذَرُواْ البيع}، ولم يذكر الشراء، لأنه لما ذكر البيع، فقد دل على الشراء. ومعناه: اتركوا البيع والشراء. وقال جماعة من العلماء: لو باع بعد الأذان يوم الجمعة، لم يجز البيع. وقال الزهري: يحرم البيع يوم الجمعة عند خروج الإمام. وروى جويبر، عن الضحاك أنه قال: إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، حَرُمَ الشِّرَاءُ وَالْبَيْع، وَلَوْ كُنْت قَاضِياً لَرَدَدْتُهُ.

وروى معمر، عن الزهري قال: الأَذَان الَّذِي يُحرمُ نِيَّةَ الْبَيْع عِنْدَ خُروجِ الإمَامِ وَقْتَ الخُطْبَةِ، وقال الحسن: إذَا زَالَتِ الشَّمْسِ، فَلا تَشْتَرِ وَلا تَبِعْ. وقال محمد:

يُحْرَمُ البَيْعُ عِنْدَ النِّداءِ يَوْمَ الجُمُعَةِ عِنْدِ الصَّلاةِ. وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: لا يَصِحُّ البَيْعُ وَالشِّراءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ حِينَ يُنَادَى بِالصَّلاةِ حَتَّى تَنْقَضِي. وقال عامة أهل الفتوى من الفقهاء: إنَّ البَيْعَ جَائِزٌ فِي الحُكْمِ لأنَّ النَّهْيَ لأَجْلِ الصَّلاةِ وَلَيْسَ بِمَانِعٍ لِمَعْنًى فِي الْبَيْعِ. ثم قال: {ذلكم خَيْرٌ لَّكُمْ} يعني: السعي إلى الصلاة، وترك الشراء والبيع. والاستماع إلى الخطبة، خير لكم من الشراء والبيع. {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني: فاعلموا ذلك. وكل ما في القرآن {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كنتم مؤمنين، فهو بمعنى التقرير والأمر.

ثم قال عز وجل: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاة} يعني: فرغتم من الصلاة، {فانتشروا فِى الارض وابتغوا مِن فَضْلِ الله} يعني: اطلبوا الرزق من الله تعالى بالتجارة والكسب.

اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الرخصة، كقوله: {ياأيها الذين ءَامَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ الله وَلاَ الشهر الحرام وَلاَ الهدى وَلاَ القلائد ولا ءَامِّينَ البيت الحرام يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ ورضوانا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فاصطادوا وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ المسجد الحرام أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البر والتقوى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإثم والعدوان واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ} [المائدة: 2]، وهي رخصة بعد النهي. {واذكروا الله كَثِيراً} يعني: واذكروا الله باللسان، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يعني: لكي تنجوا. ثم قال عز وجل: {وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة أَوْ لَهْواً}، قال مجاهد: اللهو هو الضرب بالطبل، فنزلت الآية حين قدم دحية بن خليفة الكلبي.

وروى سالم، عن جابر قال: أقبلت عير ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نصلي الجمعة، فانفض الناس إليهم، فما بقي غير اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية {وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة أَوْ لَهْواً}. {انفضوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً}.

وروى معمر، عن الحسن: أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فقدمت عير والنبي صلى الله عليه وسلم قائم، يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها فخرجوا إليها، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم. قال الله تعالى: وتركوك قائماً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَلَوْ اتَّبَعَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ لالْتَهَبَ الْوَادِي عَلَيْهِمْ نَاراً». قال معمر، عن قتادة قال: لم يبق يومئذ معه إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة، ويقال: إن أهل المدينة كانوا إذا قدمت عير، ضربوا بالطبل وخرج الناس، فنزل {وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة أَوْ لَهْواً انفضوا إِلَيْهَا} والمعنى خرجوا إليها، يعني: إلى التجارة، ويقال: {إِلَيْهَا} يعني: جملة ما رأوا من اللهو والتجارة. وتركوك

قائماً على المنبر. {قُلْ مَا عِندَ الله خَيْرٌ مّنَ اللهو} يعني: ثواب الله تعالى خير من اللهو {وَمِنَ التجارة والله خَيْرُ الرزقين} وخير المعطين؛ والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

▲ سورة المنافقون

تفسي ▲ ر الآيات رقم [1- 6]

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6)}

قوله تعالى: {إِذَا جَاءكَ المنافقون}، إذا حرف من حروف التوقيت، وجوابه قوله: {فاحذرهم} وهذا إعلام من الله تعالى بنفاقهم وكذبهم وغرورهم. {قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله} يعني: يقولون ذلك بلسانهم دون قلوبهم. {والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} من غير قولهم. {والله يَشْهَدُ} يعني: يبيِّن {إِنَّ المنافقين لكاذبون} يعني: إنهم مصدقون في قولهم، ولكنهم كاذبون بأنهم أرادوا به الإيمان.

ثم قال عز وجل: {اتخذوا أيمانهم جُنَّةً} يعني: حلفهم جُنَّة من القتل، وقرأ بعضهم: اتخذوا إيمانهم بكسر الألف، يعني: اتخذوا إظهارهم الإسلام وتصديقهم ستراً لأنفسهم، وقراءة العامة: {اتخذوا أيمانهم} بالنصب يعني: استتروا بالحلف. وكلما ظهر نفاقهم، حلفوا كاذبين. ثم قال: {فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} يعني: صرفوا الناس عن دين الله وهو الإسلام. {إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بئس ما كانوا يعملون، حيث أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، وصدوا الناس عن الإيمان.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} يعني: ذلك الحلف وصرف الناس عن الإيمان بأنهم {ءامَنُواْ} يعني: أقروا باللسان علانية، {ثُمَّ كَفَرُواْ} يعني: كفروا في السر. {فَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ} بالكفر، {فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} الهدى ولا يرغبون فيه.

قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ} يعني: المنافقين، {تُعْجِبُكَ أجسامهم} يعني: عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، كان رجلاً جسيماً فصيحاً يعني: يعجبك منظرهم وفصاحتهم. {وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ} يعني: تصدقهم فتحسب أنهم محقون. {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ}، قال مقاتل: فيها تقديم، يقول: كأن أجسامهم خشب مسندة بعضها على بعض قائماً، وإنها لا تسمع ولا تعقل، ويقال: {خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ} يعني: خشب أسند إلى الحائط، ليس فيها أرواح، فكذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ولا يعقلون. قرأ الكسائي، وأبو عمرو، وابن كثير في إحدى الروايتين {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ} بجزم الشين، والباقون بالضم، ومعناهما واحد، وهو جماعة الخشب.

فوصفهم بتمام الصور، ثم أعلم أنهم في ترك التفهم بمنزلة الخشب. ثم قال: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}، فوصفهم بالجبن أي: كلما صاح صائح، ظنوا أن ذلك لأمر عليهم ويقال: إن كل من خاطب النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يخافون ويظنون أنه مخاطب يخاطبه في أمرهم، وكشف نفاقهم. ثم أمر أن يحذرهم، وبيّن أنهم أعداؤه فقال: {هُمُ العدو} يعني: هم أعداؤك، {فاحذرهم} ولا تأمن من شرهم. ثم قال: {قاتلهم الله} يعني: لعنهم {أنى يُؤْفَكُونَ} يعني: من أين يكذبون؟ ويقال: من أين يصرفون عن الحق؟.

ثم قال عز وجل: {وَإِذْ قِيلَ لَهُم تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ الله لَوَّوْاْ رُؤُوسَهُمْ} يعني: عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار وأعرضوا عنه.

وذلك أن عبد الله بن أبي ابن سلول قيل له: يا أبا الحباب قد أنزل فيك آي: شداد، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن، فقد آمنت. وامرتموني أن أعطي زكاة مالي، فقد أعطيت. وما بقي إلا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم. قرأ نافع {لَوَّوْاْ رُؤُوسَهُمْ} بالتخفيف، والباقون بالتشديد. ومن قرأ بالتخفيف، فهو من لوى يلوي؛ ومن قرأ بالتشديد، فهو للتكثير. ثم قال: {وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ} يعني: يعرضون عن الاستغفار مستكبرين عن الإيمان في السر.

ثم أخبر: أن الاستغفار لا ينفعهم، ما داموا على نفاقهم، فقال: {سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ الله لَهُمْ}، لأنهم منافقون. {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الفاسقين} يعني: لا يرشدهم إلى دينه، لأنهم لا يرغبون فيه.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 11]

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11)}

ثم قال: {هُمُ الذين يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُواْ على مَنْ عِندَ رَسُولِ الله حتى يَنفَضُّواْ} يعني: يتفرقوا. وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا في غزوة، فكسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار وقال: المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، دَعُوهَا فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ ". فقال عبد الله بن أبي: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب رأس هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " دَعْهُ لا يَتَحَدَّث النَّاسُ أنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أصْحَابَهُ ".

وروى معمر، عن قتادة أن عبد الله بن أبي قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله، فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا. قال: فاقتتل رجلان، أحدهما من جهينة، والآخر من غفار؛ وكانت جهينة حليف الأنصار، فظهر عليهم الغفاري، فقال رجل منهم عظيم النفاق يعني: عبد الله بن أبي: عليكم صاحبكم حليفكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد صلى الله عليه وسلم إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة. ليخرجن الأعز منها الأذلّ.

وروى معمر، عن الحسن: أن غلاماً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله، إني سمعت أن عبد الله بن أبي يقول كذا. فقال: فلعلك غضبت عليه. فقال: أما والله يا نبي الله، فلقد سمعته يقول، فقال: فلعله أخطأ سمعك. فقال: لا والله يا نبي الله، لقد سمعته يقول. فأنزل الله تعالى تصديقاً للغلام {لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المدينة}. فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذن الغلام، وقال: «وَعَتْ أُذُنُكَ يَا غُلامُ»، فنزل قوله تعالى: {هُمُ الذين يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُواْ على

مَنْ عِندَ رَسُولِ الله حتى يَنفَضُّواْ} قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ * السموات والارض} يعني: مفاتيح السموات وهي المطر والرزق، ومفاتيح الأرض وهي النبات. {ولكن المنافقين لاَ يَفْقَهُونَ} أمر الله تعالى.
{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الاعز مِنْهَا الاذل} يعني: القوي {مِنْهَا} يعني: من المدينة الذليل يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ} يعني: المقدرة والمنعة لله ولرسوله. {وَلِلْمُؤْمِنِينَ}، حيث قواهم الله تعالى ونصرهم {ولكن المنافقين لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون في السر. ويقال: {وَلِلَّهِ العزة} يعني: القدرة، ويقال: نفاذ الأمر {وَلِرَسُولِهِ}، وهو عزة النبوة والرسالة {وَلِلْمُؤْمِنِينَ}، وهو عز الإيمان والإسلام، أعزهم الله في الدنيا والآخرة.
ولكن المنافقين لا يعلمون.
ثم قال عز وجل: {يَعْلَمُونَ ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أموالكم} يعني: لا تشغلكم أموالكم {وَلاَ أولادكم عَن ذِكْرِ الله} يعني: عن طاعة الله تعالى. {وَمَن يَفْعَلْ ذلك} يعني: من لم يعمل بطاعته ولم يؤمن بوحدانيته، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخاسرون} يعني: المغبونين بذهاب الدنيا وحرمان الآخرة. ثم قال عز وجل: {وَأَنفِقُواْ مِمَّا رزقناكم} يعني: تصدقوا مما رزقناكم، أي: مما رزقكم الله من الأموال. {مّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الموت فَيَقُولُ رَبّ لَوْلا أَخَّرْتَنِى إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ} يعني: يقول: يا سيدي ردني إلى الدنيا، {فَأَصَّدَّقَ} يعني: فأتصدق، ويقال: أصدق بالله. {وَأَكُن مّنَ الصالحين} يعني: أفعل كما فعل المؤمنون.
وروى الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه، أو مال يبلغه بيت الله فلم يحج، سأل عند الموت الرجعة قال: فقال رجل: اتق الله يا ابن عباس، سألت الكفار الرجعة. قال: إني أقرأ عليك بهذا القرآن، ثم قرأ {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} إِلَى قَوله: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مّنَ الصالحين} فقال رجل: يا ابن عباس، وما يوجب الزكاة؟ قال: مائتان فصاعداً. قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة. قرأ أبو عمرو، {فَأَصَّدَّقَ} بالواو وفتح النون، والباقون {إِلَيْهِنَّ وَأَكُن} بحذف الواو بالجزم. فمن قرأ {أَكُونَ} لأن قوله: {فَأَصَّدَّقَ} جواب لولا أخبرتني بالفاء، فأكون معطوفاً عليه. ومن قرأ {وَأَكُن}، فإنه عطفه على موضع {فَأَصَّدَّقَ}، لأنه على معنى إن أخرتني أصدق وأكن، ولم يعطفه على اللفظ. قال أبو عبيدة: قرأت في مصحف عثمان

هكذا بغير واو. ثم قال: {وَلَن يُؤَخِّرَ الله نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا} يعني: إذ جاء وقتها. {والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الخير والشر، فيجازيكم. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَعْلَمُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم، والباقون بالتاء على معنى المخاطبة والله أعلم.

سورة التغابن

تفسير الآيات رقم [1- 6]

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6)}

قوله تعالى: {يُسَبّحُ لِلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض لَهُ الملك} أي: له الملك الدائم الذي لا يزول، يعني: يحمده المؤمنون في الدنيا وفي الجنة. كما قال: {وَلَهُ الحمد} في الأولى والآخرة، ويقال: {لَهُ الحمد} يعني: هو المحمود في شأنه، وهو أهل أن يحمد، لأن الخلق كلهم في نعمته. فالواجب عليهم أن يحمدوه. ثم قال: {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: قادر على ما يشاء.

{هُوَ الذى خَلَقَكُمْ} يعني: يخلقكم من نفس واحدة، {فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ} يعني: منكم من يصير كافراً، ومنكم من يصير أهلاً للإيمان ويؤمن بتوفيق الله تعالى. ويقال: منكم من خلقه كافراً، ومنكم من خلقه مؤمناً؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا إنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى». وإلى هذا ذهب أهل الجبر. ويقال: {فَمِنكُمْ كَافِرٌ} يعني: كافر بأن الله تعالى خلقه، وهو كقوله: {قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَه مِنْ أَىِّ شَئ خَلَقَهُ} [عبس: 18/17] وكقوله: {قَالَ لَهُ صاحبه وَهُوَ يحاوره أَكَفَرْتَ بالذى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} [الكهف: 37]، ويقال: {فَمِنكُمْ كَافِرٌ} يعني: كافراً في السر وهم المنافقون {وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ} وهم المخلصون. ويقال: هذا الخطاب لجميع الخلق، ومعناه: هو الذي خلقكم، فمنكم كافر بالله وهم المشركون، ومنكم مؤمن وهم المؤمنون، يعني: استويتم في خلق الله إياكم، واختلفتم في أحوالكم،

فمنكمٍ من آمن بالله، ومنكم من كفر. ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} يعني: عليماً بما تعملون من الخير والشر.
ثم قال عز وجل: {خُلِقَ السموات والارض بالحق} يعني: بالحق والحجة والثواب والعقاب. {وَصَوَّرَكُمْ} يعني: خلقكم، {فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} يعني: خلقكم على أجمل صورة. وهذا كقوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4] وكقوله: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءَادَمَ وحملناهم فِى البر والبحر ورزقناهم مِّنَ الطيبات وفضلناهم على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} [الإسراء: 70] ثم قال: {وَإِلَيْهِ المصير} يعني: إليه المرجع في الآخرة، فهذا التهديد يعني: كونوا على الحذر. لأن مرجعكم إليه. ثم قال: {يَعْلَمُ مَا فِى السموات والارض} يعني: من كل موجود. {وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} يعني: ما تخفون وما تضمرون في قلوبكم، وما تظهرون وتعلنون بألسنتكم. {والله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: عليماً بسرائركم.
ثم قال الله عز وجل: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الذين كَفَرُواْ مِن قَبْلُ}. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ والتقريع، يعني: قد أتاكم خبر الذين كفروا من قبلكم. {فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ} يعني: أصابتهم عقوبة ذنبهم في الدنيا. ثم أخبر: أن ما أصابهم في الدنيا، لم يكن كفارة لذنوبهم، فقال: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة ثم بين السبب الذي أصابهم به العذاب، فقال: {ذلك} العذاب. {بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني: بالأمر والنهي، ويقال: {بالبينات} يعني: بالدلائل والحجج. {فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا} يعني: آدمياً مثلنا يرشدنا ويأتينا بدين غير دين آبائنا؟ {فَكَفَرُواْ} يعني: جحدوا بالرسل والكتاب، {وَتَوَلَّواْ} يعني: أعرضوا عن الإيمان. {واستغنى الله} تعالى عن إيمانهم. {والله غَنِىٌّ حَمِيدٌ} عن إيمان العباد {حَمِيدٌ} في فعاله، يقبل اليسير ويعطي الجزيل.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 9]

{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)}
ثم قال عز وجل: {زَعَمَ الذين كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ} يعني: مشركي العرب، زعموا أن لن يبعثوا بعد الموت. {قُلْ} يا محمد {بلى وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ}. فهذا

قسم أقسم أنهم يبعثون بعد الموت. {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ} يعني: تخبرون بما عملتم في دار الدنيا، ويجزون على ذلك. ثم قال: {وَذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ} يعني: البعث والجزاء على الله هين.

قوله تعالى: {قُلْ ياأيها الناس} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، وصدقوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم. {والنور الذى أنزلناه} يعني: صدقوا بالقرآن الذي نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم، فسمى القرآن نوراً، لأنه يهتدى به في ظلمة الجهالة والضلالة، ويعرف به الحلال والحرام.

ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} يعني: عالم بأعمالكم فيجازيكم بها.

ثم قال: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ} يعني: تبعثون في يوم يجمعكم {لِيَوْمِ الجمع} يعني: يوم تجمع فيه أهل السماء وأهل الأرض، ويجمع فيه الأولون والآخرون. قرأ يعقوب الحضرمي {يَوْمِ} بالنون، وقراءة العامة بالياء ومعناهما واحد. ثم قال: {الجمع ذَلِكَ يَوْمُ التغابن} يعني: يغبن فيه الكافر نفسه. وأصله ومنازله في الجنة، يعني: يكون له النار مكان الجنة، وذلك هو الغبن والخسران. ثم قال: {وَمَن يُؤْمِن بالله وَيَعْمَلْ صالحا} يعني: يوحد الله تعالى ويؤدِّي الفرائض. {يُكَفِّرْ عَنْهُ سيئاته} يعني: ذنوبه، {وَيُدْخِلْهُ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة. قرأ نافع، وابن عامر {نُّكَفِّرَ} و{ندخله} كلاهما بالنون، والباقون كلاهما بالياء، ومعناهما واحد.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 15]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (10) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (12) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (13) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)}

ثم وصف حال الكافرين فقال عز وجل: {الميمنة والذين كَفَرُواْ بئاياتنا} يعني: بالكتاب والرسول. {أُوْلَئِكَ أصحاب النار خالدين فِيهَا وَبِئْسَ المصير} يعني: بئس المرجع الذي صاروا إليه المغبونين. ثم قال عز وجل: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ} يعني: ما أصاب بني آدم من شدة ومرض وموت الأهلين، {إِلاَّ بِإِذْنِ

الله} يعني: إلا بإرادة الله تعالى وبعلمه. {وَمَن يُؤْمِن بالله} يعني: يصدق بالله على المصيبة، ويعلم أنها من الله تعالى، {يَهْدِ قَلْبَهُ} يعني: إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر. وروي، عن علقة بن قيس: أن رجلاً قرأ عنده هذه الآية، فقال: أتدرون ما تفسيرها؟ وهو أن الرجل المسلم، يصاب بالمصيبة في نفسه وماله، يعلم أنها من عند الله تعالى، فيسلم ويرضى. ويقال: {مَن يُؤْمِنُ بالله يَهْدِ قَلْبَهُ} للاسترجاع يعني: يوفقه الله تعالى لذلك. {والله بِكُلّ شَيْءِ عَلِيمٌ} أي: عالم بثواب من صبر على المصيبة.
ثم قال عز وجل: {وَأَطِيعُواْ الله} يعني: أطيعوا الله في الفرائض، {وَأَطِيعُواْ الرسول} في السنن. ويقال: أطيعوا الله في الرضا بما يقضي عليكم من المصيبة، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الصبر وترك الجزع. {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ} يعني: أبيتم وأعرضتم عن طاعة الله وطاعة رسوله. {فَإِنَّمَا على رَسُولِنَا البلاغ المبين} أي: ليس عليه أكثر من التبليغ ثم وحَّد نفسه، فقال عز وجل: {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا ضار، ولا نافع، ولا كاشف إلاَّ هو. {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} يعني: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، ويفوضوا أمرهم إليه.
قوله تعالى: {المؤمنون يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِنَّ مِنْ أزواجكم وأولادكم عَدُوّاً لَّكُمْ}، حين يمنعونكم الهجرة، {فاحذروهم} أن تطيعوهم في ترك الهجرة. روى سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن قوماً أسلموا بمكة، فأرادوا أن يخرجوا إلى المدينة، فمنعهم أزواجهم وأولادهم. فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، رأوا الناس قد فقهوا في الدين، فأرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم، فنزل قوله تعالى: {المؤمنون يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِنَّ مِنْ أزواجكم وأولادكم عَدُوّاً لَّكُمْ فاحذروهم}. {وَأَن تَعْفُواْ} يعني: تتركوا عقابهم، {وَتَصْفَحُواْ} يعني: وتتجاوزوا، {وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لذنوب المؤمنين {رَّحِيمٌ} بهم.
ثم قال: {إِنَّمَا أموالكم وأولادكم فِتْنَةٌ} يعني: الذين بمكة بلية لا يقدر الرجل على الهجرة. روي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا، فأقبل الحسن والحسين يمشيان ويعثران. فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزل إليهما وأخذهما واحداً من هذا الجانب، وواحداً من هذا الجانب. ثم صعد المنبر، فقال: «صَدَقَ الله {إِنَّمَا أموالكم وأولادكم فِتْنَةٌ}. لَمَّا رَأَيْتُ هاذين الغُلامَيْنِ، لَمْ أَصْبِرْ أَنْ قَطَعْتُ كَلامِي، وَنَزَلْتُ

إِلَيْهِمَا». ثم أتم الخطبة. ثم قال: {والله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} أي: ثواب عظيم، لمن آمن ولمن لم يعص الله تعالى لأجل الأموال والأولاد وأحسن إليهم.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 18]

{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)}

ثم قال عز وجل: {فاتقوا الله مَا استطعتم} يعني: على قدر ما أطقتم. {واسمعوا} يعني: اسمعوا ما تؤمرون به من المواعظ. {وَأَطِيعُواْ} يعني: وأطيعوا الله والرسول. {وَأَنْفِقُواْ خَيْراً لِانفُسِكُمْ} يعني: تصدقوا خيراً، يعني: وأنفقوا من أموالكم في حق الله تعالى {لانفُسِكُمْ} يعني: ثوابه لأنفسكم، ويكون زاداً لكم إلى الجنة. ويقال معناه: تصدقوا خيراً لأنفسكم من إمساك الصدقة. {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ} يعني: يدفع البخل عن نفسه، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ المفلحون} يعني: الناجين السعداء.

وقوله تعالى: {إِن تُقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَناً} يعني: صادقاً من قلوبكم. {يضاعفه لَكُمْ} يعني: القرض يضاعف حسناتكم. ويقال: {يضاعفه لَكُمْ} يعني: الله تعالى يضاعف القرض لكم، فيعطي للواحد عشرة. إلى سبعمائة، إلى ما لا يحصى. {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} يعني: يغفر لكم ذنوبكم. {والله شَكُورٌ} يعني: يقبل اليسير ويعطي الجزيل. {حَلِيمٌ} لا يعجل بالعقوبة لمن يبخل. ثم قال: {عالم الغيب والشهادة}، وقد ذكرناه. {العزيز الحكيم} يعني: العزيز في ملكه، الحكيم في أمره، سبحانه وتعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سورة الطلاق

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5)}

قوله تعالى: {الحكيم يأيّهَا النبى إِذَا طَلَّقْتُمُ النساء}، فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو وأمته، بدليل قوله: {إِذَا طَلَّقْتُمُ النساء}، فذكر بلفظ الجماعة، فكأنه قال: يا أيها النبي ومن آمن بك، {إِذَا طَلَّقْتُمُ النساء} يعني: أنت وأمتك. إذا أردتم أن تطلقوا النساء. وقال الكلبي: نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم، حين غضب على حفصة بنت عمر، فقال: {فَطَلّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}. وقال: طاهرات، من غير جماع.

وروى أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: {فَطَلّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} طاهرات من غير جماع. روى سفيان، عن عمرو بن دينار: أن ابن عباس رضي الله عنهما قرأ (فطلقوهن لقبل عدتهن) وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لو أن الناس أصابوا حد الطلاق، لما ندم رجل على امرأته يطلقها، وهي طاهرة لم يجامعها. فإن بدا أن يمسكها أمسكها، وإن بدا له أن يخلي سبيلها خلى.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: الطلاق على أربعة أوجه: وجهان حلال، ووجهان حرام. فأما الحلال، بأن يطلقها من غير جماع، أو يطلقها حاملاً.

وأما الحرام، بأن يطلقها حائضاً، أو يطلقها حين جامعها. وقال الحسن: {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} قال: إذا طهرن من الحيض من غير جماع. وقال الزهري، وقتادة: يطلقها لقبيل عدتها. وروى ابن طاوس، عن أبيه قال: حد الطلاق أن يطلقها قبل عدتها. قلت: وما قبل عدتها؟ قال: طاهرة من غير جماع.

ثم قال: {وَأَحْصُواْ العدة} يعني: واحفظوا العدة. فأمر الرجل بحفظ العدة، لأن في النساء غفلة، فربما لا تحفظ عدتها. ثم قال: {واتقوا الله رَبَّكُمْ} يعني: واخشوا الله ربكم، فأطيعوه فيما أمركم ولا تطلقوا النساء في غير طهورهن. فلو طلقها في الحيض، فقد أساء. والطلاق واقع عليها في قول عامة الفقهاء.

ثم قال: {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ} يعني: اتقوا الله في إخراجهن من بيوتهن لأن سكناها على الزوج ما لم تنقض عدتها ثم قال: {وَلاَ يَخْرُجْنَ} يعني: ليس لهن أن يخرجن من البيوت. ثم قال: {إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ} يعني: إلا أن تزني فتخرج لأجل إقامة الحد عليها، وهو قول ابن مسعود. وقال الشعبي، وقتادة: خروجها في العدة فاحشة. وإخراج الزوج لها في العدة معصية؛ وهكذا روي، عن ابن عمرو، وإبراهيم النخعي. وقال ابن عباس: الفاحشة أن تبذو على زوجها فتخرج. ثم قال: {وَتِلْكَ حُدُودُ الله} يعني: الطلاق بالسنة، وإحصاء العدة من أحكام الله تعالى. {وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله} يعني: يترك حكم الله فيما أمر من أمر الطلاق.

{فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} يعني: أضر بنفسه.

ثم قال: {لا تَدْرِى لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} يعني: لا تطلقها ثلاثاً، فلعله يحدث من الحب أو الولد خير، فيريد أن يراجعها فلا يمكنه مراجعتها. وإن طلقها واحدة، يمكنه أن يراجعها. ثم قال: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} يعني: إذا بلغن وقت انقضاء عدتهن، وهو مضي ثلاث حيض ولم تغتسل من الحيضة الثالثة، {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} يعني: راجعوهن بإحسان، يعني: أن تمسكوهن بغير إضرار. {أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} يعني: اتركوهن بإحسان. ويقال: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} يعني: انقضت عدتهن، {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} يعني: بنكاح جديد إذا طلقها واحدة أو اثنتين.

ثم قال عز وجل: {وَأَشْهِدُوا ذَوِى عَدْلٍ مّنْكُمْ} يعني: أشهدوا على الطلاق والمراجعة فهو على الاستحباب. ويقال: على النكاح المستقبل، فإن أراد به الإشهاد على الطلاق والمراجعة، فهو على الاستحباب. ولو ترك الإشهاد

بالمراجعة، جاز الطلاق والمراجعة. فإن أراد به الإشهاد على النكاح، فهو واجب، لأنه لا نكاح إلاَّ بشهود.
ثم قال: {وَأَقِيمُواْ الشهادة لِلَّهِ} يعني: يا معشر الشهود، أدوا الشهادة عند الحاكم بالعدل على وجهها لحق الله تعالى ولسبب أمر الله تعالى. ثم قال: {ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ} يعني: هذا الذي يؤمر به. {مَن كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليوم الاخر} أي: لا يكتم الشهادة. ثم قال: {وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} يعني: يخشى الله ويطلق امرأته للسنة، {يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} يعني: المراجعة. {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} يعني: في شأن المراجعة. ويقال: {يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} يعني: ينجو من ظلمات يوم القيامة ويرزقه الجنة. ووجه آخر: أن من اتقى الله عند الشدة وصبر، يجعل له مخرجاً من الشدة {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} يعني: يوسع عليه من الرزق. وقال مسروق: {يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} قال: مخرجه أن يعلم أن الله هو يرزقه، وهو يمنحه ويعطيه، لأنه هو الرازق وهو المعطي وهو المانع. كما قال الله تعالى: {ياأيها الناس اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالق غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السمآء والارض لاَ إله إِلاَّ هُوَ فأنى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: 3] الآية.
ثم قال عز وجل: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ} يعني: من يثق بالله في الرزق {فَهُوَ حَسْبُهُ} يعني: الله كافيه. وروى سالم بن أبي الجعد: أن رجلاً من أشجع أسره العدو، فجاء أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه، فقال: اصبر. فأصاب ابنه غنيمة، فجاء بهما جبريل عليه السلام {وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} الآية.
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال: آمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
فرجع إلى منزله، فقالت له: بماذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: بكذا. فقالت: نعم ما أمرك به. فجعلا يقولان ذلك، فخرج ابنه بغنيمة كثيرة، فنزل قوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ} يعني: من يثق بالله في الشدة، يجعل له مخرجاً من الشدة. ويقال: المخرج على وجهين: أحدهما أن يخرجه من تلك الشدة، والثاني أن يكرمه فيها بالرضا والصبر. ثم قال: {إِنَّ الله بالغ أَمْرِهِ}

يعني: قاضياً أمره. قرأ عاصم في رواية حفص {بالغ أَمْرِهِ} بغير تنوين، بكسر الراء على الإضافة، والباقون بالتنوين {أَمَرَهُ} بالنصب، نصبه بالفعل بمعنى يمضي أمره في الشدة والرخاء أجلاً ووقتاً. ثم قال: {قَدْ جَعَلَ الله لِكُلّ شَئ قَدْراً} يعني: جعل لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ووقتاً، لا يتقدم ولا يتأخر.

قوله تعالى: {واللائى يَئِسْنَ مِنَ المحيض مِن نّسَائِكُمْ}. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله: {والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثلاثة قروء وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ الله فى أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بالله واليوم الاخر وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلك إِنْ أرادوا إصلاحا وَلَهُنَّ مِثْلُ الذى عَلَيْهِنَّ بالمعروف وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ والله عَزِيزٌ حَكُيمٌ} [البقرة: 228] قال معاذ بن جبل: يا رسول الله، لو كانت المرأة آيسة لا تحيض، كيف تعتد؟ فنزل: {واللائى يَئِسْنَ مِنَ المحيض مِن نّسَائِكُمْ} والآية. أن تبلغ ستين سنة، ويقال خمسين. {إِنِ ارتبتم}، إن شككتم في عدتهن، {فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أَشْهُرٍ}، فقام رجل آخر، فقال: لو كانت صغيرة، كيف عدتها؟ وقام آخر وقال: لو كانت حاملاً، كيف عدتها؟ فنزل: {واللائى لَمْ يَحِضْنَ} يعني: المرأة التي لم تحض، فعدتها ثلاثة أشهر مثل عدة الآيسة. {وأولات الاحمال أَجَلُهُنَّ} يعني: عدتهن {أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} وقال عمر: لو وضعت ما في بطنها وزوجها على سريره، قبل أن يدفن في حفرته، لانقضت عدتها وحلت للأزواج. وروى الزهري، عن عبد الله، عن أبيه: أن سبيعة بنت الحارث قد وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين يوماً، فمر بها السنابل بن بعكك، فقال لها: أتريدين أن نتزوج؟ فقالت: نعم. قال: لا حتى يأتي عليك أربعة أشهر وعشر. فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها قد حللت للزواج يعني: انقضت عدتك.

ثم قال: {وَمَن يَتَّقِ الله} يعني: يصبر على طاعة الله تعالى، {يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً} يعني: ييسر عليه أمره، ويوفقه ليعمل على طاعة الله تعالى، ويعصمه عن معاصيه. ثم قال: {ذَلِكَ أَمْرُ الله} يعني: هذا الذي ذكره حكم الله وفريضته. {أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ} يعني: أنزله في القرآن على نبيكم. {وَمَن يَتَّقِ الله} ويعمل بأحكامه وفريضته، {يُكَفّرْ عَنْهُ سيئاته} في الدنيا، {وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً} يعني: ثواباً في الجنة. قرأ نافع، وابن عامر {نُّكَفُرَ * عَنْهُ} بالنون، والباقون بالياء، ومعناهما: يرجع إلى شيء واحد. ثم رجع إلى ذكر المطلقات.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 7]

{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (6) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)}

فقال عز وجل: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم} يعني: أنزلوهن من حيث تسكنون فيه. {مِّن وُجْدِكُمْ} يعني: من سعتكم. والوجد: القدرة والغنى. ويقال: افتقر فلان بعد وجده. ثم قال: {وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ} يعني: لا تظلموهن. {لِتُضَيّقُواْ عَلَيْهِنَّ} في النفقة والسكنى. {وَإِن كُنَّ أولات حَمْلٍ} يعني: إن كن المطلقات ذوات حمل، {فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} وقد أجمعوا أن المطلقة إذا كانت حاملاً فلها النفقة، وأما إذا لم تكن حاملاً، فإن كان الطلاق رجعياً، فلها النفقة والسكنى بالإجماع. وإن كان الطلاق بائناً، فلها السكنى والنفقة في قول أهل العراق. وقال بعضهم: لها السكنى ولا نفقة.

ثم قال: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مّن} يعني: المطلقات إذا أرضعن أولادكم، فأعطوهن أجورهن، لأن النفقة على الأب. وأجر الرضاع من النفقة، فهو على الأب إذا كانت المرأة مطلقة. ثم قال: {وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} هموا به واعزموا عليه، ويقال هو أن لا تضار المرأة بالزوج ولا الزوج بالمرأة في الرضاع. ويقال: {وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُمْ} يعني: اتفقوا فيما بينكم يعني: الزوج والمرأة يتفقان على أمر واحد: {بِمَعْرُوفٍ} يعني: بإحسان. {وَإِن تَعَاسَرْتُمْ} يعني: تضايقتم، وهو أن يأبى أن يؤتي المرأة لأجل رضاعها، وأبت المرأة أن ترضعه. ويقال: يعني: أراد الرجل أقل مما طلبت المرأة من النفقة، ولم يتفقا على شيء واحد. {فَسَتُرْضِعُ لَهُ أخرى} يعني: يدفع الزوج الصبي إلى امرأة أُخرى إن أرضعت بأقل مما ترضع الأم به. ثم قال عز وجل: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مّن سَعَتِهِ} يعني: ينفق على المرأة ذو الغنى على قدر غناه، وعلى قدر عيشه وسعته ويسره. {وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} يعني: ضيق عليه رزقه، {فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءاتَاهُ الله} يعني: على قدر ما أعطاه الله من المال. {لاَ يُكَلّفُ الله نَفْساً إِلاَّ مَا ءاتَاهَا} يعني: لا يأمر الله نفساً في النفقة إلا ما أعطاها من المال {سَيَجْعَلُ الله بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً} يعني: العسر ينتظر اليسر.

▲ تفسير الآيات رقم [8- 12]

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (9) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (10) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12)}

قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مّن قَرْيَةٍ} يعني: فكم من أهل قرية قرأ ابن كثير {وَكَأَيِّن} بغير الألف، والباقون بغير مد مع تشديد الياء، وهما لغتان ومعناهما واحد، يعني: وكم من قرية. {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبّهَا} يعني: أبت وعصت عن أمر ربها يعني: عن طاعة ربها. قال مقاتل: {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبّهَا} يعني: خالفت وعصت وقال الكلبي: العتو المعصية. وقال أهل اللغة: العتو مجاوزة الحد في المعصية. ثم قال: {وَرُسُلِهِ} يعني: عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. {فحاسبناها حِسَاباً شَدِيداً} يعني: جازاها الله بعملها. ويقال: {***حاسبناها} في الآخرة {فحاسبناها حِسَاباً شَدِيداً}. {وعذبناها عَذَاباً نُّكْراً} يعني: عذاباً منكراً، على معنى التقديم يعني: عذبناها في الدنيا عذاباً شديداً، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً. ويقال: وحاسبناها يعني: في الدنيا يعني: جازيناها وخذلناها وحرمناها. ثم قال عز وجل: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} يعني: جزاء ذنبها. {وَكَانَ عاقبة أَمْرِهَا خُسْراً} يعني: أهل القرية، يعني: أن آخر أمرهم صار إلى الخسران والندامة.

ثم قال: {أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} يعني: ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم، ولكن مع ما أصابهم في الدنيا {أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} في الآخرة، لأنهم لم يرجعوا عن كفرهم. ثم أمر المؤمنين بأن يعتبروا بهم، ويثبتوا على إيمانهم، فقال: {فاتقوا الله ياأولى الالباب} يعني: اخشوا الله وأطيعوه يا ذوي العقول من الناس. {الذين كَفَرُواْ} بالله يعني: الذين صدقوا بالله ورسوله. {قَدْ أَنزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً} يعني: كتاباً. ويقال: شرفاً وعزاً وهو القرآن. ثم قال: {رَسُولاً} يعني: أرسل إليكم رسولاً، {يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ} يعني: يقرأ عليكم ويعرض عليكم. ويقال: {قَدْ أَنزَلَ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً} يعني: كتاباً مع رسوله،

ليتلو عليكم يعني: يقرأ عليكم {الله مبينات لّيُخْرِجَ} يعني: واضحات. ويقال: بيّن فيه الحلال والحرام. {لّيُخْرِجَ الذين ءامَنُواْ} يعني: الذين صدقوا بتوحيد الله وطاعته {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الطاعات {مِنَ الظلمات إِلَى النور} يعني: من الجهالة إلى البيان. ويقال: {لّيُخْرِجَ الذين ءامَنُواْ} اللفظ لفظ المستقبل، والمراد به الماضي يعني: أخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور، يعني: من الكفر إلى الإيمان؛ ويقال: هو المستقبل يعني: يخرجهم من الشبهات والجهالات إلى الدلالات والبراهين؛ ويقال: ليدعو النبي صلى الله عليه وسلم، ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان من قدرة الله الإيمان في سابق علمه.

ثم قال عز وجل: {وَمَن يُؤْمِن بالله} يعني: يصدق بالله. ويقال: يثبت على الإيمان، {وَيَعْمَلْ صالحا} يعني: فرائض الله وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

{يُدْخِلْهُ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهر}. قرأ نافع، وابن عامر: {ندخله} بالنون، والباقون بالياء يعني: يدخله الله تعالى في الآخرة. {جَهَنَّمَ خالدين فِيهَا} يعني: مقيمين في الجنة دائمين فيها. {أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ الله لَهُ رِزْقاً} يعني: أعد الله له ثواباً في الجنة.

ثم قال عز وجل: {الله الذى خَلَقَ سَبْعَ * سموات وَمِنَ الارض مِثْلَهُنَّ} يعني: خلق سبع أرضين مثل عدد السماوات. {يَتَنَزَّلُ الامر بَيْنَهُنَّ} يعني: ينزل الوحي من السموات. ويقال: في كل سماء، وفي كل أرض أمره نافذ. وقال القتبي: الأمر، على وجوه الأمر أي القضاء، كقوله: {إِنَّ رَبَّكُمُ الله الذي خَلَقَ السماوات والارض فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش يُدَبِّرُ الامر مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذلكم الله رَبُّكُمْ فاعبدوه أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} [يونس: 3] ويعني: يقضي القضاء، وكقوله: {إِنَّ رَبَّكُمُ الله الذى خَلَقَ السماوات والارض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش يُغْشِى اليل النهار يَطْلُبُهُ حَثِيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخلق والامر تَبَارَكَ الله رَبُّ العالمين} [الأعراف: 54] أي: القضاء. والأمر: الدين، كقوله: {وتقطعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا راجعون} [الأنبياء: 93] وكقوله: {لَقَدِ ابتغوا الفتنة مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأمور حتى جَآءَ الحق وَظَهَرَ أَمْرُ الله وَهُمْ كارهون} [التوبة: 48] أي: دين الله. والأمر: القول كقوله: {وكذلك أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ليعلموا أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَأَنَّ الساعة لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يتنازعون بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ابنوا

عَلَيْهِمْ بنيانا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا} [الكهف: 21] أي قولهم الأمر: العذاب، كقوله: {يإبراهيم أَعْرِضْ عَنْ هاذآ إِنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} [هود: 76] والأمر: القيامة، كقوله: {أتى أَمْرُ الله فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سبحانه وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النحل: 1] والأمر: الوحي، كقوله: {الله الذى خَلَقَ سَبْعَ سماوات وَمِنَ الارض مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الامر بَيْنَهُنَّ لتعلموا أَنَّ الله على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَا} [الطلاق: 12] يعني: الوحي. والأمر: الذنب، كقوله: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عاقبة أَمْرِهَا خُسْراً} [الطلاق: 9] أي: جزاء ذنبها. وأصل هذا كله واحد، لأن الأشياء كلها بأمر الله تعالى، فسميت الأشياء أموراً.

ثم قال: {لِّتَعْلَمُواْ أَنَّ الله على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} يعني: يمكنكم أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير. {وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَا} يعني: أحاط علمه بكل شيء. وروى معمر، عن قتادة في قوله: {سَبْعَ سموات *** وَمِنَ الارض مِثْلَهُنَّ} قال: في كل سماء، وفي كل أرض من أرضه، وخلق من خلقه وأمر من أموره، وقضاء من قضائه سبحانه وتعالى.

سورة التحريم

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2)}

قوله تعالى: {عِلْمَا ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ}، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خلا في يوم لعائشة رضي الله عنها مع جاريته مارية القبطية، فوقعت حفصة على ذلك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُعْلِمِي عَائِشَةَ» وحرم مارية على نفسه، فأخبرت حفصة عائشة بذلك، فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك، فطلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة، فأمر الله تعالى رسوله بكفارة اليمين، لتحريم جاريته على نفسه، وأمره بأن يراجع حفصة، فقال له جبريل: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، ونزلت هذه الآية: {عِلْمَا ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ} يعني: مارية {تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أزواجك} يعني: تطلب رضا زوجتك عائشة. {والله غَفُورٌ} فيما حرم على نفسه. ويقال: غفور لذنب حفصة. {رَّحِيمٌ} حيث لم يعاقبها.

{قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانكم} يعني: بيَّن الله لكم كفارة أيمانكم. ويقال: أوجب الله عليكم كفارة أيمانكم. وفي الآية وجه آخر؛ روى هشام بن عروة، عن أبية، عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلو والعسل، وكان إذا صلى العصر، دار على نسائه، فيدنو منهن؛ فدخل على حفصة، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عائشة عن ذلك، فقيل لها: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم منه. فقالت: أما والله لنحتالن. فذكرت ذلك لسودة، وقالت: إذا دخل فإنه سيدنو منك، فقولي له: أكلت المغافير؟ فإنه سيقول لك: لا. فقولي له: ما هذه الريح؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه إذا وجد منه الريح، فإنه سيقول لك: حفصة سقتني شربة عسل. فقولي له: جرست نحلة العُرْفُط يعني: أن تلك النحلة أكلت العرفط، وهو نبات به رائحة

منكرة. وسأقول له ذلك، وقولي له أنت يا صفية. فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سودة، قالت سودة: لقد كدت أن أناديه وإنه لعلى الباب فرقاً منك، فلما دنا مني، قلت: أكلت المغافير؟ قال: لا، قالت: فما هذه الريح؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. قلت: جرست نحلة العرفط. فلما دخل على صفية، قالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة، قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي به.

وروى ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عائشة، فقالت له: إني أجد منك ريحاً. ثم دخل على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحاً. قال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فنزل: {عِلْمَا ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ}. ثم قال: {قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانكم} يعني: أوجب عليكم كفارة أيمانكم. {والله مولاكم} يعني: ناصركم وحافظكم {وَهُوَ العليم} بما قالت حفصة لعائشة في أمر مارية. {الحكيم} حكم بكفارة اليمين.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 4]

{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)}

ثم قال عز وجل: {وَإِذْ أَسَرَّ النبى} يعني: أخفى النبي {إلى بَعْضِ أزواجه حَدِيثاً} يعني: كلاماً. {فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ} يعني: أخبرت بذلك الخبر حفصة عائشة، {وَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ} يعني: أظهر الله قولها لرسوله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، فأخبرها ببعض ما أخبرت عائشة، ولم يخبرها عن الجميع، فذلك قوله: {عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ} يعني: سكت عن بعض. ومن هذا قيل: إن الكريم لا يبالغ في العتاب. قرأ الكسائي: {عَرَّفَ} بالتخفيف يعني: جازاها ببعضه، والباقون {عَرَّفَ} بالتشديد يعني: عرف حفصة. {فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ} يعني: لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الخبر حفصة، {قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا} يعني: من أخبرك بهذا. {قَالَ نَبَّأَنِيَ} يعني: أخبرني {العليم الخبير}.

قوله تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى الله} يعني: عائشة وحفصة، {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} يعني: مالت قلوبكما عن الحق. وذكر عن الفراء أنه قال: معناه إن لا تتوبا إلى

الله، {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} عن الحق، ويقال: فيه مضمر، ومعناه: إن تتوبا إلى الله يقبل الله توبتكما، ويقال معناه إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما يعني: مالت إلى الحق. وروى الزهري، عن عبد الله بن عباس قال: كنت مع عمر رضي الله عنه حين حج، فلما كنا في بعض الطريق، نزل في موضع، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان قال الله تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى الله}؟ فقال عمر رضي الله عنه واعجبا لك يا ابن عباس. قال الزهري: كأنه كره ما سأله عنه، ولم يكتمه. قال: هي حفصة وعائشة رضي الله عنهما ثم قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم. فغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني. فأنكرت أن تراجعني، فقالت ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لتراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فدخل على حفصة، فذكرت لها، فقالت: نعم. فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله؟ لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تسأليه شيئاً، واسأليني ما بدا لك.
قال: كان لي جار من الأنصار يأتيني بخبر الوحي، وأتاه بمثل ذلك. قال: فأتاني يوماً فناداني، فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم. فقلت: ماذا؟ قال: طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه، فقلت: خابت حفصة وخسرت. فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: لا أدري، هو ذا معتزلاً في هذه المشربة.
فأتيته، فدخلت فسلمت عليه، فإذا هو متكئ على رمل حصير. قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت نساءك يا رسول الله؟ قال: لا. فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أقسم أن لا يدخل شهراً عليهن، حتى نزل: {عِلْمَا ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ} إلى قوله تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}.
ثم قال: {وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} يعني: تعاونا على أذاه ومعصيته، فيكون مثلكما كمثل امرأة نوح وامرأة لوط، تعملان عملاً تؤذيان بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي {تظاهر} بالتخفيف، وقرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد، وكذلك ابن كثير وابن عامر في إحدى الروايتين، لأن أصله تتظاهر. {عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مولاه} يعني: وليه وناصره. {وَجِبْرِيلُ

وصالح الْمُؤْمِنِينَ} يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وأصحابه رضي الله عنهم قال: حدثنا الفقيه ابن جعفر قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن حمدان قال: حدثنا أحمد بن جرير قال: حدثنا سعيد بن هشام قال: حدثنا هشام بن عبد الملك، عن محمد بن أبان، عن عبد الله بن عثمان، عن عكرمة في قوله: {وصالح الْمُؤْمِنِينَ} قال أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما قال عبد الله: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، قال: صدق عكرمة. ويقال: {صالح المؤمنين} يعني: خيار أصحابه. ثم قال: {وَالْمَلَئِكَةُ بَعْدَ ذلك ظَهِيرٌ} يعني: الملائكة أيضاً أنصار النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يعني: مع ذلك أعوان النبي صلى الله عليه وسلم.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 8]

{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (5) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (7) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8)}

ثم قال: {عسى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ}، فخوفهن الله تعالى بفراق النبي صلى الله عليه وسلم إياهن، وعسى من الله واجب {إِن طَلَّقَكُنَّ} عسى ربه {أَن يُبْدِلَهُ أزواجا}. قرأ نافع، وأبو عمرو {يُبْدِلَهُ} بتشديد الدال، والباقون بالتخفيف ومعناهما واحد. يقال: بدَّل وأبدل. {خَيْراً مّنكُنَّ مسلمات} يعني: مستسلمات لأمر النبي صلى الله عليه وسلم. ويقال: يعني: معينات. ثم قال: {مؤمنات} يعني: مصدقات في إيمانهن، {قانتات} يعني: مطيعات لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، {تائبات} يعني: راجعات عن الذنوب، {عابدات} يعني: موحدات مطيعات، {سائحات} يعني: صائمات. وقال أهل اللغة: إنما سمي الصائم سائحاً، لأن الذي يسيح للعبادة لا زاد معه، يمضي نهاره لا يطعم شيئاً؛ ولذلك سمي الصائم سائحاً، {ثيبات وَأَبْكَاراً}. الثيبات: جمع الثيب؛ والأبكار: جمع البكر. وهن العذارى. ويقال: هذا وعد من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يزوجه في الجنة، والثيب: هي آسية امرأة فرعون، والبكر: هي

مريم أم عيسى عليه السلام وهي ابنة عمران تكون وليته في الجنة، ويجتمع عليها أهل الجنة فيزوج الله تعالى هاتين المرأتين محمداً صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى: {وَأَبْكَاراً يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: بعدوا أنفسكم عن النار بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. {وَأَهْلِيكُمْ} يعني: أهليكم {نَارًا} بتعليمهم ما ينجيهم منها. وقال قتادة: مروهم بطاعة الله تعالى، وانهوهم عن معصية الله. وقال مجاهد: يعني: أوصوا أهليكم بتقوى الله؛ ويقال: أدبوهم وعلموهم خيراً، تقوهم بذلك ناراً {وَقُودُهَا} يعني: حطبها. والوقود: ما توقد به النار يعني: حطبها {الناس} إذا صاروا إليها وحطبها، {والحجارة} قبل أن يصير الناس إليها، وهي حجارة الكبريت.
ثم قال: {عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ} يعني: على النار ملائكة موكلين غلاظ يعني: أقوياء يعملون بأرجلهم، كما يعملون بأيديهم {لاَّ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ} يعني: ليسوا كأعوان ملوك الدنيا يمتنعون بالرشوة، ولكن يفعلون {مَا يُؤْمَرُونَ} يعني: لا يفعلون غير ما أمرهم الله تعالى.
ثم قال: {يُؤْمَرُونَ يأَيُّهَا الذين كَفَرُواْ لاَ تَعْتَذِرُواْ اليوم} يعني: يقول لهم الملائكة يوم القيامة حين يعتذرون: {لاَ تَعْتَذِرُواْ اليوم} يعني: لا يقبل منكم العذر. {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: تعاقبون بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي. ثم أمر المؤمنين بالتوبة عن الذنوب. فقال: {تَعْمَلُونَ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ تُوبُواْ إِلَى الله تَوْبَةً نَّصُوحاً} يعني: صادقاً في توبته، ويقال: تنصحون لله فيها من غير مداهنة.
وروى سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير قال: سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن التوبة النصوح، فقال: هو الرجل يتوب من عمل السوء، ثم لا يعود إليه أبداً.
وروي، عن ابن عباس أنه قال: توبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإضمار أن لا يعود إليها. قرأ نافع، وعاصم في إحدى الروايتين {تَوْبَةً نَّصُوحاً} بضم النون، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب، فهو صفة التوبة يعني: توبة بالغة في النصح، كما يقال: رجل صبور وشكور. ومن قرأ بالضم، يعني: ينصحوا بها نصوحاً، كما يقال: نصحت له نصحاً ونصوحاً.
ثم قال: {عسى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سيئاتكم} يعني: يغفر لكم ما مضى من ذنوبكم إن تبتم. {وَيُدْخِلَكُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار يَوْمَ لاَ يُخْزِى الله

النبي} صار اليوم نصاً لنزع الخافض {يعني}. يكفر عنكم في يوم لا يخزي الله النبي. قال الكلبي: يعني: لا يعذب الله النبي، ويقال: يوم لا يخزيه فيما أراد من الشفاعة. وغيره، وتم الكلام.

ثم قال: {النبى والذين ءامَنُواْ مَعَهُ نُورُهُمْ يسعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني: على الصراط. وروى الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ نُورُهُ أَبْعَدُ ما بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدنِ أبْيَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُه لَا يُجَاوِزُ قَدَمَيْهِ» فقال: {نُورُهُمْ يسعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني: يضيء بين أيديهم. {وبأيمانهم} يعني: عن أيمانهم وعن شمائلهم على وجه الإضمار. {يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}، ذلك حين طفئت أنوار المنافقين، أشفق المؤمنون على نورهم، ويتفكرون فيما مضى منهم من العذاب، فيقولون: {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا} يعني: احفظ علينا نورنا، {واغفر لَنَا} ما مضى من ذنوبنا {إِنَّكَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} من إتمام النور والمغفرة.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 12]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (9) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)}

قوله تعالى: {ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين} يعني: جاهد الكفار بالسيف، وجاهد المنافقين بالقول والتهديد. {واغلظ عَلَيْهِمْ} يعني: اشدد عليهم، يعني: على كلا الفريقين، يعني: على الكفار بالسيف، وعلى المنافقين باللسان. {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} يعني: إن لم يرجعوا ولم يتوبوا، فمرجعهم إلى جهنم، {وَبِئْسَ المصير} يعني: بئس القرار وبئس المرجع.

قوله تعالى: {ضَرَبَ الله مَثَلاً} يعني: وصف الله شبهاً لكفار مكة، وذلك أنهم استهزؤوا وقالوا: إن محمداً صلى الله عليه وسلم يشفع لنا. فبيّن الله تعالى أن شفاعته عليه السلام لا تنفع لكفار مكة، كما لا تنفع شفاعة نوح لامرأته. وشفاعة لوط لامرأته. وذلك قوله: {لّلَّذِينَ كَفَرُواْ امرأت نُوحٍ} واسمها

واعلة، {ضَرَبَ الله} واسمها داهلة. ويقال: فيه تخويف لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ليثبتن على دينه وطاعته.
ثم قال: {كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صالحين} يعني: نوحاً ولوطاً عليهما السلام {فَخَانَتَاهُمَا} يعني: خالفتاهما في الدين. وروي عن ابن عباس أنه قال: ما زنت امرأة نبي قط، وما كانت خيانتهما إلا في الدين. فأما امرأة نوح كانت تخبر الناس أنه مجنون، وأما امرأة لوط كانت تدل على الأضياف. وقال عكرمة: الخيانة في كل شيء ليس في الزنى. {فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ الله شَيْئاً} يعني: لم يمنعهما صلاح زوجيهما مع كفرهما من الله شيئاً، يعني: من عذاب الله شيئاً. {وَقِيلَ} لهما في الآخرة: {ادخلا النار مَعَ الدخلين}، فكذلك كفار مكة، وإن كانوا أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم، لا ينفعهم صلاح النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك أزواجه، إذا خالفنه.
ثم ضرب الله مثلاً للمؤمنين، فقال عز وجل: {وَضَرَبَ الله مَثَلاً لّلَّذِينَ ءامَنُواْ} يعني: بيَّن الله شبهاً وصفة للمؤمنين الذين آمنوا. {امرأة فِرْعَوْنَ}، فإنها كانت صالحة، لم يضرها كفر فرعون، فكذلك من كان مطيعاً لله لا يضره شر غيره؛ ويقال: هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، يعني: لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون، صبرت على إيذاء فرعون. {إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابن لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى الجنة}؛ وذلك أن فرعون لما علم بإيمانها، فطلب منها أن ترجع، فأبت ولم ترجع عن إيمانها، فوتدها بأربعة أوتاد في يديها ورجليها، وربطها وجعل على صدرها حجر الرحى، وجعلها في الشمس. فأراها الله تعالى بيتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب، وضحكت، فقالوا عند ذلك: هي مجنونة تضحك، وهي في العذاب.
وروى أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا ذرت، أي طلعت الشمس وارتفعت، أظلتها الملائكة بأجنحتها، وأريت مقعدها من الجنة.
وروى قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالَمِينَ أَرْبَعٌ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ».
ثُمّ قال الله عز وجل: {رَبِّ ابن لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى الجنة} يعني: ارزقني في الجنة. {وَنَجّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ} يعني: من عذاب فرعون

وظلمه. {وَنَجِّنِى مِنَ القوم الظالمين} يعني: من قوم فرعون، يعني: من تعييرهم وشماتتهم.
ثم قال عز وجل: {وَمَرْيَمَ ابنة عِمْرَانَ} يعني: واذكر مريم، ويقال: معناه: وضرب الله مثلاً مريم ابنة عمران وصبرها على إيذاء اليهود، {التى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} يعني: عفت نفسها عن الفواحش. {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا} يعني: أرسلنا جبريل عليه السلام فنفخ في جيب درعها، وذلك قوله: {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا} أي: في جيبها، أي روحاً من أرواحنا، وهي روح عيسى عليه السلام {وَصَدَّقَتْ بكلمات رَبَّهَا} أي: صدقت بعيسى عليه السلام ويقال: صدقت بالبشارات التي بشرها بها جبريل. {وَكُتُبِهِ} يعني: آمنت بكتاب الله تعالى؛ وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص {وَكُتُبِهِ} يعني: الكتب التي أنزلت على الأنبياء، والباقون {***بكتابه} يعني: الإنجيل. وقرأ بعضهم {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَة رَبُّهَا} يعني: صار عيسى مخلوقاً بكلمة الله، فصدقت بذلك. {وَكَانَتْ مِنَ القانتين} يعني: المطيعين لله.

▲ سورة الملك

▲ تفسير الآيات رقم [1- 11]

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (11)}

قوله تعالى: {تَبَارَكَ الذى بِيَدِهِ الملك} يعني: تعالى وتعظم. وهذا قول ابن عباس وقيل: تفاعل من البركة. وقال الحسن: تبارك يعني: تقدس {الذى بِيَدِهِ الملك} يعني: الذي له الملك، كما قال: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} ويقال: {الذى بِيَدِهِ الملك} يعني: الذي له القدرة ونفاذ الأمر. {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: في العز والذل، يعز من يشاء ويذل من يشاء.

ثم قال: {الذى خَلَقَ الموت والحياة} قال مقاتل: {خَلَقَ الموت} يعني: النطفة والعلقة والمضغة، وخلق الحياة يعني: خلق إنساناً، ونفخ فيه الروح، فصار حياً. وقال الكلبي: {خَلَقَ الموت} بمنزلة كبش أملح، لا يمر على شيء، ولا يجد ريحه شيء إلا مات {والحياة} شيء كهيئة الفرس البلقاء الأنثى التي يركب عليها جبريل والأنبياء. وقال قتادة في قوله: {خَلَقَ الموت والحياة} يعني: أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة وفناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء. ويقال: {خَلَقَ الموت والحياة} يعني: قدر الحياة ثم قدر الموت بعد الحياة. {لِيَبْلُوَكُمْ} يعني: ليختبركم ما بين الحياة والموت. {أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلاً} في حياته، ويقال: أيكم أكمل عملاً وأخلص عملاً. ويقال: {خَلَقَ الموت والحياة} أي: خلق الحياة للامتحان، وخلق؛ الموت للجزاء كما قيل: لولا المحن لقدمنا مفاليس، وذلك أن الله تعالى، خلق الجنة. وخلق لها أهلاً، وخلق النار وخلق لها أهلاً، وابتلاهم بالعمل والأمر والنهي، فيستوجبون بفعلهم الثواب والعقاب. والابتلاء من الله تعالى، أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب.

ثم قال: {وَهُوَ العزيز الغفور} يعني: العزيز بالنقمة للكافر، والغفور لمن تاب منهم. ثم قال: {الذى خَلَقَ} يعني: تبارك الذي خلق {سَبْعَ سموات طِبَاقاً} يعني: مطبقاً بعضها فوق بعض مثل القبة. {مَّا ترى فِى خَلْقِ الرحمن مِن تفاوت}. قرأ حمزة، والكسائي: {مِن تفاوت} بغير ألف، والباقون بالألف، وهما لغتان. تفاوت الشيء وتفوت، إذا اختلف، يعني: ما ترى في خلق الرحمن اختلافاً واضطراباً، ويقال: ما ترى فيها من اعوجاج، ولكنه مستوي. ويقال: معناه ما ترى في خلق السموات من عيب. وأصله من الفوت أي يفوت الشيء، فيقع فيه الخلل، ولكنه متصل بعضها ببعض.

ثم أمر بأن ينظروا في خلقه، ليعتبروا به ويتفكروا في قدرته، فقال عز وجل: {فارجع البصر} يعني: رد البصر إلى السماء. ويقال: قلب البصر في السماء، ويقال: اجتهد بالنظر إلى السماء. {هَلْ ترى مِن فُطُور}؟ يعني: هل ترى فيها من شقوق؟ ويقال: هل ترى فروجاً أو صدوعاً أو خللاً؟ {ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ} يعني: انظر إليها وإنما أمر بالنظر إلى السماء مرتين، لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة، لا يرى أثر عيبه ما لم ينظر فيه مرة أخرى؛ فأخبر الله تعالى أنه وإن نظر إلى السماء مرتين، لا يرى فيها عيباً، بل يتحير بالنظر إليها، فذلك قوله: {يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا} يعني: يرجع البصر ذليلاً.

{وَهُوَ حَسِيرٌ} يعني: قد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللاً. وقال القتبي: {خَاسِئًا} أي مبعداً، {وَهُوَ حَسِيرٌ} أي: كليل منقطع عن أن يلحق ما نظر إليه قبل أن يرى شيئاً من الخلل.

ثم قال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح} يعني: بالنجوم والكواكب. {وجعلناها رُجُوماً للشياطين} يعني: جعلنا بعض النجوم رمياً للشياطين، إذا تصدوا استراق السمع. {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ} يعني: للشياطين {عَذَابِ السعير} يعني: الوقود. {وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ} يعني: أعتدنا للذين جحدوا {بِرَبِّهِمْ}

يعني: بوحدانية الله تعالى {عَذَابَ جَهَنَّمَ}. قرئ في الشاذ {عَذَابَ جَهَنَّمَ} بالنصب يعني: أعتدنا لهم عذاب جهنم، فيصير نصباً لوقوع الفعل عليه، وقراءة العامة بالضم، على معنى خبر الابتداء. ثم قال: {وَبِئْسَ المصير} يعني: المرجع.

ثم قال: {إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا} يعني: ألقوا الكفار في نار جهنم. {سَمِعُواْ لَهَا} يعني: سمعوا منها {شَهِيقًا} يعني: صوتاً كصوت الحمار. {وَهِىَ تَفُورُ} يعني: تغلي كغلي المرجل. {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ} يعني: تكاد تتفرق من غيظها على أعداء الله تعالى. {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ} يعني: من النار فوج، يعني: أمة من الأمم. {سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} يعني: رسولاً يخبركم ويخوفكم؟ {قَالُواْ بلى} يعني: يقولون: بلى {قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ} يعني: الرسول، {فَكَذَّبْنَا} الرسول، {وَقُلْنَا}: إنكم لكاذبون على الله تعالى. {مَا نَزَّلَ الله مِن شَئ} يعني: كتاباً ولا رسولاً. {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضلال كَبِيرٍ} يعني: قلنا لهم ما أنتم إلا في خطأ عظيم.

{وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ} يعني: لو كنا نسمع إلى الحق {أَوْ نَعْقِلُ} يعني نرغب في الهدى ونتفكر في الخلق. {مَا كُنَّا فِى أَصحاب السعير} يعني: مع أصحاب الزقوم في النار. ويقال: يعني: ما كنا في أهل النار. {فاعترفوا بِذَنبِهِمْ} يعني: أقروا بشركهم {فَسُحْقًا} يعني: فبعداً من رحمة الله تعالى {لاصحاب السعير} يعني: الوقود. وقال الزجاج: {فَسُحْقًا} نصب على المصدر، فمعناه أسحقهم الله سحقاً، فباعدهم من رحمته. والسحق: البعيد، كقوله: {في مكان سحيق} [الحج: 31] أي: بعيد. قرأ الكسائي بضم السين والحاء، وجزم الحاء والباقون بضم السين، وهما لغتان معناهما واحد. ثم بين حال المؤمنين.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 20]

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (13) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (18) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

بَصِيرٌ (19) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (20)}
فقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} يعني: يخافون الله تعالى ويخافون عذابه، الذي هو {بالغيب}، فهو عذاب يوم القيامة. {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} يعني: مغفرة لذنوبهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} يعني: ثواباً عظيماً في الجنة ثم قال: {وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجهروا بِهِ}. اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الخبر يعني: إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو جهرتم به. {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: بما في القلوب من الخير والشر، وذلك أن جماعة من الكفار كانوا يتشاورون فيما بينهم، فقال بعضهم لبعض: لا تجهروا بأصواتكم، فإن رب محمد يسمع فيخبره، قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: {أَسَرُّواْ *** قَوْلَكُمْ أَوِ اجهروا بِهِ} فإنه يعلم به.
ثم أخبر بما هو أخفى من هاتين الحالتين، فقال: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: فكيف لا يعلم قول السر. ثم قال عز وجل: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} يعني: ألا يعلم السر، من خلق السر يعني: هو خلق السر في قلوب العباد، فكيف لا يعلم بما في قلوب العباد؟ ثم قال: {وَهُوَ اللطيف الخبير} يعني: لطف علمه بكل شيء، يعني: يرى أثر كل شيء بما في القلوب من الخير والشر؛ ويقال: {لَطِيفٌ} يرى أثر النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، {خَبِيرٌ} يعني: عالم بأفعال العباد وأقوالهم.
ثم ذكر نعمه على خلقه، ليعرفوا نعمته، فيشكروه ويوحدوه، فقال: {هُوَ الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض ذَلُولاً} يعني: خلق لكم الأرض ذلولاً، ومدها وذللها؛ وجعلها لينة، لكي تزرعوا فيها، وتنتفعوا منها بألوان المنافع، {فامشوا فِى مَنَاكِبِهَا} يعني: لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها وجبالها. وهذا خبر بلفظ الأمر؛ وقال القتبي: {فامشوا فِى مَنَاكِبِهَا} يعني: جوانبها. ومنكبا الرجل: جانباه. وقال قتادة: {مَنَاكِبِهَا}: جبالها. قال: وكان لبشر بن كعب سرية، فقال لها: إن أخبرتيني ما مناكب الأرض فأنت حرة لوجه الله؟ فقالت: مناكبها: جبالها، فصارت حرة. فأراد أن يتزوجها، فسأل أبو الدرداء، فقال له: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.
ويقال: {هُوَ الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض ذَلُولاً}، أي سهل لكم السلوك {فامشوا فِى مَنَاكِبِهَا}، أي: تمشون فيها. {وَكُلُواْ مِن رّزْقِهِ} يعني: تأكلون من رزق الله تعالى وتشكرونه. {وَإِلَيْهِ النشور} يعني: إلى الله تبعثون من قبوركم. ويقال:

معناه: هو الذي ذلل لكم الأرض، قادر على أن يبعثكم، لأنه ذكر أولاً خلق السماء، ثم ذكر خلق الأرض، ثم ذكر النشور.

ثم خوفهم، فقال عز وجل: {ءامَنْتُمْ *** مَّن فِى السماء}؟ قال الكلبي، ومقاتل: يعني: أمنتم عقوبة من في السماء؟ يعني: الرب تعالى إن عصيتموه.

ويقال: هذا على الاختصار؛ ويقال: أمنتم عقوبة من هو جار حكمه في السماء. قرأ أبو عمرو، ونافع {أَمِنتُمْ} بالمد، والباقون بغير مد بهمزتين، ومعناهما واحد وهو الاستفهام، والمراد به التوبيخ. وقرأ ابن كثير بهمزة واحدة بغير مد، على لفظ الخبر. {أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الارض} يعني: يغور بكم الأرض، كما فعل بقارون. {فَإِذَا هِىَ تَمُورُ} يعني: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

{أَمْ أَمِنتُمْ مّن فِى السماء} يعني: عذاب من في السماء. {أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصبا} يعني: حجارة كما أرسلنا إلى قوم لوط. وقال القتبي: «أم» على وجهين، مرة يراد بها الاستفهام، كقوله: {أَمْ يَحْسُدُونَ الناس}، ومرة يراد بها أو، كقوله: {أَمْ أَمِنتُمْ} ويعني: أو أمنتم. وهذا كقوله: {أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البر أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً} [الإسراء: 68]. ثم قال: {فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} يعني: تعبيري عليهم بالعذاب. ويقال: معناه سيظهر لكم كيف عذابي.

ثم قال: {وَلَقَدْ كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: الأمم الخالية كذبوا رسلهم، {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}؟ يعني: كيف كانت عقوبتي إياهم وإنكاري لهم؟ ثم قال: {أَوَ لَمْ *** يَرَوْا إِلَى الطير}؟ يعني: أو لم يعتبروا في خلق الله تعالى كيف خلق الطيور؟ {فَوْقَهُمْ صافات} يعني: باسطات أجنحتها في الهواء. {وَيَقْبِضْنَ} يعني: ويضممن أجنحتهن ويضربن بها. {مَا يُمْسِكُهُنَّ} يعني: ما يحفظهن في الهواء عند القبض والبسط. {إِلاَّ الرحمن إِنَّهُ بِكُلّ شَىْء بَصِيرٌ} يعني: عالماً بصلاح كل شيء.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 30]

{أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (21) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (26) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (27) قُلْ

أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (28) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (29) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)}

ثم قال عز وجل: {أَمَّنْ هذا الذى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ} يعني: حزب لكم ومنفعة لكم. {يَنصُرُكُمْ مّن دُونِ الرحمن} يعني: من عذاب الرحمن؛ ومعناه: هاتوا أخبروني من الذي يمنعكم من عذاب الله تعالى إن عصيتموه. {إِنِ الكافرون إِلاَّ فِى غُرُورٍ} يعني: ما الكافرون إلا في خداع وأباطيل. ثم قال عز وجل: {أَمَّنْ هذا الذى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ} يعني: من الذي يرزقكم إن حبس الله رزقه؟ وهذا كقوله: {ياأيها الناس اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالق غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السمآء والارض لاَ إله إِلاَّ هُوَ فأنى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: 3]؟ ثم قال: {بَل لَّجُّواْ} يعني: تمادوا في الذنب. ويقال: تمادوا في الكفر. ويقال: بل مضوا {فِى عُتُوّ} يعني: في تكبر {وَنُفُورٍ} يعني: تباعداً من الإيمان.

ثم قال عز وجل: {أَفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً على وَجْهِهِ} يعني: الكافر يمشي ضالاً في الظلمة أعمى القلب. {أهدى} يعني: هو أصوب ديناً. {أَفَمَن يَمْشِى سَوِيّاً عَلَى صراط مُّسْتَقِيمٍ} هو المؤمن يعمل بطاعة الله يعني: على دين الإسلام. وقال قتادة: {أَفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً على وَجْهِهِ}، قال: هو الكافر عمل بمعصية الله، يحشره الله تعالى يوم القيامة على وجهه {أَمَّن يَمْشِى سَوِيّاً عَلَى صراط مُّسْتَقِيمٍ}، هو المؤمن يعمل بطاعة الله تعالى، يسلك به يوم القيامة طريق الجنة. وقال الزجاج: أعلم الله تعالى أن المؤمن يسلك الطريق المستقيم، وإن كان الكافر في ضلال بمنزلة الذي يمشي مكباً على وجهه. قال مقاتل: نزلت في شأن أبي جهل؛ وقال بعضهم: هو وجميع الكفار.

ثم قال: {قُلْ هُوَ الذى أَنشَأَكُمْ} يعني: خلقكم {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع} لكي تسمعوا بها الحق، {والابصار} يعني: لكي تبصروا، {والافئدة} يعني: القلوب لكي تعقلوا بها الهدى. {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} يعني: شكركم فيما صنع إليكم قليلاً. ويقال: معناه خلق لكم السمع والأبصار والأفئدة آلة لطاعات ربكم، وقطعاً لحجتكم، وقدرة على ما أمركم؛ فاستعملتم الآلات في طاعة غيره ولم توحدوه.

ثم قال عز وجل: {قُلْ هُوَ الذى ذَرَأَكُمْ فِى الارض} يعني: خلقكم. ويقال: كثركم في الأرض، وأنزلكم في الأرض. {وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} يعني: إليه ترجعون بعد الموت، فيجازيكم بأعمالكم.

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد إِن كُنتُمْ صادقين} يعني: البعث بعد الموت إن كنتم صادقين أنَّا نبعث، خاطبوا به النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الجماعة. ويقال: أراد به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. {قُلْ إِنَّمَا العلم عِندَ الله} يعني: علم قيام الساعة عند الله. {وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: مخوف أخوفكم بلغة تعرفونها.

قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ} يعني: لما رأوا العذاب قريباً. ويقال: لما رأوا القيامة قريبة وسيئت {وُجُوهِ الذين كَفَرُواْ} يعني: ذللت، ويقال: قبحت وسودت. وقال القتبي: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً} يعني: لما رأوا ما وعدهم الله قريباً منهم؛ وقال الزجاج: {سيئات} أي: تبيَّن فيها السوء في وجوه الذين كفروا. {وَقِيلَ هذا الذى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ}، أي: تشكون في الدنيا قرأ قتادة، والضحاك، ويعقوب الحضرمي: {تَدْعُونَ} بالتخفيف يعني: تستعجلون، وتدعون إليه في قولكم: فأمطر علينا حجارة من السماء، وقراءة العامة {تَدْعُونَ} بالتشديد يعني: تكذبون. ويقال: من أجله {تَدْعُونَ} الأباطيل يعني: تدعون أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً، لا ترجعون ولا تجازون. ويقال: {تَدْعُونَ} أي: تتمنون.

قوله تعالى: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ الله وَمَن مَّعِىَ} يعني: إن عذبنا الله. {أَوْ رَحِمَنَا} يعني: غفر لنا. {فَمَن يُجِيرُ الكافرين} يعني: من ينجيهم ويغيثهم {مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} يعني: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِالله، وَنَتَوَسَّلُ بِعِبَادَتِهِ إِلَيهِ، لاَ نَأْمَنُ عَذَابَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ مَعَ كُفْرِكُم بِهِ مِنْ عَذَابِهِ وَعُقُوبَتِهِ؟» فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟ {قُلْ هُوَ الرحمن ءامَنَّا بِهِ} يعني: قل هو الرحمن بفضله، إن شاء عذبنا، وإن شاء رحمنا. {وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} يعني: فوضنا إليه أمورنا. {فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: فستعرفون، عند نزول العذاب، من هو في خطأ بيِّن. قرأ الكسائي: {فَسَيَعْلَمُونَ} بالياء بلفظ الخبر، والباقون بالتاء على معنى المخاطبة يعني: سوف تعلمون يا كفار مكة.

{قُلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً} يعني: إن صار ماؤكم غائراً، لا تناله الأيدي ولا الدلاء. {فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاء مَّعِينٍ} يعني: بماء طاهر. والغور والغائر، يقال: ماء غور. ومياه غور وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع. وقال مجاهد: {بِمَاء مَّعِينٍ} يعني: جار. وروى عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني: الطاهر. وروى أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«سُورَةٌ فِي القُرْآنِ ثَلاَثُونَ، شُفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ. {تبارك الذي بيده الملك}».

وروى زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالرجل في قبره من قبل رأسه، فيقول له: ليس لك علي من سبيل. قد كان يقرأ على سورة الملك، فيؤتى من قبل رجليه، فيقول: ليس لك علي سبيل. كان يقوم بسورة الملك، فيؤتى من قبل جوفه، فيقول: ليس لك علي سبيل. قد أوعاني سورة الملك، قال: وهي المنجية تنجي صاحبها من عذاب القبر. وروى ابن الزبير، عن جابر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ سورة {الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه} و{تَبَارَكَ الذى بِيَدِهِ الملك}؛ والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة القلم

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ (6)}

قوله تبارك وتعالى: {ن والقلم}. قرأ الكسائي، ونافع، وعاصم في إحدى الروايتين بالإدغام، والباقون بإظهار النون، وهما لغتان ومعناهما واحد. قال ابن عباس: هي السمكة التي تحت الأرضين. وروى الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أَوَّلُ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى مِنْ شَيْءٍ القَلَمَ فَقَالَ اكْتُبْ، قَالَ بِمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ فَيَجْرِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيامِ السَّاعَةِ. ثم خلق النون يعني: السمكة، فدحا الأرض عليها فارتفع بخار الماء، ففتق منه السموات، فاضطربت النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال. وإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة. وقال سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة: النون: الدواة، وقال قتادة: الدواة والقلم: ما قام لله وبه لإصلاح عيش خلقه، والله يعلم ما يصلح خلقه. ويقال: النون: افتتاح اسم الله تعالى، وهو النون. ويقال: هو آخر اسمه من الرحمن، وهذا قسم أقسم الله تعالى بالنون والقلم، وجواب القسم {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ}، فذلك قوله: {نون}.

{والقلم وَمَا يَسْطُرُونَ} يكتُب الحفظة من أعمال بني آدم؛ ويقال: {وَمَا يَسْطُرُونَ} يعني: تكتب الحفظة في اللوح المحفوظ. {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ} يعني: ما أنت بحمد الله تعالى بمجنون {وَمَا أَنت بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ} كما يزعمون، وذلك أن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: {اقرأ باسم رَبّكَ الذى خَلَقَ} [العلق: 1] إلى قوله: {عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 5] وعلمه جبريل الصلاة، فقال أهل مكة: جن محمد صلى الله عليه وسلم. وكان النبي يفر من الشاعر والمجنون. فلما نسبوه إلى الجنون، شق ذلك عليه، فنزل: {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ}. ويقال: بل أنت رسول الله تعالى.

ثم قال: {وَإِنَّ لَكَ لأجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ} يعني: غير مقطوع، ويقال: غير محسوب، ويقال: لا يمن عليك. {وَإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} يعني: على خلق حسن؛ وقال مقاتل: يعني: على دين الإسلام، وقال عطية: يعني: على آدب القرآن. ثم قال: {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ} يعني: سترى ويرون ويقال فستعلم ويعلمون {بِأَيّكُمُ المفتون} يعني: إذا نزل بهم العذاب تعلمون أيكم المفتون، يعني: بأيكم المجنون ويقال الباء زيادة، ومعناه أيكم المفتون يعني أيكم المجنون، وقال قتادة: يعني: أيكم أولى بالسلطة، وقال أبو عبيدة: أيكم المجنون والباء زيادة، واحتج بقول القائل: نضرب بالسيف، ونرجو بالفرج يعني: نرجو الفرج.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 16]

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (7) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16)}

ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ} يعني: هو عالم بمن أخطأ الطريق عن دينه {وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين} لدينه. ثم قال: {فَلاَ تُطِعِ المكذبين}، وذلك أنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه، فأمره الله تعالى أن يثبت على دينه، فقال: {لاَ تطعالمكذبين} بوحدانية الله تعالى. {وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} قال مجاهد: ودوا لو تركن إليهم، وتترك ما أنت عليه من الحق، فيميلون إليك. وقال السدي: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ} وقال القتبي: ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكانوا أرادوا أن يعبدوا آلهتهم مدة، ويعبدون الله مدة.

ثم قال: {فَيُدْهِنُونَ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ} يعني: كذاباً في دين الله والحلاف: مكثار الحلف، {مَّهِينٌ} ضعيف فاجر. نزلت في الوليد بن المغيرة. وقال القتبي: المهين: الحقير الدنيء، وقال الزجاج: وهو فعيل من المهانة، وهي القلة. ومعناه في هذا الموضع: القلة في الرأي والتمييز. ثم قال: {هَمَّازٍ} يعني: الوليد بن المغيرة، طعّان، لعّان، مغتاب، {مَّشَّاء بِنَمِيمٍ} يعني: يمشي بين الناس بالنميمة. وقال القتبي: {هَمَّازٍ} يعني: عياب ثم قال: {مَّنَّاعٍ لّلْخَيْرِ} يعني: بخيلاً لا ينتفع بماله لنفسه، وكان ينفق أمواله على غيره. ويقال:

معناه: {مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ} يعني: التوحيد، ويمنع الناس عن التوحيد. {مُعْتَدٍ} يعني: ظلوماً لنفسه {أَثِيمٍ} يعني: فاجراً.
قوله تعالى: {عُتُلٍّ} يعني: شديد الخصومة بالباطل، ويقال: {عُتُلٍّ} يعني: أكول شروب صحيح الجسم رحيب البطن. {بَعْدَ ذَلِكَ} يعني: مع ذلك {زَنِيمٍ} يعني: ملصق. وقال ابن عباس: الزنيم: الدعي الملصق، ويستدل بقول القائل
زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَة *** كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ
ويقال: الزنيم: الشديد الخلق. وروى شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَوَّاظٌ وَلاَ جَعْظَرِيٌّ وَلاَ العُتُلُّ الزَّنِيمُ. قَالَ: أَمَّا الجَوَّاظُ، فَالَّذِي جَمَعَ وَمَنَعَ وَتَدْعُوهُ لَظَى نَزَاعَةً لِلشَّوَى» أَيْ الشَّدِيدَ الخُلُقِ رَحِيبَ الجَوْفِ. وَأَمَّا الجَعْظَرِيُّ، فَالفَظُّ الغَلِيظُ. وَأَمَّا العُتُلُّ الزَّنِيمُ، صَحِيحٌ أَكُولٌ شَرُوبٌ ظَلُومٌ لِلنَّاسِ. وَيُقَالُ. الزَّنِيمُ: الدَّعِيُّ وذكر أنه لما نزلت هذه الآية، قال لأمه: إن محمداً لصادق، وأنه قال كذا وكذا، فأقرت والدته له بذلك.
ثم قال: {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} يعني: فلا تطعه وإن كان ذا مال وبنين، يعني: لا تطعه بسبب ماله. ثم قال: {إِذَا تتلى عَلَيْهِ ءاياتنا} يعني: القرآن {قَالَ أساطير الاولين} يعني: كذبهم وأباطيلهم. وقال السدي: يعني: أساجيع الأولين.
ثم قال: {سَنَسِمُهُ عَلَى الخرطوم} يعني: سنضربه على الوجه، ويقال: سنسود وجهه يوم القيامة، ويقال: سنسمه على أنفه؛ وقال القتبي: للعرب في هذا مذاهب، يقولون للرجال إذا سبه سبة قبيحة، أو يثني عليه فاحشة: قد وسم ميسم سوء، يريد أنه ألصق به عاراً لا يفارقه، كما أن السمة لا يعفو أثرها. وقد وصف الله تعالى الوليد بالحلف، والمهانة، والمشي بالنميمة، والبخل، والظلم، والإثم، والدعوى، فألحق به العار لا يفارقه في الدنيا والآخرة. قال: والذي يدل على هذا، ما روي، عن الشعبي في قوله: {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} يعني: القتل الشديد. والزنيم: له زنمة من الشر، يعرف بها كما تعرف الشاة.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 33]

{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (22) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (23) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (25) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا

لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33)}

ثم قال: {إِنَّا بلوناهم} يعني: اختبرنا أهل مكة بترك الاستثناء؛ ويقال: ابتليناهم بالجوع والشدة. ثم قال: {كَمَا بَلَوْنَا أصحاب الجنة} يعني: أهل ضيروان، وهي قبيلة باليمن. وروى أسباط، عن السدي قال: كان قوم باليمن وكان أبوهم رجلاً صالحاً، وكان إذا بلغ ثماره فأتاه المساكين، فلم يمنعهم من دخولها، وأن يأكلوا منها، وأن يتزودوا فيها. فلما مات أبوهم، قال بنوه بعضهم لبعض: على ما نعطي أموالنا هؤلاء المساكين؟ فقالوا: فلندع من يصرفها قبل أن يعلم المساكين. ولم يستثنوا فانطلقوا وهم يتخافتون، ويقول بعضهم لبعض خفياً: أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فذلك قوله: {إِذْ أَقْسَمُواْ} يعني: حلفوا فيما بينهم. {لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ} يعني: ليُجدنَّها وقت الصبح، أي: ليقطعنها قبل أن يخرج المساكين. {وَلاَ يَسْتَثْنُونَ} يعني: لم يقولوا: إن شاء الله تعالى.

وروي في الخبر: أن أباهم كان إذا أراد أن يصرم النخل، اجتمع هناك مساكين كثيرة. وقد جعل له علامة، فكل ثمرة تسقط وراء العلامات، كانت للمساكين. فكانوا يأخذون الثمر قدر ما يتزودون به أياماً كثيرة. فلما مات الرجل، قال بنوه فيما بينهم: إن أبانا كان عياله أقل، وحاجته أقل فصار عيالنا أكثر. وحاجتنا أكثر فخرجوا بالليل، كي لا يشعر بهم المساكين، فاحترقت نخيلهم في تلك الليلة، فذلك قوله: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ} يعني: بعث الله تعالى ناراً على حديقتهم بالليل. والطائف: الذي أتاك ليلاً فأحرقها وهم نائمون. {مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كالصريم} يعني: صارت الحديقة كالليل المظلم. وقال القتبي: الصريم: من أسماء الأضداد. يسمى الليل صريماً، والصبح صريماً، لأن الليل ينصرم عن النهار، والنهار ينصرم عن الليل. ويقال: الصريم يعني: ذهب ما فيها، فكأنه صرم أي قطع وجز.

ثم قال: {فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ} يعني: نادى بعضهم لبعض {أَنِ اغدوا على حَرْثِكُمْ} يعني: اخرجوا بالغداة جذوا زروعكم وصرام نخيلكم. {إِن كُنتُمْ صارمين} يعني: إن أردتم أن تصرموها قبل أن يحضرها المساكين. {فانطلقوا} يعني: ذهبوا إلى نخيلهم، {وَهُمْ يتخافتون} يعني:

يتشاورون فيما بينهم بكلام خفي: {أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا اليوم عَلَيْكُمْ مّسْكِينٌ وَغَدَوْاْ على حَرْدٍ} قال مقاتل: يعني: على جد في أنفسهم. {قادرين} على جنتهم؛ وقال الزجاج: معناه على قصد، وقال القتبي: الحرد المنع، ويقال: الحرد القصد قادرين واجدين؛ ويقال: على قوة ونشاط، ويقال: على طريق جنتهم، ويقال: الحرد اسم تلك الجنة.

{فَلَمَّا رَأَوْهَا} يعني: أتوها ورأوها مسودة، أنكروها. {قَالُواْ إِنَّا لَضَالُّونَ} يعني: أخطأنا الطريق، وليست هذه جنتنا. فلما تفحصوا وعلموا أنها جنتهم وأنها عقوبة لهم، فقالوا: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} يعني: حُرِمْنا منفعتها.

{قَالَ أَوْسَطُهُمْ} يعني: أعدلهم وأعقلهم: {أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبّحُونَ} يعني: هلا تستثنون في أيمانكم. ويقال: كان استثناؤهم التسبيح يعني: لولا قلتم سبحان الله. فندموا على فعلهم. {قَالُواْ سبحان رَبّنَا} يعني: نزهوه وعظموه تائبين عن ذنوبهم، ويقال: نستغفر ربنا. {إِنَّا كُنَّا ظالمين} يعني: ضارين بأنفسنا بمنعنا المساكين.

{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يتلاومون} يعني: جعل يلوم بعضهم بعضاً لصنيعهم ذلك، ثم {قَالُواْ} بأجمعهم: {قَالُواْ ياويلنا إِنَّا كُنَّا طاغين} يعني: عاصين بمنعنا المساكين. ثم قالوا: {عسى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مّنْهَا} يعني: يعوضنا خيراً منها في الجنة. {إِنَّا إلى رَبّنَا راغبون} يعني: راجين مما عنده. قال الله تعالى: {كَذَلِكَ العذاب} يعني: هكذا عذاب الدنيا لمن منع حق الله تعالى. {وَلَعَذَابُ الاخرة أَكْبَرُ} لمن لم يتب ولم يرجع عن ذنبه. ويقال: هكذا العذاب في الدنيا لأهل مكة بالجوع، ولعذاب الآخرة أعظم. {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} يعني: لو كانوا يفقهون. ويقال: لو كانوا يصدقون، ثم ذكر ما للمتقين من الثواب.

▲ تفسير الآيات رقم [34- 43]

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)}

فقال عز وجل: {إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ} يعني: في الآخرة {جنات النعيم}. فلما ذكر الله تعالى نعيم الجنة، قال عتبة بن ربيعة: إن كان كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم، فإن لنا في الآخرة أكثر ما للمسلمين، لأن فضلنا وشرفنا أكثر، فنزل: {أَفَنَجْعَلُ المسلمين كالمجرمين} يعني: لا يكون حال المسلمين في الهوان والذل كالمشركين. {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} يعني: وَيْحَكم كيف تقضون بالجَوْر؟ {أَمْ لَكُمْ كتاب فِيهِ تَدْرُسُونَ}؟ يعني: ألكم كتاب تقرؤون فيه؟ {إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ} يعني: في الكتاب مما تتمنون. {أَمْ لَكُمْ أيمان عَلَيْنَا بالغة}؟ يعني: ألكم عهد عندنا وثيق؟ {إلى يَوْمِ القيامة}. يعني: في يوم القيامة. {إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ} يعني: ما تقضون لأنفسكم في الآخرة؟.

قوله تعالى: {سَلْهُمْ أَيُّهُم بذلك زَعِيمٌ} يعني: أيهم كفيل لهم بذلك؟ ثم قال: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء}؟ يعني: شهداء يشهدون أن الذي قالوا لهم حق. {فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُواْ صادقين} يعني: يشهدون أن لهم في الآخرة ما للمسلمين، فهذا كله لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر واليأس، يعني: ليس لهم ذلك.

قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} يعني: اذكر ذلك اليوم. ويقال: معناه إن الثواب والعقاب. الذي ذكر، في يوم يكشف عن ساق. قال ابن عباس: يعني: يظهر قيام الساعة. وروى سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن ابن عباس قال: {عَن سَاقٍ} يعني: عن أمر عظيم، وقال مجاهد: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} عن بلاء عظيم، وقال قتادة: يكشف الأمر عن شدة الأمر.

{وَيُدْعَوْنَ إِلَى السجود فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا ابن منيع: حدثنا هدبة حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة بن أبي موسى قال: حدثنا أبي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مُثِّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُون فِي الدُّنْيَا، فَذَهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَيَبْقَى أَهْلُ التَّوْحِيدِ فِيُقَالُ لَهُمْ: كِيْفَ بَقِيْتُمْ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رَبّاً كُنّا نَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ نَرَهُ قَالَ أَوَ تَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُمْ: وَكَيْفَ تَعْرِفُونَه وَلَمْ تَرَوْهُ؟ قَالُوا: لا شَبَهَ لَهُ. فَيُكْشفُ لَهُمُ الحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى الله تَعَالَى، فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجّداً، وَيَبْقَى أَقْوَامٌ ظُهُورُهُمْ مِثْلَ صِيَاصِي البَقَرِ، فَيُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ. فَيَقُولُ الله تَعَالَى عِبَادِي ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، قَدْ جَعَلْتُ بَدَلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي النَّارِ».

قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، أحدثك أبوك بهذا الحديث؟ فحلفت له ثلاثة أيمان، فقال عمر: ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا الحديث.
وقال القتبي: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} هذا من الاستعارة، فسمى الشدة ساقاً، لأن الرجل إذا وقع في الشدة، شمَّر عن ساقه، فاستعيرت في موضع الشدة. ويقال: يكشف ما كان خفياً. ويقال: يبدؤون عن أمر شديد، وهو عذاب عظيم يوم القيامة.
ثم قال عز وجل: {خاشعة أبصارهم} يعني: ذليلة أبصارهم، {تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} يعني: تغشاهم وتعلوهم كآبة وكشوف وسواد؛ وذلك أن المسلمين، إذا رفعوا رؤوسهم من السجود، صارت وجوههم بيضاء كالثلج. فلما نظر اليهود والنصارى والمنافقون، وهم عجزوا عن السجود، حزنوا واغتموا فسودت وجوههم. ثم بيَّنَ المعنى الذي عجزهم عن السجود، فقال: {وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السجود وَهُمْ سالمون} يعني: يدعون إلى السجود في الدنيا وهم أصحاء معافون، فلم يسجدوا.

▲ تفسير الآيات رقم [44- 52]

{فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (46) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (52)}
ثم قال عز وجل: {فَذَرْنِى وَمَن يُكَذّبُ بهذا الحديث} يعني: دع هؤلاء الذين لا يؤمنون بالقرآن. ويقال: فوض أمرهم إليَّ، فإني قادر على أخذهم متى شئت. {سَنَسْتَدْرِجُهُم} يعني: سنأخذهم وسنأتيهم بالعذاب. {مّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: نذيقهم من العذاب درجة، من حيث لا يعلمون أن العذاب نازل بهم. وأصله في اللغة من الارتقاء في الدرجة. وقال السدي: كلما جددوا معصية، جدد لهم نعمة وأنساهم شكرها، فذلك الاستدراج. {وَأُمْلِى لَهُمْ} يعني: أمهل لهم وأؤجل لهم إلى وقت. {إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ} يعني: عقوبتي شديدة إذا نزلت بهم لا يقدرون على دفعها.

ثم قال: {أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً}؟ يعني: أتسألهم على الإيمان جملاً؟ {فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ} يعني: لأجل الغرم يمتنعون. وهذا يرجع إلى قوله: {أَمْ لَكُمْ كتاب فِيهِ تَدْرُسُونَ}. ثم قال: {أَمْ عِندَهُمُ الغيب}؟ يعني: اللوح المحفوظ. {فَهُمْ يَكْتُبُونَ} يعني: ما يقولون. ثم قال عز وجل: {فاصبر لِحُكْمِ رَبّكَ} يعني: على ما أمر ربك ولقضاء ربك. {وَلاَ تَكُن كصاحب الحوت} يعني: لا تكن في قلة الصبر والضجر مثل يونس عليه السلام {إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ} يعني: مكروباً في بطن الحوت، وقال الزجاج: {مَكْظُومٌ} أي مملوء غماً. {لَّوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبّهِ} يعني: لولا النعمة والرحمة التي أدركته من الله تعالى، {لَنُبِذَ بالعراء} يعني: لطرح بالصحراء. والصحراء هي الأرض التي لا يكون فيها نخل ولا شجر، يوارى فيها {وَهُوَ مَذْمُومٌ} يعني: يذم ويلام. ولكن كان رحمة من الله تعالى، حيث نبذ بالعراء وهو سقيم وليس بمذموم.

قوله تعالى: {فاجتباه رَبُّهُ} يعني: اختاره ربه للنبوة، {فَجَعَلَهُ مِنَ الصالحين} يعني: من المرسلين، كقوله: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المرسلين}. ثم قال عز وجل: {وَإِن يَكَادُ الذين كَفَرُواْ} يعني: أراد الذين كفروا. {لَيُزْلِقُونَكَ بأبصارهم} يعني: ليرهقونك بأبصارهم إن قدروا على ذلك. ويقال: معناه إذا قرأت القرآن، فينظرون إليك نظراً شديداً بالعداوة، يكاد يزلقك أي: بالعداوة يسقطك من شدة النظر. وذكر عن الفراء أنه قال: {لَيُزْلِقُونَكَ بأبصارهم} يعني: يعتانونك يعني: يصيبونك بعيونهم. وذلك أن رجلاً من العرب، كان إذا أراد أن يعتان شيئاً، يقبل على طريق الإبل إذا صدرت عن الماء، فيصيب منها ما أراد بعينه، فأرادوا أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الكلبي: {لَيُزْلِقُونَكَ} يعني: ليصرعونك. {لَمَّا سَمِعُواْ الذكر} يعني: قراءتك القرآن، {وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ} يعني: ما هذا القرآن إلاَّ عظة للجن والإنس؛ ويقال: عز وشرف للعالمين. قرأ حمزة، وعاصم في رواية أبي بكر: {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} بهمزتين، والباقون بهمزة واحدة، إلا ابن عامر، فإنه يقرأ {إِن كَانَ} بالمد. فمن قرأ بهمزتين، فالألف الأولى للاستفهام، والثانية ألف إن. ومن قرأ بهمزة واحدة معناه: لأن كان ذا مال أي: لا تطعه لماله وتحمل لأن كان ذا مال. قال: أساطير الأولين. قرأ نافع: {لَيُزْلِقُونَكَ} بنصب الياء، والباقون بالضم؛ وهما لغتان، ومعناهما واحد؛ والله أعلم بالصواب.

سورة الحاقة

تفسير الآيات رقم [1- 10]

{الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10)}

قوله تعالى: {الحاقة مَا الحاقة} وهو اسم من أسماء القيامة، ومعناه القيامة ما القيامة؟ تعظيماً لأمرها. وقال قتادة في قوله: {الحاقة} يعني: حقت لكل قوم أعمالهم يعني: حقت للمؤمنين أعمالهم وللكافرين أعمالهم من حق يحق، إذا صح. وذكر عن الفراء أنه قال: إنما قيل لها الحاقة، لأن فيها حواق الأمور. يقال: لقد حق عليك الشيء، أي وجب. ثم قال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحاقة} يعني: ما تدري أي يوم هو، تعظيماً لأمرها.

ثم وصف القيامة في قوله: {فَإِذَا نُفِخَ فِى الصور}. ثم ذكر من كذب بالساعة والقيامة، وما نزل بهم، فقال: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بالقارعة} يعني: كذبت قوم صالح وقوم هود بالقيامة. وإنما سميت قارعة، لأنها تقرع قلوب الخلق. ثم أخبر عن عقوبتهم في الدنيا، فقال: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بالطاغية} يعني: بطغيانهم، ومعناه وطغيانهم حملهم على التكذيب، فأهلكوا. ويقال: أهلكوا بالرجفة الطاغية، كما قال في قصته {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} يعني: عتت على خزانها، فذلك قوله: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} يعني: باردة يعني: شديدة البرد {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ} يعني: سلطها عليهم {سَبْعَ لَيَالٍ وثمانية أَيَّامٍ حُسُوماً} يعني: دائمة متتابعة. ويقال: {عَاتِيَةٍ} يعني: شديدة {حُسُوماً} يعني: كاملة دائمة لا يفتر عنهم. وقال القتبي: {حُسُوماً} أي: متتابعة. وأصله من حسم الداء، لأنه يكون مرة بعد مرة.

{فَتَرَى القوم فِيهَا صرعى} يعني: في الريح؛ ويقال: في الأيام؛ ويقال: في القرية. {صرعي} يعني: موتى؛ ويقال: هلكى؛ ويقال: قلعى
مطروحين. {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} يعني: منقلعة ساقطة. وروى شهر بن حوشب، عن ابن عباس قال: ما أنزل الله تعالى قطرة من ماء إلا بمثقال، ولا شعرة من الريح إلا بمكيال، إلا يوم عاد ونوح. وأما الريح فعتت على خزائنها يوم عاد، فلم يكن لهم عليها سبيل. وأما الماء، طغى على خزانة يوم نوح، فلم يكن لهم عليه سبيلاً، كما قال الله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طغى الماء} [الحاقة: 11] الآية. ثم قال عز وجل: {فَهَلْ ترى لَهُم مّن بَاقِيَةٍ}؟ يعني: لم يبق أحداً منهم.
ثم قال عز وجل: {وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ}. قرأ أبو عمرو، والكسائي، ومن قبله بكسر القاف ونصب الياء الموحدة، يعني: ظهر فرعون وأتباعه وأشياعه؛ والباقون بنصب القاف وجزم الباء يعني: من تقدمه من عتاب الكفار. ثم قال: {والمؤتفكات بِالْخَاطِئَةِ} يعني: قريات قوم لوط، يعني: جاء فرعون وقوم لوط بالخاطئة يعني: بالشرك وبأعمالهم الخبيثة. {فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبّهِمْ} يعني: كذبوا رسلهم، {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً} يعني: عاقبهم الله عقوبة شديدة.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 17]

{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)}
ثم قال عز وجل: {إِنَّا لَمَّا طغى الماء} يعني: طغى على خزانة يوم نوح، كما روي عن ابن عباس. ويقال: طغى الماء، أي ارتفع؛ ويقال في اللغة: طغى الشيء، إذا ارتفع جداً. وقال قتادة: إنه طغى فوق كل شيء خمسة عشر ذراعاً. {حملناكم فِى الجارية} يعني: السفينة، ومعناه: حين غرق الله تعالى قوم نوح، حملناكم يا محمد في السفينة في أصلاب آبائكم. {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً} يعني: لنجعل هلاك قوم نوح لكم عبرة لتعتبروا بها. {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعية} يعني: يسمع هذا الخبر أذن سامعة، ويحفظها قلب حافظ على معنى الإضمار.

ثم رجع إلى أول السورة فقال: {فَإِذَا نُفِخَ فِى الصور نَفْخَةٌ واحدة} يعني: نفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة. ثم قال: {وَحُمِلَتِ الارض والجبال} يعني: قلعت ما على الأرض من نباتها وشجرها، وحملت الجبال عن أماكنها. {فَدُكَّتَا دَكَّةً واحدة} يعني: فضربت على الأرض مرة واحدة؛ وهذا قول مقاتل، وقال الكلبي: يعني: رفعت الأرض والجبال فزلزلتا زلزلة واحدة. ويقال: فدكتا دكة واحدة أي: كسرتا كسرة واحدة. {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الواقعة} يعني: في ذلك اليوم قامت القيامة. {وانشقت السماء} يعني: انفرجت السماء بنزول الملائكة. {فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} يعني: ضعيفة منشقة متمزقة من الخوف.

{والملك على أَرْجَائِهَا} يعني: الملائكة على نواحيها وأطرافها، يعني: صفوف الملائكة حول العرش {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ} يعني: فوق الخلائق. {يَوْمَئِذٍ ثمانية} يعني: ثمانية أجزاء من المقربين، لا يعلم كثرة عددهم إلا الله. وروى عطاء بن السائب، عن ميسرة في قوله: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانية} يعني: ثمانية من الملائكة، أرجلهم في تخوم الأرض السابعة وقال وهب بن منبه: أربعة من الملائكة يحملون العرش على أكتافهم، لكل واحد منهم أربعة وجوه: وجه ثور، ووجه أسد، ووجه إنسان. روى الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب في قوله تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانية}.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 37]

{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (37)}

ثم قال عز وجل: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ} أي: تساقون إلى الحساب والقصاص وقراءة الكتب؛ ويقال: {تُعْرَضُونَ} على الله تعالى، كقوله: {وَعُرِضُواْ على رَبّكَ صَفَا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ

مَّوْعِدًا} [الكهف: 48] ثم قال: {لاَ تخفى مِنكُمْ خَافِيَةٌ} يعني: لا يخفى على الله منكم ولا من أعمالكم شيء. قرأ حمزة، والكسائي {لاَ يخفى}، والباقون بالتاء بلفظ التأنيث، لأن لفظ خافية مؤنث. ومن قرأ بالياء، انصرف إلى المعنى يعني: لا يخفى منكم خاف، والهاء ألحقت للمبالغة.
ثم قال عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه بِيَمِينِهِ} يعني: كتابه الذي عمله، فرأى فيه الحسنات فسر بذلك، {فَيَقُولُ} لأصحابه: {هَاؤُمُ} يعني: تعالوا {اقرؤا كتابيه}. قال القتبي: {هَاؤُمُ} في اللغة بمنزلة خذ وتناول؛ ويقال للاثنين: هاؤما، وللجماعة هاؤموا. والأصل هاكم، فحذفوا الكاف وأبدلوها همزة. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة قال: بلغني أنهم يعرضون ثلاث عرضات. فأما عرضتان، فهما الخصومات والمعاذير. وأما الثالثة، فتطاير الصحف في الأيدي. وروى عبد الله بن مسعود نحو هذا. ثم قال: {إِنّى ظَنَنتُ أَنّى ملاق حِسَابِيَهْ} يعني: أيقنت وعلمت أني أحاسب. قال الله تعالى: {فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} يعني: في عيش مرضي، {فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} يعني: مرتفعة. {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} يعني: اجتناء ثمارها قريب، يعني: شجرها قريب يتناوله القائم والقاعد، فيقال لهم: {كُلُواْ واشربوا هَنِيئَاً} يعني: كلوا من ثمار الجنة واشربوا من شرابها هينئاً يعني: طيباً بلا داء، ويقال: حلال لا إثم فيه. {بِمَا أَسْلَفْتُمْ} يعني: بما عملتم وقدمتم {فِى الايام الخالية} يعني: في الدنيا. ويقال: بما عملتم من الأعمال الصالحة في الأيام الماضية، يعني: في الدنيا.
{وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه بِشِمَالِهِ} روي عن ابن عباس أنه قال: الآية الأولى نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد، وهذه الآية في الأسود بن عبد الأسد، ويقال: في جميع المؤمنين وفي جميع الكفار. {فَيَقُولُ ياليتنى لَمْ أُوتَ كتابيه} يعني: لم أعط كتابيه، {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ} يعني: لم أعلم ما حسابي. قوله تعالى: {حِسَابِيَهْ ياليتها كَانَتِ القاضية}، يا ليتني تركت على الموتة الأولى بين النفختين، ويقال: {حِسَابِيَهْ ياليتها كَانَتِ القاضية} يعني: المنية. قال مقاتل: يتمنى الموت. {مَا أغنى عَنّى مَالِيَهْ} يعني: ما أرى ينفعني مالي الذي جمعت في الدنيا. {هَّلَكَ عَنّى سلطانيه} يعني: بطل عني عذري وحجتي.
يقول الله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} يعني: بالأغلال الثّقال. {ثُمَّ الجحيم صَلُّوهُ} يعني: أدخلوه. {ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاْسْلُكُوهُ} يعني: أدخلوه في تلك السلسلة.

{إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بالله العظيم} يعني: لا يصدق بالله العظيم. {وَلاَ يَحُضُّ} يعني: لا يحث نفسه ولا غيره {على طَعَامِ المسكين} يعني: لا يطعم المسكين في الدنيا. {فَلَيْسَ لَهُ اليوم هاهنا حَمِيمٌ} يعني: قريب يمنع منه شيئاً، يعني: أحداً يمنع من العذاب. {وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ} يعني: ليس له فيها طعام إلا من غسلين. وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: لا أدري ما الغسلين. وروي عنه أنه قال: الغسلين: ما يسقط عن عروقهم، وذاب من أجسادهم. وقال القتبي: هو فعلين من غسلت فكأنه غسالة. {لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخاطئون} يعني: المشركين. وروى عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً قرأ عنده: {لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخاطئون} وقال ابن عباس: كلنا نخطئ، ولكن {لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخاطئون} يعني: العاصين الكافرين.

▲ تفسير الآيات رقم [38- 52]

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)}

ثم قال: {فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ} يعني: أقسم بما تبصرون من شيء ومن الخلق. {وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ} من الخلق. {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} يعني: هذا القرآن قول رسول كريم على الله تعالى يعني: جبريل، وهذا قول مقاتل. ويقال: قول رسول كريم، يعني: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم. قال أبو العالية: إنه يعني: القرآن، لقول: رسول كريم يقرأ عليك يا محمد. ويقال: معناه إن الذي ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن، ويقرؤه عليه جبريل الكريم على الله تعالى، ليس الشياطين كما يقولون؛ {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ} يعني: القرآن ليس هو بقول شاعر. {قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ} يعني: قليلاً ما تؤمنون. «وما» صلة. قرأ ابن كثير، وابن عامر في رواية هشام {قَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ} بالياء {الآيات لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} بالياء، والباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

ثم قال: {وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ} يعني: ليس بقول كاهن، ليس بقول شيطان أي: عراف كاذب. {قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} يعني: قليلاً ما تتعظون. ثم قال عز وجل: {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العالمين} يعني القرآن هو كلام رب العالمين أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاقاويل} يعني: أن محمد صلى الله عليه وسلم لو قال من ذات نفسه، {لاخَذْنَا مِنْهُ باليمين} يعني: لعاقبناه. فأعلم الله تعالى أنه لا محاباة لأحد، إذا عصاه بالقرآن، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى قوله: {باليمين} يعني: بالقوة. وقال القتبي: إنما قام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء في يمينه. ولأهل اللغة في هذا مذاهب أخر، وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة أحد، فيقولون: خذ بيده، وافعل به كذا وكذا. قال الله تعالى: لو كذب علينا لأمرنا بالأخذ بيده ثم عاقبناه. ويقال: {لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاقاويل} معناه: لو زاد حرفاً واحداً على ما أوحيته إليه أو نقص، لعاقبته. وكان هو أكرم الناس عليَّ. وفي الآية تنبيه لغيره، لكيلا يغيروا شيئاً من كتاب الله تعالى، ولا يتقولوا فيه شيئاً من ذات أنفسهم. ويقال: {باليمين} يعني: بالحق. ويقال: بالحجة. {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوتين} وهو عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه، يعني: لأهلكناه. {فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجزين} يعني: ليس أحد منكم يمنعنا من عذابه. {وَأَنَّهُ} يعني: القرآن {لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} يعني: عظة للذين يتقون الشرك والفواحش. {وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذّبِينَ} يعني: وإنا لنعلم أن منكم أيها المؤمنون مكذبون بالقرآن، يعني: المنافقين. ثم قال عز وجل: {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكافرين} يعني: إن هذا القرآن ندامة على الكفارين يوم القيامة، لأنه يقال لهم: ألم يقرأ عليكم القرآن؟ فيكون لهم حسرة وندامة بترك الإيمان. {وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليقين} يعني: إن تلك الندامة لحق اليقين. ويقال: إن القرآن من الله تعالى حقاً يقيناً. {فَسَبّحْ باسم رَبّكَ العظيم} يعني: صل لله تعالى. ويقال: سبحه باللسان؛ والله تعالى أعلم والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

سورة المعارج

▲ تفسير الآيات رقم [1- 14]

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (7) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (8) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (9) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (10) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14)}

قوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ}. قرأ نافع بغير همزة، والباقون بالهمزة. فمن قرأ بغير همزة، فهو من سال يسال يعني: جرى واد بعذاب الله تعالى. ومن قرأ بالهمزة، فهو من سأل يسأل بمعنى دعا داع. {بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، وهو النضر بن الحارث، فوقع به العذاب، فقتل يوم بدر في الدنيا. وقال مجاهد: دعا داع بعذاب يقع في الآخرة، وهو قولهم: إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء.

ويقال: {سَأَلَ سَائِلٌ} عن عذاب واقع والجواب: {للكافرين لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} يعني: أن ذلك العذاب من الله واقع للكافرين. {مِنَ الله} الذي هو {ذِي المعارج}. قال مقاتل: يعني: ذي الدرجات، يعني: السموات السبع. وقال القتبي: يعني: معارج الملائكة أي تصعد. {تَعْرُجُ الملئكة والروح إِلَيْهِ} يعني: جبريل. {فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} يعني: ذلك العذاب واقع في يوم القيامة، مقداره خمسين ألف سنة. ويقال: يعني: يعرج جبريل والملائكة في يوم واحد كان مقداره لو صعد غيرهم خمسين ألف سنة. وقال محمد بن كعب: {فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة.

ثم قال عز وجل: {فاصبر صَبْراً جَمِيلاً} يعني: اصبر صبراً حسناً لا جزع فيه. ثم أخبر متى يقع العذاب فقال: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً} يعني: يوم القيامة غير

كائن عندهم. {وَنَرَاهُ قَرِيباً} لا خلف فيه. {يَوْمَ تَكُونُ السماء كالمهل} يعني: اليوم الذي تكون السماء كالمهل أي: كدردي الزيت من الخوف. ويقال: ما أذيب من الفضة أو النحاس. {وَتَكُونُ الجبال كالعهن} يعني: كالصوف المندوف. قرأ الكسائي: {يَعْرُجُ الملائكة} بالياء، والباقون بالتاء بلفظ التأنيث، لأنها جمع الملائكة. ومن قرأ بالياء، فلتقديم الفعل. وروي عن ابن كثير أنه قرأ: {وَلاَ يَسْئَلُ حَمِيمٌ} بضم الياء، والباقون بالنصب. ومن قرأ بالضم، فمعناه أنه لا يسأل قريب عن ذي قرابته، لأن كل إنسان يعرف بعضهم بعضاً قوله تعالى {يُبَصَّرُونَهُمْ} يعني: يعرفونهم ملائكة الله تعالى. ومن قرأ بالنصب، معناه لا يسأل قريب عن قريبه، لأنه يعرف بعضهم بعضاً {يُبَصَّرُونَهُمْ} يعني: يعرفونهم ويقال: مرة يعرفونهم، ويقال: ومرة لا يعرفونهم.

ثم قال عز وجل: {يَوَدُّ المجرم} أي: يتمنى الكافر. {لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ بِبَنِيهِ} يعني: ينادي نفسه بولده، {وصاحبته} يعني: وزوجته، {وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ التى تُوِيهِ} يعني: عشيرته التي يأوى إليهم. وقال مجاهد: {وَفَصِيلَتِهِ} أي: قبيلته، هكذا روي عن قتادة. وقال الضحاك: يعني: عشيرته. {وَمَن فِى الارض جَمِيعاً} يعني: يفادي نفسه بجميع من في الأرض. {ثُمَّ يُنجِيهِ} يعني: ينجي نفسه من العذاب.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 35]

{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (16) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (17) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (18) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)}

قال الله تعالى: {كَلاَّ} أي حقاً لا ينجيه، وإن فادى جميع الخلق، ولا يفادي نفسه وقال أهل اللغة: {كَلاَّ} ردع وتنبيه يعني: لا يكون كما تمنى. ثم استأنف الكلام، فقال: {كَلاَّ إِنَّهَا لظى} يعني: النار والعقوبة {لظى} اسم من أسماء

النار. {نَزَّاعَةً للشوى} يعني: قلاعة للأعضاء؛ ويقال: حراقة للأعضاء والجسد. وقال القتبي الشوى: جلود الرأس وأحدها شواة، ويعني: أن النار تنزع جلود الرأس. وعن أبي صالح قال: {نَزَّاعَةً للشوى} أطراف اليدين والرجلين؛ وقال مقاتل: يعني: تنزع النار الهامة والأطراف. قرأ عاصم في رواية حفص: {نَزَّاعَةً} نصباً على الحال، والباقون بالضم يعني: إنها نزاعة للشوى.

{تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وتولى} يعني: لظى تدعو إلى نفسه، تنادي من أعرض عن التوحيد وأعرض عن الإيمان؛ ويقال: إن لظى تنادي وتقول: أيها الكافر تعال إلي، فإن مستقرك فيّ. وتقول: أيها المنافق تعال إلي، فإن مستقرك فيّ. فذلك قوله: {تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وتولى} ثم قال: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى} يعني: جمع المال ومنع حق الله تعالى. قال مقاتل: {فَأَوْعَى} يعني: فأمسكه، فلم يؤد حق الله تعالى.

ثم قال: {إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً} يعني: حريصاً ضجوراً بخيلاً ممسكاً فخوراً، وقال القتبي: {هَلُوعاً} يعني: شديد الجزع. يقال: ناقة هلوع، إذا كانت شديدة النفس. {إِذَا مَسَّهُ الشر} يعني: الفقر. {جَزُوعاً} يعني: لا يصبر على الشدة. {وَإِذَا مَسَّهُ الخير مَنُوعاً} يعني: إذا أصابه الغنى يمنع حق الله تعالى. {إِلاَّ المصلين}، فإنهم ليسوا هكذا، وهم يؤدون حق الله تعالى. {الذين هُمْ على صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ} يعني: يحافظون على الصلوات. {والذين فِى أموالهم حَقٌّ مَّعْلُومٌ} يعني: معروفاً {لِّلسَّائِلِ والمحروم} يعني: للسائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي لا يشهد الغنيمة ولا يسهم له. وروى وكيع، عن سفيان، عن قيس، عن محمد بن الحسن قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، ففتحت، فجاء آخرون بعد ذلك، فنزل {وَفِى أموالهم حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ والمحروم}. وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم.

ثم قال تعالى: {والذين يُصَدّقُونَ بِيَوْمِ الدين} يعني: بيوم الحساب. {والذين هُم مّنْ عَذَابِ رَبّهِم مُّشْفِقُونَ} يعني: خائفين. {إِنَّ عَذَابَ رَبّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} يعني: لم يأت لأحد الأمان من عذاب الله تعالى؛ ويقال: لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذاب الله تعالى. ثم قال: {والذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافظون إِلاَّ على أزواجهم أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابتغى وَرَاء ذلك فَأُوْلَئِكَ هُمُ العادون} وقد ذكرناه. {والذين هُمْ لاماناتهم وَعَهْدِهِمْ راعون} يعني: الأمانات التي فيما بينهم وبين الله تعالى، والعهد الذي بينهم وبين الله تعالى.

والأمانات والعهد التي بينهم وبين الناس حافظون. {وَالَّذِينَ هُمْ بشهاداتهم قَائِمُونَ} يعني: يؤدون الشهادة عند الحاكم، ولا يكتمونها إذا دعوا إليها، فيؤدون الشهادة على الوجه الذي علموها وحملوها. قرأ عاصم في رواية حفص، وأبو عمرو في إحدى الروايتين {بشهاداتهم} وهو جمع الشهادة، والباقون {بشهادتهم} وهي شهادة واحدة؛ وإنما تقع على الجنس. ثم قال: {قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ على صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ} يعني: يداومون عليها ويحافظون عليها في مواقيتها. {أُوْلَئِكَ فِى جنات مُّكْرَمُونَ} يعني: أهل هذه الصفة، في جنات مكرمون بثواب من الله تعالى بالتحف والهدايا.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 44]

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (42) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (44)}

ثم قال تعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} يعني: حولك؛ ويقال: عندك ناظرين. والمهطع: المقبل ببصره على الشيء. كانوا ينظرون إليه نظرة عداوة يعني: كفار مكة. وإنما قولهم {مُهْطِعِينَ} نصباً على الحال. {عَنِ اليمين وَعَنِ الشمال عِزِينَ} يعني: حلقاً حلقاً جلوساً لا يدنون منه، فينتفعون بمجلسه. ويقال: {عِزِينَ} يعني: متفرقين. وروى تميم، عن طرفة، عن جابر بن سمرة قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس متفرقين، فقال: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟» يعني: متفرقين {أَيَطْمَعُ كُلُّ امرئ مّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} يعني: يتمنى كل واحد منهم أن يدخل الجنة، كما يدخل المسلمون. قال الله تعالى: {كَلاَّ} يعني: لا يدخلون ما داموا على كفرهم. ثم قال: {إِنَّا خلقناهم مّمَّا يَعْلَمُونَ} يعني: من النطفة؛ وقال الزجاج: معناه أنهم خلقوا من تراب، ثم من نطفة. فأي شيء لهم يدخلون به الجنة؟ ويقال: إنا خلقناهم مما يعلمون، فبماذا يتكبرون ويتجبرون؟ ثم قال عز وجل: {فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبّ المشارق} يعني: أقسم برب المشارق وقال في آية: {رَّبُّ المشرق والمغرب}. وإنما أراد به الناحية التي تطلع الشمس، والناحية التي تغرب

الشمس منها. وقال في آية أخرى: {رَبُّ المشرقين} يعني: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ورب المغربين لذلك؛ وقال في هذا الموضع: {رَبّ المشارق} يعني: مشرق كل يوم؛ وهي ثمانون ومائة مشرق في الشتاء ومشرق مثلها في الصيف. {والمغارب} يعني: مغرب كل يوم. {إِنَّا لقادرون على أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مّنْهُمْ} يعني: على أن نهلكهم ونخلق خلقاً خيراً منهم {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} يعني: عاجزين.

{فَذَرْهُمْ} يعني: اتركهم وأعرض عنهم. {يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ} يعني: حتى يخوضوا ويلعبوا في الباطل ويستهزئوا. {حتى يلاقوا يَوْمَهُمُ} يعني: يعاينوا يومهم {الذى يُوعَدُونَ}. قوله تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث سِرَاعاً} يعني: في اليوم الذي يوعدون وفي اليوم الذي يخرجون من القبور سراعاً يعني: يسرعون إلى الصوت {كَأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} يعني: كأنهم إلى علم منصوب يمضون. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص {إلى نُصُبٍ} بضم النون والصاد يعني: أصناماً لهم، كقوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الميتة والدم وَلَحْمُ الخنزير وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وَمَآ أَكَلَ السبع إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النصب وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بالازلام ذلكم فِسْقٌ اليوم يَئِسَ الذين كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ واخشون اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الأسلام دِيناً فَمَنِ اضطر فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المائدة: 3]، والباقون {إلى نُصُبٍ} يعني: إلى علم يستبقون. وقال أهل اللغة: الإيفاض: الإسراع. {خاشعة أبصارهم} يعني: ذليلة أبصارهم. {تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} يعني: تغشاهم مذلة. ثم قال: {ذَلِكَ اليوم الذى كَانُواْ يُوعَدُونَ} يعني: يوعدون فيه العذاب، وهم له منكرون؛ وصلى الله على سيدنا محمد.

سورة نوح

تفسير الآيات رقم [1- 14]

{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)}

قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} يعني: جعله الله رسولاً إلى قومه. {أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ} يعني: أن خوف قومك بالنار لكي يؤمنوا بالله. {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: الطوفان والغرق. {قَالَ} لهم نوح عليه السلام: {إِلَى قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مٌّبِينٌ} يعني: قال نوح لقومه أنبئكم بلغة تعرفونها؟ {أَنِ اعبدوا الله} يعني: أنذركم وأقول لكم اعبدوا الله، يعني: وحدوا الله. {واتقوه} يعني: واخشوه واجتنبوا معاصيه. {وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم، {يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ} يعني: ذنوبكم. و«من» صلة. {وَيُؤَخِّرْكُمْ} يعني: يؤجلكم {إِلَى أَجَلٍ مٌّسَمًّى} يعني: إلى منتهى آجالكم. {إِنَّ أَجَلَ الله} يعني: إن عذاب الله، {إِذَا جَاء لاَ يُؤَخَّرُ} يعني: لا يستطيع أن يؤخره أحد. {لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني: لو كان لكم علم تنتفعون به.

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ} يعني: دعا نوح بعد ما كذبوه في طول المدة، قال: رب يعني: يا رب، {إِنّى دَعَوْتُ قَوْمِى} إلى التوحيد {لَيْلاً وَنَهَاراً} يعني: في كل وقت سراً وعلانية. {فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً} يعني: إلى التوحيد تباعداً من الإيمان. قال عز وجل: {وَإِنّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ} إلى التوحيد، {لِتَغْفِرَ

لَهُمْ جَعَلُواْ أصابعهم فِى ءاذانهم} يعني: لا يسمعون دعائي، {واستغشوا ثِيَابَهُمْ} يعني: غطوا رؤوسهم بثيابهم لكي لا يسمعوا كلامي. {وَأَصَرُّواْ} يعني: أقاموا على الكفر والشرك، {واستكبروا استكبارا} يعني: تكبروا عن الإيمان تكبراً.

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنّى دَعَوْتُهُمْ جهارا} يعني: دعوتهم إلى الإيمان علانية من غير خفية، {ثُمَّ إِنّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ} يعني: صحت لهم، {وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً} يعني: خلطت دعاءهم بالعلانية بدعائهم في السر. {فَقُلْتُ استغفروا رَبَّكُمْ} يعني: توبوا وارجعوا من ذنوبكم، يعني: الشرك والفواحش. {إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً} يعني: غفاراً لمن تاب من الشرك. {يُرْسِلِ السماء عَلَيْكُمْ مُّدْرَاراً} يعني: المطر دائماً كلما احتاجوا إليه. {وَيُمْدِدْكُمْ بِأموال وَبَنِينَ} يعني: يعطيكم أموالاً وأولاداً، {وَيَجْعَل لَّكُمْ جنات} يعني: البساتين، {وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً} يعني: في الجنات.

قوله تعالى: {مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً}؟ ما لكم لا تخافون لله عظمة في التوحيد؟ وهو قول الكلبي ومقاتل؛ وقال قتادة: مالكم لا ترجون لله عاقبة؟ ويقال: ما لكم لا ترجون عاقبة الإيمان؟ يعني: في الجنة. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما لكم لا تعلمون حق عظمته؟ وقال مجاهد: ما لكم لا ترجون لله عظمة؟ {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً} يعني: خلقاً بعد خلق وحالاً بعد حال، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. فمعناه: ما لكم لا توحدون، وقد خلقكم ضروباً؟ ويقال: أراد به اختلاف الأخلاق والمنطق، ويقال أراد به المناظرة.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 28]

{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (16) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (20) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (25) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27) رَبِّ

اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28)}

ثم وعظهم ليعتبروا، فقال عز وجل: {أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ الله}؟ يعني: ألم تنظروا فتعتبروا، كيف خلق الله تعالى {سَبْعَ سموات طِبَاقاً}؟ يعني: مطبقاً بعضها فوق بعض. {وَجَعَلَ القمر فِيهِنَّ نُوراً} يعني: ضياءً لبني آدم. وإنما قال: {فِيهِنَّ} أراد به سماء الدنيا، لأنها إحداهن. {وَجَعَلَ الشمس سِرَاجاً} يعني: نوراً للخلق؛ ويقال: {جَعَل القمر فِيهِنَّ نُوراً} يعني: في جميع السموات، لأن إحداهن مضيء لأهل السموات وظهره لأهل الأرض؛ ويقال: {وَجَعَلَ القمر فِيهِنَّ نُوراً} يعني: معهن نوراً.

ثم قال عز وجل: {والله أَنبَتَكُمْ مّنَ الارض نَبَاتاً} يعني: خلقكم في الأرض خلقاً. ويقال: يعني: خلقكم من الأرض وهو آدم عليه السلام وأنتم من ذريته. {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا} يعني: بعد الموت. {وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً} يعني: يخرجكم من الأرض يوم القيامة قوله تعالى: {والله جَعَلَ لَكُمُ الارض بِسَاطاً} يعني: فراشاً، {لّتَسْلُكُواْ مِنْهَا} يعني: فتمضوا فيها وتأخذوا فيها {سُبُلاً فِجَاجاً} يعني: طرقاً بين الجبال والرمال؛ ويقال: طرقاً واسعة.

قوله تعالى: {قَالَ نُوحٌ رَّبّ إِنَّهُمْ عصونى} فيما أمرتهم من توحيد الله تعالى، {واتبعوا} يعني: أطاعوا {مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ} يعني: أطاعوا من لم يزده ماله يعني: كثرة أمواله {وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً} أي: خسراناً في الآخرة. {وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً} يعني: مكراً عظيماً؛ ويقال: مكروا مكراً كبيراً يعني: قالوا كلمة الشرك. والكبير والكبار بمعنى واحد. {وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءالِهَتَكُمْ} يعني: قال بعضهم لبعض: ويقال: قال الرؤساء للسفلة: لا تذرن، يعني: لا تتركوا عبادة آلهتكم. {وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً}، فهذه أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها يعني: لا تتركوا عبادة هذه الأصنام قرأ نافع {وُدّاً} بضم الواو، والباقون بالنصب، ومعناهما واحد. وهو اسم الصنم، وقال قتادة: هذه الآلهة كان يعبدها قوم نوح، ثم عبدها العرب بعد ذلك. وقال القتبي {الود} صنم، ومنه كانت العرب تسمى «عبد ود»، وكذلك تسمي «عبد يغوث».

ثم قال: {وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً} يعني: هذه الأصنام أضلوا كثيراً من الناس، يعني: ضلوا بهن كثيراً من الناس، كقوله: {إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ} كثيراً من الناس. ثم قال: {وَلاَ تَزِدِ الظالمين إِلاَّ ضَلاَلاً} يعني: خساراً وغبناً.

ثم قال عز وجل: {مِّمَّا خطيئاتهم أُغْرِقُواْ} يعني: بشركهم بالله تعالى أُغرقوا في الدنيا. {فَأُدْخِلُواْ نَاراً} في الآخرة. قال مقاتل: {بِمَا خطيئاتهم أُغْرِقُواْ} بخطياتهم؛ وقال القتبي: (بما خطياتهم أغرقوا) يعني: من خطيئاتهم أغرقوا، والميم زيادة. ثم قال: {فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُمْ مّن دُونِ الله أَنصَاراً} يعني: أعواناً يمنعونهم من العذاب.

قرأ أبو عمرو {خطاياهم}، والباقون {خطيئاتهم} ومعناهما واحد، وهو جمع خطيئة.

قوله تعالى: {وَقَالَ نُوحٌ رَّبّ لاَ تَذَرْ عَلَى الارض مِنَ الكافرين دَيَّاراً} يعني: لا تدع على ظهر الأرض من الكافرين دياراً، يعني: أحداً منهم؛ ويقال: أصله من الدار يعني: نازلاً بها، ويقال: في الدار أحد وما بها ديار؛ وأصله ديوار، فقلبت الواو ياء ثم شددت وأدغمت الياء في الياء. ثم قال عز وجل: {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ} يعني: إنك إن تتركهم ولم تهلكهم، يدعوا الموحدين إلى الكفر. {وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً} يعني: يكون منهم الأولاد، يكفرون ويفجرون بعد البلوغ؛ ويقال: يعني: ولا يلدوا إلا أن يكونوا فجاراً كفاراً. وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ».

ثم قال عز وجل: {رَّبّ اغفر لِى ولوالدى وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً} يعني: سفينتي وديني. وقال الكلبي: {وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً} يعني: مسجدي. {وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات وَلاَ تَزِدِ الظالمين إِلاَّ تَبَاراً} يعني: لا تزد الكافرين إلا هلاكاً، كقوله: {عَلَوْاْ تَتْبِيرًا}. وروى عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا قرأ القرآن في الليل، فمر بآية فيقول لي: يا عكرمة ذكرني عند هذه الآية غداً. فقرأ ذات ليلة هذه الآية، فقال: يا عكرمة، ذكرني غداً. فذكرته ذلك، فقال: إن نوحاً دعا بهلاك الكافرين، ودعا للمؤمنين بالمغفرة، وقد استجيب دعاؤه في المؤمنين، فيغفر الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات بدعائه، وبهلاك الكافرين فأهلكوا. وروي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نَجَاةُ المُؤْمِنِينَ فِي ثَلاَثَةِ أَشْيَاءٍ: بِدُعَاءِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَبِدُعَاءِ إِسْحَاقَ عليه السلام وَبِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم» يعني: للمؤمنين والله أعلم.

▲ سورة الجن

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآَنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4)}

قوله تعالى {قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ} يعني: قل يا محمد أوحى الله إلي، وأخبرني الله تعالى في القرآن. {أَنَّهُ استمع نَفَرٌ مّنَ الجن}، وهم تسعة من أهل نصيبين، من أهل اليمن، من أشرافهم. والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين السماء أي: بين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فقالوا: ما هذا إلا لشيء حدث؛ فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء. فوجدوا النفر الذين خرجوا نحو تهامة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة، وهو يصلي مع أصحابه صلاة الفجر، فاستمعوا منه، فقالوا: هذا والله الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم {فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءانَاً عَجَباً * يَهْدِى إِلَى الرشد}، فأنزل الله تعالى: {قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ استمع نَفَرٌ مّنَ الجن} يعني: طائفة وجماعة من الجن، فقالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا} يعني: قالوا بعدما رجعوا إلى قومهم: {قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ} يعني: عزيزاً شريفاً كريماً، ويقال: عزيزاً لا يوجد مثله. {يَهْدِى إِلَى الرشد} يعني: يدعو إلى الهدى، وهو الإسلام. ويقال: إلى الصواب، والتوحيد، والأمر والنهي. ويقال: يدل على الحق. {يَهْدِى إِلَي} يعني: صدقنا بالقرآن. ويقال: آمنا بالله تعالى. {وَلَن نُّشرِكَ بِرَبّنَا أَحَداً} يعني: إبليس، يعني: لن نشرك بعبادته أحداً من خلقه.

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّهُ تعالى جَدُّ رَبّنَا} أي: ارتفع عظمة ربنا؛ ويقال: ارتفع ذكره، ويقال: ارتفع ملكه وسلطانه. {مَا اتخذ صاحبة وَلاَ وَلَداً} يعني: لم يتخذ زوجة ولا ولداً، كما زعم الكفار. واتفق القراء في قوله: {أَنَّهُ استمع نَفَرٌ}

على نصب الألف، لأن معناه قل: أوحي إلي بأنه استمع. واتفقوا في قوله: {إِنَّا سَمِعْنَا} على الكسر، لأنه على معنى الابتداء. واختلفوا فيما سوى ذلك. قرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر كلها بالنصب بناء على قوله: {أَنَّهُ استمع}، إلا في حرفين أحدهما {فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ} بالكسر، والأخرى قوله: {فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ} بالكسر على معنى الابتداء. وقرأ أبو عمرو، وابن كثير كلها بالكسر، إلا في أربعة أحرف: {قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ استمع}، {وَإِنَّ لُوطاً استقاموا}، {وَأَنَّ المساجد}، {وَأَنَّهُ لَّمَا قَامَ عَبْدُ الله يَدْعُوهُ}. قرأ عاصم في رواية أبي بكر، ونافع في إحدى الروايتين هكذا، إلا في قوله وأنه لما قام عبد الله وإنما اختاروا الكسر لهذه الأحرف، بناء على قوله: {إِنَّا سَمِعْنَا} وقال أبو عبيد: ما كان من قول الجن، فهو كسر، ومعناه وقالوا: إنه تعالى وقالوا: {إِنَّهُ كَانَ يِقُولُ} وما كان محمولاً على قوله أوحى فهو نصب على معنى أوحي إلي أنه ثم قال: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى الله شَطَطاً} يعني: جاهلنا يعني: إبليس لعنه الله ويقال: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا} يعني: كفرة الجن. {عَلَى الله شَطَطاً} يعني: كذباً وجوراً من المقال.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 17]

{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (12) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17)}

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّا ظَنَنَّا} يعني: حسبنا {أَن لَّن تَقُولَ الإنس والجن عَلَى الله كَذِباً} يعني نتوهم أن أحداً لا يكذب على الله، وإلى هاهنا حكاية كلام الجن. يقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مّنَ الإنس} يعني: في الجاهلية {يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مّنَ الجن}، وذلك أن الرجل إذا نزل في فضاء من الأرض، كان يقول

أعوذ بسيد هذا الوادي، فيكون في أمانهم تلك الليلة. {فَزَادوهُمْ رَهَقاً} يعني: زادوا للجن عظمة وتكبروا، ويقولون: بلغ من سُؤْدُدنا أن الجن والإنس يطلبون منا الأمان، {وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ} يعني: كفار الجن حسبوا كما حسبتم يا أهل مكة، {أَن لَّن يَبْعَثَ الله أَحَداً} يعني: بعد الموت، يعني: إنهم كانوا غير مؤمنين، كما أنكم لا تؤمنون. ويقال: إنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً يعني: رسولاً. فقد أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم.

ثم رجع إلى كلام الجن، فقال: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السماء} يعني: صعدنا وأتينا السماء لاستراق السمع. {فوجدناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً} يعني: حفاظاً أقوياء من الملائكة. {وَشُهُباً} يعني: رُمينا نجماً متوقداً. {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مقاعد لِلسَّمْعِ} يعني: كنا نقعد فيما مضى للاستماع من الملائكة، ما يقولون فيما بينهم من الكوائن. {فَمَن يَسْتَمِعِ الان يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً} يعني: نجماً مضيئاً. والرصد: الذي أرصد للرجم يعني: النجم. وروى عبد الرزاق، عن معمر قال: قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيت قوله: {فَمَن يَسْتَمِعِ الان يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً} قال: غلظ وشدد أمرها حين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم. قال الجن بعضهم لبعض: {وَأَنَّا لاَ نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الارض}؟ يعني: يبعثه فلم يؤمنوا فيهلكوا {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً}؟ يعني: خيراً وصواباً، فيؤمنوا ويهتدوا. ويقال: لا ندري أخيراً أريد بأهل الأرض أو الشرحين حرست السماء، ورُمينا بالنجوم، وَمُنعنا السمع؟ ويقال: أريد عذاباً بمن في الأرض، بإرسال الرسول بالتكذيب له، أو أراد بهم ربهم خيراً ببيان الرسول لهم هدى وبياناً.

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّا مِنَّا الصالحون} يعني: الموحدين والمسلمين. {وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ} يعني: ليسوا بموحدين. {كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً} يعني: فينا أهواء مختلفة وملل شتى. وقال القتبي: يعني: فرقاً مختلفة، وكل فرقة قدة مثل القطعة في التقدير، والطرائق: جمع الطريق. قوله تعالى: {وَأَنَّا ظَنَنَّا} يعني: علمنا وأيقنا {أَن لَّن نُّعْجِزَ الله فِى الارض} يعني: لا يفوت أحد من الله تعالى. {وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً}، لا يقدر الهرب منه.

قال الله عز وجل: {وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهدى} يعني: القرآن يقرؤه محمد صلى الله عليه وسلم، {بِهِ إِنَّهُ} يعني: صدقنا بالقرآن؛ ويقال: بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ ويقال: صدقنا بالله تعالى {فَمَن يُؤْمِن بِرَبّهِ} قال بعضهم هذا من كلام

الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم فمن يصدق بوحدانية الله تعالى، {فَلاَ يَخَافُ بَخْساً} يعني: نقصاناً من ثواب عمله، {وَلاَ رَهَقاً} يعني: ذهاب عمله. وهذا كقوله تعالى {فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً}. {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصالحات وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً} [طه: 112] ويقال: هذا كلام الجن بعضهم لبعض، {فَمَن يُؤْمِن بِرَبّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقاً}. والرهق: الظلم أن يجعل ثواب عمله لغيره. والبخس النقصان من ثواب عمله.

قوله تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا المسلمون} يعني: المصدقين بوحدانية الله تعالى، {وَمِنَّا القاسطون} يعني: العادلين عن طريق الهدى؛ ويقال: {القاسطون} يعني: الجائرين. يقال: قسط الرجل، إذا جار. وأقسط، إذا عدل. كقوله تعالى: {إِنَّ الله يُحِبُّ المقسطين}. ثم قال: {فَمَنْ أَسْلَمَ} يعني: أقر بوحدانية الله تعالى وأخلص بالتوحيد له، {فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَداً} يعني: نوراً وتمنوا وقصدوا ثواباً.

ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا القاسطون} يعني: العادلين عن الطريق، الجائرين، {فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً} يعني: وقوداً قال الله تعالى: {وَإِنَّ لُوطاً *** استقاموا عَلَى الطريقة}. قال مقاتل: لو استقاموا على طريقة الهدى، يعني: أهل مكة، {لاسقيناهم مَّاء غَدَقاً} يعني: كثيراً من السماء، كقوله: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القرى ءامَنُواْ واتقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بركات مِّنَ السمآء والارض ولكن كَذَّبُواْ فأخذناهم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96] ثم قال عز وجل: {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} يعني: لنبتليهم به، كقوله: {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس أُمَّةً واحدة لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بالرحمن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف: 33] الآية. وقال قتادة: {وَإِنَّ لُوطاً *** استقاموا عَلَى الطريقة}، يعني: آمنوا لوسّع الله عليهم الرزق؛ وقال القتبي: هذا مثل ضربه الله تعالى للزيادة في أموالهم ومواشيهم، كقوله: {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس} ثم قال: {وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبّهِ} يعني: توحيد ربه؛ ويقال: يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، {يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} يعني: يكلفه الصعود على جبل أملس. وقال مقاتل: {عَذَاباً صَعَداً} أي: شدة العذاب. وقال القتبي: يعني: شاقاً؛ وقال قتادة: صعوداً من عذاب الله تعالى، لا راحة فيه.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 28]

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (20) قُلْ

إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (23) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (24) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (25) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)}

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّ المساجد لِلَّهِ}. قال الحسن: يعني: الصلاة لله تعالى؛ وقال قتادة: كانت اليهود والنصارى يدخلون كنائسهم، ويشركون بالله تعالى. فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخلص الدعوة له إذا دخل المسجد. وقال القتبي: قوله: {وَأَنَّ المساجد لِلَّهِ} يعني: السجود لله. ويقال: هي المساجد بعينها يعني: بنيت المساجد، ليعبدوا الله تعالى فيها. {فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ الله أَحَداً} يعني: لا تعبدوا أحداً غير الله تعالى. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم {يَسْلُكْهُ} بالياء، والباقون بالنون، وكلاهما يرجع إلى معنى واحد. يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته، إذا أدخلته.

قوله عز وجل: {وَأَنَّهُ لَّمَا قَامَ عَبْدُ الله} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم لما قام إلى الصلاة ببطن نخلة. {يَدْعُوهُ} يعني: يصلي لله تعالى، ويقرأ كتابه. {كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً} يعني: يركب بعضهم بعضاً، ويقع بعضهم على بعض. ثم قال عز وجل: {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبّى}. قرأ حمزة، وعاصم: {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبّي} على معنى الأمر، يعني: قل يا محمد إنما أدعو ربي، يعني: أعبده. {وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً}. قرأ الباقون على معنى الخبر عنهم. قرأ ابن عامر في رواية هشام {عَلَيْهِ لِبَداً} بضم اللام، والباقون بكسرها ومعناهما واحد. وقال القتبي: {يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً} أي: يتلبدون به رغبة في استماع القرآن. يقال: لبدت به، أي: لصقت به، ومعناه: كادوا أن يلصقوا به.

قوله تعالى: {قُلْ إِنّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً} يعني: لا أقدر لكم خذلاناً ولا هداية. قوله تعالى: {قُلْ إِنّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ الله أَحَدٌ} يعني: لن يمنعني من عذاب الله أحد إن عصيته، {وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً} يعني: ملجأ ولا مفراً. {إِلاَّ بَلاَغاً مِّنَ الله ورسالاته} يعني: فذلك الذي يجيرني من عذاب الله؛ ويقال في الآية تقديم، ومعناه قل: لا أملك لكم ضراً إلا أن أبلغكم رسالات ربي، يعني: ليس بيدي شيء من الضر والنفع والهداية، إلا بتبليغ الرسالة.

{وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ} في التوحيد، ولم يؤمن به، {فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خالدين فِيهَا أَبَداً} أي: مقيمين في النار أبداً، يعني: دائماً. وقد تم الكلام. ثم قال عز وجل: {حتى إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ} من العذاب يعني: لما رأوا العذاب، ويقال: معناه أمهلهم حتى إذا رأوا ما يوعدون في الدنيا وفي الآخرة، {فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ نَاصِراً} يعني: مانعاً من العذاب. {وَأَقَلُّ عَدَداً} يعني: رجالاً.

فقالوا: متى هذا العذاب الذي تعدنا يا محمد؟ فنزل: {قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ} يعني: ما أدري أقريب ما توعدون من العذاب، {أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبّى أَمَداً}؟ يعني: أجلاً ينتهي إليه.

قوله تعالى: {عالم الغيب} يعني: هو عالم الغيب، {فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً} يعني: هو الذي يعلم وقت نزول العذاب، ولا يطلع على غيبه أحداً من خلقه.

قوله تعالى: {إِلاَّ مَنِ ارتضى مِن رَّسُولٍ} يعني: إلا من اختار لرسالته، فإنه يطلعه على ما يشاء من الغيب، ليكون دلالة لنبوته. {فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً} يعني: من الملائكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خلفه، ليحفظوه من الشياطين {لّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رسالات رَبّهِمْ} يعني: ليعلموا الرسول أن الذي أنزل إليه من رسالات الله؛ وذلك أن الملائكة لو لم يرصدوهم، لما يستمعوا حين يقرأ جبريل، ثم يفشون ذلك قبل أن يخبرهم الرسول، فلا يكون بينهم وبين الأنبياء فرق، ولا يكون للأنبياء دلالة، ثم لا يقبل قولهم.

وروى أسباط، عن السدي في قوله: {إِلاَّ مَنِ ارتضى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً} إذا بعث إليه تعالى نبياً، جعل معه حفظة من الملائكة. فإذا جاء الوحي من الله تعالى، قالت الملائكة: هذا من الله. فإذا جاءه الشيطان، قالت الحفظة: هذا من الشيطان.

{لّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رسالات رَبّهِمْ} يعني: ليعلم الجن أن الرسل قد أبلغوا الرسالة لأنهم تمازحوا من استراق السمع. وقال سعيد بن جبير: لم يجيء جبريل قط بالقرآن، إلا ومعه أربعة من الحفظة. ثم قال عز وجل: {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ} يعني: الله تعالى عالم بما عند الأنبياء؛ ويقال: عالم بهم. {وأحصى كُلَّ شَئ عَدَداً} يعني: عدد الملائكة، وعلم نزول العذاب ووقته وغير ذلك؛ والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

73

▲ سورة المزمل

▲ تفسير الآيات رقم [1- 8]

{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8)}

قوله تعالى: {عَدَداً يأَيُّهَا المزمل} يعني الملتف في ثيابه وأصله في اللغة المتزمل وهو الذي يتزمل في الثياب وكل من التف بثوبه فهو متزمل وقد تزمل فأدغمت التاء في التاء وشددت الزاي فقيل مزمل يعني النبي صلى الله عليه وسلم {قُمِ اليل} يعني قم الليل للصلاة {إِلاَّ قَلِيلاً} من الليل {نّصْفَهُ} يعني قم نصفه فاكتفى بذكر الفعل الأول من الثاني لأنه دليل عليه {أَوِ انقص مِنْهُ قَلِيلاً} يعني أو انقص من النصف قليلاً {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ} يعني: زد على النصف يعني ما بين الثلث إلى الثلثين ثم قال: {وَرَتّلِ القرءان تَرْتِيلاً} يعني: توسل فيه وقال الحسن بينه إذا قرأته فلما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فنزلت الرخصة في آخر السورة، وقال مقاتل هذا قبل أن يفرض الصلوات الخمس، وقال الضحاك: {وَرَتّلِ القرءان تَرْتِيلاً} قال: اقرأه حرفاً حرفاً وقال مجاهد: أحب الناس إلى الله تعالى في القراءة أعقلهم عنه قوله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} يعني: سننزل عليك القرآن بالأمر والنهي يعني: يثقل لما فيه من الأمر والنهي والحدود وكان هذا في أول الأمر ثم سهل الله تعالى الأمر في قيام الليل، وقال قتادة في قوله: {إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} قال: يثقل الله فرائضه وحدوده. ويقال: يعني: قيام الليل ثقيل على المجرمين، ويقال: ثقيل على من خالفه، ويقال: ثقيل في الميزان خفيف على اللسان، ويقال: نزوله ثقيل كما قال: {لَوْ أَنزَلْنَا هذا القرءان على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خاشعا مُّتَصَدِّعاً مّنْ خَشْيَةِ الله وَتِلْكَ الامثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21] الآية وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت حرائها

وما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه أي: يذهب عنه ثم قال: {إِنَّ نَاشِئَةَ الليل هِيَ أَشَدُّ} يعني: ساعات الليل أشد موافقة للقراءة وأسمع، ويقال هي أشد نشاطاً من النهار إذا كان الرجل محتسباً، ويقال: هي أوفى لقلوبهم {وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً} وأبين وأصوب وأثبت قراءة، وقال القتبي: ناشئة الليل يعني: ساعاته وهي مأخوذة من نشأت أي: ابتداء شيئاً بعد شيء فكأنه قال: إن ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف من الاسم قوله تعالى: {أَشَدُّ} يعني: أثقل على المصلي من ساعات النهار فأخبر أن الثواب على قدر الشدة وأقوم قيلاً يعني: أخلص للقول وأسمع له لأن الليل تهدأ فيه الأصوات وتنقطع فيه الحركات قرأ أبو عمرو وابن عامر أشد وطأ بكسر الواو ومد الألف والباقون بنصب الواو بغير مد فمن قرأ بالكسر يعني: أشد وطأ أي: موافقة لقلة السمع يعني: أن القرآن في الليل يتواطأ فيه قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم يعني: أبلغ في القيام وأبين في القول.

ويقال: أغلظ على اللسان. قوله تعالى: {قِيلاً إِنَّ لَكَ فِي النهار سَبْحَاً طَوِيلاً} يعني: فراغاً طويلاً بقضاء حوائجك فيه ففرغ نفسك لصلاة الليل، وقال القتبي: سبحاً أي: تصرفاً إقبالاً وإدباراً بحوائجك وأشغالك قوله عز وجل: {واذكر اسم رَبّكَ} يعني اذكر توحيد ربك ويقال: فاذكر ربك. ويقال: صل لربك {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} يعني: أخلص إليه إخلاصاً في دعائك بعبادتك وهو قول مجاهد وقتادة ويقال: وتبتل إليه تبتيلاً يعني: انقطع إليه وأصل التبتل القطع قيل لمريم العذراء البتول لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 19]

{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (14) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (16) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (19)}

ثم قال عز وجل: {رَّبُّ المشرق والمغرب} قرأ حمزة وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر رب المشرق بالكسر والباقون رب بالضم فمن قرأ

بالكسر وتبعه قوله واذكر اسم ربك رب المشرق والمغرب ومن قرأ بالضم فهو على الابتداء ويقال: معناه: هو رب المشرق والمغرب. ثم قال: {لاَ إله إلاَّ هُوَ} وقد ذكرناه {فاتخذه وَكِيلاً} يعني: ولياً وحافظاً وناصراً وكفيلاً ثم قال عز وجل: {واصبر على مَا يَقُولُونَ} يعني: على ما يقولون من التكذيب والإذاء {واهجرهم هَجْراً جَمِيلاً} يعني: اعتزلهم اعتزالاً حصناً بلا جزع ولا فحش ثم قال: {وَذَرْنِى والمكذبين} هذا كلام على ما جرت به عادات الناس لأن الله تعالى لا يحول بينه وبين إرادته أحد ولكن معناه: فوض أمورهم إليَّ يعني: أمور المكذبين {أُوْلِى النعمة} يعني ذا المال والغنى {وَمَهّلْهُمْ قَلِيلاً} يعني: أجلهم يسيراً لأن الدنيا كلها قليل يعني: إلى يوم القيامة ثم بين ما لهم من العقوبة يوم القيامة فقال عز وجل: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً} يعني: قيوداً في الآخرة، ويقال: عقوبة من ألوان العذاب {وَجَحِيماً} ما عظم من النار {وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً} يعني: ذا شوك مستمسك في الحلق لا يدخل ولا يخرج فيبقى في الحلق ومع ذلك لهم عذاب أليم قول الله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الارض} يوم تتحرك وتتزلزل صار اليوم منصوباً لنزع الخافض يعني: هذه العقوبة في يوم ترجف الأرض {والجبال وَكَانَتِ الجبال كَثِيباً مَّهِيلاً} يعني: صارت الجبال رملاً سائلاً وهو كقوله: فكانت هباءً منبثاً ثم قال: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهدا عَلَيْكُمْ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم يشهد عليكم بتبليغ الرسالة {كَمَا أَرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً} يعني: موسى بن عمران {فعصى فِرْعَوْنُ الرسول} يعني: كذبه ولم يقبل قوله: {فأخذناه أَخْذاً وَبِيلاً} يعني: عاقبناه عقوبة شديدة وهو الغرق فهذا تهديد لهم يعني: إنكم إن كذبتموه فهو قادر على عقوبتكم قوله عز وجل: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ} يعني: توجدون في الآخرة إن كفرتم في الدنيا، ويقال فيه تقديم ومعناه: إن كفرتم في الدنيا كيف تحذرون وتنجون. {يَوْماً يَجْعَلُ الولدان شِيباً} يعني: يوم القيامة من هيبته يشيب الصبيان وهذا على وجه المثل لأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي يشيب رأسه من الهيبة ويقال: هذا وقت الفزع قبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق ثم قال عز وجل: {السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ} يعني: انشقت السماء من هيبة الرحمن {كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً} يعني: كائناً في البعث ثم قال: {إِنَّ هذه تَذْكِرَةٌ} يعني: هذه الصورة موعظة {فَمَن شَاء اتخذ إِلى رَبّهِ سَبِيلاً} يعني: من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك التوحيد إلى ربه مرجعاً فليفعل وقال أهل اللغة في قوله: السماء

منفطر به ولم يقل منفطرة به فالتذكير على وجهين: أحدهما: أنه انصرف إلى المعنى ومعنى السماء السقف كقوله
{وَجَعَلْنَا السمآء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءاياتها مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 32]، والثاني: أن معناه السماء ذات الانفطار كما يقال امرأة مرضع أي: ذات رضاع على وجه النسب. ويقال: قوله السماء منفطر به يعني: فيه شيء في يوم القيامة، ويقال: يعني: بالله تعالى يعني: من هيبته قوله تعالى: {إِنَّ هذه تَذْكِرَةٌ} يعني: إن هذه الآيات التي ذكرت موعظة بليغة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً يعني: من شاء أن يرغب فليرغب فقد أمكن له لأنه أظهر الحجج والدلائل.

▲ تفسير الآية رقم [20]

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20)}
ثم قال عز وجل: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدنى مِن ثُلُثَيِ اليل وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ} قرأ حمزة والكسائي وابن كثير وعاصم ونصفه وثلثه كلاهما بالنصب والباقون بالكسر فمن قرأ بالنصب فهو على تفسير الأدنى كما قال: أدنى من ثلثي الليل وكان نصفه وثلثه تفسير لذلك الأدنى ومن قرأ بالكسر فمعناه: أدنى من نصفه وثلثه وقال الحسن لما نزل قوله {قُمِ اليل إِلاَّ قَلِيلاً} فكان قيام الليل فريضة فقام بها المؤمنون حولاً فأجهدهم ذلك وما كلهم قام بها فأنزل الله تعالى رخصة {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدنى} إلى قوله: {عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ} فصار تطوعاً ولا بد من قيام الليل. فذلك قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدنى مِن ثُلُثَيِ اليل وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ} {وَطَائِفَةٌ مّنَ الذين مَعَكَ} يعني: وجماعة من المؤمنين معك تقومون نصف الليل وثلثه {والله يُقَدّرُ اليل والنهار} يعني: يعلم ساعات الليل والنهار {عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ} يعني: أن لن تطيعوه ولم تقدروا أن تحفظوا ما فرض الله عليكم على الدوام ويقال: معناه: لن تطيقوا حفظ ساعات الليل {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} يعني: تجاوز عنكم ورفع عنكم وجوب القيام {فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القرءان} في صلاة الليل ويقال: {فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القرءان}

في جميع الصلوات {عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مرضى} علم الله تعالى أن منكم مرضى لا يقدرون على قيام الليل {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ} يعني: يسافرون في الأرض {يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ الله} يعني: في طلب المعيشة يطلبون الرزق من الله تعالى وفي الآية دليل أن الكسب الحلال بمنزلة الجهاد لأنه جمع مع الجهاد في سبيل الله، وروى إبراهيم عن علقمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ جَالِبٍ يَجْلِبُ طَعَاماً مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ فَيَبِيعَهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ إِلاَّ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ الله تَعَالَى مَنْزِلَةَ الشَّهِيدِ» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} يعني: من القرآن {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: الصلوات الخمس {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: الزكاة المفروضة {وَأَقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَناً} يعني: تصدقوا من أموالكم بنية خالصة من المال الحلال {وَمَا تُقَدِّمُواْ لانْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ} يعني: ما تعملون من عمل من الأعمال الصالحة يعني: تتصدقون بنية خالصة {تَجِدُوهُ عِندَ الله} يعني: تجدوا ثوابه في الآخرة. {هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً} يعني: الصدقة خير من الإمساك وأعظم ثواباً من معاملتكم وتجارتكم في الدنيا، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه اتخذ له حيساً يعني: تمراً بلبن فجاءه مسكين فأخذه، ودفعه إليه فقال بعضهم: ما يدري هذا المسكين ما هذا فقال عمر: لكن رب المسكين يدري ما هو فكأنه تأول قوله تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُواْ لانْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً} ثم قال عز وجل: {واستغفروا الله} يعني: اطلبوا المغفرة لذنوبكم بالرجوع إلى الله تعالى {إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} يعني: لمن تاب رحيماً بعد التوبة والله أعلم بالصواب.

سورة المدثر

تفسير الآيات رقم [1- 10]

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10)}

قوله تعالى: {يأَيُّهَا المدثر} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم وقد تدثر بثوبه وأصله المتدثر بثيابه إذا نام فأدغمت التاء في الدال وشددت وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في حديثه: «فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوتاً مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا المَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحراء جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيَ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْض فَخَشَيْتُ فَرَجِعْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَدَثَرُونِي فَنَزَلَ يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ» {قُمْ فَأَنذِرْ} يعني: فخوف قومك وادعهم إلى التوحيد ويقال: {قُمْ فَأَنذِرْ} يعني: قم فصلِّ لله ويقال: {قُمْ فَأَنذِرْ} يعني: خوفهم بالعذاب إن لم يوحدوا يعني: ادعهم من الكفر إلى الإيمان ثم قال عز وجل: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} يعني: فعظمه عما يقولون فيه عبدة الأوثان. ويقال: فكبر يعني: فكبر للصلاة ثم قال: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} يعني: طهر قلبك بالتوبة عن الذنوب والمعاصي وهذا قول قتادة وقال مقاتل: يعني: قلبك فطهر بالتوبة وكانت العرب تقول للرجل إذا أذنب دنس الثياب وقال الفراء: يعني: ثيابك فقصر. وقال الزجاج لأن تقصير الثوب أبعد من النجاسة وإن كان طويلاً لا يؤمن أن يصيبه النجاسة ويقال: يعني: لا تقصر فتكون غادراً دنس الثياب وقال مجاهد: وثيابك فطهر يعني: نفسك فطهر ويقال: عملك فأخلص ويقال: ظنك فحسن ثم قال: {والرجز فاهجر} يعني: المأثم فاترك ويقال: الرجز فاهجر يعني: ارفض عبادة الأوثان قرأ عاصم في رواية حفص والرجز بضم الزاء والباقون بكسر الزاء ومعناهما واحد وهم الأوثان يعني: فارفض عبادة الأوثان ويقال: الرجز العذاب كقوله تعالى: {فَبَدَّلَ الذين ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الذين ظَلَمُواْ

رِجْزًا مِّنَ السمآء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} [البقرة: 59] ومعناه كل شيء يحرك إلى عذاب الله تعالى فاتركه ثم قال عز وجل: {وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ} يعني: لا تعط شيئاً قليلاً تطلب به أكثر وأفضل في الدنيا وقال الحسن ولا تمنن تستكثر يعني: ولا تمنن بعملك على ربك تستكثره وقال مجاهد لا تعط مالك رجاء فضل من الثواب في الدنيا وقال الضحاك لا تعط ولتعطى أكثر منه قوله تعالى: {وَلِرَبِّكَ فاصبر} يعني: اصبر على أمر ربك قال إبراهيم النخعي: اصبر لعظمة ربك وقال مقاتل: ولربك فاصبر يعني: يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذاهم ويقال: فاصبر نفسك في عبادة ربك {فَإِذَا نُقِرَ فِي الناقور} يعني: اصبر فعن قريب ينفخ في الصور. {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِير عَلَى الكافرين غَيْرُ يَسِيرٍ} يعني: شديداً على الكافرين غير يسير يعني: غير هين وفي الآية دليل أن ذلك اليوم يكون على المؤمنين هيناً وهذا كقوله تعالى: {الملك يَوْمَئِذٍ الحق للرحمن وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكافرين عَسِيراً} [الفرقان: 26] لأن الكفار يقطع رجاؤهم في جميع الوجوه.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 31]

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآَيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)}

ثم قال: {ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً} يعني: اترك هذا الذي خلقته وحيداً وفوض أمره إليَّ وهو الوليد بن المغيرة خلقه الله تعالى وحيداً بغير مال ولا ولد {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً} يعني: ورزقته مالاً كثيراً قال مجاهد كان له مائة ألف دينار وكان بنوه عشرة وقال بعضهم: كان ماله أربعة آلاف درهم ثم قال عز وجل: {وَبَنِينَ شُهُوداً} يعني: حضوراً لا يغيبون عنه في التجارة

ولا غيرهم وقال بعضهم: ذرني ومن خلقت وحيداً يعني: إنه لم يكن من قريش وكان ملصقاً بهم لأنه ذكر أن أباه المغيرة تبناه بعد ما أتت ثمانية أشهر ولم يكن منه كما قال الله تعالى {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: 13] {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً} يعني: غير منقطع عنه وبنين شهوداً لا يغيبون عنه ولا يحتاجون إلى التصرف وكان له عشرة من البنين وهذا قول الكلبي وغيره وقال مقاتل: سبع بنين {وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً} يعني: بسطت له في المال والخير بسطاً ويقال: أمهلت له إمهالاً {ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} يعني: يطمع أن أزيد ماله وولده. وذلك أنه تفاخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي: مالاً ممدوداً ولي عشرة من البنين فلا يزال يزداد مالي وبني فنزل ثم يطمع أن أزيد يعني: أن أزيد وهو يعصيني {كَلاَّ} يعني: وهو رد عليه يعني: لا أزيد فما أزداد ماله بعد ذلك ولا ولده ولكن أخذ في النقصان فهلك عامة ماله وولده قوله تعالى: {إِنَّهُ كان لاياتنا عَنِيداً} يعني: مكذباً معرضاً عنها معانداً ثم قال عز وجل: {سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً} يعني: يكلف في النار صعود جبل من صخرة ملساء في الباب الخامس تسمى سقر فإذا بلغ رأس العقبة دخل دخان في حلقة فيخرج من جوفه ما كان في جوفه من الأمعاء فإذا سقط في أسفل العقبة سقي من الحميم فإذا بلغ أعلاه انحط منه إلى أسفله من مسيرة سبعين سنة وقال مجاهد: {سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً} يعني: مشقة من العذاب وقال الزجاج: سأحمله على مشقة من العذاب ويقال: سأكلفه الصعود على عقبة شاقة والصعود والكؤود بمعنى واحد ثم ذكر خبث أفعاله الذي يستوجب به العقوبة فقال: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ} يعني: إنه فكر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقدر في أمره وقال ساحر يقول الله عز وجل: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} يعني: فلعن كقوله: {قُتِلَ الخراصون} [الذاريات: 10]. {ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة ليدبروا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: هذه أيام الموسم والناس مجتمعون وقد فشا قول هذا الرجل في الناس وهم سائلون عنه فماذا تجيبون وتردون عليهم فقالوا نقول إنه مجنون وقال بعضهم: إنهم يأتونه ويكلمونه فيجدونه فصيحاً عاقلاً فيكذبونكم فقالوا: نقول شاعر قال بعضهم: هم العرب وقد رأوا الشعراء وقوله: لا يشبه الشعر فيكذبونكم قالوا: نقول كاهن قال بعضهم: إنهم لقوا الكهان وإذا سمعوا قوله وهو يستثني في كلامه المستقبل فيكذبونكم ففكر الوليد بن المغيرة ثم أدبر عنهم ثم رجع إليهم وقال: فكرت في أمره فإذا هو ساحر يفرق بين المرء وزوجه وأقربائه فاجتمع رأيهم

على أن يقولوا: ساحر فقتل كيف قدر يعني: كيف قدر بمحمد صلى الله عليه وسلم بالسحر ثم قتل يعني لعن مرة أخرى أي: اللعنة على أثر اللعنة كيف قدر هذا التقدير الذي قال للكفرة إنه ساحر {ثُمَّ نَظَرَ} يعني: ثم نظر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم {ثُمَّ عَبَسَ} يعني: عبس وجهه أي: كلح وتغير لون وجهه وقال الزجاج: ثم عبس وجهه {وَبَسَرَ} أي: نظر بكراهة شديدة {ثُمَّ أَدْبَرَ} يعني أعرض عن الإيمان {واستكبر} يعني: تكبر عن الإيمان ثم قال: {إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ} يعني: تأثره من صاحب اليمامة يعني: يرويه عن مسيلمة الكذاب ويقال: معناه: ما هذا الذي يقول: إلا سحر يرويه عن جابر ويسار ويقال عن أهل بابل: {إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ البشر} يعني: ما هذا القرآن إلا قول الآدمي قال الله تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} يعني: سأدخله سقر قال مقاتل: يعني: الباب الخامس وقال الكلبي: هو اسم من أسماء النار {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ} تعظيماً لأمرها ثم بين قال: {لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ} يعني: لا تبقي لحماً إلا أكلته ولا تذرهم إذا أعيدوا فيها خلقاً جديداً، ويقال: لا تبقي ولا تذر يعني: لا تميت ولا تحيي، ويقال: لا تبقى اللحم ولا العظم ولا الجلد إلا أحرقته ولا تذر لحماً ولا عظماً ولا جلداً أي: تدعه محرقاً بل تجده خلقاً جديداً ثم قال عز وجل: {لَوَّاحَةٌ لّلْبَشَرِ} يعني: حراقة للأجساد شواهة للوجوه نزاعة للأعضاء وأصله في اللغة التسويد ويقال: لاحته الشمس إذا غيرته وذلك أن الشيء إذا كان فيه دسومة فإذا أحرق اسود ثم قال: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} يعني: على النار تسعة عشر من الملائكة مسلطون من رؤساء الخزنة وأما الزبانية فلا يحصى عددهم كما قال في سياق الآية: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إِلاَّ هُوَ}.

وإنما أراد تسعة عشر ملكاً ومعهم ثمانية عشر أعينهم كالبرق الخاطف ويخرج لهب النار من أفواههم فنزعت عنهم الرأفة غضاب على أهلها يدفع أحدهم سبعين ألفاً فلما نزلت هذه الآية قال الوليد بن المغيرة لعنه الله: أنا أكفيكم خمسة وكل ابن لي يكفي واحداً منهم وسائر أهل مكة يكفي أربعة منهم وقال رجل من المشركين وكان له قوة وأنا أكفيكموهم وحدي أدفع عشرة بمنكبي هذا وتسعة بمنكبي الأيسر فألقيهم في النار حتى يحترقوا وتجوزون حتى تدخلون الجنة فنزلت هذه الآية {وَمَا جَعَلْنَا أصحاب النار إلا مَلَئِكَةٌ} يعني: ما سلطنا أعوان النار إلا ملائكة زبانية غلاظ شداد لا يغلبهم أحد {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ} يعني: ما ذكرنا قلة عددهم وهم تسعة عشر {إِلاَّ فِتْنَةً لّلَّذِينَ كَفَرُواْ} يعني: بلية لهم {لِيَسْتَيْقِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب} وذلك أن أهل الكتاب وجدوا في

كتابهم أن مالكاً رئيسهم وثمانية عشر من الرؤساء فبين لهم أنما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم يقوله: بالوحي {وَيَزْدَادَ الذين ءامَنُواْ إيمانا} يعني: تصديقاً وعلماً {وَلاَ يَرْتَابَ الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني: يعلموا أنه حق وعدتهم كذلك {والمؤمنون} أيضاً لا يشكون في ذلك {وَلِيَقُولَ الذين فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} يعني: المنافقين {والكافرون} يعني: المشركين {مَاذَا أَرَادَ الله بهذا مَثَلاً} يعني: بذكر خزنة جهنم تسعة عشر يقول الله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ الله مَن يَشَاء} يعني: يخذله ولا يؤمن به أمناً له {وَيَهْدِى مَن يَشَاء} يعني: يوفقه لذلك {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إِلاَّ هُوَ} يعني: من يعلم قوة جنود ربك وكثرتها إلا هو يعني: الله تعالى ويقال: وما يعلم يعني: لا يعلم عدد جموع ربك إلا الله تعالى: {وَمَا هِىَ إِلاَّ ذكرى لِلْبَشَرِ} يعني: الدلائل والحجج في القرآن ويقال: ما هي يعني: القرآن ويقال: وما هي يعني: سقر إلا ذكرى للبشر يعني: عظه للخلق ثم أقسم الله تعالى لأجل سقر.

▲ تفسير الآيات رقم [32- 56]

{كَلَّا وَالْقَمَرِ (32) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (34) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (35) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (36) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (52) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (53) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)}

فقال: {كَلاَّ} رداً عليهم {والقمر} يعني: وخالق القمر {واليل إِذْ أَدْبَرَ} يعني: ذهب أقسم بخالق الليل {والصبح إِذَا أَسْفَرَ} أقسم بخالق الصبح {إِنَّهَا لإِحْدَى الكبر} يعني: سقر إحدى الكبر العظام وباب من أبواب النار قرأ نافع وحمزة وعاصم في رواية حفص والليل إذ بغير ألف أدبر بالألف والباقون إذا بالألف دبر بغير ألف وهما لغتان ومعناهما واحد دبر وأدبر ويقال دبر النهار وأدبر ودبر الليل وأدبر وقال مجاهد: سألت ابن عباس عن قوله {واليل إِذَا أَدْبَرَ}

فسكت حتى إذا كان آخر الليل قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل ويقال: الليل إذا أدبر يعني: إذا جاء بعد النهار والصبح. إذا أسفر يعني: استضاء بأنها أي: سقر لإحدى الكبر يعني: أن سقر لأعظم درجات في النار {نَذِيراً لِّلْبَشَرِ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم نذيراً للخلق وإنما صار نعتاً لأنه معناه تم نذيراً للبشر، ويقال: إن العذاب الذي ذكر نذيراً للبشر قوله تعالى: {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} يعني: يتقدم في الخير أو يتأخر إلى المعصية فبينا لكم فهذا وعيد لكم لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الطاعة أو يتأخر إلى المعصية كقوله: {وَقُلِ الحق مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كالمهل يَشْوِى الوجوه بِئْسَ الشراب وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: 29] ويقال: معناه: لمن شاء منكم أن يتقدم إلى التوبة فليوحد أو يتأخر عن التوبة فليقم على الكفر يعني: نذيراً لمن شاء. ثم قال: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} يعني: كل كافر مرتهن بعمله {إِلاَّ أصحاب اليمين} يعني: لكن أصحاب اليمين فإنهم ليسوا مرتهنين بعملهم يعني: الذين أعطوا كتابهم بأيمانهم ويقال: هم الذين عن يمين العرش، ويقال: كل نفس بما كسبت رهينة عند المحاسبة إلا أصحاب اليمين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هم أطفال المسلمين يعني: ليس عليهم حساب لأنهم لم يعملوا شيئاً ثم قال: {فِى جنات يَتَسَاءلُونَ} يعني: إنهم في بساتين يتساءلون {عَنِ المجرمين} يعني: يرون أهل النار يسألونهم {مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ} يعني: ما الذي أدخلكم في سقر فأجابهم أهل النار: {قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ المصلين} يعني: لم نك نقر بالصلاة ولم نؤدها {وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المسكين} يعني: كنا لا نقر بالفرائض والزكاة ولا نؤديها. {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخائضين} يعني: كنا نستهزئ بالمسلمين ونخوض بالباطل ونرد الحق مع المبطلين المستهزئين {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدين} يعني: بيوم الحساب {حتى أتانا اليقين} يعني: الموت والقيامة قوله تعالى: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شفاعة الشافعين} يعني: لا يسألهم شفاعة الأنبياء وشفاعة الملائكة {فَمَا لَهُمْ عَنِ التذكرة مُعْرِضِينَ} فما للمشركين يعرضون عن القرآن والتوحيد {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ} يشبههم بالحمر الوحشية المذعورة حين فروا من القرآن وكذبوا به قرأ نافع وابن عامر مستنفرة بنصب الفاء والباقون بالكسر فمن قرأ بالنصب فمعناه منفرة فإن الصائد نفرها ومن قرأ بالكسر ومعناه نافرة ويقال: نفر واستنفر بمعنى واحد ثم قال: {فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ} فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يعني: الأسد

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنهم القناص يعني: الصيادين وقال قتادة: القسورة النبل يعني: الرمي بالسهام وهو حس الناس وأصواتهم ثم قال عز وجل: {بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امرئ مِّنْهُمْ} يعني: أهل مكة {أَن يؤتى صُحُفاً} وذلك أن كفار مكة قالوا إن الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنباً يصبح وذنبه وكفارته مكتوب عند رأسه فهل ترينا مثل ذلك إن كنت رسولاً فنزل {قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امرئ مِّنْهُمْ أَن يؤتى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً} يعني: صحفاً مكتوب فيها جرمه وتوبته ويقال: نزلت في شأن عبد الله بن أمية المخزومي حين قال: لن نؤمن حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قال الله تعالى: {كَلاَّ} يعني: هذا لا يكون لهم أبداً ثم ابتداء فقال: {بَل لاَّ يَخَافُونَ الاخرة} يعني: البعث يعني: لكن لا يخافون عذاب الآخرة {كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} يعني: حقاً إن القرآن عظة للخلق {فَمَن شَاء ذَكَرَهُ} يعني: من شاء أن يتعظ به فليتعظ {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء} يعني: إلا أن يشاء {الله} لهم، ويقال إلا أن يشاء الله منهم قرأ نافع وما تذكرون بالتاء على معنى المخاطبة والباقون بالياء على معنى الخبر عنهم ثم قال عز وجل: {هُوَ أَهْلُ التقوى وَأَهْلُ المغفرة} يعني: هو أهل أن يتقي ولا يشرك به ويوحد ولا يعصى وأهل المغفرة يعني هو أهل أن يغفر لمن أطاعه ولا يشرك ويقال: هو أهل أن يتقى وأهل المغفرة لمن اتقى والله الموفق.

سورة القيامة

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5)}

قوله تعالى: {لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة} أجمع أهل التفسير أن معناه أقسم، واختلفوا في تفسير لا. قال بعضهم: والكلام زيادة للزينة، ويجري في كلام العرب زيادة لا، كما في آية أخرى. قال: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: 12] يعني: أن تسجد. وقال بعضهم: لا رد لكلامهم، حيث أنكروا البعث. فقال: ليس الأمر كما ذكر. ثم قال: {أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة} ويقال: معناه أقسم برب يوم القيامة إنها كائنة. {وَلاَ أُقْسِمُ بالنفس اللوامة} يعني: أقسم بخالق النفس اللوامة، وهي نفس ابن آدم، يلوم نفسه. كما روي عن ابن عباس، وعن عمر رضي الله عنهم: ما من نفس برة وفاجرة، إلا تلوم نفسها، إن كانت محسنة تقول: يا ليتني زدت إحساناً، وإن كانت سيئة تقول: يا ليتني تركت. ولم يذكر جواب القسم، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهو قوله {بلى قادرين} ومعناه: ولا أقسم بالنفس اللوامة، لتبعثن بعد الموت.

ثم قال عز وجل: {أَيَحْسَبُ الإنسان} يعني: أيظن الكافر {أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ} يعني: أن لن يبعث الله بعد الموت. نزلت في أبي بن خلف، ويقال: في عدي بن الربيعة، لإنكار البعث بعد الموت. يقول الله تعالى: {بلى قادرين} يعني: إن الله تعالى قادر {على أَن نُّسَوّىَ بَنَانَهُ} يعني: يجعل أصابعه ملتزقة، وألحق الراحة بالأنامل. وهذا قول ابن عباس. وقال القتبي: فكأنه يقول: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه في الآخرة، بلى قادرين على أن نسوي بنانه، يعني: أن نجمع ما صغر منه، ونؤلف بينه. أي: نعيد السلاميات على صغرها، ومن قدر على جمع هذا، فهو على جمع كبار العظام أقدر. وقال مجاهد: على أن نسوي خفه كخف البعير، لا يعمل به شيئاً. وقال سعيد بن

جبير يعني: كنف البعير، أو كحافر الدابة والحمر، لأنه ليس من دابة، إلا وهي تأكل بفمها غير الإنسان.
قوله تعالى: {بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} يعني: يقدم ذنوبه، ويؤخر توبته ويقول: سوف أتوب، ولا يترك الذنوب، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه. وقال عكرمة: {لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} يعني: يريد الذنوب في المستقبل. وقال القتبي: بل يريد الإنسان ليفجر أمامه، فقد كثرت فيه التفاسير. وقال سعيد بن جبير سوف أتوب، وقال الكلبي: يكثر الذنوب، ويؤخر التوبة. وقال آخرون: يتمنى الخطيئة، وفيه قول آخر على طريق الإنكار، بأن يكون الفجور بمعنى: التكذيب بيوم القيامة، ومن كذب بالحق، فقد فجر، وأصل الفجور: الميل. فقيل: للكاذب والمكذب والفاسق فاجر، لأنه مال عن الحق.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 30]

{يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)}

قوله تعالى: {يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القيامة} يعني: يسأل متى يوم القيامة، تكذيباً بالبعث. فكأنه قال: بل يريد الإنسان أن يكذب بيوم القيامة، وهو أمامه، وهو يسأل متى يكون. فبين الله تعالى في أي يوم يكون فقال: {فَإِذَا بَرِقَ البصر} يعني: شخص البصر، وتحير. قرأ نافع {فَإِذَا بَرِقَ البصر} بنصب الراء، والباقون بالكسر. فمن قرأ بالنصب، فهو من برق يبرق بريقاً، ومعناه: شخص فلا يطرق من شدة الفزع. ومن قرأ بالكسر، يعني: فزع وتحير. وأصله: أن الرجل إذا رأى البرق تحير، وإذا رأى من أعاجيب يوم القيامة، تحير ودهش. {وَخَسَفَ القمر} يعني: ذهب ضوؤه {وَجُمِعَ الشمس والقمر} يعني: كالثورين المقرنين. ويقال: برق البصر، وخسف القمر. قال كوكب العين ذهب ضوؤه. وروى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه أنه قال: يجعلان في نور الحجاب.

ويقال: جمع الشمس والقمر، يعني: سوى بينهما في ذهاب نورهما، وإنما قال: وجمع الشمس والقمر، ولم يقل وجمعت، لأن المؤنث والمذكر إذا اجتمعا، فالغلبة للمذكر. {يَقُولُ الإنسان يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المفر} يقول: أين الملجأ من النار؟ قرئ في الشاذ، أين المفر بالكسر للفاء، على معنى: أين مكان الفرار. وقراءة العامة بالنصب، يعني: أين الفرار.

ثم قال: {كَلاَّ لاَ وَزَرَ} يعني: حقاً لا جبل يلجؤون إليه، فيمنعهم من النار، ولا شجر يواريهم. والوزر في كلام العرب، الجبل الذي يلتجئ إليه، والوزر والستر هنا، الشيء الذي يستترون به. وقال عكرمة: ولا وزر. يعني: منعه. وقال الضحاك: يعني: لا حصن لهم يوم القيامة. ثم قال عز وجل: {إلى رَبّكَ يَوْمَئِذٍ المستقر} يعني: المرجع {يُنَبَّأُ الإنسان يَوْمَئِذِ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} يعني: يسأل ويبين له، ويجازى بما قدم من الأعمال وأخر، من سنة صالحة أو سيئة.

قوله عز وجل: {بَلِ الإنسان على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} يعني: جوارح العبد شاهدة عليه. ومعناه على الإنسان من نفسه شاهد، يشهد عليه كل عضو بما فعل. ويقال يعني: جوارح، العبد شاهدة عليه، ومعناه رقيب بعضها على بعض. والبصيرة أدخلت فيها الهاء للمبالغة، كما يقال: رجل علامة. وقال الحسن: على نفسه بصيرة، يعني: بعيوب غيره، الجاهل بعيوب نفسه {وَلَوْ ألقى مَعَاذِيرَهُ} يعني: ولو تكلم بعذر لم يقبل منه. ويقال: ولو أرخى ستوره، يعني: أنه شاهد على نفسه، وإن أذنب في الستور.

قوله تعالى: {لاَ تُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ} يعني: لا تعجل بقراءة القرآن، من قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام من قراءته وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا نزل عليه القرآن، تعجل به للحفظ فنزل: {لاَ تُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ} {لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ} يعني: حفظه في قلبك {وَقُرْءانَهُ} يعني: يقرأ عليك جبريل، حتى تحفظه {فَإِذَا قرأناه فاتبع قُرْءانَهُ} يعني: إذا قرأ عليك جبريل فاقرأ أنت بعد قراءته وفراغه وقال محمد بن كعب: فاتبع قراءته، يعني: فاتبع حلاله وحرامه.

وقال الأخفش: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ} يعني: تأليفه {فَإِذَا قرأناه فاتبع قُرْءانَهُ} يعني: تأليفه {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} يعني: بيان أحكامه وحدوده. ويقال: علينا بيانه، يعني: شرحه. ويقال: بيان فرائضه، كما بين على لسان النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم نزل بعد هذه الأحكام، قوله تعالى: {كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العاجلة} يعني: تحبون العمل للدنيا {وَتَذَرُونَ الاخرة} يعني: تتركون العمل للآخرة. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بل يحبون بالياء، على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء، على معنى المخاطبة. ثم بين حال ذلك اليوم فقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} أي: حسنة مشرقة مضيئة، كما قال في آية أخرى: {تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النعيم} [المطففين: 24] {وَإِلَى رَبّهَا نَاظِرَةٌ} يعني: ناظرين يومئذ إلى الله تبارك وتعالى. وقال مجاهد: {إلى رَبّهَا نَاظِرَةٌ} يعني: تنتظر الثواب من ربها. وهذا القول لا يصح، لأنه مقيد بالوجوه، موصول بإلى، ومثل هذا، لا يستعمل في الانتظار.

ثم قال عز وجل: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} يعني: عابسة. ويقال: كريهة. ويقال: كاسفة ومسودة {تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} يعني: تعلم أنه قد نزل بها العذاب والشدة. يعني: تعلم هذه الأنفس. ويقال: الفاقرة الداهية، ويقال: قد أيقنت أن العذاب نازل بها. ثم قال عز وجل: {كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التراقى} يعني: حقاً إذا بلغت النفس إلى الحلقوم. يعني: خروج الروح {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} يعني: يقول من حضر عند الموت، هل من طبيب حاذق يداويه؟ ويقال: من راق، يعني: من يشفي من هذا الحال. ويقال: من راق، يعني: من يقدر أن يرقي من الموت. يعني: لا يقدر أحد أن يرقي من الموت. والعرب تقول: من الرقية، رقى يرقي رقيةً، ومن الرقيّ وهو الصعود، رقي يرقى رقياً، فهو راق منهما.

{وَظَنَّ أَنَّهُ الفراق} يعني: استيقن أنه ميت، وأنه يفارق الروح من الجسد. ويقال: وقيل من راق، أن الملائكة الذين حضروا لقبض روحه يقول: بعضهم لبعض، من راق يعني من يصعد منا بروحه إلى السماء، فأيقن عند ذلك أنه الفراق {والتفت الساق بالساق * إلى رَبّكَ يَوْمَئِذٍ المساق} قال ابن عباس: يعني: التفت شدتان أخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من الآخرة. وروى وكيع، عن بشير بن المهاجر قال: سمعت الحسن يقول: والتفت الساق بالساق، قال: هما ساقان إذا التفتا في الكفن، إلى ربك يومئذٍ المساق يعني: يساق العبد إلى ربه.

▲ تفسير الآيات رقم [31- 40]

{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (34) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (35) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ

فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)}
ثم قال عز وجل: {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صلى} وهو أبو جهل بن هشام، يعني: لم يصدق بتوحيد الله تعالى، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، ولم يصل لله تعالى. ويقال: {وَلاَ صلى} يعني: ولا أسلم. فسمي المسلم مصلياً {ولكن كَذَّبَ وتولى} يعني: كذب بالتوحيد، وتولى يعني: أعرض عن الإيمان {ثُمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يتمطى} قال القتبي: يعني: وأصله في اللغة يتمطط فقلبت الطاء ياء فصار يتمطى يعني: ذهب إلى أهله يتمطى يعني: ويتبختر في مشيته {أولى لَكَ فأولى} وعيد على أثر وعيد، يعني: احذر يا أبا جهل. {يتمطى أولى لَكَ} أي: قرب لك يا أبا جهل. وقال سعيد بن جبير: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: أولى لك فأولى {ثُمَّ أولى لَكَ فأولى} ثم نزل به القرآن. وقال الزجاج: معناه أولى لك يعني: يوجب لك المكروه يا أبا جهل، والعرب تقول أولى بفلان، إذا وعد له مكروهاً. وقال القتبي: أولى لك تهديد ووعيد كما قال: فأولى لهم ثم ابتدأ فقال: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الامر فَلَوْ صَدَقُواْ الله لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} [محمد: 21].
ثم قال: {أَيَحْسَبُ الإنسان أَن يُتْرَكَ سُدًى} يعني: أن يترك مهملاً، لا يؤمر ولا ينهى {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مّن مَّنِىّ يمنى} يعني: أليس قد خلق من ماء مهين. قرأ ابن عامر وحفص، عن عاصم، من منى يمنى بالهاء، والباقون بالتاء على معنى التأنيث، لأن النطفة مؤنثة. ومن قرأ بالياء، انصرف إلى المعنى وهو الماء {ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً} يعني: صارت بعد النطفة علقة {فَخَلَقَ فسوى} يعني: جمع خلقه في بطن أمه مستوياً، معتدل القامة {فَجَعَلَ مِنْهُ} يعني: خلق من المني {الزوجين} يعني: لونين من الخلق {الذكر والانثى أَلَيْسَ ذَلِكَ بقادر على أَن يُحْيِيَ الموتى} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقرير، يعني: أن هذا الذي يفعل مثل هذا، هو قادر. على أن يحيي الموتى. وذكر عن ابن عباس، أنه كان إذا قرأ {أَلَيْسَ ذَلِكَ بقادر على أَن يُحْيِيَ الموتى} قال: سبحانك اللهم بلى قادر، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الإنسان (الدهر)

▲ تفسير الآيات رقم [1- 14]

{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14)}

قوله تعالى: {هَلْ أتى عَلَى الإنسان} يعني: قد أتى على أدم {حِينٌ مّنَ الدهر} يعني: أربعين سنة {لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} يعني: لم يدر ما اسمه، ولا ما يراد به إلا الله تعالى. وذلك أن الله تعالى، لما أراد أن يخلق آدم، أمر جبريل عليه السلام، أن يجمع التراب فلم يقدر. ثم أمر إسرافيل فلم يقدر، ثم أمر عزرائيل عليهم السلام، فجمع التراب من وجه الأرض، فصار التراب طيناً، ثم صار صلصالاً، وكان على حاله أربعين سنة، قبل أن ينفخ فيه الروح. وروى معمر، عن قتادة قال: كان آدم آخر ما خلق من الخلق، خلق كل شيء قبل آدم.

ثم قال: {إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ} يعني: مختلطاً ماء الرجل وماء المرأة، لا يكون الولد إلا منهما جميعاً. ماء الرجل أبيض ثخين، وماء المرأة أصفر رقيق {نَّبْتَلِيهِ} يعني: لكي نبتليه بالخير والشر {فجعلناه سَمِيعاً بَصِيراً} يعني: جعلنا له سمعاً يسمع به الهدى، وبصراً يبصر به الهدى. وقال

مقاتل: في الآية تقديم، يعني: جعلناه سميعاً بصيراً، يعني: جعلنا له سمعاً لنبتليه، يعني: لنختبره.
قوله عز وجل: {إِنَّا هديناه السبيل} يعني: بينا له، وعرفناه طريق الخير وطريق الكفر. ويقال: سبيل السعادة والشقاوة {إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} يعني: إما أن يكون موحداً، وإما أن يكون جاحداً لوحدانية الله تعالى. ويقال: إما شاكراً لنعمه، وإما كفوراً لنعمه. ثم بين ما أعد للكافرين فقال: {إِنَّا أَعْتَدْنَا للكافرين} يعني: في الآخرة {سلاسل وأغلالا} يعني: هيئنا لهم أغلالاً، تغل بها أيمانهم إلى أعناقهم {وَسَعِيراً} يعني: وقوداً.
ثم بيّن ما أعد للشاكرين فقال: {إِنَّ الابرار} يعني: الصادقين في إيمانهم {يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ} يعني: من خمر {كَانَ مِزَاجُهَا كافورا} يعني: على برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل ليس ككافور الدنيا ولا كمسكها ولكنه وصف بها حتى يهتدى به القلوب أو يقال: الكافور اسم عين في الجنة يمزج بها الخمر {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله} يعني: عين الكافور يشرب بها أولياء الله تعالى في الجنة {يُفَجّرُونَهَا تَفْجِيراً} يعني: يمزجونها تمزيجاً. وقال ابن عباس: {يُفَجّرُونَهَا تَفْجِيراً} في قصورهم وديارهم، وذلك، أن عين الكافور، يشرب بها المقروبون صرفاً غير ممزوج، ولغيرهم ممزوجاً. ويقال: {يُفَجّرُونَهَا تَفْجِيراً} يعني: يفجرون تلك العين في الجنة كيف أحبوا، كما يفجر الرجل النهر الذي يكون له في الدنيا هاهنا، وهاهنا حيث شاء.
ثم بين أفعالهم في الدنيا فقال: {يُوفُونَ بالنذر} يعني: يتمون الفرائض. ويقال: أوفوا بالنذر {ويخافون يَوْماً} وهو يوم القيامة {كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً} يعني: عذابه فاشياً ظاهراً، وهو أن السموات قد انشقت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وفارت المياه ثم قال عز وجل: {وَيُطْعِمُونَ الطعام على حُبّهِ} يعني: على قلته وشهوته وحاجته {مِسْكِيناً} وهو الطائف بالأبواب {وَيَتِيماً وَأَسِيراً} يعني: من أسر من دار الشرك.
ويقال: أهل اليمن. وذكر أن الآية نزلت في شأن علي بن أبي طالب، وفاطمة رضي الله عنهما وكانا صائمين فجاءهما سائل وكان عندهما قوت يومهما فأعطيا السائل بعض ذلك الطعام ثم جاءهما يتيم فأعطياه من ذلك الطعام ثم جاءهما أسير فأعطياه الباقي فمدحهما الله تعالى لذلك، ويقال: نزلت في شأن رجل من الأنصار ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله} يعني: ينوون بأدائهم، ويضمرون في قلوبهم وجه الله تعالى. ويقولون: {لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء

وَلاَ شُكُوراً} يعني: لا نريد منكم مكافأة في الدنيا، ولا ثواب في الآخرة {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً} يعني: العبوس الذي تعبس فيه الوجوه، من هول ذلك اليوم، والقمطرير الشديد العبوس. ويقال: عبوساً، أي: يوم يعبس فيه الوجوه، فجعل عبوساً من صفة اليوم. كما قال: {مَّثَلُ الذين كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشتدت بِهِ الريح فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ على شَئ ذلك هُوَ الضلال البعيد} [إبراهيم: 18] أراد عاصف الريح والقمطرير الشديد. يعني: ينقبض الجبين وما بين الأعين، من شدة الأهوال. ويقال: قمطريراً نعت ليوم. ويقال: يوم قمطرير، إذا كان شديداً. يعني: يوماً شديداً صعباً.

ثم قال عز وجل: {فوقاهم الله شَرَّ ذَلِكَ اليوم} يعني: دفع الله عنهم عذاب ذلك اليوم {ولقاهم} يعني: أعطاهم {نَضْرَةً} حسن الوجوه {وَسُرُوراً} يعني: فرحاً في قلوبهم قوله تعالى: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ} يعني: أعطاهم الثواب بما صبروا في الدنيا {جَنَّةً وَحَرِيراً} يعني: لباسهم فيها حرير. ويقال: بما صبروا على الطاعات. ويقال: على المصائب. وقوله عز وجل: {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا} يعني: ناعمين في الجنة {على الارائك} يعني: على السرر، وفي الجمال واحدها أريكة {لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً} يعني: لا يصيبهم فيها حر الشمس {وَلاَ زَمْهَرِيراً} يعني: ولا برد الشتاء.

ثم قال عز وجل: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظلالها} يعني: قريبة عليهم ظلال الشجر. {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً} يعني: قربت ثمارها ويقال سخرت قطوفها يعني: مجنى ثمرها تذليلاً يعني: قريباً ينالها القاعد والقائم. وروى بن أبي نجيح، عن مجاهد قال: أرض الجنة من فضة، وترابها مسك، وأصول شجرها ذهب وفضة، وأغصانها لؤلؤ وزبرجد، والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه. ثم قرأ {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً} وقال أهل اللغة. ذللت أي: أدنيت منهم، من قولك: حائط ذليل إذا كان قصير السمك. والقطوف والثمرة واحدها قطف، وهو نحو قوله تعالى: {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الحاقة: 23].

▲ تفسير الآيات رقم [15- 31]

{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآَنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا

مَنْثُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)}

ثم قال عز وجل: {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِئَانِيَةٍ مّن فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ} وهي كيزان مدققة الرأس، لا عرى لها {كَانَتْ قَوَارِيرَاْمِن فِضَّةٍ} يعني: في صفاء القارورة، وبياض الفضة. وروي عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لو أخذت فضة من فضة الدنيا، فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم تر الماء من ورائه، ولكن قوارير الجنة من فضة في صفاء القوارير، كبياض الفضة. قرأ نافع، وعاصم، والكسائي سلاسلاً وقواريراً، كلهن بإثبات الألف والتنوين. وقرأ حمزة بإسقاط الألف كلها، وكان أبو عمرو يثبت الألف في الأولى من قوارير، ولا يثبتها في الثانية.

قال أبو عبيد: رأيت في مصحف عثمان، رضي الله عنه الذي قال له مصحف الإمام قوارير بالألف، والثانية كان بالألف، فحكت ورأيت أثرها بيناً هناك، وأما السلاسل فرأيتها قد رست. وقال بعض أهل اللغة: الأجود في العربية، أن لا ينصر فيه سلاسل وقوارير، لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان أو ثلاثة، أوسطها ساكن، فإنه لا ينصرف، فأما من صرفه ونون، فإنه رده إلى الأصل في الازدواج إذا وقعت الألف بغير تنوين ثم قال: {قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً} يعني: على قدر كف الخدم، ويقال: على قدر كف المخدوم ولا يحجز، ويقال: على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه. ويقال: على مقدار الذي لا يزيد ولا ينقص ليكون الري لشربهم {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً} يعني: خمراً وشراباً {كَانَ مِزَاجُهَا} يعني: خلطها {زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تسمى سَلْسَبِيلاً} وقال القتبي: والزنجبيل اسم العين، وكذلك السلسبيل ويقال: إن السلسبيل اللبن والزنجبيل طعمه، والعرب تضرب به المثل. وقال مقاتل: إنما سمي السلسبيل، لأنها تسيل عليهم في الطريق وفي منازلهم، وقال أبو صالح: بلغني أن السلسبيل شديد الجرية.

وقال بعضهم: معناه {كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً} عيناً فيها تسمى سلسبيلاً يعني: عيناً تسمى الزنجبيل وتم الكلام ثم قال: سلسبيلاً يعني: سل الله تعالى السبيل إليها.
قوله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ولدان مُّخَلَّدُونَ} يعني: لا يكبرون، ويكونون على سن واحدة {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً} قال قتادة: كثرتهم وحسنهم، كاللؤلؤ المنثور {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً} يعني: إذا رأيت هناك ما في الجنة، رأيت نعيماً {وَمُلْكاً كَبِيراً} يعني: على رؤوسهم التيجان، كما يكون على رأس ملك من الملوك. ويقال: {وَمُلْكاً كَبِيراً} يعني: لا يدخل رسول رب العزة، إلا بإذنهم.
ثم قال عز وجل: {عاليهم ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ} يعني: على ظهورهم ثياب سندس. قرأ نافع، وحمزة بجزم الياء وكسر الهاء. والباقون بنصب الياء وضم الهاء. فمن قرأ بالجزم، فمعناه الذي يعلوهم، وهو اسم فاعل، من علا يعلو.
ومن قرأ بالنصب نصبه على الظرف، كما قال: فوقهم ثياب. وروي عن ابن مسعود، أنه قرأ عاليتهم ثياب، يعني: الوجه الأعلى. ثم قال: ثياب سندس، خضر بالكسر {وَإِسْتَبْرَقٍ} قرأ نافع، وعاصم في رواية حفص، خضر واستبرق كلاهما بالضم. والباقون كلاهما بالكسر، فمن قرأ بالضم، لأنه نعت الثياب. يعني: ثياباً خضراً. ومن قرأ بالكسر، فهو نعت للسندس، ومن قرأ واستبرق بالضم، فهو نسق على الثياب. ومعناه: عليهم سندس واستبرق، ومن قرأ بالكسر، يكون عليهم ثياب من هذين النوعين.
ثم قال عز وجل: {وَحُلُّواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ} وهو جمع السوار {وسقاهم رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً} يعني: الذي سقاهم خدمهم. ويقال: الذين يشربون من قبل أن يدخلوا الجنة. ثم قال: {إِنَّ هذا كَانَ لَكُمْ جَزَاء} يعني: الذي وصف لكم في الجنة، ثواباً لأعمالكم {وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً} يعني: عملكم مقبولاً. يعني: يبشرون بهذا إذا أرادوا أن يدخلوا الجنة. ثم قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القرءان تَنزِيلاً} يعني: أنزلنا عليك القرآن تنزيلاً، يعني: إنزالاً فالمصدر للتأكيد.
ثم قال عز وجل: {فاصبر لِحُكْمِ رَبّكَ} يعني: استقم على أمر الله تعالى ونهيه. ويقال: اصبر على أذى الكفار. وقال: على تبليغ الرسالة {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءاثِماً أَوْ كَفُوراً} آثماً يعني: فاجراً وهو الوليد بن المغيرة، أو كفوراً يعني: ولا كفوراً، وهو عتبة بن ربيعة. قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فعلت هذا

لأجل المال، فارجع حتى أدفع إليك من المال، ما تصير به أكثر مالاً من أهل مكة. فنزلت هذه الآية {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءاثِماً وَلا كَفُورًا}.
ثم قال عز وجل: {واذكر اسم رَبّكَ} يعني: صلِ باسم ربك {بُكْرَةً وَأَصِيلاً} يعني: بكرة وعشياً يعني: صلاة الفجر، وصلاة الظهر والعصر {وَمِنَ اليل فاسجد لَهُ} يعني: فصلِّ لله المغرب والعشاء {وَسَبّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً} يعني: بعد المكتوبة، فهذا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة. ويقال له ولأصحابه: وهذا أمر استحباب، لا أمر وجوب. ثم قال عز وجل: {إِنَّ هؤلاء يُحِبُّونَ العاجلة} يعني: يختارون الدنيا {وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ} يعني: يتركون العمل لما هو أمامهم {يَوْماً ثَقِيلاً} يعني: ليوم ثقيل وقال مجاهد: وراءهم يعني: خلفهم.
قوله تعالى: {نَّحْنُ خلقناهم وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} يعني: قوينا خلقهم ليطيعوني، فلم يطيعوني. ويقال: شددنا مفاصلهم بالعصب، والعروق والجلد، لكي لا ينقطع المفاصل وقت تحريكها. ويقال: شددنا أسرهم، أي: قبلهم ودبرهم، لكي لا يسيل البول والغائط، إلا عند الحاجة {وَإِذَا شِئْنَا} يعني: إذا أردنا {بَدَّلْنَا أمثالهم تَبْدِيلاً} يعني: أي نخلق خلقاً أمثل منهم، وأطوع لله {إِنَّ هذه تَذْكِرَةٌ} يعني: هذه السورة عظة لكم. ويقال: هذه الآيات {فَمَن شَاء اتخذ إلى رَبّهِ سَبِيلاً} يعني: فمن شاء أن يتعظ فليتعظ، فقد بينا له الطريق.
ثم قال عز وجل: {وَمَا تَشَاءونَ إِلاَّ أَن يَشَاء الله} يعني: إلا أن يشاء لكم فيوفقكم. يعني: إن جاهدتم فيوفقكم كقوله: {والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} [العنكبوت: 69] الآية. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو {وَمَا يَشَآءونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء على معنى المخاطبة. ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} يعني: كان عليماً قبل خلقكم، من يتخذ السبيل، ولم يشرك ويوحد {حَكِيماً} حكم بالبداية لمن كان أهلاً لذلك.
قوله تعالى: {يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِى رَحْمَتِهِ} يعني: يكرم بالإسلام من كان أهلاً لذلك. ويقال: يدخل من يشاء في رحمته، يعني: في نعمته وهي الجنة، في رحمته وفضله {والظالمين أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} يعني: يدخل الظالمين في عذاب أليم. ويقال: يعذب الظالمين. وقرئ في الشاذ والظالمون، وقراءة العامة والظالمين بالنصب. ومعناه: ويعذب الظالمين، ويكون لهم عذاباً أليماً، تفسيراً لهذا المضمر. والله أعلم.

سورة المرسلات

تفسير الآيات رقم [1- 15]

{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)}

قوله تعالى: {والمرسلات عُرْفاً} قال الكلبي، ومقاتل يعني: الملائكة أرسلوا بالمعروف. ويقال: كثرتها لها عرف كعرف الفرس. وقال أهل اللغة: ويحتمل وجهين، أحدهما: أنها متتابعة بعضها في إثر بعض، وهو مشتق من عرف الفرس. ووجه آخر: أنه يرسل بالعرف، أي: بالمعروف. وروى سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي عبيدة الساعدي قال: سألت عبد الله بن مسعود، رضي الله عنهما عن قوله: {والمرسلات عُرْفاً} قال: الريح {فالعاصفات عَصْفاً} قال: الريح {والناشرات نَشْراً} قال: الريح {فالفارقات فَرْقاً} قال: حسبك معناه {والمرسلات عُرْفاً} يعني: أرسل الرياح متتابعة كعرف الفرس {فالعاصفات عَصْفاً} يعني: الريح الشديدة التي تدر التراب بالبراري، وسمي ريح عاصف {والناشرات نَشْراً} يعني: الريح التي تنشر السحاب.

ويقال {والناشرات نَشْراً} يعني: البعث يوم القيامة، ويقال: الملائكة الذين ينشرون من الكتاب. {فالفارقات فَرْقاً} يعني: القرآن فرق بين الحق والباطل. ويقال: هو القبر فرق بين الدنيا والآخرة. ويقال: آيات القرآن، التي فيها بيان عقوبة الكفار.

{فالملقيات ذِكْراً} يعني: فالمنزلات وحياً، وهم الملائكة {عُذْراً أَوْ نُذْراً} يعني: أنزل الوحي عذراً من الله تعالى من الظلم، أو نذراً لخلقه من عذابه. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وعاصم في رواية حفص، بضم العين وجزم الذال، أو نذراً بضم النون وجزم الذال. والباقون بضم الحرفين في كليهما، فمعناهما إنذار، وهو جمع نذر يعني: لإنذار. ومن قرأ بالجزم فمعناه

كذلك، وهو للتخفيف، وإنما نصب عذراً أو نذراً، لأنهما مفعولاً لهما فمعناه {فالملقيات ذِكْراً} للإعذار والإنذار.
ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لواقع} وهو جواب قسم. أقسم الله تعالى بهذه الأشياء، إن ما توعدون من أمر الساعة والبعث لواقع. يعني: لكائن ولنازل.
ثم قال عز وجل: {فَإِذَا النجوم طُمِسَتْ} يعني: الموعد الذي يوعدون، في اليوم الذي فيه طمست النجوم، يعني: ذهب ضوءها {وَإِذَا السماء فُرِجَتْ} يعني: انشقت من خوف الرحمن {وَإِذَا الجبال نُسِفَتْ} يعني: قلعت من أصولها، حتى سويت بالأرض {وَإِذَا الرسل أُقّتَتْ} يعني: جمعت وروى منصور، عن إبراهيم {وَإِذَا الرسل أُقّتَتْ} قال: وعدت. وقال مجاهد أي: أجلت. قرأ أبو عمرو وقتت بغير همزة، والعرب تقول صلى القوم إحداناً ووحداناً، ومعناهما واحد، يعني: يجعل لها وقتاً واحداً. وقيل: جمعت لوقتها.
ثم قال: {لايّ يَوْمٍ أُجّلَتْ} على وجه التعظيم، يعني: لأي يوم أجلت الرسل، ليشهدوا على قومهم. ثم بين فقال: {لِيَوْمِ الفصل} يعني: أجلها ليوم الفصل وهو يوم القضاء، ويقال: يوم الفصل يعني: يوم يفصل بين الحبيب والحبيبة وبين الرجل وأمه وأبيه وأخيه {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفصل} يعني: ما تدري أي يوم القضاء تعظيماً لذلك اليوم {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ} يعني: الشدة من العذاب في ذلك اليوم، للذين أنكروا، وجحدوا بيوم القيامة.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 31]

{أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (26) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (27) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31)}

ثم قال عز وجل: {أَلَمْ نُهْلِكِ الاولين} يعني: ألم يهلك الله تعالى من كان قبلهم بتكذيبهم لأنبيائهم {ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الاخرين} يعني: نهلك الآخرين يعني: إن كذبوا رسلهم {كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمجرمين} يعني: هكذا يفعل الله بالكفار {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ} يعني: الذين كذبوا رسلهم ثم قال: {أَلَمْ نَخْلُقكُّم مّن مَّاء مَّهِينٍ} يعني: من نطفة، وهو ماء ضعيف {فجعلناه فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ} يعني: في رحم

الأم. {إلى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ} يعني: إلى وقت معروف، وهو وقت الخروج من البطن.
{فَقَدَرْنَا} يعني: فخلقنا {فَنِعْمَ القادرون} يعني: نعم الخالق، وهو أحسن الخالقين. قرأ نافع، والكسائي {فَقَدَّرْنَا} بتشديد الدال المهملة، والباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد. يقال: قدرت كذا وكذا، وقد يعني: خلقه في بطن الأم نطفة، ثم علقة ثم مضغة. يعني: قدرنا خلقه قصيراً وطويلاً، فنعم القادرون. يعني: فنعم ما قدر الله تعالى خلقهم، ثم أخبرهم بصنعه ليعتبروا، فيؤمنوا بالبعث، وعرفوا الخلق الأول فقال: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ} يعني: الشدة من العذاب لمن رأى الخلق الأول، فأنكر الخلق الثاني. ويقال: فنعم القادرون، يعني: نعم المقدرون. ويقال: نعم المالكون.
ثم قال عز وجل: {أَلَمْ نَجْعَلِ الارض كِفَاتاً} يعني: أوعية للخلق. ويقال: موضع القرار، ويقال: بيوتاً ومنزلاً {أَحْيَاء وأمواتا} يعني: ظهرها منازل الأحياء، وبطنها منازل الأموات. وقال الأخفش: يعني: أوعية للأحياء والأموات. وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحياءكم. ويقال: يعني نظمكم فيها، والكفت الضم {وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} يعني: الجبال الثقال: {شامخات} يعني: عاليات طوالاً {وأسقيناكم مَّاء فُرَاتاً} يعني: ماءً عذباً من السماء، ومن الأرض {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ} يعني: ويل لمن عاين هذه الأشياء، وأنكر وحدانية الله تعالى والبعث.
ثم قال عز وجل: {انطلقوا إلى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ} يعني: يوم الفصل. يقال لهؤلاء الذين أنكروا البعث، انطلقوا إلى ما كنتم تكذبون، يعني: انطلقوا إلى العذاب. ثم قال عز وجل: {انطلقوا إلى ظِلّ ذِى ثلاث شُعَبٍ * لاَّ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب} وذلك أنه يخرج عنق من النار، فيحيط الكفار مثل السرادق، ثم يخرج من دخان جهنم ظل أسود، فيفرق فيهم ثلاث فرق رؤوسهم، فإذا فرغ من عرضهم قيل لهم {انطلقوا إلى ظِلّ ذِى ثلاث شُعَبٍ * لاَّ ظَلِيلٍ} ينفعهم {وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب} يعني: السرادق من لهب النار. وقال القتبي: وذلك أن الشمس تدنو من رؤوسهم، يعني: رؤوس الخلق أجمع، وليس عليهم يومئذ لباس، ولا لهم أكنان. ينجي الله تعالى برحمته من يشاء إلى ظل من ظله.
ثم قال للمكذبين: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه، انطلقوا إلى ظل، أي: دخان من نار جهنم قد يسطع. ثم افترق ثلاث فرق، فيكونون

فيه، إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أوليائه في ظله. ثم يؤمر لكل فريق إلى مستقره الجنة، أو إلى النار. ثم وصف الظل فقال {لاَّ ظَلِيلٍ} يعني: لا يظلكم من حر هذا اليوم، بل يزيدكم من لهب النار، إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس {وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب} وهذا مثل قوله {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ} [الواقعة: 43] وهو الدخان وهو سرادق أهل النار، كما ذكر المفسرون.

تفسير الآيات رقم [32- 50]

{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ (33) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34) هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كالقصر} يعني: النار ترمي بشرر القصر. قال الكلبي: يعني: يشبه القصر، وهو القصور الأعاريب التي على الماء. واحدهما عربة، وهي الأرحية التي تكون على الماء، تطحن الحنطة. وقال مقاتل: القصور أصول الشجر العظام. وقال مقاتل: إنها ترمي بشرر كالقصر. أراد القصور من قصور أحياء العرب. وقرأ بعضهم كالقصر بنصب الصاد شبه بأعناق النخل، ثم شبه في لونه بالجمالات الصفر. فقال: {كَأَنَّهُ جمالة صُفْرٌ} وهو أسود. والعرب تسمي السود من الإبل الصفرُ، لأنه يشوبه صفرة، كما قال الأعشى

تِلْكَ خَيْلِي وَتِلْكَ منها رِكَابِي *** هُنَّ صَفْرٌ أَوْلادُهَا كالزَّبِيبِ

يعني: أسود، قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: {جمالة صُفْرٌ} وهي جمع جمل يقال: جمل وجمال وجمالة وقرأ الباقون: {جمالات} وهو جمع الجمع وقال ابن عباس رضي الله عنه جمالات حيال السفينة يجمع بعضها إلى بعض حتى يكون مثل أوساط الرجال {الفصل وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: ويل لمن جحد هذا اليوم بعدما سمعه ثم قال عز وجل: {هذا

يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ} يعني: لا يتكلمون وهذا في بعض أحوال يوم القيامة ومواضعها {وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} يعني: لا يؤذن لهم في الكلام يعني: الكفار ليعتذروا {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: ويل لمن جحد يوم القيامة وهو يقدر على الكلام في هذا اليوم يعني: كان في الدنيا يقدر على المعذرة فتركها ثم قال عز وجل: {هذا يَوْمُ الفصل} يعني: يوم القضاء ويقال: يوم الفصل يعني: بين أهل الجنة وبين أهل النار {جمعناكم والاولين} يعني: جمعناكم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع من مضى قبلكم {فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ} يعني: إن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: ويل لمن أنكر قدرة الله والبعث والجمع يوم القيامة ثم قال عز وجل: {إِنَّ المتقين فِى ظلال وَعُيُونٍ} يعني: إن الذين يتقون الشرك والفواحش.

قال الكلبي: في ظلال الأشجار. وقال مقاتل: يعني: في الجنان والقصور يعني: قصور الجنة وعيون يعني: أنهار جارية {وفواكه} يعني: وألوان الفواكه {مِمَّا يَشْتَهُونَ} يعني: يتمنون ويقال لهم: {كُلُواْ} يعني: من الطعام {واشربوا} من الشراب {هَنِيئًا} يعني: سائغاً مريئاً لا يؤذيهم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: ثواباً لكم بما عملتم في الدنيا {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} يعني: هكذا يثبت الله الموحدين المحسنين المؤمنين في أعمالهم وأفعالهم {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: ويل لمن أنكر هذا الثواب ثم قال للمجرمين عز وجل: {كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً} يعني: كلوا في الدنيا كما تأكل البهائم وعيشوا مدة قليلة إلى منتهى آجالكم {إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ} يعني: مشركين، وهذا وعيد وتهديد {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: لمن رضي بالدنيا ولا يقر بالبعث ثم قال عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اركعوا لاَ يَرْكَعُونَ} يعني: اخضعوا لله تعالى بالتوحيد لا يخضعون، ويقال: وإذا قيل لهم صلوا وأقروا بالصلاة لا يركعون يعني: لا يقرون بها ولا يصلون.

يعني: ويل طويل لمن لا يقر بالصلاة ولا يؤديها وقال مقاتل: نزلت في ثقيف قالوا: أنحني في الصلاة لأنه مذلة علينا ثم قال عز وجل: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} يعني: إن لم يصدقوا به فبأي كلام يصدقون يعني: إن لم يصدقوا بالقرآن ولم يقروا به فبأي حديث يصدقون يعني: هذا الكلام لا باطل فيه يعني: لا حديث أصدق منه ولا دعوة أبلغ من دعوى النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم بالصواب.

78 مكي

▲ سورة النبأ

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)}

قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءلُونَ} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث، جعلوا يتساءلون فيما بينهما، ويقولون ما الذي جاء به هذا الرجل. فنزل {عَمَّ يَتَسَاءلُونَ} يعني: عماذا يتساءلون. ثم قال: {عَنِ النبإ العظيم} يعني: يتساءلون عن الخبر العظيم، وهو القرآن كقوله: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} [ص: 68] ويقال: معناه عن ماذا يتحدثون، وعن أي شيء يتحدثون. ثم قال: {عَنِ النبإ العظيم} يعني: خبراً عظيماً. وقال الزجاج: أصله {عَمَّا يَتَسَاءلُونَ} ثم بين فقال: {عَنِ النبإ العظيم} يعني: عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: عن القرآن. وقيل {عَنِ النبإ العظيم} يعني: عن البعث والدليل قوله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الفصل كَانَ ميقاتا} [النبأ: 17] ثم بين لهم الأمر الذي كانوا يتساءلون، وهو البعث.

ثم قال عز وجل: {الذى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} يعني: مصدقاً ومكذباً. يعني: بالبعث بعضهم مصدق، وبعضهم مكذب. ويقال: بالقرآن، ويقال: بمحمد صلى الله عليه وسلم. ثم قال الله تعالى: {كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} يعني: سيعرفون {ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} يعني: سيعرفون ذلك الوعيد، على أثر الوعيد، يعني: سيعلمون عند الموت وفي الآخرة، ويتبين لهم بالمعاينة. قرأ ابن عامر ستعلمون، بالتاء على وجه المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء، على معنى الخبر عنهم.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 23]

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ

فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23)}

ثم ذكر صنعه، ليستدلوا بصنعه على توحيده. فقال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الارض مهادا} يعني: فراشاً ومقاماً. ويقال: موضع القرار، ويقال: معناه ذللنا لهم الأرض، ليسكنوها ويسيروا فيها. {والجبال أَوْتَاداً} يعني: أوتدها وأثبتها. ثم قال: {وخلقناكم أزواجا} يعني: أصنافاً وأضداداً، ذكراً وأنثى. ويقال: ألواناً بيضاً، وسوداً، وحمراً {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً} يعني: راحة لأبدانكم وأصله التمدد، فلذلك سمي السبت، لأنه قيل لبني إسرائيل: استريحوا فيه. ويقال: سباتاً يعني: سكوناً وانقطاعاً عن الحركات.

{وَجَعَلْنَا اليل لِبَاساً} يعني: سكوناً يسكنون فيه. ويقال: ستراً يستر كل شيء {وَجَعَلْنَا النهار مَعَاشاً} يعني: مطلباً للمعيشة {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً} يعني: سبع سموات غلاظاً، كل سماء مسيرة خمسمائة عام {وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً} يعني: وقاداً مضيئة {وَأَنزَلْنَا مِنَ المعصرات} يعني: من السحاب، سمي معصرات لأنها تعصر الماء. ويقال: المعصرات هي الرياح. يعني: ذوات الأعاصير. كقوله: إعصاراً فيه نار.

ثم قال عز وجل: {مَاء ثَجَّاجاً} يعني: سيالاً ويقال: منصباً كبيراً {لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً} يعني: بالماء حبوباً كثيرة للناس، ونباتاً للدواب من العشب والكلأ {وجنات أَلْفَافاً} يعني: شجرها ملتفاً بعضها في بعض، فأعلم الله تعالى قدرته، أنه قادر على البعث. فقال: {إِنَّ يَوْمَ الفصل كَانَ ميقاتا} يعني: يوم القيامة ميقاتاً، وميعاداً للأولين والآخرين {يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً} يعني: جماعة جماعة. وروي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: يبعث الله تعالى الناس صوراً مختلفة، بعضهم على صورة الخنزير، وبعضهم على صورة القردة، وبعضهم وجوههم كالقمر ليلة البدر.

ثم قال عز وجل: {وَفُتِحَتِ السماء} يعني: أبواب السماء {فَكَانَتْ أبوابا} يعني: صارت طرقاً. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم {وَفُتِحَتْ} بالتخفيف، والباقون بالتشديد، وهو لتكثير الفعل، والتخفيف بفتح مرة واحدة. ثم قال عز وجل: {وَسُيِّرَتِ الجبال} يعني: قلعت من أماكنها {فَكَانَتْ سَرَاباً} يعني: فصارت كالسراب، تسير في الهواء كالسراب في الدنيا {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ

مِرْصَاداً} أي: رصداً لكل كافر ويقال: سجناً ومحبساً {للطاغين مَئَاباً} أي: للكافرين مرجعاً، يرجعون إليها.
{لابثين فِيهَا أَحْقَاباً} يعني: ماكثين فيها أبداً دائماً. والأحقاب وأحدها حقب، والحقب ثمانون سنة، واثنا عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً، وكل يوم منها مقدار ألف سنة مما تعدون بأهل الدنيا، فهذا حقب واحد، والأحقاب هو التأييد كلما مضى حقب، دخل حقب آخر. وإنما ذكر أحقاباً، لأن ذلك كان أبعد شيء عندهم. فذكر وتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونه، وهو كناية عن التأبيد، أي: يمكثون فيها أبداً. قرأ حمزة لبثين بغير ألف. والباقون لابثين بالألف، ومعناهما واحد.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 40]

{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (39) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)}
ثم قال عز وجل: {لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً} يعني: لا يكون فيها برد يمنعهم من حرها. وقال القتبي: البرد النوم. وقال الزجاج: يجوز أن يكون البرد نوماً، ويجوز أن يكون معناه: لا يذوقون فيها برد ريح، ولا ظل {وَلاَ شَرَاباً} يعني: شراباً ينفعهم {إِلاَّ حَمِيماً} يعني: ماءً حاراً قد انتهى حره {وَغَسَّاقاً} يعني: زمهريراً. وقال الزجاج: الغساق ما يغسق من جلودهم، أي: ما يسيل وقد قيل الشديد البرد. قرأ حمزة، والكسائي وعاصم في رواية حفص، وغساقاً بالتشديد. والباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد.
ثم قال: {جَزَاء وفاقا} يعني: العقوبة موافقة لأعمالهم، لأن أعظم الذنوب الشرك نعوذ بالله، وأعظم العذاب النار، ووافق الجزاء العمل. ثم قال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً} يعني: لا يخافون البعث بعد الموت. ويقال: كانوا لا يرجون ثواب الآخرة، أنهم كانوا ينكرون البعث. قوله تعالى: {وَكَذَّبُواْ بآياتنا

كِذَّاباً} يعني: جحدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن كذاباً يعني: تكذيباً وجحوداً. ثم قال: {وَكُلَّ شَئ أحصيناه كتابا} يعني: أثبتناه في اللوح المحفوظ {فَذُوقُواْ} يعني: يقال لهم: فذوقوا العذاب {فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً}.
ثم بين حال المؤمنين فقال عز وجل: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً} يعني: نجاة من النار إلى الجنة. ويقال: المفاز بمعنى الفوز. يعني: موضع النجاة {حَدَائِقَ وأعنابا} يعني: لهم حدائق في الجنة، والحدائق ما أحيط بالجدار، وفيه من النخيل والثمار، وأعناباً يعني: كروماً {وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً} والكواعب، الجواري مفلكات الثديين {أَتْرَاباً} مستويات في الميلاد والسن. وقال أهل اللغة: الكواعب النساء، قد كعب ثديهن {وَكَأْساً دِهَاقاً} كل إناء فيه شراب فهو كأس، فإذا لم يكن فيه شراب فليس بكأس، كما يقال للمائدة إذا كان عليها طعام مائدة، وإذا لم يكن فيها طعام خوان يقال {دِهَاقاً} يعني: سائغاً. وقال الكلبي: {وَكَأْساً دِهَاقاً} يعني: إناء فيه خمر ملآن متتابعاً. وهذا قول عطية وسعيد، والعباس بن عبد المطلب، رضي الله عنهم، ومجاهد، وإبراهيم النخعي.
{لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً} يعني: حلفاً وباطلاً. ويقال: ولا يسمعون في مشربها فحشاً خبثاً {وَلاَ كِذباً} يعني: تكذيباً في شربها. يعني: لا يكذبون فيها. قرأ الكسائي كذاباً بالتخفيف، يعني: لا يكذب بعضهم بعضاً. وقرأ الباقون بالتشديد فهو من التكذيب ثم قال: {جَزَاء مِّن رَّبِّكَ} يعني: ثواباً من ربك {عَطَاء حِسَاباً} يعني: كثيراً وقال مجاهد: عطاء من الله، حساباً بما عملوا. وقال أهل اللغة: حساباً أي: كثيراً. كما يقال: أعطينا فلاناً عطاء حساباً، أي: كثيراً. وأصله أن يعطيه حتى يقول حسبي.
وقال الزجاج: حساباً. أي: ما يكفيهم، يعني: فيه ما يشتهون.
ثم قال: {رَبِّ السموات والارض} يعني: خالق السموات والأرض. قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو، رب السموات والأرض بضم الباء والباقون بالكسر فمن قرأ بالضم فمعناه هو رب السموات والأرض ومن قرأ بالكسر فهو على معنى الصفة أي: جزاء من ربك رب السموات والأرض {وَمَا بَيْنَهُمَا الرحمن} يعني: الرحمن هو رب السموات والأرض {لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً} يعني: لا يملكون الكلام بالشفاعة، إلا بإذنه {يَوْمَ يَقُومُ الروح} قال الضحاك: هو جبريل. وقال قتادة عن ابن عباس، وخلق على صورة بني آدم. ويقال: هو خلق واحد، يقوم صفاً واحداً {والملائكة صَفّاً} يعني: صفوفاً. ويقال: الروح

لا يعلمه إلا الله، كما قال {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّن العلم إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء: 85].

ثم قال عز وجل: {لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحمن} يعني: لا يتكلمون بالشفاعة، إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة {وَقَالَ صَوَاباً} يعني: لا إله إلا الله يعني: من كان معه من التوحيد، وهو من أهل الشفاعة. ثم قال عز وجل: {ذَلِكَ اليوم الحق} يعني: القيامة كائنة {فَمَن شَاء اتخذ} يعني: من شاء وجد واتخذ بذلك التوحيد {ذَلِكَ اليوم الحق} يعني: مرجعاً. ويقال: من شاء اتخذ بالطاعة إلى ربه مرجعاً.

ثم خوفهم فقال: {إِنَّا أنذرناكم عَذَاباً قَرِيباً} يعني: خوفناكم بعذاب قريب، وهو يوم القيامة. ثم خوف المؤمنين، ووصف ذلك اليوم {يَوْمَ يَنظُرُ المرء مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} يعني: ما عملوا من الخير والشر يعني: ينظر المؤمن إلى عمله، وينظر الكافر إلى عمله {وَيَقُولُ الكافر الكافر ياليتنى كُنتُ ترابا} يعني: لو كنت بهماً منها فأكون تراباً، أستوي بالأرض. وذلك، أن الله تعالى يقول للسباع والبهائم، كوني تراباً فعند ذلك، يتمنى الكافر {الكافر ياليتنى كُنتُ ترابا}.

وروى عبد الله بن عمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: إن الله يحشر البهائم والدواب والناس، ثم يقتص لبعضهم من بعض، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء. ثم إن الله تعالى يقول لها: كوني تراباً، فيراها الكافر ويتمنى أن يكون مثلها تراباً. ويقول: {الكافر ياليتنى كُنتُ ترابا} يعني: يا ليتني لم أبعث كقوله: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ ياليتنى لَمْ أُوتَ كتابيه} [الحاقة: 25] إلى قوله: {ياليتها كَانَتِ القاضية} [الحاقة: 27] والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وسلم.

سورة النازعات

تفسير الآيات رقم [1- 14]

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (11) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (12) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (14)}

قوله تعالى: {والنازعات غَرْقاً} قال مقاتل يعني: ملك الموت ينزع روح الكافر من صدره، كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف. فيخرج نفسه من حلقه منها العروق، كالغريق في الماء {والناشطات نَشْطاً} ملك الموت، ينشط روح الكافر من قدمه إلى حلقه. وقال الكلبي: {والنازعات} يعني: ملك الموت وأعوانه {غَرْقاً} كرهاً. يقال: غرقت نفسه في صدره وذلك، أنه ليس من كافر يحضره الموت، إلا عرضت عليه جهنم، فيراها قبل أن يخرج نفسه، فيرى فيها أقواماً، مرة ينغمسون، ومرة يرتفعون. فعند ذلك، تغرق روحه في جسده. {والناشطات نَشْطاً} يعني: الملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين بالتيسير، وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت، إلا ويرى منزلته في الجنة. ويرى فيها أقواماً من أهل معرفته، وهم يدعون إلى أنفسهم، فعند ذلك ينشط إلى الخروج. ويقال {النازعات} الملائكة تنزع النفس أغراقاً، كما يغرق النازع في القوس {غَرْقاً والناشطات} الملائكة تقبض نفس المؤمن، كما ينشط العقال. وقال عطاء: {والنازعات غَرْقاً} يعني: ألقى {والناشطات نَشْطاً} يعني: الأوهاق.

ثم قال: {والسابحات سَبْحاً} يعني: الملائكة الذين يقبضون أرواح الصالحين، يسلونها سلاً رقيقاً، ويتركونها حتى تستريح رويداً. ويقال: {والسابحات سَبْحاً} يعني: السفن تجري في الماء. ويقال: {والسابحات سَبْحاً} يعني: الملائكة جعل نزولها في السماء كالسباحة. ويقال: {والسابحات سَبْحاً} يعني: النجوم الدوارة. كما قال: و{وَهُوَ الذى خَلَقَ اليل والنهار والشمس والقمر كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: 33] ثم قال: {فالسابقات سَبْقاً} يعني: الملائكة

الذين يسبقون إلى الخير والدعاء. ويقال: {فالسابقات سَبْقاً} بالخير يعني: أرواح المؤمنين يعرج بها إلى السماء، سراعاً يفتح لها أبواب السماء. ويقال: {فالسابقات سَبْقاً} يعني: خيول الغزاة.

{فالمدبرات أَمْراً} يعني: الملائكة الذين جعل إليهم تدبير الخلق، وهم جبريل وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، عليهم السلام. أما جبريل فعلى الوحي، وإنزال الرحمة، والعذاب على الخلائق بأمر الله وأما ميكائيل فعلى الأمطار والنبات، يقسم على البلاد والعباد بإذن الله. وأما عزرائيل، وهو ملك الموت، فعلى قبض الأرواح عند انقضاء أجلهم بإذن الله تعالى. وإما إسرافيل، فعلى النفخ في الصور متى أمره الله تعالى، فهذا كله قسم، وجواب القسم مضمر، فكأنه أقسم بهذه الأشياء، أنهم يبعثون يوم القيامة، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهو قوله: {يَوْمَ تَرْجُفُ الراجفة} يعني: لتبعثن يوم القيامة في {يَوْمَ تَرْجُفُ الراجفة} يعني: الصيحة الأولى.

{تَتْبَعُهَا الرادفة} يعني: الصيحة الثانية، يعني: النفخة الأولى للصعق، والنفخة الأخرى للبعث. وروي عن يزيد بن ربيعة، عن الحسن في قوله: {يَوْمَ تَرْجُفُ الراجفة * تَتْبَعُهَا الرادفة} قال: هما النفختان، فأما الأولى: فيميت الأحياء، وأما الثانية: فتحيي الموتى.

ثم تلا {وَنُفِخَ فِى الصور فَصَعِقَ مَن فِى السموات وَمَن فِى الارض إِلاَّ مَن شَاء الله} [الزمر: 68] ثم نفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، وأصل الرجفة الحركة يعني: تزلزلت الأرض زلزلة شديدة عند النفخة الأولى، والرادفة كل شيء تجيء بعد شيء، فهو يردفه.

ثم قال: {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} يعني: خائفة خاشعة من هول ذلك اليوم. ويقال: يعني: ذليلة. ويقال: زائلة عن مكانها. {أبصارها خاشعة} يعني: أبصار الخلائق ذليلة. ويقال: أبصار القلوب خاشعة. ثم ذكر قول الكفار، وإنكارهم البعث فقال: {يَقُولُونَ أَءنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الحافرة} تعجباً منهم، وفي الآية تقديم ومعناه: أئنا لمردودون في الحياة بعد الموت. ويقال: أئنا لمردودون في الحافرة، أي: إلى أول أمرنا. يقال: رجع فلان في حافرته، وعلى حافرته أي: رجع من حيث جاء.

ثم قال: {أَءذَا كُنَّا عظاما نَّخِرَةً} يعني: بعد ما كنا عظاماً بالية. قرأ حمزة، والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر {إِذَا كُنَّا عظاما} بالألف، والباقون بغير ألف. قال بعضهم: معناهما واحد هما لغتان. وقال بعضهم: الناخرة التي أكلت

أطرافها، وبقيت أوساطها، والنخرة التي قد فسدت كلها. وقال مجاهد: عظاماً نخرة، أو مرفوتة كما قال في قوله: {كُنَّا عظاما ورفاتا} {قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسرة} يعني: إن كانوا كما يقولون، فنحن بخسران قوله تعالى: {فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ واحدة} يعني: يبعثهم صيحة واحدة، وهو نفخ إسرافيل في الصور {فَإِذَا هُم بالساهرة} يعني: على وجه الأرض يعني: هم قيام على ظهر الأرض. ويقال: سميت الأرض ساهرة، لقيام الخلق، وسهرهم عليها.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 26]

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآَيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآَخِرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26)}

ثم وعظهم بما أصاب فرعون في النكال في الدنيا فقال: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ موسى} يعني: قد أتاك خبر موسى {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بالواد المقدس} يعني: بالوادي المطهر {طُوًى} اسم الوادي {اذهب إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى} يعني: علا وتكبر وكفر فقال الله تعالى: {فَقُلْ هَل لَّكَ إلى أَن تزكى} يعني: ألم يأن لك أن تسلم. ويقال: معناه هل ترغب في توحيد ربك، وتشهد أن لا إله إلا الله، وتزكي نفسك من الكفر، والشرك. قرأ ابن كثير، ونافع إلى أن تزكى بتشديد الزاء، لأن أصله تتزكى، وأدغمت التاء في الزاء، وشددت. والباقون بالتخفيف، لأنه حذف إحدى التائين، وتركت مخففة.

ثم قال: {وَأَهْدِيَكَ إلى رَبّكَ فتخشى} يعني: أدعوك إلى توحيد ربك فتخشى. يعني: تخاف عذابه فتسلم {فَأَرَاهُ الاية الكبرى} يعني: العصا، واليد، وسائر الآيات. {فَكَذَّبَ وعصى} يعني: كذب الآيات، ولم يقبل قول موسى عليه السلام {ثُمَّ أَدْبَرَ يسعى} يعني: أدبر عن التوحيد، وسعى في هلاك موسى {فَحَشَرَ} يعني: فجمع أهل المدينة {فنادى} يعني: فخاطب {فَقَالَ} لهم اعبدوا أصنامكم التي كنتم تعبدون، فإن هؤلاء أربابكم الصغار.

{أَنَاْ رَبُّكُمُ الاعلى * فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الاخرة والاولى} يعني: فعاقبه بعقوبة الدنيا والآخرة، وهي الغرق وعقوبة الآخرة وهي النار. ويقال: الآخرة والأولى. يعني: العقوبة بالكلمة الأولى، والكلمة الأخرى، فأما الأولى قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إله غَيْرِى} والأخرى قوله: {وَأَنَاْ رَبُّكُمْ * الاعلى}

وكان بين الكلمتين أربعون سنة. ويقال: قوله {وَأَنَاْ رَبُّكُمْ * الاعلى} كان في الابتداء، حيث أمرهم بعبادة الأصنام، ثم نهاهم عن ذلك، وأمرهم بأن لا يعبدوا غيره. وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إله غَيْرِى} ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: في هلاك فرعون وقومه {لَعِبْرَةً لّمَن يخشى} يعني: لعظة لمن يريد أن يعتبر، ويسلم.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 41]

{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)}

ثم وعظ أهل مكة فقال: {أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السماء بناها} يعني: أبعثكم بعد الموت أشد، أم خلق السماء في المشاهدة عند الناس، خلق السماء أشد. فالذي هو قادر على خلق السماء، قادر على البعث. ثم قال: {بناها} يعني: خلق السماء مرتفعة {رَفَعَ سَمْكَهَا} أي: سقفها بغير عمد {فَسَوَّاهَا} يعني: سوى خلقها. ويقال: خلقها مستوية، بلا صدع ولا شق {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا} يعني: أظلم ليلها {وَأَخْرَجَ ضحاها} يعني: أنوار ضحاها، وشمسها ونهارها، فإنها راجعة إلى السماء.

ثم قال عز وجل: {والارض بَعْدَ ذَلِكَ دحاها} يعني: بعد خلق الأرض السماء، وبسط الأرض ومدها {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا} يعني: من الأرض ماءها. يعني: عيونها للناس {ومرعاها} للدواب والأنعام. قال القتبي: هذا من جوامع الكلم، حيث ذكر شيئين على جميع ما يخرج من الأرض قوتاً، ومتاعاً للأنعام من العنب، والشجر، والحب، والتمر، والملح والنار، لأن النار من العيدان، والملح من الماء.

ثم قال عز وجل: {والجبال أرساها} يعني: أوتدها وأثبتها {متاعا لَّكُمْ} يعني: منفعة لكم {ولانعامكم فَإِذَا جَاءتِ الطامة الكبرى} يعني: الصيحة العظمى، وإنما سميت الطامة، لأنها طمت وعلت فوق كل شيء {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسان مَا سعى} يعني: يعلم بكل شيء عمله في الدنيا. ويقال: يوم ينظر الإنسان في

كتابه، بما عمل في الخير والشر {وَبُرِّزَتِ الجحيم} يعني: أظهرت الجحيم {لِمَن يرى} يعني: لمن وجب له {فَأَمَّا مَن طغى} يعني: كفر وعلا وتكبر. {وَءاثَرَ الحياة الدنيا} يعني: اختار ما في الدنيا على الآخرة. ويقال: اختار العمل للدنيا على الآخرة {فَإِنَّ الجحيم هِىَ المأوى} يعني: مأوى من كان هكذا.

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ} يعني: خاف المقام بين يدي ربه {وَنَهَى النفس عَنِ الهوى} يعني: منع نفسه عن معاصي الله تعالى، وعمل بخلاف ما تهوى في الحرام {فَإِنَّ الجنة هِىَ المأوى} يعني: مأوى من كان هكذا. قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل، واتباع الهوى. فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق.

▲ تفسير الآيات رقم [42- 46]

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (45) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (46)}

قوله تعالى: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الساعة} يعني: يسألونك عن قيام الساعة {أَيَّانَ مرساها} أي: وقت قيامها. وأصله أي: أوان ظهورها ووقتها. قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا} يعني: دع ما أنت وذاك دع ذلك إلى الله، ثم قال: {إلى رَبّكَ منتهاها} يعني: عند ربك علم قيامها. وروى سفيان، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم، يسأل عن الساعة، حتى نزل {فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إلى رَبّكَ منتهاها} يعني: عند ربك علم قيامها، وانتهى عند ذلك.

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يخشاها} يعني: أنت مخوف بالقرآن، من يخاف قيام الساعة، وليس عليك أن تعرف متى وقتها. ثم قال عز وجل: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا} يعني: قيام الساعة {لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضحاها} يعني: كأنهم لبثوا في قبورهم مقدار عشية، وهو قدر آخر النهار، أو ضحاها وهو قدر أول النهار. ويقال: كأنهم لم يلبثوا في الدنيا، إلا مقدار العشية، أو مقدار الضحى. قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ} بالتنوين، والباقون بغير تنوين. فمن قرأ بالتنوين، جعل من في موضع النصب. يعني: منذر الذي يخشاها. ومن قرأ بغير تنوين، جعل من في موضع خفض. بالإضافة. والله الموفق بمنه وكرمه، وصلى الله على سيدنا محمد.

▲ سورة عبس

▲ تفسير الآيات رقم [1- 16]

{عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16)}

قوله تعالى: {عَبَسَ وتولى} أي: كلح وأعرض بوجهه. يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وروى هشام بن عروة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً، ومعه عتبة بن ربيعة، في ناس من وجوه قريش، وهو يحدثهم بحديث. فجاء ابن أم مكتوم على تلك الحال، فسأله عن بعض ما ينفع به، فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع كلامه، وقال في رواية مقاتل، كان اسم ابن أم مكتوم عمر بن قيس. وقال في رواية الكلبي، كان اسمه عبد الله بن شريح. فقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله تعالى. فأعرض عنه شغلاً بأولئك القوم، لحرصه على إسلامهم فنزل {عَبَسَ وتولى}. وهو بلفظ المغايبة، تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم {عَبَسَ} محمد صلى الله عليه وسلم وجهه {وتولى} يعني: وأعرض {أَن جَاءهُ الاعمى} يعني: إن جاءه الأعمى. ويقال: حين جاء الأعمى، وهو ابن أم مكتوم.

ثم قال: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزكى} يعني: وما يدريك يا محمد، لعله يصلي أو يفلح، فيعمل خيراً فيتعظ بالقرآن. ويقال: يعني: يزداد خيراً. {أَوْ يَذَّكَّرُ} يعني: يتعظ بالقرآن {فَتَنفَعَهُ الذكرى} يعني: العظة. ثم قال: {أَمَّا مَنِ استغنى} يعني: استغنى بنفسه عن ثواب الله. ويقال: استغنى بماله ونفسه، عن دينك وعظمتك {فَأَنتَ لَهُ تصدى} يعني: تقبل بوجهك عليه. ويقال تصدى يعني: تعرض. يقال: فلان تصدى لفلان، إذا تعرض له ليراه. قرأ عاصم {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذكرى} بنصب العين، جعله جواباً لعله يتذكر فتنفعه الذكرى. وقرأ

الباقون بالضم، جعلوه جواباً للفعل. قرأ نافع، وابن كثير تصدى بتشديد الصاد، لأن الأصل تتصدى، فأدغمت وشددت. والباقون بحذف التاء للتخفيف، فهذا كقوله {فَقُلْ هَل لَّكَ إلى أَن تزكى} [النازعات: 18].
ثم قال: {وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يزكى} يعني: أي شيء عليك إن لم يوجد عتبة وأصحابه. ويقال: لا يضرك إن لم يؤمن، ولم يصلح. ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا مَن جَاءكَ يسعى} يعني: يسرع إلى الخير، ويعمل به، وهو ابن أم مكتوم. ويقال: يعني: يمشي برجليه {وَهُوَ يخشى} ربه {فَأَنتَ عَنْهُ تلهى} يعني: تشتغل، وتتلاهى وتتغافل. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكرم ابن أم مكتوم بعد نزول هذه الآية قوله تعالى: {كَلاَّ} يعني: لا تفعل، ولا تقبل على من استغنى عن الله تعالى بنفسه، وتعرض عمن يخشى الله تعالى.
ثم قال: {إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} يعني: هذه الموعظة تذكرة. ويقال: هذه السورة تذكرة، يعني: موعظة {فَمَن شَاء ذَكَرَهُ} يعني: ذكر المواعظ وذكره يلفظ التذكير، ولم يقل ذكرها، لأنه ينصرف إلى المعنى، لأن الموعظة إنما هي بالقرآن.
يعني: فمن شاء أن يتعظ بالقرآن فليتعظ {فَى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ} يعني: أن هذا القرآن في صحف مكرمة. يعني: مطهرة مبجلة معظمة، وهو اللوح المحفوظ {مَّرْفُوعَةٍ} يعني: مرتفعة {مُّطَهَّرَةٍ} يعني: منزهة عن التناقض، والكذب والعيب. {بِأَيْدِى سَفَرَةٍ} يعني: الكتبة الذين يكتبون في اللوح المحفوظ. ثم أثنى على الكتبة فقال: {كِرَامٍ} على الله {بَرَرَةٍ} أي: مطيعين لله تعالى. ويقال: بررة من الذنوب. وقال القتبي: السفرة الكتبة. وأحدهما سافر، وإنما يقال للكاتب سافر، لأنه يبين الشيء ويوضحه. ويقال: أسفر الصبح، إذا أضاء البررة جمع بار، مثل: كفرة وكافر.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 32]

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)}
ثم قال تعالى: {قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ} يعني: لعن الكافر بالله تعالى. يعني: عتبة وأصحابه، ومن كان مثل حاله إلى يوم القيامة. ما أكفره يعني: ما الذي

أكفره، وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: يعني: أي شيء أكفره. قال نزلت في عتبة حيث قال: إني كفرت بالنجم إذا هوى. ويقال: ما أكفره، يعني: ما أشده في كفره. ثم قال: {مِنْ أَيِّ شَئٍ خَلَقَهُ} يعني: هل يعلم من أي شيء خلقه الله تعالى. ويقال: أفلا يعتبر من أي شيء خلقه، ثم أعلمه ليعتبر في خلقه، فقال: {مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} يعني: خلقه في بطن أمه طوراً بعد طور.

{ثُمَّ السبيل يَسَّرَهُ} يعني: يسره للخروج من بطن أمه. ويقال: يسره طريق الخير والشر. وقال مجاهد: هو مثل قوله {إنَّا هديناه السبيل إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} [الدهر: 3] {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ} يعني: جعل له قبراً يوارى فيه. ويقال: أمر به ليعتبر، ويقال: فأقبره أي: جعله ممن يقبر، ولم يجعله ممن يلقى على وجه الأرض، كالبهائم {ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ} يعني: يبعثه في القبر إذا جاء وقته. ثم قال: {كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} يعني: لم يؤد ما أمره من التوحيد، وما هنا صلة كقوله {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فاعف عَنْهُمْ واستغفر لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الامر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين} [آل عمران: 159]. وقال مجاهد: لما يقضي ما أمره، يعني: لا يقضي أحداً أبداً، كما افترض عليه. ثم أمرهم بأن يعتبروا بخلقه فقال: {فَلْيَنظُرِ الإنسان إلى طَعَامِهِ} يعني: إلى رزقه ومن أي شيء يرزقه، وليعتبروا به {أَنَّا صَبَبْنَا الماء صَبّاً} يعني: المطر. قرأ أهل الكوفة أنا صببنا، بنصب الألف. والباقون بالكسر فمن قرأ بالنصب جعله بدلاً عن الطعام، يعني: {فَلْيَنظُرِ الإنسان إلى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الماء صَبّاً} ومن قرأ بالكسر، فهو على الاستئناف {أَنَّا صَبَبْنَا الماء صَبّاً} يعني: المطر على الأرض المطر بعد المطر.

{ثُمَّ شَقَقْنَا الارض شَقّاً} يعني: شققناها بالنبات والشجر {فَأَنبَتْنَا فِيهَا} يعني: في الأرض ومعناه: أخرجنا من الأرض {حَبّاً} يعني: الحبوب كلها {وَعِنَباً} يعني: الكروم {وَقَضْباً} قال ابن عباس رضي الله عنهما: القضبة وهو القت الرطب. وقال القتبي: القضب القت، سمي قضباً لأنه يقضب مرة بعد مرة، أي: يقطع. وكذلك الفصيل، لأنه يفصل أي: يقطع. ويقال: وقضبتا يعني: جميع ما يقضب مثل القت. والكرات، وسائر البقول التي تقطع، فينبت من أصله {وَزَيْتُوناً} وهي شجرة الزيتون {وَنَخْلاً} يعني: النخيل {وَحَدَائِقَ غُلْباً} قال عكرمة: غلاظ الرقاب.

ألا ترى أن الرجل إذا كان غليظ الرقبة، يقال أغلب. والحدائق واحدها حديقة غلباً أي: نخلاً غلاظاً طوالاً. ويقال: حدائق غلباً يعني: حيطان النخيل والشجر. وقال الكلبي: كل شيء أحبط عليه من نخيل أو شجر، فهو حديقة، وما لم يحط به فليس بحديقة. ويقال: الشجر الملتف بعضه في بعض.
ثم قال عز وجل: {وفاكهة} ويعني الثمر كلها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " خُلِقْتُمْ مِنْ سَبْعٍ وَرُزِقْتُمْ مِنْ سَبْعٍ فَاسْجُدُوا لله عَلَى سَبْعٍ " وإنما أراد بقوله خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقه، الآية والرزق من سبع وهو قوله: «فأنبتنا فيها حباً وعنباً» إلى قوله: «وفاكهة وأباً» ثم قال: {وَأَبّاً} يعني العنب وقال مجاهد: ما يأكل الدواب والأنعام وقال الضحاك هو التبن. {متاعا لَّكُمْ ولانعامكم} يعني الحبوب والفواكه منفعة لكم والكلأ والعشب منفعة لكم ولأنعامكم.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 42]

{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)}
ثم ذكر القيامة فقال: {فَإِذَا جَاءتِ الصاخة} يعني: الصيحة تصخ الأسماع أي تصمها فلا يسمع إلا ما يدعا به ويقال الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة وكذلك الطامة والقارعة والحاقة ثم وصف ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ يَفِرُّ المرء مِنْ أَخِيهِ} وفراره أنه يعرض عنه بنفسه وقال شهر بن حوشب يوم يفر المرء من أخيه يعني: هو هابيل يفر من أخيه قابيل {وَأُمّهِ وَأَبِيهِ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم من أمه وأبيه وإبراهيم من أبيه {وصاحبته} يعني: لوط عليه السلام من امرأته {وَبَنِيهِ} يعني: نوح عليه السلام من ابنه، ويقال هذا في بعض أحوال يوم القيامة أن كل واحد منهم يشتغل بنفسه يعني: فلا ينظر المرء إلى أخيه وإلى أبيه وإلى ابنه ثم قال تعالى: {لِكُلّ امرئ مّنْهُمْ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} يعني؛ لكل إنسان شغل يشغله عن هؤلاء، وروي في الخبر أن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس قال: «حُفَاة عُرَاة» فقالت عائشة رضي الله عنها واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية {لِكُلّ امرئ مّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} يعني: لكل واحد

منهم عمل يشغله بنفسه عن غيره ثم قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ} يعني: من الوجوه ما يكون في ذلك اليوم مشرقة مضيئة {ضاحكة مُّسْتَبْشِرَةٌ} يعني: مفرحة بالثواب وهم المؤمنون المطيعون {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ} يعني: من الوجوه ما يعلوها السواد كالدخان وأصل الغبرة يعني الغبار ثم قال عز وجل: {تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} يعني: تلحقها قترة يعني يغشاها الكسوف والسواد {أُوْلَئِكَ هُمُ الكفرة الفجرة} يعني: أن أهل هذه الصفة هم الكفرة بالله تعالى الكذبة على الله تعالى ويقال ترهقها قترة يعني المذلة والكآبة والفجرة يعني: الظلمة. والله الموفق بمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

سورة التكوير

▲ تفسير الآيات رقم [1- 14]

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)}

قوله تعالى: {إِذَا الشمس كُوّرَتْ} قال أبو الليث رحمه الله حدثنا الحاكم أبو الفضل قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب المروزي حدثنا محمد بن حموية النيسابوري قال: حدثنا إبراهيم بن موسى قال: حدثنا هشام عن عبد الله عن يحيى بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ فَلْيَقْرَأْ إذَا الشَّمْسُ كُوِّرتْ» وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {إِذَا الشمس كُوّرَتْ} يعني: ذهب ضوؤها وكذلك قال الضحاك وعكرمة يعني: اضمحلت وذهبت ويقال تكور كما تكور العمامة يعني: جُمِع ضوؤها ولُفَّ كما تُلف العمامة قوله تعالى: {وَإِذَا النجوم انكدرت} يعني: تناثرت وتساقطت {وَإِذَا الجبال سُيّرَتْ} يعني: قُلعت عن الأرض وسُيِّرت في الهواء كقوله: {قَالَتْ رَبِّ أنى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كذلك الله يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قضى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [الكهف: 47] يعني: خالية ليس عليها شيء من الماء والشجر وغيرها ثم قال: {وَإِذَا العشار عُطّلَتْ} يعني: النوق الحوامل عطّلها أربابها اشتغالاً بأنفسهم وواحدها: عشراء وهي الناقة التي أتت على حملها عشرة أشهر وهي في الحمل فلا يعطلها أهلها إلا في يوم القيامة وهذا على وجه المثل لأن في يوم القيامة لا يكون ناقة عشراء، ولكن أراد به المثل يعني: أن هول يوم القيامة بحال لو كان عند الرجل عشراء يعطلها واشتغل بنفسه ثم قال: {وَإِذَا الوحوش حُشِرَتْ} يعني: جُمِعَتْ {وَإِذَا البحار سُجّرَتْ} يعني: ضجرت بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً فملئت وكثر ماؤها

كقوله: {والبحر المسجور} [الطور: 6] يعني: الممتلئ ويقال: سجرت أي أحميت بالكواكب إذا تساقطت وفيها قال ابن عباس إذا كان يوم القيامة كوَّر الله تعالى الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم بعث الله تعالى ريحاً دبوراً فتنفخها فتصير ناراً وهو قوله: {وَإِذَا البحار سُجِّرَتْ} أي: أحميت. وقال قتادة: سجرت أي: غار ماؤها، وقال الزجاج وقد قيل إنه جعل مياهها ناراً يعذب بها الكفار فهذه الأشياء الست التي ذكرها قبل النفخة الأخيرة والتي ذكرها بعدها تكون بعد النفخة الأخيرة وهو قوله: {وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ} قال الكلبي ومقاتل: يعني: نفوس المؤمنين قرنت بالحور العين ونفوس الكفار بالشياطين. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: {وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ} قال الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح وقال أبو العالية الرياحي قرنت الأجساد بالأرواح وقال القتبي الزوج القرين كقوله: {احشروا الذين ظَلَمُواْ وأزواجهم وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ}

[الصافات: 22] يعني: قرناءهم ثم قال: {وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ} أي: قرنت نفوس الكفار بعضها ببعض والعرب تقول زوجت إبلي إذا قرنت بعضها ببعض ويقال: وإذا النفوس زوجت يعني الأبرار مع الأبرار في زمرة والأشرار مع الأشرار في زمرة ثم قال: {وَإِذَا الموءودة سُئِلَتْ بِأَىّ ذَنبٍ قُتِلَتْ}. وكان العرب إذا ولد لأحدهم ابنة دفنها حية وهي الموءودة فتسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلك أبوك وإنما يكون السؤال على وجه التوبيخ لقائلها يوم القيامة لأن جوابها قتلت بغير ذنب وهو مثل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ الله ياعيسى ابن مَرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذوني وَأُمِّىَ إلهين مِن دُونِ الله قَالَ سبحانك مَا يَكُونُ لى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ علام الغيوب} [المائدة: 116] وإنما سؤاله وجوابه تبكيت على من ادعى هذا عليه وقال عكرمة الموؤودة المدفونة، كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت فكانت أوان ولادتها حفرت حفرة فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاماً حبسته وقرئ في الشاذ {وَإِذَا الموءودة سُئِلَتْ بِأَىّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} يعني: المقتولة سئلت لأبويها بأي ذنب قتلتماني ولا ذنب لي قوله تعالى: {وَإِذَا الصحف نُشِرَتْ} يعني؛ تطايرت الصحف وهي الكتب التي فيها أعمال بني آدم، قرأ ابن كثير وأبو عمرو سجرت وسعرت مخففتين، ونشرت مشددة وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم سجرت وسعرت مشددتين ونشرت مخففة وقرأ حمزة والكسائي

سجرت ونشرت مخففتين وسعرت مشددة فمن شددها فلتكثير ومن خففها فعلى غير التكثير قوله تعالى: {وَإِذَا السماء كُشِطَتْ} يعني: نزعت من أماكنها كما يكشف الغطاء عن الشيء يعني: كشفت عما فيها ثم قال عز وجل: {وَإِذَا الجحيم سُعِّرَتْ} يعني: للكافرين {وَإِذَا الجنة أُزْلِفَتْ} يعني: قربت للمتقين فجواب هذه الأشياء قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ} يعني؛ عند ذلك تعلم كل نفس ما عملت من خير أو شر وهذا كقوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سواء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ والله رَءُوفُ بالعباد} [آل عمران: 30] الآية.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 25]

{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25)}

ثم قال عز وجل: {فَلاَ أُقْسِمُ بالخنس} يعني: الذي خنس بالنهار وظهر بالليل، ويقال الخنس النجوم التي تخنس بالنهار وتظهر بالليل {الجوار الكنس} الجوار التي تجري والكنس التي ترتفع وتغيب، وقال أهل التفسير الخنس يعني: خمسة من الكواكب فهران، وزحل، ومشتري، وعطارد، وزهرة التي تخنس بالنهار وتظهر بالليل، الجواري لأنهن تجري بالليل في السماء {الكنس} يعني: تستتر كما تكنس الظباء وقال أهل اللغة الخنس واحدها خانس كراكع وركَّع وقال بعضهم: الخنس أرادها هنا الوحوش والظباء وظباء الوحوش والجواري الكنس التي تدخل الكنائس وهذا غصن من أغصان الشجر ويكون معناه: أقسم برب هذه الأشياء وروى عكرمة عن ابن عباس: {الخنس} المعز، والكنس: الظباء ألم ترى إذا كانت في الظل كيف تكنس بأعناقها ومدت ببصرها؟ وروى الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: {بالخنس الجوار الكنس} هي بقر الوحش وقال علي بن أبي طالب: هي النجوم، وقال القتبي هي النجوم الخمسة الكبار لأنها تخنس أي ترجع في مجراها وتكنس أي تستتر كما تكنس الظباء ثم قال عز وجل: {والليل إِذَا عَسْعَسَ} يعني: إذا أدبر وقال الزجاج: {عَسْعَسَ} إذا أقبل. وعسعس: إذا أدبر والمعنيان يرجع إلى شيء واحد وهذا ابتداء الظلام في

أوله وإدباره في آخره وقال مجاهد {إِذَا عَسْعَسَ} أي إذا أظلم ثم قال عز وجل: {والصبح إِذَا تَنَفَّسَ} يعني: إذا استضاء وارتفع، ويقال إذا امتد حتى يصير النهار بيناً، فأقسم بهذه الأشياء، ويقال يخالف هذه الأشياء {أَنَّهُ} يعني: القرآن {لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} على ربه يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جبريل عليه السلام ثم أثنى على جبريل وبيَّن فضله فقال: {ذِى قُوَّةٍ} يعني: ذا شدة ويقال: أعطاه الله تعالى القوة ومن قوته أنه قلع مدائن قوم لوط بجناحه ثم قال عز وجل: {عِندَ ذِى العرش مَكِينٍ} يعني: عند رب العرش له منزلة {مطاع} يعني: يطيعه أهل السماوات {ثَمَّ أَمِينٍ} فيما استودعه الله من الرسالات ويقال: {مطاع} يعني: طاعته على أهل السموات واجبه كطاعة محمد صلى الله عليه وسلم على أهل الأرض {أَمِينٌ} على الرسالة والوحي، ويقال: {أَمِينٌ} في السماء كما أن محمد صلى الله عليه وسلم أمين في الأرض ثم قال عز وجل: {وَمَا صاحبكم} الذي يدعوكم إلى التوحيد لله تعالى {بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَءاهُ} يعني: رأى محمدٌ صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام {بالافق المبين} عند مطلع الشمس ثم قال: {وَمَا هُوَ عَلَى الغيب بِضَنِينٍ} أي: ليس فيما يوحَى إليه من القرآن ببخيل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بظنين بظاء وهكذا قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي {***بظنين} يعني: بمتَّهم أنه يزيد فيه أو ينقص والباقون بالضاد يعني: البخيل ثم قال: {بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شيطان رَّجِيمٍ} يعني: القرآن ليس بمنزلة قول الكهان.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 29]

{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29)}

قوله عز وجل: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} يعني: تذهبون عن طاعتي وكتابي ويقال: أنى تذهبون يعني: تعدلون عن أمري وقال الزجاج معناه فبأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم {إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ للعالمين} يعني: ما هذا القرآن إلا عظة للجن والإنس. قوله تعالى: {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} يعني: لمن شاء أن يستقيم على التوحيد فليستقم {وَمَا تَشَاءونَ إِلاَّ أَن يَشَاء الله رَبُّ العالمين} فأعلمهم أن المشيئة والتوفيق والخذلان إليه وأن الأمور كلها بمشيئة الله تبارك وتعالى وإرادته والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد.

سورة الانفطار

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5)}

قوله تعالى: {إِذَا السماء انفطرت} يعني: انفجرت لهيبة الرب تبارك وتعالى ويقال: انفجرت لنزول الملائكة لقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السمآء بالغمام وَنُزِّلَ الملئكة تَنزِيلاً} [الفرقان: 25] {وَإِذَا الكواكب انتثرت} يعني: تساقطت {وَإِذَا البحار فُجّرَتْ} يعني: فتحت بعضها في بعض وصارت بحراً واحداً {وَإِذَا القبور بُعْثِرَتْ} يعني: بعثرت وأخرج ما فيها، ويقال: بعثرت المتاع وبعثرته إذا جعلت أسفله أعلاه ثم قال عز وجل: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} يعني: ما عملت من خير وشر يعني ما عملت من سنة صالحة أو سيئة، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى الْهُدَى فَاتُّبِعَ فَلَهُ أَجْرُ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى الضَّلاَلَةِ فَاتُّبِعَ فَلَهُ وِزرُ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئَاً» ويقال: {مَّا قَدَّمَتْ} أي: ما عملت وما {أخرت} يعني: أضاعت العمل فلم تعمل.

تفسير الآيات رقم [6- 12]

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)}

ثم قال عز وجل: {القرءان خَلَقَ الإنسان} يعني: يا أيها الكافر {مَا غَرَّكَ بِرَبّكَ الكريم} يعني: لم يعجل بالعقوبة، وقال مقاتل: نزلت في كلدة بن أسيد حيث ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بقوسه فلم يعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك حمزة فأسلم حمية لذلك ثم أراد أن يعود كلدة لضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم حمزة يومئذٍ».

ويقال نزلت في جميع الكفار ما غرك يعني: ما خدعك حين كفرت بربك الكريم المتجاوز لمن تاب {الذى خَلَقَكَ} من النطفة {فَسَوَّاكَ} يعني: فسوى

خلقك {فَعَدَلَكَ} يعني: خلقك معتدل القامة {مَا يجادل * صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ} يعني: شبهك بأي صورة شاء إن شاء بالوالد وإن شاء بالوالدة قرأ عاصم والكسائي وحمزة فعدلك بالتخفيف والباقون بالتشديد فمن قرأ بالتخفيف جعل في المعنى إلى فكأنه قال فعدلك إلى أي صورة شاء أن يركبك يعني صرفك إلى ما شاء من الصور من الحسن والقبح ومن قرأ بالتشديد فمعناه قومك ويكون ما صلة وقد تم الكلام عند قوله فعدلك ثم ابتدأ فقال: في أي صورة شاء ركبك، ويقال: في ما معنى الشرط والجزاء والمعنى أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك ويكون شاء بمعنى يشاء ثم قال عز وجل: {كَلاَّ} يعني: لا يؤمن هذا الإنسان بما ذكره من أمره وصورته {بَلْ تُكَذِّبُونَ بالدين} يعني: تكذبون بأنكم مبعوثون يوم القيامة ثم أعلم الله تعالى أن أعمالكم محفوظة عليهم فقال: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لحافظين} من الملائكة يحفظون أعمالكم {كِرَاماً كاتبين} يعني: كراماً على الله تعالى كاتبين يعني يكتبون أعمال بني آدم عليه السلام {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} من الخير والشر، وروى مجاهد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أَكْرِمُوا الكِرَامَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لاَ يُفَارِقُونَكُمْ إلاَّ عِنْدَ إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ الجَنَابَةِ والْغَائِطِ ".

▲ تفسير الآيات رقم [13- 19]

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)}

ثم قال تعالى: {إِنَّ الابرار} يعني: المؤمنين المصدقين في أيمانهم {لَفِى نَعِيمٍ} يعني: في الجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ومن كان مثل حالهم {وَإِنَّ الفجار} يعني: الكفار {لَفِى جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدين} يعني: يدخلون فيها يوم القيامة {وَمَا هُمَ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} يعني: لا يخرجون منها أبداً {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدين} تعظيماً لذلك اليوم {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدين} يعني: كيف تعلم حقيقة ذلك اليوم ولم تعاينه {يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً} يعني: لا تنفع نفس مؤمنة لنفس كافرة شيئاً بالشفاعة قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالضم والباقون بالنصب فمن قرأ بالضم معناه يوم لا تملك ومن قرأ بالنصب فلنزع الخافض يعني في يوم ثم قال: {والامر يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} يعني: الحكم والقضاء لله تعالى وهو يوم القيامة.

سورة المطففين

تفسير الآيات رقم [1- 10]

{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10)}

قوله تعالى: {وَيْلٌ لّلْمُطَفّفِينَ} يعني: الشدة من العذاب للذين ينقصون المكيال والميزان وإنما سمي الذي يخون في المكيال والميزان مطففاً لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء الخفيف الطفيف ثم بيّن أمرهم فقال: {الذين إِذَا اكتالوا عَلَى الناس يَسْتَوْفُونَ} يعني: استوفوا من الناس لأنفسهم وعلى بمعنى عن بمعنى إذا اكتالوا عن الناس يستوفون يتمون الكيل والوزن {وَإِذَا كَالُوهُمْ} يعني: إذا باعوا من غيرهم ينقصون الكيل {أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} يعني: ينقصون الكيل وقال بعضهم كالوهم حرفان يعني: كالوا ثم قال: هم وكذلك وزنوا ثم قال: هم يخسرون وذكر عن حمزة الزيات أنه قال هكذا ومعناه هم إذا كالوا أو وزنوا ينقصون وكان الكسائي يجعلها حرفاً واحداً كالوهم أي: كالوا لهم وكذلك وزنوا لهم وقال أبو عبيدة وهذه هي القراءة لأنهم كتبوها في المصاحف بغير ألف ولو كان مقطوعاً لكتبوا كالواهم بالألف ثم قال عز وجل: {أَلا يَظُنُّ} يعني: ألا يعلم المطفف وألا يستيقن بالبعث قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ} يعني: يبعثون بعد الموت {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} يعني: يوم القيامة هولها شديد {يَوْمَ يَقُومُ الناس لِرَبّ العالمين} يعني: في يوم يقوم الخلائق بين يدي الله تعالى وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفَ يَوْمٍ يَعْنِي: خَمْسَمِائَةِ عَامٍ وَذَلِكَ الْمَقَامُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَوَلِّي الشَّمْسَ» وروى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُومُ أَحَدُكُمْ ورشحه إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» وقال ابن مسعود: إن الكافر ليلجم بعرقه حتى يقول أرحني ولو إلى النار ثم قال: {كَلاَّ} يعني: لا يستيقنون البعث ثم استأنف، فقال: {إِنَّ

كتاب الفجار} ويقال: هذا موصول بكلا إن كتاب يعني حقاً إن كتاب الفجار {لَفِي سِجّينٍ} يعني: أعمال الكفار لفي سجين قال مقاتل وقتادة: السجين الأرض السفلى، وقال الزجاج: السجين فعيل من السجن والمعنى: كتابهم في حبس جعل ذلك دليلاً على خساسة منزلتهم وقال مجاهد: سجين صخرة تحت الأرض السفلى فيجعل كتاب الفجار تحتها، وقال عكرمة: {لَفِي سِجّينٍ} أي: لفي خسارة وقال الكلبي: السجين الصخرة التي عليها الأرضون وهي مسجونة فيها أعمال الكفار وأزواجهم فلا تفتح لهم أبواب السماء ثم قال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجّينٌ} ثم أخبر فقال: {كِتاب مَّرْقُومٌ} يعني: مكتوباً ويقال: مكتوب مختوم {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ} يعني: شدة العذاب {لّلْمُكَذّبِينَ} يعني: شدة العذاب للمكذبين.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 21]

{الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21)}

ثم بيّن فقال عز وجل: {الذين يُكَذّبُونَ بِيَوْمِ الدين} يعني: يجحدون بالبعث {وَمَا يُكَذّبُ بِهِ} يعني: بيوم القيامة {إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} يعني: كل معتد بالظلم آثم عاص لربه ويقال: كل مقيد للخلق أثيم يعني فاجر وهو الوليد بن المغيرة وأصحابه ومن كان في مثل حالهم ثم قال: {إِذَا تتلى عَلَيْهِ ءاياتنا قَالَ أساطير الاولين} يعني: أحاديث الأولين وكذبهم. ثم قال: {كَلاَّ} يعني: لا يؤمن {بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ} يعني: ختم، ويقال: غطى على قلوبهم {مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: ما عملوا من أعمالهم الخبيثة، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا أَذْنَبَ العَبْدُ ذَنْباً كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاء فِي قَلْبِهِ فَإِذَا تَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ وَذَلِكَ قَوْلِهِ {كَلاَّ بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}» وقال قتادة: الذنب على الذنب حتى مات القلب (أسود) ويقال: غلف على قلوبهم ويقال: غطا على قلوبهم وقال أهل اللغة الرين: هو الصدأ والصدأ هو اسم البعد كما قال: ويصدهم عن سبيل الله يغشى على القلب ثم قال: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} يعني: لا

يرونه يوم القيامة ويقال عن رحمته لممنوعون {ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الجحيم} يعني: دخلوا النار {ثُمَّ يُقَالُ} يعني: يقول لهم الخزنة {هذا الذى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} يعني: تجحدون، وقلتم إنه غير كائن ثم قال عز وجل: {كَلاَّ إِنَّ كتاب الابرار لَفِى عِلّيّينَ} يعني: حقاً إن كتاب المصدقين لفي عليين وهو فوق السماء السابعة، فرفع كتابهم على قدر مرتبتهم ثم قال عز وجل: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلّيُّونَ} ثم وصفه فقال: {كتاب مَّرْقُومٌ} يعني: مكتوباً مختوماً في عليين {يَشْهَدُهُ المقربون} يعني: يشهد على ذلك الكتاب سبعة أملاك من مقربي أهل كل سماء وقال بعضهم: الكتاب أراد به الروح والأعمال يعني: يرفع روحه وأعماله إلى عليين.

▲ تفسير الآيات رقم [22- 36]

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الابرار لَفِى نَعِيمٍ عَلَى الارائك يَنظُرُونَ} يعني: المؤمنين الصالحين لفي نعيم في الجنة على الأرائك ينظرون يعني على سرر في الحجال ينظرون إلى أهل النار، ويقال: ينظرون إلى عدوهم حين يعذبون {تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النعيم} يعني: أثر النعمة وسرورهم في وجوههم ظاهر {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ} يعني: يسقون خمراً بيضاء، وقال الزجاج: الرحيق الشراب الذي لا غش فيه، قال القتبي: الرحيق الخمر العتيقة، ثم قال: {مَّخْتُومٍ ختامه مِسْكٌ} يعني: إذا شرب منه رجل وجد عند فراغه من الشراب ريح المسك قرأ الكسائي مسك، وروي عن الضحاك أنه قرأ مثله والباقون ختامه مسك ومعناهما واحد، والخاتم اسم والختام مصدر يعني: يجد شاربه ريح المسك حين ينزع الإناء من فيه ثم قال عز وجل: {وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المتنافسون} يعني: بمثل هذا الثواب فليتبادر المتبادرون، ويقال: فليتحاسد المتحاسدون ويقال: فليواظب المواظبون وليجتهد المجتهدون وهذا

كما قال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم قال: {وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ} يعني: مزاج الخمر من ماء اسمه تسنيم وهو من أشرف الشراب في الجنة وإنما سمي تسنيماً لأنه يتسنم عليهم فينصب عليهم انصباباً، وقال عكرمة: ألم تسمع إلى قول الرجل يقول إني لفي السنام من قومه فهو في السنام من الشراب، وقال القتبي أصله من سنام البعير يعني: المرتفع ثم وصفه فقال عز وجل: {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا المقربون} يعني: التسنيم عيناً يشرب بها المقربون صرفاً ويمزج لأصحاب اليمين ثم قال عز وجل: {إِنَّ الذين أَجْرَمُواْ} يعني: أشركوا {كَانُواْ مِنَ الذين ءامَنُواْ يَضْحَكُونَ} يعني: من ضعفاء المؤمنين يضحكون ويسخرون ويستهزؤون بهم {وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} يعني: يطعنون ويغتابون وذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر بنفر من المنافقين ومعه نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون، ويقال حكاية عن كفار مكة أنهم كانوا يضحكون من ضعفاء المسلمين وإذا مروا بهم وهم جلوس يتغامزون يعني يتطاعنون بينهم ويقولون هؤلاء الكسالى: {وَإِذَا انقلبوا إلى أَهْلِهِمْ انقلبوا فَكِهِينَ} يعني: رجعوا معجبين بما هم فيه {وَإِذَا رَأَوْهُمْ} يعني: رأوا المؤمنين {قَالُواْ إِنَّ هَؤُلاَء لَضَالُّونَ} يعني: تركوا طريقهم {وَمَا أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حافظين} يعني: ما أرسل هؤلاء حافظين على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليحفظوا عليهم أعمالهم، قال مقاتل: هذا كله في المنافقين يعني: ما وكل المنافقون بالمؤمنين يحفظون عليهم أعمالهم، قرأ عاصم في رواية حفص انقلبوا فكهين بغير ألف وفي رواية حفص والباقون بالألف ومعناهما واحد وقال بعضهم: فاكهين ناعمين فكهين فرحين.

ثم قال عز وجل: {فاليوم الذين ءامَنُواْ مِنَ الكفار يَضْحَكُونَ} يعني: في الجنة يضحكون على أهل النار وهم على سرر في الحجال وأعداؤهم في النار {عَلَى الارائك يَنظُرُونَ} إلى أعدائهم يعذبون في النار {هَلْ ثُوّبَ الكفار} يعني: جوزوا، ويقال: هل جوزي الكفار وعوقبوا إلا {مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} يعني: إلا بما عملوا في الدنيا من الاستهزاء، وقال مقاتل: يعني: قد جوزي الكفار بأعمالهم الخبيثة جزاءً شراً والله الموفق.

سورة الانشقاق

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5)}

قوله تعالى: {إِذَا السماء انشقت} يعني: انفرجت لهيبة الرب عز وجل ويقال انشقت لنزول الملائكة، وما شاء من أمره. {وَأَذِنَتْ لِرَبّهَا وَحُقَّتْ} يعني: أطاعت السماء لربها بالسمع والطاعة. {وَحُقَّتْ} يعني: وحق لها، أن تطيع لربها الذي خلقها. {وَإِذَا الارض مُدَّتْ} أي: بسطت ومدت الأديم ليس فيها جبل، ولا شجر، حتى يتسع فيها جميع الخلائق. وروى علي بن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، مَدَّ الله تَعَالَى الأَرْضَ مَدَّ الأَدِيمِ، حَتَّى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ، إلاَّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ لِكَثْرَةِ الْخَلائِقِ فِيهَا». {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} يعني: ألقت الأرض ما فيها، من الكنوز والأموات، وتخلت عنها {وَأَذِنَتْ لِرَبّهَا} يعني: أجابت الأرض لربها بالطاعة، وأدت إليه ما مستودعها من الكنوز والموتى {وَحُقَّتْ} يعني: وحق للأرض، أن تطيع ربها الذي خلقها.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 13]

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13)}

ثم قال عز وجل: {وَحُقَّتْ يأَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ} قال مقاتل: يعني: الأسود بن عبد الأسد. ويقال: أبي بن خلف، ويقال: في جميع الكفار. يعني: أيها الكفار {إِنَّكَ كَادِحٌ} يعني: ساع بعملك. {إِلَى رَبّكَ كَدْحاً} يعني: سعياً، ويقال: معناه. إنك عامل لربك عملاً {فملاقيه} في عملك ما كان من خير أو شر. فالأول قول مقاتل، والثاني قول الكلبي، وقال الزجاج: الكدح في اللغة، السعي

في العمل، وجاء في التفسير، إنك عامل عملاً فملاقيه. أي: ملاق ربك. قيل: فملاقي عملك.
ثم قال عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابه بِيَمِينِهِ} يعني: المؤمن {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً} يعني: حساباً هيناً {وَيَنقَلِبُ} أي: يرجع {إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً} الذي أعد الله له في الجنة سروراً به. وروى ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ " فقلت: أليس يقول الله تعالى {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً} يعني: هيناً. قال: «ليس ذلك في الحساب، إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش للحساب يوم القيامة، عذب». ويقال: حساباً يسيراً، لأنه غفرت ذنوبه، ولا يحاسب بها، ويرجع من الجنة مستبشراً.
{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابه وَرَاء ظَهْرِهِ} يعني: الكافر، يخرج يده اليسرى من وراء ظهره، يعطى كتابه بها {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً} يعني: بالويل والثبور على نفسه. {ويصلى سَعِيراً} يعني: يدخل في الآخرة ناراً وقوداً. قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة {ويصلى سَعِيراً} بنصب الياء، وجزم الصاد مع التخفيف. والباقون {ويصلى} بضم الياء ونصب الصاد مع التشديد. فمن قرأ {يَصْلَى} بالتخفيف، فمعناه: أنه يقاسي حر السعير وعذابه. يقال: صليت النار، إذا قاسيت عذابها وحرها. ومن قرأ بالتشديد، فمعناه أنه يكثر عذابه في النار، حتى يقاصي حرها. {إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً} يعني: في الدنيا مسروراً، بما أعطي في الدنيا، فلم يعمل للآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [14- 19]

{إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19)}
قوله عز وجل: {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ} قال مقاتل: ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى في الآخرة، وهي لغة الحبشة، وقال قتادة: يعني: ظن أن لن يبعثه الله تعالى. وقال عكرمة: ألم تسمع إلى قول الحبشي، إذا قيل له حر يعني: أرجع إلى أهلك. ثم قال: {بلى} يعني: ليرجعنّ إلى ربه في الآخرة {إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً} يعني: كان عالماً به، من يوم خلقه إلى يوم بعثه. قوله تعالى: {فَلاَ أُقْسِمُ بالشفق} يعني: أقسم بالشفق، والشفق الحمرة، والبياض الذي بعد غروب

الشمس. وهذا التفسير، يوافق قول أبي حنيفة رحمه الله. وروي عن مجاهد، أنه قال: الشفق هو ضوء النهار. وروي عنه أنه قال: الشفق النهار كله، وروي عن ابن عمر أنه قال: الشفق الحمرة، وهذا يوافق قول أبي يوسف، ومحمد، رحمهما الله.

ثم قال: {واليل وَمَا وَسَقَ} يعني: ساق وجمع وضم. وقال القتبي أي: حمل وجمع منه الوسق، وهو الحمل، وقال الزجاج أي: ضم وجمع وقال مقاتل: {واليل وَمَا وَسَقَ} يعني: ما يساق معه من الظلمة والكواكب، وقال الكلبي يعني: ما دخل فيه {والقمر إِذَا اتسق} يعني: إذا استوى، وتم إلى ثلاثة عشرة ليلة، ويقال: إذا اتسق يعني: تم وتكامل.

{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ} قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي لتركبن بنصب التاء، والباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب، فمعناه لتركبن يا محمد من سماء إلى سماء، ومن قرأ بالضم فالخطاب لأمته أجمعين، يعني: لتركبن حالاً بعد حال، حتى يصيروا إلى الله تعالى من إحياء، وإماتة، وبعث. ويقال: يعني: مرة نطفة ومرة علقة، ويقال: حالاً بعد حال، مرة تعرفون ومرة لا تعرفون، يعني: يوم القيامة. ويقال: يعني: السماء لتحولن حالاً بعد حال، مرة تتشقق بالغمام، ومرة تكون كالدهان. قرأ بعضهم ليركبن بالياء، يعني: ليركبن هذا المكذب طبقاً عن طبق، يعني: حالاً بعد حال، يعني: الموت ثم الحياة.

▲ تفسير الآيات رقم [20- 25]

{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآَنُ لَا يَسْجُدُونَ (21) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25)}

ثم قال عز وجل: {فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} يعني: كفار مكة لا يصدقون بالقرآن {وَإِذَا قُرِئ عَلَيْهِمُ القرءان لاَ يَسْجُدُونَ} يعني: لا يخضعون لله تعالى ولا يوحدونه. ويقال: ولا يستسلمون لربهم، ولا يسلمون ولا يطيعون. ويقال: لا يصلون لله تعالى. قوله تعالى: {بَلِ الذين كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ} يعني: يجحدون بالقرآن والبعث، أنه لا يكون. وقال مقاتل: نزلت في بني عمرو بن عمير، وكانوا أربعة، فأسلم اثنان منهم. ويقال: هذا في جميع الكفار.

ثم قال عز وجل: {والله أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} يعني: يكتمون في صدورهم من الكذب والجحود. ويقال: مما يجمعون في قلوبهم من الخيانة. ويقال: معناه والله

أعلم بما يقولون ويخفون. {فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} يعني: شديداً دائماً، وقال مقاتل: ثم استثنى الاثنين اللذين أسلما فقال: {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ} يقال: هذا الاستثناء لجميع المؤمنين، يعني: الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى. {وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: أدوا الفرائض والسنن {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: غير منقوص، ويقال: غير مقطوع، ويقال: لهم أجر لا يمن عليهم، ومعنى قوله {فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} يعني: اجعل مكان البشارة للمؤمنين بالرحمة، والجنة للكفار بالعذاب الأليم، على وجه التعبير، لأن ذلك لا يكون بشارة في الحقيقة، والله الموفق بمنه وكرمه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة البروج

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5)}

قوله تعالى: {والسماء ذَاتِ البروج} يعني: ذات النجوم والكواكب. ويقال: ذات القصور. وقال عطية العوفي: كان القصور في السماء على أبوابه. قال قتادة: البروج النجوم، وكذلك قال مجاهد: أقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج، وجواب القسم قوله تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: 12] ثم قال: {واليوم الموعود} يعني: يوم القيامة. قال مقاتل {اليوم الموعود} الذي وعدهم أن يصيرهم إليه، وقال الكلبي: وعد أهل السماء وأهل الأرض، أن يصيروا إلى ذلك اليوم.

{وشاهد وَمَشْهُودٍ} ذكر مقاتل، عن علي رضي الله عنه قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم النحر يوم الحج الأكبر. وروي عن ابن عباس، أنه قال: الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أَمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هؤلاء شَهِيداً} [النساء: 41] والمشهود يوم القيامة، كقوله تعالى: {إِنَّ فِى ذلك لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الاخرة ذلك يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ الناس وذلك يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} [هود: 103]. وروى جويبر، عن الضحاك مثله. وروى أبو صالح، عن ابن عباس قال: «الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةٍ». وروى سعيد بن المسيب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ يَوْمَ عَرَفَةٍ». وروى جابر بن عبد الله قال: «الشَّاهِدُ يَوْمَ الْجُمْعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمَ عَرَفَةٍ». وروى مجاهد، عن ابن عباس قال: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة، وقال عكرمة مثله. وقال بعضهم: الشاهد آدم، والمشهود ذريته.

ثم قال عز وجل: {قُتِلَ أصحاب الاخدود} يعني: لعن أصحاب الأخدود {النار ذَاتِ الوقود} يعني: يصيرون إلى النار، ذات الوقود في الآخرة: وقال الكلبي: النار ارتفعت فوقهم أربعين ذراعاً، فوقعت عليهم وأحرقتهم وقتلتهم، وذلك

قوله: {قُتِلَ أصحاب الاخدود النار ذَاتِ الوقود} قال: حدثنا أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد قال حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الأخدود، فقال: كان ملكاً من الملوك، كان له ساحر فكبر الساحر، فقال للملك: إني قد كبرت، فلو نظرت غلاماً في أهلك فطناً كيساً، فعلمته على هذا فنظر إلى غلام من أهله كيس فظن، فأمره أن يأتيه ويلزمه، وكان بين منزل الغلام ومنزل الساحر راهب، فقال الغلام: لو دخلت على هذا الراهب، وسمعت من كلامه فدخل عليه فأعجبه قوله، وكان أهله إذا بعثوه إلى الساحر، دخل الغلام على الراهب، واحتبس عنده.

فإذا أتى الساحر، ضربه وقال: ما حبسك؟ فإذا رجع من عند الساحر إلى أهله، دخل على الراهب فاحتبس عنده.

فإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا ما حبسك؟ فشكى ذلك إلى الراهب، فقال له الراهب: إذا قالوا لك ما حبسك فقل: حبسني الساحر، وإذا قال لك الساحر: ما حبسك فقل: حبسني أهلي، فبينما هو ذات يوم يريد الساحر، إذا هو بدابة هائلة، يعني: كبيرة قد قطعت الطريق على الناس. فقال: اليوم يتبين لي أمر الراهب، فأخذ حجراً ودنا من الدابة، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب حقاً، فاقتل هذه الدابة، ورماها بالحجر، فأصاب مقتلها، فقتلها. فقال الناس: إن هذا الغلام قتل هذه الدابة، واشتهر أمره.

فأتى الراهب، فأخبره، فقال: يا بني، أنت خير مني، فلعلك أن تبتلى لا تدلن عليَّ، فبلغ أمر الغلام أنه كان يبرئ الأكمه، والأبرص، ويداوي من الأرض، فعمي جليس الملك، فذكر له الغلام فأتاه فقال: يا بني، قد بلغ من سحرك أنك تبرئ الأكمه والأبرص، فقال الغلام: ما أنا بساحر، ولا أشفي أحداً، ولا يشفي إلا ربي. فقال له الرجل: «هذا الملك ربك، قال: لا ولكن ربي ورب الملك الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى به، دعوت الله تعالى فشفاك.

فأسلم فدعا الله تعالى، فبرئ فأتى الملك فقال له الملك: أليس يا فلان قد ذهب بصرك، فقال: بلى، ولكن رده علي ربي، فقال: أنا، قال: لا، ولكن ربي وربك الله، قال: أولئك رب غيري، قال: نعم. وربك وربي الله تعالى، فلم يزل به، حتى أخبره بأمر الغلام، فأرسل إلى الغلام، فجاءه فقال: يا بني قد بلغ من سحرك، أنك تشفي من كذا وكذا، فقال: ما أنا بساحر، ولا أشفي أحداً، وما يشفي إلا ربي فقال: أنا، قال: لا ولكن ربي وربك الله تعالى، فلم يزل به حتى

دل على الراهب، فدعي الراهب فأتي به، فأراد أن يرجع من دينه، فأبى وأمر بمنشار، فوضع في مفرق رأسه، فشق به حتى سقط شقاه.
ثم دعا بجليسه، وأراد أن يرجع عن دينه فأبى، فأمر بمنشار، فشق حتى سقط شقاه، فأمر الغلام أن يفعل ذلك بمكانه، فقال: احملوه في سفينة. فانطلقوا به، حتى إذا لججتم به فغرقوه، فانطلقوا به حتى لجوا به، فلما أرادوا به ذلك فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فانكبت بهم السفينة، فغرقوا فجاء الغلام، حتى قام بين يدي الملك. فأخبره بالذي كان، فقال انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فإذا كنتم في ذروة الجبل، دهدهه عنه فانطلقوا به، حتى إذا كانوا بذلك المكان. فقال اللهم اكفينهم بما شئت، فتدهدهوا عن الجبل يميناً وشمالاً، فجاء حتى قام بين يدي الملك، فأخبره بالذي كان. وقال: إن تجمع الملك إنك لا تقدر على قتلي، حتى تفعل بي ما آمرك به.
فقال: وما هو؟ قال: تجمع أهل مملكتك في صعيد واحد، ثم تصلبني، وتأخذ سهماً من كتابي، فترميني به وتقول: بسم الله رب هذا الغلام، فأصاب صدغه، فوضع يده على صدغه فمات.
فقال الناس: آمنا برب هذا الغلام. فقيل للملك وقعت فيما كنت تجاوز، وقد أسلم الناس. فقال: خذوا يا قوم الطريق، وخذوا فيها أخدوداً، وألقوا فيها النار. (فمن رجع) عن دينه وإلا فألقوه فيها، ففعلوا. فجعل الناس يجيئون، ويلقون أنفسهم في الأخدود، حتى كان آخرهم امرأة، ومعها صبي لها رضيع تحمله، فلما دنت من النار، وجدت حرها، فولت فقال لها الصبي: يا أماه امضي، فإنك على الحق، فرجعت وألقت نفسها في النار. فذلك قوله عز وجل {قُتِلَ أصحاب الاخدود * النار ذَاتِ الوقود} وروي في خبر آخر، أن الملك كان على دين اليهودية، يقال له ذو نواس، واسمه زرعة ملك حمير، وما حولها فكان هناك قوم، دخلوا في دين عيسى عليه السلام فحفر لهم أخدوداً، فأوقد فيها النار، وألقاهم في الأخدود، فحرقهم وحرق كتبهم.
ويقال: كان الذين على دين عيسى عليه السلام بأرض نجران، فسار إليهم من أرض حمير، حتى أحرقهم وأحرق كتبهم، فأقبل منهم رجل، فوجد مصحفاً فيها وإنجيلاً محترقاً بعضه، فخرج به، حتى أتى به ملك الحبشة فقال له: إن أهل دينك قد أوقدت لهم النار، فحرقوا بها وحرق كتبهم، فأراه الذي جاء به، ففزع الملك لذلك، وبعث إلى صاحب الروم، وكتب إليه يستمده بنجارين يعملون له السفن. فبعث إليه صاحب الروم، من يعمل له السفن، فحمل فيها

الناس، فخرج به. فخرجوا ما بين ساحل عدن إلى ساحل جازان، وخرج إليهم أهل اليمن، فلقوهم بتهامة، واقتتلوا فلم ير ملك حمير له بهم طاقة، وتخوف أن يأخذوه، فضرب فرسه حتى وقع في البحر، فمات فيه. فاستولى أهل الحبشة على ملك حمير وما حوله، وبقي الملك لهم، إلى وقت الإسلام.

وروي في الخبر، أن الغلام الذي قتله الملك دفن، فوجد ذلك الغلام في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واضعاً يده على صدغه، كما كان وضعها حين قتل، وكلما أخذ يده سال منه الدم، وإذا أرسل يده، انقطع الدم، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليهم، أن ذلك الغلام صاحب الأخدود، فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة على حاله. وذلك قوله تعالى: {قُتِلَ أصحاب الاخدود} يعني: لعن أصحاب الأخدود، وهم الذين خدوا أخدود النار ذات الوقود، يعني: الأخدود ذات النار الوقود. ويقال: {قُتِلَ أصحاب الاخدود} يعني: أهل الحبشة قتلوا أصحاب الأخدود، أصحاب النار ذات الوقود.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 11]

{إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)}

قوله عز وجل: {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا} يعني: القوم عند النار حضور. قال سفيان: إذ هم عليها على السرر {قُعُودٌ} عند النار {وَهُمْ على مَا يَفْعَلُونَ بالمؤمنين شُهُودٌ} يعني: أن خدامهم وأعوانهم، يفعلون بالمؤمنين ذلك، وهم هناك شهود. يعني: حضوراً. ويقال: يفعلون بالمؤمنين ذلك، وهم شهود. يعني: يشهدون بأن المؤمنين في ضلال، تركوا عبادة آلهتهم. ويقال: على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، يشهدون على أنفسهم يوم القيامة. {وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ} يعني: وما طعنوا فيهم. {إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بالله} يعني: سوى أنهم صدقوا بتوحيد الله تعالى {العزيز} في ملكه {الحميد} في فعاله.

ويقال وما نقموا منهم يعني: وما أنكروا عليهم، إلا أن يؤمنوا بالله يعني: إلا إيمانهم بالله {الذى لَهُ مُلْكُ السموات والارض والله على كُلّ شَئ شَهِيدٌ} ثم بيّن ما أعد الله لأولئك الكفار. فقال عز وجل: {إِنَّ الذين فَتَنُواْ} يعني: عذبوا وأحرقوا {المؤمنين والمؤمنات} يعني: في الدنيا {ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ} يعني: لم

يرجعوا عن دينهم، ولم يتوبوا إلى الله تعالى {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة {وَلَهُمْ عَذَابُ الحريق} يعني: العذاب الشديد. وقال الزجاج: المعنى والله أعلم، لهم عذاب بكفرهم، ولهم عذاب بما حرقوا المؤمنين.
قوله تعالى: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات لَهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار ذَلِكَ الفوز الكبير} جزاءً لهم.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 22]

{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (17) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (18) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (19) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (20) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)}
{إِنَّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ} يعني: عذاب ربك لشديد، وهذا قول مقاتل، وقال الكلبي: إن أخذ ربك لشديد، ومعناهما واحد. ويقال: العقوبة الشديدة، وهذا موضع هذا القسم. ثم قال: {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئ وَيُعِيدُ} يعني: يبدأ الخلق في الدنيا، ويعيد في الآخرة من التراب. يعني: يبعثهم بعد الموت {وَهُوَ الغفور الودود} يعني: الغفور لذنوب المؤمنين، ويقال: الغفور للذنوب الودود، يعني: المحب للتائبين. ويقال: المحب لأوليائه، ويقال: الودود يعني: الكريم.
ثم قال: {ذُو العرش المجيد} يعني: رب السرير الشريف. قرأ حمزة والكسائي بكسر الدال، وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالخفض، جعله نعتاً للعرش، ومن قرأ بالضم، جعله صفة ذو يعني: {ذُو العرش} وهو {المجيد} الشريف والمجيد الكريم {فَعَّالٌ لّمَا يُرِيدُ} يعني: يحيي ويميت، ويعز ويذل. ثم قال عز وجل: {هَلُ أَتَاكَ حَدِيثُ الجنود} يعني: قد أتاك حديثهم. ثم فسر الجنود فقال: {فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ} يعني: قوم موسى، وقوم صالح أهلكهم الله تعالى في الدنيا. وهذا وعيد لكفار هذه الأمة، ليعتبروا بهم ويوحدوه.
ثم قال تعالى: {بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ} يعني: إن الذين لا يعتبرون، ويكذبون الرسل والقرآن {والله مِن وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ} يعني: اصبر يا محمد على تكذيبهم، فإن الله عالم بهم. وقال الزجاج، في قوله والله من ورائهم محيط، يعني: لا يعجزه منهم أحد، قدرته مشتملة عليهم {بَلْ هُوَ قُرْءانٌ مَّجِيدٌ} يعني: إنهم وإن كذبوا، لا يعرفون حقه لا يقرون به، وهو قرآن شريف، أشرف من كل كتاب. أو يقال: شريف لأنه كلام رب العزة {فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} يعني:

مكتوباً في اللوح، الذي هو محفوظ عند الله من الشياطين، وهو عن يمين العرش من درة بيضاء. ويقال: من ياقوتة حمراء.

قرأ نافع {مَّحْفُوظٍ} بالضم، والباقون بالكسر، فمن قرأ بالضم، جعله نعتاً للقرآن، ومعناه قرآن مجيد، محفوظ من الشياطين في اللوح. ومن قرأ بالكسر، فهو نعت اللوح. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال: إن الله تعالى جعل لوحاً من درة بيضاء دفتاه، من ياقوتة حمراء، ينظر الله تعالى فيه في كل يوم ثلاثمائة وستين مرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء. وروي عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه قال: حدثني فرقد في قوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْءانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} قال: هو صدر المؤمنين، وقال قتادة: في اللوح المحفوظ عند الله تعالى، والله الموفق بمنه وكرمه، وصلى الله على سيدنا محمد؛ وآله وصحبه وسلم تسليماً.

سورة الطارق

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)}

قوله تعالى: {والسماء والطارق} قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس رضي الله عنهم عن قوله: {والسماء والطارق} فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطارق النجم الثاقب} وسكت فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما أعلم منها، إلا ما أعلم ربي. يعني: تفسير الآية ما ذكر في هذه الآية، وهو قوله: والنجم الثاقب. يعني: هو الطارق. وروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما في رواية أخرى. {والسماء والطارق} قال الطارق الكواكب التي تطرق في الليل، وتخفى في النهار، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطارق} على وجه التعجب والتعظيم.

ثم بيّن فقال {النجم الثاقب} يعني: هو النجم المضيء. وقال مجاهد: {الثاقب} الذي يتوهج. وقال الحسن البصري {الثاقب} هو النجم، حين يرسل على الشياطين، فيثقبه، يعني: فيحرقه. وقال قتادة: {النجم الثاقب} يعني: يطرق بالليل، ويخنس بالنهار فأقسم الله تعالى بالسماء ونجومها. ويقال: بخالق السماء ونجومها {إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} وهذا جواب القسم، يعني: ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة، يحفظ قولها وفعلها. قرأ عاصم وحمزة، وابن عامر، {إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا} بتشديد الميم، والباقون {لَمَّا عَلَيْهَا} بالتخفيف، فمن قرأ بالتشديد، فمعناه ما من نفس إلا وعليها حافظ، فيكون لما بمعنى إلا، ومن قرأ بالتخفيف جعل ما مؤكدة، ومعناه كل نفس عليها حافظ.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 10]

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10)}

ثم قال: {فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ} يعني: فليعتبر الإنسان من ماذا خلق. قال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب، ويقال نزلت في جميع من أنكر البعث. ثم

بين أول خلقهم ليعتبروا فقال: {خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ} يعني: من ماء مهراق في رحم الأم، ويقال: دافق بمعنى مدفوق. كقوله {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} [القارعة: 7] أي: مرضية ثم قال: {يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصلب والترائب} يعني: خلق من مائين، من ماء الأب يخرج من بين الصلب، ومن ماء الأم يخرج من الترائب. والترائب: موضع القردة كما قال امرؤ القيس

مهفهفة بيضاء غير مفاضة *** ترائبها مصقولة كالسجنجل

ثم قال: {إِنَّهُ على رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} يعني: على بعثه وإعادته بعد الموت لقادر، ويقال على رجعه إلى صلب الآباء، وترائب الأمهات لقادر، والتفسير الأول أصح لأنه قال: {يَوْمَ تبلى السرائر} يعني: تظهر الضماير. ويقال: يختبر السرائر {فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ} يعني: ليس له قوة يدفع العذاب عن نفسه، ولا مانع يمنع العذاب عنه.

تفسير الآيات رقم [11- 17]

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (17)}

وقوله: {والسماء ذَاتِ الرجع} فهو قسم، أقسم الله تعالى بخالق السماء ذات الرجع، يعني: يرجع السحاب بالمطر، بعد المطر والسحابة بعد السحابة {والارض ذَاتِ الصدع} يعني: يتصدع فيخرج ما بالنبات والثمار، فيجعلها قوتاً لبني آدم عليه السلام ويقال: ذات الصدع يعني: ذات الأودية، وهو قول مجاهد وقال قتادة: يعني: ذات النبات {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} يعني: القرآن قول حق وجد {وَمَا هوَ بالهزل} يعني: باللعب ويقال لم ينزل بالباطل قوله تعالى: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً} يعني: يمكرون مكراً وهم أهل مكة في دار الندوة ويقال يكيدون كيداً يعني يصنعون أمراً وهو الشرك والمعصية {وَأَكِيدُ كَيْداً} يعني: أصنع لهم أمراً، وهو القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة قوله تعالى: {فَمَهّلِ الكافرين} يعني: أجل الكافرين ويقال: خل عنهم {أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} يعني: أجلهم قليلاً أي إلى وقت الموت ويقال إنهم يكيدون كيداً بمعنى: الخراصون الذين يحبسون في كل طريق يعني: يصدون الناس عن دينه يعني يحبسون الناس في كل طريق يصدون الناس عن دينه. وروى عبد الرزاق عن أبي وائل عن همام مولى عثمان قال لما كتبوا المصحف شكوا في ثلاث آيات فكتبوها في كتف شاة وأرسلوها إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت فدخلت

عليهما فناولتهما أبياً فقرأها فكان فيها لا تبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فأمهل الكافرين فمحى الألف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها إليهم فناولتها زيد بن ثابت إليهم فأثبتوها في المصحف {أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} يعني: أجلهم قليلاً فإن أجل الدنيا كلها قليل.

▲ سورة الأعلى

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5)}

قوله تعالى: {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} قال الكلبي: يعني صلِّ بأمر ربك، ويقال سبح هو من التنزيه والبراءة يعني نَزِّه ربك، والاسم صلة، ويقال: {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} يعني: قل سبحان ربي الأعلى كما روي في الخبر أنه قيل: يا رسول الله ما نقول في ركوعنا فنزل {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} بمعنى العالي كقوله أكبر بمعنى الكبير والعلو هو القهر والغلبة يعني أمره نافذ على خلقه فلما نزل {فَسَبّحْ باسم رَبّكَ العظيم} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجْعَلُوها فِي رِكُوعِكُم» فقالوا: فما نقول في سجودنا؟ فنزل {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} قال عليه السلام: «اجْعَلُوها فِي سِجُودِكُم» ويقال: «سبح اسم ربك» يعني: اذكر توحيد ربك الأعلى، ويقال كان بدء قوله: «سبحان ربي الأعلى» أي ميكائيل خطر على باله عظمة الرب جلا وعلا سلطانه فقال: يا رب أعطني قوة حتى أنظر إلى عظمتك، وسلطانك، فأعطاه قوة أهل السموات فطار خمسة آلاف سنة فنظر فإذا الحجاب على حاله واحترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فأعطاه القوة ضعف ذلك فجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجداً وقال: «سبحان ربي الأعلى» يعني: تعالى من أن يكون محسوساً معقولاً ثم سأل ربه أن يعيده إلى مكانه إلى حاله الأولى ثم قال عز وجل: {الذى خَلَقَ فسوى} يعني: الذي خلق كل ذي روح، وجميع خلقه، ويقال: سبح الله تعالى الذي خلقك فسوى خلقك يعني: اليدين والرجلين والعينين ولم يخلقك زمناً ولا مكفوفاً، كما قال وصوَّركم فأحسن صوركم قوله تعالى: {والذى قَدَّرَ فهدى} يعني: قدر لكل شيء شكله، يعني لكل ذكر وأنثى من شكله وهداه للأكل والشرب والجماع، ويقال الذي قدر فهدى يعني فهداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ويقال الذي قدر فهدى سبح لله الذي خلقك وقدر

آجالك وأرزاقك وأعمالك وهداك إلى المعرفة والإسلام والأكل والشرب فصلّ بابن آدم وسبح لهذا المنعم المكرم السيد الذي هو الأحد الصمد، {هُوَ الاول والاخر والظاهر والباطن وَهُوَ بِكُلِّ شَئ عَلِيمٌ} [الحديد: 3] ثم قال عز وجل: {والذى أَخْرَجَ المرعى} يعني: أنبت الكلأ ويقال هو العشب والحشيش وألقت وما أشبه، قرأ الكسائي: {والذى قَدَّرَ} بالتخفيف، والباقون بالتشديد ومعناها واحد يقال: قدره الأمر وقدرته قوله تعالى: {فَجَعَلَهُ غُثَاء أحوى} يعني: جعل المرعى يابساً بعد خضرته، وقال القتبي: غثاء يعني يابساً، أحوى يعني أسود من قدمه واحتراقه.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 13]

{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (8) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13)}

ثم قال عز وجل: {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى} يعني: سنعلمك القرآن وينزل عليك فلا تنسى إلا ما شاء الله، يعني: قد شاء الله أن لا تنسى القرآن فلم ينس القرآن بعد نزول هذه الآية. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ في قراءته قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام مخافة أن ينساه ويقال: {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى} يعني: سنحفظ عليك حتى لا تنسى شيئاً، ويقال إن جبريل عليه السلام كان ينزل عليه في كل زمان ويقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين له ما نسخ فذلك قوله: {إِلاَّ مَا شَاء الله} يعني: إلا ما شاء الله أن يرفعه وينسخه ويذهب من قلبك ثم قال تعالى: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الجهر وَمَا يخفى} يعني: يعلم العلانية والسر، ويقال: ما يجهر به الإمام في الفجر والمغرب والعشاء والجمعة وما يخفى يعني: في الظهر والعصر والسنن، ويقال: {يَعْلَمْ} ما يظهر من أفعال العباد وأقوالهم {وَمَا يخفى} من أقوالهم وأفعالهم، ويقال: {يَعْلَمْ} ما عمل العباد {وَمَا يخفى} يعني ما لم يعملوه وهم عاملوه ثم قال عز وجل: {وَنُيَسّرُكَ لليسرى} يعني: سنهوّن عليك حفظ القرآن وتبليغ الرسالة، ويقال: يعني نعينك على الطاعة، قوله تعالى: {فَذَكّرْ} يعني: فعِظْ بالقرآن الناس {إِن نَّفَعَتِ الذكرى} يعني: إن نفعتهم العظة ومعناه ما نفعت العظة بالقرآن إلا لمن يخشى ويقال إن نفعت الذكرى يعني إن قولك ودعوتك تنفع لكل قلب عاقل ويقال: {وَنُيَسّرُكَ لليسرى} يعني: نهون عليك عمل أهل الجنة ثم

قال: {سَيَذَّكَّرُ مَن يخشى} يعني: يتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويسلم ويقال: معناه سيتعظ ويؤمن ويعمل صالحاً من يخشى قلبه من عذاب الله تعالى {وَيَتَجَنَّبُهَا} يعني: يتباعد عنها يعني: عن عظتك {الاشقى} يعني: الشقي الذي وجب في علم الله تعالى أنه يدخل النار مثل الوليد وأبي جهل ومن كان مثل حالهما {الذى يَصْلَى النار الكبرى} يعني: يدخل يوم القيامة النار الكبرى يعني: النار العظمى لأن نار الدنيا هي النار الصغرى ونار الآخرة هي النار الكبرى، وروى يونس عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ نَارَكُم هذه جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَقَدْ غُمِسْتُ فِي النَّار مَرَتَين لِيُدْنَى مِنْهَا وَيُنْتَفَعَ بِهَا وَلُولاَ ذَلِكَ مَا دَنَوتُم مِنْها» ويقال: إنها تستجير أن ترد إلى جهنم يعني: تتعوذ منها وقال بعض الحكماء: علامة الشقاوة تسع أشياء كثرة الأكل، والشرب، والنوم، والإصرار على الذنب، والغيبة، وقساوة القلب، وكثرة الذنوب، ونسيان الموت، والوقوف بين يدي الملك عز وجل، وهذا هو الشقي الذي يدخل النار الكبرى {ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يحيى} يعني: لا يموت في النار حتى يستريح من عذابها ولا يحيا حياة تنفعه، وقال القتبي معناه: هو العذاب بحال من يموت ولا يموت.

▲ تفسير الآيات رقم [14- 19]

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)}

ثم قال عز وجل: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تزكى} يعني فاز ونجا من هذا العذاب وسعد بالجنة من تزكى يعني وحّد الله تعالى وزكى نفسه بالتوحيد {وَذَكَرَ اسم رَبِّهِ} يعني: توحيد ربه {فصلى} مع الإمام الصلوات الخمس، ويقال {قَدْ أَفْلَحَ مَن تزكى} يعني: أدى زكاة الفطر {وَذَكَرَ اسم رَبِّهِ فصلى} مع الإمام صلاة العيد. ويقال: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تزكى} يعني: أدى زكاة المال، يعني نجا من خصومة الفقراء يوم القيامة {وَذَكَرَ اسم رَبِّهِ فصلى} يعني: كبّر وصلى لله تعالى، ويقال: {مَن تزكى} يعني: تاب من الذنوب (وذكر اسم ربه) يعني: إذا سمع الآذان خرج إلى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لأجل الاشتغال بالدنيا فقال: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الحياة الدنيا} يعني: تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة، قرأ أبو عمرو: {بَلِ} بالياء على معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء على معنى المخاطبة ثم قال عز وجل: {الدنيا والاخرة خَيْرٌ وأبقى} يعني:

عمل الآخرة خير وأبقى من اشتغال الدنيا وزينتها، ويقال معناه يختارون عيش الدنيا الفانية على عيش الآخرة الباقية وإن عيش الآخرة خير وأبقى لأن في عيش الدنيا عيوباً كثيرة خوف المرض والموت والفقر والذل والهوان والزوال والحبس والمنع وما أشبه ذلك وليس في عيش الآخرة شيء من هذه العيوب، لأجل هذا قيل خير من الدنيا قوله تعالى: {إِنَّ هذا لَفِى الصحف الاولى} يعني: الذي ذكر في هذه السورة كان في الصحف الأولى يعني: في الكتب الأولى ثم فسره فقال: {صُحُفِ إبراهيم وموسى} ويقال: الذي ذكر في آخر السورة أربع آيات لفي كتب الأولين وكل كتاب مكتوب يسمى الصحف يعني في قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تزكى} الخ الآية.

▲ سورة الغاشية

▲ تفسير الآيات رقم [1- 15]

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15)}

قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية} هل استفهام، واستفهم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يكن أتاه بعد، فكأنه قال: لا يأتيك خبره، ثم أخبره. ويقال: معناه: قد أتاك حديث الغاشية، والغاشية اسم من أسماء يوم القيامة، وإنما سميت غاشية، لأنها تغشى الخلق كلهم. كما يقال: يوماً كان شره مستطيراً، ويقال: الغاشية النار، وإنما سميت غاشية، لأنها تغشي وجوه الكفار. كما قال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بأياتنآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظلمات إِلَى النور وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الله إِنَّ فِى ذلك لآيات لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم: 5] أو كقوله: {يَوْمَ يغشاهم العذاب مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيِقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: 55] ويقال: الغاشية دخان النار، يخرج من النار يوم القيامة، عنق من النار، فيحيط بالكفار مثل السرادق، ويجيء دخانها، فيغشى الخلائق، حتى لا يرى بعضهم بعضاً، إلا من جعل الله تعالى له نوراً، بصالح عمله في الدنيا كقوله: {كَأَنَّهُ جمالة صُفْرٌ} [المرسلات: 33] وكقوله: {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ} [الواقعة: 43] ويقال: تغشى الغاشية الصراط المنافقين. كقوله: {يَوْمَ يَقُولُ المنافقون والمنافقات لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ انظرونا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارجعوا وَرَآءَكُمْ فالتمسوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرحمة وظاهره مِن قِبَلِهِ العذاب} [الحديد: 13] الآية.

ثم وصف ذلك اليوم وقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشعة} يعني: من الوجوه، وجوه يومئذ خائفة، ذليلة في العذاب. وهي وجوه الكفار. ثم قال: {عَامِلَةٌ} يعني:

تُجَرُّ على وجوهها في النار {نَّاصِبَةٌ} يعني: من تعب وعذاب في النار. ويقال: {عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ} يعني: تكلف الصعود على عتبة ملساء من النار، فيرتقيها في عناء ومشقة، فإذا ارتقى إلى ذروتها، هبط منها إلى أسفلها. ويقال: نزلت في رهبان النصارى، عاملة في الدنيا، ناصبة في العبادة، أشقياء في الدنيا والآخرة. ويقال: عاملة في الدنيا بالمعاصي والذنوب، ناصبة في الآخرة بالعذاب {تصلى نَاراً حَامِيَةً} يعني: تدخل ناراً حارة، قد أوقدت ثلاثة آلاف سنة، حتى اسودّت. فهي سوداء مظلمة.

قوله تعالى: {تسقى مِنْ عَيْنٍ ءانِيَةٍ} أي: من عين حارة، قد انتهى حرُّها {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ} وهذا في بضع دركها {إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ} قرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، بضم التاء {تصلى نَاراً} وقرأ الباقون، بالنصب. فمن قرأ بالضم لمعنى المفعول الذي لم يسم فاعله، ونصب ناراً على أنه مفعول ثان، ومن قرأ بالنصب، جعل الفعل الذي يدخل النار، وهو كناية عن الوجوه. ولهذا ذكره بلفظ التأنيث. ثم قال: {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ} والضريع نبات بين طريق مكة واليمن فإذا أكل الكفار منه بقي في حلقهم {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ} يعني: غير الضريع {لاَّ يُسْمِنُ} يعني: لا يشبع الضريع {وَلاَ يُغْنِى مِن جُوعٍ} يعني: ولا ينفع من جوع، وهذا الجزاء، للذي يتعب نفسه للعمل في الدنيا والمعاصي، وما لا يحتاج إليه.

ثم وصف مكان الذي يعمل لله تعالى، ويترك عمل المعصية، ويؤدي ما أمر الله تعالى، ويترك ما نهي عنه فقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ} يعني: من الوجوه ما تكون ناعمة، يعني: في نعمة وكرامة، وهي وجوه المؤمنين والتائبين، والصالحين. ويقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ} يعني: مشرقة مضيئة، مثل القمر ليلة البدر {لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ} يعني: لثواب عملها راضية. ويقال: لثواب سعيه، الذي عمل في الدنيا من الخير. يعني: رأى ثوابه في الجنة، {رَّاضِيَةٍ} مرضية، رضي الله عنه بعمله في الدنيا، ورضي العبد من الله تعالى في الآخرة. من الثواب {فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} يعني: ذلك الثواب في جنة عالية، مرتفعة في الدرجات العلى. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ لله تَعَالَى فِي غُرْفَةٍ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، كَمَا يَنْظُرُ أَهْلُ الأَرْضِ إِلَى كَوَاكِبِ السَّمَاءِ».

ثم قال عز وجل: {لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاغية} يعني: لا يكون في الجنة لغو ولا باطل، وليس فيها غل ولا غش. قرأ نافع لا تُسمع بضم تاء التأنيث، لأن

اللاغية مؤنثة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، لا يسمع بضم الياء على معنى: فعل، ما لم يسم فاعله، وإنما ذكر بلفظ التذكير، لأنه انصرف إلى المعنى. يعني: إلى اللغو. وروي عن ابن كثير، ونافع في إحدى الروايتين، بنصب التاء، يعني: لا تسمع في الجنة أيها الداخل، كلمة لغو، لأن أهل الجنة، لا يتكلمون إلا بالحكمة، وحمد الله تعالى.

ثم قال: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ} يعني: في الجنة، عين جارية ماؤها أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، ويذهب من قلبه الغل، والغش والحسد، والعداوة والبغضاء. ثم قال: {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ} يعني: مرتفعة {وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ} يعني: الكيزان التي لا عرى لها، مدورة الرأس {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} يعني: فيها وسائد، قد صف بعضها إلى بعض على الطنافس.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 26]

{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)}

{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} قال القتبي: الزرابي الطنافس. ويقال: البُسُط واحدها زربي. ثم قال عز وجل: {مَبْثُوثَةٌ} أي: كثيرة متفرقة أو مبسوطة، والنمارق الوسايد واحدها نمرقة، والمؤمن جالس فوق هذا كله، وعلى رأسه نور وضاء، كأنهن الياقوت والمرجان، جزاءً بما كانوا يعملون، فإن شك شاك فيها فتعجب، وقال: كيف هذا وهو غائب عنا، فقل انظر إلى صنعة الرب تبارك وتعالى في الدنيا. وهو قوله: {أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ} يعني: خلق من قطرة ماء خلقاً عظيماً، يُحْمَل عليها، وإنما خص ذكر الإبل، لأن الإبل كانت أقرب الأشياء إلى العرب.

ثم قال عز وجل: {وَإِلَى السماء} يعني: أفلا ينظرون إلى السماء {كَيْفَ رُفِعَتْ} بلا عمد تحتها، وحبست في الهواء بقدرة الرب سبحانه وتعالى. ثم قال: {وَإِلَى الجبال} يعني: أفلا ينظرون إلى الجبال {كَيْفَ نُصِبَتْ} على ظهر الأرض أوتاداً لها، وليس جبل من الجبال، إلا وله عرق من قاف، وملك موكل بجبل. فإذا أراد الله تعالى بأهل أرض شيئاً، أوحى الله تعالى إلى الملك

الموكل بذلك الجبل، فيحرك تلك العروق، فيتزلزل. ثم قال: {وَإِلَى الارض كَيْفَ سُطِحَتْ} يعني: بسطت على ظهر الماء.
ثم قال: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ} يعني: فذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم وخوفهم بالعذاب في الآخرة {إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ} يعني: مخوفاً بالقرآن {لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ} يعني: بمسلط تجبرهم على الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال. وقال مقاتل: في الآية تقديم يعني: فذكر {إِلاَّ مَن تولى} يعني: أعرض عن الإيمان {وَكَفَرَ} بالله تعالى {فَيْعَذِّبُهُ الله العذاب الاكبر} فيدخله النار، وهو العذاب الأكبر الدائم، وهو عذاب النار، حرها شديد، ومقرها بعيد، ومقامها حديد.
قوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} يعني: إن إلينا مرجعهم بعد الموت {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} يعني: إن مرجعهم إلينا بعد الموت {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} يعني: يحاسبون بكل صغيرة وكبيرة، وقليل وكثير كما قال: لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها. ويقال: إن علينا حسابهم يعني: جزاءهم بأعمالهم، يعني: ثوابهم بما عملوا، والله أعلم بالصواب.

▲ سورة الفجر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3)}

قوله تعالى: {والفجر} هو قسم، وجوابه: إن ربك لبالمرصاد أقسم الله تعالى بالفجر يعني: الصبح، والفجر فجران المستطيل، وهو من الليل والفجر، المعترض وهو من النهار. ويقال: أراد به أول يوم من المحرم. ثم قال عز وجل: {وَلَيالٍ عَشْرٍ} يعني: عشر ذي الحجة، ويقال: إنها الأيام العشر، التي صام فيها موسى عليه السلام، وهي قوله: {وواعدنا موسى ثلاثين لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ ميقات رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ موسى لأَّخِيهِ هارون اخلفنى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المفسدين} [الأعراف: 142]. ويقال: هي أيام عاشوراء.

ثم قال عز وجل: {والشفع والوتر} قال قتادة: الخلق كله شفع ووتر، فأقسم الله تعالى بالخلق. وروى الحارث، عن علي رضي الله عنه، أنه قال: الشفع آدم وحواء، والوتر الله سبحانه وتعالى. قال ابن عباس: الوتر آدم فتشفع بزوجته حواء، وقال عطاء: الشفع الناس، والوتر الله سبحانه وتعالى. وقال الحسن: الشفع هو الخلق، والذكر والأنثى، والوتر الله تعالى. ويقال: أقسم بالصلوات، والصلوات منها ما هو شفع، وهو الفجر، والظهر والعصر، والعشاء ومنها ما هو وتر وهو الوتر في المغرب. ويقال: إنما هو الأعداد كلها، شفع ووتر. وعن ابن عباس: الشفع أيام الذبح، والوتر يوم عرفة.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 14]

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)}

قال عز وجل: {واليل إِذَا يَسْرِ} قال الكلبي: يعني: ليلة المزدلفة، يسير الخلق إلى المزدلفة. وقال القتبي: {واليل إِذَا يَسْرِ} يعني: يسرى فيه، كقوله: ليل نائم، أي: يُنام فيه. وقال الزجاج: أصله تسري يسري، إلا أن الياء قد حذفت منه، وهي القراءة المشهورة بغير ياء، يقرأ بالياء. قرأ حمزة، والكسائي، والشفع والوتر بكسر الواو. والباقون بالنصب،، وهما لغتان. يقال: للفرد وَتْرٌ ووِتْر. وقرأ ابن كثير يسر بالياء، في حالة الوصل والقطع. وقرأ نافع بالياء، إذا وصل، وقرأ الباقون بغير ياء في الوصل والقطع، لأن الكسرة تدل عليه.
ثم قال عز وجل: {هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لّذِى حِجْرٍ} يعني: أن هذا الذي ذكرناه، قسماً لذي لب من الناس. ويقال: إن في ذلك قسم صدق، لذي عقل ولب ورشد، والحجر اللب. ثم قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} يعني: ألم تعلم، ويقال: ألم تخبر، واللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقدير، يعني: فذلك خبر عاد {إِرَمَ ذَاتِ العماد} يعني: عاقبة قوم عاد، وقال بعضهم: هما عادان، أحدهما عاد وإرم، والآخر هم قوم هود. وقال بعضهم: كلاهما واحد، ويقال: إرم اسم للجنة التي بناها، فمات قبل أن يدخلها، وذكر فيها حكاية طويلة عن وهب بن منبه. ثم قال: {ذَاتِ العماد} يعني: الفساطيط، والعمود عمود الفسطاط.
{التى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى البلاد} يعني: في القوة والطول، ويقال: {ذَاتِ العماد} يعني: ذات القوة، ويقال: {ذَاتِ العماد} يعني: دائم الملك، طويل العمر. ويقال: {ذَاتِ العماد} أي: ذات البناء الرفيع. وروى أسباط، عن السدي قال: عاد بن إرم، فنسبهم إلى أبيهم الأكبر. كقولك: بكر بن وائل. ويقال: لا ينصرف إرم، لأنه اسم قبيلة. وقال مقاتل: {ذَاتِ العماد} يعني: طولها اثنا عشر ذراعاً {التى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى البلاد} في الطول والقوة، وإرم اسم أب قبيلة ينسب إليهم، وهو إرم بن سمك، بن نسمك، بن سام، بن نوح عليه السلام. وقال الكلبي: {ذَاتِ العماد} يعني: كانوا أهل ذات عمود وماشية، فإذا هاج العمود، يعني: يبس العشب، رجعوا إلى منازلهم. ويقال: عاد وإرم شيء واحد.
ثم قال عز وجل: {وَثَمُودَ الذين جَابُواْ الصخر بالواد} وهم قوم صالح، نقبوا الجبل، وقعلوا أحجاراً لا يطيق مائتا رجل بالوادي. وقال الكلبي: هو واد القرى. ثم قال عز وجل: {وَفِرْعَوْنَ ذِى الاوتاد} يعني: قواد الكفرة الفجرة، الذين خلقهم الله تعالى أوتاداً في مملكته، ليكفوا عنه عدوه. ويقال: إن له بيتاً أوتد فيه أوتاداً، فإذا عذب أحد، طرحه فيها.

ويقال: سمي بذي الأوتاد، لأنه كان إذا غضب على أحد، وثقه بأربعة أوتاد. ويقال: الأوتاد وهي الصلب، إذا غضب على أحد، صلبه كقوله لأصلبنكم ويقال ذو الأوتاد يعني ذا الملك الثابت {الذين طَغَوْاْ فِى البلاد} يعني: عاداً وثمود وفرعون عصوا في البلاد {فَأَكْثَرُواْ فِيهَا الفساد} يعني: أكثروا في الأرض المعاصي {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ} يعني: أرسل عليهم ربك {سَوْطَ عَذَابٍ} يعني: شديد العذاب حتى أهلكهم {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد} يعني: مرّ الخلق عليه. ويقال: {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد} يعني: ملائكة ربك على الصراط، يعني: يرصدون العباد على جسر جهنم في سبع مواضع. وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: يحاسب العبد في أولها بالإيمان، فإن سلم إيمانه من النفاق والرياء، نجا وإلا تردَّى في النار، وفي الثاني: يحاسب على الصلاة، فإن أتم ركوعها وسجودها في مواقيتها نجا، وإلا تردّى في النار، والثالث: يحاسب على الزكاة، في النار. وفي الخامس في الحج والعمرة، وفي السادس بالوضوء والغسل من الجنابة، وفي السابع بر الوالدين، وصلة الأرحام، ومظالم العباد فإن أداها نجا وإلا تردى في النار.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 22]

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22)}

ثم قال عز وجل: {فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابتلاه رَبُّهُ} قال الكلبي: نزلت في أمية بن خلف ويقال: في أبي بن خلف، إذا ما ابتلاه، يعني: اختبره ربه {فَأَكْرَمَهُ} يعني: ورزقه {وَنَعَّمَهُ} يعني: أعطاه النعمة {فَيَقُولُ رَبّى أَكْرَمَنِ} يعني: اجتباني وفضلني، وأنا أهل لذلك {وَأَمَّا إِذَا مَا ابتلاه} بالفقر {فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} قرأ أبو عمرو، وابن عامر في إحدى الروايتين، فقدّر بالتشديد، والباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد أي: فقتر عليه رزقه، وأصابه الجوع والأمراض {فَيَقُولُ رَبّى أَهَانَنِ} يعني: طردني وعاقبني، شكاية لربه.

قال الله تعالى: {كَلاَّ} أي: حقاً يعني: ليس إهانتي وإكرامي، في نزع الماء والولد، والفقر، والمرض، ولكن إهانتي في نزع المعرفة، وإكرامي بتوفيق المعرفة، والطاعة. وقال قتادة: لم يكن الغنى من كرامة، ولم يكن الفقر من

الذل. ولكن الكرامة مني، بتوفيق الإسلام، والهوان مني بالخذلان عنه. إنما المكرم من أكرم بطاعتي، والمهان من أهين بمعصيتي. ثم قال: {بَل لاَّ تُكْرِمُونَ اليتيم} يعني: لا تعطون حق اليتيم، وكان في حجر أمية بن خلف، يتيم لا يؤدي حقه. فنزلت الآية بسببه، فصار فيها عظة لجميع الناس. قرأ أبو عمرو، وابن عامر في إحدى الروايتين، فقدر بالتشديد، والباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد.

ثم قال عز وجل: {وَلاَ يَحُضُّ على طَعَامِ المسكين} يعني: لا يحثون أنفسهم، ولا غيرهم على طعام المسكين. ويقال: لا تحاضون على إطعام المسكين. ويقال: لا يحض بعضهم بعضاً. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم {وَلاَ تَحَاضُّونَ} بالألف، يعني: لا يحث بعضهم بعضاً. وقرأ أبو عمرو، ولا {يحضون} بالياء يعني: لا يحثون، والباقون لا تحضون بالتاء على المخاطبة. ثم قال: {المسكين وَتَأْكُلُونَ التراث} يعني: الميراث {أَكْلاً لَّمّاً} يعني: شديداً. كقولك: لممت الشيء إذا جمعته ومعناه يأكلون مال اليتيم، أكلاً شديداً سريعاً.

{وَتُحِبُّونَ المال} يعني: كثرة المال وجمع المال {حُبّاً جَمّاً} يعني: شديداً. ويقال: كثيراً. قرأ أبو عمرو ويكرمون، ويأكلون، ويحبون كلها بالياء على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء، على معنى الخطاب لهم. ثم قال عز وجل: {كَلاَّ} يعني: حقاً {إِذَا دُكَّتِ الارض دَكّاً دَكّاً} يعني: زلزلت الأرض زلزالها، والتكرار للتأكيد. ثم قال: {وَجَاء رَبُّكَ والملك} قال بعضهم: هذا من المكتوم الذي لا يفسر وقال أهل السنة وجاء ربك بلا كيف وقال بعضهم معناه وجاء أمر ربك بالحساب والملك {صَفّاً صَفّاً} يعني: صفوفاً، كصفوف الملائكة، وأهل الدنيا في الصلاة.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 30]

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)}

ثم قال عز وجل: {وَجِئ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} تحضر وتدنو من الكفار، وروي عن عبد الرحمن بن حاطب قال: كنا جلوساً عند كعب يذكّرنا، فجاء عمر رضي الله عنه، فجلس ناحيته وقال: ويحك يا كعب خوّفنا، فقال كعب: إن جهنم لتقرب

يوم القيامة، لها زفير وشهيق، حتى إذا قربت ودنت، زفرت زفرة، لا يبقى نبي ولا صديق، إلا وهو يخر ساقطاً على ركْبتيه. فيقول: اللهم لا أسألك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً، لظننت أن لا تنجو. فقال عمر رضي الله عنه: والله إن الأمر لشديد.
ثم قال: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسان} يعني: يتعظ الكافر {وأنى لَهُ الذكرى} يعني: من تنفعه العظة، ويقال: يومئذ يتذكر الإنسان، يعني: يظهر الإنسان التوبة، يعني: أين له التوبة، يعني: كيف تنفعه التوبة يومئذ. {يَقُولُ ياليتنى لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى} يعني: يا ليتني عملت في حياتي الفانية لحياتي الباقية. ثم قال عز وجل: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} قرأ الكسائي لا يعذب، بنصب الذال، ولا يوثق بنصب التاء. والباقون كلاهما بالكسر، فمن قرأ بالنصب فمعناه: ولا يعذب عذاب هذا الصنف من الكفار أحد، وكذلك لا يوثق وثاقه أحد. ومن قرأ بالكسر، معناه لا يتولى يوم القيامة عذاب الله أحد، الملك يومئذ لله وحده، والأمر بيده. ويقال: معناه لا يقدر أحد. من الخلق، أن يعذب كعذاب الله تعالى، ولا يوثق في الغل والصفد كوثاق الله.
ثم قال عز وجل: {أَحَدٌ يأَيَّتُهَا النفس المطمئنة} التي اطمأنت بلقاء الله عز وجل، ويقال: {المطمئنة} يعني: الراضية بثواب الله تعالى، القانعة بعطاء الله، الشاكرة لنعمائه تعالى. يقال لها، عند الفراق من الدنيا {ارجعى إلى رَبّكِ} يعني: ارجعي إلى ثواب ربك، إلى ما أعد الله لك في الجنة. ويقال له يوم القيامة {رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فادخلى فِى عِبَادِى} يعني: مع عبادي الصالحين في الجنة {وادخلى جَنَّتِى} يعني: ادخلي الجنة بلا حساب، ويقال: هذا الخطاب لأهل الدنيا، يعني: {أَيَّتُهَا النفس} في الدنيا، التي أمنت من عذاب الله، {المطمئنة ارجعى إلى رَبّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} يعني: {فادخلى فِى عِبَادِى} يعني: ادخلي في عبادي، وفي طاعتي، وادخلي في جنتي ويقال: معناه تقول الملائكة: يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ما أعد الله لك راضية، فادخلي في عبادي على محض التقديم، يعني: يا أيتها النفس المطمئنة، الراضية بما أعطيت من الثواب، مرضية بما عملت، وادخلي جنتي مع عبادي والله تعالى أعلم.

▲ سورة البلد

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)}

قوله تعالى: {لاَ أُقْسِمُ بهذا البلد} يعني: أقسم بهذا البلد، ولا صلة في الكلام، ومعناه أقسم برب هذا البلد الذي ولد فيه يعني: مكة {وَأَنتَ حِلٌّ بهذا البلد} يحلها يوم فتح مكة، معناه فسيحل لك هذا البلد، يعني: القتال فيه ساعة من النهار، ولم يحل لك أكثر من ذلك. وروى عبد الملك، عن عطاء في قوله: {وَأَنتَ حِلٌّ بهذا البلد} وقال: إن الله تعالى حرم مكة، فجعلها حراماً يوم خلق السموات والأرض، وهي حرام إلى أن تقوم الساعة، ولم تحل إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من النهار. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه دخل بالبيت يوم الفتح، ووضع يده على باب الكعبة، فقال: «لاَ إله إلاَّ الله وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلاَ إنَّ الله تَعَالَى حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السموات والأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ لِي، بِحَرَامِ الله تَعَالَى إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ».

ثم قال عز وجل: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} {وَوَالِدٍ} يعني: آدم {وَمَا وَلَدَ}، يعني: ذريته. ويقال: كل والد وكل مولود. وقال عكرمة {وَوَالِدٍ} الذي يلد {وَمَا وَلَدَ} التي لم تلد من النساء والرجال {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} يعني: معتدل الخلق والقامة، فأقسم بمكة وبآدم وذريته {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان} منتصباً قائماً على رجلين. وقال مقاتل: نزلت الآية في حارث بن عامر بن نوفل. وروى مقسم، عن ابن عباس في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} قال: خلق كل شيء يمشي على أربع، إلا الإنسان فإنه خلق منتصباً، وهذا كقوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4] ويقال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} يعني: في مشقة وتعب.

وروي عن ابن رفاعة، عن سعيد بن الحسن، عن الحسن البصري في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} قال سعيد: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة. وقال الحسن: لم يخلق الله تعالى خليقة، يكابد مكابدة ما يكابد ابن آدم. وروي عن عطاء، عن ابن عباس يقول: خلق في شدة، يعني: مولده ونبات أسنانه وغير ذلك. ويقال: معناه: ولقد خلقنا الإنسان في كبد وهي المضغة، مثل الكبد دماً غليظاً، ثم يصير مضغة.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 10]

{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)}

وقال عز وجل: {أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} يعني: أيحسب الكافر، أن لن يقدر عليه الله تعالى، يعني: على أخذه وعقوبته. {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً} يعني: أبا جهل بن هشام يقول: أنفقت مالاً كثيراً في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم ينفعني ذلك، وهو أنه ضمن مالاً لمن يقتل محمداً صلى الله عليه وسلم، ويقال: أنفق مالاً يوم بدر. ثم قال عز وجل: {أَيَحْسَبُ} يعني: أيظن {أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ} يعني: إن لم ير الله تعالى صنيعه فلا يعاقبه بما فعل. ثم ذكر ما أنعم عليه ليعتبر به ويوحد فقال: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ} يعني: ألم نخلق له عينين. يبصر بهما {وَلِسَاناً} ينطق به {وَشَفَتَيْنِ} فيضمهما.

{وهديناه النجدين} قال الثعلبي ومقاتل يعني: عرّفناه طريق الخير والشر. وقال قتادة: يعني: طريق الهدى والضلالة، وهكذا قال ابن مسعود، رضي الله عنه، ويقال: {وهديناه النجدين} يعني: هديناه في الصغر لأحد الثديين، يعني: خلق له شفتين، ليأخذ بهما ثدي أمه. ويقال: بينا له طريقين، طريق الدنيا، وطريق الآخرة. وقال مجاهد: يعني: طريق السعادة، وطريق الشقاوة. ويقال: الطاعة والمعصية، ويقال: طريق الصواب، وطريق الخطأ. ومعناه ألم نجعل له ما يستدل به، على أن الله تعالى قادر على أن يبعثه، ويحصي عليه ما عمله.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 20]

{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ

أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)}

ثم قال عز وجل: {فَلاَ اقتحم العقبة} يعني: فلا هو اقتحم العقبة، ويقال: فلم يقتحم العقبة، ويقال: معناه فهل تجاوز العقبة، الذي يزعم أنه أنفق مالاً كثيراً في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما أراد بالعقبة، الصراط. كما روي عن أبي ذر الغفاري أنه قال: إنه بين أيدينا عقبة كؤود، لا ينجو منها إلاَّ كل مخف. وكما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه بكى حين حضرته الوفاة، قيل له: وما يبكيك؟ قال: بُعْدَ المفازة، وقلة الزاد، وضعف النفس، وعقبة كؤد، والهبوط منها إلى الجنة أو إلى النار.

ثم قال عز وجل: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا العقبة} يعني: ما أدراك بماذا يكون مجاوزة الصراط. ثم قال: {فَكُّ رَقَبَةٍ} يعني: اقتحام العقبة، هو فك الرقبة يعني: إنما يجاوز الصراط. {أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ} يعني: يجاوز الصراط بإحكام في يوم ذي مجاعة. قرأ أبو عمرو، وابن كثير، والكسائي {فَكَّ رَقَبَةٍ}، بنصب الكاف والهاء، وأطعم بنصب الهمزة بغير الألف، والباقون {فَكُّ رَقَبَةٍ} بضم الكاف، وكسر الهاء {أَوْ إِطْعَامٌ} بكسر الهمزة، وإثبات الألف. فمن قرأ بالنصب فهو محمول على المعنى، معناه فلا فَكَّ رَقَبَةً، ولا أطعمَ في يوم ذي مسغبة، فكيف يجاوز العقبة، ومن قرأ بالضم فمعناه اقتحامُ العقبة، فكُّ رقبة يعني: مجاوزة العقبة بعتق رقبة، وبإطعام في يوم ذي مسغبة، أي: مجاعة.

ثم بين لهم لمن يُطْعَم الطعام فقال: {يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ} يعني: يتيماً بينك وبينه قرابة {أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ} يعني: مسكيناً لا شيء له لاصق في التراب من الجهد، فهذا الإحسان مجاوزة العقبة {ثُمَّ كَانَ مِنَ الذين ءامَنُواْ} يعني: من صنع هذا الإحسان، يكون مؤمناً، لأنه لا يتقبل عملاً من الأعمال بغير إيمان. ويقال: معناه ثم يثبت على إيمانه. ثم قال: {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} يعني: تحاشوا أنفسهم بالصبر، وتحاشوا بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله تعالى، وبالصبر على المكروهات، لأنه روي في الخبر، أن الجنة حقت بالكاره.

ثم قال تعالى: {وَتَوَاصَوْاْ بالمرحمة} يعني: تحاشوا بالتراحم بعضهم على بعض، يعني: بالمرحمة على أنفسهم، على غيرهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «مَنْ يَرْحَمِ النَّاسَ، يَرْحَمُهُ الله تَعَالَى». ثم قال: {أولئك أصحاب الميمنة} يعني: أهل التراحم والتواصل، هم أصحاب الميمنة، الذين يُعْطَوْن كتابهم بأيمانهم {والذين كَفَرُواْ بئاياتنا} يعني: بمحمد صلى الله عليه

وسلم وبالقرآن، ويقال: كفروا بدلائل الله تعالى. {هُمْ أصحاب المشئمة} يعني: يعطون كتابهم بشمالهم {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةُ} يعني: أُدْخِلُوا في النار، وأُطْبِقَتْ عليهم، لا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. قرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية حفص، وحمزة {عَلَيْهِمْ نَارٌ} بالهمزة، والباقون بغير همزة، وهما لغتان. يقال: أصدت وأوصدت الباب، وأوصدته إذا أطبقته والله أعلم.

سورة الشمس

تفسير الآيات رقم [1- 10]

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)}

قوله تعالى: {والشمس وضحاها} أقسم الله تعالى بالشمس، وضوئها حرها. ويقال: بخالق الشمس وضحاها، يعني: ارتفاع النهار. ويقال: حر الشمس يسمى ضحى. قرأ ابن كثير، وابن عامر وعاصم {وضحاها} بالتفخيم، وكذلك تلاها إلى آخر السورة. وقرأ حمزة والكسائي كلها بالإمالة، وقرأ نافع، وأبو عمرو بين ذلك. ثم قال عز وجل: {والقمر إذَا تلاها} يعني: يتبع الشمس والهاء، كناية عن الشمس. وقال قتادة: والشمس هو النهار، و{القمر * إذَا تلاها} قال: يتلوها صبيحة الهلال، وإذا سقطت الشمس، رأيت الهلال عند سقوطها.

ثم قال عز وجل: {والنهار إذَا جلاها} يعني: إذا أضاء واستنار، فقال القتبي: هذا من الاختصار {والنهار إذَا جلاها} ويعني: والأرض أو الدنيا، يعني: النهار أذا أضاء الدنيا. وقال الكلبي: معناه إذا جلى النهار ظلمة الليل. ثم قال عز وجل: {والليل إذَا يغشاها} يعني: غطى ضوء النهار، ويقال: {والليل إذَا يغشاها} يعني: غطى الأرض وسترها. ثم قال: {والسماء وَمَا بناها} يعني: خلقها. ويقال: {السماء وَمَا بناها} يعني: الله تعالى بناها، فأقسم بنفسه، ويقال: ما للصلة، ومعناه والسماء وبنائها.

ثم قال عز وجل: {والارض وَمَا طحاها} يعني: والذي بسطها على الماء من تحت الكعبة. ثم قال: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} يعني: ونفس والذي سوى خلقها، ويقال: ونفس وما خلقها {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} يعني: ألهمها الطاعة والمعصية، ويقال: عرفها، وبين لها ما تأتى وما تذر. ثم قال عز وجل: {قَدْ

أَفْلَحَ مَن زكاها} يعني: أصلحها الله، وعرفها وهذا جواب القسم لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لثقلها، لأن الكلام طال.

ثم قال {وَقَدْ خَابَ مَن دساها} يعني: خسر من أغفلها وأغواها، وخذلها وأضلها. وقال القتبي: معناه قد أفلح من زكى نفسه، أي: أنماها وأعلاها، بالطاعة والبر والصدقة، وقد خاب من دساها، يعني: نقصها وأخفاها بترك عمل البر، وبركوب عمل المعاصي. وأصله دسس، فجعل مكان إحدى السينين ياء، كما يقال: قصيت أظفاري، وأصله قصصت. قال وأصل هذا؟ أن أجواد العرب، كانوا ينزلون في أرفع المواضع، ويوقدون من النار للطارقين، لتكون أنفسهم أشهر، واللئام ينزلون الأطراف والأهضام، لتخفي أماكنهم على الطارقين، فأخفوا أنفسهم. والبار أيضاً أظهر نفسه بأعمال البر، والفاجر دساها. ويقال: إن الله تعالى، يطلب من عباده المؤمنين يوم القيامة ستة أشياء بمكان النعمة، الشكر: وبمكان الشدة وبمكان الصحة العمل بالطاعة، وبمكان الذنوب التوبة، وبمكان العمل الإخلاص، فمن يجئ بهذه الأشياء، فقد أفلح ونما، ومن لم يجئ بهذه الأشياء، فقد خسر وغبن.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 15]

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)}

ثم قال عز وجل: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} يعني: بطغيانهم، حملهم على ذلك التكذيب {إِذِ انبعث أشقاها} يعني: إذا قام أشقى ثمود، وكلهم أشقياء في علم الله تعالى، وأشقاهم عاقر الناقة، وهو قدار بن سالف، ومصدع بن دهر {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله} صلى الله عليه وسلم يعني: صالحاً {نَاقَةُ الله} يعني: احذروا ناقة الله {وسقياها} يعني: لا تأخذوا سقياها، ومعناه ولا تعقروا ناقة الله، وذروا شربها. وقد ذكرناه في سورة الأعراف {فَكَذَّبُوهُ} يعني: صالحاً بالعذاب {فَعَقَرُوهَا} يعني: فعقروا الناقة، ويقال: في الآية تقديم فعقروها، فخوفهم صالح عليه السلام بالعذاب، فكذبوه. ثم قال عز وجل: {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ} يعني: أنزل عليهم ربهم عقوبة {بِذَنبِهِمْ} والدَّمْدَمة، المبالغة في العقوبة والنكال.

ثم قال: {فَسَوَّاهَا} يعني: فسواها في الهلاك يعني: الصغير والكبير {وَلاَ يَخَافُ عقباها} قرأ نافع، وابن عامر فلا يخاف بالفاء، والباقون بالواو. فمن

قرأ بالفاء، وصل الذي بعدها بالذي قبلها، وهو قوله {فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ} يعني: أطبق عليهم العذاب بذنبهم {فَسَوَّاهَا} يعني: فسوى الأرض عليهم، ولا يخاف عقبى هلكهم، ولا يقدر أن يرجعوا إلى السلامة. ومن قرأ بالواو، فمعناه التقديم والتأخير، يعني: الذي عقرها، وهو لا يخاف عقبى عقرها. ويقال: إن الله تعالى أهلكهم، ولم يخف ثأرها وعاقبتها على غير وجه التقديم. وروى الضحاك، عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه: «أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الأوَّلِينَ» قُلْتُ: الله وَرَسُولَهُ أَعْلَمُ. قال: «عَاقِرُ النَّاقَةِ» فقال: «أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الآخِرِينَ» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «قَاتِلُكَ». والله أعلم.

سورة الليل

تفسير الآيات رقم [1- 11]

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)}

قوله تعالى: {واليل إِذَا يغشى} أقسم الله تعالى بالليل، إذا غشيت ظلمته ضوء النهار. ويقال: أقسم بخالق الليل إذا يغشى، يعني: يغشى الليل ضوء النهار {والنهار إِذَا تجلى} يعني: أقسم بالنهار إذا استنار، وتجلى عن الظلمة {وَمَا خَلَقَ الذكر والانثى} يعني: والذي خلق الذكر والأنثى، يعني: آدم وحواء. وقال القتبي: ما ومن أصلهما واحد، وجعل من للناس، وما لغير الناس. ويقال: من مَرّ بك من الناس، وما مَرّ بك من الإبل. وقال أبو عبيد: وما خلق، أي: وما خلق، وكذلك قوله: {والسمآء وَمَا بناها} [الشمس: 5] {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس: 7] «وما» في هذه المواضع بمعنى «من» وقال أبو عبيد: وما بمعنى من وبمعنى الذي.

وروي عن ابن مسعود، أنه كان يقرأ والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى وروى الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قدمنا الشام، فأتانا أبو الدرداء، فقال: أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود؟ فأشاروا إلي، فقلت: نعم أنا. فقال: كيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية؟ قلت: سمعته يقرأ، والذكر والأنثى. قال: أنا هكذا والله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقرأها، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأها كلا أنا معهم.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لشتى} فهذا موضع جواب القسم، أقسم الله تعالى بخالق هذه الأشياء، إن سعيكم لشتى، يعني: أديانكم ومذاهبكم مختلفة، يعني: عملكم مختلف. عامل للجنة، وعامل للنار. وقال أبو الليث رحمه الله: حدّثنا أبو جعفر، حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن سهل القاضي قال: أخبرنا حدّثنا أحمد بن جرير، قال حدّثنا أبو عبد الرحمن راشد بن إسماعيل، عن منصور

بن مزاحم، عن يونس بن إسحاق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن أبا بكر رضي الله عنه، اشترى بلالاً من أمية بن خلف، وأبي بن خلف ببروة وعشرة أواق من فضة، فأعتقه لله تعالى، فأنزل الله تعالى: {والليل إِذَا يغشى * والنهار إِذَا تجلى وَمَا خَلَقَ الذكر والانثى إِنَّ سَعْيَكُمْ لشتى} يعني: سعي أبي بكر، وأمية بن خلف.

{فَأَمَّا مَنْ أعطى واتقى وَصَدَّقَ بالحسنى} يعني: بلا إله إلا الله، يعني: أبا بكر {فَسَنُيَسّرُهُ لليسرى} يعني: الجنة {وَأَمَّا مَن بَخِلَ واستغنى وَكَذَّبَ بالحسنى} يعني: بلا إله إلا الله {فَسَنُيَسّرُهُ للعسرى} يعني: أمية، وأبي ابني خلف إذا ماتا. ويقال: لنزول هذه الآية سبب آخر، كان رجل من الكفار له نخلة في دار، وشعبها في دار رجل آخر من المسلمين، وكان إذا سقطت ثمرة في دار المسلم، نادى الكافر: حرام حرام، وكان المسلم يأخذ الثمرة، فيرمي بها في دار الكافر، لئلا يأكل ذلك صبيانه فسقطت يوماً ثمرة، فأخذها ابن صغير للمسلم، فجعلها في فيه، فدخل الكافر، فأخرج الثمرة من فيه، وأبكى الصبي.

فشكى المسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا المشرك فقال: أتبيع نخلتك ليعطيك الله أفضل منها في الجنة، فقال: لا أبيع العاجل بالآجل، فسمع رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فاشترى النخلة من الكافر، وتصدق بها على المسلم. فنزلت {فَأَمَّا مَنْ أعطى واتقى} يعني: أعطى من ماله حق الله تعالى، واتقى الشرك، وسخط الله تعالى، {وَصَدَّقَ بالحسنى}. يعني: بثواب الله في الجنة {فَسَنُيَسّرُهُ} يعني: سنعينه ونوفقه {لليسرى} يعني: لعمل أهل الجنة {وَأَمَّا مَن بَخِلَ} بالصدقة {واستغنى} يعني: رأى نفسه مستغنياً عن ثواب الله، وعن جنته {وَكَذَّبَ بالحسنى} يعني: بالثواب وهو الجنة {فَسَنُيَسّرُهُ للعسرى} يعني: نخذله ولا نوفقه للطاعة، فسنيسر عليه طريق المعصية {وَأَمَّا مَن بَخِلَ واستغنى} {وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تردى} يعني: ما ينفعه ماله، إذا مات وتركه في الدنيا، وهو يرد إلى النار.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 21]

{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآَخِرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّ عَلَيْنَا للهدى} يعني: علينا بيان الهدى، ويقال: علينا التوفيق للهدى من كان أهلاً لذلك {وَإِنَّ لَنَا لَلأْخِرَةَ والاولى} يعني: الدنيا والآخرة لله تعالى، يعطي منها من يشاء ويقال: معناه إلى الله تعالى ثواب الدنيا والآخرة. ويقال: وإن لنا للآخرة والأولى، يعني: لله تعالى نفاذ الأمر في الدنيا والآخرة، يعطي في الدنيا المغفرة، والتوفيق للطاعة، وفي الآخرة الحسنة والثواب. ثم قال: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تلظى} يعني: خوفتكم بالقرآن ناراً تلظى، يعني: تثقل على أهلها، وتغيظ على أهلها، وتزفر عليهم.

قوله عز وجل: {لاَ يصلاها} يعني: لا يدخل في النار {إِلاَّ الاشقى} يعني: الذي ختم له بالشقاوة {الذى كَذَّبَ وتولى} يعني: كذب بالتوحيد، وتولى عن الإيمان، وعن طاعة الله تعالى، وأخذ في طاعة الشيطان. ثم قال: {وَسَيُجَنَّبُهَا الاتقى} يعني: يباعد عنها الأتقى، يعني: المتقي الذي يتقي الشرك وهو {الذى يُؤْتِى مَالَهُ يتزكى} يعني: يعطي من ماله حق الله تعالى {يتزكى} يعني: يريد به وجه الله تعالى. ثم قال: {وَمَا لِاَحَدٍ عِندَهُ مِن نّعْمَةٍ تجزى} يعني: لا يفعل ذلك مجازاة لأحد {إِلاَّ ابتغاء وَجْهِ رَبّهِ الاعلى} ولكن يفعل ذلك وجه ابتغاء ربه الأعلى، يفعل ذلك طلب رضاء الله تعالى الأعلى، يعني: الله العلي الكبير، الرفيع فوق خلقه، بالقهر والغلبة.

{وَلَسَوْفَ يرضى} يعني: سوف يعطي الله من الثواب، حتى يرضى بذلك. وقال مقاتل: مر أبو بكر على بلال، وسيده أمية بن خلف يعذبه، فاشتراه وأعتقه، فكره أبو قحافة عتقه، فقال لأبي بكر: أما علمت أن مولى القوم من أنفسهم، فإذا أعتقت فأعتق من له منظرة وقوة، فنزل {وَمَا لِاَحَدٍ عِندَهُ مِن نّعْمَةٍ تجزى} يعني: لا يعقل لطلب المجازاة، ولكن إنما يعطي ما له {ابتغاء وَجْهِ رَبّهِ الاعلى وَلَسَوْفَ يرضى} بثواب الله تعالى، والله أعلم بالصواب.

سورة الضحى

▲ تفسير الآيات رقم [1- 8]

{وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)}

قوله تبارك وتعالى: {والضحى} يعني: النهار كله، ويقال: الضحى ساعة من ساعات النهار، ويقال: الضحى حر الشمس {والليل إِذَا سجى} يعني: اسودّ وأظلم، ويقال: إذا سكن بالناس، ويقال: {والضحى والليل إِذَا سجى} يعني: عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه بالليل إذا أظلم، ويقال: {والضحى} نور الجنة إذا تنور {والليل إِذَا سجى} يعني: ظلمة النار إذا أظلم، ويقال: {والضحى} يعني: النور الذي في قلوب العارفين كهيئة النهار، {والليل إِذَا سجى} يعني: السواد الذي في قلوب الكافرين، كهيئة الليل.

وأقسم الله تعالى بهذه الأشياء {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى} يعني: ما تركك ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم، منذ أوحى إليك {وَمَا قلى} يعني: ما أبغضك ربك، وذلك أن مشركي قريش، أرسلوا إلى يهود المدينة، وسألوهم عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم، فقالت لهم اليهود: فاسألوه عن أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وعن الروح، فإن أخبركم بقصة أهل الكهف، وعن قصة ذي القرنين، ولم يخبركم عن أمر الروح، فاعلموا أنه صادق.

فجاؤوه وسألوه فقال لهم: ارجعوا غداً حتى أخبركم، ونسي أن يقول إن شاء الله، فانقطع عنه جبريل خمسة عشرة يوماً في رواية الكلبي، وفي رواية الضحاك، أربعين يوماً. فقال المشركون: قد ودّعه ربه وأبغضه، فنزل فيهم ذلك. وروى أسباط عن السدي قال: فأبطأ جبريل عليه السلام، على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين ليلة، حتى شكى ذلك إلى خديجة، فقالت خديجة: لعل ربك قد قلاك أو نسيك، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى} {وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الاولى} يعني: ما أعطاك الله

في الآخرة، خير لك مما أعطاك في الدنيا. ويقال: معناه عز الآخرة، خير من عز الدنيا، لأن عز الدنيا يفنى، وعز الآخرة يبقى.
قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فترضى} يعني: يعطيك ثواب طاعتك، حتى ترضى. وسوف من الله تعالى واجب. ويقال: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ} الحوض، والشفاعة حتى ترضى. ثم ذكر له ما أنعم عليه في الدنيا وفي الآخرة. فقال عز وجل: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فاوى} يعني: كنت يتيماً فضمك إلى عمك أبي طالب، فكفاك المؤنة حين كنت يتيماً {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ} فكيف ودعك بعد ما أوحى إليك.
ثم قال عز وجل: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فهدى} يعني: وجدك جاهلاً بالنبوة، وبالحكمة وبالكتاب وقراءته، والدعوة إلى الإيمان، فهداك إلى هذه الأشياء. وكقوله: {ما كنت تدري ما الكتاب، ولا الإيمان} ويقال: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ} يعني: من بين قوم ضلال {فهدى} يعني: حفظك من أمرهم، وعن أخلاقهم. ويقال: ووجدك بين قوم ضلال، فهداهم بك. ثم قال عز وجل: {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فأغنى} يعني: وجدك فقيراً بلا مال، فأغناك بمال خديجة. ويقال: وجدك فقيراً عن القرآن والعلم، فأغناك يعني: أغنى قلبك، وأرضاك بما أعطاك.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)}

ثم قال تعالى: {فَأَمَّا اليتيم فَلاَ تَقْهَرْ} يعني: لا تظلمه، وادفع إليه حقه. ويقال: معناه واذكر يُتْمك، وارحم اليتيم. وقال مجاهد: {فَلاَ تَقْهَرْ} يعني: فلا تقهره. وروي عن ابن مسعود، أنه كان يقرأ {فَأَمَّا اليتيم فَلاَ}. يعني: لا تعبس في وجهه. وروي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ضَمَّ يَتِيماً وَكَانَ مُحْسِناً فِي نَفَقَتِهِ، كَانَ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ». وقوله تعالى: {تَقْهَرْ وَأَمَّا السائل فَلاَ تَنْهَرْ} يعني: لا تؤذه ولا تزجره، ويقال: معناه واذكر فقرك، ولا تزجر السائل، ولا تنهره ورده ببذل يسير، وبكلمة طيبة. وفي الآية تنبيه لجميع الخلق، لأن كل واحد من الناس كان فقيراً في الأصل، فإذا أنعم الله عليه، وجب أن يعرف حق الفقراء.
ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدّثْ} يعني: بهذا القرآن، فيعلم الناس. وفي الآية تنبيه لجميع من يعلم القرآن، أن يحتسب في تعليم غيره. ويقال:

معناه فحدث الناس بما آتاك الله من الكرامة، ويقال: معناه اجهر بالقرآن في الصلاة. وروى أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِنَّ الله تَعَالَى جَمِيلٌ، يُحِبُّ الجَمَالَ، وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةَ عَلَى عَبْدِهِ "، يعني: يشكر بما أنعم الله تعالى عليه، ويحدث به، فيظهر على نفسه أثر النعمة، والله أعلم بالصواب.

سورة الشرح

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)}

قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} هو معطوف على قوله {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوى} [الضحى: 6] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً، وَوَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهَا قَطُّ، فَقُلْتُ: اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيماً. فَقَالَ الله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فاوى} قُلْتُ: بَلَى قال: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فهدى} [الضحى: 7] قُلْتُ: بَلَى قال {وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فأغنى} [الضحى: 8] قُلْتُ: بَلَى. قال {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}» الآية.

وروي عن بعض المتقدمين أنه قال: سورة التوبة والأنفال، بمنزلة سورة واحدة، وسورة ألم نشرح لك والضحى بمنزلة سورة واحدة، وسورة لإيلاف قريش وألم تر كيف فعل ربك، بمنزلة سورة واحدة.

قال {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} يعني: ألم نوسع قلبك بالتوحيد والإيمان، وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: أتاه جبريل فشرح صدره، حتى أبدى قلبه، ثم جاء بدلو من ماء زمزم، فغسله وأنقاه مما فيه، ثم جاء بطشت من ذهب، قد ملئ علماً وإيماناً، فوضعه فيه.

ويقال الانشراح للعلم، حتى علم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مؤمناً من وقت الميثاق، فشق صدره على جهة المثل، فيعبر به عنه. ويقال {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} يعني: ألم نلين قلبك بقبول الوحي، وحب الخيرات. ويقال: معناه، ألم نطهر لك قلبك، حتى لا يؤذيك الوسواس، كسائر الناس. ويقال: معناه {أَلَمْ نَشْرَحْ} يعني: نوسع لك قلبك بالعلم، كقوله وعلمك مما لم تكن تعلم.

ثم قال: {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ} يعني: غفرنا لك ذنبك، كقوله {لِّيَغْفِرَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: 2] ويقال: غفرنا لك ذنبك، وذلتك بترك الاستثناء ويقال: معنى {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ} يعني: عصمناك من

الذنوب {الذى أَنقَضَ ظَهْرَكَ} لو لم يعصمك الله، لأثقل ظهرك، ويقال: معناه أخرجنا من قلبك الأخلاق السيئة، وطبائع السوء {الذى أَنقَضَ ظَهْرَكَ} يعني: التي لو لم ننزعها عن قلبك، لأثقل عليك حمل النبوة والرسالة. ثم قال عز وجل: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} يعني: في التأذين والخطب، حتى لا أذكر إلا وذكرت معي، يعني: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، في كل يوم خمس مرات، في الأذان والإقامة.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 8]

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)}

قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ العسر يُسْراً} يعني: مع الشدة سعة، يعني: بعد الشدة سعة في الدنيا. ويقال: بعد شدة الدنيا سعة في الآخرة، يعني: إذا احتمل المشقة في الدنيا، ينال الجنة في الآخرة. ثم قال عز وجل: {إِنَّ مَعَ العسر يُسْراً} على وجه التأكيد. وروي عن ابن عباس، أنه قال: لا يغلب العُسْرُ يُسْرَيْنْ. وروى مبارك بن فضالة، عن الحسن أنه قال: كانوا يقولون: لا يغلب عسرٌ واحد يُسْرَين، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو كان العسر في حُجر، جاء اليسر حتى يدخل عليه، لأنه قال تعالى {إِنَّ مَعَ العسر يُسْراً} ويقال: إن مع العسر وهو إخراج أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم {يُسْراً}، وهو دخوله يوم فتح مكة، مع عشرة آلاف رجل في عز وشرف.

ثم قال عز وجل: {فَإِذَا فَرَغْتَ فانصب} يعني: إذا فرغت من الجهاد، فاجتهد في العبادة {وإلى رَبّكَ فارغب} يعني: اطلب المسألة إليه. قال قتادة: فإذا فرغت من الصلاة، فانصب في الدعاء. هكذا قال الضحاك، وقال مجاهد، {فَإِذَا فَرَغْتَ} من اشتغال نفسك {فانصب} يعني: فَصَلِّ ويقال {فَإِذَا فَرَغْتَ} من الفرائض فانصب في الفضائل، فيقال {فَإِذَا فَرَغْتَ} من الصلاة، فانصب نفسك للدعاء والمسألة، {وإلى رَبّكَ فارغب} يعني: إلى الله فارغب في الدعاء، برفع حوائجك إليه، والله أعلم وأحكم بالصواب.

سورة التين

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)}

قوله تعالى: {والتين والزيتون} وهما مسجدان بالشام، ويقال: هما جبلان بالشام {التين} جبل بيت المقدس {والتين والزيتون} جبل بدمشق وقال قتادة: {التين} الجبل الذي عليه دمشق {والتين والزيتون} الجبل الذي عليه بيت المقدس. ويقال: {التين} الذي يؤكل. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: تينكم وزيتونكم هذا. وقال مجاهد: هو الذي يؤكل، وهو قول سعيد بن جبير، والشعبي.

ثم قال: {والزيتون وَطُورِ سِينِينَ} يعني: الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، صلوات الله على نبينا وعليه ويقال {الطور} اسم الجبل {سِينِينَ} يعني: ذا شجر. ويقال: التين معناه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه {والزيتون} فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله تعالى عنها، {وَطُورِ سِينِينَ} هما الحسن والحسين سيدا الشهداء في دار الدنيا، وهذا لا يصح في اللغة {وهذا البلد الامين} يعني: مكة أمين من أن يهاج فيها، من دخل فيها. ويقال: {الامين} لجميع الحيوان الذي لا يجري عليه القلم.

ثم قال عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} يعني: في أحسن صورة، لأنه يمشي مستوياً، وليس منكوساً، وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها. قال بعضهم: نزلت في شأن الوليد بن المغيرة، وقال بعضهم نزلت في كلدة بن أسيد، وقال بعضهم هذا عام. {ثُمَّ رددناه أَسْفَلَ سافلين} يعني: رددناه بعد القوة والشباب، والحسن إلى الضعف والهرم، يعني: يصير كالصبي في الحال الأولى، يعني: رددناه إلى أرذل العمر. ويقال: رددناه. يعني: الفاجر والكافر بعد موته، إلى أسفل السافلين في النار.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 8]

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8)}

ثم قال عز وجل: {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، وعملوا الصالحات {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: غير منقوص، وذلك أن المؤمن إذا عمل في حالة شبابه، وقوته وحياته، فإذا مرض أو هرم، أو مات، فإنه يكتب له حسناته، كما كان يعمل في حال شبابه وقوته، إلى يوم القيامة ويقال: {غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: غير مقطوع ويقال: {غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: لا يُمَنُّ عليه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِنَّ الْمُؤْمِنُ إِذَا مَاتَ، صَعِدَ مَلَكَاهُ إلى السَّمَاءِ، فَيَقُولاَنِ: إِنَّ عَبْدَكَ فُلاَناً قَدْ مَاتَ، فَأْذَنْ لَنَا حَتَّى نَعْبُدَكَ عَلَى السَّمَاءِ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى: إِنَّ سَمَاوَاتِي مَمْلُوءَةٌ بِمَلاَئِكَتِي، وَلَكِنْ اذْهَبَا إِلَى قَبْرِهِ، فَاكْتُبَا لَهُ حَسَنَاتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدين} يعني: أيها الإنسان ما الذي حملك، بعدما خلقك الله تعالى في أحسن تقويم، حتى كذبت بيوم الدين والقضاء {أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الحاكمين} يعني: بأعدل العادلين، يعمل بالعدل مع الكفار، ومع المؤمنين بالفضل. وقال مقاتل: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدين} يعني: فما يكذبك أيها الإنسان، بعد بيان الصورة الحسنة، والشباب والهرم بالحساب، لا تغتر في صورتك وشبابك، فهو قادر على أن يبعثك. ويقال: معنى قوله {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَتَوَاصَوْاْ بالحق وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} [العصر: 3] يعني: لا يحزن ولا يذهب عقله، من كان عالماً عاملاً به. وروي عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ». والله أعلم.

▲ سورة العلق

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}

قوله تبارك وتعالى: {اقرأ باسم رَبّكَ الذى خَلَقَ} يقول: اقرأ القرآن بأمر ربك، وهذه أول سورة نزلت من القرآن، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما بلغ أربعين سنة، كان يسمع صوتاً يناديه يا محمد، ولا يرى شخصه، وكان يخشى على نفسه الجنون، حتى رأى جبريل عليه السلام يوماً في صورته، فغشي عليه، فحمل إلى بيت خديجة. فقالوا لها تزوجت مجنوناً، فلما أفاق أخبر بذلك خديجة، فجاءت إلى ورقة بن نوفل، وكان يقرأ الإنجيل ويفسره. ثم جاءت إلى عداس، وكان راهباً، فقال لها: إن له نبأ وشأناً، يظهر أمره.

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً إلى الوادي، فجاء جبريل عليه السلام بهذه السورة، وأمره بأن يتوضأ ويصلي ركعتين، فلما رجع أعلم بذلك خديجة، وعلمها الصلاة وذلك قوله: {<ياأيها الذين ءَامَنُواْ قوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا الناس والحجارة عَلَيْهَا ملائكة غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ الله مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6] يعني: علموهم وأدبوهم. وروى معمر عن الزهري أنه قال: أخبرني عروة عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، الرؤيا الصالحة الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّب الخلاءُ إليه. يعني: العزلة وكان يأتي حراء، ويمكث هناك، ثم يرجع إلى خديجة.

فجاءه الملك، وهو على حراء فقال له: اقرأ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني ثانية، حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم رَبّكَ الذى خَلَقَ * خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ * اقرأ وَرَبُّكَ الاكرم الذىعلم بالقلم علم الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ} فرجع ترجف بوادره، وقد أخذته الرّعدة، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع،

فذلك قوله: {اقرأ باسم رَبّكَ} يعني: اقرأ بعون الله ووحيه إليك، ويقال معناه {اقرأ باسم رَبّكَ} كقوله: {واذكر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} [الكهف: 24] يعني: اذكر ربك الذي خلق الخلائق.

ثم قال عز وجل: {خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ} يعني: ابن آدم من دم عبيط، وقال في آية أخرى: {<أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ} [المرسلات: 20] وقال في آية أخرى: {<ياأيها الناس إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ البعث فَإِنَّا خلقناكم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الارحام مَا نَشَآءُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لتبلغوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يتوفى وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمر لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الارض هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المآء اهتزت وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}

[الحج: 5] وهذه الآيات يصدّق بعضها بعضاً، لأن أول الخلق من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة. كما بين الجملة في موضع آخر. ثم قال عز وجل: {اقرأ وَرَبُّكَ الاكرم} يعني: اقرأ يا محمد صلى الله عليه وسلم وربك يعينك ويفهمك، وإن كنت غير قارئ {الاكرم} يعني: ربك المتجاوز عن جهل العباد، ويقال: {اقرأ} وقد تم الكلام، ثم استأنف فقال {وَرَبُّكَ الاكرم} يعني: الكريم ويقال الأكرم يعني: المكرم الذي يكرم من يشاء بالإسلام.

ثم قال: {الذى عَلَّمَكُمُ بالقلم} علم الكتابة، والخط بالقلم {عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ} يعني: علم آدم عليه السلام أسماء كل شيء، يعني: ألهمه ويقال {عَلَّمَ الإنسان} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {مَا لَمْ يَعْلَمْ} يعني: القرآن كقوله {<وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الكتاب وَلاَ الإيمان ولكن جعلناه نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتهدى إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52] ويقال: علم الإنسان ما لم يعلم، يعني: علم بني آدم ما لم يعلموا كقوله: {<والله أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أمهاتكم لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والابصار والأفئدة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 78].

▲ تفسير الآيات رقم [6- 14]

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (7) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (8) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)}

ثم قال عز وجل: {كَلاَّ} يعني: حقاً {إِنَّ الإنسان ليطغى} يعني: الكافر ليعصي الله. ويقال: يرفع منزلة نفسه {أَن رَّءاهُ استغنى} يعني: إن رأى نفسه مستغنياً عن الله تعالى، مثل أبي جهل وأصحابه، ومثل فرعون حيث ادعى الربوبية.
قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا أبو جعفر بن عوف، عن الأعمش، عن القاسم قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: منهومان لا يشبعان، طالب العلم وطالب الدنيا، ولا يستويان أما طالب العلم، فيزداد رضا الله وأما طالب الدنيا، فيزداد في الطغيان ثم قال: {كَلاَّ إِنَّ الإنسان ليطغى * أَن رَّءاهُ استغنى}.
ثم قال: {إِنَّ إلى رَبّكَ الرجعى} يعني: المرجع إلى الله تعالى يوم القيامة، ويقال: معناه رجوع الخلائق كلهم بعد الموت إلى الله تعالى، فيحاسبون ويجازون، فريق في الجنة، وفريق في السعير. قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الذى ينهى * عَبْداً إِذَا صلى} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا صلى في المسجد، رفع صوته بالقراءة، فلغطوا ورموه بالحجارة، فخفض صوته في الصلاتين الظهر والعصر، إذا حضروا. وأما صلاة المغرب، اشتغلوا بالعشاء وصلاة العشاء ناموا، وصلاة الفجر لم يقوموا، فرفع في هذا، فصار سنة إلى اليوم فنزل {أَرَأَيْتَ الذى ينهى * عَبْداً إِذَا صلى} ويقال: إن أبا جهل بن هشام قال: لئن رأيت محمداً صلى الله عليه وسلم يصلي، لأطأنّ عنقه فنزل {أَرَأَيْتَ الذى ينهى * عَبْداً إِذَا صلى} يعني: ألم تر أن هذا الكافر، ينهى عبد الله عن الصلاة، وهو محمد صلى الله عليه وسلم.
ثم قال: {أَرَءيْتَ إِن كَانَ على الهدى} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم، إن كان على الإسلام {أَوْ أَمَرَ بالتقوى} يعني: التوحيد. ثم قال: {أَرَءيْتَ إِن كَذَّبَ وتولى} يعني: {أَن كَذَّبَ} بالتوحيد {وتولى} عن الإسلام {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ الله يرى} أفعاله فيجازيه، وهذا جواب لجميع ما تقدم من قوله {أَرَأَيْتَ} ويقال في الآية إضمار وهو قوله: {أَرَأَيْتَ الذى ينهى * عَبْداً إِذَا صلى} يعني: بهذا الذي يصنع، ويؤذي محمداً صلى الله عليه وسلم، أليس هو على ضلالة، أليس هو قد نهى عن الصلاة والخيرات {أَرَءيْتَ إِن كَانَ على الهدى} يعني: أرأيت أيها الناهي، إن كان المصلي على الهدى {أَوْ أَمَرَ بالتقوى} يعني: بالتوحيد، واجتناب المعاصي، فينهاه عن ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 19]

{كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)}

ثم قال: {كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ} يعني: حقاً لئن لم يمتنع أبو جهل، عن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتب، ولم يسلم قبل الموت {لَنَسْفَعاً بالناصية} يعني: لنأخذ به بالناصية أخذاً شديداً، يعني: يؤخذ بنواصيه يوم القيامة، ويطوى مع قدميه، ويطرح في النار. فنزلت الآية في شأن أبي جهل، وهي عظة لجميع الناس، وتهديد لمن يمنع عن الخير، وعن الطاعة. ثم قال عز وجل: {نَاصِيَةٍ كاذبة خَاطِئَةٍ} جعل الكاذبة صفة الناصية، وإنما أراد صاحب الناصية، يعني: ناصية كاذبة على الله تعالى، خاطئة يعني: مشركة. وقال مجاهد: الذي يجحد، ويأكل رزق الله تعالى، ويعبد غيره.

ثم قال عز وجل: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} يعني: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم، فليدع أهل مجلسه، وأصحابه الكفرة حتى {سَنَدْعُ الزبانية} يعني: الملائكة، هم ملائكة العذاب، غلاظ شداد، والزبانية أخذ من الزَّبْن، وهو الدفع وإنما سمّوا الزبانية، لأنهم يدفعون الكفار إلى النار. ويقال: إنما سموا زبانية، لأنهم يعملون بأرجلهم، كما يعملون بأيديهم. وروي في الخبر، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ بهذه السورة، وبلغ إلى قوله لنسفعاً بالناصية، قال أبو جهل: أنا أدعو قومي، حتى يمنعوا عني ربك.

قال الله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزبانية} فلما سمع ذكر الزبانية، رجع فزعاً. فقيل له: خشيت منه، قال: ولكن رأيت عنده فارساً فهددني بالزبانية، فلا أدري ما الزبانية، ومال إلى الفارس، فخشيت أن يأكلني. وروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هدد أبا جهل فقال: لِمَ تهددني؟ فوالله علمتَ أني أكثر أهل الوادي نادياً، لئن دعوتُ، يعني: أهل مجلسي منعوني عن ربك، فنزل {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزبانية} قال ابن عباس رضي الله عنه: لو دعا ناديه، أخذته الزبانية.

ثم قال: {كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ} يعني: حقاً لا تطعه في ترك الصلاة يا محمد {واسجد} يعني: صل لله تبارك وتعالى {واقترب} يعني: صل واقترب إلى ربك، بالأعمال الصالحة. وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ألا يرى إلى قوله {واسجد واقترب} يعني: اقترب إلى ربك بالسجود، واعلم أن السجود أربعة أحرف، السين سرعة المطيعين والجيم جهد العابدين والدال دوام المجتهدين والهاء هداية العارفين ويقال السين سرور العارفين، الجيم جمال العابدين، والدال دولة المطيعين، والهاء هبة الصديقين.

▲ سورة القدر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)}

قوله تعالى {إِنَّا أنزلناه فِى لَيْلَةِ القدر} يعني: أنزلنا القرآن الكريم جملة واحدة إلى سماء الدنيا، من اللوح المحفوظ في ليلة القدر، يعني: في ليلة القضاء، وإنما سميت ليلة القدر، لأن الله تعالى، يقدر في تلك الليلة ما يكون من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل، والرزق. وغيره ويسلمه إلى مدبرات الأمور، وهم أربعة من الملائكة إسرافيل وجبريل، وميكائيل وملك الموت عليهم السلام. وفي آية أخرى {فِى لَيْلَةٍ مباركة} [الدخان: 3] وإنما سميت ليلة مباركة، يعني: ليلة القدر، لأنه ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة.

ثم قال عز وجل: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القدر} تعظيماً لها، فقال: {لَيْلَةُ القدر خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} يعني: العمل في ليلة القدر، خير من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان جالساً بين أصحابه، يحدث بأن رجلاً كان من بني إسرائيل، لبس السلاح ألف شهر، وصام ولم يضع السلاح، حتى مات. فعظم ذلك على أصحابه فنزلت {لَيْلَةُ القدر خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} يعني: العمل فيها وثوابه، أفضل من لبس السلاح، وصيام ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وروي في خبر آخر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَرَى أَعْمَالُ النَّاسِ»، فكأنه تقاصر أعمار أمته، أن لم يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى في الجنة ليلة القدر، خيراً من ألف شهر. فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي ليلة هي؟ قال: " الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ". ثم قال عز وجل: {تَنَزَّلُ الملائكة والروح فِيهَا} يعني: تتنزل الملائكة من كل سماء، ومن سدرة المنتهى، وهو مسكن جبريل على وسطها عليه السلام، فينزلون إلى الأرض، ويدعون الخلق، ويؤمنون بدعائهم، إلى وقت طلوع الفجر. وذلك

قوله: {تَنَزَّلُ الملائكة والروح فِيهَا} يعني: جبريل معهم وذكر في الخبر، أن جبريل عليه السلام، وقف على سطح الكعبة، ونشر جناحيه. أحدهما يبلغ المشرق، والآخر يبلغ المغرب. وقال بعضهم: «الروح» خلق يشبه الملائكة، وجهه يشبه وجه بني آدم عليه السلام. وقال بعضهم: هو ما قال الله تعالى {<وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّن العلم إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء: 85] وقال مجاهد ما نزل ملك إلا ومعه روح، ولهم أيد وأرجل، وهم موكلون على الملائكة، كما أن الملائكة موكلون على بني آدم.
ثم قال عز وجل: {بِإِذْنِ رَبّهِمْ} يعني: ينزلون بأمر ربهم {مّن كُلّ أَمْرٍ * سلام} يعني: تلك الليلة من كل أمر سلام، يعني: من كل آفة سلامة، يعني: في هذه الليلة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويقال سلام يعني: لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها شراً.
وقال القتبي: إن (من) توضع موضع (الباء)، يعني: بكل أمر سلام أي: خير {هِيَ حتى مَطْلَعِ الفجر} وقال مجاهد: يعني: كل أمر سلام، وسلام من أن يحدث فيها آذًى، أو يستطيع الشيطان أن يعمل فيها. ويقال: معناه {تَنَزَّلُ الملائكة والروح فِيهَا بِإِذْنِ رَبّهِم مّن كُلّ أَمْرٍ} وقد تم الكلام. يعني: ينزلون فيها من كل أمر من الرخصة، وكل أمر قدره الله تعالى، في تلك الليلة إلى قابل.
ثم استأنف فقال: {سلام هِيَ} يعني: سلام وبركة، وخير كلها {حتى مَطْلَعِ الفجر}. وروي عن ابن عباس رضي الله، عنهما، أنه قرأ من كل أمر سلام، يعني: الملائكة يسلمون على كل امرئ. وقرأ الكسائي {حتى مَطْلَعِ الفجر} بكسر اللام، والباقون بنصب اللام. فمن قرأ بالكسر، جعله اسماً لوقت الطلوع، ومن قرأ بالنصب جعله مصدراً. يعني: يطلع طلوعاً، والله أعلم بالصواب.

سورة البينة

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)}

قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب} يعني: اليهود والنصارى {والمشركين} يعني: عبدة الأوثان {مُنفَكّينَ} يعني: غير منتهين عن كفرهم، وعن قولهم الخبيث {حتى تَأْتِيَهُمُ البينة} يعني: حتى أتاهم البيان، فإذا جاءهم البيان، فريق منهم انتهوا وأسلموا، وفريق ثبتوا على كفرهم. ويقال: لم يزل الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، حتى وجب في الحكمة علينا في هذا الحال، إرسال الرسول إليهم. ويقال: معناه لم يكونوا منتهين عن الكفر، حتى أتاهم الرسول والكتاب، فلما آتاهم الكتاب والرسول، تابوا ورجعوا عن كفرهم، وهم مؤمنو أهل الكتاب، والذين أسلموا من مشركي العرب. وقال قتادة: {البينة} أراد به محمداً صلى الله عليه وسلم، وقال القتبي: {مُنفَكّينَ} أي: زائلين يقال: لا أنفك من كذا أي: لا أزول.

قوله تعالى: {رَسُولٌ مّنَ الله يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً} يعني: قرآناً مطهراً من الزيادة والنقصان. ويقال: مطهراً من الكذب، والتناقض ويقال: {صُحُفاً مُّطَهَّرَةً} أي: أمور مختلفة. ويقال: سمي القرآن صحفاً، من كثرة السور {فِيهَا كُتُبٌ قَيّمَةٌ} يعني: صادقة مستقيمة لا عوج فيها. ويقال: كتب قيمة، يعني: تدل على الصواب والصلاح، ولا تدل على الشرك والمعاصي. ثم قال عز وجل: {وَمَا تَفَرَّقَ الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني: وما اختلفوا في محمد صلى الله عليه وسلم، وهم اليهود والنصارى {إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البينة} يعني: بعدما ظهر لهم الحق، فنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: {وَمَا أُمِرُواْ} يعني: وما أمرهم محمد صلى الله عليه وسلم {إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ الله} يعني: ليوحدوا الله. ويقال: {وَمَا أُمِرُواْ} في جميع الكتب، {إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ

الله} يعني: يوحدوا الله {مُخْلِصِينَ لَهُ الدين حُنَفَاء} مسلمين. روي عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال: {حُنَفَاء} يعني: متبعين. وقال الضحاك {حُنَفَاء} يعني: حجاجاً يحجون بيت الله تعالى.

ثم قال: {وَيُقِيمُواْ الصلاة} يعني: يقرون بالصلاة، ويؤدونها في مواقيتها {وَيُؤْتُواْ الزكواة} يعني: يقرون بها ويؤدونها {وَذَلِكَ دِينُ القيمة} يعني: المستقيم لا عوج فيه، يعني: الإقرار بالتوحيد، وبالصلاة والزكاة، وإنما بلفظ التأنيث {القيمة} لأنه انصرف إلى المعنى، والمراد به الملة، يعني: الملة المستقيمة لا عوج فيها. يعني: هذا الذي يأمرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا أمروا في جميع الكتب.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 8]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب والمشركين} يعني: الذين جحدوا من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن ومن مشركي مكة، وثبتوا على كفرهم {فِى نَارِ جَهَنَّمَ خالدين فِيهَا} يعني: دائمين فيها {أَوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ البرية} يعني: شر الخليقة. قرأ نافع وابن عامر (البريئة) بالهمزة، والباقون بغير همزة. فمن قرأ بالهمزة، فلأن الهمزة فيها أصل. ويقال برأ الله الخلق، ويبرؤهم وهو الخالق البارئ. ومن قرأ بغير همزة، فلأنه اختار حذف الهمزة وتخفيفها.

ثم مدح المؤمنين، ووصف أعمالهم، وبين مكانهم في الآخرة، حتى يرغبوا إلى جواره فقال: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بالله، وأخلصوا بقلوبهم وأفعالهم، وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم إلى يوم القيامة {أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البرية} يعني: هم خير الخليقة. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص (والله للمؤمن أكرم على الله تعالى من بعض الملائكة الذين عبدوه) وروي عن الحسن، أنه سئل عن قوله {أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البرية} أهم خير من الملائكة؟ قال: ويلك أين تعدل الملائكة، من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ثم بين ثوابهم فقال عز وجل: {جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ} يعني: ثوابهم في الآخرة {جنات عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} يعني: أنهار من الخمر، والعسل، واللبن، وماء غير آسن {خالدين فِيهَا أَبَداً} يعني: دائمين مقيمين فيها {رَّضِىَ الله عَنْهُمْ} بأعمالهم {وَرَضُواْ عَنْهُ} بثوابه الجنة {ذلك} يعني: هذا الثواب الذي ذكر {لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ} يعني: وَحَّدَ ربه في الدنيا، واجتنب معاصيه والله أعلم.

▲ سورة الزلزلة

▲ تفسير الآيات رقم [1- 8]

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)}

قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الارض زِلْزَالَهَا} وذلك أن الناس، كانوا يرون في بدء الإسلام، أن الله تعالى لا يؤاخذ بالصغائر من الذنوب، ولا يعاقب إلا في الكبائر، حتى نزلت هذه السورة وقال: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} وذكر أهوال ذلك اليوم، وبين أن القليل في ذلك اليوم، يكون كثيراً فقال {إِذَا زُلْزِلَتِ الارض زِلْزَالَهَا} يعني: تزلزلت الأرض عند قيام الساعة، وتحركت واضطربت، حتى يتكسر كل شيء عليها. ويقال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم، عن قيام الساعة، فنزل وبين متى يكون قيام الساعة فقال: {إِذَا زُلْزِلَتِ الارض زِلْزَالَهَا} يعني: تزلزلت الأرض، وتحركت تحركاً وهو كقوله: {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً} [نوح: 18] والمصدر للتأكيد.

قوله تعالى: {وَأَخْرَجَتِ الارض أَثْقَالَهَا} يعني: أظهرت ما فيها من الكنوز والأموات {وَقَالَ الإنسان مَا لَهَا} يعني: يقول الإنسان الكافر: ما لها يعني: للأرض على وجه التعجب. {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} يعني: تخبر الأرض، بكل ما عَمِلَ عليها بنو آدم، من خير أو شر تقول: للمؤمنين صلّى عليَّ، وحج واعتمر، وجاهد، فيفرح المؤمن، وتقول للكافر أشرك وسرق، وزنى وشرب الخمر، فيحزن الكافر فيقول: ما لها؟ يعني: ما للأرض تحدث بما عمل عليها؟ على وجه التقديم والتأخير، ومعناه: يومئذٍ تحدث أخبارها {وَقَالَ الإنسان مَا لَهَا}.

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم {بِأَنَّ رَبَّكَ أوحى لَهَا} يعني: أن الأرض تحدث، بأن ربك أذن لها في الكلام، وألهمها {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ الناس

أَشْتَاتاً} يعني: يرجع الناس متفرقين، فريق في الجنة، وفريق في السعير فريق مع الحور العين يتمتعون، وفريق مع الشياطين يعذبون، فريق على السندس والديباج، على الأرائك متكئون، وفريق في النار، على وجوههم يُجَرُّونَ. اللهم في الدنيا هكذا كانوا فريقاً حول المساجد والطاعات، وفريق في المعاصي والشهوات، فذلك قوله {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ الناس أَشْتَاتاً} يعني: فِرقاً فِرَقاً.

{لِّيُرَوْاْ أعمالهم} يعني: ثواب أعمالهم، وهكذا. كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، إلاَّ وَيَلُومُ نَفْسَهُ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِناً يَقُولُ: لِمَ لَمْ أزدَدْ إحساناً، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَقُولُ: أَلاَ رَغِبْتُ عَنِ المَعَاصِي؟» وهذا عند معاينة الثواب والعقاب. وقال أبيّ بن كعب: الزلزلة لا تخرج إلا من ثلاثة، إما نظر الله تعالى بالهيبة إلى الأرض، وإما لكثرة ذنوب بني آدم، وأما لتحرك الحوت، التي عليها الأرضون السبع، تأديباً للخلق وتنبيهاً.

100

سورة العاديات

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5)}

قوله تعالى: {والعاديات ضَبْحاً} قال مقاتل: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى بني كنانة واستعمل عليهم المنذر به عمرو، الساعدي، فأبطأ عليه، خبرهم فاغتم لذلك فنزل عليه جبريل عليه السلام بهذه السورة يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمه عن حالهم فقال: (والعاديات ضبحاً) يعني: أفراس أصحابك يا محمد صلى الله عليه وسلم إنهم يسبحون في عدوهم {فالموريات قَدْحاً} يعني: النار التي تسطع من حوافر الفرس إذا عدت في مكان ذي صخور وأحجار {فالمغيرات صُبْحاً} يعني: أصحابك يغيرون على العدوّ عند الصبح {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً} يعني: يثيرون بحوافرهن التراب إذا عدت الفرس في مكان سهل يهيج التراب والغبار (نقعاً) يعني: أطراحاً على الأرض {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً} يعني: أصحابك أصبحوا في وسط العدو مع الظفر والغنيمة فلا تغتم وقال الكلبي (والعاديات ضبحاً) يعني: أنفاس الخيل حين تتنفس إذا اجتهدت وقال ابن مسعود رضي الله عنه (والعاديات ضبحاً) يعني: الإبل بعرفات إذا دخل الحجاج مكة وروى عطاء عن ابن عباس في قوله (والعاديات ضبحاً) قال الخيل وما أصبح دابة قط إلا كلب أو خنزير وهو يلهث كما يلهث الكلب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هي الإبل تذهب إلى وقعة بدر.

وقال أبو صالح تقاولت مع عكرمة في قوله (والعاديات ضبحاً) قال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل في القتال فقلت مولاي يعني: علي بن أبي طالب رضي الله عنه أعلم من مولاك إنه كان يقول هي الإبل التي تكون بمكة حين تفيض من عرفات إلى جمع، وقال أهل اللغة: الضبح صوت حلوقها إذا عدت، والضبح والضبع واحد، يقال: ضبحت النوق وضبعت إذا عدت في المسير.

وهذا قسم أقسم الله تعالى بهذه الأشياء وجوابه قوله تعالى {إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات: 6] وقال بعضهم (فالموريات قدحاً) معناه فالمنجيات عملاً وهذا مثل ضربه الله تعالى فكما أن الأقداح تنجي الرجل المسلم من برد الشتاء والهلاك وإذا لم يكن معه الزند فيهلك في البرد فكذلك العمل الصالح ينجي العبد يوم القيامة ومن العذاب الهلاك وإذا لم يكن معه عمل صالح يهلك في العذاب ويقال (فالموريات قدحاً) يعني: ناراً لأبي حباحب كان رجل في بعض أحياء العرب من أبخل الناس ولم يوقد ناراً حتى ينام كل ذي عين ثم يوقدها فإذا استيقظ أحد أطفأها لكي لا ينتفع بناره أحد بخلاً منه فكذلك الخيل حين اشتدت على الأرض الحصاة فقدحت النار بحوافرها لا ينتفع بها كما لا ينتفع بنار أبي حباحب ثم قال (فالمغيرات صُبْحاً) يعني: الخُصَماء يغيرون على حسنات العبد يوم القيامة بمنزلة ريح عاصف يجيء ويرفع التراب الناقع من حوافر الدواب فذلك قوله تعالى (فأثرن به نقعاً) ويقال هي الإبل ترجع من عرفات إلى مزدلفة ثم يرجعن إلى منى ويذبح هناك ويقسم الخمر ويوجد اللحم كأنهم أغاروها (فأثرن به نقعاً) يعني: هيّجن بالوادي غباراً حين يرجعون من مزدلفة إلى منى وقوله تعالى (به) كناية عن الوادي فكأنه يقول (فأثرن به نقعاً) أي غباراً ثم قال (فوسطن به جمعاً) يعني: فوقعن بالوادي ويقال بالمكان جمعاً أي اجتمع الحاج بمنى.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 11]

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11)}

ثم قال {إِنَّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} فيه جواب القسم أقسم الله تعالى بهذه الأشياء وفيه بين ذكر فضل الغازي وفضل فرس الغازي على تفسير من فسر الآية على الفرس حين أقسم الله تعالى بالتراب الذي يخرج والنار التي تخرج من تحت حوافر فرس الغازي لأنه ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى. ومن فسر الآية على الإبل ففي الآية بيان فضل الحاج وفضل دواب الحاج حيث أقسم الله تعالى بالتراب الذي يخرج من تحت أخفاف إبل الحاج والنار التي تخرج منها حيث صارت في أرض الحجارة أن الإنسان لربه لكنود يعني: لبخيل قال مقاتل نزلت في قرط بن عبد الله وقال معنى «الكنود» بلسان كندة وبني حضرموت هو العاصي سيده وبلسان بني كنانة البخيل ويقال

هو الوليد بن المغيرة ويقال هو أبو حباحب ويقال كان ثلاثة نفر في العرب في عصر واحد أحدهم آية في السخاء وهو حاتم الطائي والثاني آية في البخل وهو أبو حباحب والثالث آية في الطمع وهو أشعب، كان طماعاً، وكان من طمعه إذا رأى عروساً تزف إلى موضع جعل يكنس باب داره لكي تدخل داره وكان إذا رأى إنساناً يحك عنقه فيظن أنه ينزع القميص ليدفعه إليه ويقال «الكنود» الذي يمنع وفده ويجمع أهله ويضرب عبده ويأكل وحده ولا يعبأ للنائرة في قومه أي المصيبة، وقال الحسن: الكنود الذي يذكر المصائب وينسى النعم، ويقال الكنود الذي لا خير فيه، ويقال: الأرض التي غلب عليها السبخة ولا يخرج منها البذر أرض كنود.

قوله تعالى {وَإِنَّهُ على ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} يعني: الله تعالى حفيظ على صنعه عالم به {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ} يعني: الإنسان على جمع المال حريص وقال القتبي معناه إنه لحب المال لبخيل والشدة البخل ها هنا وقال الزجاج معناه أنه من أجل حب المال لبخيل وهذا موافق لما قال القتبي ثم قال عز وجل {أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى القبور} يعني: أفلا يعلم هذا البخيل إذا بعث الناس من قبورهم وعرضوا على الله تعالى بعثر يعني: أخرج {وَحُصّلَ مَا فِى الصدور} يعني: بين ما في القلوب من الخير والشر {إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ} يعني: عالم بهم وبأعمالهم وبنيَّاتهم ومن أطاعه في الدنيا ومن عصاه فيها وفي الآية دليل أن الثواب يستوجب على قدر النية ويجري به لأنه قال عز وجل (وحصل ما في الصدور) يعني: يحصل له من الثواب بقدر ما كان في قلبه من النية إن نوى بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة يحصل له الثواب على قدره والله أعلم.

سورة القارعة

▲ تفسير الآيات رقم [1- 11]

{الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11)}

قوله تعالى {القارعة * مَا القارعة} يعني: القيامة والساعة ما الساعة وهذا من أسماء يوم القيامة مثل الحاقة والطامة والصاخة، وإنما سميت القارعة لأنها تنزع القلوب بالأهوال ويقال سماها قارعة لثلاثة: لأنها تقرع في أذن العبد بما علم وسمعه والثاني تقرع أركان العبد بعضه في بعض والثالث تقرع القلوب كما تقرع القصار الثوب ثم قال عز وجل {وَمَا أَدْرَاكَ مَا القارعة} تعظيماً لشدتها ثم وصفها فقال {يَوْمَ يَكُونُ الناس كالفراش المبثوث} يعني: كالجراد كالفراش يجول بعضهم في بعض كما قال في آية أخرى {خُشَّعاً أبصارهم يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} [القمر: 7] ويقال شبههم بالفراش لأنهم يلقون أنفسهم في النار كما يلقي الفراش نفسه في النار {وَتَكُونُ الجبال كالعهن المنفوش} يعني: كالصوف المندوف وهي تمر مَرَّ السحاب {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ موازينه} يعني: رجحت حسناته على سيئاته ويقال ثقلت موازينه بالعمل الصالح بالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات {فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} يعني: في عيش مرضي يعني: في الجنة لا موت فيها ولا فقر ولا مرض ولا خوف ولا جنون يعني: آمن من كل خوف وفقر {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ موازينه} يعني: رجحت سيئاته على حسناته يعني: الكافر ويقال من خفت موازينه يعني: لا يكون له عمل صالح {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} يعني: مصيره إلى النار قال قتادة هي أمهم ومأواهم وإنما سميت الهاوية لأن الكافر إذا طرح فيها يهوي على هامته وإنما سميت أمه لأنه مصيره إليها ومسكنه فيها ثم وصفها فقال {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ} تعظيماً لشدتها ثم أخبر عنها فقال {نَارٌ حَامِيَةٌ} يعني: حارة قد انتهى حرها وأصله ما هي فأدخلت الهاء للوقف

كقوله {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابه بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقرؤا كتابيه} [الحاقة: 19] وأصله كتابي قرأ حمزة والكسائي وما أدراك ما هي بغير هاء في الوصل وبالهاء عند الوقف وقرأ الباقون بإثباتها في الوصل والوقف والله تعالى أعلم بالصواب.

▲ سورة التكاثر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 8]

{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)}

قوله تعالى {ألهاكم التكاثر} قال الكلبي نزلت في حَيَّيْن من العرب أحدهما بنو عبد مناف والآخر بنو سهم تفاخرا في الكثرة فكثرتهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إنا البغي والقتال قد أهلكنا فقد أحيانا وأحياكم وأمواتنا وأمواتكم ففعلوا فكثرتهم بنو سهم فنزل (أَلْهَاكُمُ التكاثر) يعني: شغلكم وأذهلكم التفاخر {حتى زُرْتُمُ المقابر} يعني: أتيتم وذكرتم وعددتم أهل المقابر يعني: حتى يدرككم الموت على تلك الحال وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ {ألهاكم التكاثر * حتى زُرْتُمُ المقابر} ثم قال يقول بني آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فَأَفْنَيْتَ أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ويقال معناه أغفلكم التفاخر والتكاثر عن الهاوية والنار الحامية حتى زرتم المقابر يعني: عددتم مَنْ في المقابر ثم قال {كَلاَّ} وهو رد على صنيعكم ويقال (كلا) معناه أي لاَ تَدَعون الفخر بالأحساب حتى زرتم المقابر وقال الزجاج كلا ردع لهم وتنبيه يعني: ليس الأمر الذي أن يكون عليه التكاثر والذي ينبغي أن يكونوا عليه طاعة الله تعالى والإيمان بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم {سَوْفَ تَعْلَمُونَ} إذا نزل بكم الموت ويقال (كلا سوف تعلمون) إن سئلتم في القبر ثم قال {ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} بعد الموت حين نزل بكم العذاب لأن الأحساب لا تنفعكم قوله تعالى {كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ} قال بعضهم معناه لا لا تؤمنون بالوعيد وقد تم الكلام ثم استأنف فقال {عِلْمَ اليقين} يعني: لو تعلمون ما القيامة باليقين لألهاكم عن ذلك ويقال هذا موصول به كلا لو تعلمون يقول حقاً لو علمتم علم اليقين بأن المال والحسب والفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال والعدد والحسب ثم قال عز وجل {لَتَرَوُنَّ الجحيم} قرأ ابن عامر والكسائي {لَتَرَوُنَّ} بضم التاء والباقون بالنصب فمن قرأ بالضم فهو على

فعل ما لم يسم فاعله ونصب الجحيم على أنه مفعول به ثان، ومن قرأ بالنصب فعلى فعل المخاطبة ونصب الجحيم لأنه مفعول يعني: لترون الجحيم يوم القيامة عياناً {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليقين} يعني: يدخلونها عياناً لا شك فيه {ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النعيم} يعني: ولتسألن يوم القيامة عن النعيم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أكل خبزاً يابساً وشرب الماء من الفرات فقد أصاب النعيم وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو الأمن والصحة وروى حماد بن سلمة عن أبيه عمار بن أبي عمار عن جابر أنه قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأطعمناهم رطباً وأسقيناهم الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

»هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تَسْأَلُونَ عَنْهُ« وروى صالح بن محمد عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال إن أبا بكر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي الهيثم بن التيهان من لحم وخبز وشعير وبسر مذنب وماء عذب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا ذلك لِلْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ ثَلاَثَةٌ لا يَسْأَلُ الله تَعالَى عَنْهَا العَبْدَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَا يُوارِي عَوْرَتَهُ وَمَا يُقِيمُ بِهِ صُلْبُهُ وَمَا يَكُفُّهُ عَنِ الحَرِّ والقُرِّ وَهُوَ مَسْؤُولٌ بَعْدَ ذلك عَنْ كُلِّ نِعْمَةٍ» وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مَا أَنْعَمَ الله تَعَالَى عَلَى العَبْدِ مِنْ نِعْمَةٍ صَغِيرَةٍ أوْ كَبِيرَةٍ فَيَقُولُ عَلَيْهَا الحَمْدُ لله إلاَّ أَعْطَاهُ الله تَعَالى خَيْراً مِمَّا أَخَذَ» والله أعلم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةِ التَّكَاثُر لَمْ يُحَاسِبْهُ الله تَعَالَى بِالنَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ القُرْآنْ».

سورة العصر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)}

قوله تعالى {والعصر} قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعني: الدهر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يعني: صلاة الصعر وذلك أن أبا بكر لما أسلم قالوا: خَسِرْتَ يا أبا بكر حين تركت دين أبيك، فقال أبو بكر: ليس الخسارة في قبول الحق إنما الخسارة في عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (والعصر). أقسم الله تعالى بصلاة العصر {إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ} يعني: أن الكافر لفي خسارة وروي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال «إن الإنسان لفي خسر» يعني: الناس كلهم ثم استثنى فقال عز وجل {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} فإنهم غير منقوصين قال القتبي الخسر النقصان إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير منقوص كما قال الله تعالى (ثم رددناه أسفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يعني: يكتب لهم ثواب عملهم وإن ضعفوا عن العمل قال الزجاج إن الإنسان أراد به الناس والخسران واحد ومعناه إن الإنسان الكافر والعاملين بغير طاعة الله تعالى لفي خسر وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ والعصر ونوايب الدهر إن الإنسان لفي خسر وإنه لفي لعنة إلى آخر الدهر ويقال أقسم الله تعالى بخالق الدهر إن الإنسان لفي خسر يعني: أبا جهل والوليد بن المغيرة ومن كان في مثل حالهما ثم استثنى المؤمنين فقال: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين {وَتَوَاصَوْاْ بالحق} يعني: تحاثوا على القرآن يعني: يُرَغِّبون في الإيمان بالقرآن والأعمال الصالحة {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} يعني: تحاثوا على الصبر على عبادة الله تعالى وعلى الشدائد فيرغبون الناس على ذلك ويقال بالصبر على المكاره فإن الجنة حفت بالمكاره والله تعالى أعلم بالصواب.

104

سورة الهمزة

تفسير الآيات رقم [1- 9]

{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (9)}

قوله تعالى: {وَيْلٌ لّكُلّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} يعني: الشدة من العذاب. ويقال: {وَيْلٌ} واد في جهنم، {لِكُلّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} قال أبو العالية: يعني: يهمزه في وجهه، ويلمزه من خلفه. وقال مجاهد: الهمزة اللعان، واللمزة الذي يأكل لحوم الناس. وقال ابن عباس: الهمزة واللمزة، الذي يفرق بين الناس بالنميمة. والآية نزلت في الأخنس بن شريق. ويقال: الذي يسخر من الناس، فيشير بعينه وبحاجبيه، وبشفتيه إليه. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويطعن في وجهه. ويقال: نزلت في جميع المغتابين.

ثم قال عز وجل: {الذى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ} يعني: استعبد بماله، الخدم والحيوان، وعدّده أي: حسبه وأحصاه. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي {الذى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ} بالتشديد، والباقون بالتخفيف. فمن قرأ بالتشديد، فهو للمبالغة كثر الجمع، ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه {جُمِعِ مَالاً وَعَدَّدَهُ} أي: قوماً أعدهم نصاراً. قوله عز وجل: {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} يعني: يظن أن ماله الذي جمع، أخلده في الدنيا، ويمنعه من الموت. ومن قرأ بالتخفيف، فلا يموت حتى يفنى ماله.

يقول الله تعالى: {كَلاَّ} لا يخلده ماله أبداً، وولده. ثم استأنف فقال عز وجل: {لَيُنبَذَنَّ فِى الحطمة} يعني: ليطرحن، وليقذفن في الحطمة، والحطمة اسم من أسماء النار. ثم قال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحطمة} تعظيماً لشدتها. ثم وصفها فقال: {نَارُ الله الموقدة} يعني: المستعرة، تحطم العظام، وتأكل اللحم، فلهذا سميت الحطمة {التي تَطَّلِعُ عَلَى الافئدة} يعني: تأكل اللحم، حتى تبلغ أفئدتهم. وقال القتبي: {تَطَّلِعُ عَلَى الافئدة} أي: تشرف على الأفئدة، وخص

الأفئدة، لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد، مات صاحبه. فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: {ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا} [الأعلى: 13] ويقال: {تَطَّلِعُ عَلَى الافئدة} يعني: تأكل الناس، حتى تبلغ الأفئدة فإذا بلغت ابتدأ خلقه، ولا تحرق القلب، لأن القلب إذا احترق، لا يجد الألم، فيكون القلب على حاله.

ثم قال: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ} يعني: مطبقة على الكافرين {فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِ} يعني: طبقها مشدود إلى العمد. وقال الزجاج: معناه العذاب مطبق عليهم في عمد، أي: عمد من النار. وقال الضحاك: مؤصدة أي: حائط لا باب فيه. وروي عن الأعمش، أنه كان يقرأ {عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ} ممدودة يعني: أطبقت الأبواب، ثم شددت بالأوتاد من حديد، من نار حتى يرجع إليهم غمها وحرها، فلا يفتح لهم باب، ولا يدخل عليهم روح، ولا يخرج منها غم إلى الأبد. قرأ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر، في عُمد ممدودة بضم العين والميم. وقرأ الباقون بالنصب، ومعناهما واحد، وهو جمع العماد. والله أعلم بالصواب.

▲ سورة الفيل

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)}

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ} يعني: ألم تخبر بالقرآن. ويقال: ألم تر، يعني: ألم يبلغك الخبر. ويقال: اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإخبار، يعني: اعلم واعتبر بصنيع ربك {كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ} يعني: كيف عذب ربك {بأصحاب الفيل} وكان بدء أصحاب الفيل، ما ذكرناه في سورة البروج، أن زرعة قتل المسلمين بالنار، فهرب رجل منهم إلى ملك الحبشة، وأخبره بذلك. فبعق ملك الحبشة جيشاً إلى أرض اليمن، فأمَّر عليهم أرياطاً، ومعه في جنده أبرهة الأشرم، فركب البحر بمن معه، حتى أتوا ساحلاً، مما يلي أرض اليمن، فدخلوها ومع أرياط سبعون ألفاً من الحبشة، وهزم جنود زرعة، وألقى زرعة نفسه في الماء، فهلك وأقام أرياط باليمن سنين في سلطانه.

ذلك ثم نازعه في أمر الحبشة أبرهة، وكان من أصحابه، ممن وجّهه معه النجاشي إلى اليمن وخالفه أبرهة وتفرق الجند في أرض اليمن، وصار إلى كل واحد منهما طائفة منهم. ثم خرجوا للقتال، فلما تقارب الناس، ودنا بعضهم من بعض، أرسل أبرهة إلى أرياط، أن لا تصنع شيئاً، بأن تلقي الحبشة بعضها في بعض، حتى تفنيها. فأبرز لي وأبرز لك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إلى جنده، فأرسل إليه أرياط أن قد أنصفت فاخرج، فخرج إليه أبرهة، وكان رجلاً قصيراً، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً عظيماً، في يده حربة، وخلف أبرهة عبداً يقال له عنودة وروي عن بعضهم عيودة بالياء، فلما دنا أحدهما من صاحبه، رفع أرياط الحربة، فضرب بها على رأس أبرهة يريد يافوخة، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فخدشت حاجبيه وعينه وأنفه وشفتيه. فلذلك سمي أبرهة الأشرم، وحمل عيودة على أرياط من خلف أبرهة، فقتل أرياط، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن.

وكل ما صنع أبرهة من غير علم النجاشي ملك الحبشة، فلما بلغه ذلك، غضب غضباً شديداً. وقال: عدا على أميري، فقتله بغير أمري. ثم حلف أن لا يدع أبرهة، حتى يطأ بلاده، ويجز ناصيته. فلما بلغ ذلك أبرهة، حلق رأسه، وملأ جراباً من تراب أرض اليمن. ثم بعث إلى النجاشي، وكتب إليه، أيها الملك: إنما كان أرياط عبدُك، وأنا عبدك، واختلفنا في أمرك، وكل طاعة لك. إلا أني قد كنت أقوى على أمر الجيش منه، وأضبط له، وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك، وبعثت إليه بجراب من تراب أرضي، ليضعه تحت قدميه، فيبر قسمه. فلما وصل كتاب أبرهة إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه، أن أثبت بأرض اليمن، حتى يأتيك أمري.

وقال أبرهة لعتودة حين قتل أرياط: حكمك يعني: أحكم عليّ بما شئت، فقال: حكمي أن لا تدخل عروس من نساء أهل اليمن على زوجها، حتى أصيبها قبله.

قال: ذلك لك. فأقام أبرهة باليمن، وغلامه عنودة يصنع باليمن ما كان أعطاه في حكمه. ثم عدل عليه رجل من حمير، أو من خَثْعم فقلته، فلما بلغ أبرهة قتله، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ودعا في دينه من النصرانية. فقال: قد آن لكم يا أهل اليمن، أن يكون منكم رجل حازم، يأنف مما يأنف منه الرجال، إني والله لو علمت حين حكمته، أنه يسأل من الذي سأل ما حكمته، وأيم الله لا يؤخذ منكم فيه عقل، ولا قود.

ثم إن أبرهة بنى بصنعاء كنيسة، لم يُر مثلها في زمانه في أرض الروم، ولا في أرض الشام. ثم كتب إلى النجاشي الأكبر، ملك الحبشة، أني قد بنيت لك كنيسة، لم يكن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب، فلما علمت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي، خرج رجل من بني كنانة من الحمس، حتى قدم اليمن، فدخل الكنيسة، فنظر فيها، ثم خرى فيها فدخلها أبرهة، فوجد تلك العذرة فيها فقال: من اجترأ عليّ بهذا، فقال له أصحابه: أيها الملك، رجل من أهل ذلك البيت الذي يحجه العرب. فقال: أعليّ اجْتَرأ بهذا. ثم قال بالنصرانية: لأَهْدِمَنَّ ذلك البيت ولأُخَرِّبنه، حتى لا يحجه حاج أبداً. فدعا بالفيل وأذن قومه بالخروج.

وروي في رواية أُخرى أن فئة من قريش، خرجوا إلى أرض النجاشي، فأوقدوا ناراً، فلما رجعوا، تركوا النار في يوم ريح عاصف، حتى وقعت النار في الكنيسة، فأحرقتها. فعزم أبرهة، وهو خليفة النجاشي. أن يخرج إلى مكة

فيهدم الكعبة، وينقل أحجارها إلى اليمن، فيبني هناك بيتاً ليحج الناس إليه. وروي في رواية أُخرى، أن رجلاً من أهل مكة، خرج إلى اليمن، فأخذ جزعة من القصب ذات ليلة، وأضرم النار في الكنيسة فأحرقها ثم هرب. فبناها أبرهة مرة أخرى، فحلف بعيسى ابن مريم بأن يهدم الكعبة، لكي يتحول الحج إلى كنيسته، فتجهز فخرج معه حتى إذا كان في بعض طريقه، بعث رجلاً من بني سليم، ليدعو الناس في حج بيته الذي بناه، فتلقاه رجل من اليمن بني كنانة، فقتله.

فازداد أبرهة بذلك غضباً، وحث على المسير والانطلاق، حتى إذا كان بأرض جعم فخرج إليه رجل من أشراف اليمن وملوكهم، يقال له ذو يفن. فدعا القوم، وأحبابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وصده عن بيت الله، فقاتله فهرب ذو يفن وأصحابه، وأخذوا ذا يفن، وأتى به أسيراً. فلما أراد قتله قال: أيها الملك، لا تقتلني، فإنه عسى أن أكون معك خير لك من قتلي، فتركه وحبسه عنده في وثاقه. ثم مضى على وجهه ذلك، حتى إذا كان بأرض خشعم، عرض له فقيل ابن حبيب الخشعي، فقاتله فهزمه، وأخذ أسيراً.

فلما أتي به، وهم بقتله فقال: أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، فتركه وخلى سبيله، وخرج به معه يدله على أرض العرب.

حتى إذا مر بالطائف فخرج إليه مسعود بن مغيث، التقى في رجال من ثقيف فقالوا: أيها الملك إنما نحن عبيدك، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا الذي تريد، يعنون اللات والعزى، وليست بالتي يحج إليه العرب، وإنما ذلك بيت قريش الذي بمكة، فنحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم فبعثوا معه أبارغال، فخرج يهديهم الطريق، حتى أنزلهم بالمغمس وهي على ستة أميال من مكة، فمات أبو رغال هناك، فرجمت العرب قبره، فهو القبر الذي ترجمه الناس بالمغمس.

ثم إن قريشاً لما علموا، أن لا طاقة لهم بالقتال مع هؤلاء القوم، لم يبق بمكة أحد، إلا خرج إلى الشعاب والجبال، ولم يبق أحد إلا عبد المطلب على سقايته وشيبه، أقام على حجابة البيت، فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي البيت ويقول: اللهم إن المرء يمنع رحله، فامنع رحالك لا يغلبوا بصليبهم، فأمر ما بدا لك. ثم إن أبرهة بعث رجلاً من الحبشة على جمل له، حتى انتهى إلى مكة، وساق إلى أبرهة أموال قريش وغيرها. فأصاب مائتي بعير لعبد المطلب، وهو يومئذٍ كبير قريش وسيدها. ثم بعثت أبرهة رجلاً من أهل حمير

إلى مكة، وقال أرسل إلى سيد هذا البيت وشريفهم. ثم قال له: إن الملك يقول لك، إني لم آت لأخرجكم، وإنما جئت لأهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا إلى دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم.

فلما دخل الرسول مكة، جاء إلى عبد المطلب، وأدى إليه الرسالة، فقال له عبد المطلب: ما نريد حربه، وما لنا بنيه، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي يفن، وكان صديقاً له، فجاءه وهو في مجلسه فقال له: هل عندك من عناء بما نزل بنا، فقال له ذو يفن: ما عناء رجل أسير بيد ملك ينتظر بأن يقتله، عدواً أو مشياً ألا إن صاحب الفيل صديق لي، فأرسل إليه فأوصيه لك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه أنت بما بدا لك. فقال حسبي ففعل ذلك، فلما دخل عبد المطلب على الملك وكلمه، فأعجبه كلامه.

ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك، قال عبد المطلب: حاجتي إليك، أن ترد إلي مائتي بعير لي، فلما قال ذلك، قال له أبرهة: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم إني رجوت. يعني: كرهت فيك حيث كلمتني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه. لا تكلمني فيه. قال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه.

فقال: ما كان يمنع مني، قال: أنت وذلك فرد عليه الإبل، فانصرف عبد المطلب إلى قريش، وأخبرهم الخبر، وأمر بالخروج لمن بقي من أهل مكة إلى الجبال، وفي بطون الشعاب.

ثم إن عبد المطلب، أخذ بحلقتي باب الكعبة، وقال: اللهم إن المرء يمنع رحله، وذكر كلمات في ذلك. ثم أرسل حلقتي الباب، وانطلق ومن معه إلى الجبال، ينتظرون ما يصنع أبرهة بمكة. فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وجيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وكنيته أبو العباس. وكتبه أبو البكشوم، فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي، حتى جاء إلى جنب الفيل. ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محموداً، وارجع راشداً من حيث جئت، فإنك والله في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه فاضطجع، فضربه ليقوم فأبى، فضربوه ليقوم فأبى وضربوا بالطبرزين فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول ووجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة، فبرك وأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر، أمثال الخطاطيف. مع كل طير منها ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمصة والعدسة، لا تصيب أحداً منهم إلا هلك.

فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤوا منه، ويتساءلون عن نفل بن حبيب، ليدلهم على الطريق، فخرج نفيل يشتد، حتى صعد الجبل، فخرجوا معه يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا معه فيسقط من جسده أنملة أنملة، كلما سقطت منه أنملة، خرجت منه مدة قيح ودم، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم مات، فملك ابنه يكثوم بن أبرهة ملك اليمن.

وروي في الخبر، أنه أول ما وقعت الحصبة، والجدري بأرض العرب ذلك العام. وقال بعضهم: كان أمر أصحاب الفيل، قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم، بثلاث وعشرين سنة. وقال بعضهم: كان ذلك في عام مولده عليه السلام. وروي عن قبس بن مخرمة أنه قال: ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الفيل. فنزل قوله {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحاب الفيل} يعني: كيف عاقب ربك أصحاب الفيل، بالحجارة، حين أرادوا هدم الكعبة.

قال تعالى: {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ} يعني: في خسارة. ويقال: معناه ألم يجعل صنيعهم في أباطيل {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ} يعني: متتابعاً بعضها على أثر بعض، أرسل عليهم الله طيوراً بيضاً صغاراً. وقال عبيد بن عمير: أرسل عليهم طيراً بلقا من البحر، كأنها الخطاطيف. وروى عطاء عن ابن عباس قال: طيراً سوداً، جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً. ثم قال {تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مّن سِجّيلٍ} قال سعيد بن جبير، الحجارة أمثال الحمصة.

وروي عن ابن عباس قال: رأيت عند أم هانئ من تلك الحجارة، مثل بعر الغنم، مخططة بحمرة.

وروى إسرائيل، عن جابر بن أسباط قال: طيراً كأنها رجال الهند، جاءت من قبل البحر، تحمل الحجارة في مناقيرها وأظافيرها، أكبرها كمبارك الإبل، وأصغرها كرؤوس الإنسان {تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مّن سِجّيلٍ} يعني: من طين خلط بالحجارة، ويقال: طين مطبوخ كما يطبخ الآجُرْ. وذكر مقاتل، عن عكرمة قال: هي طير جاءت من قبل البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع، لم تر قبل يومئذ ولا بعده، فجعلت ترميهم بالحجارة، فتجدر جلودهم. وكان أول يوم رأى فيه الجدري. ويقال: مكتوب في كل حجر اسم الرجل، واسم أبيه، ولا يصيب الرجل شيء، إلا نفذه فيها وقع على رأس رجل، إلا خرج من دبره، وما وقعت على جانبه، إلا خرجت من الجانب الآخر.

وقال وهب بن منبه {حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} قال بالفارسية سنك وكل يعني: حجارة وطين. وروى موسى بن بشار عن عكرمة {حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} قال: سنك وكل. ثم قال عز وجل: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} يعني: كزرع بالٍ، فأخبر الله تعالى أنه سلط على الجبابرة أضعف خلقه، كما سلط على النمرود بعوضة، فأكلت من دماغه أربعين يوماً، فمات من ذلك. والله أعلم بالصواب.

▲ سورة قريش

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)}

قوله تعالى: {لإيلاف قُرَيْشٍ * إِيلافِهِم} قرأ ابن عامر لإلاف قريش، بغير ياء بعد الهمزة، والباقون بياء قبلها همزة، ومعناهما واحد، وهذا موصول بما قبله. يعني: أن الله تعالى، أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، يعني: لتقر قريش بالحرم، ويجاورون البيت. فقال عز وجل: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولِ} لإيلاف قريش يعني: فعل ذلك، ليؤلف قريشاً بهاتين الرحلتين، اللتين بهما عيشهم ومقامهم بمكة. وقال أهل اللغة: ألفت موضع كذا، أي: لزمته وألفينه الله. كما يقال: لزمته موضع كذا، ألزمنيه الله. وكرر لإيلاف على معنى التأكيد، كما يقال: أعطيتك المال لصيانة وجهك، وصيانتك عن جميع الناس.

وقال مجاهد: لئلاف قريش، يعني: لنعمتي على قريش، وقال سعيد بن جبير، أذكر نعمتي على قريش، ويقال: معناه لا يشق عليهم التوحيد، كما لا يشق عليهم {رِحْلَةَ الشتاء والصيف} قال مقاتل وذلك أن قريشاً، كانوا تجاراً، وكانوا يمتارون في الشتاء من الأردن وفلسطين، لأن ساحل البحر كان أدناها، فإذا كان الصيف تركوا طريق الشام، وأخذوا طريق اليمن، فشق ذلك عليهم، فقذف الله تعالى في قلوب الحبشة، حتى حملوا الطعام في السفن إلى مكة للبيع، وجعل أهل مكة يخرجون إليهم على مسيرة ليلة، ويشترون فكفاهم الله تعالى مؤونة الشتاء والصيف.

{فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هذا البيت} لأن رب هذا البيت، كفاهم مؤونة الخوف والجوع، فليألفوا العبادة، كما ألفوا رحلة الشتاء والصيف وقال الزجاج: كانوا يترحلون في الشتاء إلى الشام، وفي الصيف إلى اليمن. وهذا موافق لما قال مقاتل: وقال السدي في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، وهكذا قال القتبي. وروي عن أبي العالية، أنه قال: كانوا لا يقيمون بمكة صيفاً ولا شتاءً، فأمرهم الله تعالى بالمقام عند البيت، في العبادة.

ويقال معناه: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يجتمعوا على الإيمان والتوحيد، وعبادة رب هذا البيت، كاجتماعهم على رحلة الشتاء والصيف {فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هذا البيت} يعني: سيد وخالق هذا البيت، الذي صنع هذا الإحسان إليكم، حتى يكرمكم في الآخرة، كما أكرمكم في الدنيا {الذى أَطْعَمَهُم مّن جُوعٍ} يعني: أشبعهم بعد الجوع الذي أصابهم، حتى جهدوا {الذى أَطْعَمَهُم مّن} يعني: من خوف الجهد، والعدو والغارة. وقال السدي {وَءامَنَهُم مّنْ خوْفٍ} يعني: من خوف الجذام، والله تعالى أعلم بالصواب.

107

سورة الماعون

تفسير الآيات رقم [1- 7]

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)}

قوله تعالى: {أَرَءيْتَ الذى يُكَذّبُ بالدين} قرأ الكسائي، {أَرَأَيْتَ} بغير ألف. وقرأ نافع بالألف بغير همزة، والباقون بالألف والهمزة، {أَرَأَيْتَ}. وهذه كلها لغات العرب، واللغة المعروفة بالألف والهمزة، ومعناه ألا ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكافر الذي يكذب بالدين يعني: بيوم القيامة. وقال: معناه ما تقول يا محمد في هذا الكافر، الذي يكذب بيوم القيامة، فكيف يكون حاله يوم القيامة. وقال قتادة: نزلت في وهب بن عايل، وقال جعدة بن هبيرة: نزلت في العاص بن وائل، ويقال: هذا تهديد لجميع الكفار.

ثم قال عز وجل: {فَذَلِكَ الذى يَدُعُّ اليتيم} يعني: يدفع اليتيم عن حقه، ويقال: يمنع اليتيم حقه ويظلمه {وَلاَ يَحُضُّ على طَعَامِ المسكين} يعني: لا يحث على طعام المسكين، ويقال: لا يطعم المسكين. ثم قال عز وجل: {فَوَيْلٌ لّلْمُصَلّينَ} يعني: للمنافقين {الذين هُمْ عَن صلاتهم سَاهُونَ} يعني: لاهين عنها حتى يذهب وقتها. {الذين هُمْ} الناس بالصلاة، ولا يريدون بها وجه الله تعالى، حتى إذا رأوا الناس صلوا، وإذا لم يروا الناس لم يصلوا.

قوله تعالى: {يُرَاءونَ وَيَمْنَعُونَ الماعون} قال مقاتل: يمنعون الزكاة، والماعون بلغة الحبش المال. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يراؤون بصلاتهم، ويمنعون الزكاة. ويقال: الماعون يعني: المعروف كله، الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم. وعن أبي عبيد قال: سألت عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه عن الماعون، قال: الماعون ما يتعاطاه الناس فيما بينهم، مثل الفأس والقدوم والقدر والدلو ونحو ذلك. وروى وكيع، عن سالم بن عبد الله. قال: سمعت عكرمة يقول: الماعون: الفأس، والقدوم، والقدر، والدلو. قلت: من منع هذا فله الويل. قال من راءى بصلاة وسها عنها، ومنع هذا فله الويل.

وقال القتبي: الماعون الزكاة، ويقال: الماعون هو الماء والكلأ. وروي عن الفراء أنه قال: هو المال، والله تعالى أعلم بالصواب.

▲ سورة الكوثر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)}
قوله تعالى: {إنَّا أعطيناك الكوثر} يعني الخير الكثير لفضيلة القرآن، ويقال العلم، وقال القتبي أحسبه «فَوْعَلَ» من الكثرة والخير الكثير، وقال مقاتل: {إنَّا أعطيناك الكوثر} أراد به نهراً في الجنة طينه مسك أزفد ورضراضه اللؤلؤ أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وروى عطاء بن السائب عن محمد بن زياد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب ومجراه على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، تربته أطيب من المسك وروي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ فَإِذَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ مِنَ اللُّؤْلُؤْ المُجَوَّفِ يَعْنِي الخِيَامَ قُلْتُ مَا هذا يَا جِبْرِيل؟ قَالَ: هذا الكَوثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ". ثُمَّ قال عز وجل {فَصَلّ لِرَبّكَ} يعني صلّ لله الصلوات الخمس {وانحر} قال بعضهم: انحر نفسك يعني اجتهد في الطاعة، وقال بعضهم: انحر يعني: استقبل بنحرك القبلة وقال بعضهم: وانحر يعني: البدنة يعني: اعرف هذه الكرامة من الله تعالى وأطعم، انحر يعني: استقبل بنحرك القبلة وقال بعضهم: وانحر يعني: البدنة يعني: اعرف هذه الكرامة من الله تعالى وأطعم، وقال بعضهم: صل صلاة العيد يوم العيد وانحر البدنة ثم قال عز وجل: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الابتر} يعني: مبغضك وهو «العاص بن وائل السهمي» هو الأبتر يعني: الأبتر من الخير وذلك أن العاص بن وائل السهمي كان يقول لأصحابه: هذا الأبتر الذي لا عقب له. وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتم لذلك فنزل إن شانئك هو الأبتر وأنت يا محمد صلى الله عليه وسلم ستذكر معي إذا ذكرت فرفع الله ذكره في كل مواطن ويقال: {فَصَلّ لِرَبّكَ وانحر} بأن يستوي بين السجدتين حتى يبدي نحره فخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الأمة كما قال: {لَّمَّا كَذَّبُواْ الرسل} وأراد به هو وأصحابه، وروي عن علي بن أبي طالب، رضي

الله عنه في قوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحر} قال يعني: ضع اليمين على الشمال في الصلاة {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الابتر} في ماله وولده وأهله والبتر: في اللغة الاستئصال والقطع وقال قتادة الأبتر الحقير الرقيق الذليل.

109

▲ سورة الكافرون

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)}

قوله تعالى: {قُلْ ياأيها الكافرون} وذلك أن قريشاً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن يَسُرّك بأن نتبعك عاماً ونترك ديننا ونتبع دينك وترجع إلى ديننا عاماً. فنزلت هذه السورة وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم وجرى على لسانه ما جرى فقال أبو جهل أخزاه الله لا يفارقنا إلا على أحد أمرين ندخل معك في بعض ما تعبد وتدخل معنا في بعض ديننا أو نتبرأ من آلهتنا وتتبرأ من إلهك فنزلت هذه السورة، وقال الكلبي: إنهم أتوا العباس فقالوا له: لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول وآمنا به فنزل {قُلْ ياأيها الكافرون}، ويقال إنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا له: إن ابن أخيك يؤذينا ونحن لا نؤذيه بحرمتك فدعاه أبو طالب وذكر ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّما أَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ» فقال ما هي؟ قال: «لاَ إله إلاَّ الله» فنفروا عن هذه الكلمة فنزلت {قُلْ ياأيها الكافرون} يعني: قل يا محمد لأهل مكة {لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} يعني: {لاَ أَعْبُدُ} بعد هذا {مَا تَعْبُدُونَ} أنتم من الأوثان ولا أرجع إلى دينكم {وَلاَ أَنتُمْ عابدون مَا أَعْبُدُ} يعني: لا تعبدون أنتم بعد هذا الرب الذي أعبده أنا حتى ترون ما يستقبلكم غداً وهذا كقوله عز وجل: {وَقُلِ الحق مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كالمهل يَشْوِى الوجوه بِئْسَ الشراب وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: 29] قوله تعالى: {وَلا أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} يعني: لست أنا في الحال عابداً لأصنامكم وما كنت عابداً لها قبل هذا لأني علمت مضرة عبادتها {وَلاَ أَنتُمْ عابدون مَا أَعْبُدُ} يعني: لستم عابدين في الحال لجهلكم وغفلتكم وقلة عقلكم. ثم قال عز وجل: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ} يعني: قد أكملت

عليكم الحجة فليس عليّ أن أجبركم على الإسلام فاثبتوا على دينكم حتى تروا ماذا يستقبلكم غداً وأنا أثبت على ديني الذي أكرمني الله تعالى به ولا أرجع إلى دينكم أبداً وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية القتال، فيها دليل أن الرجل إذا رأى منكراً أو سمع قولاً منكراً فأنكره فلم يقبلوا منه لا يجب عليه أكثر من ذلك وإنما عليه أن يحفظ مذهبه وطريقه ويتركهم على مذهبهم وطريقهم. وقال الحسن سمعت شيخاً يحدث قال: بينما أسير مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ {قُلْ ياأيها الكافرون} فقال: «أَمَّا هذا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ» وسمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} [الصمد: 1] فقال: «أَمَّا هذا فَقَدْ غَفَرَ الله تَعَالَى لَهُ» والله أعلم.

▲ سورة النصر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)}

قوله تعالى: {إِذَا جَاء نَصْرُ الله} وروى عبد الملك بن سليمان قال: سمعت سعيد بن جبير يقول كان أناس من المهاجرين قد وجدوا عمر وفي إدنائه ابن عباس رضي الله عنهما دونهم وكان يسأله فقال عمر: أما إني سأريكم منه اليوم ما تعرفون به فضله فسأله عن هذه السورة {إِذَا جَاء نَصْرُ الله والفتح} قال بعضهم: أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً أن يحمده ويستغفره فقال لابن عباس تكلم، فقال أعلمه الله متى يموت فقال: {إِذَا جَاء نَصْرُ الله والفتح} فهي آيتك من الموت {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}، قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فاستبشروا فسمع بذلك ابن عباس فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال نعيت نفسك فقال: «صَدَقْتَ» فعاش بعد هذه السورة سنتين. وروى أبو عبيد بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول: «سُبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمِدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» وقال علي رضي الله عنه لما نزلت هذه السورة مرض النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل وتوفي بعد أيام. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {إِذَا جَاء نَصْرُ الله والفتح} يعني إذا أتاك نصر من الله تعالى على الأعداء من قريش وغيرهم، {والفتح} يعني: فتح مكة والطائف وغيرها {وَرَأَيْتَ الناس يَدْخُلُونَ فِى دِينِ الله أفواجا} يعني: جماعة جماعة وقبيلة قبيلة، وكان قبل ذلك يدخلون واحداً واحداً فدخلوا فوجاً فوجاً فإذا رأيت ذلك فاعلم أنك ميت فاستعد للموت بكثرة التسبيح والاستغفار فذلك قوله: {فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ} يعني: سبحه، ويقال: يعني: سبح صل لربك {واستغفره إِنَّهُ كَانَ تَوبَا} يعني: مسبحاً وذلك لمن تاب.

111

▲ سورة المسد

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)}

قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} يعني: خسر أبو لهب وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} [الشعراء: 214] صعد على الصفا ونادى فاجتمعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الأَقْرَبِينَ وَأَدْعُوهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إله إلاَّ الله، فَقُولُوا أَشْهَدْ لَكُمْ بِهَا عِنْدَ رَبِّي " فأنكروا ذلك فقال أبو لهب: تباً لك سائر الأيام ألهذا دعوتنا، وروي في خبر آخر أنه اتخذ طعاماً ودعاهم ثم قال: " أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا وَأَطِيعُوا تَهْتَدُوا " فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر الأيام ألهذا دعوتنا فنزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} يعني: خسرت يدا أبي لهب عن التوحيد {وَتَبَّ} يعني: وقد خسر ويقال: إنما ذكر اليد وأراد به هو وقال مقاتل: تبت يدا أبي لهب وتب يعني: خسر نفسه وكان أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه «عبد العزى» ولهذا ذكره بالكنية ولم يذكر اسمه لأن اسمه كان منسوباً إلى صنم وقال بعضهم: كنيته كان اسمه ثم قال عز وجل: {مَا أغنى عَنْهُ مَالُهُ} يعني: ما نفعه ماله في الآخرة إذ كفر في الدنيا {وَمَا كَسَبَ} يعني: ما ينفعه ولده في الآخرة إذا كفر في الدنيا والكسب أراد به الولد لأن ولد الرجل من كسبه ثم قال عز وجل: {سيصلى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ} يعني: يدخل في النار ذات لهب يعني ذات شعل ثم قال عز وجل: {وامرأته} يعني: امرأته تدخل النار معه {حَمَّالَةَ الحطب} قرأ عاصم حمالة الحطب بنصب الهاء ويكون على معنى الذم والشين ومعناه أعني حمالة الحطب والباقون بالضم على معنى الابتداء وحمالة الحطب جعل نعتاً لها فقال: {حَمَّالَةَ الحطب} يعني: حمالة الخطايا والذنوب. ويقال: {حَمَّالَةَ الحطب} يعني: تمشي بالنميمة فسمى النميمة حطباً لأنه يلقي بني القوم العداوة والبغضاء وكانت تمشي بالنميمة في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقال: كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالليل من بغضها لهم حتى بلغ

النبي عليه السلام شدة وعناء فحملت ذات ليلة حزمة شوك لكي تطرحها في طريقهم فوضعتها على جدار وشدتها بحبل من ليف على صدرها فأتاها جبريل عليه السلام ومده خلف الجدار وخنقها حتى ماتت فذلك قوله: {فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} أي من ليف وقال أكثر أهل التفسير {فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} يعني: في الآخرة في عنقها سلسلة من حديد وتحتها نار وفوقها نار، وروى سعيد بن جبير رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب فقال أبو بكر رضي الله عنه لو تنحَّيْتَ يا رسول الله فإنها امرأة بذية فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

»سَيُحَال بَيْنِي وَبَيْنَهَا« فدخلت فلم تره فقالت لأبي بكر رضي الله عنه هجاناً صاحبك فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله قالت إنك لمصدق فاندفعت راجعة فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما رأتك فقال:

«لَمْ يَزَلْ بَيْنِي وَبَيْنَها مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا حَتَّى رَجِعَتْ».

وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي يزيد بن زيد قال لما نزلت هذه السورة قيل لامرأة أبي لهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قد هجاك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الخلاء وقالت يا محمد صلى الله عليه وسلم على ماذا تهجوني

فقال: «أَمَا وَلله مَا أَنَا هَجَوْتُكِ مَا هَجَاكِ إلاَّ الله عَزَّ وَجَلَّ»

قالت هل رأيتني أحمل الحطب أو رأيت في جيدي حبلها من مسد؟

وقال مجاهد: {فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} مثل حديد البكرة،

وقال غيره يعني عروة سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً والله أعلم.

سورة الإخلاص

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)}

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} وذلك أن قريشاً قالوا له صِفْ لنا ربَّك الذي تعبده وتدعونا إليه ما هو؟ فأنزل الله تعالى: {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} يعني: قل يا محمد للكفار إني ربي الذي أعبده {هُوَ الله أَحَدٌ} يعني فرد لا نظير له ولا شبيه له ولا شريك له ولا معين له ثم قال عز وجل: {الله الصمد} يعني: الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، وقال السدي وعكرمة ومجاهد {الصمد} الذي لا جوف له، وعن قتادة قال كان إبليس لعنه الله ينظر إلى آدم عليه السلام ودخل في فيه وخرج من دبره يعني حين كان صلصالاً فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ويتضرعون إليه عند مسألتهم وقال أبو وايل {الصمد} السيد الذي انتهى سؤدده وكذلك قال سعيد بن جبير وقال الحسن البصري رضي الله عنه {الصمد} الدائم، وقال قتادة {الصمد} الباقي ويقال الكافي وقال محمد بن كعب القرظي {الصمد} الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويقال: {الصمد} التام في سؤدده وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: {الصمد} الذي لا يخاف من فوقه ولا يرجو من تحته ويُصْمَد إليه في الحوائج ثم قال عز وجل {لَمْ يَلِدْ} يعني: لم يكن له ولد يرث ملكه. {وَلَمْ يُولَدْ} يعني: لم يكن له والد يرث عنه ملكه {وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} يعني: لم يكن له نظير ولا شريك فينازعه في عظمته وملكه وقال مقاتل: إن مشركي العرب قالوا إن الملائكة كذا وكذا وقالت اليهود والنصارى في عزير والمسيح ما قالت فكذبهم الله تعالى وأبرأ نفسه مما قالوا فقال: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ}، قرأ عاصم في رواية حفص كفواً بغير همزة وقرأ حمزة بسكوت الفاء مهموزاً والباقون بضم الفاء مهموزاً بهمزة وكل ذلك يرجع إلى معنى واحد وروي

عن علي بن أبي طالب أنه قال من قرأ {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذٍ ولو اجتهد الشيطان.
وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُم أَنْ يَقْرَأ القُرآنَ فِي لَيْلَةٍ؟» فقيل يا رسول الله من يطيق ذلك؟ قال: «أَنْ يَقْرَأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ثَلاَثَ مَرَاتٍ» وروي عن ابن شهاب عن الزهري رضي الله عنه قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ مَرَّةً فَكَأَنَّمَا قَرَأ ثُلُثَ القُرْآنِ» والله أعلم.

113

سورة الفلق

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)}

قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الفلق} يعني: قل يا محمد أعتصم وأستعيذ وأستعين بخالق الخلق، والفلق الخلق وأنما سمي الخلق فلقاً لأنهم فُلِقُوا من آبائهم وأمهاتهم ويقال: {أَعُوذُ بِرَبّ الفلق} يعني: بخالق الصبح، ويقال: فالق الحب والنوى قال الله تعالى: {إِنَّ الله فَالِقُ الحب والنوى يُخْرِجُ الحى مِنَ الميت وَمُخْرِجُ الميت مِنَ الحى ذلكم الله فأنى تُؤْفَكُونَ} [أنعام: 95] وقال {فَالِقُ الإصباح وَجَعَلَ اليل سَكَناً والشمس والقمر حُسْبَاناً ذلك تَقْدِيرُ العزيز العليم} [الأنعام: 96] ويقال الفلق واد في جهنم، ويقال: جب في النار. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الفَلَقُ شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ فَإِنْ أَرَادَ الله أَنْ يُعَذِّبَ الكَافِرَ بِأَشَدِّ العَذَابِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا». وروي عن كعب الأحبار أنه دخل في بعض الكنائس التي للروم فقال: أخسر عمل وأضلُّ قوم قد رضيت لكم بالفلق فقيل له ما الفلق يا كعب؟ قال: بئر في النار إذا فتح بابها صاح جميع أهل النار من شدة عذابها.

ثم قال عز وجل: {مِن شَرّ مَا خَلَقَ} قال الجن والإنس وقال الكلبي من شر ما خلق يعني: من شر ذي شر. ثم قال عز وجل: {وَمِن شَرّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} يعني: ظلمة الليل إذا دخل سواد الليل في ضوء النهار ويقال: {إِذَا وَقَبَ} يعني: إذا جاء وأدبر وقال القتبي: {الغاسق} الليل والغسق الظلمة ويقال: الغاسق القمر إذا انكسف واسودّ {وَإِذَا وَقَبَ} يعني: إذا دخل في الكسوف.

ثم قال تعالى: {وَمِن شَرّ النفاثات فِى العقد} يعني: الساحرات المهيجات اللواتي ينفثن في العقد ثم قال عز وجل: {وَمِن شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} يعني كل ذي حسد أراد به لبيد بن أعصم اليهودي ويقال لبيد بن عاصم. وروى الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال سحر النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ

من اليهود عقد له عقداً فاشتكى لذلك أياماً فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إن رجلاً من اليهود سحرك فبعث علياً رضي الله عنه واستخرجها فحلّها فجعل كلما حل عقدة وجد النبي صلى الله عليه وسلم لذلك خفة حتى حلها كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لليهود.

وروي في خبر آخر أن لبيد بن أعصم اتخذ لعبة للنبي صلى الله عليه وسلم وأخذ من عائشة رضي الله عنها فأفحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل في اللعبة أحد عشرة عقدة ثم ألقاها في بئر، وألقى فوقها صخرة فاشتكى من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شكواً شديداً فصارت أعضاؤه مثل العقد فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النائم واليقظان إذ أتاه ملكان أحدهما جلس عند رأسه والآخر عند قدميه فالذي عند قدميه يقول للذي عند رأسه ما شكواه قال السحر قال: من فعل به؟ قال لبيد بن أعصم اليهودي قال فأين صنع السحر قال في بئر كذا قال: ماذا رأوه يبعث إلى تلك البئر فنزح ماؤها فإنه انتهى إلى الصخرة فإذا رأها فليقلعها فإن تحتها كؤبة وهي كؤبة قد سقطت عنقها وفيه إحدى عشرة عقدة فيحرق في النار فيبرأ إن شاء الله تعالى فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وقد فهم ما قالا فبعث عمار بن ياسر وعلياً رضي الله عنهما إلى تلك البئر في رهط من أصحابه فوجدوها كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم لهم فنزلت هاتان السورتان وهي إحدى عشرة آية فكلما قرأ آية حل منها عقدة حتى انحلت كلها ثم أحرقها بالنار فبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس} ما سأل منها سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلها قط وهذه الآية دليل أن الرقية جائزة إن كانت بذكر الله تعالى وبكتابه والله أعلم بالصواب.

▲ سورة الناس

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)}

قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس} يقول أستعيذ بالله وخالق الناس ويقال: أستعيذ بالله الذي هو رازق الخلق، ثم قال عز وجل: {مَلِكِ الناس} يعني: خالق الناس ومالكهم وله نفاذ الأمر والملك فيهم، ثم قال عز وجل: {إله الناس} يعني: خالق الناس ومعطيهم ومانعهم {مِن شَرّ الوسواس} يعني من شر الوسواس يعني من شر الشيطان، لأني لا أستطيع أن أحفظ نفسي من شره لأنه يجري في نفس الإنسان مجرى الدم ولا يراه بشر والله تعالى قادر على حفظي من شره ومن وسوسته.

ثم وصف الشيطان فقال: {الخناس} قال مجاهد: هو منبسط على قلب الإنسان إذا ذكر الله خنس وانقبض فإذا عقل انبسط على قلبه ويقال له: خنوس كخنوس القنفذ {الذى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ الناس * مِنَ الجنة والناس} يعني: يدخل في صدور الجن كما يدخل في صدور الإنس ويوسوس لهم ويقال: {الناس} في هذا الموضع يصلح للجن والإنس فإذا أراد به الجن فمعناه: يوسوس في صدور المؤمنين الذين هم جن {يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ الناس} يعني: الذين هم من بني آدم ويقال: {الناس} معطوف على الوسواس ومعناه: {مِن شَرّ الوسواس} {وَمِن شَرّ الوسواس الخناس} كما قال في آية أخرى {شياطين الإنس والجن} وقال مقاتل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له جبريل عليه السلام ألا أخبرك يا محمد صلى الله عليه وسلم بأفضل ما يتعوذ به؟ قلت: «وَمَا هُوَ؟» قال المعوذتان.

وروى علقمة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا تَعَوَّذَ المُعَوِّذُونَ بِمِثْلِ المَعُوذَتَيْنِ». وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى: {مِنَ الجنة والناس} قال إن من الناس شياطين فتعوذوا بالله من الشياطين يعني: شياطين الجن والإنس، وقال هما شيطانان فأما شيطان الجن

فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فإنه علانية وروى أبو معاوية عن عثمان بن واقد قال أرسلني أبي إلى محمد بن المنكدر أسأله عن المعوذتين أهما من كتاب الله تعالى؟ قال: من لم يزعم أنهما من كتاب الله تعالى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (والله أعلم وصلَّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين ورسول رب العالمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وأهل طاعتك أجمعين. ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، حسبنا الله ونعم الوكيل.

فهرست

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n63&p1